

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الدراسات العليا

قسم الكتاب والسنة

التفسير وعلوم القرآن



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٥٢٤٧



البر فية القرآن الكريم

دار السنة موضوعية

بحث أعدَّ للحصول على درجة الماجستير في الكتاب والسنة

إعداد الطالبة

هناء عبد الله سليمان أبوداود

الرقم الجامعي : ٤٢٣٨٠٢٣٩

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

عبد العزيز عزت عبد الحكيم

١٤٢٥ هـ - ١٤٢٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن رسالة : " البر في القرآن الكريم ، دراسة موضوعية " رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة ، تخصص التفسير .

إن المسلم يرجو من الله ويتشوق أن يكون من المتقين الأبرار الذين وعدهم الله ﷻ جنات النعيم ومقعد الصدق ، وموضوع البر موضوع حيوي يحرص على معرفة مجالاته وآثاره في الدنيا والآخرة كل مؤمن وهذه الرسالة قد جمعت ذلك في ثنايا صفحاتها ، سائلة المولى أن أكون قد وفقت لإنجاز ذلك ، ولا أدعي الكمال ، فالكمال لله ، ولكنني حاولت جهدي ما استطعت .

وخطتي في البحث تشتمل على مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس ، ذكرت في المقدمة سبب اختياري للموضوع وأهميته ومنهجي الذي اتبعته في البحث ، ثم الفصل التمهيدي ، وفيه مبحثان : التعريف بالتفسير الموضوعي ، والتعريف بالبر .

أما الباب الأول فتضمن مجالات البر في الإيمان والعبادة والأخلاق ، وفيه ثلاثة فصول ، الفصل الأول : البر في الإيمان ، الفصل الثاني : البر في العبادات ، الفصل الثالث : البر في مكارم الأخلاق . والباب الثاني تضمن مجالات البر في الصلوات الاجتماعية ، وفيه فصلان ، الفصل الأول : البر في الصلوات الاجتماعية النسبية ، الفصل الثاني : البر في الصلوات الاجتماعية غير النسبية . والباب الثالث تضمن آثار البر في الدنيا والآخرة ، وفيه فصلان ، الفصل الأول : آثار البر في الدنيا الفصل الثاني : آثار البر في الآخرة .

ثم ختمت الرسالة بخاتمة ذكرت فيها أهم نتائج هذا البحث ، ومنها :

- ١- الإيمان والبر والتقوى ألفاظ متقاربة ؛ فالمؤمنون هم المتقون الأبرار .
- ٢- البر : اسم جامع للطاعات وأعمال الخير المقربة إلى الله ، والتي يسعى المسلم عند القيام بها إلى الكمال ، وهو تصور وشعور وأعمال وسلوك ، وليس مجرد مظاهر وصور وأشكال ؛ بل إحسان يحدوه حب الله وحب الخير الناس ، والبر أنواع ثلاثة جامعة لكل خير : بر في الإيمان ، وبر في العمل ، وبر في الخلق .

٣- مجالات البر عديدة ومتنوعة ، وليست كما يظن البعض أنها مختصة بالوالدين .

٤- لا يكون المرء من الأبرار حتى يكون ذا همة عالية ، وعزيمة قوية بالأخذ بالنفس للصعود للكمال .

SUMMARY OF THE THESIS

All grace to ALLAH the lord of the worlds. Prayers and peace be upon the best of all creations, our prophet Mohammad; and upon his family, companions and everyone following his guidance voluntarily till the Day of Judgment.

This academic thesis : "Benevolence in Quran: A Subjective Study" is submitted in order to obtain the masters degree in the interpretation specialty of the Holy Book and Sunnah.

A Muslim yearns to be among the benevolent pious people, whom Allah SWT promised bountiful heavens and delivered them a position in it.

Benevolence is a lively subject that all believers would like to know about. They are interested in all its aspects and effects in this life and in the hereafter. This thesis has gathered all that in its contents. Hoping to Allah that I have succeeded to perform that, not claiming perfection, because perfection is only for Allah, however I tried my best.

My outline in this research contains an introduction, preface, a body of three chapters, conclusion, and indices.

I mentioned in the introduction the reason of my choice to this subject, and the importance of this subject. It also contained the theme I followed in this research.

The preface which covers two aspects: definition of subjective interpretation, and definition of benevolence.

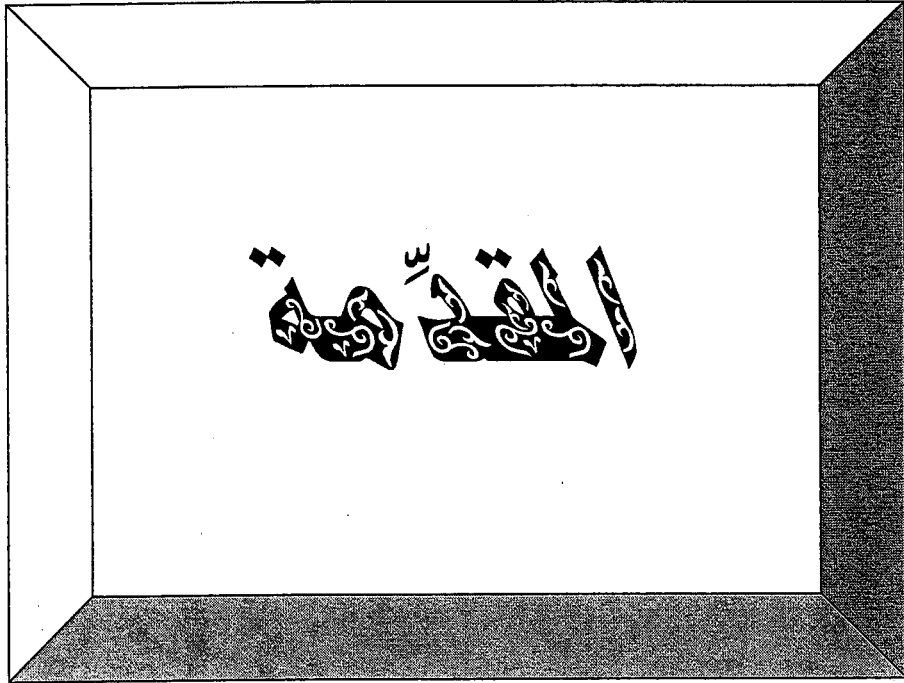
The first chapter includes aspects of benevolence in faith, rituals, and manners. It contains three sections:

- ❖ First section: Benevolence in Faith.
- ❖ Second section: Benevolence in Rituals.
- ❖ Third section: Benevolence in the Best of Manners.

6. Whoever struggles with himself to reach all the aspects of benevolence mentioned, will without doubt, be a person devoted to Allah in all aspects of life (only with Allah's help). That person's life will be blessed, because he/she has gained happiness not only to himself and his family, but to all the people around him. As some have said: "The believer is like the rain, where ever it will be it will give, regardless of whether they like or dislike it."

I have ended this thesis with scientific indices.

All praise and thanks be to the Lord of the worlds, and peace and prayers be on the gifted Mercy (the Prophet Mohammed), his family and all his companions.



مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله البرّ الرَّحِيم ، العليّ الكَرِيم ، أحمده على إتمام الفضل والنعمة ، فلا يُحمد سواه ، ولا يُبتغى إلا رضاه ، ولا يُقصد إلاّ بابه ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الأخيار ، ما تعاقب الليل والنهار ، وما تقرب عبد بارّ إلى مولاه الغفار .

أمّا بعد :

فإنّ كتاب الله ميسّر لمن أراد أن يتذكّر ويعتبر ، ومن صدق مع الله وأخلص قلبه لله وخصّ آي كتابه العزيز بالتدبّر والتفهم .. فتح الله عليه من أسرار القرآن العظيم ، وملاً قلبه نوراً وحبوراً ؛ ففيه الهدى والرّحمة ، وهي الموعظة والشّفاء لما في الصّدور . قال تعالى :

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس : ٥٧ ، ٥٨] .

إنّ أشرف العلوم على الإطلاق تفسير كتاب الله تعالى ؛ لأنّ العلم يشرف بشرف موضوعه وموضوع التفسير هو القرآن الكريم .. كتاب الله ﷻ .. رسالة الله الأخيرة إلى أهل الأرض جميعاً ، ولقد كان أمنية حياتي أن أعيش في رحاب آيات القرآن العظيم أهل من معينها ، وأستنشق من عبير هداها ؛ لأروي ظمأ فؤادي المتطلّع إلى رضی مولاه وتحقّق جزء من هذه الأمنية بتسجيلي في جامعة أم القرى في الدراسات العليا ؛ قسم الكتاب والسنة ، تخصصّ التفسير وعلوم القرآن ، وأهميت بفضل الله السنة المنهجية ، وبدأت أبحث عن موضوعٍ للرّسالة ، ولمّا كان التفسير الموضوعي نوعاً من أنواع التفسير يواكب ما كنت أتمنى فقد استخرت الله ﷻ وتمّ اختيار موضوع :

" البرّ في القرآن الكريم ، دراسة موضوعية "

إنَّ موضوع البرِّ في القرآن الكريم موضوعٌ مهمُّ ، يتناول الموضوعات الإيمانية والتعبدية وكذلك الأخلاقية والاجتماعية المهمَّة ، وما أحوجنا اليوم إلى معرفتها في موضوع متكامل متناسق .

وحيث أنني لم أطلع على كتابة علمية مستقلة تجمع شتات الموضوع وتجمعه في رسالة واحدة ليتسنى للقارئ الاستفادة منها ، وتوفر عليه الوقت الذي يرجع فيه إلى كل عنصر من عناصره إلى بطون العلم المتفرقة والمطولة ؛ فإنَّ الوقت لم يعد يسمح للقارئ أن يبحث عن برِّ الوالدين في مكان ، والبرِّ بذوي القربى في مكان ، والصلاة في مكان ، ومكارم الأخلاق في مكان ... وهكذا في كل جوانب البرِّ ، فهذا يكلف القارئ جهداً مضمياً . لكن القارئ حينما يجد أعمال البرِّ التي ذكرت في آيات الذكر الحكيم قد جمعت في مكان واحد فسيكون بإذن الله سهلاً عليه التعرف عليها وفي وقتٍ قصيرٍ أيضاً .

إنَّ تنوُّع مجالات البرِّ من : برِّ في الإيمان ، وبرِّ في العبادات ، وبرِّ في الأخلاق ، وبرِّ في العلاقات الاجتماعية - وقد كان الذي يتبادر إلى الأذهان عند سماع كلمة " برِّ " برُّ الوالدين فحسب - فتح لي آفاقاً رحبةً لمسمّى البرِّ ، وجعلني أهل من معين غير واحد من الفنون والعلوم .

ولقد أردت أن أسهم إسهاماً متواضعاً في إثراء المكتبة الإسلامية في موضوع البرِّ ووجود مثل هذا البحث الشامل لمعرفة " البرِّ " بين يدي المسلم اليوم يدفع أصحاب الهِمَم العالية الطموحة لكلِّ خير إلى الرقيِّ بإيمانهم وأخلاقهم ، فتتطلع نفوسهم وتتشوّف إلى العلوّ في مراتب الفضل والإحسان ؛ رغبةً فيما عند المولى الكريم المتّان ، وهذا من أكبر ما أهداف إليه في رسالتي للماجستير ؛ أن يكون لي عملٌ نافعٌ أولاً ، ثمَّ يعمُّ النّفع به كلُّ مسلم .

أسأل الله أن يجعل علمي هذا نافعاً لي في حياتي وبعد مماتي ، وأن يعينني على العمل به وأن يوفّقني للحقوق بركب المتّقين الأبرار ، إنّه سميع مجيب .

منهج البحث وعملي فيه :

جمعت الآيات الكريمة المتعلقة بموضوع " المبدأ " على مستوى القرآن كله ، وما يقارنها من الألفاظ مثل : الإحسان ، معتمدة في ذلك على المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وألفت منها موضوعاً واحداً ، ودرستها دراسة موضوعية .

واتبعت في ترتيب الرسالة مايلي :

أولاً : أعزو أقوال العلماء والمفسرين إلى مراجعها كلما تيسر لي ذلك توثيقاً للنصوص وإرشاداً للقارئ إلى مظانها .

ثانياً : حرصت على توثيق كل قولٍ من كلام أهل العلم من مصدره مباشرة ، وإن لم أجد القول في المصدر ، أو لم يتسن لي الوقوف على المصدر أرجع إلى كتب الشروح والتراجم كفيض القدير والسيرة النبوية .

ثالثاً : إذا مررت على مسألة فقهية اختلف فيها الفقهاء اذكر أهم الأقوال فيها في الحاشية مع ذكر مرجع لكل مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة المعتمدة ، أو الاكتفاء بكتاب فقه مقارن كالمني لابن قدامة ، أو المجموع للنووي .

رابعاً : أضع ما تم نقله نصاً بين علامتي تنصيص ، وأذيله بـ (اهـ) عند انتهاء النص وأما ما عداه مما تصرفت في نقله أحيل إليه بلفظ : " انظر " ، أو " بتصرف " ، وإن تصرفت فيه قليلاً بلفظ : " بتصرف يسير " .

خامساً : وضعت الآية الكريمة أو الآيات بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾ ، والتزمت في كتابتها بالرسم العثماني ثم أذكر بعدها اسم السورة ورقم الآية بين معكوفتين [] ، مفصول بينهما بنقطتين رأسيين ، والأحاديث بين قوسين " " ، أما الآثار فقد اكتفيت بوضع رقم في نهاية كل أثر للدلالة عليه في الهامش .

سادساً : قمت بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة بعزوها إلى مصادرها ، فإن كان الحديث في صحيح البخاري ومسلم - رحمهما الله - أو في أحدهما اقتصر على إضافته إليهما وما لم أجد في واحد منهما فأضيفه إلى ما اطلعت عليه من كتب السنن وغيرها مع ذكر أقوال العلماء فيها .

سابعاً : عند تكرار الحديث أذكر درجة صحته ؛ مع الإحالة إلى رقم الصفحة التي سبق تخريجه فيها .

ثامناً : أثبت المرجع الذي نقلت منه مع بيان اسم المؤلف في أوّل مرّة أوردته في الحاشية فقط وبعد ذلك أكتفي بذكر الجزء والصفحة ، ولم استثن من ذلك إلا بعض المراجع التي تكون أسماؤها متشابهة لأكثر من مؤلف ، مثل : " أحكام القرآن " ، فهو عنوان لثلاثة كتب : الأول : للحصّاص الحنفي ، والثاني : لابن العربي المالكي ، والثالث : للإمام الشافعي .

تاسعاً : اطلقت الإحالة في بعض المصادر للاختصار ، وهي :

- المقاييس = معجم المقاييس في اللغة .
- الظلال = في ظلال القرآن .
- الإحياء = إحياء علوم الدين .
- التقريب = تقريب التهذيب .
- التهذيب = تهذيب التهذيب .
- المفردات = المفردات في غريب القرآن .
- البرهان = البرهان في علوم القرآن .
- الإتقان = الإتقان في علوم القرآن .
- تحاف فضلاء البشر = تحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر .
- الأركان الأربعة = الأركان الأربعة ، الصلاة ، الزكاة ، الصوم ، الحج في ضوء الكتاب والسنة ، مقارنة مع الديانات الأخرى .
- مجمع الزوائد = مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .
- فتح القدير = فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير .
- المحرر الوجيز = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .
- الدرر الكامنة = الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .
- كشف الظنون = كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
- حلية الأولياء = حلية الأولياء وطبقات الأصفياء .
- الإصابة = الإصابة في تمييز الصحابة .

- الكشاف = الكشاف عن حقائق التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .
- لباب النقول = لباب النقول في أسباب التزول .
- وفيات الأعيان = وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .
- كشف الخفاء = كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس .
- شذرات الذهب = شذرات الذهب في أخبار من ذهب .
- شرح الزرقاني = شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك .
- الترغيب والترهيب = الترغيب والترهيب من الحديث الشريف .
- الديات المذهب = الديات المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب .
- المصباح المنير = المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي .

لمباشراً : ترجمت لكل علم جاء في متن الرسالة عند ذكره لأول مرة معتمدة في ذلك على كتب الرجال ، وأشرت في الغالب إلى أربعة مصادر للترجمة ، وإذا تكرَّر ذكره أحيل إلى رقم الصفحة التي سبق ترجمته فيها ، أما الصحابة فجميعهم عدول فترجمت لهم باختصار فاقترنت على اسم الصحابي وما يميزه وسنة وفاته ، وترجمت بإسهاب لمن لم يكن مشهوراً منهم ، وكذلك ترجمت لأئمة المذاهب الفقهية الأربعة باختصار لشهرتهم ، ورتبت المصادر في الحاشية حسب تاريخ الوفيات .

الحاشية : شرحت بعض المفردات الغريبة .

الثاني : عرفت بالمصطلحات الواردة في المتن سواء في العقيدة أو الأصول أو الفقه أو غير ذلك على قدر ما أمكن .

الثالث : تجنبت الأحاديث الضعيفة في الغالب ، وأوردت بعضاً منها على سبيل الاستئناس بها وليس من باب الاستدلال بها ، حيث أنه يعمل بها في فضائل الأعمال .

الرابع عشر : استخدمت بعض الرموز للاختصار ، وهي على النحو التالي :

(ص) : أي صفحة .

(=) في نهاية الصفحة : أي يتبع .

(ط) وبعدها رقم ، تأتي ضمن بيانات المرجع ، وتعني الطبعة التي استعملت .

- (ج) وبعدها رقم ، تأتي ضمن بيانات المرجع ، وتعني عدد الأجزاء .
 (مج) وبعدها رقم ، تأتي ضمن بيانات المرجع ، وتعني عدد المجلدات .
 (ط . د) ، تأتي ضمن بيانات المرجع ، إذا كانت طبعة المرجع غير معروفة .
 (ت) وبعدها رقم ، دلالة على سنة وفاة العلم المذكور .

ويشتمل البحث على مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس ، على النحو التالي :

المقدمة : وفيها بيان أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، وتعريف بمنهج الدراسة ، والمنهج المتبع فيه ، والضوابط المنهجية التي التزمت بها ، وعرض عام لخطة البحث .
الفصل التمهيدي ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التعريف بالتفسير الموضوعي .

المبحث الثاني : التعريف بالبرّ .

الباب الأول : مجالات البرّ في الإيمان والعبادة والأخلاق .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : البرّ في الإيمان .

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : الإيمان بالله ﷻ .

المبحث الثاني : الإيمان باليوم الآخر .

المبحث الثالث : الإيمان بالملائكة - عليهم السلام - .

المبحث الرابع : الإيمان بالكتب المنزلّة من عند الله تعالى .

المبحث الخامس : الإيمان بالأنبياء - عليهم الصلّاة والسّلام - .

المبحث السادس : التقوى .

الفصل الثاني : البرّ في العبادات .

وفيه أربعة مباحث :

- المبحث الأول : الصلّاة فرضاً ونفلاً .
- المبحث الثاني : الصدقة فرضاً ونفلاً .
- المبحث الثالث : الصّوم فرضاً ونفلاً .
- المبحث الرابع : الحجّ فرضاً ونفلاً .

الفصل الثالث : البرّ في معارف الأخلاق .

وفيه ستة مباحث :

- المبحث الأول : الوفاء بالعهود والوعود .
- المبحث الثاني : الصبر .
- المبحث الثالث : الصدق .
- المبحث الرابع : التناجي بالبرّ والتقوى ، والتعاون على البرّ والتقوى .
- المبحث الخامس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- المبحث السادس : إتيان البيوت من أبوابها .

الباب الثاني : مجالات البرّ في الصلّات الاجتماعية .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : البرّ في الصلّات الاجتماعية النسبية .

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : البرّ بالوالدين .
- المبحث الثاني : البرّ بذوي القربى .
- المبحث الثالث : البرّ بالصّاحب .

الفصل الثاني : البرّ في الصّلات الاجتماعيّة خير النسبيّة .

وفيه ستة مباحث :

- المبحث الأول : البرّ باليتامى .
- المبحث الثاني : البرّ في معاملة الفقراء والمساكين والسائلين .
- المبحث الثالث : البرّ في معاملة الجار .
- المبحث الرابع : البرّ في معاملة ابن السبيل .
- المبحث الخامس : البرّ بالأرقاء والمكاتبين .
- المبحث السادس : البرّ بالأعداء غير المحاربين .

المباحث الثالث : آثار البرّ في الدنيا والآخرة .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : آثار البرّ في الدنيا .

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : البرّ سبب محبة الله للعبد وزيادة الإيمان .
- المبحث الثاني : البرّ سبب الطمأنينة وانسراح الصدر في الحياة الدنيا .
- المبحث الثالث : البرّ سبب للحياة الطيبة في الحياة الدنيا .

الفصل الثاني : آثاره في الآخرة .

وفيه أربعة مباحث :

- المبحث الأول : الأمان من الخوف والحزن .
- المبحث الثاني : المحسن قريب من رحمة الله ﷻ وفي معيته .
- المبحث الثالث : البرّ سبب للنعيم المقيم في الجنة ، وسبب للنجاة من النار .
- المبحث الرابع : جزاء البر يوم القيامة الحسنى وزيادة .

المخاتمة : وفيها عرض لأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث والتوصيات

المقترحة .

الفهارس : يحتوي البحث على الفهارس التالية :

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة : رُتبت فيها الآيات حسب ورودها في المصحف .
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة : ويتضمن الأحاديث التي ورد ذكرها في البحث مرتبة حسب حروف الهجاء ؛ حسب أول كلمة وردت في الحديث .
- فهرس الأعلام : ورُتبت على حسب ما اشتهر به العلم ، سواء كان من ناحية اسمه أو لقبه أو كنيته ، فإن كان ترتيبه حسب الكنية وضعت بعده إشارة = ، ثم كتبت اسمه وإن كان حسب الاسم اكتفيت بذكر اسمه ، وأذكر الفن الذي اشتهر به إن عرف .
- فهرس الغريب والمصطلحات العلمية والبلاد .
- فهرس المسائل الفقهية .
- فهرس أوجه القراءات .
- فهرس المصادر والمراجع : مرتب على حسب حروف الهجاء .
- فهرس الموضوعات .

وبعد أن أنعم الله عليَّ بإتمام هذا البحث ، والذي واكب ما تمنّيت ، الحمد له سبحانه واهب النعم ، المتفضل بالكرم ، أشكره سبحانه وأحمده على عظيم امتنانه ، ووافر عطائه أن يسر لي الأمور ، وأعانني .. فهو نعم المولى ونعم المعين ، حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه فما بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقه فمنه وحده لا إله إلا هو .

ثم إليكما يا من أحاطاني بعنايتهما ورعايتهما ، وغرسا فيّ منذ نعومة أظفاري حب العلم وشجعاني على المضي قدماً لتحقيق أسمى الغايات ، إلى والدي الحبيبين ..

أقبل يديهما الطاهرتين .. والذين طالما رفعوا أكف الضراعة أن يوفقني الله ، ويفتح عليّ ..

بارك الله في عمريهما ، وجعل جنّة الخلد مأواهما .

والشكر الوافر لزوجي الفاضل د. فاضل كمال ، الذي شجّعني على إكمال دراستي العليا ، ورُتّب لي الكثير من الأمور لأكمل مشواري التعليمي ، جزاه الله خيراً ، وورزقه سعادة الدارين ، وملاً قلبه بالإيمان واليقين .

وبالشكر تدوم النعم ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، ولقد كان لمشرفي وأستاذي الأستاذ الدكتور / عبد العزيز عزق الفضل بعد الله ﷻ في توجيهي وإرشادي وفي مد يد المعونة لي في كل مراحل البحث بنفس كريمة سخية ، وعطاء ليس علمياً فحسب ؛ بل ومعنوياً إنسانياً ، فقد كان يقوي من عزيمتي ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وأخلفه برأ في أبنائه ، ونعيماً في جنانه .

وأقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذتي وأختي في الله أ. نسرين الحمادي فقد كانت نعم الأخت الصداقة ، جعلت مكتبتها بين يدي آخذ منها ما أشاء ، وساندتني بمشورتها وخبرتها ، أقر الله عينها بأبنائها ، وجعل السعادة والهناء ملء حياتها ، والجنة دار أنسها .
والشكر والامتنان لجامعة أم القرى التي استضافتني طالبة من بين طالباتها ، فلم أشعر فيها بغربة ؛ بل سكينه وراحة ، ولا غرو فهي في أم القرى مهبط الوحي ، فجزى الله القائمين عليها ، وأخص بالذكر كلية الدعوة وأصول الدين ، عميداً ووكلاء وإداريين وقسم الكتاب والسنة رئيساً وأساتذة ، ولأستاذتي الكرام جميعاً كل شكر وتقدير .
ولجامعتي الحبيبة جامعة الملك عبد العزيز التي كنت فيها طالبة أتلقى العلم ، ثم معيدة ، ثم ابتعثني لأطلب العلم ، فجزى الله القائمين عليها ، وكل من كان له دور في تيسير هذا الابتعاث .

والشكر الجزيل والثناء العاطر للأستاذين الكريمين :

- فضيلة أ. د / أمين محمد باثنا .

- فضيلة أ. د / عبد الورود حنيف .

على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وإعطائهما من وقتهما رغم انشغالهما وكثرة أعبائهما ، فجزاهما الله خيراً ، وجعل ذلك في ميزان حسناتهما .

وإلى كل الأهل والأحباب والأخوات في الله وكل من كان له عليّ فضل ، ممن خصني بدعوة في ظهر الغيب ، أو غمرني بجميل سؤال وحسن اهتمام ، أو أعانني برأي أو نصح أو إرشاد ، وإلى كل الحضور والذين تجشموا الجيء لمشاركتي هذه المناسبة أقول لهم : أدخل الله الفرحة في قلوبكم ، وجزاكم الله خيراً على قدومكم ومشاركتهم .

وقد قضيت فترة من عمري أقلب الصفحات .. أستنير بمهدي الآيات .. وأتبع أقوال العلماء والمفسرين .. أبحث عن البر والإحسان في كتب العلم .. وأطالع أحوال السلف مع

البرّ ، لقد ضربوا أروع الأمثال ؛ لأنّهم ما ارتضوا بغير طلب الجنّة بديلا ، واتخذوا المصطفى
 ﷺ أسوة ودليلا ، أسأل الله الكريم أن يوفّقنا أن نحذو حذوهم ، ونقتدي بسيرتهم
 وهداهم ..

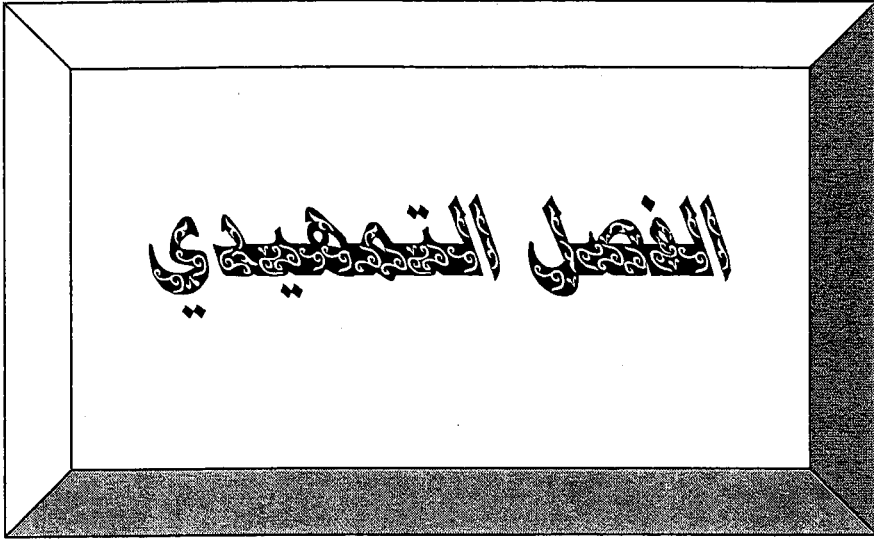
إنّ هذا البحث رغم ما بُذل فيه من جهدٍ ووقتٍ ، ومن تقصُّ لجوانب السيرة في كل
 مجالاته إلاّ أنني أضرع إلى الله أن يسدّد قلبي ، ويغفر زللي ، وينير دربي ، فإن أصبت
 فبفضل من الله ، وإن أخطأت فحسبي أي بشر حاولت واجتهدت ، وأسأله سبحانه القبول
 والإخلاص ، وأن يكتفني برحمته ، ويغمرني بفيض جوده ، إنّه جوادٌ كريم .
 وصلي اللهم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

هناك عبد الله سليمان أبوداود

قسم الكتاب والسنة

تخصّص التفسير





وفيها بحثان :

البحث الأول : التعريف بالتفسير الموضوعي .

البحث الثاني : التعريف بالبر .

المبحث الأول : التعريف بالتفسير الموضوعي

لقد أودع الله في القرآن الكريم من كنوز المعرفة والهدى والنور ما ينير الطريق للإنسانية لعماراة الكون ، ويفتح الآفاق الرّحبة لصالح البشرية ، لذا كان تدبّر كتاب الله وفهم معانيه وتفسيره هو موضع اهتمام المسلمين منذ عهد الرسول ﷺ في أزهى عصور البلاغة والبيان فلم يحظَ كتابٌ في الوجود بالاهتمام البالغ والعناية الفائقة مثل ما حظى كتاب الله العزيز فقد اجتمع لأصحابه ﷺ في تفسير القرآن العلم الغزير ، مع جودة أفهامهم ، وأصالتهم في اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، وقد تداولوا هذا العلم وتناقلوه بينهم .

أنواع التفسير :

ويتنوع التفسير باعتبار طرائق المفسرين إلى أربعة أنواع :

الأول : التفسير التحليلي : وهو الذي يلتزم فيه المفسر ترتيب المصحف ، فيشرح جملة من الآيات مرتبة ، أو سورة كاملة من أولها إلى آخرها ، أو القرآن كلّه على هذا النمط الموضوعي ، ويبيّن ما يتعلّق بكل آية من : مناسبتها لما قبلها ، وسبب نزولها ، ومفرداتها ونحو ذلك مما يتقرر به معناها .

الثاني : التفسير الإجمالي :

هو الذي يبين فيه المفسر خلاصة معنى الآية أو الآيات التي يفسرها، و يبرز مقاصدها ويشرح الدقيق من ألفاظها ، و سبب نزولها حتى يتقرر المعنى العام بلا دخول في تفاصيل كثيرة .

الثالث : التفسير الموضوعي : وهو الذي يجمع فيه المفسر الآيات الكريمة المتعلقة بموضوع واحد ، على مستوى القرآن كله ، " كالبدر " مثلاً ، أو مجموعة من سورته " كالحواميم " مثلاً ، ويؤلف منها موضوعاً واحداً ، مترابط العناصر .

الرابع : التفسير المقارن : وهو الذي يتتبع فيه المفسر آية من القرآن ، أو جملة من الآيات ، ليستطلع آراء المفسرين فيها ، ويقارن بين أقوالهم ، ويستخلص نتائج المقارنة سواء

من معاني الآيات الكريمة ، أو من كلام المفسرين ، وذلك كآيات الحج في سورته ، أو آية الصيام في سورة البقرة إذا عرضت على أقوال المفسرين سلفاً وخلفاً ، وفي كتب المأثور أو الرأي المحمود .

ويمكننا أن نردّ هذه الفروع كلّها إلى ضابط جامع للأنواع يرجع به التفسير إلى نوعين :

التفسير الموضوعي :

وهو الذي يرجع فيه المفسر إلى موضع واحد من القرآن الكريم متبوعاً ترتيب الآيات في سورها . وهذا النوع قد يكون بالمأثور ، أو بالرأي المحمود ، وقد يكون تحليلاً عند التفصيل أو إجمالاً عند الاختصار ، وقد يكون مقارناً إذا اتبع المفسر منهج الموازنة والمقارنة .

التفسير الموضوعي :

وهو الذي يلتزم فيه المفسر موضوعاً لا موضعاً بعينه ، فيجمع الآيات الكريمة من مواضعها ويقيم منها بناءً متكاملًا يقرر موقف القرآن من قضية ما . وقد تدخل أنواع التفسير السابقة لخدمة هذا " الموضوع " ، فتأتي تبعاً للقصد الأول .

فإذا احتاج " الموضوع " إلى شرح مفردات وتراكيب بعض الآيات دخل التفسير " التحليلي " ، وإن احتاج إلى تقرير المعنى العام لبعض الآيات دخل التفسير " الإجمالي " وإن جاء برواية صحيحة دخل التفسير بالمأثور ، وإن نظر المفسر في الموضوع ، وتدبّر جوانبه ، واستنبط منه استنباطاً علمياً بشروطه المقررة دخل الرأي المحمود .

وبذلك تجتمع أنواع التفسير جميعاً ، وتعاون ولا تتعارض ، وتأتلف لخدمة القرآن العظيم ولا تختلف .

معنى التفسير الموضوعي :

" التفسير الموضوعي " اصطلاح مستحدث شاع على ألسنة العلماء والدارسين ، وصار عنواناً لنوع جديد من أنواع التفسير ، وهو " مركب وصفي " يتألف من جزأين يحتاج لبيان جزأيه قبل تعريفه .

تعريفه التفسير لغة واصطلاحاً :

التفسير لغة :

من الفسر ، وهو الكشف والبيان (١) .

وفي مفردات الرأغب (٢) : إظهار المعنى المعقول . والتفسير مبالغة من الفسر (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ . [سورة الفرقان : ٣٣] . أي أحسن توضيحاً وبياناً للمطلوب .

وفي الاصطلاح :

علم يكشف به عن معاني آيات القرآن ، وبيان مراد الله تعالى منها حسب الطاقة البشرية (٤) .

تعريفه الموضوعي لغة واصطلاحاً :

الموضوعي لغة : من " وضع " ، الواو والضاد والعين أصل واحد يدل على الخفض (لشيء) وخطه ، فالوَضْعُ : ضدُّ الرفع ، وَضَعَهُ يَضَعُهُ وَضْعاً وَمَوْضُوعاً ، ويأتي بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان . يقال : الإِبْلُ وَضِيعَةٌ : أي رَعَتِ الإِبِلُ حَوْلَ المَاءِ ولم تَبْرَحْ وَوَضَعَتْهَا : أَلْزَمَتْهَا المَرْعى ، فهي مَوْضُوعَةٌ ، وقيل : وضعت تضع وضِيعَةٌ ؛ فهي واضعة وكذلك موضوعة يتعدى ولا يتعدى (٥) . وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي ؛ لأنَّ

(١) انظر : لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرقي (مادة : فسر) : ٥٥ / ٥ ، القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب آبادي (مادة : فسر) : ٤٠٦٩ .

(٢) هو الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالرأغب : أديب ، من الحكماء العلماء ، من أهل " أصبهان " سكن بغداد ، واشتهر حتى كان يقرب بالإمام الغزالي ، ذكر السيوطي في طبقات النحاة : الراغب ، وقال : المفضل بن محمد أبو القاسم الراغب الأصبهاني ، كان من أوائل المائة الخامسة . من كتبه : محاضرات الأدباء ، والزريعة إلى أحكام الشريعة ، والأخلاق ويسمى : أخلاق الراغب ، وجامع التفاسير ، و المفردات في غريب القرآن وغير ذلك . ت سنة ٥٠٢ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : ١٨ / ١٢٠ ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي : ١ / ٩١ ، طبقات المفسرين ٢ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي : ١ / ١٦٨ ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة : ١ / ٣٧٧ .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد بن المفضل الرأغب الأصفهاني (مادة : فسر) : ٣٨٠ .

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني : ٢ / ٤ .

(٥) انظر : معجم المقائيس في اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا ، كتاب الواو ، باب الواو والضاد وما يثلثهما (مادة : وضع) : ١٠٩٤ .

لسان العرب (مادة : وضع) : ٨ / ٣٩٦ ، القاموس المحيط (مادة : وضع) : ٦٩٤٦ .

المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به (١).

و في الاصطلاح : قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم .

أما تعريفه مصطلح : " التفسير الموضوعي " بعد أن أصبح علماً على نوع من أنواع التفسير فقد تعددت تعاريف الباحثين المعاصرين له ، ولعلّ التعريف الأرجح له : هو علمٌ يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر في القرآن كله ويفسر تفسيراً علمياً على أساس الموضوع .

نشأة التفسير الموضوعي :

إنّ تتبع الآيات التي تناولت قضية ما والجمع بين دلالاتها وتفسير بعضها لبعض ، مما أطلق عليه العلماء فيما بعد تفسير القرآن بالقرآن كان معروفاً في الصدر الأوّل ، فقد كان رسول الله ﷺ عندما يسأل عن تفسير آية يفسرها بآية أخرى من كتاب الله ، وحتى بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى كان الصحابة يعرضون آراءهم على القرآن والسنة ، وعلى ما تذوقوه من نور الشريعة السمحة ونور صاحبها ، لكنهم لم يدوّنوها لعدم سهولة الكتابة في ذلك الوقت وقد وضع العلماء بعد ذلك قاعدة في أصول التفسير بضرورة العود إلى القرآن الكريم نفسه لمعرفة تفسير آية ما ، فما أجمل في مكان فصل في مكان آخر ، وما أطلق في موضع قيد في موضع آخر .

(١) انظر : المدخل إلى التفسير الموضوعي للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد : ٢٠ ، ٢٣ .

قال ابن كثير^(١) :

" إنَّ أصحَّ الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنه قد بُسِّط في موضع آخر ، فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة ؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له " .
اهـ (٢) .

ثمَّ لما تطورت الحياة وجاء وقت تدوين الكتب وتأليفها ؛ شملت فيما شملت تفسير القرآن الكريم ، فمن الذين وضعوا مؤلفات تُعدُّ بدايةً وبدوراً أولى للتفسير الموضوعي :

- قتادة بن دعامة السدوسي^(٣) المتوفي (سنة ١١٨ هـ) : ألَّف في الناسخ والمنسوخ .
- أبو بكر الجصاص^(٤) المتوفي (سنة ٣٧٠ هـ) : ألَّف في أحكام القرآن .
- الرَّأغب الأصفهاني^(٥) المتوفي (سنة ٥٠٢ هـ) : ألَّف في غريب القرآن .

(١) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي ، أبو الفداء ، عماد الدين : حافظ مؤرخ فقيه مفسر ولد في قرية من أعمال بصرى الشام ، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ، ورحل في طلب العلم ، وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤ هـ ، تناقل الناس تضائيفه في حياته ، من كتبه : البداية والنهاية ، وتفسير القرآن العظيم ، والتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ، والاجتهاد في طلب الجهاد ، واختصار علوم الحديث . انظر : ذيل طبقات الحفاظ لمحمد بن علي الحسيني : ١ / ٥٧ ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن علي بن حجر : ١ / ٤٥٤ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي : ٣ / ٢٣١ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني : ١ / ١٥٣ .

(٢) تفسير ابن كثير المسمّى (تفسير القرآن العظيم) لإسماعيل بن عمر بن كثير : ٤ / ١ .

(٣) قتادة بن دعامة السدوسي ، يكنى أبا الخطاب : تابعي ، حافظ العصر ، قدوة المفسرين والمحدثين ، البصري ، الضرير ، الأكمه مفسر الكتاب آية في الحفظ ، إماماً في النسب ، رأساً في العربية واللغة وأيام العرب ، مولده في سنة ستين ، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع فإنه مدلس معروف بذلك ، وكان يرى القدر نسأل الله العفو ومع هذا فما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه ، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتربيته ، والله حكم عدل لطيف بعباده ولا يسأل عما يفعل ، ت ١١٨ هـ . انظر : طبقات الفقهاء لابراهيم الشيرازي : ١ / ٩٤ ، صفة الصفوة لعبد الرحمن بن علي ابن الجوزي : ٣ / ٢٥٩ ، سير أعلام النبلاء : ٥ / ٢٦٩ ، شذرات الذهب : ١ / ١٥٣ .

(٤) هو أحمد بن علي الرازي ، أبو بكر الجصاص : فقيه ، من أهل الريّ ، سكن بغداد ومات فيها ، انتهت إليه رئاسة الحنفية ، وخطوب في أن يلي القضاء فامتنع . وألَّف كتاب : أحكام القرآن ، وكتاباً في أصول الفقه ؛ وهو من الكتب القديمة المصنفة في هذا العلم ، وشرح كتاب : " أدب القاضي على مذهب أبي حنيفة " . ت سنة ٣٧٠ هـ . انظر : الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي : ٨٤ ، كشف الظنون : ١ / ٤٦ ، أمجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم لصديق بن حسن القنوجي : ١٢ / ٧٣ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٥ .

❁ ابن القيم^(١) المتوفي (سنة ٧٥١ هـ) : أَلَّفَ في أقسام القرآن .
ولا زال هذا النَّسق من التأليف الموضوعي مستمراً إلى يومنا هذا ، وقد توجهت أنظار
الباحثين إلى هدايات القرآن الكريم حول معطيات الحضارات المعاصرة وظهور المذاهب
والاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية ، والعلوم الكونية والطبيعية .
ف نجد مؤلفات كثيرة تحت عناوين شتى مثل :

- الإنسان في القرآن ، لمحمود عباس العقاد .
- المرأة في القرآن ، لمحمود شلتوت .
- الأخلاق في القرآن .
- الصبر في القرآن ، ليوسف القرضاوي .
- الرحمة في القرآن .

أهمية التفسير الموضوعي :

إنَّ علماءنا الأجلاء قد عنوا بتفسير القرآن الكريم تفسيراً جمعوا فيه بين المطول والمختصر
والمتوسط ، ومنهم من اهتمَّ بالناحية البلاغية ، أو الناحية الفقهية ، أو بالناحية اللغوية .
بيد أننا لا نجد منهم من تعرض لتفسير القرآن الكريم " تفسيراً موضوعياً " فقط . يكشف به
للناس عمماً فيه من تشريعات وقواعد تتصل بحياتهم ومشاكلهم ، وتبيِّن لهم ما به من أحكام

(١) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، الحنبلي ، أبو عبد الله ، شمس الدين : الفقيه بل المجتهد المطلق ، المفسر
النحوي ، الأصولي ، المتكلم ، الشهير بابن قيم الجوزية ، كان عارفاً بالتفسير وأصول الدين . مولده ووفاته بدمشق ، تلمذ لشيخ الإسلام
ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله ، بل يتصر له في جميع ما يصدر عنه وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه وسجن معه في
قلعة دمشق ، وأهين وعذب بسببه ، وطيف به على حمل مضروباً بالعصى ، وأطلق بعد موت ابن تيمية ، وكان حسن الخلق محبوباً عند
الناس ، تولع بحب الكتب فجمع منها عدداً عظيماً ، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً ، ألف تصانيف كثيرة منها : إعلام الموقعين ، ومفتاح
دار السعادة ، والفوائد ، ومدارج السالكين ، وروضة المحبين ، والداء والدواء وغير ذلك . ت سنة ٧٥١ هـ . انظر : البداية والنهاية
لإسماعيل بن عمر بن كثير : ٢٣٤ / ١٤ الدرر الكامنة : ١٣٧ / ٥ ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة يوسف بن تغري بردي :
٢٤٩ / ١٠ ، شذرات الذهب : ١٦٨ / ٣ .

ومبادئ تشعرهم بما للقرآن الكريم من اتصالٍ وثيقٍ بالنظم السياسية والاجتماعية والحربية والسلوك الأخلاقي ، وتشعرهم - كذلك - بأنه معهم في كل شأن من شؤون الحياة ، وأن له حكمه الواضح ، وهديه البارز في كل مظاهر السلوك الفردي والجماعي وفي ثنايا ذلك فوائدٌ أساسيةٌ منها :

❶ إبراز إعجاز القرآن على وجه يلائم العصر ، وذلك بإبراز ما يحويه من كثرة الموضوعات مع قلة حجمه ووجازة لفظه ؛ مما يخالف معهود الكتب وقدرات البشر .

❷ الوفاء بمحاجات هذا العصر إلى الدين لجميع البشر ؛ لما يقدم لهم من حلول لمشكلاتهم النفسية والاجتماعية ، ومعضلاتهم الأخلاقية والاقتصادية ، ولا يتحقق ذلك إلا بدراسات علمية جادة لموضوعات القرآن الكريم .

❸ تأصيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها : لقد نالت بعض العلوم القرآنية حظاً وافراً من جهود العلماء ، وصنفت فيها المصنفات الكثيرة ، مثل العلوم المتعلقة بالجوانب اللغوية والدراسات الفقهية لآيات الأحكام ، إلا أن علوماً جديدة برزت تحتاج إلى تأصيل قواعدها على ضوء القرآن الكريم مثل : الإعجاز العلمي ، أصول التربية القرآنية ، أصول علم الاقتصاد الإسلامي ، أصول الإعلام الإسلامي ، علم التاريخ البشري .. وغيرها من العلوم التي تحتاج إلى ضبط بقواعد علمية مستمدة من هدايات القرآن الكريم لتجنب الإفراط والتفريط في إدخال الآيات مجال البحث والتجربة الخاضعة للعلوم الحديثة ؛ فكثيراً من هذه العلوم تحتاج إلى علماء راسخين في علوم الشريعة ، إلى جانب استيعابهم لثقافة العصر وحيازتهم ملكة الإبداع والاستنباط ، ولا وسيلة لوضع أسس هذه العلوم وبيان ضوابطها إلا من خلال التعامل مع الآيات الكريمة وفق منهج التفسير الموضوعي .

أنواع التفسير الموضوعي :

النوع الأول :

أن يجعل السورة القرآنية وحدة متكاملة ، هدفها واحد وإن تعددت موضوعاتها ، ويكون هذا الهدف هو محور التفسير الموضوعي للسورة .

وطريقة البحث في هذا النوع هو : أن يستوعب الباحث هدف السورة الأساسي ، أو أهدافها الرئيسية ، ثم يبحث عن سبب التزلول للسورة أو الآيات التي عرضت الموضوع الأساسي للسورة ، ثم ينظر إلى ترتيب السورة من بين السور المكية والمدنية ، ثم يدرس الأساليب القرآنية في عرض الموضوع والمناسبات بين مقاطع الآيات في السورة .

ولم يظفر هذا النوع من التفسير الموضوعي بعناية المفسرين القدماء ؛ بل جاء في ثنايا تفاسيرهم الإشارة إلى بعض أهداف السور وخاصة القصيرة منها ، وكذلك التوخي لوجه المناسبة بين مقاطع بعض السور ، كما فعل الفخر الرّازي ^(١) في تفسيره الكبير ، وكما فعل البقاعي ^(٢) في نظم الدرر .

(١) هو محمد بن عمر بن الحسين ابن علي القرشي التيمي البكري ، أبو المعالي ، وأبو عبد الله ، فخر الدين الرّازي : الإمام المفسر المتكلم صاحب التيسير والتصانيف ، يعرف " بابن خطيب الري " ، لأنه ولد في الري ، أوحده زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ، وهو قرشي النسب ، أقبل الناس على كتبه يتدارسوها في حياته ، وكان جيد الفطرة حاد الذهن حسن العبارة ، كثير البراعة قوي النظر في صناعة الطب ، عارفا بالأدب ، وكان يحسن الفارسية ، أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار نحو من مائتي مصنف منها : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، والمطالب العالية ، والمباحث الشرقية والاربعين ، وأسرار التريل ، وله أصول الفقه ، والمحصل وغيره ، ت سنة ٦٠٦ هـ . انظر : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لأحمد بن القاسم بن يونس (ابن أصيبعة) : ١ / ٤٦٢ ، طبقات الشافعية الكبرى لعبد الوهاب بن علي السبكي : ٨ / ٩٤ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٥٥ ، طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن قاضي شعبة : ٢ / ٦٥ .

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر برهان الدين ، وكُتِبَ نفسه : بأبي الحسن الخرباي البقاعي : مفسر ، وهو نزيل القاهرة ثم دمشق صاحب المناسبات ولد تقريباً في سنة ٨٠٩ هـ بقرية خربة روحا - من عمل البقاع - ، له كتاب " نظم الدرر في تناسب الآي والسور " لطيف الحجم يتعلق بعلم التفسير . قال السيوطي : هو مؤلف لم يسبقه إليه أحد ، جمع فيه من أسرار القرآن العظيم ما تتحير منه العقول ، ابتدأ في تأليفه سنة ٨٧١ هـ ، وفرغ من تبييضه قبل تاريخ وفاته بسنة ، فذلك أربعة عشر سنة كاملة وصنف : " الفتح القدسي في تفسير آية الكرسي " . ت سنة ٨٨٥ هـ ، ودفن بالحميرة خارج دمشق من جهة قبر عاتكة . انظر : طبقات المفسرين ١ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي : ١ / ٣٤٨ ، كشف الظنون : ٢ / ١٩٦١ ، شذرات الذهب : ٤ / ٣٣٩ ، الأعلام لخير الدين الزركلي : ١ / ٥٦ .

أمّا في العصر الحديث فقد كان سيّد قطب^(١) مولعاً بعرض أهداف وأساسيات كل سورة قبل البدء في تفسيرها ، وبيان شخصية كل سورة وملاحظتها المتميزة عن بقية السور والأساليب المتبعة في عرض أفكارها ، فيعتبر كتابه (في ظلال القرآن) نموذجاً جيّداً وبخاصة مقدمة تفسيره لكل سورة .

النوع الثاني :

أن يعمد الباحث إلى الآيات الكريمة التي تتصل بموضوع واحد في القرآن كله فيجمعها ، ثمّ يقلب الطرف في أبحاثها ويحيل الفكر في جوانبها ، ويجعلها في إطار متناسب ، مستخرجاً من الآيات الكريمة على هيئة مخصوصة . وهذا النوع من التفسير الموضوعي هو المشهور في عرف أهل الاختصاص ، وإذا أطلق اسم (التفسير الموضوعي) فلا يكاد ينصرف الذهن إلاّ إليه .

منهج البحث في التفسير الموضوعي :

يمكن لنا تحديد المنهج على النحو التالي :

- اختيار الموضوع القرآني المراد دراسته دراسة موضوعية ، بعد تحديد معالم حدوده ومعرفة أبعاده في الآيات القرآنية .
- حصر الآيات التي تدور حول هذا الغرض القرآني ، وجمعها كلّها مكّيها ومدنيها .
- ترتيب هذه الآيات حسب نزولها على النبي ﷺ ، مع الوقوف على أسباب نزولها .
- التعرّض لمعرفة مناسبات هذه الآيات في سورها قدر الامكان .

(١) هو سيد قطب بن إبراهيم : مفكر إسلامي مصري ، من مواليد قرية " موشا " في أسيوط ، تخرج بكلية العلوم بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ وعمل في جريدة الأهرام ، وكتب في مجلتي " الرسالة " و " الثقافة " وعين مدرسا للعربية ، فموظفا في ديوان وزارة المعارف ثمّ مراقبا فنيا " للوزارة . وأوفد إلى بعثة لدراسة " برامج التعليم " في أمريكا (١٩٤٨ - ١٩٥١ م) ، ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز ، وطالب ببرامج تمشي والفكرة الإسلامية . وبنى على هذا استقالته (١٩٥٣ م) في العام الثاني للثورة . وانضم إلى الإخوان المسلمين ، فترأس قسم نشر الدعوة ، وتولى تحرير جريدتهم ، وسجن معهم ، فعكف على تأليف الكتب وهو في سجنه ، إلى أن صدر الأمر بإعدامه فأعدم سنة ١٣٨٧ هـ . لك كتب كثيرة منها : تفسير : في ظلال القرآن ، والتصوير الفني في القرآن ، ومعالم في الطريق ، والعدالة الاجتماعية في الإسلام ، والمستقبل لهذا الدين . انظر : الأعلام : ٣ / ١٤٧ .

- تكوين الموضوع يجعله في إطار متناسب ، وهيكل متناسق ، تام البناء ، متكامل الأجزاء قائم الأركان .
- ثم يعتمد الباحث إلى طريقة التفسير الإجمالي في عرض الأفكار في بحثه ، ويحاول ألا يقتصر على دلالة الألفاظ اللغوية وإنما يستشف الهدايات القرآنية من خلال النصوص ، كما يستدل على ما أشارت إليه الآيات الكريمة بالأحاديث النبوية الشريفة ، حتى يكمل هيكله ويزداد وضوحاً وبيانياً ، ويدعم كل ذلك بفهم الصحابة رضي الله عنهم لنصوص آي الذكر الحكيم .
- فدور السنة المشرفة في التفسير الموضوعي التوضيح والبيان والاستدلال ، وذلك حفاظاً على قرآنية الموضوع ، وكذلك أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة اللغة ، فكلها مادة للشرح والتوضيح والترجيح ، ولا تشكل عناصر الموضوع الأساسية .
- دراسة هذه الآيات دراسة موضوعية متكاملة ، تجانس بينها ، وتوفق بين عامها وخاصها ومطلقها ومقيدها ، وتؤاخي بين ما ظاهره التعارض ، وتحكم بناسخها ومنسوخها ، حتى تلتقي جميع هذه النصوص في مصب واحد ، دون تباين أو اختلاف أو إكراه لبعض الآيات على معان لا تتحملها .
- ولا تُذكر القراءات ووجوه الإعراب والتثنيات البلاغية إلا بمقدار ما تلقي أضواءً على أفكار الموضوع الأساسية ، ويجعل ذلك تعليقاً في الحاشية من غير استطراد يُخلُّ بتسلسل الأفكار وتعايق الفقرات وسلاسة الأسلوب وإشراقه البيان .
- ويعرض ما يتحدث عنه بأسلوب جذاب لتوضيح مرامي الآيات ومقاصدها والحكمة الإلهية في عرض أفكار الموضوع بأساليب معينة واختيار ألفاظ محددة .
- وهذا النوع من التفسير هو عين ما يحتاجه الناس ، لأنه يرشدهم إلى ما تضمنه القرآن من أنواع الهداية ، وإلى أن موضوعات القرآن ليست نظريات بحتة وإنما واقع حياة ومنهج شامل لكل جوانب الحياة ، وللأفراد والجماعات ، فيعرف الناس موضوعات القرآن بعناوينها الواضحة ، ويعرفون مقدار صلة القرآن بحياتهم الواقعية ، مما له الأثر الأكبر في بناء الأمة وتقدمها ، وبهذا يطمئن الناس بطريقة عملية واضحة إلى أن القرآن الكريم جاء لإصلاح

حياتهم وسعادتهم الدنيوية والأخروية ، ويطمئنون إلى أن القرآن ليس كتاباً روحياً فقط وإنما هو كتاب الروح والعقل والقلب والجسد والحياة ، كتاب يوجه الحياة والأحياء إلى الحياة الطيبة الراشدة التي تقرب الإنسان من ربه ، وتربط بين الأفراد بروابط القربى والتعاون على البرِّ والتقوى . قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... ﴾ . [سورة الإسراء : ٩] . (١) .

وقد أتت في هذا البحث النوع الثاني من أنواع التفسير الموضوعي ؛ بأن جمعت الآيات الواردة في موضوع " البرِّ " في القرآن الكريم ، ودرستها دراسة موضوعية ، وذلك باتباع منهج البحث في التفسير الموضوعي الذي أشرت إليه ، وأسميته :

" البرِّ في القرآن الكريم ، دراسة موضوعية "



(١) انظر : بحث القتال ، للإمام محمود شلتوت ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ، المدخل إلى التفسير الموضوعي ، د . عبد الستار فتح الله سعيد : ١٩ - ٦٦ ، البداية في التفسير الموضوعي (دراسة منهجية موضوعية) ، د . عبد الحسي الفرمأوي : ٤٩ - ٦٢ ، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، د . أحمد السيد الكومي ، د . محمد أحمد يوسف القاسم : ٩ - ٢٤ ، مباحث في التفسير الموضوعي ، د . مصطفى مُسلم : ١٥ - ٣٣ ، دراسات في التفسير الموضوعي ، د . زاهر بن عواض الألعوي : ٩ - ٢٨ .

المبحث الثاني

التعريف بالبر

اهتم القرآن الكريم بالبر، وتكرّر الأمر به في آيات الذكر الحكيم، وجاءت البشرية للأبرار.. فهم في نعيم، وكتابهم في عليين، ومما أعدّ الله لمن اتصف بالبر الجنة والحرير والرّحيق المختوم، ذلك أنّ البرّ فيه سموّ ورقّيّ بالمسلم إلى أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة في الدنيا تسمو روحه وأخلاقه ويصبح إنساناً ربانياً يعمل على تعمير دنياه وآخريته، لأنه يسعى أبداً ودوماً إلى الكمال، وفي الآخرة الأبرار هم المقربون عند الله ﷻ، ولهم المنازل العالية في الجنة.

قال ابن القيم^(١):

"أما حقيقة البرّ: فهو الكمال المطلوب من الشيء وتحقيق المنافع التي فيه، كما يدلُّ عليه اشتقاق هذه اللفظة وتصاريفها في الكلام". اهـ^(٢).

وقد صحّح رحمته مفهوم البرّ الذي سيجزي عليه سبحانه ذلك الجزاء الأوفى، فليس هو في التولّي قبل المشرق والمغرب؛ ولا مجرد شعائر أو أعمال.. وقبل أن نشرع في معرفة ذلك فلنتعرف أولاً على معنى البرّ.

البرّ لغة واصطلاحاً:

البرّ لغة:

البرّ مصدر برّ يبرّ، وهو مأخوذ من مادة (ب ر ر)، والباء والراء في المضعّف أربعة أصول: الصدق، وحكاية صوت، وخلاف البحر، ونبت. ومدار هذا البحث على الأصل الأول؛ وهو الصدق، فقولهم: صدق فلان وبرّ، وبرّت يمينه: صدقت، وأبرّها:

(١) سبق ترجمته في ص ٦.

(٢) بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية): ٩٤ / ٢.

أمضاها على الصّدق . وتقول : برّ الله حجك وأبرّه ، وحجة مبرورة ، أي : قبلت قبول العمل الصادق ، ومن ذلك قولهم : يبرُّ ربه أي يطيعه ، وهو من الصّدق . ورجل برّ : يبرُّ والديه وذا قرابته ، وأصله الصّدق في المحبة ، يقال رجل برّ وبارّ . وأبرّ الرجل : ولد أولاداً أبراراً ، وبرّ يبرُّ : إذا صلح ، وبرّ رحمة يبرُّ : إذا وصله (١) .

يقول صاحب محيط المحيط (٢) :

" والبرُّ : الصلّة ، والجنتّة ، والصلاح ، والخير ، والاتّساع في الإحسان ، والحجّ ، والصدق والطاعة ، والعدل ، وضدّ العقوق ، أو هو كلُّ فعلٍ مرّضيٍّ ، والطاعة باطناً وظاهراً لشريعة الله " . اهـ (٣) .

والبرُّ لغة هو الاتّساع ، وفي عرف القرآن الكريم : الاتّساع في أعمال الخير والطاعات . وفي الترتيل العزيز : ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الطور : ٢٨] . والبرُّ من صفات الله تعالى أي : العَطُوفُ الرحيم اللطيف الكريم .

قال ابن الأثير (٤) : " في أسماء الله تعالى البرُّ : هو العَطُوف على عبادة بيّره ولطفه ، والبرُّ والبارّ بمعنىً ، وإنما جاء في أسماء الله تعالى البرُّ دون البارّ . والبرُّ بالكسر : الإحسان . ومنه

(١) انظر : المقاييس ، كتاب الباء ، باب الباء وما بعدها في الذي يقال له المضاعف (مادة : برّ) : ١٠٧ ، لسان العرب (مادة :

برر) : ٥٢ / ٤ .

(٢) هو بطرس البستاني ت سنة ١٣٠٠ هـ . انظر : الأعلام : ٥٨ / ٢ .

(٣) محيط المحيط لبطرس البستاني : ٣٤ .

(٤) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزائري ، أبو السعادات ، مجد الدين ، المعروف بابن الأثير : المحدث اللغوي الأصولي ، ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر ، وانتقل إلى الموصل ، فاتصل بصاحبها ، فكان من أخصائه ، وأصيب بالقرص فبطلت حركة يديه ورجليه ، ولازمه هذا المرض إلى أن توفي في إحدى قرى الموصل ، قيل إن تصانيفه كلها ألفها في زمن مرضه ، إملاء على طلبته ، وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة . من كتبه : جامع الأصول في أحاديث الرسول ، والنهية في غريب الحديث ، والإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف في تفسير القرآن الكريم ، أخذه من تفسير الثعلبي والزمخشري المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار ، وله كتاب لطيف في صنعة الكتابة ، وغير ذلك من التصانيف ، ت سنة ٦٠٦ هـ . انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد بن خلكان : ٤ / ١٤١ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير المؤرخ (وهو أخو ابن الأثير المحدث المترجم له) : ١٠ / ٣٥٠ طبقات الشافعية : ٢ / ٦٠ ، شذرات الذهب : ٢٢ / ٣ .

الحديث في برِّ الوالدين " . اهـ (١) .

البرُّ اصطلاحاً :

" البرُّ هو التوسُّع في فعل الخير " (٢) .

واختلف العلماء في تفسير البرِّ (٣) ، وقال أكثر المفسرين : إن البرَّ اسمٌ جامعٌ للطاعات والخير ولكلِّ فعلٍ مرضي (٤) .

فقد جاء في حديث الاعتكاف : " ما هذا ؟ البرُّ تُرَدَّنَ بهذا " (٥) . أي : الطاعة والعبادة ومنه الحديث : " ليس من البرِّ الصيام في السفر " (٦) .

(١) انظر : النهاية في غريب الأثر للمبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري ، أبو السعادات (ابن الأثير) ، كتاب الباء مع الراء (مادة : بر) : ١ / ١١٦ .

(٢) المفردات (مادة : بر) : ٤٠ .

(٣) قال ابن منظور : " قال شمر في تفسير قوله ﷺ : " عليكم بالصَّدقِ فإنه يَهْدِي إلى البرِّ " ؛ اختلف العلماء في تفسير البرِّ فقال بعضهم : البرُّ الصَّلَاح ؛ وقال بعضهم : البرُّ الخير . قال ابن منظور : ولا أعلم تفسيراً أجمع منه لأنه يحيط بجميع ما قالوا " . اهـ . انظر : لسان العرب (مادة : بر) : ٤ / ٥٢ .

(٤) قاله البغوي ، والزنجشري ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وابن كثير ، والسيوطي ، وأبو السعود والشوكاني ، والآلوسي ، وابن عاشور ، انظر : تفسير البغوي المسمى (لباب التأويل في معالم التنزيل) للحسين بن مسعود البغوي : ١ / ١٤٢ ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله محمود بن عمر الزنجشري : ١ / ٢٤٢ ، مفاتيح الغيب المسمى (التفسير الكبير) لمحمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي : ٢ / ٢١٣ ، تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن) لمحمد بن أحمد القرطبي : ٢ / ٢٣٨ ، تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) لعبد الله أبي عمر بن محمد البيضاوي : ١ / ٤٥٢ ، تفسير النسفي لعبد الله بن أحمد النسفي : ١ / ٨٦ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٢٠٨ ، الدر المنثور لجلال الدين السيوطي : ١ / ٤١٢ ، تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود : ١ / ١٩٣ ، حاشية الشهاب المسماة (عناية القاضي وكفاية الرازي) لأحمد بن محمد بن عمر الخفاجي على تفسير البيضاوي : ٢ / ٤٥٠ ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني : ١ / ١٧٢ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود شكري الآلوسي : ٢ / ٤٤ ، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور لمحمد بن الطاهر بن عاشور : ١ / ١٢٨ .

(٥) عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ أراد الاعتكاف ، فاستأذنته عائشة لتعتكف معه فأذن لها ، فضربت خباءها فسألتهما حفصة أن تستأذن لها لتعتكف معها ، فلما رأت ذلك زينب ضربت معها وكانت امرأة غيوراً ، فرأى رسول الله ﷺ أخبيتهن ، فقال ﷺ : " ما هذا ؟ البرُّ تردن بهذا " . فترك الاعتكاف حتى أفطر من رمضان ، ثم إنه اعتكف في عشرين من شوال . أخرجه ابن حبان في كتاب الصيام ، باب الاعتكاف وليلة القدر (٣٦٦٧) : ٨ / ٤٢٥ ، ولم أجد في غيره من كتب الحديث ولا كتب التخریج . وأورده ابن قدامة في المغني : ٣ / ٦٧ ، وابن منظور في لسان العرب (مادة : بر) : ٤ / ٥٢ .

(٦) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الصوم ، باب قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر : " ليس من البرِّ الصوم في السفر " (١٨٤٤) : ٢ / ٦٨٧ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الصيام ، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر معصية إذا كان سفره (١١١٥) : ٢ / ٧٨٦ . كلاهما عن جابر بن عبد الله ﷺ .

قال الفخر الرززي^(١) : " البرُّ اسمٌ جامعٌ للطاعات ، وأعمال الخير المقربة إلى الله تعالى ومن هذا برُّ الوالدين قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ [سورة الانطار : ١٣ ، ١٤] . فجعل البرُّ ضد الفجور وقال : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [سورة المائدة : ٢] . فجعل البرُّ ضد الإثم ، فدلَّ على أنه اسمٌ جامعٌ لجميع ما يؤجر عليه الإنسان ، وأصله من الاتساع ، ومنه البرُّ الذي هو خلاف البحر لاتساعه " . اهـ (٢) .

والبرُّ خير الدنيا والآخرة ، فخير الدنيا ما يسره الله تبارك وتعالى للعبد من الهداية والصحة والعافية والنعمة والخيرات ، وخير الآخرة الفوز بالنعيم المقيم في الجنة^(٣) .
والبرُّ حسن الخلق ، كما قال ﷺ : " البرُّ حسن الخلق " (٤) .

قال النووي^(٥) : " قال العلماء : البرُّ يكون بمعنى الصلَّة ، وبمعنى اللطف والمبرَّة وحسن الصُّحبة والعشرة ، وبمعنى الطاعة ، وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق " . اهـ (٦) .
وقال الطيبي^(٧) : " فسّر البرُّ في الحديث بمعان شتى ، ففسّره في موضع بما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، وفسّره في موضع بالإيمان ، وفي موضع بما يقربك إلى الله ، وهنا

(١) سبق ترجمته ص ٨ .

(٢) التفسير الكبير : ٢ / ٢١٣ .

(٣) انظر : لسان العرب (مادة : بر) : ٤ / ٥٢ .

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب البرِّ والصلة والاداب ، باب تفسير البرِّ والإثم (٢٥٥٣) : ٤ / ١٩٨٠ . عن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه .

(٥) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الخزامي الحوراني ، التَّوَوِي ، الشافعي ، أبو زكريا ، محي الدين : محدث الشام علامة بالفقه والحديث ، مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران ، بسورية) وإليها نسبته . تعلم في دمشق ، وأقام بها زمناً طويلاً ، وقال ابن العطار : كان قد صرف أوقاته كلها في أنواع العلم والعمل بالعلم ، ولم يتزوج ، ومن تصانيفه : الروضة ، والمنهاج ، وشرح المهذب وصل فيه إلى أثناء الربا ستمائة : المجموع ، والمنهاج في شرح مسلم ، و الأذكار ، ورياض الصالحين ، و التبيان في آداب حملة القرآن وغير ذلك . وقال الأسنوي كان في لحيته شعرات بيض وعليه سكينه ووقار في البحث مع الفقهاء ، ت ٦٧٦ هـ . انظر : طبقات الشافعية الكبرى : ٨ / ٣٩٥ ، طبقات الشافعية : ٣ / ٣٥٤ ، النجوم الزاهرة : ٧ / ٢٧٨ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣٥٥ .

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٦ / ١١١ .

(٧) هو الحسين بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطيبي ، الإمام المشهور : من علماء الحديث والتفسير والبيان ، صاحب شرح المشكاة كان محباً لمن عرف منه تعظيم الشريعة ، مقبلاً على نشر العلم ، آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن ، شرح الكشاف شرحاً كبيراً وأجاب عما خالف مذهب السنة أحسن جواب ، وصنف في المعاني ، والبيان التبيان ، وشرحه وأمر بعض تلامذته باختصاره على =

بحسن الخلق ، وفُسِّر حسن الخلق باحتمال الأذى وقلة الغضب وبسط الوجه وطيب الكلام وكلها متقاربة في المعنى " . اهـ (١) .

وجوه استعمال البرِّ في القرآن الكريم :

ورد البرِّ في القرآن الكريم على أوجه منها :

أولاً : البرِّ بالفتح ، وله أربعة معانٍ :

الأول : بمعنى اللطيف بعباده (٢) ﷻ :

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الطور: ٢٨] .

الثاني : بمعنى البارِّ ، والبرِّ بمعنى البارِّ ، وهو كثير البرِّ المطيع لوالديه ، المجانب لعقوقهما

قولاً وفعلاً ، أمراً ونهياً ، المحسن إليهما (٣) ، وذلك في :

* مدح عيسى ﷺ قال تعالى : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ﴾ [سورة مريم : ٣٢] .

* وفي مدح يحيى ﷺ قال تعالى : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ﴾ [سورة مريم : ١٤] .

الثالث : بمعنى الطائفة لله والصدق في العمل (٤) ، وذلك في مدح ساكني ملكوت

السَّمَاءِ .

قال تعالى : ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة عبس : ١٥ ، ١٦] .

= طريقة مُجْهَها له ، وسماه المشكاة وشرحها هو شرحا حافلا ، ثم شرع في جمع كتاب في التفسير ، وعقد مجلسا عظيما لقراءة كتاب البخاري فكان يشتغل في التفسير من بكرة إلى الظهر ، ومن ثم إلى العصر لإسماع البخاري إلى أن كان يوم مات ، فإنه فرغ من وظيفة التفسير وتوجه إلى مجلس الحديث فدخل مسجدا عند بيته فصلى النافلة قاعداً ، وجلس ينتظر الإقامة للقرينة ، ففضى نحوه متوجهاً إلى القبلة وذلك سنة ٧٤٣ هـ . انظر : الدرر الكامنة : ٢ / ١٨٥ ، كشف الظنون : ١ / ٧٢٠ ، شذرات الذهب : ٣ / ١٣٧ ، البدر الطالع : ١ / ٢٢٩ .

(١) تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري : ٧ / ٥٤ ، ٥٥ . نقله المباركفوري عن الطيبي . وانظر : زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن علي ابن الجوزي : ١ / ١٧٨ .

(٢) تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لمحمد بن جرير الطبري : ٢٧ / ٣٠ .

(٣) انظر : تفسير الطبري : ١٦ / ٨١ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٨٨ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١١٤ ، تفسير الجلالين لمحمد بن أحمد الخليلي وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : ١ / ٣٩٧ .

(٤) تفسير القرطبي : ١٩ / ٢١٧ .

ثانياً : أما البرّ بالكسر : فله ثلاثة معانٍ :

الأول : بمعنى الطاعة وفعل الخيرات ، وذلك في :

﴿ قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بَعَثَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

﴿ وقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ . [سورة البقرة : ١٨٩] .

جعل إتيان البيوت من ظهورها كنايةً عن تنكّب الطريق الجادة ، وجعل إتيان البيوت من أبوابها كنايةً عن انتهاج الطريق المستقيم (١) .

﴿ وقوله تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا حُبِّبْتُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ ﴾ . [سورة آل عمران : ٩٢] .

﴿ وقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [سورة المائدة : ٢] .

جعل البرّ مقابل الإثم ، ودلّ ذلك على أن البرّ اسمٌ عامٌ لجميع ما يثاب عليه الإنسان كما أن الإثم اسمٌ عامٌ لجميع الذنوب والسيئات كبيرها وصغيرها .

﴿ وقوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشُرُونَ ﴾ ﴾ . [سورة المجادلة : ٩] .

قوبل البرّ بالإثم وأفادت هذه المقابلة ما أفادته المقابلة الأولى .

﴿ وقوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ . [سورة البقرة : ٤٤] .

(١) سيكون هناك مبحث خاص عن : إتيان البيوت من أبوابها ، انظر : ص ٣٨١ .

وهذه هي الآيات الست التي ورد فيها لفظ البر ، وقد اتفقت كلها على معنى واحد ، أو معنى قريب بعضه من بعض .

الثاني : البر بمعنى صلة الرحم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ تُحَرْجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ حُبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ . [سورة المتحنة : ٨] . أي : تصلوا أرحامكم (١) .

الثالث : البر بمعنى تصديق اليمين ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٢٤] .

الألفاظ المرادفة والمقاربة للبر في القرآن الكريم :

من الألفاظ المرادفة والمقاربة للبر في القرآن الكريم :

١- الإحسان : ومن الآيات التي ورد فيها لفظ الإحسان قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ . [سورة البقرة : ٨٣] .

قال الآلوسي (٢) في تفسير هذه الآية : " وقد دلَّت الآية على الحث ببر الوالدين وإكرامهما " . اهـ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ . [سورة النحل : ٩٠] .

(١) انظر : تفسير الطبري : ٢٨ / ٦٦ .

(٢) هو محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني ، أبو المعالي : مفسر من الدعاة إلى الإصلاح ، مؤرخ ، عالم بالأدب والدين ، ولد في رصافة بغداد ، وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما ، وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد ، وحمل على أهل البدع في الإسلام برسائل فعاداه كثيرون وسعوا به لدى والي بغداد " عبد الوهاب باشا " ، عكف على التأليف والتدريس ، له ٥٢ مصنفاً بين كتاب ورسالة ، منها : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، وبلوغ الإرب في أحوال العرب ، وتاريخ نجد وبدائع الإنشاء ، وفتح المنان ، ومساجد بغداد ، وتجريد السنان في الذب عن أبي حنيفة النعمان ، وغير ذلك ، ت ببغداد سنة ١٢٧٠ هـ وفي الأعلام أن ولادته سنة ١٢٧٣ هـ ووفاته سنة ١٣٤٢ هـ . انظر : الأعلام : ٧ / ١٧٢ ، مقدمة تفسير روح المعاني .

(٣) روح المعاني : ٣٠٨ / ١ .

وجاء في تفسير هذه الآية الكريمة : " وإيتاء ذي القربى : أي إعطاء الأقارب حقهم من الصلة والبرِّ ، وهذا داخلٌ في العدل أو الإحسان " . اهـ (١) .

٣- الإصلاح (٢) : ومن الآيات التي ذكر فيها لفظ الإصلاح :

قوله تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٨] .

جاء في تفسير الآية :

" أي ما نرسل المرسلين إلا لأجل أن يبشروا قومهم بالثواب على الطاعة ، وينذروهم بالعذاب على المعصية ، ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويسخر بهم ، فمن آمن بما يجب الإيمان به ، وأصلح ما يجب إصلاحه والالتيان به على وفق الشريعة فلا خوف عليهم من العذاب الذي أنذر الرسل به ولا هم يحزنون " (٣) .

ففي الآية الكريمة ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ معناها : أتى بجوامع الخير ، وما أتت به الشريعة من جوامع الخير هو البرِّ ، فيكون الإصلاح مقارباً للبرِّ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٤] .

قيل في تفسير الآية : " أي لا تجعلوا الله حاجزاً ومانعاً لما حلفتُم عليه ، وذلك لأنَّ الرجل كان يحلف على بعض الخير من صلة رحم ، أو إحسان إلى الغير أو إصلاح بين الناس بأن لا يفعل ذلك ، ثم يمتنع من فعله معللاً لذلك الامتناع بأنه قد حلف أن لا يفعله ... وعلى هذا يكون قوله تعالى : ﴿ أَنْ تَبَرُّوا ﴾ عطف بيان لأيمانكم ، أي : لا تجعلوا الله مانعاً للأيمان التي هي بركم وتقواكم وإصلاحكم بين الناس " (٤) .

(١) روح المعاني : ٢١٨ / ١٤ .

(٢) سيكون هناك حديث خاص عن الإصلاح بين الناس . انظر : مبحث التناجي بالبرِّ والتقوى ص ٣٣٩ .

(٣) روح المعاني : ١٥٤ / ٧ .

(٤) فتح القدير : ١ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

مَسْمَى البرِّ وعلاقته بالإيمان والتقوى :

البرِّ والتقوى هما جُمَاعُ الدين كَلَّهُ ، وإذا أفرد كل واحد من الاسمين دخل في مَسْمَى الآخر لأن البرِّ جزء مَسْمَى التقوى ، وكذلك التقوى فإنه جزء مَسْمَى البرِّ ، وكون أحدهما لا يدخل في الآخر عند الاقتران لا يدلُّ على أنه لا يدخل فيه عند انفراد الآخر (١) .

ولفظ البرِّ إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله ، كما في قوله : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّ الْأَفْجَارَ لَفِي حَجِيمٍ ﴾ . [سورة الانفطار : ١٣ ، ١٤] . وقوله : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آتَقَى ﴾ . [سورة البقرة :

١٨٩] . وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٧﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] . وقد جمع الله خصال البرِّ في هذه الآية ، ثم أخبر

سبحانه أنها هي خصال التقوى بعينها بقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .

فجعل الأبرار هم المتقين عند إفراد كل واحد منهما .

وفرق بينهما عند اقتران أحدهما بالآخر كقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ . [سورة

المائدة : ٢] . والفرق بينهما فرق بين السبب المقصود لغيره والغاية المقصودة لنفسها ؛ فإن البرِّ

مطلوب لذاته ؛ إذ هو كمال العبد وصلاحه الذي لا صلاح له بدونه ، وأمَّا التقوى فهي

الطريق الموصل إلى البرِّ والوسيلة اليه ، فالتقوى والبرِّ كالعافية والصحة ، كما أن البرِّ عام في

(١) البرِّ والتقوى مثل الإيمان والإسلام ، من الألفاظ التي قال عنها العلماء : إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا . انظر : زاد المهاجر إلى

فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات وفي كل ما يقرب إلى الله ، والتقوى في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات ، فالبرُّ أعمُّ من التقوى (١) .

قال ابن تيمية (٢) : " عطف التقوى على البرِّ ، وعطف الشيء على الشيء في القرآن الكريم وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع اشتراكهما في الحكم الذي ذكر لهما " . اهـ (٣) .

ولفظ " الايمان " إذا أطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ " البرِّ " ولفظ " التقوى " فإنَّ النبي ﷺ بين أنَّ : " الايمان بضع وسبعون شعبة ، أفضلها قول : لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق " (٤) . فكان كل ما يجبه الله يدخل في اسم الايمان ، ويدخل في مسمى البرِّ الإيمان وأجزاؤه الظاهرة والباطنة ، ولا ريب أن التقوى جزء هذا المعنى ، وقد فسّر البرُّ بالإيمان ، وفسّر بالتقوى ، وفسّر بالعمل الذي يقرب إلى الله (٥) ، والجميع حقٌّ (٦) .

(١) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي (ابن جزى الكلبي) : ١ / ١٦٧ ، الإيمان لأحمد بن عبد الحلّيم (ابن تيمية) : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٤ ، جامع العلوم والحكم لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي : ٢٥٢ ، زاد المهاجر إلى ربّه : ٧ - ١٠ .

(٢) هو أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله (بن تيمية) الحراقي الدمشقي الحنبلي ، تقي الدين ، أبو العباس : شيخ الإسلام ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر ، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها ، فقصدتها ، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة ، ونقل إلى الإسكندرية ، ثم أطلق فسافر إلى دمشق واعتقل بها ، وأطلق ثم أعيد ، ومات معتقلا في قلعة دمشق ، فخرجت دمشق كلها في جنازته ، كان كثير البحث في فنون الحكمة ، آية في التفسير والأصول ، له مؤلفات عديدة أشهرها الفتاوى ، والإيمان والصارم المسلول على شاتم الرسول ، والقواعد النورانية الفقهية ، والجمع بين العقل والنقل ، ت ٧٢٨ هـ . انظر : البداية والنهاية : ١٤ / ١٣٥ ، الدرر الكامنة : ١ / ١٦٨ ، سير أعلام النبلاء : ٢٢ / ٢٨٨ ، النجوم الزاهرة : ٩ / ٢٧١ .

(٣) الإيمان لابن تيمية : ١٦٥ ، وقد ذكر هنا أنواع المغايرة ، وذكر أن أعلاها التباين ، وأدناها عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين ويقع بينهما عطف الشيء على لازمه وعطف الجزء على الكل .

(٤) أخرجه البخاري مختصراً في كتاب الإيمان (٣) : ١ / ٩ ، وأخرجه مسلم بتمامه بلفظ : " الإيمان بضع وسبعون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان " في كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان (٣٥) : ١ / ٦٣ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

(٥) قال ابن الجوزي : " وفي المراد بالبرِّ ثلاثة أقوال : أحدها : الإيمان ، والثاني : التقوى ، والثالث : العمل الذي يقرب إلى الله " . اهـ انظر : زاد المسير : ١ / ١٧٨ .

(٦) انظر : توحيد الألوهية لابن تيمية : ٧ / ١٧٩ ، ١٨٠ .

جاء رجلٌ إلى أبي ذر (١) ﷺ فسأله عن الإيمان ، فقراً : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ .
إلى آخر الآية . فقال الرجل : ليس عن البرِّ سألتك . فقال : جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فسأله
عن الذي سألتني عنه ، فقراً عليه الذي قرأت عليك ، فقال له الذي قلت لي ، فلما أبي أن
يرضى ، قال له : " إنَّ المؤمن الذي إذا عمل الحسنة سرَّته ورجا ثوابها ، وإذا عمل السيئة
سأته وخاف عقابها " (٢) .

آية البرِّ :

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنِينَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

هذه هي آية البرِّ ، وهي الآية الجامعة ، جمعت فأوعت ، حتى لتكاد تحصي ما في دين
الإسلام من الإيمان والتقوى والصبر والصدق والوفاء بالعهد ؛ إلى ما أحصته من الفرائض
ومن الأعمال الصالحة وخصال الخير وخلق البرِّ .

(١) هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد ، أبو ذر : صحابي جليل ، وفي اسمه واسم أبيه خلاف ، من بني غفار ، ت سنة ٣٢ هـ .
انظر : الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع : ٤ / ٢١٩ ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني :
١ / ١٥٦ ، صفة الصفوة : ١ / ٥٨٤ ، الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني : ٧ / ١٢٥ .
(٢) لم أقف للحديث على تخريج . قال السيوطي : وأخرج اسحاق بن راهويه في مسنده وعبد بن حميد وابن مردويه عن القاسم بن عبد
الرحمن ... ثم ذكر الحديث . ولم أجد في أي من الكتب المذكورة . وأورده ابن تيمية في غير واحد من كتبه ، وأورده ابن كثير وقال :
الحديث منقطع . انظر : تفسير ابن كثير : ١ / ٢٠٧ . والحديث المنقطع : ما روي عن التابعي ومن دونه موقوفاً عليه من قوله أو فعله .
انظر : الكفاية في علم الرواية لأحمد بن علي الخطيب البغدادي : ٢١ .

المعنى العميق الذي يستوحى لفظ ﴿الْبِرِّ﴾ :

لقد جمع الله خصال الخير في آية البرِّ ، فأخبر سبحانه أن البرِّ :

❊ هو الايمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهذه هي أصول الايمان الخمس التي لا قوام للايمان إلا بها ، وتتعلق بالكمالات الإنسانية التي هي من قبيل صحَّة الاعتقاد .

❊ وأنه الشرائع الظاهرة ، من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنفقات الواجبة ، وإيتاء المال على حبه متعلق بالكمالات النفسية التي هي من قبيل حسن معاملة الأقارب ومراعاة حقوقهم ومعاملة الأجانب وإنصافهم .

❊ وأنه الأعمال القلبية التي تمذب النفس ؛ من الصبر والوفاء بالعهد .

فتناولت هذه الخصال جميع أقسام الدين حقائقه ، وشرائعه ، والأعمال المتعلقة بالجوارح والقلب ، وأصول الايمان الخمس ^(١) .

قال الألويسي ^(٢) :

" فمن عمل بهذه الآيات فقد استكمل الإيمان ، ونال أقصى مراتب الإيقان " . اهـ ^(٣) .

وأوضح الشيخ محمود شلتوت ^(٤) في تفسيره لمعنى ﴿الْبِرِّ﴾ ، أنه بالنسبة للعبد هو جماع

الخير الذي يشمل المعاني النفسية ، والأخلاق الحسنة ، وما ينشأ عنهما من أعمالٍ صالحةٍ

^(١) انظر : حاشية محيي الدين شيخ زادة محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي على تفسير البيضاوي : ٢ / ٢٨ ، بدائع

التفسير لابن القيم : ١ / ٣٨٠ ، حاشية الشهاب الحفاجي : ٢ / ٢٤١ ، حاشية روح المعاني : ٢ / ٤٨ .

^(٢) سبق ترجمته ص ١٨ .

^(٣) انظر : روح المعاني : ٢ / ٤٨ .

^(٤) محمود شلتوت : فقيه مفسر مصري ، ولد في منية بني منصور (بالبحيرة) ، وتخرج بالأزهر (١٩١٨) وتنقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة (١٩٢٧) وكان داعية إصلاح نير الفكرة ، يقول بفتح باب الاجتهاد .. وسعى إلى إصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطرد هو ومناصروه ، فعمل في المحاماة (١٩٣١ - ١٩٣٥) وأعيد إلى الأزهر ، فعين وكيلًا لكلية الشريعة ، ثم كان من أعضاء كبار العلماء (١٩٤١) ومن أعضاء مجمع اللغة العربية (١٩٤٦) ثم شيخاً للأزهر (١٩٥٨) إلى وفاته . وكان خطيباً موهوباً جهير الصوت . له ٢٦ مؤلفاً مطبوعاً ، منها : " التفسير " الأجزاء العشرة الأولى من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة ، ولم يتم ، والقرآن والقتال ، و فقه القرآن والسنة والإسلام ، والتكافل الاجتماعي وغير ذلك ، ت ١٣٨٣ هـ . انظر : الأعلام :

طَّيِّبَةٌ يتقرب بها العبد إلى ربِّه ، ففي هذه الآية الكريمة قد بيَّن سبحانه أنَّ الإِتِّجَاهَ في العبادة إلى الجهات ليس إلَّا رمزاً للإِتِّجَاهَ القلبي إلى الله تعالى ، وليس ركناً أساسياً في العبادة ، بدلالة جواز صلاة النافلة على الدابة دون مراعاة لجهة القبلة ، ولو كان أساسياً لما قبلت الصلاة بدونه ، وهذه الآية هي أجمع الآيات في تحديد معنى البرِّ من النواحي الواقعية ، فالبرُّ لا يرتبط بشيء من المظاهر والصور والأشكال ، وإنما يرتبط بالحقائق ولبِّ الأمور وروح التكليف فأعمال الخير والطاعات المتمثلة في الشعائر التعبدية ؛ إن قام بها المسلم مجردة من المشاعر وكانت غير متوافقة مع سلوكه من خلقٍ حسنٍ وقلبٍ سليمٍ فإنَّها لا تحقق البرِّ ؛ فليست غاية البرِّ مجرد أعمال وطقوس ، إنما البرُّ تصوُّرٌ وشعورٌ وأعمال وسلوك ، تصوُّرٌ يترك أثراً في ضمير الفرد نفسه وفي الجماعة ، وعلى ذلك فإنَّ تولية الوجوه قبل المشرق والمغرب سواء في التوجُّه إلى القبلة هذه أم تلك ، أو في التسليم من الصلاة يميناً وشمالاً ، أو في سائر الحركات الظاهرة التي يزاورها الناس في الشعائر لا توفِّي بالمعنى العميق الذي يستوعبه لفظ : ﴿الْبِرِّ﴾^(١) ، ويحتمل أن يكون المنفي انحصار البرِّ الكامل في التولية ، وليس المراد نفي كونها من عداد البرِّ ضرورة كونها من الأفعال المرضية قطعاً^(٢) .

فالبرُّ :

اسمٌ جامعٌ للطاعات وأعمال الخير المقربة إلى الله ، والتي يسعى المسلم عند القيام بها إلى الكمال ، وهو تصوُّرٌ وشعورٌ وأعمال وسلوك ، وليس مجرد مظاهر وصور وأشكال بل إحسان يحدوه حبُّ الله وحبُّ الخير للناس ، والبرُّ أنواع ثلاثة جامعة لكلِّ خير : برٌّ في الإيمان^(٣) ، وبرٌّ في العمل ، وبرٌّ في الخلق .

(١) انظر : تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت : ٨٠ ، ٨١ ، وانظر : في ظلال القرآن لسيد قطب إبراهيم : ١ / ١٥٩ .

(٢) انظر : حاشية محيي الدين شيخ زادة : ٢ / ٤٢٨ ، حاشية الشهاب الخفاجي : ٢ / ٤٥٠ .

(٣) الإيمان هو اللفظ الذي ورد في آية البرِّ ، كما أنه لم يرد لفظ : " عقيدة " لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية ولا في كتب القدامى ، بل في كلِّ يطلق مسمى : " الإيمان " . ولذا آثرت مسمى الإيمان على مسمى العقيدة .

أوجه القراءة في آية البر :

قرأ حمزة (١) وحفص (٢) : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا ﴾ نصباً .

وقرأ الباقون (٣) : (البرُّ) بالرفع .

فمن نصب : جعل ﴿ أَنْ ﴾ مع صلتها اسم ليس ، فيكون المعنى : ليس توليتكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب البرُّ كله .

ومن رفع : فالمعنى : ليس البرُّ كله توليتكم ، فيكون (البرُّ) اسم ليس ، ويكون ﴿ أَنْ تُولُوا ﴾ الخبر .

وحجة من قرأ ﴿ الْبِرُّ ﴾ بالنصب : قراءة أبي (٤) ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا ﴾ ، وكذلك في مصحف ابن مسعود (٥) أيضاً وعليه أكثر القراء ، والقراءتان متواترتان .

(١) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل ، التيمي ، الزيات : أحد القراء السبعة . كان من موالي التميم فنسب إليهم ، وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان (في أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل) ويجلب الجبن والجزر إلى الكوفة ، ومات بحلوان سنة ١٥٦ هـ كان عالماً بالقراءات ، انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول . قال الثوري : ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بائر ، وكان إماماً حجةً قيماً بكتاب الله تعالى ، حافظاً للحديث ، بصيراً بالفرائض والعربية ، عبداً خاشعاً قانتاً ، كثير الورع ، قرأ على ابن أبي ليلى وأخذ عن الأعمش ، وأخذ عنه أبو الحسن الكسائي . انظر : مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حبان البستي : ١ / ١٦٨ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٢١٦ ، صفة الصفوة : ٣ / ١٥٦ ، معرفة القراء الكبار لمحمد بن أحمد الذهبي : ١ / ١١١ .

(٢) هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي بالولاء ، أبو عمر ، ويعرف بحفيص : قارئ أهل الكوفة ، بزاز ، نزل بغداد ، وجاور بمكة وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته ، وهو ابن امرأته وربيبه ، ومن طريقه قراءة أهل المشرق ، قال أحمد بن حنبل : ما به بأس . وقال البخاري : تركوه ، وقال ابن عدي : عامة أحاديثه غير محفوظة ، قال الذهبي : أما في القراءة فثقة ثبت ضابط لها بخلاف حاله في الحديث وكان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش ، ت سنة ١٨٠ هـ . انظر : تهذيب الكمال ليوسف بن الزكي المزني : ٧ / ١٠ معرفة القراء الكبار : ١ / ١٤٠ ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال لمحمد بن أحمد الذهبي : ٢ / ٣١٩ ، تهذيب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني : ٢ / ٣٤٥ . وقراءة حفص : أي : حفص عن عاصم .

(٣) هي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة عن عاصم والكسائي .

(٤) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أبو المنذر : صحابي جليل ، شهد العقبة مع السبعين وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان يكتب الوحي ، وهو أحد الذين حفظوا القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ كان يحتم القرآن في ثمان ليال ، ت سنة ٣٠ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٣ / ٤٩٨ ، صفة الصفوة : ١ / ٤٧٤ ، سير أعلام النبلاء : ١ / ٣٨٩ ، الإصابة : ١ / ١٩ .

(٥) عبد الله بن مسعود ، أبو عبد الرحمن : صحابي جليل ، سادساً في الإسلام وهاجر إلى الحبشة المجرتين وشهد بدراً والمشاهد كلها وكان صاحب رسول الله ﷺ ووساده وسواكه ونعليه وطهوره في السفر ، وكان من أجود الناس ثوباً ومن أطيب الناس ريحاً . ت سنة ٣٢ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٣ / ١٥٠ ، صفة الصفوة : ١ / ٣٩٥ ، سير أعلام النبلاء : ١ / ٤٦١ ، الإصابة : ٢ / ٣٦٨ .

وقرأ نافع^(١) وابن عامر^(٢): (لَكَنَّ) مخففة (البرُّ) رفعاً .

وقرأ الباقون^(٣): ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ ﴾ بالتشديد والنصب .

واعلم أنك إذا شددت ﴿ وَلَكِنَّ ﴾ نصبت ﴿ الْبِرَّ ﴾ ، وإذا خففت رفعت ﴿ لَكِنَّ الْبِرَّ ﴾ وكسرت النون لالتقاء الساكنين^(٤) .

آية البرِّ واسطة العقد في سورة البقرة :

الراجح أن هناك صلة بين هذا البيان وبين تحويل القبلة وما ثار حوله من جدل طويل ، فإنَّ الله تعالى لما أمر المؤمنين أولاً بالتوجه إلى بيت المقدس ، ثم حوَّاهم إلى الكعبة شقَّ ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين ، فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك وهو : أن المراد إنما هو طاعة الله ﷻ وامتثال أوامره ، والتوجه حيثما وُجِّه واتباع ما شرع فهذا هو البرُّ والتقوى والإيمان الكامل ، وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق أو المغرب برُّ ولا طاعة ، فالفضل لموافقة الأمر وطاعة الملك القادر^(٥) . ولهذا قال : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . [سورة

(١) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني ، أبو روم : أحد القراء السبعة المشهورين ، كان أسود شديد السواد صبيح الوجه حسن الخلق ، فيه دعابة ، أصله من أصبهان ، اشتهر في المدينة وانتهت إليه رياضة القراءة فيها ، وأقرأ الناس نيفاً وسبعين سنة وكان له راويان ورش وقبيل ، وتوفي بها سنة ١٦٩ هـ . انظر : وفیات الأعيان : ٥ / ٣٦٨ ، معرفة القراء الكبار : ١ / ١٠٧ ، سير أعلام النبلاء : ٧ / ٣٣٦ ، شذرات الذهب : ١ / ٣٧٠ .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن يزيد ، أبو عمران اليحصبي الشامي : أحد القراء السبعة ، وإمام أهل الشام في القراءة ، وما عليه المحققون من النسب أنه من يحصب بن دهمان بن عامر بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك ، ولد في البلقاء في قرية " رحاب " وانتقل إلى دمشق بعد فتحها وتوفي فيها سنة ١١٨ هـ . قال الذهبي : صدوق في الحديث وقال العجلي والنسائي : ثقة . انظر : تهذيب الكمال : ١٥ / ١٤٣ ، معرفة القراء الكبار : ١ / ٨٢ ، ميزان الاعتدال : ٤ / ١٣١ ، التهذيب : ٥ / ٢٤٠ .

(٣) هي قراءة حمزة وحفص عن عاصم ؛ لأهما هما من قرأ بالنصب .

(٤) انظر : الحجة في القراءات السبع للحسين بن خالويه : ٩٢ ، حجة القراءات لعبد الرحمن بن زنجلة : ١٢٣ . ومعنى عبارة : " واعلم أنك إذا شددت ﴿ وَلَكِنَّ ﴾ نصبت ﴿ الْبِرَّ ﴾ ، وإذا خففت رفعت ﴿ لَكِنَّ الْبِرَّ ﴾ يقتضي أن يقرأ الباقون (وهم : نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة عن عاصم والكسائي) بالتخفيف أيضاً لأنهم فرؤوا بالرفع ، وهذا لم يذكر في كلي المرجعين ، ولا يتفق مع اقتصار القول بأن نافع وابن عامر قرأ : (لَكَنَّ) مخففة (البرُّ) رفعاً .

(٥) انظر : حاشية محيي الدين شيخ زادة : ٢ / ٤٢٨ ، الظلال : ١ / ١٥٩ .

البقرة : ١٧٧] . كما قال في الأضاحي والهدايا : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ
الَّتَقْوَىٰ مِنْكُمْ ﴾ . [سورة الحج : ٣٧] .

وذكرُ المشرق والمغرب اقتصاراً على أشهر الجهات ، أو هو للإشارة إلى قبلة اليهود وقبلة
النصارى ؛ لإبطال تهويل الفريقين على المسلمين حين استقبلوا الكعبة .

قال العوفي ^(١) عن ابن عباس ^(٢) في هذه الآية : ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا ، فهذا
حين تحوّل من مكة إلى المدينة ، ونزلت الفرائض والحدود ، فأمر الله بالفرائض والعمل بها .
وقال أبو العالية ^(٣) : كانت اليهود تقبل قبل المغرب ، وكانت النصارى تقبل قبل المشرق
فقال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ . يقول : هذا كلام
الإيمان وحقيقته العمل ^(٤) .

إنَّ آية البرِّ هي واسطة العقد في سورة البقرة بين ما قبلها وما بعدها من آيات ، فما قبلها
من الآيات وصفٌ لموقف اليهود من الدعوة الإسلامية ؛ بما فيها من دعوتهم للدخول في دين
الله والحمل القويّ على أفاعيلهم ، ثم تغييس المسلمين من الطمع في إيمانهم ، ثم يتجه سياق
السورة إلى النبي ﷺ وإلى الجماعة المسلمة حوله ، وإلى تعيين القبلة التي تتجه إليها هذه
الجماعة ، ثم تناولت الآيات الحكمة من تحويل القبلة أولاً عن الكعبة إلى المسجد الأقصى

^(١) هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي من جديلة قيس ، أبو الحسن : من مشاهير التابعين ، روى عن أبي هريرة وابن عباس
وطائفة ، ضربه الحجاج أربعمائة سوط على أن يشتم علياً فلم يفعل ، وكان شيعياً ، وهو ضعيف الحديث ، قاله الذهبي ت ١١١ هـ .
انظر : الطبقات الكبرى : ٦ / ٣٠٤ ، سير أعلام النبلاء : ٥ / ٣٢٥ ، العبر في خبر من غير ١ محمد بن أحمد النُهَيْمي : ١ / ١٣٧
شذرات الذهب : ١ / ١٤٤ .

^(٢) هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : صحابي جليل ، ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه يسير وذلك قبل
الهجرة بثلاث سنين ، وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وكان حبر الأمة ويسمى البحر لغزارة علمه . ت سنة ٦٨ هـ .
انظر : الطبقات الكبرى : ٢ / ٣٦٥ ، صفة الصفوة : ١ / ٧٤٦ ، سير أعلام النبلاء : ٣ / ٣٣١ ، الإصابة : ٢ / ٣٣٠ .

^(٣) هو رفيع بن مهران الرياحي البصري ، المقرئ ، المفسر ، أبو العالية ، تابعي ، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بستين ، دخل
على أبي بكر وقرأ القرآن على أبي بكر ، وكان ابن عباس يرفعه على السرير وقرئش أسفل ، وقال أبو بكر بن أبي داود : ليس بعد
الصحابة أحد أعلم بالقرآن من أبي العالية وبعده سعيد بن جبير ، وحفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب ، وتصدر لإفادة العلم وبعده
صيته ، ت سنة ٩٠ هـ . انظر : طبقات المحدثين بأصبهان لعبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري : ١ / ٣١٣ ، تهذيب
الكمال : ٩ / ٢١٤ ، سير أعلام النبلاء : ٤ / ٢٠٧ ، التهذيب : ١٢ / ١٦٠ .

^(٤) انظر : تفسير ابن كثير : ١ / ٢٠٨ .

- فقد كان المسلمون يتوجهون للكعبة منذ أن فرضت الصلاة وبعد الهجرة وجهوا إلى بيت المقدس - وكان ذلك لحكمة تربوية أشارت إليها الآية الكريمة : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ ﴾ . [سورة البقرة : ١٤٣] .

ويصل السياق إلى تقرير الحقيقة الكبرى حول هذه القضية وحول سائر القضايا الجدلية التي يثيرها اليهود حول شكليات الشعائر والعبادات ، وكثيراً ما كانوا يثيرون الجدل حول هذه الأمور ، فهلت آية البرِّ - وهي في منتصف السورة تقريباً - لتصحح مفهوم البرِّ وأعمال الخير التي تقرب إلى الله ، فهي - كما أوضحت مسبقاً - ليست مجرد أعمال مفتقرة إلى التصور الصحيح والسلوك القويم ، فليس في التولي قبل المشرق أو المغرب أي برٍّ ولكن البرِّ ما بينته الآية الكريمة ، وهب أن قبة الصلاة تغيرت أو كانت الصلاة بلا قبة أصلاً فهل ذلك أمر له أثرٌ في تزكية النفوس واتصافها بالبرِّ؟! ..

ولذا كان ما بعدها من آيات بيان للمنهج الرباني لهذه الجماعة المسلمة ، منهج التصور والعبادة ، ومنهج السلوك والمعاملة ^(١) .

سبب نزول آية البرِّ :

ورد في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال ؛ جميعها عن قتادة ^(٢) :

❶ القول الأول : كانت اليهود تصلي قبل المغرب ، والنصارى قبل المشرق ، فترلت الآية .

❷ القول الثاني : أن رجلاً سأل نبي الله ﷺ عن البرِّ ، فأنزل الله هذه الآية .

❸ القول الثالث : كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ثم مات على ذلك وجبت له الجنة ، فأنزل الله هذه الآية ^(٣) .

(١) أي ماورد بعد آية البرِّ من ذكر الزكاة والصيام والحج والجهاد إلى غير ذلك من الأحكام ؛ كالنكاح والطلاق والعدد والرضاع والحدود والربا والبيوع ، إلى ما تحلل هذه الآيات من تفاصيل الأحكام ومجملها . انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم ابن عمر البقاعي : ١ / ٣٢٥ ، الظلال : ١ / ٣٢ - ٣٤ ، ١٢٦ ، ١٥٩ .

(٢) سبق ترجمته ص ٥ .

(٣) انظر : أسباب النزول لعلي بن أحمد الواحدي : ٤٩ ، لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي : ٣٢ .

الخطاب في هذه الآية :

اختلف العلماء في هل هذا الخطاب عام أو خاص على أقوال :

❶ القول الأول : الخطاب لليهود والنصارى ؛ لأنهم تكلموا في تحويل القبلة وفضلت كل فرقة توليها ، فقيل لهم : ليس البر ما أنتم فيه ولكن البر من آمن بالله ، قاله قتادة وغيره (١) .

❷ القول الثاني : بل المراد مخاطبة المؤمنين ؛ لما ظنوا أنهم نالوا البغية بالتوجه إلى الكعبة من حيث كانوا يجوبون فخطبوا بهذا الكلام ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما (٢) وغيره ، فالمعنى : ليس البر الصلاة وحدها ، أو لتلقين المسلمين الحجة على أهل الكتاب في تحويلهم على المسلمين إبطال القبلة التي كانوا يصلون إليها ؛ ففي ذلك تعريض بأهل الكتاب ، فالخطاب للمسلمين أن يعرضوا عن تحويل الواهين (٣) .

❸ القول الثالث : بل هو خطاب للكل ؛ لأن عند نسخ القبلة وتحويلها حصل من المؤمنين الاغتباط بهذه القبلة ، وحصل منهم التشدد في تلك القبلة ؛ حتى ظنوا أنه الغرض الأكبر في الدين ، فبعثهم الله تعالى بهذا الخطاب على استيفاء جميع العبادات والطاعات (٤) .

والأولى العموم ، فالخطاب للكل ، فهو لليهود والنصارى وللمؤمنين .

(١) قاله الطبري ، والبيضاوي ، والنسفي ، وجلال الدين الخلي ، والسيوطي ، وأبو السعود ، والشوكاني والآلوسي وسيد قطب نقلاً عنهم . انظر : تفسير الطبري : ٩٥ / ٢ ، تفسير القرطبي : ٢٣٧ / ٢ ، تفسير البيضاوي : ٤٥٢ / ١ ، تفسير النسفي : ٨٦ / ١ ، تفسير الجلالين : ٣٦ / ١ ، تفسير أبي السعود : ١٩٣ / ١ ، فتح القدير : ١٧٢ / ١ ، روح المعاني : ٤٤ / ٢ ، الظلال : ١٥٩ / ١ . (٢) سبق ترجمته ص ٢٧ .

(٣) قاله الفخر الرازي والثعالبي وابن عاشور ، انظر : التفسير الكبير : ٢ / ٢١١ ، تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي : ١ / ١٣٢ ، التحرير والتنوير : ١ / ١٢٨ .

(٤) هو قول آخر للرازي وقول ابن كثير ومحمد رشيد رضا ومحيي الدين شيخ زادة . انظر : التفسير الكبير : ٢ / ٢١١ ، حاشية محيي الدين شيخ زادة : ٢ / ٤٢٨ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٢٠٨ ، تفسير المنار المسمى (تفسير القرآن الحكيم) لمحمد رشيد رضا : ١١٠ / ٢ .

فالخطاب لكلِّ نفسٍ حريصةٍ على تصحيح مسار تفكيرها ، وخططة سيرها إلى الله ، لتعيد النَّظْرَ في ما تقوم به من صالح الأعمال ، فتجدد النية ، وتقوِّم السلوك لتعيش حياة الأبرار الطيبة .

إنَّ لفظ " البرِّ " بما استوعبه من معنى عميق ، وما ختم به آية البرِّ من أنَّ هؤلاء الأبرار هم الذين صدقوا وأولئك هم المتَّقون ، والمتَّقون والأبرار ما هو مقامهم ؟ إنهم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّهْرِ ﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿ ٢٢ ﴾ . [سورة القمر : ٥٤ ، ٥٥] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ ﴿ ٢٢ ﴾ . [سورة المطففين : ٢٢] . ليجعل المرء يتشوّف إلى بلوغ هذا المقام الرفيع ، ويشمّر عن ساعد الجدِّ ويسعى للكمال ما استطاع ليحقّق البرِّ في شتى المجالات ، في إيمانه وعبادته وأخلاقه ، وفي صلته بوالديه وأقاربه وجيرانه ومن له حقٌّ عليه من المسلمين ؛ وحتى أعداؤه المسالمون له .

وإنَّ أُمَّةً هذا دأب أفرادها ليكون لها العزة والسؤدد والتمكين في الأرض ؛ ناهيك ما لهم من السُرور والحبور ، في ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .



الباب الأول

مخالفات البرّ في الإيمان والعبادات والأفلاق

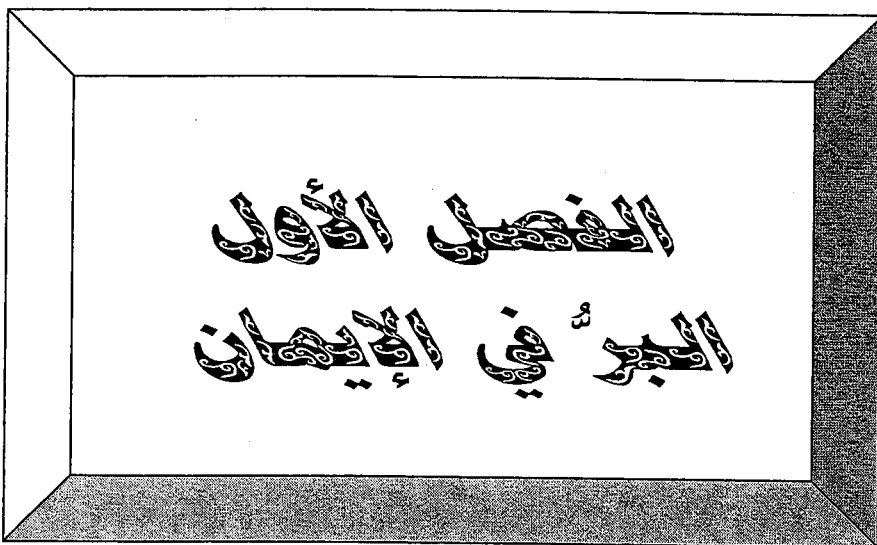
وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول: البرّ في الإيمان .

الفصل الثاني: البرّ في العبادات .

الفصل الثالث: البرّ في مكارم الأفلاق .





وفيه ستة محاضرات :

- المبحث الأول : الإيمان بالله - عز وجل .
- المبحث الثاني : الإيمان باليوم الآخر .
- المبحث الثالث : الإيمان باللائحة - عليهم السلام .
- المبحث الرابع : الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله تعالى .
- المبحث الخامس : الإيمان بالأنبياء عليهم - الصلوات والسلام .
- المبحث السادس : التقوى .

تمهيد

إِنَّ الْمُؤْمِنَ حَرِيصٌ عَلَى الْقِيَامِ بِأَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ ، واعتبر ﷺ في تحقق ماهية البرِّ أموراً . قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

الإيمان لغة وشرحاً :

الإيمان لغة :

مأخوذ من (أَمِنَ) : الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان ، أحدهما : الأمانة ، ومعناها : سكون القلب ، والآخر : التصديق ^(١) . وموضوعنا يدور حول هذا المعنى .

^(١) جرى على ألسنة العلماء القدامى والمحدثين أن الإيمان لغة : هو التصديق ، والتصديق ليس من مفهوم الإيمان لغة ، وإنما هو من بواعثه ونتائجه ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِمْ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ . [سورة الحديد : ١٩] . وقوله ﷺ على لسان إخوة يوسف لأبيهم : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ . [سورة يوسف : ١٧] .

فإنه ﷺ لم يصف إيمانهم بأنه تصديق حتى يجعل الإيمان بمعنى التصديق ، وإنما وصف المؤمنين أنفسهم ولم يصف إيمانهم ، بل وصفهم بأنهم صديقون ، والصديق صيغة مبالغة من الصدق ؛ لأنه لا يوجد عنده شك يزعرع ثقته وطمأنينته . والآية الثانية لو فسرت : وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين ، لكان تفسير الشيء بنفسه ، وهذا ليس بصحيح ، بل الصواب : وما أنت بمطمئن لنا أو واثق بنا ، فليس مؤمن بمعنى مصدق ؛ إذ الأصل اللغوي لمادة : " أمن " هو معنى : اطمأن ، ثم تصرف منها فعلان : أحدهما : " أمن " المتعدي ، أي : آمن غيره ، و " آمن " اللازم ، أي حصل له أمن وطمأنينة ، فالأمن والطمأنينة هو المعنى الأصلي اللغوي للإيمان ، وكل ما استجد بعد ذلك من معاني الإيمان فهي معانٍ اعتبارية بحكم الشرع واصطلاحه ، وإمّا بدلالات التضامن واللزوم ، فالتصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح ، فإن هذه لوازم الإيمان وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم .

وقد استقر الحكم الشرعي دون العرف اللغوي على أن الإيمان مطلقاً لا يعبر به إلا عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . والإيمان مطلقاً في حكم الشرع يعني المثل الكامل الذي يستحق به المؤمن دخول الجنة ، فيدخل فيه النطق باللسان وعمل القلب ، وهو الثقة والطمأنينة وعمل الجوارح ، فالتصديق ليس هو الركيزة الأولى في الإيمان ، وإنما الركيزة كل عمل قلبي يجلب الأمن والطمأنينة والثقة ، وعلاقة التصديق بالإيمان تأتي من جهتين :

﴿ أولاهما : لزوم التصديق من الإيمان ، كإيمان أبي بكر الصديق ﷺ بخر الإسرائء والمعراج ، فلم يشترط أي شرط سوى التثبيت من أن النبي ﷺ قاله وأخبر به .

﴿ ثانيهما : (عكس السابق) وهو لزوم الإيمان من التصديق ، فمن صدق غيره أمنه ووثق به ، فالتصديق ليس من مفهوم الإيمان لغة وإنما هو من بواعثه أو نتائجه . قال شارح الطحاوية : " وقد اعترض على استدلالهم بأن الإيمان في اللغة : عبارة عن التصديق ... ولأنه لم يقابل لفظ (الإيمان) قط بالتكذيب كما يقابل لفظ (التصديق) وإنما يقابل بالكفر ، والكفر لا يختص بالتكذيب ، بل لو قال : =

الأمان والأمانة بمعنى ، وقد أمنتُ فأنا آمنٌ ، وآمنتُ غيري من الأمن والأمان . والأمنُ : ضدُّ الخوف . والأمانةُ : ضدُّ الخيانة ، والإيمانُ : ضدُّ الكفر ، والإيمانُ : بمعنى التصديق ضدُّه التكذيب . يقال : آمنَ به قومٌ وكذَّبَ به قومٌ ، فأما آمنتُّه المتعدي فهو ضدُّ أخفُّته وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف ، والإيمان هو التصديق الذي معه أمن . وقال بعض أهل العلم : إنَّ " المؤمن " في صفات الله تعالى : هو أن يصدق ما وعد عبده من الثواب . وقال آخرون : هو مؤمنٌ لأوليائه ؛ يؤمَّنهم عذابه ولا يظلمهم . فهذا قد عاد إلى المعنى الأول (١) .

وقال الكفوي (٢) : " الإيمان : الثقة ، وإظهار الخضوع ، وقبول الشريعة (إفعال) من الأمن ضد الخوف ... ثم استعمل في التصديق إما مجازاً لغويا لاستلزامه ما هو معناه ، فإنك إذا صدقت أحدا آمنتته من التكذيب في ذلك التصديق ؛ وإمّا حقيقة لغوية " . اهـ (٣) .

الإيمان شرهما : الإيمان هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره (٤) .

= أنا اعلم أنك صادق ، ولكن لا أتبعك بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ، لكان كفراً أعظم ، فعلم أن الإيمان ليس التصديق فقط ، ولا الكفر التكذيب فقط ، بل إن الكفر يكون تكديماً ، ويكون مخالفة ومعاودة بلا تكذيب . فكذلك الإيمان ، يكون تصديقا وموافقة وموالة وانقيادا ، ولا يكفي مجرد التصديق فيكون الإسلام جزء من مسمى الإيمان . ولو سلم الترادف ، فالتصديق يكون بالأفعال أيضا ، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : " العينان تزنيان ، وزناهما النظر ، والأذن تربي وزناها السمع " إلى أن قال : " والفرج يصدق ذلك ويكذبه " . متفق عليه . انظر : شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي : ٥٨ / ٢ - ٦٠ وانظر : الإيمان لابن تيمية (تحقيق : حسين الغزال) : ١٠٧ ، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ محمد الصالح العثيمين : ٥٤ / ١ .

(١) انظر : المقاييس كتاب الهمة ، باب الهمة والميم وما بعدها في الثلاثي (مادة : أمن) : ٨٨ ، ٨٩ ، المفردات (مادة : أمن) : ٣٥ ، ٣٦ ، لسان العرب (مادة : أمن) : ١٣ / ٢١ ، المعجم الوسيط (مادة : أمن) : ٢٨ .

(٢) هو أيوب بن موسى الحسيني القريبي الكفوي ، أبو البقاء : صاحب " الكليات " كان من قضاة الأحناف . وله كتب أخرى بالتركية عاش وولي القضاء في " كفه " بتركيا ، وبالقدس ، وبغداد . وعاد إلى استانبول فتوفي فيها . ت سنة ١٠٩٤ هـ . انظر : هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي : ١ / ٢٢٩ ، وفيه وفاته قاضيا بالقدس ، إيضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي : ٢ / ٣٨٠ ، وفيه وفاته سنة ١٠٩٣ هـ ، الأعلام : ٢ / ٣٨ .

(٣) الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (فصل الهمة) : ٢١٢ .

(٤) كما جاء في حديث جبريل المشهور عن الإسلام والإيمان والإحسان .

معنى الإيمان :

الإيمان ^(١) : " تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان " ^(٢) .
 إن الإيمان المطلق مستلزم للأعمال ، ومما يدل على ذلك آيات كثيرة في القرآن منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ . [سورة النور : ٦٢] . ومن حديث رسول الله ﷺ قوله ﷺ :

- " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " ^(٣) .
- وقوله : " لا تؤمنوا حتى تحابوا " ^(٤) .
- وقوله : " من غشنا فليس منا " ^(٥) .

وهذا لا يوجب زوال اسم الإيمان عنهم بالكلية ، فإن المقصود ليس نفي الإيمان ولكن نفي كمال الإيمان ، وإلا فلا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل .
 وإذا جاء الإيمان غير مقترن بالإسلام فحينئذ يراد به الدين كله ، ودخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة ، كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] . وإذا ذكر الإيمان مع الإسلام جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة : الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام

(١) اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً ، فذهب أكثر السلف والأئمة الثلاثة - مالك والشافعي وأحمد - إلى أنه تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان ، وذهب الإمام أبو حنيفة كما ذكره الطحاوي عنه : أن الإيمان بالقلب واللسان دون الجوارح وضلت كثير من الفرق في تحديد حقيقة الإيمان ، وفساد بعضهم ظاهر . والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقيين من أهل السنة اختلاف صوري ، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزء من الإيمان ، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان - بل هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه - نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد اعتقاد . انظر : شرح العقيدة الطحاوية : ٣٧٤ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية : ٣٧٣ .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب النهي بغير إذن صاحبه (٢٣٤٣) : ٢ / ٨٧٥ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الإيمان ، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (٥٧) : ١ / ٧٦ . كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، وأن محبة المؤمنين من الإيمان ، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها (٥٤٠) : ١ / ٧٤ . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : " من غشنا فليس منا " (١٠١) : ١ / ٩٩ . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

والحج ، وجعل الإيمان بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويراد به ما في القلب من الإيمان باتفاق الناس (١) .

أهمية الإيمان :

الإيمان لا بد منه في حياة الإنسان ، فهو ضروري للروح كما أن الماء والهواء ضروريان للجسد ؛ وهو بدون الإيمان ضائع تائه قد فقد ذاته ووجوده . والإيمان وحده هو الذي يجيب على التساؤلات التي شغلت ولا تزال تشغل الفكر الإنساني ، بل تحيِّره : من أين جئت ؟ ولماذا أوجدنا وأوجد الكون ؟ وهل بعد هذه الحياة من حياة أخرى ؟ وغير ذلك من الأسئلة التي لن يجد الإنسان لها جواباً في أيّ دين سوى الإسلام ، فسيعطيه إجابة صادقة مقنعة عن جميع تساؤلاته .

كما أن هذا الإيمان هو الركن الأساسي الذي بدأ الإسلام به في تكوين شخصية المسلم لأنه هو الجذر الأول في بناء شخصيته ، وهو العنصر الأساسي المحرك لعواطفه والموجه لإرادته . ومتى صحت عناصر الإيمان في الإنسان استقامت الأساسيات الكبرى لديه ، وكان أطوع للاستقامة على طريق الحق والخير والرشاد ، وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه وضبطها فيما يدفع عنه الضر والألم والمفسدة ، العاجل من كل ذلك والآجل ، وفيما يجلب له النفع واللذة والمصلحة ، العاجل من كل ذلك والآجل .

إن الإنسان لا يزال في قلقٍ وحيرةٍ واضطرابٍ حتى يسكن بالإيمان ؛ وذلك عندما تخالط بشاشته قلبه ، فيطمئن ويهدأ ويفرح وتلين له جوارحه ، وبالإيمان ينشرح الصدر وينفسح لأن المؤمن واضح الرؤية منصلح البال .

إن إيمان المؤمن وتوكله على الله قد أعطاه قوّة وقرباً من ربه أبطل به سلطان الشيطان ومكره . قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ .

[سورة النحل : ٩٩] . كما أعانه على التكيف مع متقلبات الزمان وكوارد الأحداث ، فمنما عنده

شعور الاحتساب وابتغاء الأجر ، ولم يعيش في حيز الدنيا الصغير ؛ بل فتح له آفاقاً جديدة

(١) انظر : الإيمان لابن تيمية : ٣٦ ، ٣٧ ، شرح العقيدة الطحاوية : ٣٧٥ .

فما العيش إلاّ عيش الآخرة ، هذا في الدنيا .. أمّا في الآخرة فقد أفلح المؤمنون الذين ورثوا الجنة والنّعيم ، وفازوا برضا الربّ الرّحيم (١) .

لماذا خصّ الله ﷻ البرّ في الإيمان بالبرّ في هذه الأمور الخمسة في آية البرّ ؟

خصّ ﷻ البرّ في الإيمان بالبرّ في هذه الأمور الخمسة (٢) - الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین - وجعلها جزءاً من البرّ ، فلا يتحقق البرّ إلاّ ببرّ من أصول الإيمان هذه لأنه دخل تحتها كل ما يلزم أن يصدّق به :

❶ فقد دخل تحت الإيمان بالله : معرفته بأسمائه وصفاته ، وتعظيمه سبحانه وحبّه وتوحيده وعبادته .

❷ ودخل تحت اليوم الآخر : اليقين بالحساب ، والمجازاة على الأعمال ، والجنة والنار وما إلى ذلك .

❸ ودخل تحت الملائكة : ما يتصل بوحي الرسالة إلى النبي ﷺ ليؤديها إلينا ، ودورهم في الكون ، وفي حياة الإنسان وغير ذلك .

❹ ودخل تحت الكتاب : القرآن ، وجميع ما أنزل الله على أنبيائه .

❺ ودخل تحت النبيين : الإيمان بنبوّتهم ، وصحّة شرائعهم ، فهم موكب النور الذي بلّغ رسالة السماء ، جاؤوا بدعوة واحدة ، ولغرض واحد .

فثبت أنه لم يبق شيء مما يجب الإيمان به إلاّ دخل تحت هذه الآية ، كما أنّ للمكلف مبدأً ووسطاً ونهاية ، ومعرفة المبدأ والنهاية هو الأصل والأساس ؛ وهو المراد بالإيمان بالله واليوم الآخر ، وأمّا معرفة مصالح الوسط فلا تتم إلاّ بالرسالة ، وهي لا تتم إلاّ بأمر ثلاثة : الملائكة الآتين بالوحي ، ونفس ذلك الوحي وهو الكتاب ، والموحي إليه وهو الرسول .

(١) انظر : الرّوح لابن القيم : ٢٢١ .

(٢) سأقتصر في فصل الإيمان على إيضاح برّ من آمن بهذه الأمور الخمسة فهي الواردة في آية البرّ .

وقدّم هذا الإيمان على أفعال الجوارح وهي : إيتاء المال ، والصلاة ، والزكاة المذكورين في آية البرّ للتنبية على أن أعمال القلوب أشرف عند الله من أعمال الجوارح ، فلا ينفع يوم القيامة إلا القلب السليم . قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ . [سورة الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] . فالله ﷻ لا ينظر إلى الأعمال ولكن إلى القلوب (١) .

ونحن قد عرفنا البرّ الذي هو جماع الخير .. وسنبداً بالتعرّف على الركن الأوّل من أركان البرّ والأساس الأوّل في عقيدة المسلم .. ألا وهو الإيمان بالله . فكيف يكون برّ من آمن بالله (٢) ؟؟ ...



(١) انظر : التفسير الكبير : ٢ / ٢١٥ .

(٢) قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ... ﴾ قال الألوسي : " الكلام على حذف مضاف ، أي : برّ من آمن ؛ إذ لا يخبر بالجنّة عن المعنى ، ويجوز أن لا يرتكب الحذف ويجعل المصدر بمعنى اسم الفاعل ، أو يقال بإطلاق البرّ على البار مبالغة ، والأوّل أوفق لقوله : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ ﴾ وأحسن في نفسه " اهـ . انظر : روح المعاني : ٢ / ٤٥ .

المبحث الأول

الإيمان بالله - عز وجل -

ابتداءً الله ﷻ أركان البرِّ بذكر الإيمان به ﷻ؛ لأنه أساس كلِّ برٍّ ، ومبدأ كلِّ خير ، وهو أصل لجميع الكمالات العلميَّة والعملية ، فهو يرفع النفوس عن الخضوع والاستعباد لغير الله ويضفي طابعاً ربانياً لكلِّ عمل يقوم به المسلم ، فلولا حبُّ الله لما هانت الصَّعاب ، ولولا مراقبة الله وإحاطته وعلمه سبحانه لما أتقن العمل ، ولا يكون الإيمان أصلاً للبرِّ إلا إذا كان متمكناً في النفس ، ضارباً بجذوره إلى الأرض ، لا تهزُّه ريح ولا يعث به يد عابث ؛ وهذا الإيمان هو الذي ينير لصاحبه الطريق ، ويعينه على كلِّ خير ويشيه عن كلِّ شرِّ .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

بعدما بين سبحانه أن البرِّ ليس في التولِّي قبل المشرق والمغرب ، حقق الحق ، وفصل خصال البرِّ ممَّا لا يختلف باختلاف الشرائع ، فالبرُّ المعهود الذي يستحقُّ أن يهتم بشأنه ، ويجدُّ في تحصيله برُّ من آمن بالله وحده إيماناً بريئاً من شائبة الإشراف ، لا كإيمان اليهود والنصارى والمشركين بقولهم عزير ابن الله ، وقولهم المسيح ابن الله (١) .

إنَّ آية البرِّ قد اشتملت على أمور ، يكون الملتزم بها متصفاً بالبرِّ ، ومنها الإيمان بالله ، فكيفه يكون برِّ من آمن بالله ؟

كلُّ يدعي الإيمان بالله ، ويظن أنه مؤمنٌ قويُّ الإيمان ، ولكن كم لهذا الإيمان من رصيد في مشاعره وتوجَّهه ! وما هو دور هذا الإيمان في تعامله مع تقلُّبات الزمان وأفراد البشر ! فبرُّ من آمن بالله لا يكون بتسايح تُردِّد ، أو ركعات تُؤدِّي .. إنه شعورٌ يتغلغل في أعماق

(١) انظر : حاشية محيي الدين شيخ زادة : ٤٢٩ / ٢ ، تفسير أبي السعود : ١٩٣ / ١ ، روح المعاني : ٤٥ / ٢ .

المؤمن ؛ يستشعر فيه عظمة مولاه وجلاله ، وحكمته وقدرته ، وحبّه وخشيته ، ينطوي على نفسٍ محبّبةٍ مشرقةٍ بنور ربها ، وهذا كله لا يتأتّى إلا بمعرفته برّبّه ، فمن عرف ربّه حق المعرفة استكانت نفسه وفتن لسرّ هذا الوجود .

إذن . لا يتحقّق برٌّ من آمن بالله حتى تكمل معرفته برّبّه .

أنواع معرفة الله :

قسّم ابن القيم^(١) هذه المعرفة إلى نوعين ، وبين أثر هذه المعرفة على سلوك المؤمن فقال :
" معرفة الله سبحانه نوعان :

الأول : معرفة إقرار : وهي التي اشترك فيها الناس ، البرّ والفاجر ، والمطيع والعاصي .
والثاني : معرفة توجب الحياء منه ، والمحبة له ، وتعلق القلب به ، والشوق إلى لقاءه وخشيته والإنابة إليه ، والأنس به ، والفرار من الخلق إليه ، وهذه هي المعرفة الخالصة الجارية على لسان القوم ، وتفاوتهم فيها لا يحصيه إلا الذي عرفهم بنفسه ، وكشف لقلوبهم من معرفته ما أخفاه عن سواهم ، وكلّ أشار إلى هذه المعرفة بحسب مقامه وما كشف له منها وقد قال أعرف الخلق به : " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " (٢) .
اهـ (٣) .

كيف تعرف ربك ؟

إن الله تعالى يدعو عباده في القرآن الكريم إلى معرفته من باين واسعين :

المبادئ الأولى :

باب التفكير والتأمل في آيات القرآن كلّها وتدبّرها ، والفهم الخاص عن الله ورسوله كقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ . [سورة محمد ﷺ : ٢٤] . وقوله عزّ من قائل : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ . [سورة ص : ٢٩] . ومثل هذا كثير في القرآن .

(١) سبق ترجمته ص ٦ .

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٦) : ١ / ٣٥٢ . عن عائشة - رضي الله عنها - .

(٣) الفوائد لابن القيم : ١٧٠ .

إن آيات الكتاب العزيز توجّه أنظار الأبرار إلى معرفة خالقهم عبر صفاته ، فتارة يتجلى الربُّ في صفات الهيبة والعظمة والجلال ، فتخضع الأعناق ، وتخضع الأصوات ، وتارة يتجلى في صفات الجمال والكمال ، فيصبح فؤاد عبده فارغاً إلاّ من محبته ، فلا يتعلّق قلبه بسواه ، وتبقى المحبة له طبعاً لا تكلفاً .

وإذا تجلّى بصفات الرحمة والبرِّ واللفظ والاحسان انبعثت قوّة الرجاء من العبد ، وإذا تجلّى بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة انقمعت النفس الأمارّة . وإذا تجلّى بصفات الأمر والنهي ، والعهد والوصية ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وشرع الشرائع انبعثت منها قوة الامتثال والتنفيذ لأوامره ، والتبليغ لها والتواصي بها .

وإذا تجلّى بصفة السمع والبصر والعلم ، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، وأنه يعلم السر وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، انبعث من العبد قوة الحياء ، فيستحي أن يراه ربُّه على ما يكره ، فتبقى حركاته وأقواله وخواطره موزونة بميزان الشرع ، غير مرسلّة تحت حكم الطبيعة والهوى . وإذا تجلّى بصفات الكفاية والحسب والقيام بمصالح العباد ، وسوق أرزاقهم اليهم ، ودفع المصائب عنهم ، ونصره لأوليائه وحمايته لهم ومعيتته الخاصة لهم انبعثت من العبد قوّة التوكل عليه ، والتفويض إليه والرضا به . وإذا تجلّى بصفات العزِّ والكبرياء انكسرت نفسه المطمئنة ، وتذلّت لعظمته وعزّته وخضعت لكبريائه ، وخشع القلب والجوارح له ، فتعلوه السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته ، ويذهب طيشه وقوّته وحدّته ، وهكذا يكون إيمان الأبرار .. خضوع وخشوع .. امتثال وتسليم .. حياء ومراقبة لله .. توكل ورضا .. انكسار وتذلل وافتقار إلى العزيز الغالب (١) .

الباب الثاني :

التفكّر في آياته المشهودة في الكون وفي الإنسان ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٠] . وقوله سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ

(١) الفوائد : ٦٩ ، ٧٠ ، مفتاح دار السعادة لابن القيم : ٢ / ٩٠ . بتصريف .

كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١١﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١٢﴾ . [سورة الغاشية : ١٧ - ٢٠] . وهو كثيرٌ أيضاً .
فالنَّظَرُ فِي الْمَخْلُوقِ يَدُلُّ عَلَى صِفَاتِ الْخَالِقِ ﷻ ، فَتَأْمَلُ مَا فِي الْكُونِ مِنَ الْحُكْمِ وَالغَايَاتِ
الْمَحْمُودَةِ دَالٌّ عَلَى حِكْمَتِهِ تَعَالَى ، وَمَا فِيهِ مِنَ النِّفَعِ وَالْخَيْرِ دَالٌّ عَلَى رَحْمَتِهِ ، وَمَا فِيهِ مِنَ
الْبَطْشِ وَالْإِنْتِقَامِ دَالٌّ عَلَى غَضَبِهِ ، وَمَا فِيهِ مِنَ التَّكْرِيمِ وَالرَّفْعَةِ دَالٌّ عَلَى مَحَبَّتِهِ ، وَمَا فِيهِ مِنَ
الْإِهَانَةِ وَالْحِذْلَانِ دَالٌّ عَلَى بَغْضِهِ وَمَقْتِهِ ، وَمَا فِيهِ مِنَ ابْتِدَاءِ الشَّيْءِ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ وَالنَّقْصِ
ثُمَّ شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ ثُمَّ نَهَايَتِهِ دَالٌّ عَلَى وَقُوعِ الْمَعَادِ .. وَهَكَذَا .

إِنَّ الْعِلْمَ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ عَلَيْهِ مَدَارُ الْعِبَادَةِ كُلِّهَا ، فَالْأَبْرَارُ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ حَقَّ الْإِيمَانِ
تَسْتَشْعِرُ قُلُوبُهُمْ كُلَّ اسْمٍ وَصِفَةٍ لِلَّهِ ﷻ ؛ فَتَثْمُرُ إِيْمَانًا خَالِصًا وَعِبَادَةً حَقَّةً لِلَّهِ ، وَبِرٌّ مِنْ آمَنَ
بِاللَّهِ يَتَحَلَّى فِي تَفَاعُلِ نَفْسِهِمْ مَعَ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَا .
وَجَمَاعَ ذَلِكَ التَّفَكُّرُ وَالتَّأْمَلُ وَالنَّظَرُ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيْمِ (١) قَائِلًا :

" وَجَمَاعَ ذَلِكَ الْفَقْهُ فِي مَعَانِي أَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَجَلَالِهَا وَكَمَالِهَا وَتَفَرُّدِهِ بِذَلِكَ ، وَتَعَلُّقِهَا
بِالْخَلْقِ وَالْأَمْرِ ؛ فَيَكُونُ فَقِيهًا فِي أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ، فَقِيهًا فِي قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ ، فَقِيهًا فِي أَسْمَائِهِ
وَصِفَاتِهِ ، فَقِيهًا فِي الْحُكْمِ الدِّينِيِّ الشَّرْعِيِّ وَالْحُكْمِ الْكُونِيِّ الْقَدْرِيِّ ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " . اهـ (٢) .

ثُمَّ يَتَّبِعُ ذَلِكَ أَصْلَانِ عَظِيمَانِ :

أحدهما : معرفة طريق الوصول إلى الله ، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه .

الثاني : تعريف المؤمنين ما لهم بعد الوصول إليه من الخلود الأبدي في النعيم المقيم .

فأعرف الناس بالله : اتبعهم لهدي كتابه وسنة نبيه ﷺ ، وأعرفهم بحال المتقين الأبرار عند
القدوم عليه (٣) .

قال الشيخ محمود شلتوت (٤) : " إيمان الله في ربوبيته ، في عبادته ، في وحدانيته ، في
اعتقاده أنه هو وحده النافع الضار ، الرافع الخافض ، المعز المذل ، القابض الباسط ، القاهر
فوق عباده ، الذي لا تغنو الوجوه إلا له ، ولا تتجه القلوب إلا إليه ، هذا الإيمان بالإله

(١) سبق ترجمته ص ٦ .

(٢) الفوائد : ١٧٠ . بتصرف .

(٣) انظر : الصواعق المرسله لابن القيم : ١ / ١٥١ ، ١٥٢ .

(٤) سبق ترجمته ص ٢٣ .

وعظمة الإله هو الذي يرفع النفوس إلى مكانة التكريم والسمو التي أرادها للإنسان ، هو الذي يصون المرء عن الذلة والاستكانة لشيء ما ، هو الذي يعصمه عن التورط والزلل ، هو الذي يجعل من نفسه عليه رقيباً ، لا يغيب ولا يخادع ولا يجهل ، هو نبراس الهداية في جميع نواحي الحياة " . اهـ (١) .

إنَّ المؤمن بالله حقَّ الإيمان ، العارف برَّبِّه ، ليطيب عيشه وتسكن نفسه ، فقد تعلَّق قلبه بخالقه ، وعرف طريق السعادة والهناء ، فلا طمأنينة ولا راحة إلاَّ مع الله ، قد فوَّض أمره لمولاه ولم يركن لمخلوق ، لعلمه أنَّ الله هو الحيُّ القيُّوم مدبِّر هذا الكون ، وأنَّه أرحم عباده من الوالدة بولدها .

قال ابن الجوزي (٢) : " ليس في الدنيا ولا في الآخرة أطيَّب عيشاً من العارفين بالله ﷻ فإنَّ العارف برَّبِّه مستأنسٌ به في خلوته .

فإنَّ عمَّت نعمة علم من أهداها ، وإن مرَّ مرُّ حلاً مذاقه في فيه لمعرفته بالمبتلي ، وإن سأل فتعوق مقصوده صار مراده بما جرى به القدر ، علماً منه بالمصلحة بعد يقينه بالحكمة وثقته بحسن التدبير . وصفة العارف : أن قلبه مراقبٌ لمعرفه ، قائمٌ بين يديه ، ناظرٌ بعين اليقين إليه ، فقد سرى من بركة معرفته إلى الجوارح ما هذبها " . اهـ (٣) .

ولا يذوق المؤمن حلاوة الإيمان حتى يكون الله ورسوله أحبَّ إليه من كلِّ شيء ، ويؤثر أمرهما على كلِّ شيء . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ . [سورة التوبة : ٢٤] .

(١) تفسير القرآن الكريم : ٨٢ / ١ .

(٢) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، الحنبلي ، من ولد الإمام أبي بكر الصديق ﷺ ، ابن الجوزي ، أبو الفرج : الواعظ ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير والحديث والفقہ والوعظ والزهد والتاريخ وغير ذلك ، قال الذهبي : كان مبرزاً في التفسير وفي الوعظ وفي التاريخ ، ومتوسطاً في المذهب ، وفي الحديث له إطلاع تام على متونه ، وأما الكلام على صحيحه وسقيمه فما له فيه ذوق المحدثين ولا نقد الحفاظ المبرزين ، ونسبته إلى " مشرعة الجوز " من محالها ، له ثلاث مائة مصنف منها : تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار ، وتلبس إبليس ، والحمقى والمغفلين ، وزاد المسير في علم التفسير ، وصيد الخاطر وصفة الصفة ، والمنتظم في التاريخ ، والموضوعات ، ت سنة ٥٩٧ هـ . أنظر : وفيات الأعيان : ٣ / ١٤٠ ، البداية والنهاية : ٢٩ / ١٣ ، طبقات المفسرين : ٦١ / ١ .

(٣) صيد الخاطر لعبد الرحمن بن علي (ابن الجوزي) : ٢١٠ ، ٢١١ .

إن من رُزق معرفة الله تعالى اطمأن قلبه ، وبعدت عن نفسه الهواجس ، فلا يبطر بنعمة ولا تؤيسه النّعمة ، قال تعالى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ . [سورة الحديد : ٢٣] . وإذا دعا فلم ير أثر استجابة فلا يعترض ، لأنه عبدٌ مملوك ، ومولاه أعلم بما يصلحه ؛ بل يسلم ويتيقن أن الخير كل الخير فيما يختاره له ربه ، وأن دعاءه سيُدّخر له ويوفى به عاجلاً أم آجلاً .

إن المؤمن يحذر المعاصي ويتوقاها ، لكنه إن زلَّ عرف أن له رباً رحيماً يقبل التوبة عن عباده فبادر إلى التوبة والإنابة ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٣٥] . إن سكت ففكره عبادة ، وإن تكلم فيما يرضي الله ، أنسه بربه قد ملأ جوانب روحه فلا يسكن لشيء سواه .

وما ذكرته من حال المؤمن مع ربه إن هو إلا غيض من فيض ، فالأبرار لهم شأن عظيم مع خالقهم ؛ فهم المقربون الذين تسابقوا في الخيرات لابتغاء مرضاته .

والقرآن الكريم يذكر لنا الإيمان بالله كثيراً ، وإنما المراد آثار هذا الإيمان في نفس المؤمن وفي عمله ، والتي شرحها في آيات كثيرة ومن أجمعها آية البرِّ ، فالإيمان بالله شعورٌ متيقظٌ وقلبٌ مليءٌ بالرضا والتسليم لأمر الله ، وعملٌ بإخلاص وحبٌ للناس ، وتشوقٌ للجنان وإلى لقاء الله الذي أحبيناه (١) .



(١) انظر : تفسير المنار : ٢ / ١١١ - ١١٣ .

المبحث الثاني

الإيمان باليوم الآخر

إنَّ الأبرار يؤمنون باليوم الآخر في يقين ؛ فهو النهاية والمصير ، وفيه يُكرم المرء أو يهان وإنَّ الله ﷻ علَّق البرَّ بالإيمان بالله واليوم الآخر من أوَّل الأمر في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] . عقيب نفيه عن التوجُّه إلى المشرق والمغرب ، وذلك فيه من الجزالة ما لا يخفى ؛ كأنه قيل : ولكن البرُّ هو التوجُّه إلى المبدأ والمعاد ؛ أي البداية والمصير . ولما كان الإيمان باليوم الآخر متفرِّعاً على الإيمان بالله ومحركاً وداعياً إلى الانقياد لله في جميع ما أمر به ونهى عنه خوفاً وطمعاً ذكر الإيمان به عقيب الإيمان بالله ، فالأوَّل مُبرأ عن الأنداد ، وهذا مُبعد عن أذى العباد (١) .

الإيمان باليوم الآخر :

هو الإيمان (٢) بكلِّ ما أخبر به الله ﷻ في كتابه العزيز ، أو جاء على لسان نبيِّنا محمَّد ﷺ عن ذلك اليوم وما يحدث فيه بما في ذلك (الساعة وعلاماتها ، القبر ونعيمه وعذابه والصراط ومحتته ، والصحف وتطاييرها ، والميزان وانتصابه ، والجنَّة ونعيمها ، والنَّار وعذابها) (٣) .

إنَّ قضية البعث والحساب والجزاء في الدار الآخرة من قضايا الإيمان الأساسية التي جاء بها الإسلام ؛ والتي يقوم عليها بناء هذه الإيمان بعد قضية وحدانية الله ؛ فكثيراً ما يقرن الله

(١) انظر : الكشاف : ١٥٧ / ١ ، تفسير البيضاوي : ١٢٦ / ١ ، حاشية محيي الدين شيخ زادة : ٤٢٩ / ٢ ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٣٢٣ / ١ ، تفسير أبي السعود : ١٩٣ / ١ ، تفسير القاسمي المسمَّى (محاسن التأويل) لمحمد جمال الدين القاسمي : ٣٨ / ١ .

(٢) سبق تعريف الإيمان في ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) وأدلة ذلك لا يتسع المقام لها هنا . انظر : شرح العقيدة الطحاوية : ١٤٢ / ٢ .

ﷻ بين الإيمان به تعالى والإيمان باليوم الآخر ؛ الإيمان بالمبدأ والمعاد ؛ لأنه من لم يؤمن باليوم الآخر لا يمكن أن يؤمن بالله ، إذ أن الذي لا يؤمن باليوم الآخر لن يعمل ، لأنه لا يعمل إلا لما يرجوه من الكرامة في اليوم الآخر ، وما يخافه من العذاب والعقوبة ، فإذا كان لا يؤمن به صار كمن حكى الله عنهم : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ . [سورة الجاثية : ٢٤] .

سبب تسميته باليوم الآخر :

الآخرة : في الأصل تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأول ؛ وهي صفة الدار ، بدليل قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾ . [سورة القصص : ٨٣] .

سميت بذلك : لأنها متأخرة عن الدنيا ، أو لأن الدنيا تقدمتها .

وقيل : سميت آخرة لأنها نهاية الأمر .

وقد يجوز أن تكون سميت آخرة : لتأخرها عن الخلق ، كما سميت الدنيا " دنيا " لدنوها من الخلق (١) .

وقال الثعالبي (٢) :

" وسمى الله تعالى يوم القيامة (اليوم الآخر) : لأنه لا ليل بعده ، ولا يقال يوم إلا لما تقدمه ليل " . اهـ (٣) .

(١) انظر : تفسير الطبري : ١ / ١٠٥ ، تفسير البغوي : ١ / ٤٨ ، زاد المسير : ١ / ٢٦ ، التفسير الكبير : ١ / ٢٧٨ ، تفسير القرطبي :

١ / ١٨٠ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٤٤ ، محاسن التأويل : ١ / ٣٨ .

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري ، أبو زيد : مفسر ، من أعيان الجزائر ، زار تونس والمشرق . من كتبه : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، والأنوار : في المعجزات النبوية ، وروضة الأنوار ونزهة الأخيار ، وجامع الأمهات في أحكام العبادات والذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز ، والإرشاد في مصالح العباد ، ورياض الصالحين ، العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة .

ت سنة ٨٧٥ أو ٨٧٦ هـ . انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني : ٥ / ٢٧٩ ، ٤٢٥ .

كشف الظنون : ٢ / ١١٦٣ ، الأعلام : ٣ / ٣٣١ .

(٣) تفسير الثعالبي : ١ / ٣٢ .

بَرَّ مَنْ آمَنَ بِالْآخِرَةِ :

إِنَّ الْأَبْرَارَ يُمْنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي يَقِينٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ، قَالَ تَعَالَى فِي صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٤] . وَيَتَفَكَّرُونَ دَوْمًا فِي مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ فِتْنَةِ قَبْرِ وَحِسَابِ وَجْزَاءٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٩ ، ٢٢٠] . وَيَحْذَرُونَ وَيَخَافُونَ الْآخِرَةَ وَعَذَابَهَا وَزَقِيمَهَا وَصِدِيدَهَا ؛ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ رَبِّهِمْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءِإِنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [سورة الزمر : ٩] . وَالْأَبْرَارُ الْمُتَّقُونَ يَشْتَاقُونَ لِلِقَاءِ اللَّهِ وَالْجَنَّةِ ، وَتَهْفُو أَنْفُسُهُمْ لِلْقُصُورِ وَالْحُورِ وَالْحَرِيرِ وَالِاسْتَبْرَقِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾ [سورة العنكبوت : ٥] . وَقَالَ ﷺ : " مِنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ " (١) .

أَوَّلًا : الْيَقِينُ بِالْآخِرَةِ :

اليقين لغة واصطلاحاً :

اليقين لغة :

مصدر قولهم : (يقن) ، واليقن واليقين : زوال الشك ، يقال : يقنت ، واستيقنت وأيقنت (٢) .

قال ابن منظور (٣) : " اليقين هو العلم وإزاحة الشكِّ وتحقيق الأمر . يقال من ذلك : أيقن يُوقِنُ إيقاناً فهو موقِنٌ ، و يقن يقن يقناً فهو يقِنٌ ، واليقين : نقيض الشكِّ ، والعلم نقيض

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الرقائق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (٦١٤٣) : ٥ / ٢٣٨٦ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (٢٦٨٣) : ٤ / ٢٠٦٥ . كلاهما عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

(٢) المقاييس ، كتاب الباء ، باب الباء وما بعدها مما جاء على ثلاثة أحرف (مادة : يقن) : ١١١٠ .

(٣) هو محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفرقي ، صاحب " لسان العرب " : الإمام اللغوي الحجة . من نسل رويغ بن ثابت الأنصاري ، وعنده تشيع بلا رفض ، ولد بمصر (وقيل : في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ، ثم ولي القضاء في طرابلس ، وعاد إلى مصر وتوفي فيها سنة ٧١١هـ . وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد . وعمي في آخر عمره . وقال الصفدي : لا أعرف في كتب الأدب شيئاً إلا وقد اختصره . أشهر كتبه : لسان العرب في اللغة السدي =

الجهل ، تقول علمته يقيناً أي : علماً لا شك فيه ، وفي التزليل العزيز : ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ [سورة الحاقة : ٥١] ، أضاف الحق إلى اليقين لأنه غيره ، إنما هو خالصه وأصحُّه ، فصار بمنزلة إضافة البعض إلى الكل ، واليقين هو الموت في قوله تعالى : ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [سورة الحجر : ٩٩] . وإنما صارت الياء واواً في قولك : " موقن " للضمة قبلها ... وربما عبّروا بالظن عن اليقين ، وباليقين عن الظن " اهـ (١) .

اليقين اصطلاحاً :

قال الراغب (٢) :

" اليقين هو سكون الفهم مع ثبات الحكم " (٣) .

وقال المناوي (٤) : " هو اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقاً للواقع غير ممكن الزوال " (٥) .

وعند الرجوع إلى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٤] . يتبين لنا أن اليقين هو العلم بالشيء علماً متمكناً في النفوس - واليقين أعلى درجات العلم - ، وهو ما حصلت به الثقة وتلج به الصدر ، وهو أبلغ علم مكتسب (٦) .

= جمع فيه بين التهذيب والحكم والصحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية ، ومن كتبه : مختار الأغاني ، ومختصر مفردات ابن البيطار ، وأخبار أبي نواس ، ولطائف الذخيرة ، واختصار كتاب الحيوان للمحافظ وغير ذلك . انظر : الدرر الكامنة : ٦ / ١٥ ، أبعاد العلوم : ٣ / ١٠ - شذرات الذهب : ٣ / ٢٦ ، كشف الظنون : ١ / ١٢٩ .

(١) لسان العرب (مادة : يقن) : ١٣ / ٤٥٧ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٣ .

(٣) المفردات (مادة : يقن) : ٥٥٣ .

(٤) هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ، زين العابدين : من كبار العلماء بالدين والفنون . انزوى للبحث والتصنيف ، وكان قليل الطعام كثير السهر ، فمرض وضعفت أطرافه ، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تأليفه . له نحو ثمانين مصنفاً ، منها الكبير والصغير ، والتام والناقص . عاش في القاهرة ، وتوفي بها سنة ١٠٣١ هـ . من كتبه : التوقيف على مهمات التعاريف ، واليوافق والدرر ، وآداب الأكل والشرب ، وتاريخ الخلفاء ، والصفوة ، وإحكام البلاغة وكنوز الحقائق وغير ذلك . انظر : كشف الظنون : ١ / ٧١ ، ٤٠٨ ، الأعلام : ٦ / ٢٠٤ .

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي : ١ / ٧٥٠ .

(٦) انظر : زاد المسير : ١ / ٢٧ ، التفسير الكبير : ١ / ٢٧٨ ، تفسير الثعالبي : ١ / ٣١ .

قال الزمخشري (١) :

" والإيقان إيقان العلم بانتفاء الشكّ والشبهة عنه " اهـ (٢) .

وروى الإمام الطبري (٣) عن ابن عباس (٤) رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .
أي : بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، أي لا هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان قبلك ويكفرون بما جاءك من ربك (٥) .

والسرُّ في تقدم ﴿ وَبِالْآخِرَةِ ﴾ - وهي الصلة - على ﴿ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ وحقها التأخير تعريض لمن عداهم من أهل الكتاب الذين لا يوقنون بالآخرة ، واليقين إيقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظراً واستدلالاً ، فأهل الكتاب يدعون الإيمان باليوم الآخر ، ويقولون إنَّ الدار الآخرة لهم خالصة من دون الناس ، ولقد كذب الله قولهم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿١٥٦﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٥٧﴾ . [سورة البقرة : ٩٤ ، ٩٥] . فإنهم لو كانوا على يقين

(١) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم : النحوي ، اللغوي ، الحنفي ، المتكلم ، المفسر ولد في زمخشتر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله . وتقل في البلدان ، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها . أشهر كتبه : الكشاف : في تفسير القرآن ، وأساس البلاغة ، والمفصل ، والمقامات ، والجالال والأمكنة والمياه وأطواق الذهب ، ونوايغ الكلم وغير ذلك . وكان معتزلي المذهب ، مجاهراً ، شديد الإنكار على المتصوفة ، ت سنة ٥٣٨ هـ . انظر : وفيات الأعيان : ١٦٨ / ٥ ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ١ / ٢٢٠ ، النجوم الزاهرة : ٥ / ٢٧٤ ، طبقات المفسرين ١ : ١٢٠ / ١ .

(٢) الكشاف : ١٥٧ / ١ .

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، الشافعي ، أبو جعفر : المؤرخ المفسر الإمام . ولد في آمل طبرستان ، واستوطن بغداد وتوفي بها وعرض عليه القضاء فامتنع ، والمظالم فأبى . له : أخبار الرسل والملوك ويعرف بتاريخ الطبري ، وجامع البيان في تفسير القرآن ويعرف بتفسير الطبري ، واختلاف الفقهاء ، والمسترشد ، وجزء من الاعتقاد ، والقراءات وغير ذلك . وهو من ثقات المؤرخين ، قال ابن الأثير : أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير ، وكان مجتهداً في أحكام الدين ولا يقلد أحداً . ت سنة ٣١٠ هـ انظر : طبقات الفقهاء : ١٠٢ / ١ ، سير أعلام النبلاء : ١٤ ، ٢٦٧ ، البداية والنهاية : ١١ / ١٤٥ ، طبقات الحفاظ لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : ١ / ٣١٠ .

(٤) صحابي جليل : انظر : ص ٢٧ .

(٥) تفسير الطبري : ١ / ١٠٦ ، وقاله القرطبي وابن كثير والشوكاني ، انظر : تفسير القرطبي : ١ / ١٨٠ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٤٤

فتح القدير : ١ / ٣٦ .

باليوم الآخر لاستعدوا له ، ولكنهم أسرفوا على أنفسهم فلم يتمتوا الموت (١) .
 وشَّتَان بين حياة الموقن بالآخرة وغير الموقن ، فالأبرار نفوسهم راضية رحبة ، إن لم تجد ما
 تتمناه في الدنيا رضيت بقضاء الله وانتظرت موعود الله ، فلا يصيبها ضجرٌ ولا ملل ، لأنها
 أيقنت بالآخرة ، أمَّا غير الموقن فهو دائم التآفف والاعتراض ، وكأنه ينظر إلى الدنيا من
 ثقب إبرة ، قال سيّد قطب (٢) في هذا :

" اليقين بالآخرة هو مفرق الطريق بين من يعيش بين جدران الحس المغلقة ، ومن يعيش في
 الوجود المديد الرحيب .. بين من يشعر أن حياته على الأرض هي كل ماله في هذا الوجود
 ومن يشعر أن حياته على الأرض ابتلاء يمهد للجزاء ، وأن الحياة الحقيقية إنما هي هنالك
 وراء هذا الحيز الصغير المحدود " . اهـ (٣) .

إنَّ الله امتدح المتقين على كونهم متيقنين بالآخرة ، وهذا المدح لهم ليس لتيقنهم بوجود
 الآخرة فقط ، فلا يستحقون المدح إلاَّ مع يقينهم بما فيها من الحساب ، والسؤال ، وإدخال
 المؤمنين الجنة ، والكافرين النار ، وكان هذا اليقين دافعاً لهم للاستعداد لذلك اليوم
 العصيب .

واليقين يزيد المسلم من ربه قرباً وحباً ورضى ؛ فهو لبُّ الدِّين ومقصوده الأعظم ، والأبرار
 أكثر عباد الله خضوعاً واستكانة لمولاهم ، فاليقين يورثهم التوكُّل على الله والزُّهد فيما عند
 الناس ، كما يكسبهم العزّة والرّفعة ويباعدهم عن مواطن الذلة والضّعة ، ويضعهم دائماً في
 موضع الإخلاص والصدق ، فهو ضابطٌ قويٌّ يضبط العلاقة بين المسلم وربّه ، ويجعلها تلتزم
 خط السّلامة والأمان حتى يصل إلى دار الرّضوان .

(١) انظر : الكشف : ١ / ١٥٧ ، تفسير البيضاوي : ١ / ١٢٦ ، تفسير أبي السعود : ١ / ١٩٣ ، محاسن التأويل : ١ / ٣٨ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٩ .

(٣) الظلال : ١ / ٤١ .

ثانياً : التفكير في الآخرة :

التفكير لغة واصطلاحاً :

التفكير لغة :

التفكير مأخوذ من مادة (ف ك ر) التي تدل على تردد القلب في الشيء ، يقال : تفكر إذا ردد قلبه معتبراً ، ورجل فكّير : كثير الفكر . والفكر : إعمال الخاطر في الشيء .

قال سيّويه^(١) : ولا يجمع الفكر . وحكى ابن دُرَيْد^(٢) في جمعه أفكاراً . و الفكرة : كالفكر ، وقد فكّر في الشيء وأفكر فيه وتفكّر . بمعنى ، والتفكر اسم التفكير .

التفكير اصطلاحاً :

قال الجرجاني^(٣) : " هو تصرف القلب في معاني الأشياء لإدراك المطلوب ، وسراج القلب يرى به خيره وشره ومنافعه ومضاره ، وكلُّ قلبٍ لا تفكّر فيه فهو في ظلماتٍ يتخبّط .

وقيل : هو إحضار ما في القلب من معرفة الأشياء . وقيل : هو تصفية القلب بموارد الفوائد وقيل : فناء الدنيا وزوالها وميزان بقاء الآخرة ونوالها " . اهـ^(٤) .

(١) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري ، الحارثي بالولاء ، أبو بشر ، الملقب سيّويه : إمام النحاة ، وأول من بسط علم النحو . ولد في إحدى قرى شيراز ، وقدم البصرة ، فلزم الخليل بن أحمد ففاه . وصنف كتابه المسمى : (كتاب سيّويه) في النحو لم يصنع قبله ولا بعده مثله . ورحل إلى بغداد ، فناظر الكسائي . وأجازته الرشيد بعشرة آلاف درهم . وعاد إلى الأهواز فتوفي بها . وقيل : وفاته وقبره بشيراز . وكان في لسانه حبسة . و " سيّويه " بالفارسية رائحة التفاح . وكان أنيقاً جميلاً ، توفي شاباً . وفي مكان وفاته والسنة التي مات بها خلاف . والراجح : ت سنة ١٨٠ هـ . انظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٤٦٣ ، سير أعلام النبلاء : ٨ / ٣٥١ البداية والنهاية : ١٠ / ١٧٦ ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ١ / ١٦٣ .

(٢) هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، من أزد عمان من قحطان ، أبو بكر : من أئمة اللغة والأدب . كانوا يقولون : ابن دريد أشعر العلماء وأعلم بالشعراء ، وهو صاحب " المقصورة الدريدية " ، ولد في البصرة سنة ٢٢٣ هـ ، وانتقل إلى عمان فأقام اثني عشر عاماً وعاد إلى البصرة ، ثم رحل إلى نواحي فارس ، فقلده " آل ميكال " ديوان فارس ومدحهم بقصيدته " المقصورة " ثم رجع إلى بغداد واتصل بالمقتدر العباسي فأجرى عليه في كل شهر خمسين ديناراً ، فأقام إلى أن توفي سنة ٣٢١ هـ ، من أشهر مصنفاته : الاشتقاق : في الأنساب ، والمقصود والمدود وشرحه ، والجمهرة في اللغة ، والمجتبى ، والأمالى وغير ذلك من المصنفات . انظر : تاريخ بغداد لأحمد بن علي الخطيب البغدادي : ٢ / ١٩٥ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٣٢٣ ، سير أعلام النبلاء : ١٥ / ٩٦ ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ١٩٣ / ١ .

(٣) هو السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني ، أبو الحسن ، وقيل : علي بن علي بن حسين ، ذو التصانيف السائرة ، له كتاب : التعريفات ، ومختصر جامع لمعرفة علوم الحديث ، ت بشيراز سنة ٨١٥ هـ ، وله ٧٧ سنة . انظر : كشف الظنون : ١ / ٤٢٢ البدر الطالع : ١ / ٤٨٨ ، أبعاد العلوم : ٣ / ٦٠ ، الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتاني : ٢١٧ ، وذكر أن العيني أرّخه سنة ٨١٤ هـ والأول أصح .

(٤) التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني : ٨٨ .

حقيقة التفكير :

مبدأ الخير والشرِّ التفكير ، فإنَّ أصل كلِّ شيء فكرةٌ ثمَّ تتطور حتى تنفذ على أرض الواقع ومن سلّم له فكره ، وتوجّه توجّهاً سليماً صلح سلوكه وعمله ، وأنفع الفكر الفكر في خير الآخرة والمعاد وطرق الفوز فيها ، وفي سوء العاقبة في الآخرة وطريق النجاة منها فهذه أربعة أفكار هي أجلُّ الأفكار ، يليها أربعة : فكر في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها وفكر في مفاسد الدنيا وطرق الاحتراز منها ، فعلى هذه الأقسام الثمانية دارت أفكار العقلاء .

والأبرار يتفكّرون في الآخرة وشرفها ودوامها ، وفي الدنيا وخستها وفنائها ، ممّا يثمر عندهم الرغبة في الآخرة والزهّد في الدنيا ، وهم يفكرون في قصر الأمل وضيق الوقت فيورثهم ذلك الجدّ والاجتهاد وبذل الوسع في اغتنام الوقت ، وهذه الأفكار تعلي همّتهم وتحييها بعد موتها وسفولها ، وتجعلهم في وادٍ والناس في وادٍ^(١) . قال ابن عباس^(٢) رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ . [سورة البقرة : ٢١٩ ، ٢٢٠] : يعني في زوال الدنيا وفنائها ، وإقبال الآخرة وبقائها .

وقال الحسن^(٣) : هي والله لمن تفكّر فيها ليعلم أنّ الدنيا دار بلاء ثمّ دار فناء ، وليعلم أنّ الآخرة دار جزاء ثمّ دار بقاء ، وهكذا قال قتادة^(٤) وغيره . وقال قتادة : لتعلموا فضل الآخرة على الدنيا ، وفي رواية عن قتادة : فآثروا الآخرة على الأولى^(٥) .

(١) انظر : الفوائد : ٢٥٥ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٢٧ .

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن ، واسم أبي الحسن يسار ، البصري ، أبو سعيد : تابعي ، كان إمام أهل البصرة وحرير الأمة ، وهو أحد العلماء الفقهاء العظاماء الشجعان النساك ، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ ، وشب في كنف علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية وسكن البصرة ، له مع الحجاج بن يوسف مواقف ، توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٧ / ١٥٦ ، حلية الأولياء : ٢ / ١٣١ ، صفة الصفوة : ٣ / ٢٣٣ ، وفيات الأعيان : ١ / ٢٥٤ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٥) انظر : تفسير الطبري : ٢ / ٣٦٨ ، تفسير البغوي : ١ / ١٩٤ ، الكشاف : ١ / ٤٣٠ ، زاد المسير : ١ / ٢٤٣ ، تفسير البيضاوي : ١ / ٥٠٦ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٢٥٧ ، تفسير الثعالبي : ١ / ١٦٩ ، الدر المنثور : ١ / ٦١١ ، فتح القدير : ١ / ٢٢٣ ، محاسن التأويل : ٣ / ٢١٥ .

قال الغزالي (١) : " العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة ؛ فإنها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء ، أو نار ، أو غيرهما عبرة ؛ فإن نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد ، وإن نظر إلى صورة مروعة تذكر منكراً ونكيراً والزبانية ، وإن سمع صوتاً هائلاً تذكر نفخة الصور ، وإن رأى شيئاً حسناً تذكر نعيم الجنة ، وإن سمع كلمة رداً أو قبول تذكر ما ينكشف له من آخر أمره بعد الحساب من رداً أو قبول ، وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا ، فإذا نسب مدة مقامه في الدنيا إلى مدة مقامه في الآخرة استحققر الدنيا إن لم يكن أغفل قلبه ، وأعميت بصيرته " . اهـ (٢) .

العلاقة بين التذكر والتفكير :

التذكر فوق التفكير ؛ لأن التفكير طلب والتذكر وجود ، والتذكر " تفعل " من الذكر الذي هو ضد النسيان ، وهو حضور صورة المذكور في القلب الذي غاب عنه بالنسيان ، فإذا تذكره وجدته فظفر به . واختير له بناء " التفعل " لحصوله بعد مهلة وتدرج ، كالتبصر والتفهم ، والتعلم (٣) .

(١) هو محمد بن محمد الغزالي ، أبو حامد : الإمام الفقيه المتكلم الفيلسوف ، الصوفي ، الأصولي ، حجة الإسلام ، ولد سنة ٤٥٠ هـ بطوس ، توفي أبوه وهو طفل صغير ، وكان قد عهد به إلى متصوف ، ودرس على أحمد الراذكاني وإمام الحرمين الجويني وغيرهما ، قصد بغداد فولاه نظام الملك التدريس بالنظامية سنة ٤٨٤ هـ ، ثم خرج من بغداد هائماً في سبيل الحقيقة ، فذهب إلى الشام والقدس محتلياً معتزلاً ناسياً للأهل والوطن . ثم عاد بعد تطوافه إلى طوس إلى أن توفي بها سنة ٥٠٥ هـ . مؤلفاته كثيرة ومشهورة ومتداولة لتنوعها ونسبت إليه كتب كثيرة وهي منحولة عليه . من مؤلفاته : المستصفى ، والمنحول ، والوجيز ، وإحياء علوم الدين ، القسطاس المستقيم ميزان العمل وغير ذلك . انظر : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لعبد الرحمن بن علي ابن الجوزي : ٩ / ١٦٨ ، طبقات الشافعية الكبرى : ٦ / ١٩١ ، النجوم الزاهرة : ٥ / ٢٠٣ ، شذرات الذهب : ٢ / ١٠ .

(٢) إحياء علوم الدين لمحمد بن محمد (أبو حامد الغزالي) : ١ / ١٣٩ .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم : ١ / ٤٤٠ . بتصرف يسير .

تفكر يثمر استعداداً واهمياً :

التفكر في الآخرة هو حضور صورة الموت وأهواله وما بعده في القلب ، وانعكاسها على الجوارح سلوكاً ، فالعاقل من أخذ العدة لرحيله ؛ فإنه لا يعلم متى يفجؤه أمر ربه ولا يدري متى يستدعى ؟

فلأبرار ليسوا من هؤلاء الناس الذين يغرهم الشباب ، وينسون فقدان الأقران ، ويلههم طول الأمل ، أو ممن يشتغلون بالعلم ويتركون العمل ، فيتساهلون في الزلل بحجة الراحة ، ويؤخرون الأهبة لتحقيق التوبة ، ولا يتحاشون من غيبة أو سماعها ، ومن كسب شبهة يأملون أن يمحوها بالورع ، أو ينسون أن الموت قد ييغتهم ؛ فهم يعطون كل لحظة حقها من الواجب عليهم ، فإن بغتهم الموت كانوا سعداء ، وإن نالوا الأمل ازدادوا خيراً .

إن الأبرار يعلمون أن الموت يقطعهم عن العمل ، فهم يعملون في حياتهم ما يدوم لهم أجره بعد موتهم ؛ فإن كان لهم شيء من الدنيا ، وقفوا وقفاً ، وغرسوا غرساً ، وأجروا نهراً ويسعون في تحصيل ذرية تذكّر الله بعدهم فيكون الأجر لهم ، أو أن يصنفوا كتاباً من العلم فإن تصنيف العالم ولده المخلد ، فالمؤمن التقي العامل بالخير العالم فيه ينقل من فعله ما يقتدي الغير به ، فذلك الذي لم يمّت (١) .

إن الأبرار بتفكرهم في الآخرة وتذكّرهم للموت يمهّدون الطريق إلى رضوان الله ومحبته فتشرح بذلك صدورهم وتسكن قلوبهم ، إن التفكر يورث الخوف والخشية من الله ﷻ ويورث الحكمة ويحيي القلوب ، كما أن تذكّر الموت يدفع المرء إلى الحياء من الله فلا يقارف المعصية ، وهذا هو حال الأبرار .

(١) انظر : صيد الخاطر : ٦١ ، ٦٢ .

ثالثاً : الحذر والخوف من الآخرة :

الحذر والخوف لغة واصطلاحاً :

الحذر لغة :

الحياء والذال والراء أصل واحد ، وهو من التحرز والتهيؤ . يقال : حذر يحذر حذراً ورجل حذر وحذور : متيقظ متحرز . ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حٰذِرُونَ ﴾ . [سورة الشعراء : ٥٦] : خائفون ، والحذورة : الفرع ، والحذر : الخيفة ، والتحذير : التخويف ، قال الزجاج (١) : الحاذر المستعد ، والحذر المتيقظ (٢) .

الخوف لغة :

الحياء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفرع ، يقال : خفت الشيء خوفاً وخيفة ، ورجل خاف : أي شديد الخوف ، كما قالوا صات : أي شديد الصوت (٣) .

الحذر والخوف اصطلاحاً :

قال الراغب (٤) :

" الحذر هو احتراز عن مخيف ، قال تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ . [سورة آل عمران : ٣٠] . والخوف : توقُّع مكروه عن أمانة مظنونة أو معلومة ، ويضادُّه الأمن ، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية . والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب

(١) هو إبراهيم بن محمد بن السري (الزجاج) البغدادي ، أبو إسحاق : الإمام نحوي زمانه ، كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، لزم الميرد فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهماً فنصحته وعلمه ، واشتغل بالأدب فنسب إليه ، ثم أدب القاسم بن عبيد الله الوزير فكان سبب غناه ، ثم كان من ندماء المعتضد . قال ابن خلكان : كان من أهل العلم والأدب والدين المستين وصنف كتاباً في معاني القرآن ، وله كتاب المال ، وكتاب ما فسر من جمع المنطق ، وكتاب الاشتقاق ، وكتاب العروض ، وكتاب النوادر ، وكتاب الأنواء وغيرها . وأخذ الأدب عن الميرد وتعلب ، ت ٣١١ هـ ، وقيل : ٣١٠ هـ . انظر : تاريخ بغداد : ٦ / ٨٩ وفيات الأعيان : ١ / ٤٩ ، سير أعلام النبلاء : ١٤ / ٣٦٠ ، شذرات الذهب : ١ / ٢٥٩ .

(٢) انظر : المقاييس ، كتاب الحياء ، باب الحياء والذال وما يتلثهما (مادة : حذر) : ٢٥٣ ، لسان العرب (مادة : حذر) : ٤ / ١٧٦ .

(٣) انظر : المقاييس ، كتاب الحياء ، باب الحياء والواو وما يتلثهما (مادة : خوف) : ٣٣٦ ، لسان العرب (مادة : خوف) :

١٠٠ ، ٩٩ / ٩

(٤) سبق ترجمته في ص ٣ .

كاستشعار الخوف من الأسد ، بل إنما يراد به الكفُّ عن المعاصي واختيار الطاعات
ولذلك قيل : لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً " . اهـ (١) .
وقال الكفوي (٢) :

" الحذر هو اجتناب الشيء خوفاً منه ، والخوف : غمٌ يلحق لتوقع المكروه " (٣) .

أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى :

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءِآنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ . [سورة
الزمر : ٩] .

قال سعيد بن جبير (٤) : أي عذاب الآخرة (٥) .

وقال الفخر الرازي (٦) :

" إن هذه الآية دالة على أسرارٍ عجيبة منها : أنه قال في مقام الخوف ﴿ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ﴾ فما
أضف الحذر إلى نفسه ، وفي مقام الرجاء أضافه إلى نفسه ، وهذا يدلُّ على أن جانب
الرجاء أكمل وأليق بحضرة الله تعالى " . اهـ (٧) .

(١) المفردات (مادة : خوف) : ١١٨ ، ١٦٦ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٣٤ .

(٣) الكلبيات (فصل الحاء) : ٤٠٩ ، ٤٢٨ .

(٤) هو سعيد بن جبير الأسدي ، بالولاء ، الكوفي ، أبو عبد الله : تابعي ، كان أعلمهم على الإطلاق . وهو حبشي الأصل ، من موالي
بني والبة من بني أسد . أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر . ثم كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه قال : أتسألونني
وفيكم ابن أم دهماء ؟ يعني سعيدا . ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان كان سعيد معه إلى أن قتل عبد
الرحمن ، فذهب سعيد إلى مكة ، فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج فقتله بواسط سنة ٩٥ هـ . قال الإمام أحمد
بن حنبل : قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه . انظر : طبقات ابن سعد : ٦ / ٢٥٦ ، حلية
الأولياء : ٤ / ٢٧٢ ، صفة الصفوة : ٣ / ٧٧ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٣٧١ .

(٥) انظر : تفسير الطبري : ٢٣ / ٢٠٢ ، تفسير القرطبي : ١٥ / ٢٣٩ .

(٦) سبق ترجمته ص ٨ .

(٧) التفسير الكبير : ٩ / ٤٢٩ .

وقال أبو السعود (١) :

" ﴿تَحَذَّرُ الْآخِرَةَ﴾ حال أخرى على الترادف ، أو التداخل ، أو استئناف وقع جواباً عما نشأ من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام ، كأنه قيل : ما باله يفعل ذلك ؟ فقيل : يحذر عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه ، فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرُّض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال ، مع الإضافة إلى ضمير الرَّاجِي لا أنه يحذر ضرَّ الدنيا ويرجو خيرها فقط . و(أم) منقطعة (٢) وما فيها من الاضراب (٣) للانتقال من التهديد إلى التبيكيت بتكليف الجواب الملجئ إلى الاعتراف بما بينهما من التباين اليبين ؛ كأنه قيل : بل أَمَّن هو قانتٌ ... الخ ، أفضل أم من هو كافرٌ مثلك ، كما هو المعنى على قراءة التَّخْفِيف (٤) " . اهـ (٥) .

(١) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ، المولى أبو السعود : الإمام العلامة ، المفسر الشاعر ، من علماء الترك المستعربين ولد بقرب القسطنطينية ، ودرس ودرَّس في بلاد متعددة ، وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم إلبلي ، وأضيف إليه الإفتاء سنة ٩٥٢ هـ ، وكان حاضر الذهن سريع البديهة ، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ومن كتبه : تحفة الطلاب ، وقصة هاروت وماروت ، ورسالة في المسح على الخفين ، ورسالة في مسائل الوقوف ت سنة ٩٨٢ هـ ، وقد أظهر خير الدين الزركلي في الأعلام وهمَّ من ذكر أن وفاته كانت سنة ٩٥٢ هـ . انظر : تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر لعبد القادر بن شيخ العيدروسي : ١ / ٢١٥ ، شذرات الذهب : ٤ / ٣٩٨ ، البدر الطالع : ١ / ٢٦١ ، الأعلام : ٧ / ٥٩ .

(٢) أم : حرف عطف نائب عن تكرير الاسم والفعل ، نحو : أزيد عندك أم عمرو ؟ وقيل : إنما تشرك بين المتعاطفين كما تشرك بينها (أو) . وقيل : فيها معنى العطف ، وهي استفهام كالألف ، إلا أنها لا تكون في أول الكلام لأجل معنى العطف . وهي قسمان متصلة ومنقطعة ، وهي التي لا يفارقها الإضراب ، وتارة تضمن مع ذلك استفهاماً إنكارياً . انظر : البرهان في علوم القرآن لمحمد بن هبادة الزركشي : ٤ / ١٨٠ ، الإتيان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي : ١ / ٤٤٦ .

(٣) تارة يكون معنى الاضراب الإبطال لما قبلها ، وتارة يكون معناه الانتقال من غرض إلى آخر . انظر : الإتيان : ١ / ٤٦٥ .

(٤) قرأ نافع وابن كثير وحمة : (أَمَّن) خفيفة الميم ، وقرأ الباقون : بالتشديد ، والجملة التي قد عادت (أم) قد حذفت ، المعنى الجاحد الكافر بربه خير أم من هو قانت ، ويجوز أن يكون التقدير : أصحاب النار خير أم من هو قانت ، ويدل على الجملة المحذوفة المعادلة لـ (أم) ما جاء بعد من قوله : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . [سورة الزمر : ٩] . وفيه وجه آخر ذكره الزجاج قال : من قرأ (أَمَّن) بالتشديد فمعناه : بل أَمَّن هو قانت كغيره ، أي أم من هو مطيع كمن هو عاص ، ويكون على هذا الخبر محذوفاً لدلالة الكلام عليه ، ومن قرأ (أَمَّن) بالتخفيف معناه : يا من هو قانت ، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بياء . ويكون معنى قوله : (أَمَّن هو قانت) أي : يا من هو قانت أثناء الليل ساجداً وقائماً أبشر . وفيه وجه آخر : يجوز أن تكون الألف في (أَمَّن) ألف استفهام ، المعنى : أَمَّن هو قانت أثناء الليل ساجداً وقائماً كغيره ، فكف عن الجواب . وقال الزجاج : (أَمَّن) بالتخفيف تأويله : أَمَّن هو قانت كهذا الذي ذكرنا ممن جعل الله أندادا . انظر : حجَّة القراءات : ١ / ٦٢٠ ، الحجَّة في القراءات السبع : ١ / ٣٠٨ .

(٥) تفسير أبي السعود : ٧ / ٢٤٥ ، وانظر : روح المعاني : ٢٣ / ٢٤٦ .

وقال النحاس (١) :

" وهذا موضع (أم) التي بمعنى : بل " . اهـ (٢) .

و (من) بمعنى : الذي ، والتقدير : بل الذي هو قانتٌ ... الخ أفضل مما قبله ، وتعقبه في البحر (٣) أنه لا فضل لمن قبله حتى يجعل هذا أفضل ، ويكون ذلك من باب التهكم (٤) فالأبرار هم القانتون آناء الليل يصلُّون ، يركعون ويسجدون ، ويستغفرون بالأسحار تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، يخافون عذاب الآخرة ويرجون رحمة ربهم .

قال القاسمي (٥) :

" في الآية ردُّ على من ذمَّ العبادة خوفاً من النَّار أو رجاء الجنة " . اهـ (٦) .

وقد قال ﷺ لرجل : " كيف تقول في الصَّلَاة ؟ قال : أتشهد ، وأقول : اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النَّار ، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ، فقال رسول الله ﷺ : حولها تُدندن " (٧) .

(١) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري ، أبو جعفر النَّحَّاس : مفسر ، أديب . مولده ووفاته بمصر ، كان من نظراء نفلويه وابن الأبياري . زار العراق واجتمع بعلمائه . وصنف : تفسير القرآن ، وإعراب القرآن ، وتفسير أبيات سيبويه ، وناسخ القرآن ومنسوخه ، ومعاني القرآن : الجزء الأول منه ، وشرح المعلقات السبع . ت سنة ٣٣٨ هـ . انظر : العبري خير من غير ١ : ٢ / ٢٥٢ ، البداية والنهاية : ١١ / ٢٢٢ ، النجوم الزاهرة : ٣ / ٣٠٠ ، شذرات الذهب : ١ / ٣٤٦ .

(٢) معاني القرآن لأحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (أبو جعفر) : ٦ / ١٥٨ .

(٣) البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن حيان ، أبو عبد الله ، الشهير بـ (أبي حيان) ، ت سنة ٧٤٥ هـ .

(٤) البحر المحيط لمحمد بن يوسف (أبي حيان) الأندلسي الغرناطي : ٩ / ١٨٩ .

(٥) هو جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الخلاق القاسمي ، من سلالة الحسين السبط : إمام الشام في عصره معلماً بالدين وتضلماً في فنون الأدب ، مولده ووفاته في دمشق ، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد . ولد سنة ١٢٨٣ هـ ، قال عنه مصلح العصر الإمام محمد رشيد رضا في مجلد المنار السابع عشر ص : ٥٥٨ " هو علامة الشام ، ونادرة الأيام ، والمجدد لعلوم الإسلام محيي السنة بالعلم والعمل والتعليم ، والتهذيب والتأليف ، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف ، والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن " ، وقال عنه كاتب الشرق الأكبر ، الأمير شكيب أرسلان في مقدمته لكتاب " قواعد التحديث " : " وإني لأوصي جميع الناشئة الإسلامية التي تريد أن تفهم الشرع فهما ترتاح إليه ضمائرهما ، أن لا تقدم شيئاً على قراءة تصانيف المرحوم الشيخ جمال القاسمي " ، اطلع له الزركلي على ٧٢ مصنفاً ، منها : دلائل التوحيد ، والفتوى في الإسلام ، وموعظة المؤمنين ، ومحاسن التأويل ، وشرف الأسباط ت سنة ١٣٣٢ هـ . انظر : الأعلام : ٢ / ١٣٥ ، مقدمة محاسن التأويل ، للقاسمي .

(٦) محاسن التأويل : ١٤ / ١٩٩ .

(٧) أخرجه أبو داود - واللفظ له - في كتاب الصلاة ، باب في تخفيف الصلاة عن بعض أصحاب النبي ﷺ (٧٩٢ ، ٧٩٣) : ١ / ٢١٠ ، وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب إقامة الصلاة ، باب ما يقال في التشهد والصلاة على النبي ﷺ (٩١٠) : ١ / ٢٩٥ وفي كتاب الدعاء ، باب الجوامع من الدعاء (٣٨٧٤) : ٢ / ١٢٦٤ عن أبي هريرة ؓ ، وأخرج أحمد بنحوه عن بعض أصحاب =

إن الأبرار أصحاب حسٍ مرهفٍ وهم يجذرون الآخرة ويرجون رحمة ربهم ، يقظون ومشمرون كيلا تصيبهم أشواك الطريق فتعيقهم عن بلوغ ما يتمنون ، وهذا الصفاء وهذه الشفافية التي تفتح البصيرة وتير القلب لترسم صورة مشرقةً وضيئةً من البشر ؛ تقابل تلك الصورة التكددة المطموسة التي رسمتها الآية السابقة لها وهي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۗ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ . [سورة الزمر : ٨] . (١)

بين الرجاء والخوف :

إن قال قائل : أيهما أفضل : الخوف أو الرجاء ؟

دلَّت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمته لا عمله ، ويجذر عقابه لتقصيره في عمله ، لأن الرجاء إذا جاوز حدّه يكون أمنًا ، والخوف إذا جاوز حدّه يكون يأسًا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ . [سورة الأعراف : ٩٩] . وقال : ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ . [سورة يوسف : ٨٧] .
فالمؤمن يطير بجناحي الخوف والرجاء بتوازن ، فلا يطغى جانب على جانب (٢) ، فالمتقي الأفضل عنده اعتدال الخوف والرجاء ، ولذلك قيل : لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا .

قال عمر (٣) ﷺ : لو نادى مناد من السماء أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً خفت أن أكون هو ، ولو نادى مناد أيها الناس إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون هو (٤) .

= النبي ﷺ : ٣ / ٤٧٤ . قال أحمد الكناني في مصباح الرجاجة : اسناده صحيح ورجاله ثقات . انظر : مصباح الرجاجة لأحمد الكناني : ١ / ١١٣ .

(١) انظر : الظلال : ٥ / ٣٠٤٢ .

(٢) انظر : تفسير السعفي : ٤ / ٤٩ .

(٣) هو عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي ، أبو حفص : صحابي جليل ، أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين ت سنة ٢٣ هـ . انظر :

الطبقات الكبرى : ٣ / ٢٦٥ ، حلية الأولياء : ١ / ٣٨ ، صفة الصفوة : ١ / ٢٦٨ ، الإصابة : ٤ / ٥٨٨ .

(٤) انظر : حلية الأولياء : ١ / ٥٣ ، التخويف من النار لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي : ١ / ١٥ .

ورأى ابن كثير^(١) أن يُغلب الخوف في مدة الحياة ، ولكن عند الاحتضار فللمؤمن شأن آخر .

قال ابن كثير : " يكون المؤمن حال عبادته خائف راج ، ولا بد في العبادة من هذا وهذا وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب ، ولهذا قال تعالى : ﴿ تَحَذَّرُوا الْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ . [سورة الزمر : ٩] . فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه " . اهـ (٢) .

عن أنس^(٣) أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت ، فقال له : " كيف تجددك ؟ " ، فقال : والله يا رسول الله إني أرجو الله ، وإني أخاف ذنوبي . فقال رسول الله ﷺ : " لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو ، وأمنه الذي يخاف " (٤) .

فعند نزول الموت الأصلح للإنسان أن يغلب الرجاء ؛ فلا ينبغي لأحد أن يفارق الدنيا إلا وهو راج رحمة ربه ، محباً للقائه ، محسناً الظن به .

وإذا نظرنا إلى موضع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل ، لأن الرجاء يستسقى من بحر الرحمة والخوف يستسقى من بحر الغضب (٥) .

خوفه الأبرار :

إذا تخيل المؤمن النار ، وتذكر توقدها واضطرامها ، وبُعد قعرها وشدة حرها ، وعظيم عذاب أهلها ، فيشاهددهم وقد سيقوا إليها سود الوجوه ، زرق العيون ، والسلاسل

(١) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٤٨ / ٤ .

(٣) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن ضحاي جليل ، قال أهل السير : مات أنس بالبصرة سنة اثنتين وتسعين ، وقيل : ثلاث وتسعين . وقيل : إحدى وتسعين ، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة . انظر : الطبقات الكبرى : ١٧ / ٧ ، صفة الصفوة : ١ / ٧١٠ ، المنتظم (حتى ٢٥٧هـ) : ٦ / ٣٠٣ ، العبر في خير من غير : ١ / ١٠٨ .

(٤) أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب الجنائز ، باب ١١ (٩٨٣) : ٣ / ٣١١ ، وأخرج النسائي بنحوه في السنن الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة ، باب ما يقول المريض إذا قيل له كيف تجددك (١٠٩٠١) : ٦ / ٢٦٢ ، وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب الزهد ، باب ذكر الموت والاستعداد له (٤٢٦١) : ٢ / ١٤٢٣ ، من حديث سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان به ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلًا .

(٥) مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن قدامة المقدسي : ٢٩١ . بتصرف .

والأغلال في أعناقهم ، فلما انتهوا إليها : فتحت في وجوههم أبوابها ، فشاهدوا ذلك المنظر الفظيع ، وقد تقطعت قلوبهم حسرة وأسفاً ، وهم إليها يدفعون وأتى النداء من قبل رب العالمين : ﴿ وَقَفُوهُمْ إِنِّي مَسْئُولُونَ ﴾ . [سورة الصافات : ٢٤] . ثم قيل لهم : ﴿ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ ﴿ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ ﴿ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ . [سورة الطور : ١٤-١٦] . ويشاهد المؤمن بقلبه أهل النار وهم في الحميم على وجوههم يسحبون ، وفي النار كالحطب يسجرون ﴿ هُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ ﴿ . [سورة الأعراف : ٤١] . فبئس اللعاب وبئس الفراش ، وإن استغاثوا من شدة العطش يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ، فإذا شربوه قطع أمعاءهم في أجوافهم ، وصهر ما في بطونهم ، شراهم الحميم ، وطعامهم الزقوم : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴾ ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ ﴾ ﴿ . [سورة فاطر : ٣٦ ، ٣٧] .

فإذا عاين الأبرار هذا بقلوبهم انخلعوا من الذنوب والمعاصي واتباع الشهوات ، ولبسوا ثياب الخوف والحذر ، وهان عليهم كل مصيبة تصيبهم في غير دينهم وقلوبهم ^(١) .

كيف يخاف الأبرار ربهم ؟

الأبرار يخافون ربهم بجميع جوارحهم ، وعلامة خوفهم تظهر في سبعة أشياء :

أولها : **ألسنتهم** ، فيمنعونها من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وكلام الفضول ويجعلونها مشغولة بذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن ، ومذاكرة العلم .

الثاني : **قلوبهم** ، فيخرجون منه العداوة والبهتان وحسد الإخوان .

لأن الحسد يحو الحسنات ، فهو من الأمراض العظيمة في القلوب ، ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل .

(١) مدارج السالكين : ٣ / ٢٣٥ . بتصرف يسير .

الثالث : نظرهم ، فلا ينظرون إلى الحرام من الأكل والشرب والكسوة وغيرها ، ولا إلى الدنيا بالرغبة ، بل يكون نظرهم على وجه الاعتبار ، ولا ينظرون إلى ما لا يحل لهم .
الرابع : بطونهم ، فلا يأكلون حراماً فإنه إثم كبير .
الخامس : أيديهم ، فلا يمدونها إلى الحرام ، بل يمدونها إلى ما فيه طاعة الله تعالى .
السادس : أقدامهم ، فلا يمشون في معصية الله ، بل يمشون في طاعته ورضاه ، وإلى صحبة العلماء والصلحاء .

السابع : طالحتهم ، فيجعلون طاعتهم خالصة لوجه الله تعالى ، ويخافون من الرياء والنفاق فإذا فعلوا ذلك فهم من الذين قال الله تعالى في حقهم : ﴿ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [سورة الزخرف : ٣٥] . وقال في آية أخرى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ . [سورة الانقطار : ١٣] . (١)
فالحذر صفة إيمانية تقي المؤمن شر المعاصي ، ومن الشر وأهله والشيطان وشركه ، ومن النفس وهواها ، والأبرار يصلون إلى السلامة وتحقيق المطلوب في الدنيا والآخرة ؛ فالحذر طريقهم للفوز بالجنة والنجاة من النار ، لأنه يحملهم على التحلُّق بالأخلاق الحسنة وتجنُّب الكبر والعجب .

رابعاً : الشوق إلى لقاء الله والجنة :

الشوق لغة واصطلاحاً :

الشوق لغة :

الشين والواو والقاف يدل على تعلق الشيء بالشيء ، يقال : شقت الطنب ، أي الوتد واسم ذلك الخيط الشياق ، والشوق مثل النوط (٢) ، ثم اشتق من ذلك الشوق ؛ وهو نزاع النفس إلى الشيء ، والجمع أشواق ، شاق إليه شوقاً وتشوق ، واشتاق اشتياقاً ، ويقال : شاقني يشوقني ، وذلك لا يكون إلا عن تعلق حب (٣) .

(١) مكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب للإمام أبو حامد الغزالي : ١١ . بتصرف يسير .

(٢) النوط : ما يتعلق به . انظر : المقاييس ، كتاب النون ، باب النون والواو وما يتلثهما ، (مادة : نوط) : ١٠٠٣ .

(٣) انظر : المقاييس ، كتاب الشين ، باب الشين والواو وما يتلثهما (مادة : شوق) : ٥٤٣ ، لسان العرب (مادة : شوق) :

الشوق اصطلاحاً :

- كان للعلماء تعريفات متقاربة : قيل : هو سفرٌ إلى المحبوب ^(١) .
 وقيل : هو نزاع القلب إلى لقاء المحبوب ^(٢) .
 وقيل : الشوق احتياج القلب إلى مشاهدة محبوب ^(٣) ، وشوِّقت فلاناً : ذكَّرتَه الجنَّة والنَّار
 فاشتاق ^(٤) .

علامة الشوق :

- " قال يحيى بن معاذ ^(٥) :
 علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات .
 وقال أبو عثمان ^(٦) :
 علامته حبُّ الموت مع الرَّاحة والعافية ، كحال يوسف عليه السلام لما أُلقي في الجب لم يقل :
 (توفني) ، ولما أدخل السجن لم يقل : (توفني) ، ولما تمَّ له الأمر والأمن والنعمة ، قال :
 ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ . [سورة يوسف عليه السلام : ١٠١] . " ^(٧)

(١) الكلبيات (فصل الشين) : ٣٩٨ .

(٢) التعريفات : ١٧٠ .

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف : ٤٤٢ .

(٤) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي : ١٨٤ / ٥ .

(٥) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي ، أبو زكريا : من الزهاد المتجهدين الواعظين ، وكان عابداً ، تكلم في علم الرجاء وأحسن الكلام فيه ، وله أصحاب ، دخل بلاد خراسان ثم انصرف الى نيسابور فسكنها إلى أن توفي بها . ت سنة ٢٠٦ هـ . وله من الكتب : كتاب المريدين . انظر : الفهرست لمحمد بن اسحاق الندم : ١ / ٢٦٠ ، حلية الأولياء : ١٠ / ٥١ ، صفة الصفوة : ٤ / ٩٠ ، طبقات الصوفية لمحمد بن الحسين الأزدي : ٩٨ / ١ .

(٦) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل ، أبو عثمان الصابوني : مقدم أهل الحديث في بلاد خراسان . لقبه أهل السنة فيها بشيخ الإسلام ، فلا يعنون - عند إطلاقهم هذه اللفظة - غيره . ولد ومات بنيسابور . وكان فصيح اللهجة ، واسع العلم ، عارفاً بالحديث والتفسير ، يجيد الفارسية إجادته للعربية . له كتاب : عقيدة السلف ، والفصول في الأصول ، ت سنة ٤٤٩ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء : ١٨ / ٤٠ ، طبقات الشافعية : ٢ / ٢٢٣ ، طبقات المفسرين ١ : ١ / ٣٦ ، شذرات الذهب : ٢ / ٢٨٢ .

(٧) مدارج السالكين : ٣ / ٥٢ .

معنى حب لقاء الله وكرهية لقاء الله :

قال رسول الله ﷺ : " من أحب لقاء الله أحب لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره لقاءه " . قالت عائشة (١) - رضي الله عنها - أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت . قال : " ليس ذاك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشرّ برضوان الله وكرامته ؛ فليس شيء أحب إليه مما أمامه ، فأحب لقاء الله وأحب لقاءه ، وإن الكافر إذا حضر بشرّ بعذاب الله وعقوبته ؛ فليس شيء أكره إليه مما أمامه ، فكره لقاء الله وكره لقاءه " (٢) .

هذا الحديث معناه عند أهل العلم فيما يعانیه المرء عند حضور أجله ، فإذا رأى ما يكره لم يجب الخروج من الدنيا ولا لقاء الله لسوء ما عاين مما يصير إليه ، وإذا رأى ما يجب أحب لقاء الله والإسراع إلى رحمته لحسن ما عاين وبشرّ به ، وليس حب الموت ولا كراهيته والمرء في صحته من هذا المعنى في شيء . والله أعلم (٣) .

وقال أبو عبيد (٤) في معنى قوله ﷺ : " من أحب لقاء الله أحب لقاءه " : " ليس وجهه عندي أن يكون يكره الموت وشدته ؛ لأن هذا لا يكاد يخلو منه أحد نبي ولا غيره ، ولكن المكروه من ذلك إثارة الدنيا والركون إليها ، والكرهية أن يصير إلى الله والدار الآخرة ويؤثر المقام في الدنيا . قال : ومما يبين ذلك أن الله قد عاب قوماً في كتابه بحب الحياة الدنيا

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق : أم المؤمنين - رضي الله عنها - ، صحابية جليظة . ت سنة ٥٧ هـ . انظر : حلية الأولياء : ٤٣ / ٢ ، صفة الصفوة : ١٥ / ٢ ، الإصابة : ٤ / ٣٥٩ .

(٢) سبق تخريجه في ص ٤٧ ، وهو صحيح .

(٣) انظر : التمهيد ليوסף بن عبد الله بن عبد البر النمري : ١٨ / ٢٥ ، شرح النووي على صحيح مسلم ليجي بن شرف بن مري النووي : ١٧ / ١٠ ، فيض القدير ل محمد عبد الرؤوف المناوي : ٦ / ٢٩ ، تحفة الأحوذى : ٤ / ١٥٠ - ١٥٢ .

(٤) هو القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي الأزدي الخراساني البغدادي ، أبو عبيد : من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه ، من أهل هراة ، ولد وتعلم بها ، وكان مؤدباً ، ورحل إلى بغداد فولّي القضاء بطرسوس ١٨ سنة ، ورحل إلى مصر سنة ٢١٣ هـ وإلى بغداد فسمع الناس من كتبه ، وحج ، قال عبد الله بن طاهر : علماء الإسلام أربعة فذكر منهم : القاسم بن سلام في زمانه . من كتبه : الغريب المصنف ، وهو أول من صنف في هذا الفن ، والطهور ، والناسخ والمنسوخ ، والأموال ، والمواعظ وغير ذلك . ت بمكة سنة ٢٢٤ هـ . انظر : تاريخ بغداد : ١٢ / ٤٠٣ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٦٠ ، طبقات الحنابلة ل محمد بن أبي يعلى : ١ / ٢٥٩ ، سير أعلام النبلاء : ١٠ / ٤٩٠ .

فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ (٧) أُولَئِكَ مَاؤُنْهْمُ النَّارُ... ﴿ . [سورة يونس : ٧ ، ٨] . اهـ (١) .

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾ . [سورة العنكبوت : ٥] .

" قيل : هذا تعزية للمشتاقين ، وتسليية لهم . أي أنا أعلم أن من كان يرجو لقائي فهو مشتاق إلي . فقد أجلت له أجلاً يكون عن قريب ، فإنه آتٍ لا محالة ، وكل آتٍ قريب " (٢) .

وقال سيد قطب (٣) : " والتعبير يصور هذه القلوب المتطلعة إلى لقاء الله صورة موحية . صورة الراجي المشتاق ، الموصول بما هناك . فلتقرّ القلوب الراجية في لقاء الله ، ولتطمئن ولتنتظر ما وعدها الله إياه ، انتظار الواصل المستيقن ، ولتطلع إلى يوم اللقاء في شوق ولكن في يقين " (٤) .

وقد كان النبي ﷺ يقول في دعائه : " وأسألك لذّة النظر إلى وجهك ، وأسألك الشوق إلى لقاءك " (٥) . وكان ﷺ يفعل فعل المشتاقين إذا هاج غليان الشوق إلى الله تعالى ، ولهذا كان إذا مطرت السماء تجرّد ، وكشف عن رأسه ، ثم يتلقاه بجسده ، ويقول : " لأئنه حديث عهد برّبّه تعالى " (٦) .

وهذا نبي الله موسى ﷺ يجعل إلى ربه شوقاً إليه .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴾ . [سورة طه : ٨٣] . هذا حكاية لما جرى بين الله سبحانه وبين موسى عند موافاته الميقات . قال المفسرون : وكانت المواعدة أن يوافي موسى ﷺ وجماعة من وجوه قومه ، فسار موسى بهم ، ثم عجل من بينهم شوقاً إلى ربه

(١) نقله عن أبي عبيد ابن عبد البرّ وابن حجر ، انظر : التمهيد لابن عبد البرّ : ١٨ / ٢٥ ، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر : ١١ / ٣٦٠ .

(٢) مدارج السالكين : ٣ / ٥١ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٩ .

(٤) الظلال : ٥ / ٢٧٢٢ .

(٥) جزء من حديث أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين : ١ / ٧٠٥ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . عن عمار بن ياسر ؓ .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء (٨٩٨) : ٢ / ٦١٥ . عن أنس ؓ .

فقال : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ [سورة طه : ٨٤] . فكُنِّي عن ذكر الشوق وصدقه إلى ابتغاء الرضا . قال قتادة ^(١) في تفسير الآية : شوقاً . ^(٢)

الشوق إلى الجنان :

المعاينة ^(٣) نوعان :

- معاينة بصر : وهي رؤية الشيء عياناً .
 - ومعاينة بصيرة : وهي انكشاف صورة المعلوم له (وتكون بالقلب) ، بحيث تكون نسبه إلى القلب كنسبة المرئي إلى العين .
- ومستحيل في هذه الدار أن يظفر بشر برؤية الجنة ، فهي مما أعد الله لعباده في معادهم ولكنه قد يراها بعين البصيرة ؛ فإذا استحضر المؤمن نعيم أهل الجنة ، وغلب على فكره وأكثر من ذكره ، وتمكن من قلبه صار كأنه مرئي بالعين مسموع بالأذن ، بحيث لا يشك المدرك ولا يرتاب في ذلك ألبتة .
- فإذا تفكّر المرء في الجنة وما أعد الله لأهلها فيها ، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فضلاً عما وصفه الله لعباده على لسان رسوله من النعيم المفصل الكفيل بأنواع اللذة ، من المطاعم والمشارب ، والملابس والصور ، والبهجة والسرور . فإنه يرى الجنة بقلبه ، وقد جعل الله النعيم المقيم الدائم بحذافيره فيها ، تربتها المسك وحبساؤها الدر ، وبنائوها لبن الذهب والفضة وقصب اللؤلؤ ، وشرابها أحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك ، وأبرد من الكافور ، وألذ من الزنجبيل ، ونساؤها حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، لو برز وجه إحداهن من هذه الدنيا لغلب على ضوء الشمس ولباسهم الحرير من السندس والإستبرق ، وخدمهم ولدان كاللؤلؤ المنتور ، وفاكهتهم مما

^(١) سبق ترجمته في ص ٥ .

^(٢) انظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٢٣٢ ، فتح القدير : ٣ / ٣٧٩ .

^(٣) المعاينة : رأيت الشيء عياناً . انظر : المقاييس ، كتاب العين ، باب العين والياء وما يثلثهما (مادة : عين) : ٧٢٦ .

يتخيرون ، دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وغذاؤهم لحم طيرٍ مما يشتهون ، وشراهم عليه خمر لا تذهب العقول ، وريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام ، وهم على الأرائك متكئون ، وفي تلك الرياض يجبرون ، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون (١) .

وهذا هو الذي وجده أنس بن النضر (٢) ﷺ يوم أحد لما قال : " واهأ لريح الجنة ! أني أجد والله ريحها دون أحد " (٣) .

وهكذا كان السلف الصالح تشتاق قلوبهم للجنان ويتذكرونها على كل حال . صنع أحد الصالحين طعاماً وجمع عليه نفرأ من إخوانه ، فأكل القوم غير واحد ، فإنه كان قائماً على رؤوسهم يخدمهم ، فالتفت بعضهم إليه ، فنظر إلى عينيه والدموع تنحدر منها ، فسكت وأقبل على الطعام فلماً فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، جاء فسأله : لم بكيت والقوم يطعمون ؟ قال : ذكرت موائد أهل الجنة والخدم قياماً على رؤوسهم ! (٤)

وقيل : " لو خلقت فيك الشوق إلى لقاءه ، والشهوة إلى معرفة جلاله لعلمت أنها أصدق وأقوى من شهوة الأكل والشرب ، وكذلك كل شيء ؛ بل وآثرت جنة المعرفة ورياضتها على الجنة التي فيها قضاء الشهوات المحسوسة " . اهـ (٥) .

ولذلك كان بعض السلف يقول : لو علم الملوك ما نحن فيه من النعيم لقاتلونا عليه بالسيوف . وقالوا أيضاً : لله جنة في الدنيا من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة (٦) .

(١) مدارج السالكين : ٣ / ٢٣٠ ، ٢٣٧ بتصرف . وانظر : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم : ١٢٠ ، ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ .

(٢) هو أنس بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي ، عم أنس بن مالك خادم النبي ﷺ : صحابي حليل ، استشهد في غزوة أحد . انظر : حلية الأولياء : ١ / ١٢١ ، صفوة الصفوة : ١ / ٦٢٣ ، المنتظم (حتى ٢٥٧هـ) : ٣ / ١٧٤ ، الإصابة : ١ / ١٣٢ .

(٣) جزء من حديث طويل أخرج البخاري بنحوه في المغازي ، باب غزوة أحد بلفظ : " يا سعد إني أجد ريح الجنة دون أحد " (٣٨٢٢) : ٤ / ١٤٨٧ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد (١٩٠٣) : ٣ / ١٥١٢ .

(٤) حلية الأولياء : ٦ / ٢٣١ . بتصرف يسير .

(٥) فيض القدير : ٢ / ١٣٨ .

(٦) الجواب الكافي لابن القيم : ٥١ ، ٥٢ .

وقد أوجز الصحابي الجليل الحارث ^(١) بن مالك الأنصاري رضي الله عنه برّ من آمن باليوم الآخر وذلك في الحديث الآتي :

وعن أنس ^(٢) رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي رجلاً يقال له حارثة في بعض سكك المدينة فقال : " كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً ، قال : إن لكل إيمان حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ قال : عزفت ^(٣) نفسي عن الدنيا ، فأظمأت نهارى ^(٤) وأسهرت ليلي ^(٥) ، وكأني بعرض ربي بارزاً ، وكأني بأهل الجنة في الجنة يتنعمون فيها ، وكأني بأهل النار في النار يعذبون ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أصبت فالزم ، مؤمن نور الله قلبه " ^(٦) .

إن من تيقن باليوم الآخر ، وعلم أن هذه الدنيا محط ترحال ، وأنه لا يلبث أن يستقر في موطنه الأصلي " الجنة " ، وتفكر في الآخرة وشرفها ودوامها ، وفي الدنيا وزوالها ودناءتها وفي الموت وسكراته ، وخاف الوقوف بين يدي الله الواحد لقهار ، وحذر مغبة المعاصي والذنوب ، واشتاق إلى لقاء الله والجنة ، فجدّ وسعى ، وأعلى همته ليصل إلى ما يتمنى من طيب العيش والمقام في الدنيا والآخرة ، فلا يرضى لنفسه أن يكون سعيه وعمله لأجل خدمة هذا الجسد خاصة .

^(١) الحارث أو حارثة بن مالك ، أو حارثة ابن النعمان : صحابي جليل . انظر : الإصابة : ١ / ٥٩٧ . ولم أجد له ترجمة أكثر من ذلك في كتب التراجم .

^(٢) صحابي جليل ، انظر ص ٦٠ .

^(٣) عزفت عن الشيء : إذا انصرفت عنه . انظر : المقاييس ، كتاب العين ، باب العين والزاي وما يتلثهما (مادة : عزف) : ٧٦٩ .

^(٤) أظمأته : أعطشته . انظر : لسان العرب (مادة : ظمأ) : ١ / ١١٦ .

^(٥) السهر : امتناع النوم بالليل ، تقول : أسهرني هم فسهرت . انظر : العين : ٤ / ٦ . جاء هذا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : " ثم يجيء يوم القيامة القرآن كالرجل الشاب ، فيقول لصاحبه : أنا الذي أسهرت ليلك ، وأظمأت نهارك " . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . انظر : المستدرک على الصحيحين : ١ / ٧٤٢ . فقول حارثة رضي الله عنه : " فأظمأت نهارى ، وأسهرت ليلي " كناية عن اشتغاله بالقرآن وطاعة ربه صلى الله عليه وسلم .

^(٦) أخرجه عبد بن حميد من حديث الحارث بن مالك الأنصاري رضي الله عنه (٤٤٥) : ١ / ١٦٥ . قال ابن حجر : وهو معضل ، أخرجه عبد الرزاق والطبراني وابن مندة وجاء موصولاً من طرق أخرى ، وقال البيهقي : هذا منكر ، وقد خبط فيه يوسف ، فقال مرّة الحارث وقال مرّة حارثة . انظر : الإصابة : ١ / ٥٩٧ ، ٥٩٨ . والحديث المعضل : ما رواه تابع التابعي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أي سقط من إسناده راويان على التوالي . انظر : الكفاية في علم الرواية : ٢١ .

إنَّ الإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بالعدالة الإلهية المطلقة في الجزاء ؛ وبأنَّ حياة الإنسان على هذه الأرض ليست سدى ولا فوضى بغير ميزان . وبأنَّ الخير لا يعدم جزاءه ولو بدا في هذه الأرض لا يلقى الجزاء (١) .



(١) انظر : تفسير المنار : ٢ / ١١٣ ، الظلال : ١ / ١٥٩ .

المبحث الثالث

الإيمان بالملائكة

الملائكة ؛ ذلك الملائع العلوي الذي ازدانت بهم السموات ، وأطت^(١) السماء بهم وحق لها أن تتطّ ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم أو راکع أو ساجد^(٢) ، فهم عباد الله المكرمون الذين خلقهم الله واصطفاهم لعبادته .. يسبحونه بالليل والنهار لا يفترون والإيمان بهذا الركب المبارك والإحساس بوجودهم وتسخيرهم للإنسان ؛ ذلك المخلوق الضعيف الفقير إلى الله هو من أركان البر الذي ينشده المتقون وجزء من الإيمان بالغيب فهم كرام بررة والإيمان بهم من شأن الأبرار .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

الملائكة لغة وشرها :

الملائكة لغة :

الملائكة جمع ملاك وملك ؛ والملك : مشتق من الألوكة ، ألكه يألكه ألكا ، وهي الرسالة وأصله مألك ، ثم نقلت الهمزة إلى موضع اللام ، فقيل : مألك ، ثم خففت الهمزة بأن أقيمت حركتها على الساكن الذي قبلها ، فقيل : ملاك . والجمع : ملائكة ، دخلت فيها الهاء لا لعجمة ولا لنسب ، وقد قالوا : الملائك .

(١) أطت : أط : الأبط الحنين والنقيض ، والمعنى : أن كثرة ما فيها من الملائكة أثقلتها حتى أنقضتها . وهذا مثل وإيدان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثمة أبط . انظر : الفائق في غريب الحديث لمحمود بن عمر الزمخشري : ١ / ٤٩ .

(٢) ذكر هذا في حديث أخرجه الترمذي بلفظ : " أطت السماء وحق لها أن تتطّ ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله ... " عن أبي ذر مرفوعاً ، وهذا جزء من الحديث . انظر : سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب في قول النبي ﷺ : " لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً " (٢٣١٢) : ٤ / ٥٥٦ . قال الترمذي : وفي الباب عن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وأنس . قال : هذا حديث حسن غريب . وأخرج أحمد و الحاكم بمثله وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

قال ابن السكيت^(١) : هي المألكة و المألكة على القلب ، والملائكة : جمع مألكة ، ثم ترك الهمز ، فقيل : ملك في الوجدان ، وأصله مألأ كما ترى ، ويقال : جاء فلان قد استألك مألكته ؛ أي : حمل رسالته^(٢) .

الملائكة اصطلاحاً :

الملائكة أجسامٌ لطيفةٌ أعطيت قدرة على التشكُّل بأشكالٍ مختلفة ، كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشاقة ، شأنها الطاعات ، ومسكنها السموات . وهم رسل الله تعالى إلى أنبيائه عليهم السلام ، وأمنأؤه على وحيه ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وعلى هذا ظاهر الكتاب والسنة ، وهو قول أكثر الأمة^(٣) .

معنى الإيمان بالملائكة :

هو الإيمان^(٤) بأن الملائكة هم عباد الله المكرمون ، والسفرة بينه وبين رسله عليهم الصلاة والسلام ، الكرام خلقاً وخلقا ، والكرام على الله تعالى ، البررة الطاهرين ذاتاً وصفةً وأفعالاً المطيعين لله ﷻ ، لا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن :

﴿ بوجودهم وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله ﷻ ، وسنة رسوله ﷺ .

(١) هو يعقوب بن إسحاق ، أبو يوسف ، ابن السكيت البغدادي النحوي : إمام في اللغة والأدب . أصله من خوزستان (بين البصرة وفارس) تعلم ببغداد . من كتبه : إصلاح المنطق ، قال المبرد : ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن منه ، وكتاب : القلب والإبدال ، والأجناس ، وسرقات الشعراء ، والألفاظ ، والأضداد ، والنوادر ، والوحوش وغير ذلك . وكان يميل في رأيه واعتقاده إلى مذهب من يرى تقدم علي بن أبي طالب ﷺ . واتصل بالمتوكل العباسي ، فعهد إليه بتأديب أولاده ، وجعله في عداد ندمائه ، ثم قتله لسبب مجهول قيل : سأله عن ابنه المعتز والمؤيد : أيهما أحب إليه أم الحسن والحسين ؟ فقال ابن السكيت : والله إن قنبراً خادماً عليّ خير منك ومن ابنك ! فأمر الأتراك فداسوا بطنه ، أو سلوا لسانه ، وحمل إلى داره فمات ببغداد سنة ٢٤٤هـ . انظر : الفهرست : ١٠٧ / ١ المنتظم (حتى ٢٥٧هـ) : ٣١١ / ١١ ، وفيات الأعيان : ٦ / ٣٩٥ ، سير أعلام النبلاء : ١٢ / ١٦ .

(٢) لسان العرب (مادة : ملك) : ٣٩٤ / ١٠ .

(٣) انظر : شرح المقاصد في علم الكلام لمسعود بن عمر الفتازاني : ٢ / ٥٤ ، فتح الباري : ٦ / ٣٠٦ .

(٤) سبق تعريف الإيمان في ص ٣٣ ، ٣٤ .

﴿ إنزالهم منازلهم وإثبات أنهم عباد الله وخلقه ؛ كالإنس والجن ، مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما يقدرهم الله تعالى عليه ، والموت جائز عليهم ، ولكن الله تعالى جعل لهم أمداً بعيداً ؛ فلا يتوفاهم حتى يبلغوه .

قال أحمد ^(١) : إن الله تعالى أنزل : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ . [سورة الرحمن : ٢٦] . فقالت الملائكة : هلك أهل الارض . فعلموا في البقاء ، فأخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الارض أنهم يموتون فقال : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ . [سورة القصص : ٨٨] . يعني كل شيء ميّت إلا وجهه ؛ لأنه حي لا يموت ، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت ^(٢) .

﴿ ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى جدّه ، ولا يدعون آلهة كما ادّعتهم الأوائل ، فهم ليسوا بناتا لله ﷻ ولا أولاداً ولا شركاء معه ولا أنداداً ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ٢٦ - ٢٨] . فلفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره فليس لهم من الأمر شيء ، بل الأمر لله الواحد القهار . قال تعالى : ﴿ تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ . [سورة النحل : ٥٠] . وقال تعالى : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ^(٦٦) . [سورة التحريم : ٦] . ولا يتزلون إلا بأمره ، ولا يفعلون شيئاً إلا من بعد إذنه ؛ منهم الصّافون ، ومنهم المسبّحون ، ليس منهم إلا من له مقام معلوم لا يتخطأه ، وهو على عمل قد أمر به لا يقصر عنه ولا يتعداه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا مِثْلًا لَّهُمْ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ ^(٦٧) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصّٰفُّونَ ﴿٦٨﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ . [سورة الصافات : ١٦٤ - ١٦٦] .

﴿ الاعتراف بأن منهم رسل الله يرسلهم إلى من يشاء من البشر ، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض . ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش ، ومنهم خزنة الجنة

(١) أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله : إمام المذهب الحنبلي ، وأحد أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة المعتمدة . ت سنة ٢٤١ هـ . انظر : حلية الأولياء : ٩ / ١٦١ ، تاريخ بغداد : ٤ / ٤١٢ ، صفة الصفوة : ٢ / ٣٣٦ ، وفيات الأعيان : ١ / ٦٣ .
(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية : ٢ / ١٦٥ ، شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن إبراهيم بن عيسى : ١ / ٩٦ .

ومنهم خزنة الثَّار ، ومنهم كتبة الأعمال ، ومنهم الذين يسوقون السحاب ، وقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره ، قال الله تعالى في الإيمان بهم خاصة :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] . وقال ﷺ حين سئل عن الإيمان : " أن
تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورأسله ... " (١) . (٢)

وجه تقديم ذكر الملائكة على ذكر الكتاب والنبيين في آية البر :
إن الإيمان بالملائكة أصل للإيمان بالوحي ، لأن ملك الوحي هو الذي يتنزل بأمر الله على
قلب النبي بما أراد الله أن يوحى إليه . قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ
مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ . [سورة الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤] .
قال ابن حجر (٣) :

" وقدَّم الملائكة على الكتب والرُّسل ؛ لأنهم وسائط بين الله وبين الرسل في تبليغ الوحي
والشرائع ، فناسب أن يقدم الكلام فيهم على الأنبياء ، ولا يلزم من ذلك أن يكونوا أفضل
من الأنبياء " . اهـ (٤) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب سؤال جرير النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان (٥٠) : ١ / ٢٧ ، وأخرج مسلم
بمثل في كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٩) : ١ / ٣٩ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .
(٢) انظر : شعب الإيمان لأحمد بن الحسين البيهقي : ١ / ١٦٣ ، شرح العقيدة الطحاوية : ٢ / ٩ ، إغاثة اللفهان لابن القيم :
١٢٥ / ٢ .

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد الكناقي العسقلاني الشافعي ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حجر - وهو لقب لبعض آبائه - من أئمة
العلم والتاريخ ، وهو إمام منفرد بمعرفة الحديث وعلمه في الأزمنة المتأخرة . أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة
رحل إلى اليمن والحجاز وغيرها لسماع الشيوخ ، وعلت له شهرة فقصدته الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره . قال
السخاوي : " انتشرت مصنفاته في حياته وقادتها الملوك وكتبها الأكابر " وكان فصيح اللسان ، راوية للشعر ، عارفاً بأيام المتقدمين
وأخبار المتأخرين ، صبيح الوجه . وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل . أما تصانيفه فكثيرة جليلة . منها : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة
ولسان الميزان ، وفتح الباري شرح صحيح البخاري ، وديوان شعر ، والكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ، والإصابة في تمييز
أسماء الصحابة ، و تهذيب التهذيب ، و نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر والكثير من المصنفات . ت سنة ٨٥٢ هـ . انظر : الدرر
الكامنة : ٥ / ١ خاتمه للناسر ، شذرات الذهب : ٤ / ٢٧٠ ، البدر الطالع : ١ / ٨٧ ، الأعلام : ١ / ١٧٨ .
(٤) فتح الباري : ٦ / ٣٠٦ .

حقيقة الملائكة :

حقيقة الملائكة وكيفية خلقهم وتفصيلات أحوالهم قد استأثر سبحانه بها . وهذه خصيصة عامة من خصائص الإيمان ، فإن الله قد عرف الخلق بأحوالهم في حدود ما يحتاج إليه البشر ويصلح شأنهم في المعاش والمعاد ، وما تطيقه عقولهم .
والمؤمن الصادق يقر بكل ما أخبر به الخالق ، مجملاً أو مفصلاً ، ولا يزيد على ذلك ، ولا ينقص منه ، ولا يتكلف البحث عما لم يطلعنا عليه منه ، ولا يخوض فيه .

عدد الملائكة :

وهم كثر ، لا يحصي عددهم إلا الله . قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ . [سورة المدثر : ٣١] .

وقال ﷺ : " فرُفِع لي البيت المعمور ، فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه ... " (١) .

الإيمان بالملائكة تفصيلي وإجمالي :

يجب الإيمان بالملائكة التي وردت أسماءهم في الكتاب والسنة بالتفصيل ، ومن هؤلاء رؤسائهم الملائكة الثلاث : جبريل وميكائيل وإسرافيل .

وكان النبي ﷺ يقول : " اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم " (٢) . فهؤلاء الملائكة الثلاثة هم

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب بدأ الخلق ، باب ذكر الملائكة (٣٠٣٥) : ٣ / ١١٧٣ . عن أنس بن مالك ﷺ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات (١٦٢) : ١ / ١٤٦ عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ﷺ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود ، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء (٧٦٧) : ١ / ٢٠٤ ، وأخرج الترمذي بمثله في كتاب الدعوات ، باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل (٣٤٢٠) : ٥ / ٤٨٤ ، وأخرج النسائي بمثله في (الاحتجى) في كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، باب بأي شيء تستفتح صلاة الليل (١٦٢٥) : ٣ / ٢١٢ ، وأخرج أحمد بمثله في مسند عائشة - رضي الله عنها - (٢٥٢٦٦) : ٦ / ١٥٦ . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

الموكلون بالحياة ، فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح ، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان ، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم .
قال النووي (١) :

" قال العلماء : خصّهم بالذكر وإن كان الله تعالى ربّ كل المخلوقات ، كما تقرّر في القرآن والسنة من نظائره ؛ من الإضافة إلى كلّ عظيم المرتبة وكبير الشأن دون ما يستحق ويستصغر " . اهـ (٢) .

وقد أثنى الله سبحانه على عبده جبريل في القرآن أحسن الثناء ، ووصفه بأجمل الصفات فقال : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٠﴾ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴿١١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴿١٢﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٤﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٥﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿١٦﴾ . [سورة النكوير : ١٥ - ٢١] . ومن كرمه على ربّه : أنه أقرب الملائكة إليه . ومن قوته : أنه رفع مدائن قوم لوط على جناحه ثم قلبها عليهم ؛ فهو قويٌّ على تنفيذ ما يؤمر به غير عاجزٍ عنه ؛ إذ تطيعه أملاك السموات فيما يأمرهم به عن الله تعالى .

ووصفه بالأمانة يقتضي صدقه ونصحه وإلقاءه إلى الرسل ما أمر به من غير زيادة ولا نقصان ولا كتمان ، وقد جمع له بين المكانة والأمانة والقوّة والقرب من الله (٣) .

فهؤلاء وغيرهم ممن ورد ذكر أسمائهم في أحاديث ثبتت صحتها ؛ يجب الإيمان بهم وبما نيظ بهم من الوظائف والأعمال .

ومن هؤلاء :

✳ مالك خازن النار . قال تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّكُمْ مَبْكُوثُونَ ﴿١٧﴾ . [سورة الزخرف : ٧٧] .

(١) سبقت ترجمته في ص ١٥ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم : ٥٧ / ٦ .

(٣) انظر : إغاثة اللفهان : ١٢٨ / ٢ .

✳ منكر ونكير . عن ابن عباس ^(١) رضي الله عنه قال : " اسم الملكين الذين يأتيان في القبر منكر ونكير " ^(٢) .

✳ هاروت وماروت . قال تعالى : ﴿ ... وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ... ﴾ . [سورة البقرة : ١٠٢] .

ويبدو من سياق الآية أن الله بعثهما فتنة للناس في فترة من الفترات ، وقد نسجت حولهما في كتب التفسير أساطير كثيرة ، لم يثبت شيء منها في الكتاب والسنة ، فيكتفى في معرفة أمرهما بما دلت عليه الآية الكريمة .

✳ ملك الموت : قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّنُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ . [سورة السجدة : ١١] .

وأما الملائكة الذين لم يرد ذكر أسمائهم ، فيجب أن نؤمن بهم بصورة إجمالية ، ونؤمن بما ذكر من أصنافهم وأفعالهم في القرآن والسنة . فنؤمن :

✳ بالملائكة الكاتبين .

✳ وبجملته العرش الثمانية .

✳ وبخازن الجنة ، وبالملائكة الموكلين بالجنة .

✳ وبالملائكة الموكلين بالنار - أعادنا الله منها - وهم الزبانية ، ومقدموهم تسعة عشر .

وظائف الملائكة :

١- وظائفهم في الكون :

كلُّ حركة في السموات والأرض : من حركات الأفلاك والنجوم والشمس والقمر والرياح والسحاب والنبات والحيوان فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والأرض ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَأَلْمَدَبْرَاتِ أَمْرًا ﴾ . [سورة النازعات : ٥] . وقال : ﴿ فَأَلْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا ﴾ . [سورة

(١) صحابي جليل ، انظر ص ٢٧ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ، باب من اسمه إبراهيم (٢٧٠٣) : ٣ / ١٣٠ ، ١٣١ . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن . انظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي : ٣ / ٥٤ .

الذاريات : ٤] (١) . وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل - عليهم السلام - ، وأما المكذبون للرسل المنكرون للصانع فيقولون : هي النجوم .

وقد دلّ الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأنها موكّلة بأصناف المخلوقات ، وأنه سبحانه وكلّ بالجناب ملائكة ، ووكّل بالموت ملائكة ، ووكّل بالسؤال في القبر ملائكة ووكّل بالأفلاك ملائكة يحرّكونها ، ووكّل بالشمس والقمر ملائكة ، ووكّل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة ، ووكّل بالجنة وعمارتها وعراسها وعمل الأنهار فيها ملائكة ؛ فالملائكة أعظم جنود الله تعالى ومنهم : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ ﴿ فَالْعَصِيفَتِ عَصْفًا ﴾

﴿ وَالنَّشِيرَاتِ نَشْرًا ﴾ ﴿ فَالْفَرِيقَاتِ فَرْقًا ﴾ ﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ . [سورة المرسلات : ١ - ٥] . ومنهم

على التفسير الأرجح : ﴿ وَالنَّارِعَاتِ غَرْقًا ﴾ ﴿ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ﴾ ﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴾

﴿ فَالسَّيِّقَاتِ سَبْقًا ﴾ ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ . [سورة النازعات : ١ - ٥] . ومنهم : ﴿ وَالصَّاتِفَاتِ صَفًا ﴾

﴿ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴾ ﴿ فَالتَّلِيَّاتِ ذِكْرًا ﴾ . [سورة الصافات : ١ - ٣] . (٢) على الأرجح أيضاً

ومنهم : ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش ، وملائكة قد

وكلوا بعمارة السموات بالصلاة والتسبيح والتتقديس ، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة

التي لا يحصيها إلا الله تعالى .

والمقصود : أن الله سبحانه وكلّ بالعالم العلوي والسفلي ملائكة ؛ فهي تدبر أمر العالم بإذنه

ومشيئته وأمره ، ولهذا يضيف التدبير إلى الملائكة تارة ؛ لكونهم هم المباشرون للتدبير

كقوله : ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ . [سورة النازعات : ٥] . ويضيف التدبير إليه كقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ ﴾ . [سورة يونس :

٣] . فالله فهو المدبّر أمراً وإذنًا ومشئته ، والملائكة المدبّرات مباشرة وامتنالاً ، وهذا كما

(١) وقد اختلفت الأقوال في المقصود بالمرسلات والعاصفات والناشرات: هل هي الملائكة أو الرياح . وتوقف ابن جرير الطبري في هذا وقال ابن كثير : أن الأظهر أن المرسلات هي الرياح ، وكذا العاصفات والناشرات ، ولا خلاف أن الفارقات فرقا والملقيات ذكرا هم الملائكة . انظر : تفسير الطبري : ٢٩ / ٢٢٩ ، تفسير ابن كثير : ٤ / ٤٦٠ .

(٢) ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله : الفرق والطوائف والجماعات التي مفردها " فرقة " و " طائفة " و " جماعة " . انظر : شرح الطحاوية : ٢ / ١٠ .

أضاف التوفّي إليهم تارة كقوله : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ . [سورة الأنعام : ٦١] . وإليه تارة كقوله :
﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾ . [سورة الزمر : ٤٢] . (١)

٢- الملائكة والإنسان :

من أهم أدوار الملائكة في حياة بني آدم :

(أ) دورهم في تكوين الإنسان :

والملائكة الموكّلون بالإنسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره ؛ لهم وله شأن آخر ؛ فإنهم موكّلون بتخليقه ، ونقله من طورٍ إلى طورٍ ، وتصويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث وكتابة رزقه وعمله وأجله وشقاوته وسعادته .

قال ﷺ : " إنَّ أحدكم يُجمع خَلْقُهُ في بطن أمّه أربعين يوماً ، ثمَّ يكون علقَةً مثلَ ذلك ، ثمَّ يكون مُضْغَةً مثلَ ذلك ، ثمَّ يبعثُ اللهُ ملكاً يُؤمِّرُ بأربعِ كلماتٍ ويقالُ له : اكتبْ عَمَلَهُ ورزقه وأجله وشقيُّ أو سعيد . ثمَّ يُنفخُ فيه الرُّوحَ " (٢) .

والمراد بجميع ما ذكر من الرزق والأجل ، والشقاوة والسعادة ، والعمل ، والذكورة والأنوثة أن الله يُظهر ذلك للملك ، ويأمره بإنفاذه وكتابته ، وهذا الذي يقبل النسخ وإلا فقضاء الله تعالى سابق على ذلك ، وعلمه وإرادته لكل ذلك موجود في الازل والله أعلم . إنَّ السعيد قد يشقى ، وإنَّ الشقيّ قد يسعد لكن بالنسبة إلى الأعمال الظاهرة ، وأمّا ما في علم الله تعالى فلا يتغيّر .

وهذا الحديث من جملة الأحاديث التي تدل دلالة ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر وقد قال ﷺ : " اعملوا فكل ميسر لما خلق له " (٣) . وهذا التيسير حق لله وحده ، وهو

(١) شرح العقيدة الطحاوية : ٩ ، وانظر : إغاثة اللهفان : ٢ / ١٢٥ - ١٢٧ ، ١٣٠ .

(٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة (٣٠٣٦) : ٣ / ١١٧٤ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، وكتابة رزقه وأجله وعمله ، وشقاوته وسعادته (٢٦٤٣) : ٤ / ٢٠٣٦ . كلاهما عن عبد الله بن مسعود ﷺ .

(٣) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب التفسير ، باب فسنيسه للعسرى (٤٦٦٦) : ٤ / ١٨٩١ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٦٤٧) : ٤ / ٢٠٤٠ . وذلك في حديث طويل عن علي ﷺ قال : كان النبي ﷺ في جنازة فأخذ شيئاً فجعل ينكت به الأرض ، فقال : " ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة . قالوا : يا رسول الله . أفلا تتكل على كتابنا وندع العمل !؟ . قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق =

سبحانه لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون ، ويظهر أنّ الله تعبّد عباده بهذا النوع من التّعبد ليتعلق خوفهم بالباطن المغيّب عنهم ، فلا يتكلّوا على ما يظهر من أعمالهم ، بل يرجون به حسن أحوالهم ، والخوف والرجاء مدرجا العبوديّة فيستكملون بذلك صفة الإيمان ، ولما كانت الأقدار غالبية والعاقبة غائبة ، فلا ينبغي لأحد أن يغترّ بصالح أعماله ، فالله سبحانه هو مقلب القلوب ، كما أنّ العبرة بحسن الخاتمة ، ومن ثمّ شرع الدعاء بالثبات على الدّين وبحسن الخاتمة (١) .

ب) حراستهم لابن آدم :

قال تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ ﴾ (٢) مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿ . [سورة الرعد : ١١] .

قال ابن كثير (٣) في تفسير هذه الآية :

" أي : للعبد ملائكة يتعاقبون عليه ، حرسٌ بالليل وحرسٌ بالنهار ، يحفظونه من الأسواء والحادثات ، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شرّ ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، كما جاء في الصّحيح : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ، ثم يعرجُ الذين باتوا فيكم - فيسألهم وهو أعلمُ بهم - فيقول : كيف تركتم عبادي . فيقولون : تركناهم وهم يُصلُّون وأتيناهم وهم يُصلُّون " (٤) .

= له ، أمّا من كان من أهل السعادة فيسّر لعمل أهل السعادة ، وأمّا من كان من أهل الشقاء فيسّر لعمل أهل الشقاوة . ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٦﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٧﴾ . الآية .

(١) انظر : شعب الإيمان : ١ / ٢٠٦ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ١٦ / ١٩٢ ، فتح الباري : ١١ / ٤٨٨ ، ٤٨٩ .

(٢) المعقبات : من (عقب) العين والقاف والباء أصلان صحيحان : أحدهما : يدلّ على تأخير شيء وإتيانه بعد غيره ، والأصل الآخر يدل على ارتفاع وشدة وصعوبة ، فكل شيء يعقب شيء فهو عقيب ، وأعقب هذا إذا ذهب الأوّل فلم يبق منه شيء وصار الآخر مكانه . انظر : المقاييس ، كتاب العين ، باب العين والقاف وما يتلثهما في الثلاثي (مادة : عقب) : ٦٧٥ ، لسان العرب (مادة : عقب) : ١ / ٦١٣ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ (٦٩٩٢) : ٦ / ٢٧٠٢ . وأخرج مسلم بمثله في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والحفاظة عليهما (٦٣٢) : ١ / ٤٣٩ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

وقال ابن عباس (١) رضي الله عنه : والمعقبات من الله هي الملائكة . وقال أيضاً : ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه . وقال مجاهد (٢) : مامن عبد إلا له ملك موكل ، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام ، فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك : وراءك ، إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه " . اهـ (٣) .

هل الملائكة الذين يتعاقبون فينا هم الحفظة ؟

نقل القاضي عياض (٤) وغيره عن الجمهور : أنهم الحفظة .

وقال القرطبي (٥) : الأظهر عندي أنهم غيرهم . وهذا ما ذكره ابن كثير (٦) آنفاً ، وقوَّاه الحافظ ابن حجر (٧) بأنه لم ينقل أن الحفظة يفارقون العبد ، ولا أن حفظة الليل غير حفظة النهار ، وبأنه لو كانوا هم الحفظة لم يقع الاكتفاء في السؤال منهم عن حالة التَّرك دون غيرها في قوله : " كيف تركتم عبادي ؟ " .

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٧ .

(٢) هو مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى بني مخزوم : تابعي ، مفسر من أهل مكة . قال الذهبي : شيخ القراء والمفسرين ، وكان فقيها عالماً ثقة كثير الحديث ، أخذ التفسير من ابن عباس ، قرأه عليه ثلاث مرات ، يقف عند كل آية يسأله : فيم نزلت وكيف كانت ؟ وتنقل في الأسفار ، واستقر في الكوفة ، وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها ، ذهب إلى بئر برهوت " بمضرموت ، وذهب إلى " بابل " يبحث عن هاروت وماروت ، أما كتابه في " التفسير " فكان يتقيه المفسرون ، وسئل الأعمش عن ذلك ، فقال : كانوا يبرون أنه يسأل أهل الكتاب ، يعني النصارى واليهود ، ويقال أنه مات وهو ساجد سنة ١٠٤ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٥ / ٤٦٦ ، حلية الأولياء : ٣ / ٢٧٩ ، صفة الصفوة : ٢ / ٢٠٨ ، الإصابة : ٦ / ٢٧٧ .

(٣) تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٠٤ .

(٤) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو البحصي السبيعي ، أبو الفضل : عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته . كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم . ولي قضاء سبتة ، ومولده فيها ، ثم قضاء غرناطة ، من تصانيفه : الشفا بتعريف حقوق المصطفى والغنية ، وشرح صحيح مسلم ، ومشارك الأنوار ، والإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، وكتاب في " التاريخ " ، وشرح حديث أم زرع شرحاً مستوفى ، وله كتاب " التنبيهات " جمع فيه غرائب وفوائد . توفي بمراكش مسموماً سنة ٥٤٤ هـ . قيل : سمَّه يهودي . انظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٤٨٣ ، العبرني خير من غير : ١ / ٤ / ١٢٢ ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب : ١ / ١٦٨ ، النجوم الزاهرة : ٥ / ٢٨٥ .

(٥) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله ، القرطبي : من كبار المفسرين ، وكان صالحاً ورعاً متعبداً طارحاً للتكلف ، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقيّة . من أهل قرطبة ، رحل إلى الشرق واستقر بمينة ابن خصيب (في شمالي أسبوط ، بمصر) ، من كتبه : الجامع لأحكام القرآن ويعرف بـ (تفسير القرطبي) ، وقمع الحرص بالزهد والقناعة ، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة ، والتقريب لكتاب التمهيد وغير ذلك ، ت سنة ٦٧١ هـ . انظر : الديباج المذهب : ١ / ٣١٧ ، طبقات المفسرين : ٢ / ١ / ٢٤٦ ، نفع الطيب : ٢ / ٦٨٥ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣٣٥ .

(٦) سبقت ترجمته في ص ٥ .

(٧) سبقت ترجمته في ص ٧٣ .

والحكمة في سؤال الملائكة ووجه إجابتهم بأكثر مما سئلوا لتثبت شهادتهم لبني آدم بالخير واستنطاقهم لأجل التعطف عليهم ، وأجابت الملائكة بأكثر مما سئلوا عنه زيادةً في التعطف على بني آدم ، والأبرار يؤمنون بهذا الغيب ، ويرتّب عليه زيادة إيمانهم ، ويكون ذلك دافعاً لهم لضبط أحوالهم فيتقظون ويتحفظون في الأوامر والنواهي ، ويفرحون في هذه الأوقات بقدم رسل ربهم وسؤالهم ، ويزدادون حباً للملائكة الله ويتقربون إلى الله بذلك (١) .

ج - تحريك بواحيه الخير في نفوس العباد :

وكَلَّ اللهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا مِّنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَقَرِينًا مِّنَ الْجِنِّ . قَالَ ﷺ : " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ . قَالُوا : وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَإِيَّايَ . إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ . فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ " (٢) .

والقرين من الملائكة والقرين من الجن يتعاوران (٣) الإنسان ، هذا يأمره بالشر ويرغبه فيه وذلك يحثه على الخير ويرغبه فيه . فقد قال ﷺ : " إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بَابِنِ آدَمَ ، وَلِلْمَلِكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فإِعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالحَقِّ ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ فإِعَادُ بِالخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٦٨] . الآية . (٤) .

إن الأبرار يجاهدون الشهوات ولا يسلطونها على أنفسهم ، ويتشبهون بأخلاق الملائكة - عليهم السلام - ، عندها تصير قلوبهم مستقرّ الملائكة ومهبطهم ، والتطارد بين جندي

(١) انظر : فتح الباري : ٢ / ٣٥ - ٣٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب تحريش الشيطان ، وبعث سراياه لفتنة الناس ، وأن مع كل إنسان قريناً (٢٨١٤) : ٤ / ٢١٦٧ . عن عبد الله بن مسعود ؓ .

(٣) التعاور : من عور ، العين والواو والراء أصلان : أحدهما يدل على تداول الشيء . يقال : تعاور القوم فلاناً ، واعتوره ضرباً : إذا تعاوروا ، فكلما كف واحد ضرب الآخر ؛ قال الخليل : التعاور عام في كل شيء . انظر : المقاييس (مادة : عور) : ٧٢٠ .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ، باب : ومن سورة البقرة (٣٠٨٢) : ٥ / ٢١٩ . عن عبد الله بن مسعود ؓ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب . وهو حديث أبي الأخصب لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأخصب .

الملائكة والشياطين في معركة القلب دائمً إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاصاً ، ولا يحو وسوسة الشيطان من القلب إلا بعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ ﴾ .

[سورة الحجر : ٤٢] . وذكر الله تعالى يكون بالاستعاذة والتبرّي عن الحول والقوة ، وهو معني قولك : أعود بالله من الشيطان الرجيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الأبرار الغالب عليهم ذكر الله تعالى ، وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفلتات على سبيل الخلسة . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٠١] . وقال مجاهد (١) في معني

قول الله تعالى : ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ [سورة الناس : ٤] . قال : هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض ، وإذا غفل انبسط على قلبه . فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان ، كالتطارد بين النور والظلام ، وبين الليل والنهار ، قال الله تعالى : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ [سورة المجادلة : ١٩] . (٢)

والأبرار يشعرون بهذا التطارد ، ودورهم في هذا يكمن في التشبث بفكرة الملك في إيعازهم بالخير ، فلا ينتظرون مداهمة فكرة الشيطان لقلوبهم فتضعف نفوسهم ؛ بل يبادرون بالأخذ بأسباب الفلاح ، ويشكرون الله على إعانة الملائكة لهم على الخير .

د) حفظ أعمال بني آدم :

الملائكة موكلون بحفظ أعمال بني آدم من خير وشر ، وهؤلاء هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿٢﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الانفطار : ١٠ - ١٢] . " وسموا كراماً : لانفعال العبد بهم ، ولأن الملائكة كلهم بررة ، وأما الكاتبين فلائبائهم الحسنات والسيئات بالكتابة " (٣) .

(١) سبقت ترجمته في ص ٨٠ .

(٢) الإحياء : ٣ / ٢٧ . بتصرف .

(٣) فيض القدير : ٤ / ١٩٠ .

وقد وكل الله بكل إنسان ملكين حاضرين لا يفارقانه ، يحصيان عليه أعماله وأقواله . قال تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ . [سورة ق : ١٧ ، ١٨] .

إن الأبرار يؤمنون برقابة الله لأعمالهم وأقوالهم ، وكتابة الملائكة لها في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولذلك فإنهم يستحيون من الله وجنوده فلا يخالفونه ولا يعصونه لا في علانية ولا في سر ، وكتابة الملائكة مع استغناؤه ﷺ عن لتزيد من حياتهم خاصة إذا تذكروا عرض صحائف الأعمال يوم يقوم الأشهاد ، فيكون ذلك أدعى لكسبهم الحسنات وتجنبهم السيئات . وذلك بين في قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ . [سورة ق : ١٧] .

قال الزمخشري^(١) : " ﴿ إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ ﴾ مقدر بـ (أذكر) أو متعلق بـ ﴿ أَقْرَب ﴾^(٢) ، والمعنى : أنه أقرب إليه من جبل وريده حين يتلقى المتلقيان وأعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى ، أي : يتلقن الحفيضان ما يتلفظ به ، إيذاناً بأن استحفاظ الملكين أمر هو غني عنه ، وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات ! والتلقي : التلقن بالحفظ والكتابة " . اهـ^(٣) .

والمتلقيان هم الكاتبان ، ملك اليمين الذي يكتب الحسنات ، وملك الشمال الذي يكتب السيئات ، (ما يلفظ) : يعني الانسان أي ما يتكلم من كلام فيلفظه ، أي : يرميه من فمه ورقيب ، أي : حافظ وهو الملك الموكل به ، والعتيد الثابت اللازم ، أو الحاضر معه أينما كان^(٤) .

قال سيد قطب^(٥) : " ونحن لا ندري كيف يسجل الملكان ، ولا داعي للتخييلات التي لا

(١) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٢) في قوله تعالى في الآية التي تسبقها : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ . [سورة ق : ١٦] .

(٣) الكشاف : ٤ / ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، وانظر : تفسير البيضاوي : ٥ / ٢٢ ، روح المعاني : ٧ / ١٧٦ .

(٤) انظر : زاد المسير : ٨ / ١٠ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٩ .

تقوم على أساس وحسبنا أن نعيش في ظل هذه الحقيقة الرهيبة . وهي حقيقة ولو لم ندرك نحن كيفيتها هي كائنة في صورة ما من الصور ، ولا مفر من وجودها ، ولقد أنبأنا الله بما لنحسب حسابنا . لا لننفق الجهد عبثاً في معرفة كيفيتها ! " . اهـ (١) .

اختلف العلماء في عمل العبد الجائر الذي لا ثواب ولا عقاب عليه هل تكتبه الحفظة عليه أو لا على قولين :

القول الأول : يكتب عليه كل شيء حتى الأنين في المرض ، فإذا كان آخر النهار محي عنه ما كان مباحاً نحو : انطلق ، اقعده .. كل مما لا يتعلق به أجر ولا وزر ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ . [سورة الرعد : ٣٩] . وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة (٢) وهو الأصوب . وذكر عن الإمام أحمد (٣) أنه كان يثن في مرضه ، فبلغه عن طاووس (٤) أنه قال : يكتب الملك كل شيء حتى الأنين ، فلم يثن أحمد حتى مات رحمه الله . وهذا هو ظاهر قوله : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ؛ لأن قوله : ﴿ مِنْ قَوْلٍ ﴾ نكرة في سياق النفي ، زيدت قبلها لفظة ﴿ مِنْ ﴾ فهي نص صريح في العموم . وقال رسول الله ﷺ : " إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات ، وإنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم " (٥) .

(١) الظلال : ٦ / ٣٣٦٣ .

(٢) سبق ترجمتهم على الترتيب في ص : ٥٢ ، ٨٠ ، ٥٠ .

(٣) إمام المذهب الحنبلي ، سبق ترجمته في ص ٧٢ .

(٤) هو طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني ، بالولاء ، عبد الرحمن : من أكابر التابعين ، تفقهاً في الدين ورواية للحديث ، وتقشفاً في العيش ، وجرأة في وعظ الخلفاء والملوك . وهو من أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى إلى اليمن ، وكان أحد الأئمة الأعلام ، قد جمع العبادة والزهادة والعلم النافع والعمل الصالح ، وقد أدرك خمسين من الصحابة وأكثر روايته عن ابن عباس ، توفي حاجاً بالمزدلفة أو منى وكان هشام بن عبد الملك حاجاً تلك السنة فصلى عليه . وكان يأبى القرب من الملوك والأمراء ، قال ابن عيينة : متحجبوا السلطان ثلاثة : أبو ذر ، وطاووس ، والثوري . ت سنة ١٠٦ هـ . انظر : حلية الأولياء : ٤ / ٣ ، صفة الصفوة : ٢ / ٢٨٤ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٥٠٩ ، البداية والنهاية : ٩ / ٢٣٥ .

(٥) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان (٦١١٣) : ٥ / ٢٣٧٧ ، وأخرجه مسلم بلفظ : " إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب " في كتاب الزهد والرقائق ، باب التكلم بالكلمة يهوى بها في النار وفي نسخة باب حفظ اللسان (٢٩٨٨) : ٤ / ٢٢٩٠ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

القول الثاني: لا يكتب من الأعمال إلا ما يؤجر عليه أو يوزر ، وهو قول عكرمة ^(١) وابن عباس ^(٢) .

وذلك لأن في الآية نعتاً محذوفاً سوَّغ حذفه العلم به ، فكلُّ الناس يعلمون أن الجائز لا ثواب فيه ولا عقاب ، وتقدير النعت المحذوف : ما يلفظ من قول مستوجب للجزاء ، وحذف النعت قد دلَّ عليه أسلوبٌ عربيٌّ معروفٌ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيَبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ . [سورة الكهف : ٧٩] . أي : كلُّ سفينة صالحة لا عيب فيها ، بدليل قوله : ﴿ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيَبَهَا ﴾ . ^(٣)

مجلس المالكيين :

المشهور : أنهما على الكتفين ، فقد نطق القرآن بأتهما عن اليمين وعن الشمال . واللازم الايمان بهما دون تعيين محلها ، والبحث عن كيفية كتابتهما ^(٤) .

كتابة الملائكة لأعمال القلوب :

قال ابن أبي العزِّ ^(٥) : " إن الملائكة تكتب القول والفعل ، وكذلك النية ؛ لأنها فعل القلب فدخلت في عموم ﴿ يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ . [سورة الانفطار : ١٢] . ويشهد لذلك قوله ﷺ :

^(١) هو عكرمة بن عبد الله البربري المدني ، أبو عبد الله ، مولد عبد الله بن عباس : تابعي ، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي طاف البلدان ، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل ، منهم أكثر من سبعين تابعيا . وذهب إلى نجدة الحروري ، فأقام عنده ستة أشهر ، ثم كان يحدث برأي نجدة . وخرج إلى بلاد المغرب ، فأخذ عنه أهلها رأي " الصفرية " وعاد إلى المدينة . وكانت وفاته بالمدينة هو و " كثير عزة " في يوم واحد فقيل : مات أعلم الناس وأشعر الناس . انظر : حلية الأولياء : ٣ / ٣٢٦ ، تاريخ بغداد : ١٢ / ٢٥٧ ، صفة الصفوة : ٢ / ١٠٣ ، وفيات الأعيان : ٤ / ١١٣ .

^(٢) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

^(٣) انظر : تفسير البغوي : ٤ / ٢٢٢ ، الكشاف : ٤ / ٣٨٨ ، المحرر الوجيز : ٥ / ١٦٠ ، زاد المسير : ٨ / ١١ ، تفسير القرطبي : ١٧ / ١١ ، تفسير ابن كثير : ٤ / ٢٢٥ ، تفسير أبي السعود : ٨ / ١٢٩ ، أضواء البيان لمحمد الأمين محمد بن المختار الجكني الشنقيطي : ٧ / ٤٢٨ .

^(٤) انظر : روح المعاني : ٧ / ١٧٥ .

^(٥) هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز ، الحنفي ، الدمشقي ، فقيه . كان قاضي القضاة بدمشق ، ثم بالديار المصرية ، ثم بدمشق . وامتنح بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أبيك الدمشقي ، له كتب منها : شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، التنبيه على مشكلات الهداية ، والنور اللامع فيما يعمل به في الجامع : أي جامع بني أمية . ت سنة ٧٩٢ هـ . انظر : الدرر الكامنة : ٤ / ١٠٣ وفيه =

" قال الله ﷻ : إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه ، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة وإذا همَّ عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها عشرا " (١) .
اهـ (٢) .

ومن رحمة الله بالعبد أن الملائكة الموكلون به لا يكتبون ما يفعله من سيئات إذا ندم أو استغفر . قال : " إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها ، وإلا كتبت واحدة " (٣) . والأبرار يستشعرون وجود الملائكة الكاتبين حولهم وتسجيلهم لأعمالهم ؛ فيسارعون إلى التوبة وإتباع الحسنة السيئة .
كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِفَاتِ ﴾ . [سورة هود : ١١٤] .

هـ) الملائكة تنزح روح الإنسان :

اختص الله بعض ملائكته بترع أرواح العباد عندما تنتهي آجالهم التي قدرها الله لهم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ . [سورة السجدة : ١١] . فتترع أرواح الكفرة والمجرمين نزحاً شديداً عنيفاً بلا رفق ولا هوادة . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ . [سورة الأنعام : ٩٣] . أما المؤمنون فإن الملائكة تترع أرواحهم نزحاً رقيقاً ، فهي تنزل على المؤمن تبشره وتثبته . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِيمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ .

= تلويح بتسميته " محمداً " ثم قال : " والصواب علي والله أعلم " ، كشف الظنون : ٢ / ١٩٨٣ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣٢٦ وفيها اسمه : " محمد بن علي " ، الأعلام : ٤ / ٣١٣ .

(١) أخرج البخاري بنحوه في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ ﴾ (٧٠٦٢) : ٦ / ٢٧٢٤ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب الإيمان ، باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت وإذا همَّ بسيئة لم تكتب (٥٩) : ١ / ١١٧ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية : ١ / ٤٤٠ .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، ما أسند أبو أمامة ؓ (٧٧٦٥) : ٨ / ١٨٥ ، (٧٧٨٧) : ٨ / ١٩١ . قال الهيثمي : رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها وثقوا . انظر : مجمع الزوائد : ١٠ / ٢٠٨ .

نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣٠﴾ .
[سورة فصلت : ٣٠ - ٣١] .

والأبرار يسارعون في الخيرات ، ويجتدون في الطاعة ؛ وقلوبهم تستلطف الله أن يكونوا ممن تترع أرواحهم نزعاً رقيقاً ، وممن يبشر بروحٍ وريحانٍ وربٍّ راضٍ غير غضبان .
ولقد أجمل الإمام ابن القيم^(١) القول في وظائف الملائكة فقال :

" للملائكة أدوارا هامة في حياة الإنسان منها : ملازمته في جميع أحواله ، وإحصاء أقواله وأفعاله وحفظه في حياته ، وقبض روحه عند وفاته ، وعرضها على خالقه وفاطره ، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث ، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله ، والمعلمون له ما ينفعه والمقاتلون الذائبون عنه ، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة ، وهم الذين يرونه في منامه ما يخافه ليحذره وما يحبُّه ليقوى قلبه ويزداد شكراً ، وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونهم إليه ، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه فهم أولياؤه وأنصاره وحفظته ومعلموه وناصحوه ، والداعون له والمستغفرون له ، وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربِّه ، ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير ، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه وعند موته ويوم بعثه ، وهم الذين يزهّدونه في الدنيا ويرغبونه في الآخرة ، وهم الذين يذكرونه إذا نسي ، وينشطونه إذا كسل ، ويثبتونه إذا جزع ، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته .

كما أن الملك لينافح عن العبد ويردُّ عنه إذا سفه عليه السّفية وسبّه ، وقد روي : " أن رجلاً سبَّ أبا بكر^(٢) ﷺ عند النبي ﷺ والنبي جالسٌ لا يقول شيئاً ، فلما سكت ذهب أبو بكر يتكلم ، فقام النبي ﷺ واتبعه أبو بكر ، فقال لرسول الله ﷺ : كان يسبني وأنت جالس ، فلما ذهبت أتكلم قمت . قال : إنَّ الملك كان يرُدُّ عنك ، فلما تكلمت ذهب

(١) سبق ترجمته في ص ٦ .

(٢) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو القرشي التميمي ، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة : صاحب النبي ﷺ في الحضر والأسفار وأول الخلفاء الراشدين . ت سنة ١٣هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٣ / ١٦٩ ، معجم الصحابة لعبد الباقي بن قانع : ٢ / ٦١ ، حلية الأولياء : ١ / ٢٨ ، الإصابة : ٤ / ١٦٩ .

الملك ووقع الشيطان فكرهت أن أجلس " (١) .

وإذا دعى العبد المسلم في ظهر الغيب لآخيه ؛ أمن الملك على دعائه ، فإذا أذنب العبد الموحد المتبع سبيل رسوله ﷺ استغفر له حملة العرش ومن حوله ، وإذا نام العبد المؤمن - طاهراً - بات في شعاره (٢) ملك (٣) .

ويعلمه ويثبته ويشجعه ، فلا يليق به أن ينسى جواره ، ويبالغ في أذاه وطرده عنه وإبعاده فانه ضيفه وجاره ، وإذا كان إكرام الضيف من الآدميين والإحسان إلى الجار من لزوم الإيمان وموجباته ؛ فما الظنُّ بإكرام أكرم الاضياف وخير الجيران وأبرهم ! " اهـ (٤) .

فهم رسل الله في خلقه وأمره ، وسفراؤه بينه وبين عبادته ، تتزل بالأمر من عنده في أقطار العالم ، وتصعد إليه بالأمر ، ويدخل البيت المعمور كل يوم منهم سبعون ألف ملك ؛ لا يعودون إليه آخر ما عليهم .

والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم ، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم وصلاته بصلاتهم ، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف ، وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له ومراتبهم من الدنو ، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٨٥] . وقال تعالى :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٨] . وقال تعالى :

(١) انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي : ١ / ٩١ . قال العجلوني : رواه البيهقي في شرح السنة بسند صحيح عن أبي هريرة ؓ .

(٢) الشُّعَار : الثوب الذي يلي الجسد لحماسته الشعر . انظر : المفردات (مادة : شعر) : ٢٦٥ .

(٣) لحديث : " طهروا هذه الأجساد طهركم الله ؛ فإنه ليس من عبد بيت طاهرا إلا بات معه في شعاره ملك ، لا ينقلب ساعة من الليل إلا قال : اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهرا " . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن . انظر : مجمع الزوائد :

١٠ / ١٢٨ .

(٤) انظر : إغاثة اللهفان : ٢ / ١٢٩ ، ١٣١ ، الجواب الكافي : ٧٥ .

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ . [سورة الأحزاب : ٤٣] .
وقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ تَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَكَسَتُغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ
الْجَحِيمِ ﴿٦٧﴾ . [سورة غافر : ٧] . وقال ﷺ : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ . [سورة الزمر : ٧٥] .

ولا تكاد تخلو سورة من سور القرآن عن ذكر الملائكة تصريحاً أو تلويحاً أو إشارة ، وأما
ذكرهم في الأحاديث النبوية فأكثر وأشهر من أن يذكر ، ولهذا كان الإيمان بالملائكة
- عليهم السلام - أحد الأصول الخمس التي هي أركان الإيمان وهي : الإيمان بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ^(١) .

بَرٌّ مَنْ آمَنَ بِالْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ :

الملائكة عباد الله اختارهم واصطفاهم ولهم مكانة عند ربهم ، والمؤمن الذي يعبد الله ويتبع
رضوانه لا مناص له من أن :

١- يتجنب كل ما من شأنه أن يسيء إليهم ويؤذيهم :

﴿ وَأَعْظَمَ مَا يُؤْذِي الْمَلَائِكَةَ الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِيَ وَالْكَفْرَ وَالشِّرْكَ : دَلَّ عَلَى ذَلِكَ تَعَجُّبُ
المَلَائِكَةِ عِنْدَمَا قَالَ لَهُمْ ﷻ :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
الدِّمَآءَ وَيَحْنُ نُسُجُوحًا يَمْدِكُ وَتُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . [سورة البقرة : ٣٠] .

ولذا فإن أعظم ما يهدي المتقون الأبرار للملائكة ويرضيهم أن يخلص المرء دينه لربّه
ويتجنب ما يغضبه ، فالملائكة لا تدخل الأماكن والبيوت التي يعصى فيها الله تعالى .

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية : ١١ / ٢ .

قال ﷺ: " لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة " (١). وقال ﷺ: " ثلاثة لا تقرهم الملائكة (٢): الجُنُب (٣)، والكافر، والمتضمخ بالزعفران " (٤).

❦ إن الملائكة تتأذى من الرائحة الكريهة، والأقذار والأوساخ، قال ﷺ: " من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم " (٥).

❦ هـي رسول الله ﷺ عن البصق عن اليمين أثناء الصلاة لأن المصلي إذا قام يصلي يقف عن يمينه ملك، قال ﷺ: " إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه، وإنما يناجي الله ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكاً، وليبصق عن يساره أو تحت قدمه فيدفنها " (٦). (٧)

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء (٣١٤٤): ٣ / ١٢٠٦، وأخرج مسلم بمثله في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه ممتحنة بالفرش ونحوه، وأن الملائكة - عليهم السلام - لا يدخلون بيتاً فيه صورة ولا كلب (٢١٠٦): ٣ / ١٦٦٥. كلاهما عن أبي طلحة .

(٢) " لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة ". قال المناوي: " أي: الملائكة النازلون البركة والرحمة، والطائفون على العباد للزيارة واستماع الذكر وأضراهم، لا ملائكة الموت ولا الكنية؛ فإن الكنية لا يفارقون المكلفين طرفة عين في شيء من أحوالهم الحسنة ولا السيئة. قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [سورة ق: ١٨]. انظر: فيض القدير: ٣ / ٣٢٥ .

(٣) لا تقرب الملائكة الجنب إلا أن يتوضأ. لحديث: " ثلاثة لا تقرهم الملائكة: جيفة الكافر، والمتضمخ بالخلوق، والجنب إلا أن يتوضأ ". أخرجه أبو داود في كتاب الترجل، باب في الخلق للرجال (٤١٨٠): ٤ / ٨٠، بإسناد حسن عن عمار بن ياسر . انظر: صحيح الجامع: ٣ / ٧٠ .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط في (٥٤٠٥): ٥ / ٣١١. عن ابن عباس . قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه زكريا بن يحيى بن أيوب الضرير ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح خلا كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة وهو ثقة. انظر: مجمع الروائد: ٥ / ١٥٦ .

(٥) أخرجه البخاري بنحوه - في عدة روايات - من غير زيادة: " فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم " في كتاب صفة الصلاة باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث (٨١٥ - ٨١٨): ١ / ٢٩٢، ٢٩٣، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب هـ من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوهما (٥٦٤): ١ / ٣٩٥. كلاهما عن جابر بن عبد الله .

(٦) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب أبواب المساجد، باب دفن النخامة في المسجد (٤٠٦): ١ / ١٦١ عن أبي هريرة . وأخرج مسلم بلفظ: " إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه إذا صلى " في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها (٥٤٧): ١ / ٣٨٨. كلاهما عن ابن عمر .

(٧) انظر: عالم الملائكة الأبرار لعمر سليمان الأشقر: ٦٨ .

٢- العياء من الملائكة :

قال ﷺ: " إنَّ الله ينهاكم عن التعرّي ، فاستحيوا من ملائكة الله الذين لا يفارقونكم إلاّ عند ثلاث حالات : الغائط والجنابة والغسل ، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستر بثوبه أو ببعيره " (١) . ومن ألامّ ممن لا يستحي من الكريم العظيم القادر ، ولا يكرمه ولا يوقره . وقد نبّه سبحانه على هذا المعنى بقوله : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿٢﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ . [سورة الانفطار : ١٠ - ١٢] . أي : استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام وأكرمهم وأجلّوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه من هو مثلكم ، فينبغي للمسلم أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال فيجلّهم ويوقرهم ، ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه ممّا لا يرضي ربّ العالمين (٢) .

قال سيّد قطب (٣) : " وحسبنا أن نعيش في ظلال هذه الحقيقة المصورة ، وأن نستشعر ونحن نهمُّ بأية حركة وبأية كلمة أن عن يميننا وشمالنا من يسجل علينا الكلمة والحركة ؛ لتكون في سجل حسابنا بين يدي الله الذي لا يضيع عنده فتيل ولا قطمير " . اهـ (٤) .
ومن الحياء المحمود عدم الرُّكوب في موضع يكون الملائكة فيه على أقدامهم . رأى ﷺ ناساً ركبناً في جنازة فقال : " ألا تستحيون ! إنَّ ملائكة الله على أقدامهم وأنتم على ظهور الدّواب " (٥) . ونرى الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز (٦) يستشعر وجود الملائكة وما لهم من حقّ على المسلم ، فيعهد إلى أحد عماله قائلاً : واعلموا أنّ عليكم ملائكة الله ،

(١) لم أقف له على تحريج . وقال الهيثمي : " رواه البزار ، وقال : لا يروي عن ابن عباس إلاّ من هذا الوجه ، وجعفر بن سليمان لين " . اهـ . انظر : مجمع الزوائد : ١ / ٢٦٨ . ولم أجده في مسند البزار .

(٢) انظر : الجواب الكافي : ٧٥ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان (تفسير السّعدي) لعبد الرحمن بن ناصر السّعدي : ٨٠٥ / ١ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٩ .

(٤) الظلال : ٦ / ٣٣٦٣ .

(٥) أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب الجنائز ، باب ما جاء في كراهية الركوب خلف الجنازة (١٠١٢) : ٣ / ٣٣٣ وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب الجنائز ، باب ما جاء في شهود الجنائز (١٤٨٠) : ١ / ٤٧٥ . عن ثوبان ؓ . قال أبو عيسى : حديث ثوبان قد روي عنه موقوفاً . قال محمد : الموقوف منه أصح .

(٦) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، الخليفة الزاهد المعروف ، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين . ت ١٠١ هـ . انظر : حلية الأولياء : ٥ / ٢٥٣ ، صفة الصفوة : ٢ / ١١٣ ، وفيات الأعيان : ٦ / ٣٠١ ، سير أعلام النبلاء : ١١٤ / ٥ .

حفظة عليكم يعلمون ما تفعلون في مسيركم ومنازلكم فاستحيوا منهم وأحسنوا صحبتهم ولا تؤذوهم بمعاصي الله (١) .

٣- تقوية الجانب الملائكي في الإنسان ، والتشبه بهم في حياته (حياء التقصير) ؛ فهم الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، فإذا كان يوم القيامة قالوا : سبحانك ! ما عبدناك حق عبادتك (٢) .

قال الإمام الغزالي (٣) : " والملائكة مقرَّبون من الله ﷻ ، والذي يقتدى بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله ﷻ كقرهم ، فإن الشبيه من القريب قريب وليس القريب بالمكان بل بالصفات ... ومما يكره التظاهر بالحب ؛ بسبب أن الحب إن كان عارفاً وعرفاً أحوال الملائكة في حبهم الدائم ، وشوقهم اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لاستنكف من نفسه ومن إظهار حبه ، وعلم قطعاً أنه من أحسن المحييين في مملكته ، وأن حبه أنقص من حب كل محب لله " . اهـ (٤) .

٤- يجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة (٥) ، فمن عادى أحداً منهم فقد عاداهم جميعاً وعادى الله ﷻ ، فعاداه الله فهو من الكافرين .

قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٩٨] .

٥- أن يتجنب المسلم كل ما يوجب لعنة الملائكة الكرام ، ومن الذين تلعنهم الملائكة :

أ (المرأة التي لا تستجيب لزوجها :

قال ﷻ : " إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت ، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح " (٦) .

(١) حلية الأولياء : ٥ / ٣٠٣ .

(٢) انظر : مدارج السالكين : ٢ / ٢٦٢ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٥٣ .

(٤) الإحياء : ٤ / ٢٣٦ ، ٣٣٨ .

(٥) جامع العلوم والحكم : ١ / ٣٩٠ .

(٦) أخرج البخاري بنحوه في كتاب النكاح ، باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوعاً (٤٨٩٧) : ٥ / ١٩٩٣ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب النكاح ، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها (١٤٣٦) : ٢ / ١٠٦٠ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

(ب) من أشار إلى أخيه بمحديدة :

قال ﷺ : " من أشار إلى أخيه بمحديدة فإن الملائكة تلعنه ؛ حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه " (١) .

(ج) من سب أصحاب الرسول ﷺ :

قال ﷺ : " من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " (٢) .

٦- الحرص على القيام بالأعمال التي تصلي الملائكة على صاحبها ، ومنها :

(أ) معلّم الناس الخير :

قال ﷺ : " إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى الثملة في جحرها ، وحتى الحوت يُصلُّون على معلّم الناس الخير " (٣) .

(ب) الذين يمتكثون في مصلاتهم بعد الصلاة :

قال ﷺ : " والملائكة يُصلُّون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلّى فيه ، يقولون : اللّهُم ارحمه ، اللّهُم اغفر له ، اللّهُم تب عليه ، ما لم يؤذ فيه ، ما لم يحدث فيه " (٤) .

(ج) الذين يصلُّون في الصف الأول :

قال ﷺ : " إن الله وملائكته يُصلُّون على الصفِّ الأوّل " (٥) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب البرّ والصلة والآداب ، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (٢٦١٦) : ٤ / ٢٠٢٠ . عن أبي هريرة ؓ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس ؓ باسناد حسن (١٢٧٠٩) : ١٢ / ١٤٢ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٥) : ٥ / ٥٠ . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب . عن أبي أمامة الباهلي ؓ . وذكر العجلوني تصحيح الترمذي له . انظر : كشف الخفاء : ٢ / ١١١ .

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري بنحوه في كتاب الجماعة والإمامة ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (٦٢٨) : ١ / ٢٣٤ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة (٦٤٩) : ١ / ٤٥٩ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

(٥) أخرجه أحمد في حديث النعمان بن بشير ؓ : ٤ / ٢٦٨ . ورواه في مواضع أخر . قال الهيثمي : رواه أحمد والبخاري ورجالهم ثقاة . انظر : مجمع الزوائد : ٢ / ٩١ .

(د) الذين يسُدُّون الفرج بين الصفوف :

قال ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُونَ الصَّفُوفَ " (١) .

(هـ) الذين يصلُّون على النبي ﷺ :

قال ﷺ : " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّيْتُ عَلَيَّ ، فليقلَّ العبد من ذلك أو ليكثر " (٢) .

(ز) الذين يعودون المرضى :

قال ﷺ : " مَنْ عَادَ مَرِيضًا مَشَى فِي خِرَافِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا جَلَسَ عِنْدَهُ اسْتَنْقَعَ فِي الرَّحْمَةِ فَإِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَكُلَّ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ " (٣) .

(ح) الذين يتسحرون :

قال ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ يَبْعُكُ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ " (٤) .

أثر صلاة الملائكة على المؤمن :

إنَّ الإيمان بالملائكة يزيد الشعور بعظمة الله ، واستشعار رحمته وفضله ؛ بما أنعم علينا من خلق الملائكة ، وما أخرجنا سبحانه من أفعالها وأحوالها ، وتسخيرها لبني البشر ودعائهم لنا فقد قال عز من قائل : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ . [سورة الأحزاب : ٤٣] .

(١) أخرجه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . انظر : المستدرک علی الصحیحین (٧٧٥) : ١ / ٣٣٤ . ووافقه الذهبي . عن عائشة - رضي الله عنها - .

(٢) أخرجه ابن ماجه - واللفظ له - في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب الصلاة على النبي ﷺ (٩٠٧) : ١ / ٢٩٤ ، وأخرج أحمد بنحوه في مسند عامر بن ربيعة ﷺ : ٣ / ٤٤٦ . وفي الأحاديث المختارة قال محمد بن عبد الواحد الخنيلي المقدسي : إسناده صحيح . انظر : الأحاديث المختارة : ٨ / ١٩٠ ، قال أحمد بن أبي بكر الكناني : هذا إسناده ضعيف ، " عاصم بن عبيد الله " وإن روى عنه شعبة ومالك وابن عيينة فقد قال فيه البخاري وأبو حاتم وغيرهما : منكر الحديث . ورواه الإمام أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة في مسنديهما من طريق عاصم بن عبيد الله . قال الحافظ عبد العظيم المنذري : " وعاصم " وإن كان واهي الحديث فقد مشاه بعضهم بكذا له ، قال الترمذي : وهذا الحديث حسن في المتابعة . انظر : مصباح الزجاجة : ١ / ١١٢ .

(٣) أخرجه أحمد في مسند علي ﷺ (١١٦٦) : ١ / ١٣٨ ، وأخرج الحاكم بنحوه بإسناد آخر ، وقال : هذا إسناده صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . انظر : المستدرک علی الصحیحین : ١ / ٤٩٢ . ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه أحمد في مسند أبي سعيد الخدري ﷺ (١١١٠١) : ٣ / ١٢ . قال الميمني : رواه أحمد ، وفيه (أبو رفاعة) ولم أجد من وثقه ولا جرحه ، وبقية رجاله رجال الصحيح . انظر : مجمع الزوائد : ٣ / ١٥٠ .

والصلاة من الملائكة : الاستغفار ^(١) ، وما أثر صلاة الله وملائكته علينا واستغفارها لنا ؟ ... هو الخروج من الظلمات إلى النور ، فالإيمان بوجود هذه المخلوقات النورانية الشفافة - ذلك الركب المبارك - ليسكب في النفس الطمأنينة ، ويغمرها بالرضى والسكينة حاملةً بين طيات جوانبها كلَّ الحبِّ والتوقير .



(١) انظر : فتح الباري : ١١ / ١٥٦ .

المبحث الرابع

الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله تعالى

إن من أركان البرِّ الإيمان بالكتب السماوية المنزلة من عند الله تعالى جميعها ؛ رغم ما طرأ من تحريف لما سبق القرآن الكريم من كتب ؛ وذلك لحكمة ربانية قد تظهر لنا وقد نجعلها لكن من تمام البرِّ الإيمان والتسليم بأنها كتبٌ نزلت من عند ربِّ العالمين على أنبياء الله المرسلين . قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

الكتاب لغة وشرها :

الكتاب لغة :

الكاف والتاء والباء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على جمع شيء إلى شيء . والكتاب : مصدرٌ يقال : كتب يكتب كتاباً وكتابةً ، ثم سُمِّيَ به المكتوب . وجمعه : كُتُبٌ وكُتُبٌ . وأصل الكتاب : ضم أديم إلى أديم بالخياطة ، واستعمل عرفاً في ضم الحروف بعضها إلى بعض .

والكتاب يأتي بمعاني منها :

■ الفرض والإيجاب . قال الله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٨] . معناه : فرض .

■ ويطلق على الحكم : الكتاب ، قال رسول الله ﷺ : " أما لأقضي بينكما بكتاب الله تعالى " (١) . أي : بحكمه . وقال تعالى : ﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ فيها كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿ . [سورة البينة : ٣ ، ٢] . أي : أحكاماً مستقيمة .

(١) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٥٤٩) : ٢ / ٩٥٩ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنى (١٦٩٧) : ٣ / ١٣٢٤ . عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني .

■ ويأتي الكتاب بمعنى : القدر ، قال الجعدي (١) :

يا ابنة عمي كتاب الله أخرجني
عنكم وهل أمنع الله ما فعلا (٢)
كتابه الله شراً :

هو كلام الله تعالى المتزل على أنبيائه ورسله لتبليغه للناس .

الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان والبر والتقوى :

الإيمان بالكتب المتزلة من عند الله تعالى على الرسل الكرام ركن من أركان البر ، فقد قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] . وقال منادياً للمؤمنين : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ . [سورة النساء : ١٣٦] . وقال : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٨٥] . وذكر سبحانه من صفات المتقين : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ . [سورة البقرة : ٤] . وغير ذلك من الآيات في هذه المعنى . وما ذكرناه من قوله ﷺ حين سُئِلَ عن الإيمان ، فقال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله " (٣) .

فمن صفات المؤمنين والأبرار والمتقين أيهمم بالكتب المتزلة على أنبياء الله ، ولا غرابة ؛ فالبر والتقوى والإيمان ألفاظ مترادفة كما سبق وبيّنت في الفصل التمهيدي .

(١) هو التابعة الجعدي ، قيس بن عبد الله بن عُدس بن ربيعة الجعدي العامري ، أبو ليلى : صحابي جليل ، شاعر من المعمرين ، اختلف في اسمه ، اشتهر في الجاهلية ، وسمي " التابعة " لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقال ، وكان ممن هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام ، ووفد على النبي ﷺ فأسلم ، قال له رسول الله ﷺ : " لا يفضض الله فاك " . فما سقطت له سن ، وأدرك صنفين فشهدها مع علي ، ثم سكن الكوفة ، فسيره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها ، فمات فيها سنة ٥٠ هـ . وقد كف بصره وجاوز المائة وأخباره كثيرة . انظر : معجم الصحابة : ٢ / ٣٤٥ ، ربح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين لأبي زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن محمد بن مندة العبدي : ١ / ٧٧ ، سير أعلام النبلاء : ٣ / ١٧٧ ، الإصابة : ٦ / ٣٩١ .

(٢) انظر : المقاييس ، كتاب الكاف ، باب الكاف والتاء وما يثلثهما (مادة : كتب) : ٩١٧ ، ٩١٨ ، المفردات (مادة : كتب) :

٤٢٧ ، النهاية : ٤ / ١٤٧ ، لسان العرب (مادة : كتب) : ١ / ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، التوقيف على مهمات التعاريف : ١ / ٦٠٠ الكليات (فصل الكاف) : ٧٦٧ .

(٣) سبق تخريجه في ص ٧٣ ، أخرجه البخاري ومسلم .

المراد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ في آية البرّ:

المراد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ أي جميع كتب الله أو القرآن ، وتعريف ﴿الْكِتَابِ﴾ تعريف الجنس المفيد للاستغراق ، أي آمن بكتب الله مثل : التوراة والإنجيل والقرآن ، ووجه التعبير بصيغة المفرد أنها أخف مع عدم التباس التعريف بأن يكون للعهد ؛ لوجود القرينة على ذلك وهي عطف ﴿النَّبِيِّينَ﴾ على ﴿الْكِتَابِ﴾ ؛ فتبين أن اللام فيه للجنس المفيد للاستغراق فأوثر صيغة المفرد طلباً لخفة اللفظ (١) .

قال الآلوسي (٢) : " المقصود بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ إمّا :

① جنسه ، فيشمل جميع الكتب الآلهية ؛ لأن البرّ الإيمان بجميعها . وهو الظاهر الموافق للقرينة السابقة ، ولما ورد في الحديث : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله " (٣) .

② أو القرآن - واللام للعهد - ؛ لأنه المقصود بالدعوة ، والكامل الذي يستأهل أن يسمّى كتاباً بالنسبة إلى غيره ، والإيمان به يستلزم الإيمان بجميع الكتب ؛ لكونه مصدقاً لما بين يديه .

③ وقيل : التوراة ، ويبعده عدم ظهور القرينة المخصصة لها ، وأن الإيمان بها لا يستلزم الإيمان بالجميع إلا باعتبار استلزامه الإيمان بالقرآن " (٤) .

والراجح هو القول الأول ، فالبرّ الإيمان بها جميعها .

عدد الكتب المنزلة :

عدد الكتب المنزلة من عند الله على رسله لا يعلم عددها إلا الله ، وما ورد من تحديد عددها حديثٌ ضعيفٌ (٥) لا يعول عليه في أمور الإيمان .

(١) انظر : زاد المسير : ١ / ١٧٨ ، تفسير النسفي : ١ / ٨٦ ، تفسير أبي السعود : ١ / ١٩٣ ، فتح القدير : ١ / ١٧٢ ، التحرير والتنوير : ٢ / ١٢٩ .

(٢) سبق ترجمته في ص ١٨ .

(٣) سبق تخريجه ص ٧٣ ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) روح المعاني : ٢ / ٤٥ .

(٥) حديث أبي ذر رضي الله عنه أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب ، وفيه سأل رسول الله ﷺ : يا رسول الله كم كتاباً أنزل الله ؟ قال : " مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة ، وعلى أخنوخ - أي : إدريس - ثلاثين صحيفة ، وعلى إبراهيم عشر صحائف ، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزيور والفرقان " . أخرجه ابن حبان ، باب ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبي بشيء منها (٣٦١) : ٢ / ٧٦ . قال الهيثمي : فيه إبراهيم =

معنى الإيمان بالكتب :

الإيمان ^(١) بكتب الله ﷻ المتزلة على رسله يكون الإيمان إجمالياً وتفصيلاً ، فنؤمن تفصيلاً بما سَمَّى الله تعالى من كتبه وهي :

١- التوراة :

حيث قال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ . [سورة المائدة : ٤٤] .

التوراة لغة :

قال الفراء ^(٢) : هي إمّا مأخوذة من :

- وري الزند ، يري : إذا خرجت ناره ، يريد أنها نور وضياء .
- أو من التورية ، على وزن " تفعله " ، وإنما قلبت الياء ألفاً على لغة طيء ، وهي التعريض بالشيء والكتمان لغيره ، فكان أكثر التوراة معاريض وتلويحات من غير تصريح وإيضاح . لأنهم يقولون في التوصية : توصاة ، وللجارية جارة وللناصية ناصاة .

وقال الخليل ^(٣) : أصلها " فوعلة " ، فالأصل " ووراة " قلبت الواو الأولى تاء ، كما قلبت في " تولج " ، والأصل : وولج " فوعل " ، من ولجت ، ومثله كثير .

= بن هشام بن يحيى الغساني . قال أبو حاتم وغيره : كذاب . فالحديث ضعيف . انظر : موارد الظمان لأبي الحسن الميثمي في كتاب العلم ، باب السؤال للفائدة (٩٤) : ١ / ٥٣ .

(١) سبق تعريف الإيمان في ص : ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكريا ، المعروف بالفراء : إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب . كان يقال : الفراء أمير المؤمنين في النحو . ومن كلام ثعلب : لولا الفراء ما كانت اللغة . ولد بالكوفة وانتقل إلى بغداد ، وعهد إليه المأمون بتربية أبنائه ، فكان أكثر مقامه بها ، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يوماً في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويرثمهم . وكان مع تقدّمه في اللغة فقيهاً متكلماً ، عالماً بأيام العرب وأخبارها ، عارفاً بالنجوم والطب يميل إلى الاعتزال ، اشتهر بالفراء ولم يعمل في صناعة الفراء ، فقيل : لأنه كان يفري الكلام . ولما مات وجد " كتاب سيبويه " تحت رأسه ، فقيل : إنه كان يتتبع خطأه ويتعمد مخالفته ، من كتبه : المقصور والممدود ، ومعاني القرآن ، والمذكر والمؤنث ، واللغات والفاخر ، ومشكل اللغة وغير ذلك ، ت في طريق مكة سنة ٢٠٧ هـ . انظر : تاريخ بغداد : ١٤ / ١٤٩ - ١٥٥ ، وفيات الأعيان : ٦ / ١٧٦ ، سير أعلام النبلاء : ١٠ / ١١٨ ، شذرات الذهب : ١ / ١٩ .

(٣) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليماني ، أبو عبد الرحمن : من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض أخذه من الموسيقى وكان عارفاً بها . وهو أستاذ سيبويه النحوي . والفراهيدي نسبة إلى بطن من الأزدي ، وكذلك اليماني ، ولد ومات في البصرة ، وعاش فقيراً صابراً ، كان شعث الرأس ، شاحب اللون ، قشف الهيئة ، متمزق الثياب ، منقطع القدمين ، مغموراً في الناس لا يعرف . له كتاب : العين ، ومعاني الحروف ، وجملة آداب العرب ، وتفسير حروف اللغة والنقط والشكل ، والعروض والسننم وفكر في ابتكار طريقة في الحساب تسهله على العامة ، فدخل المسجد وهو يعمل فكره ، فصدته سارية وهو غافل فكانت سبب =

والجمهور على القول الأوّل ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٤٨] . يعنى التوراة ، و فيه نظر لأنها غير عربية (١) .

والمراد بالتوراة :

" هي الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام ، وقد ألقى الله معانيها إلى موسى فذكرها بلفظه ، وعبر عنها بكلامه " (٢) .

ولفظ التوراة قد يراد به :

- جميع الكتب التي نزلت قبل الإنجيل ، فيقال : التوراة والإنجيل .
- أو الكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام وما بعده من نبوة الأنبياء المتبعين لكتاب موسى عليه السلام ، فقد يسمّى هذا كله توراة .
- فكما أن لفظ (الشريعة) يتضمّن القرآن والأحاديث النبوية وما استخراج من ذلك فكذلك التوراة تفسر بالشريعة ، ولا يختص ذلك بالكتاب المتزلّ على موسى عليه السلام (٣) .

٢- الإنجيل :

قال تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٤٦] .

والإنجيل لغة : مأخوذ من :

- " إفعال " من : النَّجَل ، وهو الأصل ويجمع على أناجيل ، فالإنجيل أصل لعلوم وحكم ويقال : لعن الله ناجليه ، يعنى : والدیه ، إذ كانا أصله .

= موته . ت سنة ١٧٠ هـ . انظر : المنتظم (حتى ٢٥٧هـ) : ٧ / ٢٧٩ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٢٤٤ ، سير أعلام النبلاء :

٤٢٩ / ٧ البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ١ / ٩٩ .

(١) انظر : غريب الحديث لعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : ١ / ٢٤٤ ، لسان العرب (مادة : وري) : ١٥ / ٣٨٩ ، المصباح

المنير لأحمد بن محمد بن علي القرني الفيومي : ٢ / ٦٥٧ .

(٢) أعلام النبوة لعلي بن محمد الماوردي : ١١١ .

(٣) انظر : النبوات لابن تيمية : ٢٨٩ .

■ أو من : نجلت الشيء ، إذا استخرجته ، فالإنجيل مستخرج به علوم وحكم ، ومنه سُمِّي الولد والنسل نجلاً ؛ لخروجه . والنَّجَل : الماء الذي يخرج من النَّز ، واستنجلت الأرض وبها نجال : إذا خرج منها الماء ، فسُمِّي الإنجيل به ؛ لأنَّ الله تعالى أخرج به دارساً من الحق عافياً .

■ أو من النَّجَل في العين - بالتحريك - : وهو سعتها ، وطعنة نجلاء : أي واسعة . فسُمِّي الإنجيل بذلك ؛ لأنه أصل أخرجهم ووسعه عليهم ، ونورا وضياء .

■ وقيل : التَّنَاجِل : التَّنَازَع . وسُمِّي إنجيلاً لتنازع الناس فيه .

■ وقيل : هو عربي . يريد أنهم يقرؤون كتاب الله عن ظهر قلوبهم ، ويجمعونه في صدورهم حفظاً ، وكان أهل الكتاب إنما يقرؤون كتبهم في الصحف ، ولا يكاد أحدهم يجمعها حفظاً إلا القليل . وقد يسمَّى القرآن " إنجيلاً " أيضاً . كما روي في صفة الرسول ﷺ وأُمَّته : " أناجيلهم في صدورهم " (١) . وإنما أراد بالأناجيل القرآن .

■ وقيل : هو أعجمي (٢) .

❁❁ والذي يظهر أن التوراة والإنجيل اسمان أعجميان .

قال الزَّخَشَرِيُّ (٣) :

" التوراة والإنجيل اسمان أعجميان ، وتكلف اشتقاقهما من : الورى والنجل ، ووزنهما بـ " تفعله " و " أفعيل " إنما يصح بعد كونهما عربيتين . وقرأ الحسن (٤) (الأنجيل) بفتح الهمزة (٥) ، وهو دليلٌ على العجمة ؛ لأن (أفعيل) بفتح الهمزة عديم في أوزان العرب " . اهـ (٦) .

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، مسند عبد الله بن مسعود ؓ (١٠٠٤٦) : ١٠ / ٨٩ . قال المناوي : رمز المصنّف لحسنه .

وقال الميمني : فيه من لم أعرفهم . انظر : فيض القدير : ٤ / ١٩٥ .

(٢) انظر : غريب الحديث لابن قتيبة : ١ / ٢٤٥ ، الفائق في غريب الحديث لمحمود بن عمر الزَّخَشَرِيُّ : ٢ / ٢٦٢ ، لسان العرب

(مادة : نجل) : ١١ / ٦٤٨ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٤) هو الحسن البصري ، تقدمت ترجمته في ص ٥٢ .

(٥) انظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري : ١٢٣ .

(٦) الكشاف : ١ / ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، وانظر : تفسير البيضاوي : ٢ / ٤ .

والمراد بالإنجيل :

" هو الذي نزل على عيسى عليه السلام ، وهو ما أخبر به عيسى عليه السلام عن ربه وعن نفسه ، فجمعه تلامذته بألفاظهم ، وجعلوها كتابا متلواً " (١) . وهي أربعة أناجيل ، وجميعها كتبت بعد وفاة عيسى عليه السلام بسنين عديدة ، ولم تكتب في عهده .

والنصارى لا يقرّون بأن الإنجيل متل من عند الله على المسيح وأنه كلام الله ؛ بل كلّهم يجمعون على أنها أربعة تواريخ ، ألّفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة ، ولا يعرفون الإنجيل غير هذا ، وهؤلاء الرجال هم :

❶ " متى " : تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح ، وكتب بالعبرانية في بلد يهود بالشام .

❷ و " مرقس " : الهاروني تلميذ شمعون (٢) بعد ثلاث وعشرين سنة من رفع المسيح وكتبه باليونانية في بلاد أنطاكية (٣) من بلاد الروم ، ويقولون : إن شمعون المذكور هو الذي ألّفه ثم محى اسمه من أوله ، ونسبه إلى تلميذه مرقس .

❸ و " لوقا " الطبيب الأنطاكي تلميذ شمعون بعد تأليف مرقس .

❹ و " يوحنا " تلميذ المسيح بعد ما رفع المسيح ببضع وستين سنة ، كتبه باليونانية ، وكل واحد من هذه الأربعة يسمونه الإنجيل ، وبينها من التفاوت والزيادة والنقصان ما يعلمه الوقف عليها (٤) .

(١) أعلام النبوة : ١١١ .

(٢) هو وزير نبي الله عيسى عليه السلام وأحد الخواريين ، كما كان هارون وزير موسى عليه السلام ، قال الضحّاك عن ابن عباس رضي الله عنهما : استخلف عيسى شمعون . انظر : سياست نامه أو سير الملوك لنظام الملك حسين الطوسي : ٢١٧ / ١ ، البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي : ١٣٠ / ٣ ، الكامل في التاريخ لمحمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ابن الأثير) : ٢٤٤ / ١ ، البداية والنهاية : ٩٣ / ٢ .

(٣) أنطاكية : مدينة على نهر أرنطس ، سميت " أنطيوخيا " ، وهي التي كمل سلوقوس بناءها وزخرفها ، وسمّاها على اسم ولده " انطيوخوس " وهي : أنطاكية . وقال بطليموس : مدينة أنطاكية طولها تسع وستون درجة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة تحت اثني عشرة درجة من السرطان ، وثلاثين دقيقة يقابلها مثلها من الجدي ، وقيل : إن أول من بناها وسكنها أنطاكية بنت الروم بن اليقين اليفز بن سام بن نوح عليه السلام أخت أنطالية - باللام - . ولم تزل أنطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية ، وهي من أعيان البلاد وأمهاقها ، موصوفة بالتراهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير . انظر : معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي : ١ / ٢٦٦ .

(٤) انظر : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح : ٣٩٧ / ٢ ، هداية الخيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم : ٤٨ ، ٤٩ .

٣- الزبور :

قال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ . [سورة الإسراء : ٥٥] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ١٠٥] .

الزبور لغة : أصله إما من :

- زبر الكتاب يزبره : إذا كتبه ، وهو " فَعول " بمعنى : " مفعول " مثل : ركوب بمعنى : مركوب . والزبر : أي الكتب المزبورة ، يعني : المكتوبة ، والزبر : جمع زبور وهو الكتاب ، وكل زبور فهو كتاب ، وأنا أعرف تزبرتي ، أي : كتابتي .
- أو من : الزبر ، بمعنى : الزجر ، وزبرتُ الرجل : انتهرته . والأصل في الكلمة : التوثيق يقال : بثر مزبورة ، أي : مطوية بالحجارة . والكتاب يسمى : زبوراً لقوة الوثيقة به .
- وقرأ حمزة ^(١) : (زبورا) - بضم الزاي ^(٢) - جمع زبر ، كفلس وفلوس ^(٣) .

المراد بـ ﴿ الزبور ﴾ :

جاء في كثير من التفاسير أن المراد بالزبور إمّا :

- الكتاب ، قاله مجاهد ^(٤) .
- أو أن الزبور هو الذي أنزل على داود عليه السلام ، قاله ابن عباس ^(٥) وغير واحد .
- وقال الزجاج ^(٦) : الزبور جمع الكتب : التوراة والإنجيل والقرآن ، لأن الزبور والكتاب في معنى واحد .

والرَّاجع : أن الزبور هو الكتاب ، ثم غلب على صحف داود عليه السلام ^(٧) .

(١) سبق ترجمته في ص ٢٥ .

(٢) انظر : التيسير في القراءات السبع لعثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني : ٩٨ .

(٣) انظر : غريب الحديث لابن قتيبة : ١ / ٢٤٥ ، لسان العرب (مادة : زبر) : ٤ / ٣١٥ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٥) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٥٥ .

(٧) انظر : تفسير القرطبي : ١١ / ٣٤٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٠٢ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٨٥ ، فتح القدير : ٣ / ٤٣٠ .

والزبور :

" هو الكتاب الذي أنزل على داود عليه السلام ، وهو عبارة عن أدعية بتحاميد وتساييح تنسب إلى داود عن لفظه ، فقد كان حسن الصوت ، فإذا أخذ في قراءة الزبور اجتمع إليه الإنس والجن والطير والوحش لحسن صوته " (١) .

٤- والصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى ، وقد ذكرت في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿ ١٨٨ ١٨٩ ﴾ . [سورة الأعلى : ١٨ ، ١٩] .

٥- والقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتم الكتب السماوية ، والإيمان بالقرآن يكون بالإقرار به واتباع ما فيه ، وذلك أمرٌ زائدٌ على الإيمان بغيره من الكتب .
ونؤمن إجمالاً بالكتب الأخرى التي نزلت على سائر الرسل ، ولا يعلم أسماءها وعددها إلا الله تعالى (٢) .

قال الفخر الرازي (٣) :

" والإيمان بما أنزل الله على الأنبياء واجب على الجملة ؛ لأن الله تعالى ما تعبدنا الآن به حتى يلزمنا معرفته على التفصيل ؛ بل إن عرفنا شيئاً من تفاصيله فهناك يجب علينا الإيمان بتلك التفاصيل " . اهـ (٤) .

وإنما أخبرنا صلى الله عليه وسلم أن لكل نبي أرسله الله رسالة بلغها قومه ، فقال : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ . [سورة البقرة : ٢١٣] . وقال تعالى : ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿ ١٣٦ ﴾ . [سورة البقرة : ١٣٦] . وبمثلها في قوله تعالى : ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ... ﴾ . [سورة آل عمران : ٨٤] .

(١) انظر : أعلام النبوة : ١١١ ، تفسير القرطبي : ١٧ / ٦ .

(٢) انظر : أعلام النبوة : ١١٢ ، شرح العقيدة الطحاوية : ١ / ٣٥٠ ، النبوات : ٢٨٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ٢ / ٣٥١ ، الإيمان لمحمد نعيم ياسين : ٦٥ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٨ .

(٤) التفسير الكبير : ٢ / ٣١ .

فإن قيل : لم عدِّي في آية البقرة بحرف الانتهاء ﴿إِلَى﴾ وفي آية آل عمران بحرف الإستعلاء ﴿عَلَى﴾ (١) ؟ .

قال الزمخشري (٢) : " لوجود المعنيين جميعاً ، لأنَّ الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل فجاء تارةً بأحد المعنيين ، وأخرى بالآخر " . اهـ (٣) .

وقال ابن عباس (٤) في تفسير قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ . [سورة البقرة : ٤] . " أي : يصدقونك بما جئت به من الله ﷻ ، وما جاء به من قبلك من المرسلين ، لا يفرقون بينهم ، ولا يجحدون ما جاءوهم به من عند ربهم (٥) .

فإن قال قائل : كيف يمكن الإيمان بجميعها مع تناقضها أحكامها ؟

" قيل له : فيه جوابان :

أحدهما : أن الإيمان بأن جميعها نزل من عند الله ، أي الإيمان بها جملةً ، وهو قول من أسقط التعبد بما تقدّم من الشرائع .

الثاني : أن الإيمان بما لم ينسخ منها ، وهذا قول من أوجب التزام الشرائع المتقدّمة " (٦) .

أجر من آمن بالكتب المنزلة السابقة وآمن بالقرآن :

إن من آمن بالكتب السابقة المنزلة من عند الله ثم آمن بوحى السماء الأخير ؛ القرآن الكريم

يؤتون أجرهم مرتين . قال تعالى : ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ ءُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِذَا

يُنزَلُ عَلَيْهِمْ ءَامَنَّا بِهِ ءِإِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ

مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴿٥٨﴾ . [سورة القصص : ٥٢ - ٥٤] .

(١) انظر : البرهان : ٤ / ٢٣٢ ، ٤ / ٢٨٤ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٣) الكشف : ١ / ٤٠٨ .

(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٥) انظر : تفسير الطبري : ١ / ١٠٥ ، فتح القدير : ١ / ٣٧ .

(٦) تفسير القرطبي : ١ / ١٨٠ .

وأيد ذلك قوله ﷺ : " ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : - إلى أن قال - : ورجلٌ آمن بالكتاب الأول ، ثم جاء الكتاب الآخر فأمن به ، فذلك يؤتى أجره مرتين " (١) . ولقد غاير أهل الكتاب من قبلهم بذلك ، فإيمانهم بما سبق من كتب كان إيماناً بالغيب ؛ وإيمانهم بالقرآن بما عرفوه كما يعرفون أبناءهم (٢) .

بُرُّ مَنْ آمَنَ بِالْكِتَابِ الْمُنزَلَةِ مِنْ مَعْدِنِ اللَّهِ تَعَالَى :

١- الإيمان بكتب الله يكون بالتصديق الجازم بأن كلها منزل من عند الله ﷻ على رسله الى عباده بالحق المبين والهدى المستبين . قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ . [سورة الشورى : ١٧] .

يعني : القرآن وسائر الكتب المنزلة بالصدق والعدل ، قاله ابن عباس (٣) ﷺ وأكثر المفسرين ، والعدل يسمى ميزاناً ؛ لأن الميزان آلة الإنصاف والعدل (٤) .

وقال تعالى : ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ . [سورة آل عمران : ٣] .

فإن قيل : لم قال سبحانه : ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ ﴾ ؟ ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ؟ قال الزمخشري : " لأن القرآن نزل منجماً (٥) ، ونزل الكتابان جملة " (٦) .

(١) أخرجه الترمذي في كتاب النكاح ، باب ما جاء في الفضل في ذلك (١١١٦) : ٣ / ٤٢٤ . قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح . عن أبي موسى الأشعري ﷺ .

(٢) انظر : تفسير القرآن (تفسير السمعاني) لمنصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني : ١ / ٤٤ ، روح المعاني : ١ / ١١٩ .

(٣) صحابي جليل : انظر ص ٢٧ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي : ١٦ / ١٥ .

(٥) منجّم : مأخوذ من نجم : النون والجيم والميم أصل صحيح يدل على طلوع وظهور ، ونزل القرآن منجماً في عشرين سنة ، أو في ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين على حسب الاختلاف في مدة إقامته بمكة بعد النبوة . انظر : المقاييس ، كتاب السنون ، باب النون والجيم وما يثلثهما (مادة : نجم) : ١٠١٤ ، لسان العرب (مادة : نجم) : ١٢ / ٥٧٠ ، البرهان : ١ / ٢٢٨ .

(٦) الكشف : ١ / ٣٦٤ ، وانظر : تفسير البغوي : ١ / ٢٧٧ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي : ٢٠٣ ، تفسير أبو السعود : ٢ / ٤ ، تفسير الجلالين : ٦٥ ، أضواء البيان : ٦ / ٥ .

وقال البغوي ^(١) وغيره : " لأنه - أي القرآن - نزل مفصلاً ، والتّزليل للتّكثير " ^(٢) .
ولقائل أن يقول : هذا يشكّل بقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ . [سورة
الكهف : ١] . وقوله تعالى : ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ . [سورة الإسراء : ١٠٥] . وقد تأوّل
العلماء في ذلك وجوهاً ^(٣) .

والتحقيق : أن نزل ، وأنزل بمعنى واحد ^(٤) ، والعرب يستعملون كل واحد منهما مكان
الآخر ، ولذلك قال ﷺ : ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ .
[سورة آل عمران : ٤] . في أول سورة آل عمران ، ومما بيّن ذلك أعظم البيان قوله ﷺ :
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة الفرقان : ٣٢] . وكما قال تعالى :
﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ . [سورة آل عمران : ٧] . وهذا لا غموض فيه
بحمد الله .

والإنزال : التّقل من الأعلى إلى الأسفل ؛ فكان نزول الكتب السماوية إلى الرسل عليهم
السلام بتلقي جبريل من ربه ﷺ فيترّل بها إلى الرسل - عليهم السّلام - . ولذلك فالقرآن
كلام الله ﷻ - غير مخلوق - لا كلام غيره ، وأن الله تعالى تكلم به حقيقة - لا مجازاً -
كما شاء ، وعلى الوجه الذي أراد ^(٥) .

قال ابن تيمية ^(٦) : " من المشهور عن السّلف أن القرآن العزيز كلام الله غير مخلوق ، منه

^(١) هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الشافعي ، أو ابن الفراء ، أبو محمد ، ويلقب بمحمي السّنة : البغوي : الإمام ، الفقيه ، الحافظ
الجهتد ، المفسر ، كان زاهداً قانعاً باليسير ، وكان أبوه يعمل الفراء ويبيعها ، بورك له في تصانيفه ، ومن أشهرها : لباب التأويل في معالم
التّزليل : في التفسير ، وشرح السّنة : في الحديث ، والتّهذيب ، ومصايح السّنة ، والجمع بين الصحيحين وغير ذلك ، توفي بمرو السّروذ
سنة ٥١٠ هـ ، وقيل : ٥١٦ هـ . انظر : وفيات الأعيان : ٢ / ١٣٦ ، سير أعلام النبلاء : ١٩ / ٤٣٩ ، البداية والنهاية :
١٢ / ١٩٣ ، طبقات المفسرين : ١ / ٤٩ .

^(٢) تفسير البغوي : ١ / ٢٧٧ . وانظر : فتح القدير : ١ / ٣١٢ .

^(٣) انظر : التفسير الكبير : ٧ / ١٣٧ .

^(٤) قال ابن منظور : " وتنزّله وأنزّله ونزّله بمعنى واحد . قال سيبويه : وكان أبو عمرو يفرّق بين نزلت وأنزلت ، ولم يذكر وجه
الفرّق ؛ قال أبو الحسن : لا فرق عندي بين نزلت وأنزلت إلا صيغة التّكثير في نزلت في قراءة ابن مسعود : (وأنزل
السّلائكة تنزيراً) ؛ أي : أنزل كنزلاً " . انظر : لسان العرب (مادة : نزل) : ١١ / ٦٥٦ .

^(٥) انظر : العقيدة لأحمد بن حنبل : ٦٠ ، الصّواعق المرسلّة : ٤ / ١٢٩١ ، تفسير القاسمي : ١ / ٣٧ .

^(٦) سبق ترجمته في ص ٢١ .

بدأ واليه يعود ، أي : لا يبقى له أثر في الوجود ، أي : هو المتكلم به " . اهـ (١) .
قال علي (٢) : " والله ما حكمت مخلوقاً ؛ إنما حكمت القرآن " (٣) .

" والقرآن مسموع ، لقوله ﷻ : ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ . [سورة التوبة : ٦] . وهو في
المصاحف لقوله ﷻ : ﴿ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ . [سورة الطور : ٣] . فالواجب ألا نتعدى مضمون
الآيات ، ولا نتكلم في ذلك برأينا " (٤) .

وهذه الكتب الإلهية منها :

① المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة .

② ومنها ما يسمعه جبريل ﷺ ، فهو الموكل بالوحي ، ويأمره بتبليغه منه الى رسل الله
كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا
فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ ﴾ . [سورة الشورى : ٥١] .

③ ومنها ما خطه بيده ﷻ كما قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً
وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَا خُذُوا بِحَسَنَاتِهَا ﴾ . [سورة الأعراف : ١٤٥] .

٢- الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله هدى ونور وبيان وشفاء . قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا
النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .
[سورة يونس : ٥٧] . ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ . [سورة فصلت : ٤٤] . ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ . [سورة التغابن : ٨] . ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ
وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ . [سورة النحل : ٨٩] . وأمثال ذلك في القرآن كثيرة .

(١) توحيد الألوهية : ٦ / ٢١٩ ، وانظر : لمعة الاعتقاد لعبد الله بن قدامة المقدسي : ١ / ١٦ .

(٢) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، يكنى أبا الحسن وأبا تراب ، أمير المؤمنين ، ورابع الخلفاء الراشدين ، وابن
عم النبي ﷺ وصهره ، قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة في مؤامرة ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ . انظر : طبقات ابن سعد : ٣ / ١٩
حلية الأولياء : ١ / ٦١ ، صفة الصفوة : ١ / ٣٠٨ ، الإصابة : ٢ / ٥٠٧ .

(٣) شعب الإيمان : ١ / ١٨٩ .

(٤) تلييس إبليس لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي : ١٠٩ .

٣- الإيمان بأن كتب الله مطهرة من الكذب والزور ومن كل باطل ، ومن كل ما لا يليق بها ، قال الله تعالى : ﴿ ... وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤٦﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٧﴾ . [سورة فصلت : ٤٦] .

٤- الإيمان بكل ما فيها من الشرائع ، وأنه كان واجباً على الأمم الذين نزلت اليهم الصحف الأولى الانقياد لها والحكم بما فيها . كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ مَّحْكُمٌ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً ﴾ . [سورة المائدة : ٤٤] .

٥- الإيمان بأن :

﴿ جميعها يصدق بعضها بعضاً لا يكذبه ، كما قال تعالى في الإنجيل : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ . [سورة المائدة : ٤٦] . وقال في القرآن : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ . [سورة المائدة : ٤٨] .

﴿ وإن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق ، كما أن بعض أحكام شريعة التوراة نسخت بالإنجيل ، قال الله تعالى في عيسى عليه السلام : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ . [سورة آل عمران : ٤٨ - ٥٠] .

﴿ وإلى قوله : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِقَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ . [سورة آل عمران : ٤٨ - ٥٠] .

﴿ وكما نسخ القرآن كثيراً من أحكام شريعة التوراة والإنجيل ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَهُمْ عَلَيْهِمْ الْحَبِيثَاتُ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . [سورة الأعراف : ١٥٧] .

﴿ وَإِنَّ نَسْخَ الْقُرْآنِ بِبَعْضِ آيَاتِهِ بَعْضٌ حَقٌّ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ . [سورة البقرة: ١٠٦] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . [سورة النحل: ١٠١] . وَالنَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ آيَاتُ مَشْهُورَاتٍ مَذْكُورَاتٍ فِي مَوَاضِعِهَا مِنْ كِتَابِ التَّفْسِيرِ وَغَيْرِهَا (١) .

٦- الإيمان بأنَّ في جميع الكتب الإلهية الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، وأنه أرسل إلى الخلق رسلاً من البشر ، وأنه أوجب العدل وحرَّم الظلم والفواحش والشرك وأمثال ذلك من الشرائع الكليَّة ، وأن فيها الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب ، وفيها وجوب الإيمان باليوم الآخر (٢) .

٧- من البرِّ بكتب الله اتباع ما فيها من أوامر واجتناب ما فيها من نواه ، ويُخصَّصُ القرآن الكريم بذلك فهو منهج الحياة ، لأنَّ الإسلام قد جبَّ ما قبله من الشرائع ، وقد ذمَّ المولى ﷺ من قرأ كتاب الله ثم لم يعمل بما فيه ، وضرب لذلك مثلاً فقال سبحانه : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ . [سورة الجمعة : ٥] .

٨- كلُّ كتابٍ من الكتب السماوية نزل إلى أمة خاصَّة دون سائر الأمم ، ماعدا القرآن فقد أنزله الله للناس كافة . وهي وإن اتفقت في أصول الدين والإيمان ، إلا أن ما نزل فيها من الشرائع والأحكام كان خاصاً بأزمنة معينة وأقوام معينين . قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا ﴾ . [سورة المائدة: ٤٨] . ولذلك لم يتعهد الله سبحانه بحفظ أيِّ منها على مدى الأزمان ، بل وكلَّ حفظ التوراة - على سبيل المثال - للربانيين والأخبار ، وذلك بيِّن في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ نَحْكُمُ بِهَا النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيِّينَ وَالْأَحْبَارَ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً ﴾ . [سورة المائدة: ٤٤] .

فلم يسلم أيُّ كتابٍ من الكتب السابقة من التحريف ، قال تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ خَلَفْتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) . [سورة البقرة: ٧٥] . بخلاف القرآن العظيم ، فقد تعهد الله بحفظه ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية : ١ / ٣٥٠ ، فتح الباري : ١ / ١١٧ .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ٢ / ٤٤٠ ، ٤٤١ .

نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿٩﴾ . [سورة الحجر : ٩] . فكان حفظه من التحريف ، وصيانتها من عبث الناس ليبقى ما فيه حجّة الله على الناس ، قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

٩- من البرّ بكتب الله مناجاته سبحانه بمترّل التوراة والإنجيل والقرآن وتذكرها يومياً كما كان يدعو حبيبنا المصطفى ﷺ ويناجي ربه ، ، فقد كان يأمر صحابته ﷺ إذا أخذ أحدهم مضجعه أن يقول : " اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِينَ وَرَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقِ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، مَتْرَلُ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَالظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَالْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ " (١) .

فنجده ﷺ يذكر نفسه كلّ يوم ، ويأمر صحابته أيضاً أن يتذكروا أن الله هو مترّل التوراة والإنجيل والقرآن ، ولا بد أن في هذا سرّاً عجيباً .. فإنّ الإيمان بما أنزل الله من كتب ، هي الصفة اللائقة بالأمة المسلمة ، وارثة العقائد والنبوّات ، وحادية موكب الإيمان في الأرض إلى آخر الزمان .

وما قيمة هذه الصفة ؟ .. قيمتها هي :

- تنقية الرُّوح من التعصُّب الذمّيم .
- الاطمئنان إلى رعاية الله للبشرية على تعاقب الأجيال .
- الاعتزاز بالدين الواحد والهدى الواحد (٢) .

لهذا كان الإيمان بالكتب السّماوية جميعها من خصال البرّ ، فالأبرار يؤمنون بوحدة هذه الكتب المترّلة في دعوتها لعبادة الله وحده ، فإنّ ما طرأ عليها من تحريف لا ينفي كونها مترّلة من عند الله ، وهذا له أثرٌ كبيرٌ في غير المسلم عندما يدعى إلى الإسلام ويعلم أنّ من أركان البرّ والتقوى الإيمان بكتابه السّماوي ، فلا تعصّب ولا عنصرية ؛ بل إحقاقٌ للحقّ وتسليمٌ لما أمر الله .

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب منه (٣٤٠٠) : ٥ / ٤٧٢ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . عن أبي هريرة ؓ .

(٢) انظر : الظلال : ١ / ٤١ .

فالأبرار يؤمنون بكتب الله المتزلة على رسله الكرام ، ويصدقون بتزولها من غير أن يعملوا بما فيها ؛ بل يلتزمون المنهج الخالد في وحي السماء الأخير في آيات الذكر الحكيم .



المبحث الخامس

الإيمان بالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -

إنَّ الأنبياء هم أكرم الخلق على الله ، اختارهم لمهمّة عظيمة ، وكانوا حلقة الوصل في تبليغ شرع الله ، كابدوا ولاقوا الصّعب لأداء هذه المهمّة ، ومن خصال البرِّ الإيمان بجميع الأنبياء الذين جاؤوا بالدعوة الواحدة .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

الأنبياء لغة وشرعاً :

الأنبياء لغة :

الأنبياء جمع نبي ، والنبي أصله من همز (١) ، أنه من نبأ وأنبأ إذا أخبر ، فالهمزة لام الفعل فوزن (نبيء) " فعيل " ، وسمي نبيء : لأنه أنبأ عن الله تعالى . و" فعيل " قد يكون بمعنى " فاعل " أي : منبئ ، ومعنى " مفعول " أي : منبأ ، وهما هنا متلازمان ؛ فالنبي : الذي ينبئ بما أنبأه الله به ، والنبي : الذي نبأه الله ، وهو منبأ بما أنبأه الله به .

ومن ترك الهمز (٢) فعلى وجهين :

أحدهما : أن يكون من نبا ينبو إذا ارتفع ، ومنه التّبوة ، فيكون مما لا أصل له في الهمز .
والوجه الآخر : أن يكون من نبأ وأنبأ ، فيكون أصله الهمز فخففت الهمزة بأن قلبت ياء وأدغمت الياء التي قبلها فيها .

(١) قرأ نافع : (النبيء) ، انظر : الحجة في القراءات السبع : ٨٠ ، شرح الهداية لأحمد بن عمار المهدي : ١ / ١٦٩ ، التيسير في

القراءات السبع : ٧٣ ، حجة القراءات : ٩٨ .

(٢) قرأ بقية القراء السبعة بترك الهمز : ﴿ أَلَنبِيُّ ﴾ . انظر : المراجع السابقة .

ويقال إن النبي ﷺ اسمه من النبوة ، وهي الشرف المرتفع من الأرض لارتفاع قدره ، ولأنه شرف على سائر الخلق .

والتحقيق : أن هذا المعنى داخل في الأول ، فمن أنبأه الله وجعله منبئاً عنه فلا يكون إلا رفيع القدر علياً ، وأما لفظ العلو والرفعة فلا يدل على خصوص النبوة ؛ إذ كان هذا يوصف به من ليس بنبي ؛ بل يوصف بأنه الأعلى كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٣٩] .

والنبي : العلم من أعلام الأرض التي يهتدى بها ، وتصغيره نبي ، واجمع أنبياء . وقيل : النبي الطريق ، والأنبياء طرق الهدى (١) .

الذي شرماً :

" من نبأه الله بخبر السماء ولم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول " (٢) .

وعرف شيخ الإسلام ابن تيمية (٣) " النبي " تعريفاً آخر فقال :

" هو الذي ينبئه الله وهو ينبي بما أنبأ الله به ، وهو يعمل بالشرعية قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة " . اهـ (٤) .

وقال ابن قيم الجوزية (٥) :

" الأنبياء : من لهم النبوة دون الرسالة ، فاختصوا عن الأمة بإيحاء الله إليهم ، وإرساله ملائكته إليهم ، واختصت الرسل عنهم بإرسالهم إلى الأمة بدعوتهم إلى الله بشريعته وأمره واشتركوا في الوحي ونزول الملائكة عليهم " . اهـ (٦) .

(١) انظر : المقاييس (مادة : نبو ، نبأ) : ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، الفائق في غريب الحديث : ٣ / ٤٠١ ، لسان العرب (مادة : نيا) :

١٥ / ٣٠١ - ٣٠٣ ، (مادة : نبأ) : ١ / ١٦٢ - ١٦٤ ، النبوات : ٢٣٥ ، ٢٣٧ . قال سيويه : والهمز في النبي لغة رديفة يعني لقله استعماله ، لا لأن القياس يمنع من ذلك . ألا ترى إلى قول سيدنا رسول الله : " لست بنبي الله ولكنني نبي الله " .

انظر : لسان العرب : ١ / ١٦٢ . علق شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا الحديث فقال : ما رأيت له إسناداً لا مسنداً ولا مرسلأ ، ولا رأيت في شيء من كتب الحديث ولا السير المعروفة ومثل هذا لا يعتمد عليه . انظر : النبوات : ٢٣٧ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية : ١ / ١٦٧ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٤) النبوات : ١٨٤ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٦ .

(٦) طريق المجرتين وباب السعادتين لابن القيم : ٥١٦ .

وقال الجرجاني^(١): " النبي من أُوحي إليه بملك ، أو ألهم في قلبه ، أو نُبِّه بالرؤيا الصالحة فالرسول أفضل بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة ؛ لأن الرسول هو من أُوحي إليه جبرائيل خاصة بتزليل الكتاب من الله " . اهـ (٢) .

ولكن ما فائدة الإيحاء إلى النبي إن لم يؤمر بتبليغ غيره؟! .. كيف وقد أمرنا المولى ﷺ بالاعتداء بهديهم في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْلِهِمْ أَقْتَدِهٖ﴾ . [سورة الأنعام : ٩٠] .
فهذا مما يُؤخذ على التعريف المشهور لـ " النبي " .

الرسول لغة :

الراء والسين واللام أصلٌ واحدٌ مطرد ، يدل على الانبعاث والامتداد .
والرسول : مصدر وهو مشترك بين الرسالة والمرسل ، وهو (فعول) بمعنى (مفعول)
وقد جاء على معنيين :

① الذي يُتابع أخبار الذي بعثه ؛ أخذاً من قولهم : جاءت الإبل رسلاً أي متتابعة . وسُمِّي الرسول رسولاً ؛ لأنه ذو رسول أي ذو رسالة . والجمع أرسل ورُسل ورُسل ورُسل .
- الأخيرة عن ابن الأعرابي (٣) - (٤) .

② الانبعاث على تودة . قال الراغب^(٥): " أصل الرسل الانبعاث على تودة ، يقال : ناقة رسالة ، سهلة السير ، ومنه الرسول المنبعث " (٦) .

(١) سبق ترجمته في ص ٥١ .

(٢) التعريفات : ٣٠٧ .

(٣) هو محمد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابي ، أبو عبد الله : راوية ، نسأب ، علامة باللغة . من أهل الكوفة ، كان أحول . أبوه مولى للعباس بن محمد بن علي الهاشمي . قال ثعلب : شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مائة إنسان ، كان يسأل ويقرأ عليه فيجيب من غير كتاب ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط ، ولقد أُملي على الناس ما يحمل على أجمال ، ولم ير أحد في الشعر أغزر منه . وهو ربيب المفضل بن محمد صاحب المفضليات ، له تصانيف كثيرة منها : أسماء الخيل وفرسانها ، وتاريخ القبائل والنوادر ، وتفسير الأمثال ، والأنواء ، وأبيات المعاني وغير ذلك . ت بسامراء سنة ٢٣١ هـ . انظر : الفهرست : ١ / ١٠٢ ، تاريخ بغداد : ٥ / ٢٨٢ ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ١ / ١٩٦ ، سير أعلام النبلاء : ١٠ / ٦٨٧ .

(٤) انظر : المقاييس (مادة : رسل) : ٤٠٢ ، لسان العرب (مادة : رسل) : ١١ / ٢٨٣ ، الكلبيات (فصل الرءاء) : ٤٧٦ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٣ .

(٦) المفردات (مادة : رسل) : ٢٠١ .

الرسول شرحاً :

هو من نبأه الله بخبر السماء وأمره أن يبلغ غيره فهو نبي رسول ، فالرسالة أعم من جهة نفسها لأن النبوة جزء من الرسالة ؛ إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل ؛ فإنهم لا يتناولون الانبياء وغيرهم بل الأمر بالعكس ؛ فالرسالة أعم من جهة نفسها ، وأخص من جهة أهلها .

والرسول باعتبار الملائكة أعم من النبي ؛ فرسل الله تارة يراد بها الملائكة ، وتارة يراد بها الأنبياء . فمن الملائكة قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ . [سورة التكويد : ١٩] . ومن الأنبياء قوله : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٤٤] . (١)

وعرف ابن تيمية (٢) " الرسول " تعريفاً مغايراً لما اشتهر فقال : " هو الذي ينبئه الله وهو ينبي بما أنبأ الله به ، وأرسله الله الى من خالف أمره ليلبغه رسالة من الله إليه " . اهـ (٣) .

رغم أننا نستشف من هدي رسول الله ﷺ أن بياناً وتعليمه لم يكن مقتصرًا لمن خالف أمر الله - أي للكافرين - ؛ بل كان معظمه لصحابته ﷺ ولأئمة من بعدهم ، فكان ينبؤهم ﷺ بكل ما أوحى إليه من أمور غيبية وتشريعية وأخلاق وآداب اجتماعية وغير ذلك .

الفرق بين الأنبياء والمرسل :

نقل الماوردي (٤) اختلاف أقوال أهل العلم في الفرق بين الأنبياء والمرسل ، وذلك من قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ

(١) انظر : المفردات (مادة : رسل) : ٢٠١ ، شرح العقيدة الطحاوية : ١ / ١٦٧ ، التعريفات : ١٤٨ ، التعاريف : ٣٦٣ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٣) النبوات : ١٨٤ .

(٤) هو علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، أبو الحسن الماوردي : من العلماء الباحثين ، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة ولد في البصرة سنة ٣٦٤ هـ ، وانتقل إلى بغداد ، وولي القضاء في بلدان كثيرة ، ثم جعل " أقصى القضاة " في أيام القائم بأمر الله العباسي . وكان يميل إلى مذهب الاعتزال ، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء ، نسبتته إلى بيع ماء الورد ، وتوفي ببغداد سنة ٤٥٠ هـ . من كتبه : أدب الدنيا والدين ، والأحكام السلطانية ، والنكت والعيون ، والخواوي في فقه الشافعية ، وأعلام النبوة وغير ذلك . انظر : وفيات الأعيان : ١ / ٣٢٦ ، سير أعلام النبلاء : ١٨ / ٦٤ ، طبقات الشافعية الكبرى : ٥ / ٢٦٧ ، شذرات الذهب : ٢ / ٢٨٥ .

مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ مُحَكِّمُ اللَّهِ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ . [سورة الحج : ٥٢] . وقد اختلفوا على قولين :

أحدهما : أن الأنبياء والرسل واحد ؛ فالنبي رسول والرسل نبي ، وقد كان ﷺ يخاطب بهما .

والقول الثاني : أنهما يختلفان ؛ لأن اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات والرسول أعلى منزلة من النبي ، ولذلك سميت الملائكة رسلاً ولم يسموا أنبياء . واختلف من قال بهذا في الفرق بينهما على ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن الرسول هو الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي ، والنبي هو الذي يوحى إليه في نومه .

والقول الثاني : أن الرسول هو المبعوث إلى أمة ، والنبي هو المحدث الذي لا يبعث إلى أمة قاله قُطْرُب (١) .

والقول الثالث : أن الرسول هو المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام ، والنبي هو الذي يحفظ شريعة غيره ، قاله الجاحظ (٢) . (٣)

وقال التفتازاني (٤) : " النبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه ، وكذا الرسول ، وقد

(١) هو محمد بن المستنير بن أحمد ، أبو علي ، الشهير بقُطْرُب : نحوي ، عالم بالأدب واللغة ، من أهل البصرة . من الموالي . كان يرى رأي المعتزلة النظامية . وهو أول من وضع " المثلث " في اللغة . وقُطْرُب لقب دعاه به أستاذه " سيبويه " فلزمه . وكان يؤدب أولاد أبي دلف العجلي . من كتبه : معاني القرآن ، والنوادر ، والأزمنة ، والأضداد ، وخلق الإنسان ، وغريب الحديث وغير ذلك . ت سنة ٢٠٦ هـ . انظر : الفهرست : ١ / ٧٨ ، تاريخ بغداد : ٣ / ٢٩٨ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٣١٢ ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ١ / ٢١٤ .

(٢) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء ، الليثي ، أبو عثمان ، الشهير بالجاحظ لبحوث عينيه ، ويقال له : الحدقي : كبير أئمة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة . مولده ووفاته بالبصرة ، فلق آخر عمره ، وكان مشوه الخلق ، له تصانيف كثيرة منها : الحيوان ، البيان والتبيين ، والبخلاء ، والنبي والمنتبي ، والبرصان والعرجان والعميان والحولان ، وجمهرة الملوك ، والحنين إلى الأوطان وغير ذلك . ومات والكتاب على صدره ؛ قتله مجلدات من الكتب وقعت عليه سنة ٢٥٥ هـ . انظر : تاريخ بغداد : ١٢ / ٢١٢ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٤٧٠ ، سير أعلام النبلاء : ١١ / ٥٢٦ ، البداية والنهاية : ١١ / ١٩ .

(٣) انظر : أعلام النبوة لعلي بن محمد الماوردي : ٧٠ .

(٤) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ، سعد الدين ، من أئمة العربية والبيان والمنطق ، ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس ، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند ، فتوفي فيها ، ودفن في سرخس . كان في لسانه لكمة . ومن كتبه : تهذيب المنطق ، والمطول والمختصر ، ومقاصد الطالبين ، وشرح مقاصد الطالبين ، وشرح العقائد النسفية ، وشرح التصريف العزي ؛ وهو أول ما صنف من الكتب ، وكان عمره ست عشرة سنة وغير ذلك . ت سنة ٧٩٣ هـ . انظر : الدرر الكامنة : ٦ / ١١٢ ، كشف الظنون : ١ / ٤٧٤ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣١٩ ، الأعلام : ٧ / ٢١٩ .

يُخَصُّ بِمَنْ لَهُ شَرِيعَةٌ وَكِتَابٌ ، فَيَكُونُ أَحْصَىٰ مِنَ النَّبِيِّ " . اهـ (١) . وهو الأصوب ، والله أعلم .

الإيمان بالأنبياء ركن من أركان البر :

إِنَّ الْإِيمَانَ بِالنَّبِيِّينَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْبِرِّ كَمَا بَيَّنَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] . كما أنه ركن من أركان الإيمان كما جاء في حديث جبريل المشهور حينما سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال : " أَنْ تُوْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ " (٢) . ونلاحظ من هذا أن الإيمان أعم من البر ؛ لأن من تحقيق البر الإيمان بكل نبي ، بينما لا يكتمل إيمان المرء حتى يؤمن بكل رسول ، وقد عرفنا أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا . ولعل السر في كون الإيمان بالأنبياء في آيتنا هذه - وليس الإيمان بالرسل فقط - ركن من أركان البر هو تقرير حقيقة قديمة ؛ فهؤلاء الرهط الكرام الذين يقودون موكب الإيمان ، هم حَسَبُ هذا الدين ! .. وهذا ما عناه سيد قطب (٣) بقوله :

" إنها حقيقة قديمة امتدت شجرتها ، وموكب موصول تماسكت حلقاته ؛ ودعوة واحدة حملها كل نبي ، ورسول بعد رسول ، وآمن بها ويؤمن بها من يقسم الله له الهداية ؛ بما يعلمه من استحقاقه للهداية ! .. وهو تقرير يسكب الطمأنينة في قلب المؤمن ، وفي قلوب العصابة المؤمنة - أيا كان عددها - إن العصابة ليست وحدها ، ليست مقطوعة من شجرة ! إنما فرع منبثق من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وحلقة في موكب جليل موصول موصولة أسبابه بالله وهداه .. إن المؤمن الفرد ، في أي أرض وأي جيل سيستروح السير في الطريق ، مهما يجد فيه من شوك ونصب ، وحرمان من أعراض كثيرة ، وهو برفقة هذا الموكب الكريم على الله . الكريم على الكون كله منذ فجر التاريخ " . اهـ (٤) .

(١) شرح المقاصد في علم الكلام : ١٧٣ / ٢ .

(٢) سبق تفريجه في ص ٧٣ ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) سبق ترجمته في ص ٩ .

(٤) الظلال : ١١٤٤ / ٢ ، ٣١٤٧ / ٥ .

معنى الإيمان بالرسول :

هو الإيمان ^(١) بأن الله تعالى اصطفى من البشر رجالاً ، وخصَّهم برسالاته ، وارتضاهم لحمل الأمانة ، وأوحى لهم بشرعه ، وعهد إليهم بإبلاغه ، وأيدهم بالمعجزات ، لإرشاد الخلق في معاشهم ومعادهم ، يبشروهم بالنعيم لمن أطاع ، وينذروهم الجحيم لمن عصى حتى تنقطع الحجة على الله يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٨ ، ٤٩] .

موضوع رسالة الأنبياء والرسول :

يجب الإيمان بأن الله تعالى لم يبعث جميع الرسل والأنبياء إلا لتحقيق غرض أساسي واحد هو عبادة الله ﷻ ، وإقامة دينه ، وتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٥] . كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٢] . وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [سورة المؤمنون : ٥٢] . ^(٢)

ذهب كثير من المفسرين أن الأمة هنا بمعنى : الشريعة أو الدين أو الملة ، أي شريعتكم شريعة واحدة . وهذه إشارة إلى ملة الإسلام ، أي إن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها ، ملة واحدة غير مختلفة ^(٣) .

(١) سبق تعريفه في ص : ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) الإيمان لمحمد نعيم ياسين : ٤٨ ، ٥٠ .

(٣) قاله ابن عباس ؓ ومجاهد وغيرهما . انظر : معاني القرآن للنحاس : ٤ / ٤٦٥ ، بحر العلوم (تفسير السمرقندي) لعلي بن يحيى علاء الدين السمرقندي القرماني : ٢ / ٤٤٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٢٦٧ ، الكشاف : ٣ / ١٣٤ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي : ٤ / ١٤٦ ، تفسير النسفي : ٣ / ٩٠ ، الجواهر الحسان : ٣ / ٩٩ ، تفسير الجلالين : ١ / ٤٣٠ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢٥ .

وقيل : " المراد بالأئمة في قوله : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٢] . أمة الأنبياء - عليهم السلام - " (١) . وهذا ما يفهم من دلالة السياق القرآني (٢) ؛ لأن الآية جاءت عقيب ذكر قصص الأنبياء ، كنوح وإبراهيم ولوط وداود وسليمان وموسى وهارون - عليهم السلام - .

وقال قتادة (٣) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ أي : دينكم دين واحد وربكم واحد ، والشريعة مختلفة .

وهذه الأئمة وإن اختلفت في الفروع ، فهي شريعة متحدة في الأصول التي لا تبدل بتبدل الأعصار ، أي دينكم يامعشر الأنبياء دين واحد وملتكم ملة واحدة ؛ وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، فلم تختلفون !؟ .. (٤) وفي هذا قال سيد قطب (٥) :

" إنه السلام العميق بين المؤمنين بدين الله الواحد ، السائرين على شرعه الثابت ؛ وانتفاء الخلاف والشقاق ؛ والشعور بالقربى الوثيقة ، التي تدعو إلى التعاون والتفاهم ، ووصل الحاضر بالماضي ، والماضي بالحاضر ، والسير جملة في الطريق . وإذا كان الذي شرعه الله من الدين للمسلمين المؤمنين بمحمد هو ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى . فقيم يتقاتل أتباع موسى وعيسى مع أتباع محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ؟ ولم لا يتضام الجميع ليقفوا تحت الراية الواحدة التي يحملها رسولهم الأخير ؟ " . اهـ (٦) .

(١) زاد المسير : ٣٨٦ / ٥ ، وانظر : محاسن التأويل : ١ / ١٦١ ، الظلال : ٤ / ٢٣٩٥ .

(٢) دلالة السياق القرآني : هي من أعظم القرائن على مراد المتكلم ، وهي إحدى دلالات لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم ، وهي من الأمور التي تعين على المعنى عند الاشكال ، والتي ترشد إلى القطع بعدم احتمال غير المراد . انظر : البرهان : ٢ / ٢٠٠ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٤) انظر : تفسير السمعاني : ٣ / ٤٠٧ ، الكشاف : ٣ / ١٣٤ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٤٦ ، التفسير الكبير : ٢٢ / ١٨٩ ، تفسير القرطبي : ١١ / ٣٣٨ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ١٥٨ ، تفسير النسفي : ٣ / ٩٠ ، التسهيل لعلم الترتيل : ٣ / ٥٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٤٨ ، الجواهر الحسان : ٣ / ٦٥ ، الدر المنثور : ٥ / ٦٧٢ ، وتفسير أبو السعود : ٦ / ١٣٨ ، فتح القدير : ٣ / ٤٢٥ ، روح المعاني : ١٨ / ٤٠ ، تفسير السعدي : ١ / ٥٣٠ ، أضواء البيان : ٤ / ٢٤٦ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٩ .

(٦) الظلال : ٥ / ٣١٤٧ .

أولو العزم من الرسل :

أولو العزم :

أي أصحاب الحزم والجدِّ والصَّبْر وكمال العقل والثبات .

وقد اختلف العلماء في المراد بأولي العزم من الرسل في قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ . [سورة الأحقاف : ٣٥] .

ومنشأ الخلاف في تفسيرهم للفظه ﴿ مِنْ ﴾ ^(١) في قوله تعالى : ﴿ مِنْ الرُّسُلِ ﴾ ، وكان ذلك على قولين :

الأول : أن تكون ﴿ مِنْ ﴾ (للتبعض) ويراد بأولو العزم مشاهير الأنبياء .

الثاني : أن تكون ﴿ مِنْ ﴾ (للتحنيس) لا للتبعض ؛ أي بيانية ، كما تقول : اشترت أردية من البرِّ ، وأكسية من الخزِّ ، أي : اصبر كما صبر الرُّسل ، فيكون ﴿ أُولُو الْعَزْمِ ﴾ صفة الرسل كلِّهم ، فلم يبعث الله رسولاً إلاَّ كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال وعقل . فإن أريد به معنى مخصوص ببعضهم ، فلا بد من بيانه ليظهر وجه التخصيص ^(٢) . واعترض عليه .

قالوا : إنَّ القول بأن المراد بأولي العزم جميع الرُّسل - عليهم الصَّلَاة والسَّلَام - ، وأنَّ لفظه ﴿ مِنْ ﴾ في قوله : ﴿ مِنْ الرُّسُلِ ﴾ بيانية يظهر أنه خلاف التحقيق ؛ كما دلَّ على ذلك بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ . [سورة القلم : ٤٨] .

(١) (من) حرف يأتي لبضعة عشر معنى : منها : التبعض ، والتحنيس . انظر : البرهان : ٤ / ٤١٥ .

(٢) وتوجيه التخصيص : أن المراد بهم من له جد وجه تام في دعوته إلى الحق ، ودَّبه عن حرم التوحيد ، وحى الشريعة ، بحيث يصبر على ما لا يطيقه سواه من عوارضه النفسية والبدنية ، وأموره الخارجية . وقيل : نوح صبر على أذى قومه ، كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده ، وإسحاق - والأصح إسماعيل - على الذبح ، ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ، ويوسف على الحب والسجن ، وأيوب على الضر ، وموسى قال له قومه : ﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٧﴾ . [سورة الشعراء : ٦١ ، ٦٢] . وداود بكى على خطيئته أربعين سنة ، وعيسى لم يضع لينة على لينة ، وقال : إنها معيرة فاعبروها ولا تعمروها . انظر : تفسير السمعاني : ٥ / ١٦٤ ، الكشاف : ٤ / ٣١٧ ، التفسير الكبير : ٢٨ / ٣٠ ، تفسير البيضاوي : ٥ / ١٨٦ تفسير أبي السعود : ٨ / ٩٠ ، تفسير القاسمي : ٦ / ٣٨ . وفي هذا القول نظر : لأنَّ صبر بعض الأنبياء هنا كان على أذى في أنفسهم وليس في سبيل الدعوة إلى الله ، فلم يكونوا لذلك من أولي العزم من الرسل . والله أعلم .

فأمر الله ﷺ في آية القلم هذه بالصبر ، ونهاه عن أن يكون مثل يونس ، لأنه هو صاحب الخوت ، وكقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [سورة طه : ١١٥] . فآية القلم وآية طه المذكورتان كلتاها تدل على أن أولي العزم من الرسل الذين أمر النبي ﷺ بأن يصبر كصبرهم ليسوا جميع الرسل . والعلم عند الله .

وأشهر الأقوال أن أولي العزم من الرسل خمسة وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - ، قاله ابن عباس ^(١) وغيره .

ولم يرسل الله تعالى من رسول إلا وهذه الصفات فيه مجتمعة ، غير أن هؤلاء الخمسة أصحاب الشرائع المشهورة كانت هذه الصفات فيهم أكمل وأعظم من غيرهم ؛ لاستمالة قلوب الكفرة ولاتفاق الكل على نبوتهم . ولذا خصوا بالذكر في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ . [سورة الأحزاب : ٧] . وفي قوله : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ﴾ . الآية . [سورة الشورى : ١٣] . ^(٢)

بُرُّ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّينَ :

١- الإيمان بمن سمى الله تعالى من رسله وأنبياؤه في كتابه أو على لسان رسوله محمد ^(٣) ﷺ وذلك على وجه التفصيل ، وهم خمسة وعشرون نبياً ، ذكر منهم ثمانية عشر في قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٢٨﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَىٰ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ

^(١) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

^(٢) انظر : تفسير القرآن (تفسير الصنعاني) لعبد الرزاق بن همام الصنعاني : ٣ / ٢١٩ ، معاني القرآن للنحاس : ٦ / ٤٥٥ ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير الواحدي) لعلي بن أحمد الواحدي : ٢ / ٩٩٩ ، تفسير السمعاني : ٥ / ١٦٤ ، تفسير البغوي : ٤ / ١٧٦ ، الكشاف : ٤ / ٣١٧ ، زاد المسير : ٧ / ٣٩٢ ، التفسير الكبير : ٢٨ / ٣١ ، تفسير القرطبي : ١٦ / ٢٢٠ ، تفسير البيضاوي : ٥ / ١٨٦ ، تفسير النسفي : ٤ / ١٤٣ ، تفسير أبو السعود : ٨ / ٩٠ ، روح المعاني : ٢٦ / ٣٤ ، ٢٥ / ٢٠ ، تفسير القاسمي : ١٤ / ٢٩٩ ، ١٥ / ٣٧ ، أضواء البيان : ٤ / ١٠٥ ، ٧ / ٢٤١ .

^(٣) هو نبي الله (شيت ﷺ) فلم يُذكر في القرآن الكريم ، ولكن ذُكر في السنة المطهرة في حديث أبي ذر رضي الله عنه .

أَلْعَلَمِينَ ﴿٨٦﴾ . [سورة الأنعام : ٨٣ - ٨٦] . والباقون وهم سبعة فقد ذكروا في آيات متفرقة (١) في كتاب الله ، وهم : [آدم ، وإدريس ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، وذو الكفل ومحمد] . صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وأما من لم يسمه الله تعالى من الأنبياء والرسل وهم كثير ، فالواجب علينا الإيمان بهم على سبيل الإجمال ، وذلك بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به ، وأنهم بينوه بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله ولا يحلُّ خلافه ، قال تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ . [سورة النساء : ١٦٤] .

وأما الإيمان بمحمد ﷺ فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً (٢) . وهنا لفظة لطيفة : إن جميع من ذكر من الأنبياء في القرآن الكريم قد وردت أسماءهم في آيات متعددة في كتاب الله ﷻ ، بينما لم يرد ذكر رسول الله ﷺ باسمه فيه إلا أربع مرات فقط (٣) ! - وإن كان قد كثر نداؤه ﷺ بصفته من النبوة والرسالة تكريماً له - ..

ربما يكون المراد التأكيد لأهل الكتاب الذين كفروا بنبينا محمد ﷺ أن المسلم يؤمن بأنبيائهم جميعهم ، عيسى وموسى خاصة وغيرهم من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، فتلاوة آيات من الذكر الحكيم تذكر قصة عيسى ومريم - عليهما السلام - تشعر بحبة المسلم لهذا النبي الكريم وأمه الصديقة ، وتكسر حاجز البغض للإسلام وتحبب في دين الله العظيم .

(١) الآيات هي : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ . [سورة آل عمران : ٣٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ... ﴾ . [سورة الأعراف : ٦٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ... ﴾ . [سورة الأعراف : ٧٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ... ﴾ . [سورة الأعراف : ٨٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ٨٥] ، وقوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ... ﴾ . [سورة الفتح : ٢٩] .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية : ٢ / ٢٣ .

(٣) في الآيات الآتية : سورة آل عمران : ١٤٤ ، سورة محمد : ٢ ، سورة الفتح : ٢٩ ، سورة الصف : ٦ (باسم : أحمد) .

٢- لا يكتمل إيمان العبد إلا بالإيمان برسول الله جميعاً دون تفریق بينهم :
ليس كما فعل أهل الكتابين ؛ فاليهود آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد - عليهما الصلاة
والسلام - ، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ ، فكل الرسل من
عند الله تعالى ، والذي لا يؤمن برسول من هؤلاء الرسل فهو كافرٌ بجميع الرسل . قال
تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝
أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۝ ﴾ . [سورة النساء : ١٥٠ ، ١٥١] . (١)

وقد أوضح ﷺ في سورة الشعراء أن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل ، وذلك
في قوله : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾ . [سورة الشعراء : ١٠٥] . ثم بيّن أن تكذيبهم
للمرسلين إنما وقع بتكذيبهم نوحاً وحده ؛ حيث فرد ذلك بقوله : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ
أَلَا تَتَّقُونَ ۝ ﴾ . [سورة الشعراء : ١٠٦] . إلى قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ۝ ﴾ . [سورة الشعراء :
١١٧] . ونحو ذلك في قوله تعالى في قصة هود وقومه وصالح وقومه ولوط وقومه وشعيب
وأصحاب الأيكة ، كما هو معلوم ، وهو واضح لا خفاء فيه ، ويزيده إيضاحاً قوله ﷺ :
" والأنبياء أولاد علّات (٢) " (٣) . (٤)

وذكر سبحانه جزاء من لم يفرق بين رسله بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ
يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ ﴾ . [سورة النساء :
١٥٢] .

٣- ونؤمن أن جميعهم صادقون ، بارون راشدون أتقياء ، أمناء هداة
ممتدحون ، وأنهم أكمل الخلق علماً وعملاً وأخلاقاً ، وأنهم أدوا الأمانة ، ونصحوا لأئمتهم

(١) انظر : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير : ١٤ / ١٣٥ ، تفسير أبي السعود : ١ / ١٩٣ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٥٧٣
روح المعاني : ٢ / ٤٥ .

(٢) أولاد العلّات : الذين أمهاتهم مختلفة وأبؤهم واحد ، أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة . انظر : النهاية (مادة : علل) :
٣ / ٢٩١ .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب : ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ۝ ﴾ (٣٢٥٨) : ٣ / ١٢٧٠ ، وأخرج
مسلم بمثله في كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام (٢٣٦٥) : ٤ / ١٨٣٧ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

(٤) انظر : الكشاف : ٢ / ٣٨٣ ، تفسير النسفي : ٢ / ١٦١ ، تفسير أبي السعود : ٤ / ٢١٩ ، أضواء البيان : ٧ / ٤٨٤ .

وأقاموا عليهم الحجّة ، وبلغوا رسالات ربّهم ، وبيّنوا للناس ما لا يسع أحدٌ جهله ولم يكتبوا شيئاً حملوه ، ولم يغيّروا ، ولم يبدّلوا شيئاً مما أرسلوا به .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية (١) : " ثمّ رسله صادقون مَصْدُوقُونَ (٢) ؛ بخلاف الذي يقولون عليه ما لا يعلمون " (٣) .

ويكفي في فضلهم وشرفهم أن الله ﷻ اختصّهم بوحيه ، وجعلهم أمناء على رسالته وواسطة بينه وبين عباده ، وخصّهم بأنواع كراماته ؛ فمنهم من اتخذه خليلاً ومنهم من كلّمه تكليماً ، ومنهم من رفعه مكاناً عليّاً على سائرهم درجات ، ولم يجعل لعباده وصولاً إليه إلاّ من طريقهم ، ولا دخولاً إلى جنته إلاّ خلفهم ؛ فهم أقرب الخلق إليه وأرفعهم عنده درجة وأحبهم إليه ، وأكرمهم عليه ، وبالجملة فخير الدنيا والآخرة إنّما ناله العباد على أيديهم وبهم عرّف الله ، وبهم عبّد ، وأطيع بهم وحصلت محابّه تعالى في الأرض (٤) .

٤- الإيمان بأنهم معصومون من الكبائر كلّها (٥) والصغائر ، وقد تقع منهم عشرات بسيطة بالنسبة إلى ما هم عليه من علوّ المقامات ، ولكنهم لا يُقرّون عليها بل يُوقفون للتوبة منها ، وإنّما تقع منهم الهفوات إثباتاً لبشريتهم أمام الخلائق ؛ لئلا يرفعوهم فوق المستوى البشري ، ويحملوهم من صفات الألوهية ما لا يمكن أن يتصفوا به ، فهم عبيد لله تعالى (٦) .

(١) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٢) " مَصْدُوقُونَ " : أي أن ما أوحى إليهم فهو صدق ، وفي نسخة أخرى للعقيدة الواسطية : " مُصَدَّقُونَ " : بتشديد الدال ، أي : يجب على أممهم تصديقهم . انظر شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين : ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٣) العقيدة الواسطية لابن تيمية : ٧ .

(٤) طريق المهجرتين وباب السعادتين : ٥١٥ . بتصرف يسير .

(٥) جميع العلماء أجمعوا على عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في كل ما يتعلق بالتبليغ ، واختلفوا في عصمتهم من الصغائر التي لا تعلق لها بالتبليغ اختلافاً مشهوراً معروفاً في الأصول . وذهبت طائفة من المحققين والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر ، وذكر القرطبي اتفاق جمهور الفقهاء على ذلك . وقوله تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ . [سورة طه : ١٢١] . هو ونحوه من الآيات مستند من قال من أهل الأصول بعدم عصمة الأنبياء من الصغائر التي لا تعلق بالتبليغ ؛ (وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين) لأنهم يتدراكونها بالتوبة والإنابة إلى الله حتى تصير كأنها لم تكن . انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى للفاضل عياض بن موسى اليحصبي : ١٢٦ ، تفسير القرطبي : ١ / ٣٠٨ ، أضواء البيان : ٤ / ١٠٥ .

(٦) انظر : الإيمان لمحمد نعيم ياسين : ٥٢ ، النبوة والأنبياء لمحمد علي الصابوني : ٧٧ .

العصمة لغة واصطلاحاً :

العصمة لغة :

العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدلُّ على إمساك ومنع وملازمة ، والمعنى في ذلك كله معنى واحد ، عَصَمَهُ يَعْصِمُهُ عَصْماً : مَنَعَهُ وَوَقَاهُ ، وَعِصْمَةُ اللَّهِ عَبْدَهُ : أَنْ يَعْصِمَهُ مِمَّا يُؤْبِقُهُ وَمِنْ سُوءٍ يَقَعُ فِيهِ (١) .

العصمة اصطلاحاً :

" العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها " (٢) .

وقد كان لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣) تعريفاً للعصمة فقال :

" ولفظ العصمة في القرآن جاء في قوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ . [سورة المائدة : ٦٧] .

أي من أذاهم ، والعصمة أيضاً : حفظ الله النبي والرَّسُولَ عن الكذب خطأ وعمداً .

وقد يكون بمعنى : أن الله عصمه من الشياطين ، شياطين الإنس والجن ، وأن يغيروا ما بعث

به ، أو أن يمنعه عن تبليغه فلا يكتم ولا يكذب ، كما قال تعالى : ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ

عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٦٧﴾ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٦٨﴾ ﴿

[سورة الجن : ٢٦ ، ٢٧] . " . اهـ (٤) .

وقد يقول قائل : كيف يكون الأنبياء " معصومين " مع أن القرآن الكريم قد أثبت لبعضهم

بعض المخالفات ، ونسب إلى البعض الآخر منهم الذنب والمعصية ، فقال في حق آدم

ﷺ : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ . [سورة طه : ١٢١] . وقال في حق نوح ﷺ : ﴿ إِنِّي أَعْطَيْتُكَ

أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ . [سورة هود : ٤٦] . وقال لسيد المرسلين ﷺ : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ

مِنْ ذُنُوبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ... ﴾ . [سورة الفتح : ٢] . ؟؟ .

(١) انظر : المقاييس ، كتاب العين ، باب العين والصاد وما يثلثهما (مادة : عصم) : ٧٧٩ ، لسان العرب (مادة : عصم) :

. ٤٠٣ / ١٢

(٢) انظر : التعريفات : ١ / ١٩٥ ، التعاريف : ١ / ٥١٦ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٤) النبوات : ٢٨٦ .

وللجواب على ذلك نقول : إن العصمة للأنبياء ثابتة كما دلت على ذلك النصوص القرآنية الكريمة ، وكما قضى بذلك المنطق العلمي السليم .. إذ كيف يأمر وَبِذَلِكَ البشر باتباعهم والافتداء بهم ، والسير على نهجهم إن لم يكونوا مثلاً للكمال البشري ، ونموذجاً للفضل والنبيل والطهر !! ولو لم تكن العصمة من صفاتهم لما كنا مكلفين باتباعهم في جميع الأعمال والأفعال ! .

أما ما ورد من بعض النصوص الشرعية ، التي يدل ظاهرها على وقوع المعاصي والمخالفات من بعض الأنبياء صلوات الله عليهم ، فهي محمولة على بعض الوجوه الآتية :

أولاً : إنها ليست معصية وإنما هي فعل خلاف الأولى .

ثانياً : إنها ليست معصية وإنما خطأ في الاجتهاد .

ثالثاً : على فرض أنها مخالفة ومعصية فإنها قد وقعت قبل النبوة ^(١) .

رابعاً : أن يكون قد ارتكب المعصية ناسياً ^(٢) .

لأنه من المستحيل أن يثني الله تبارك وتعالى عليهم الثناء العاطر ، وهم غارقون في أنواع الموبقات والمنكرات ، كيف وقد أمر - كما أسلفت - نبينا محمد ﷺ بالتأسي بهم في أخلاقهم الزكية ، وفي عفتهم ، وطهارتهم ، ونقائهم في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ . [سورة الأنعام : ٩٠] . ^(٣) . وقد أسرف أهل الكتاب على أنفسهم بما افتروا من أخبار كاذبة على الأنبياء الكرام ، وبما ألصقوا بهم من زور وبهتان ^(٤) ، فما أبقوا

^(١) ذكر هذا القول صاحب تفسير المنار - محمد رشيد رضا - عند ذكره مسألة عصمة آدم ﷺ بدليل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَجْتَبَنَاهُ رَبُّهُرُ فِتَابٍ عَلَيْهِ وَهَدَيْنَاهُ ﴾ والاجتباء هو اصطفاء الله له بالنبوة ، فتكون المعصية قد وقعت من آدم ﷺ قبل النبوة . قال القاضي عياض : وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة ؛ فمنعها قوم ، وجوزها آخرون . والصحيح إن شاء الله تزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب ؛ فكيف والمسألة تصورها كالمتمتع ؛ فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع . انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ١٢٩ ، تفسير المنار : ١ / ٣٨٠ .

^(٢) اختار هذا القول بعض المفسرين كابن العربي والقرطبي ، بدليل قوله تعالى : ﴿ فَتَنَّبِيَّ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ عند الحديث عن عصمة آدم ﷺ . انظر : أحكام القرآن لمحمد بن عبد الله ابن العربي : ٣ / ٢٥٩ ، تفسير القرطبي : ١ / ٣٠٦ .

^(٣) انظر : النبوة والأنبياء : ٨٥ ، قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار : ٢٤ .

^(٤) سكر ، وعريضة ، واقتراف للحرائم الشنيعة كالزنى ، وسفك الدماء ، وعبادة الأوثان ! معاذ الله . انظر : الكتاب المقدس ، سفر التكوين : (الإصحاح ٩ : ٢٠ - ٢٧) ، (الإصحاح ١٠ : ١٢ - ١٦) ، (الإصحاح ١٩ : ٢٠ - ٢٧) ، سفر صموئيل الثاني : (الإصحاح ٢ : ١١ - ٤) ، سفر الملوك الأول : (الإصحاح ٢٣ : ٢ - ٢٥) .

لنبيٍّ من حُرمة ؛ فليت شعري كيف يمكن الاقتداء بهم إذا كان هذا هو تاريخهم !.. إنه - والله أعلم - ليبرروا لأنفسهم ارتكابهم للفواحش والآثام ؛ فإذا كان هذا هو حال أنبيائهم فمن باب أولى أن ينغمسوا هُم في شهواتهم وملاذهم ، غير مباليين بأيِّ قيم ولا مبادئ ! .
 بيد أننا نرى أنه لم يعطِ للأنبياء الصورة المشرقة الوضّاءة ؛ التي تشع سناً وطهراً ونقاءً غير القرآن ، كيف لا .. وهم حملة الأمانة ، ومشعل الهداية ، وصفوة خلق الله في أرضه ! .

٥- نؤمن أن الله له يخصصه بطبائع أخرى بخير الطبائع البشرية ، وإنما اختارهم سبحانه من الرجال ، الذين يأكلون ويشربون ، ويمشون في الأسواق ، وينامون ويجلسون ويضحكون ولهم أزواج وذرية ، ويتعرضون للأذى ، وتمتد إليهم أيدي الظلمة ، وينالهم الاضطهاد ، وأنهم يموتون ، وقد يقتلون بغير حقّ ، وأنهم يتألمون ويصيبهم المرض وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقصٍ في مراتبهم العلية بين الخلق . وقد دلّ على ذلك كثير من النصوص . منها :

قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْتَبِهُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٤] .
 أَعْقَبِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [سورة الفرقان : ٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً ﴾ [سورة الرعد : ٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ [سورة المائدة : ٧٥] .

وقد قال ﷺ : " ولكنني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء " (١) . وكان ﷺ يمرض ويتألم ، وكان يصيبه الحرّ والبرد والجوع والعطش والغضب والضجر والتعب ، ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه (٢) .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح (٤٧٧٦) : ٥ / ١٩٤٩ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١٤٠١) : ٢ / ١٠٢٠ . كلاهما عن أنس بن مالك .

(٢) يظهر ذلك جلياً من دراسة سيرته ﷺ ، وقد أفردت مصنفات وكتب حليمة في شمائله ﷺ وأخباره وأحواله . انظر مثلاً : الشمائل النبوية لمحمد بن عيسى الترمذي .

٦- الاهتداء بهداهم ، فقد قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْلَهُمْ أَقْتَدِهِ ﴾ .
[سورة الأنعام : ٩٠] .

قال المفسرون ^(١) : يريد الأنبياء الثمانية عشر - عليهم الصلاة والسلام - المتقدم ذكرهم قبل هذه الآية الكريمة ^(٢) .

قال الزمخشري ^(٣) : " فاختص هداهم بالافتداء ، أي : ولا تقتد إلا بهم ، وهذا معنى تقدم المفعول . والهاء في ﴿ أَقْتَدِهِ ﴾ للوقف تسقط في الدرج ، لأن الفاء دخلت فيه عند الوقف لتبين الكسرة في الدال وعند الوصل تبين فلا يحتاج إلى إدخالها ، واستحسن إثارة الوقف لثبات الهاء في المصحف " . اهـ ^(٤) .

والمراد بقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ أي إلى الحق والنهج المستقيم ، والالتفات ^(٥) إلى الاسم الجليل للإشعار بعلّة الهداية ، فالله ﷻ هو الذي هداهم سواء السبيل ^(٦) .

^(١) ذكر هذا القول من المفسرين : الطبري وأحمد بن علي الرازي الجصاص والزمخشري ومحمد بن عبد الله ابن العربي وابن عطية وابن الجوزي والفخر الرازي والقرطبي والبيضاوي والنسفي وابن جزى الكلبي وابن كثير والثعالبي وأبو السعود والشوكاني والآلوسي وعبد الرحمن بن ناصر السعدي ومحمد الأمين الشنقيطي . انظر : جامع البيان : ٧ / ٢٦٦ ، أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص : ١ / ١٧٤ ، الكشاف : ٢ / ٤٢ ، أحكام القرآن لابن العربي : ١ / ٣٨ ، المحرر الوجيز : ٢ / ٢٠٠ ، زاد المسير : ٣ / ٨١ ، تفسير القرطبي : ٧ / ٣٥ ، تفسير البيضاوي : ٢ / ٤٢٨ ، تفسير النسفي : ١ / ٣٣٤ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ١٥ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ١٥٦ ، الجواهر الحسان : ١ / ٥٣٩ ، تفسير أبو السعود : ٣ / ١٦٠ ، فتح القدير : ٢ / ١٣٧ ، روح المعاني : ٧ / ٢١٦ ، تفسير السعدي : ١ / ٢٦٤ ، أضواء البيان : ١ / ٣٧٦ .

^(٢) المقصود الآيات في سورة الأنعام : ٨٣ - ٨٦ التي أوردتها في هذا البحث .

^(٣) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

^(٤) الكشاف : ٢ / ٤٢ . وقد قرأ حمزة والكسائي : ﴿ فَبِهِدْلَهُمْ أَقْتَدِهِ ﴾ بالهاء عند الوقف وبغير الهاء عند الوصل . وقرأ ابن عامر : (اقتدهي) بالإشباع جعلها اسماً ، وقرأ الباقون : بالهاء في الوصل والوقف جميعاً . انظر : حجة القراءات : ٢٦٠ ، التيسير في القراءات السبع : ١٠٥ .

^(٥) الالتفات : نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، يعني من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول هذا هو المشهور . انظر : الإتيان : ٢ / ٢٢٨ . قال سبحانه في الآية التي تسبقها : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ... ﴾ ، وهنا في

هذه الآية : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ... ﴾ .

^(٦) انظر : تفسير أبي السعود : ٣ / ١٦٠ .

والأبرار يحرصون على الاهتداء بهدي الأنبياء ؛ وهذا لا يكون إلا إذا عرفوا سيرتهم وأخلاقهم ، واستوحوا ذلك من كتاب الله الذي فصل لنا أحوال كل نبيٍّ وما تميّزت به شخصيته .

قال محمد رشيد رضا (١) :

" إن الإيمان بالنبیین يقتضي الاهتداء بهديهم ، والتخلق بأخلاقهم والتأدب بأدبهم ويتوقف هذا على معرفة سيرتهم والعلم بستمهم وإنما طريقة الأئمة المهتدين البحث عن السنة وتقديمها بعد كتاب الله تعالى على كل هداية وإرشاد ، ولا يغني عن كتاب الله وسنة رسوله شيء أبداً ، فإن الله يقول في محكم تنزيله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ . [سورة الأحزاب : ٢١] . ورسولنا أمر بالاقتداء بمن قبله من النبیین ؛ فمن استغنى عن التأسي بالرسول ﷺ فقد استغنى عن الإيمان بالله واليوم الآخر ، إذ لا ينفعه هذا الإيمان إلا بهذا التأسي " . اهـ (٢) .

وليس المراد من سرد قصص الأنبياء في القرآن الكريم الاقتداء بهم فقط ، ولكن أيضاً لأخذ العظة والعبرة .

وقد فصل في هذا ابن العربي (٣) فقال : " ونكتة ذلك أن الله تعالى أخبرنا عن قصص النبیین

(١) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن ملا علي خليفة القلموني ، البغدادي الأصل ، الحسيني النسب : صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح الإسلامي ، من الكتاب ، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير . ولد بقلمون (من أعمال طرابلس الشام) سنة ١٢٨٢ هـ ، ونشأ فيها ، وتعلم فيها وفي طرابلس ، وتنسك ، ونظم الشعر في صباه ، وكتب في بعض الصحف ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ ، فلزم الشيخ محمد عبده وتلمذ له ، ثم أصدر مجلة " المنار " لبث آرائه في الإصلاح السديني والاجتماعي ، وأصبح مرجع الفتيا ، في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة . أشهر آثاره : مجلة المنار ، وتفسير القرآن الكريم : ١٢ مجلداً ولم يكمله ، والوحي المحمدي ، ويسر الإسلام وأصول التشريع وغير ذلك من الكتب ، سافر عدة رحلات ، ثم استقر بمصر إلى أن توفي فجأة في " سيارة " كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة ، ودفن في القاهرة وذلك سنة ١٣٥٤ هـ . انظر : الأعلام : ١٢٦ / ٦ .

(٢) انظر : تفسير المنار : ١١٥ / ٢ .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي ، أبو بكر ، ابن العربي : قاض ، من حفاظ الحديث . ولد في إشبيلية ورحل إلى المشرق ، وبرع في الأدب ، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين . وصف كعباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ . وولي قضاء إشبيلية ، قال عنه ابن بشكوال : ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها . من كتبه : العواصم من القواصم وأحكام القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، والمسالك على موطأ مالك ، والانصاف في مسائل الخلاف والحصول ، وقانون التأويل . وهو غير محيي الدين ابن عربي ، ت بقرب فاس ودفن بها سنة ٥٤٣ هـ . انظر : وفيات الأعيان : ٤ / ٢٩٦ ، سير أعلام النبلاء : ٢٠ / ١٩٧ ، طبقات المفسرين ٢ : ١ / ١٨٠ ، طبقات الحفاظ : ١ / ٤٦٨ .

فما كان من آيات الإزدجار وذكر الاعتبار ففائدته الوعظ ، وما كان من آيات الأحكام فالمراد به الامتثال له والاقتراء به " . اهـ (١) .

فليست الغاية من ذكر قصص الأنبياء إلا أن يتخذ الدعاة والمصلحون من سيرتهم العطرة نبراساً يستضيئون بضياءه ، ويهتدون بهديه ، وأن يسيروا على فحجهم فيجعلوهم قدوة في جميع التصرفات والأعمال ، وأن يكون أمامهم (المثل الأعلى) من حياة هؤلاء الرُّسل الكرام عليهم جميعاً - الصَّلَاة والسَّلَام - ، كما أن ذكر قصص الأنبياء تثبيتاً للدعاة وتقوية لعزائمهم ، باطلاعهم على سيرة الأنبياء الأطهار وما تحمّلوه من أذى في سبيل الله كما قال تعالى لسيد الخلق ﷺ : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة هود : ١٢٠] . (٢)

لكن العلماء اختلفوا في المراد بالهدى الذي أمر ﷺ ومن بعده أمته تبعاً له بالاقتراء به ؛ أي هل شرح من قبلنا شرح لنا ؟

إذا قصّ القرآن أو السنة الصحيحة حكماً من الأحكام الشرعية التي شرعها الله لمن سبقنا من الأمم على السنة رسلهم ؛ فلا خلاف بين العلماء في حالين :

① إذا نصّ على أنها مكتوبة علينا كما كانت مكتوبة عليهم (٣) فهي شرع لنا ، واجب اتباعه بتقرير شرعنا لها .

وفي هذا قال الألويسي (٤) :

" والتَّحْقِيقُ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنَا مُتَعَبِّدُونَ بِأَحْكَامِ الشَّرَائِعِ الْبَاقِيَةِ مِنْ حَيْثُ أَهْمَا أَحْكَامَ شَرَعْتَنَا لَا مِنْ حَيْثُ أَهْمَا شَرَعَةً لِلْأَوَّلِينَ " . اهـ (٥) .

(١) أحكام القرآن لابن العربي : ٣٩ / ١ .

(٢) انظر : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير : ١٥ / ١٨٠ .

(٣) كقوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [سورة البقرة :

١٨٣] .

(٤) سبق ترجمته في ص ١٨ .

(٥) روح المعاني : ١٥٣ / ٦ .

❁ وإذا قام الدليل الشرعيُّ على نسخ حكم شرع لمن قبلنا ورفعنا عنَّا^(١) فليس شرعاً لنا .
وموضع الخلاف : شرع من قبلنا إذا لم يصرَّح شرعنا بنسخه أو تقريره^(٢) ، هل هو
 شرعٌ لنا ؟
 للعلماء قولان :

القول الأول : شرع من قبلنا شرعٌ لنا مادام قد قصَّ علينا ولم يرد في شرعنا بخلافه ، وهذا
 مذهب جماهير السلف والأئمة^(٣) .

القول الثاني : شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا ، وهذا هو مشهور مذهب الشافعي^(٤) .^(٥)
والمفسرون اختلفوا في المراد بالاهتداء ؛ هل يكون في أصول الدِّين أو
 فروعها على أربعة أقوال :

القول الأول : يكون الاهتداء في أصول الدِّين من : التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه
 ورسوله واليوم الآخر - أي المعتقدات - ، فاتفقت فيه جميع الأمم والشرائع ، وأمَّا الفروع
 وأحكام الشرائع فهي مختلفة ، وهي هدى ما لم تنسخ فإذا نسخت لم تبق هدى ، بخلاف
 أصول الدِّين فإنها هدى أبداً^(٦) .

القول الثاني : لم ينظروا للأمر إن كان من أصول الدِّين أو فروعها ؛ ولكن إن كان ما
 حكاه الله في كتابه مما شرعه لغيره من الأنبياء ولم ينسخ فهو شرعٌ لنا^(٧) .

(١) مثل ما كان في شريعة موسى عليه السلام من أن العصا لا يكفر ذنبه إلا أن يقتل نفسه . انظر : علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف : ٩٣ .

(٢) كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ... ﴾ . [سورة المائدة : ٤٥] .

(٣) نقل هذا الإجماع ابن تيمية . انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ٤٣٦ / ٢ .

(٤) هو محمد بن إدريس الشافعي ، إمام المذهب الشافعي ، أحد أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة المعتمدة . ت سنة ٢٠٤ هـ . انظر :
 تاريخ بغداد : ٥٦ / ٢ ، وفيات الأعيان : ٤ / ١٦٣ ، طبقات الشافعية الكبرى : ٢ / ٧١ ، البداية والنهاية : ١٠ / ٢٥١ .

(٥) انظر : روضة الناظر وجنة المناظر لموفق الدين ابن قدامة المقدسي : ١ / ١٦٠ ، التمهيد لعبد الرحيم بن الحسن الآسنوي : ١ / ٤٤١
 التقرير والتحجير لابن أمير حاج : ٢ / ٤١١ ، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لمحمد بن الأمين الشنقيطي : ١٦١ .

(٦) قاله الزمخشري وابن عطية والبيضاوي والنسفي والكلبي والثعالبي وأبو السعود والأوسمي . انظر : الكشف : ٢ / ٤٢ ، المحرر
 الوجيز : ٢ / ٢٠٠ ، تفسير البيضاوي : ٢ / ٤٢٨ ، تفسير النسفي : ١ / ٣٣٤ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ١٥ ، الجواهر
 الحسان : ١ / ٥٣٩ ، وتفسير أبو السعود : ٣ / ١٦٠ ، روح المعاني : ٧ / ٢١٦ .

(٧) قاله النحاس والجصاص وابن العربي والقرطبي ، والشوكاني والقاسمي نقلاً عنهم . انظر : أحكام القرآن للجصاص : ١ / ١٧٤
 أحكام القرآن لابن العربي : ١ / ٣٨ ، تفسير القرطبي : ٧ / ٣٥ ، فتح القدير : ٢ / ١٣٧ ، تفسير القاسمي : ٦ / ١١٧ .

المقول الثالث : أن الاهتداء يكون في التوحيد كما يكون في الفروع العملية ، واستدل لذلك بعدة أدلة منها :

الدليل الأول : ما روي عن مجاهد ^(١) سألت ابن عباس ^(٢) : " من أين سجدت ؟ فقال : أو ما قرأ : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ . [سورة الأنعام : ٨٤] . ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنَهُمْ أَقْتَدَ ﴾ . [سورة الأنعام : ٩٠] . فكان داود من أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به فسجدها داود ^(٣) فسجدها رسول الله ﷺ " ^(٤) . فهذا نص صحيح صريح عن ابن عباس ^(٥) أن النبي ﷺ أدخل سجود التلاوة في الهدى في قوله : ﴿ فَبِهِدْنَهُمْ أَقْتَدَ ﴾ . ومعلوم أن سجود التلاوة فرع من الفروع لا أصل من الأصول .

الدليل الثاني : إن النبي ﷺ صرح في حديث جبريل الصحيح المشهور أن اسم الدين يتناول الإسلام والإيمان والإحسان ؛ حيث قال : " هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم " ^(٦) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٩] . وقال : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ . [سورة آل عمران : ٨٥] . وصرح ﷺ في الحديث المذكور بأن الإسلام يشمل الأمور العملية كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، ولم يقل أحد إن الإسلام هو خصوص العقائد دون الأمور العملية ، فدل على أن الدين لا يختص بذلك في قوله : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ . الآية . [سورة الشورى : ١٣] . وهو ظاهر جداً ؛ لأن خير ما يفسر به القرآن هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ^(٧) .

الدليل الثالث : ما جاء عن ابن عباس ^(٨) قال : " جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني رأيت في هذه الليلة فيما يرى النائم كأني أصلي عند شجرة ، وكأني قرأت

(١) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٢) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، تفسير سورة ص (٤٥٢٩) : ٤ / ١٨٠٨ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٧٣ ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٥) هذا قول وأدلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي . انظر : أضواء البيان : ١ / ٣٧٧ .

سورة السَّجدة فسجدت ، فرأيت الشَّجرة سجدت بسجودي ، وكأني أسمعها وهي تقول :
اللَّهُم اكتب لي بها عندك ذكراً ، وضع عني بها وزراً ، واجعلها لي عندك ذخراً ، وأعظم بها
أجرأ ، وتقبَّل مني كما تقبَّل من عبدك داود . قال ابن عباس : فقرأ رسول الله ﷺ
السَّجدة ، فسمعتة يقول في سجوده كما أخبر الرَّجل عن قول الشَّجرة " (١) .

المقول الرابع : أن الاقتداء بالمأمور به ليس في أصول الدِّين ولا في فروعه ؛ وإنما في محاسن
الأخلاق .

قال الفخر الرَّازي (٢) :

" فأمر الله محمدًا ﷺ بالاقتداء بمن قبله ، فإمَّا أن يقال : إنه كان مأموراً بالاقتداء بهم في
أصول الدِّين ، وهو غير جائزٍ لأنه تقليد . أو في فروع الدِّين وهو غير جائزٍ ؛ لأنَّ شرعه
نسخ سائر الشرائع ، فلم يبق إلا أن يكون المراد محاسن الأخلاق ؛ فكأنَّه سبحانه قال : إنا
أطلعناك على أحوالهم وسيرهم ، فاختر أنت منها أجودها وأحسنها ، وكن مقتدياً بهم في
كلِّها " . اهـ (٣) .

وقال ابن تيمية (٤) :

" فلا عدول لأهل السُّنة والجماعة عمَّا جاء به المرسلون ؛ فإنَّه الصُّراط المستقيم ، صراط
الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصَّالحين " . اهـ (٥) .

وقوله : " عمَّا جاء به المرسلون " عامٌّ في الأخبار والأحكام (٦) ، فما ثبت عن الأنبياء
السابقين من الأحكام فهو لنا ؛ إلا إذا ورد شرعنا بخلافه فهو على خلافه ، فمثلاً : السُّجود
عند التحيَّة جائزٌ في شريعة يوسف ﷺ ويعقوب ﷺ وبنيه ، لكن في شريعتنا محرَّم

(١) أخرجه الترمذي في كتاب أبواب الطهارة ، باب ما يقول في سجود القرآن (٥٧٩) : ٢ / ٤٧٢ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٢) سبق ترجمته في ص ٨ .

(٣) التفسير الكبير : ٦ / ١٦٦ ، وانظر : روح المعاني : ٧ / ٢١٦ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٥) العقيدة الواسطية : ٨ .

(٦) قال ابن عثيمين : إن نظرنا إلى عموم اللفظ ؛ قلنا : يشمل الأخبار والأحكام ، وإن نظرنا إلى السِّياق ، قلنا : القرينة تقتضي أن الكلام في باب العقائد ، وهي من باب الأخبار ، ولكن العلماء اختلفوا في الأحكام التي للرُّسل السابقين ، فإذا .. يمكن أن نحمل كلام شيخ الإسلام - رحمه الله - على أنه عام في الأخبار والأحكام . انظر : شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين : ١ / ١٥٠ .

كذلك الإبل حرامٌ على اليهود : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ . [سورة الأنعام : ١٤٦] . ولكن هي في شرعنا حلال .

إذن : فما كان في شرع الأنبياء من الأحكام فلا يكون لنا إلاّ بدليل (١) .

فالمراجع والله أعلم : أن الاهتداء المأمور به في أصول الدين وفي فروعه التي أوحى الله بها لنبينا محمد ﷺ والتي ثبتت بطريق صحيح ، وهو شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما ينسخه أو يخالفه ، وكذلك في محاسن الأخلاق ؛ لأنه ﷺ لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق .

٧- الإيمان بخصوصية ملة إبراهيم ﷺ بالاتباع :

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ . [سورة النحل : ١٢٣] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ . [سورة آل عمران : ٩٥] .

قال الإمام الطبري (٢) :

" أمر باتباعه في التبرؤ من الأوثان والتزين بالإسلام " (٣) .

وقال ابن عمر (٤) ﷺ : في مناسك الحج (٥) .

وقيل : في الأصول دون الفروع (٦) .

وقيل : في جميع شريعته إلا ما نسخ منها ، وهذا هو الظاهر (٧) .

وقال السمعاني (٨) : " والصحيح أنه كان مأموراً باتباع شريعته - أي الحنيفية - في بعض

(١) انظر : شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين : ١ / ١٤٨ ، ١٥٠ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٣) تفسير الطبري : ١٤ / ١٩٣ .

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي ، أبو عبد الرحمن : صحابي جليل ، ت سنة ٧٣ هـ . انظر : الطبقات الكبرى :

٤ / ١٤٢ ، حلية الأولياء : ١ / ٢٩٢ ، صفة الصفوة : ١ / ٥٦٣ ، الإصابة : ٤ / ١٨١ .

(٥) قاله الطبري والواحدي . انظر : تفسير الطبري : ٢ / ٤٤ ، تفسير الواحدي : ١ / ٦٢٣ .

(٦) قال القرطبي : وهذا هو الصحيح . انظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٩٨ .

(٧) قاله ابن الجوزي والشوكاني . انظر : زاد المسير : ٤ / ٥٠٤ ، فتح القدير : ٣ / ٢٠٣ .

(٨) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المرزوي السَّمْعَانِي التَّمِيمِي الحَنَفِي ثم الشافعي ، أبو المظفر : مفسر ، من العلماء بالحديث

من أهل مرو مولدا ووفاة . كان مفتي خراسان ، قدمه نظام الملك على أقرانه في مرو . له تفسير السمعاني ، والانتصار لأصحاب الحديث

والقواطع ، والمنهاج لأهل السنة ، والاصطلام ، ت سنة ٤٨٩ هـ . وهو جد السمعاني صاحب " الأنساب " عبد الكريم بن محمد .

انظر : طبقات الفقهاء : ١ / ٢٣٩ ، سير أعلام النبلاء : ١٩ / ١١٤ ، طبقات الشافعية : ٢ / ٢٧٣ ، شذرات الذهب : ٢ / ٣٩٣ .

الأشياء ، وصار ذلك شريعة له ^(١) . ومن الحنيفية : الحِتان ، وتحريم نكاح الأم والبنات والأخت " . اهـ ^(٢) .

وقال الفخر الرازي ^(٣) :

" قال قوم : إن النبي ﷺ كان على شريعة إبراهيم عليه السلام ، وليس له شرع هو به منفرد ؛ بل المقصود من بعثته ﷺ إحياء شرع إبراهيم عليه السلام ، وعول في إثبات مذهبه على هذه الآية . وهذا القول ضعيف ؛ لأنه تعالى وصف إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بأنه : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ فلما قال : ﴿ أَتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ كان المراد ذلك . فإن قيل : النبي ﷺ إنما نفى الشرك وأثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية ، وإذا كان كذلك لم يكن متابعا له فيمتنع حمل قوله : ﴿ أَنْ أَتَّبِعْ ﴾ على هذا المعنى ، فوجب حمله على الشرائع التي يصح حصول المتابعة فيها .

ويحتمل أن يكون المراد الأمر بمتابعته في كيفية الدعوة إلى التوحيد ؛ وهو أن يدعو إليه بطريق الرفق والسهولة ، وإيراد الدلائل مرة بعد أخرى بأنواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن " . اهـ ^(٤) .

وليس يلزم من كونه ﷺ أمر باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم عليه السلام أكمل منه فيها ؛ لأنه ﷺ قام بها قياماً عظيماً ، وأكملت له إكمالاً تاماً لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال ولهذا كان خاتم الأنبياء ، وسيد ولد آدم على الإطلاق ، وصاحب المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل عليه السلام . بل إن أشرف ما أوتى خليل الله من الكرامة ، وأعظم فضائله أن الله أوحى لسيد الخلق باتباعه ، والافتداء به هو وأُمَّته ^(٥) .

^(١) تفسير السمعي : ٣ / ٢٠٩ .

^(٢) تفسير الصنعاني : ١ / ٦٠ .

^(٣) سبق ترجمته في ص ٨ .

^(٤) التفسير الكبير : ٢٠ / ١٠٩ .

^(٥) انظر : تفسير السمعي : ٣ / ٢٠٩ ، الكشاف : ٢ / ٦٠٠ ، زاد المسير : ٤ / ٥٠٥ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٧٦ ، تفسير ابن

كثير : ٢ / ١٩٩ ، تفسير السعدي : ١ / ٤٥٢ .

قال الزركشي (١) :

" وبهذا التقدير لا يقصد ب ﴿ ثُمَّ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ ترتيب زمني ؛ بل تعظيم الحال فيما عطف عليه وتوقعه ، وتحريك النفوس لاعتباره " . اهـ (٢) .

وبناء على ذلك قال العلماء : في هذه الآية دليل على جواز اتباع الأفضل للمفضول ، ولا نقص على الفاضل في ذلك ؛ لأن النبي ﷺ أفضل الأنبياء - عليهم السلام - وقد أمر بالاعتداء بهم ، فقال : ﴿ فَبِهَدْيِهِمْ أَتَقْتَدُوا ﴾ وقال هنا : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ . (٣)

ورأى القاضي عياض (٤) أن الأتباع للشرائع السابقة هو في أصل الدين وهو التوحيد لأن الله قد سُمي في قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ . الآية . [سورة الشورى : ١٣] . وغيرها من الآيات جماعة منهم شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها ؛ فدل أن المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى (٥) .

٨- **نؤمن أن الله فضل بعض الأنبياء على بعض** ، لقوله ﷻ : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٥٣] .

(١) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، أبو عبد الله ، بدر الدين : عالم بفقهِ الشافعية والأصول . تركي الأصل ، مصري المولد والوفاء ، له تصانيف كثيرة في عدة فنون ، منها : لقطه العجلان والبحر المحيط : في أصول الفقه ، البرهان في علوم القرآن ، وريبع الغزلان ، والمثور ، والدياج في توضيح المنهاج ، ت سنة ٧٩٤ هـ . انظر : طبقات الشافعية : ٣ / ١٦٧ ، الدرر الكامنة : ٥ / ١٣٣ طبقات المفسرين ٢ : ١ / ٣٠٢ ، كشف الظنون : ١ / ١٢٥ ، ٢٢٦ .

(٢) البرهان : ٤ / ٢٦٨ . قال الزركشي : (ثم) للتراخي في الزمان ، وهو المعبر عنه بالمهلة . وتكون للتباين في الصفات وغيرها من غير قصد مهلة زمنية بل ليعلم موقع ما يعطف بها وحاله .

(٣) انظر : زاد المسير : ٤ / ٥٠٥ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٩٩ .

(٤) سبقت ترجمته في ص ٨٠ .

(٥) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ١٣٠ .

ونؤمن أن أفضلهم وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا محمد بن عبد الله ﷺ . وقد فسّر بعض السلف (١) قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ بأنه نبينا محمد ﷺ ، وفي ذلك أحاديث صحيحة منها :

قال رسول الله ﷺ : " أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ، وأوّل من ينشقّ عنه القبر ، وأوّل شافع وأوّل مشفّع " (٢) .

وقال ﷺ : " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم " (٣) .

وقال ﷺ : " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرّعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ؛ فأبما رجل من أمّتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلّ لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة " (٤) .

واحتجّ العلماء بقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنَهُمْ أَقْتَدِ ﴾ على أن رسولنا ﷺ أفضل من جميع الأنبياء - عليهم السّلام - .

إنّ خصال الكمال وصفات الشرف كانت مفرقة فيهم بأجمعهم ، فداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النعمة وأيوب كان من أصحاب الصبر على البلاء ، ويوسف كان مستجمعاً لهاتين الحالتين ، وموسى الكليم كان صاحب الشريعة القويّة القاهرة والمعجزات الظاهرة ، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كانوا أصحاب الزهد ، وإسماعيل كان صاحب الصدق ، ويونس صاحب التضرّع ؛ فثبت أنه تعالى إنّما ذكر كل واحد من هؤلاء الأنبياء

(١) هو قول ابن عباس والشعبي ومجاهد . انظر : تفسير الطبري : ٣ / ١ ، إعراب القرآن لأحمد بن محمد بن إسماعيل الثعالب : ٣٢٩ / ١ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب تفضيل رآه ﷺ على جميع الخلائق (٢٢٧٨) : ٤ / ١٧٨٢ . عن أبي هريرة ؓ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسلم الحجر عليه قبل النبوة (٢٢٧٦) : ٤ / ١٧٨٢ . عن واثلة بن الأصقع ؓ .

(٤) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب التيمم ، قول الله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِهِمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ (٣٢٨) : ١ / ١٢٨ . عن جابر بن عبد الله ؓ ، وأخرج مسلم بنحوه في مقدمة كتاب المساجد

لأنَّ الغالب عليه كان خصلة معينة من خصال المدح والشرف ، ثمَّ أنه تعالى لما ذكر الكلَّ أمر محمدًا ﷺ بأن يقتدي بهم بأسرهم ، فكان التقدير كأنه تعالى أمر محمدًا ﷺ أن يجمع من خصال العبودية والطاعة كلَّ الصفات التي كانت مفرقة فيهم بأجمعهم ، ولما أمره الله تعالى بذلك امتنع أن يقال إنه قصر في تحصيلها ، فثبت أنه حصلها ، ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه اجتمع فيه من خصال الخير ما كان متفرقاً فيهم بأسرهم ، ومتى كان الأمر كذلك وجب أن يقال : إنه أفضل منهم بكليتهم (١) .

وقال المناوي (٢) في ذلك :

" أفضل الأعمال الإيمان بالله وحده لأن به فضلت الأنبياء على غيرهم ، وهم إنما تفاضلوا فيما بينهم بالعلم به لا بغيره من الأعمال " . اهـ (٣) .

وهكذا نرى الأبرار يؤمنون بالأنبياء والرسل جميعهم ولا يفرقون بين أحد منهم - فهم أمناء الله في الأرض - ، ويهتدون بهداهم ويتخلقون بأخلاقهم - فهم المعصومون وهم أفضل الخلق - ، ويؤمنون أن سيّد الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ ، وأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع وأن التمسك بها لازم لجميع المكلفين إلى يوم القيامة .



(١) قاله الفخر الرازي والثعالبي ، والآلوسي والقاسمي والسعدي نقلاً عنهم . انظر : التفسير الكبير : ١٣ / ٥٨ ، تفسير الثعالبي :

١ / ٥٣٩ ، روح المعاني : ٧ / ٢١٦ ، تفسير القاسمي : ٦ / ٦١٨ ، تفسير السعدي : ١ / ٢٦٤ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٤٨ .

(٣) فيض القدير : ٢ / ٢٦ .

المبحث السادس

التقوى

التقوى والبر لفظان متقاربان (١) ، فالأبرار هم المتقون ، فبعدما ذكر ﷺ خصال البر من بر الإيمان والعمل والخلق قرّر سبحانه أن هؤلاء هم المتقون الذين صدقوا مع الله .
 قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧] .

التقوى لغة واصطلاحاً :

التقوى لغة :

هو الاسم من قولهم : اتقى ، والمصدر : الاتقاء ، وهو الحجز بين الشيئين ، ومنه يقال : اتقى بترسه ، أي : جعله حاجزاً بين نفسه وبين ما يقصده ، ومنه الحديث : " لما حضر البأس يوم بدر أتقينا برسول الله ﷺ " (٢) . أي : جعلناه وقاية لنا من العدو قدامنا واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه وقاية . وكلاهما مأخوذ من مادة (و ق ي) التي تدلُّ على دفع شيء عن شيء بغيره . وقوته أقيه وقياً ، والوقاية : ما يقي الشيء ، وهي فرط الصيانة ومنه فرس واقٍ ، وهذه الدابة تقي من وجاها ؛ إذا أصابها ضلع من غلظ الأرض ورقّة

(١) سبق وبينت أن التقوى والبر لفظان متقاربان ؛ وإن كان البر أعم من التقوى . انظر : ص ٢٠ ، ٢١ .

(٢) جزء من حديث أخرجه أحمد - واللفظ له - في مسند علي ﷺ (١٠٤٢) : ١ / ١٢٦ ، ١٥٦ . وأخرج الحاكم بنحوه وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . انظر : المستدرک علی الصحیحین : ٢ / ١٥٥ . ووافقه الذهبي .

الحافر . واثق الله : توقّه ، أي : اجعل بينك وبينه كالوقاية ؛ قال النبي ﷺ : " اتقوا النار ولو بشقّ تمرّة " (١) . وكأثّه أراد : اجعلوها وقاية بينكم وبينها .
والأصل في التّقوى إمّا :

■ من " وقوي " على وزن " فعلى " ، فقلبت الواو تاء من وقيته أقيه ، أي : منعتّه ورجل تقىّ ، أي : خائف ، أصله " وقى " .

■ أو من : " اوتقى " على وزن " افتعل " فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ، وأبدلت منها التاء (٢) .

التقوى اصطلاحاً :

قال الرّاغب (٣) :

" التقوى جعل النفس في حفظ عمّا يؤثم ، وذلك بترك المحظور ، ويتمّ ذلك بترك بعض المباحات . لما روي : " إنّ الحلال بيّن وإنّ الحرام بيّن ، وبينهما مشبهات لا يعلمهنّ كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه " (٤) . اهـ (٥) .

وقد بيّن ﷺ أعلى درجات التقوى فقال : " لا يبلغ العبد أن يكون من المتّقين حتى يدع مالا بأس به حذراً لما به البأس " (٦) .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري مختصراً في كتاب الزكاة ، باب اتقوا النار ولو بشقّ تمرّة والقليل من الصدقة (١٣٥١) : ٥١٤ / ٢ ، وأخرجه مسلم بتمامه في كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشقّ تمرّة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (١٠١٦) : ٧٠٤ / ٢ . كلاهما عن عدي ابن حاتم ؓ .

(٢) انظر : المقاييس (مادة : وقى) : ١١٠٠ ، الكشاف : ٧٧ / ١ ، لسان العرب (مادة : وقى) : ٤٠٢ / ١٥ ، ٤٠٣ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٣ .

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه (٥٢) : ٢٨ / ١ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٥٩٩) : ١٢١٩ / ٣ . كلاهما عن النعمان بن بشير ؓ .

(٥) المفردات (مادة : وقى) : ٥٤٥ .

(٦) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ١٩ (٢٤٥١) : ٤ / ٦٣٤ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وأخرج ابن ماجه بمثله في كتاب الزهد ، باب الورع والتقوى (٤٢١٥) : ٢ / ١٤٠٩ . عن عطية السعدي ؓ .

وقال عمر بن عبدالعزيز ^(١) : ليست التقوى قيام الليل وصيام النهار ، والتخليط فيما بين ذلك ؛ ولكن التقوى أداء ما افترض الله ، وترك ما حرم الله ، فإن كان مع ذلك عمل فهو خير إلى خير ^(٢) .

وقال طلق بن حبيب ^(٣) : التقوى أن تعمل بطاعة الله ، على نور من الله ، ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله ، على نور من الله ، تخاف عقاب الله ^(٤) .

قال ابن القيم ^(٥) : " وهذا أحسن ما قيل في حدّ التقوى " ^(٦) .

وقال ابن تيمية ^(٧) : " اسم تقوى الله يجمع فعل كل ما أمر الله به إيجاباً واستحباباً ، وما نهى عنه تحريماً وتثريباً ، وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد ، لكن التقوى يراد بها تارة خشية العذاب المقتضية للانكفاف عن المحارم ، والذي جاء مفسراً في الحديث عندما سئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال : " تقوى الله وحسن الخلق " ^(٨) . اهـ ^(٩) .

من صفات المتقين :

❦ قال الحسن ^(١٠) : التقوى أن لا تختار على الله سوى الله ، وتعلم أن الأمور كلها بيد الله .

(١) سبق ترجمته في ص ٩١ .

(٢) جامع العلوم والحكم : ١ / ٩٦ .

(٣) هو طلق بن حبيب العتري : تابعي جليل ، بصري زاهد كبير من العلماء العاملين المتعبدين ، عن ابن أبي نجيح قال : لم يكن يلبسنا أحد أحسن مداراة لصلاته من طلق بن حبيب . حدث عن ابن عباس وابن الزبير وحنبل بن سفيان وجابر بن عبد الله والأحنف بن قيس وأنس بن مالك وعدة ، روى عنه منصور والأعمش وسليمان التيمي وجماعة ، وكان طيب الصوت بالقرآن براً بالديه ، روي عن طاووس قال : ما رأيت أحداً أحسن صوتاً منه . وكان ممن يخشى الله تعالى ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ولكن تكلموا فيه من جهة أنه كان يقول بالإرجاء ، وقيل : إن الحجاج قاتله الله قتلًا طلقاً مع سعيد بن جبير ولم يصح . مات طلق قبل المئة . انظر : الطبقات الكبرى : ٧ / ٢٢٧ ، حلية الأولياء : ٣ / ٦٣ ، سير أعلام النبلاء : ٤ / ٦٠١ ، البداية والنهاية : ٩ / ١٠١ .

(٤) الزهد لعبد الله بن المبارك بن واضح المروزي : ١ / ٤٧٤ ، الدر المنثور : ١ / ٦١ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٦ .

(٦) زاد المهاجر إلى ربه : ١ / ١٠ ، وانظر : الدر المنثور : ١ / ٦١ .

(٧) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٨) جزء من حديث أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق (٢٠٠٤) : ٤ / ٣٦٣ ، وأخرجه أحمد في

مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٩٦٩٤) : ٢ / ٤٤٢ . قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح غريب . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٩) الزهد والورع والعبادة لابن تيمية : ١ / ٩٠ .

(١٠) هو الحسن البصري : سبق ترجمته في ص ٥٢ .

❁ قال علي (١) ﷺ : هي ترك الإصرار على المعصية ، وترك الاغترار بالطاعة ، وهي التي يحصل بها الوقاية من النار ، والفوز بدار القرار .

❁ وقال الواقدي (٢) : التقوى أن تزين سرّك للحق ؛ كما زينت ظاهره للخلق .

❁ ويقال التقوى : أن لا يراك مولاك حيث هناك ، ولا يفقدك حيث أمرك (٣) .

❁ وقال أبو الدرداء (٤) ﷺ : تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً يكون حجاباً بينه وبين الحرام (٥) .

❁ قال رجل لأبي هريرة (٦) ﷺ : ما التقوى ؟ قال : أخذت طريقاً ذا شوكة . قال : نعم . قال : فكيف صنعت ؟ قال : إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه . قال : ذاك التقوى .

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ١٠٨ .

(٢) هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله ، الواقدي : من أقدم المؤرخين في الإسلام ، ومن أشهرهم ومن حفاظ الحديث . ولد بالمدينة ، وكان حنّاطاً (تاجر حنطة) بها ، وضاعت ثروته ، فانتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ في أيام الرشيد واتصل بيجي بن خالد البرمكي فأفاض عليه عطايها وقربه من الخليفة ، فولي القضاء ببغداد . واستمر إلى أن توفي فيها سنة ٢٠٧ هـ . من كتبه : المغازي النبوية ، وفتح أفريقية ، وفتح مصر والإسكندرية ، والجمال ، وصفين ، وتفسير القرآن وغير ذلك ، وينسب إليه كتاب فتوح الشام وأكثره مما لا تصح نسبته إليه ، قال الخطيب البغدادي : كان الواقدي كلما ذكرت له وقعة ذهب إلى مكانها فعائنه . وأشهر من روى عنه كاتبه محمد بن سعد (صاحب كتاب الطبقات الكبرى) . قال محمد بن إسحاق : قرأت بخط عتيق قال : خلف الواقدي بعد وفاته ستمائة قمطر كتباً ، كل قمطر منها حمل رجلين ، وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار . انظر : الفهرست : ١ / ١٤٤ ، تاريخ بغداد : ٣ / ٣ - ٢١ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٣٤٨ ، سير أعلام النبلاء : ٩ / ٤٥٤ .

(٣) انظر : التفسير الكبير : ٢ / ٢٠ .

(٤) هو عويمر بن مالك زيد بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي ، أبو الدرداء : صحابي جليل ، من الحكماء الفرسان القضاة . ت ٣٢ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٧ / ٣٩١ ، حلية الأولياء : ١ / ٢٠٨ ، صفة الصفوة : ١ / ٦٢٧ ، الإصابة : ٤ / ٧٤٧ . وفيه : واختلف في اسمه فقيل : هو عامر وعويمر لقب ، حكاه عمرو بن الفلاس عن بعض ولده ، وبه جزم الأصمعي في رواية الكندي عنه ، واختلف في اسم أبيه فقيل : عامر أو مالك أو ثعلبة أو عبد الله أو زيد .

(٥) الزهد لعبد الله بن المبارك : ١ / ١٩ .

(٦) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، الملقب بأبي هريرة : صحابي جليل ، قال النووي في مواضع من كتبه : اسم أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر على الأصح من ثلاثين قولاً ، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له ، ت سنة ٥٧ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٤ / ٣٢٥ ، حلية الأولياء : ١ / ٣٧٦ ، صفة الصفوة : ١ / ٦٨٥ ، الإصابة : ٧ / ٤٢٥ .

❦ وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز^(١) فقال :

حلّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى^(٢)

❦ وقيل : التقوى اتقاء الشرك والبراءة من النفاق ، وذلك لأن التقوى صارت في عرف القرآن مختصة بالإيمان قال تعالى : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ . [سورة الفتح : ٢٦] . وظاهر اللفظ أيضاً مطابق له ؛ لأنّ الاتقاء عن الشرك أعمّ من الاتقاء عن جميع المحظورات ومن الاتقاء عن بعض المحظورات ، فحقيقة التقوى محمولة على كل من اتقى الكفر بالله^(٣) . قال الطبري^(٤) :

" وهذا فاسد ؛ لأنه قد يكون كذلك وهو فاسقٌ غير مستحقّ أن يكون من المتقين ؛ إلا أن يراد بالنفاق : اقتراف الفواحش التي حرمها الله ، وتضييع فرائضه التي فرضها عليه ، فإن جماعة من أهل العلم قد كانت تسمي من كان يفعل ذلك (منافقاً) " . اهـ^(٥) .
وقد تأوّل بعضهم حقّ التقوى في قوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٠٢]
بأن يأتي العبد بكل ما يجب لله ويستحقّه ، وهذا مما يعجز العبد عن الوفاء به ، فلذلك قال بعض أهل التفسير : إنّ هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ . [سورة التغابن : ١٦] .

(١) هو عبد الله بن المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسي ، أبو العباس : أديباً بليغاً شاعراً مبدعاً مقتدرًا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ ، جيد القريحة حسن الإبداع للمعاني ، أولع بالأدب ، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم ، وصنف كتباً منها : الزهر والرياض ، والبديع ، والآداب ، والجامع في الغناء ، وأشعار الملوك ، وطبقات الشعراء وغير ذلك . وجاءت النكبة من حيث يسعد الناس : آلت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي ، واستصغره القواد فخلعوه ، وبايعوا عبد الله المذكور ولقبوه " المرتضى بالله " وأقام يوماً وليلة ، ووثب عليه أصحاب المقتدر وخلعوه . وعاد المقتدر فقبض عليه وسلمه إلى خادم له اسمه مؤنس فخنقه ، وذلك سنة ٢٩٦ هـ . انظر : تاريخ بغداد : ١٠ / ٩٥ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٧٦ ، سير أعلام النبلاء : ١٤ / ٤٢ ، البدايات والنهاية : ١١ / ١٠٧ .

(٢) انظر : كتاب الزهد الكبير لأحمد بن الحسين البيهقي : ٢ / ٣٥١ ، جامع العلوم والحكم : ١ / ١٦٠ .

(٣) انظر : التفسير الكبير : ٧ / ١٧٣ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٤١ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٥) تفسير الطبري : ١ / ١٠٠ .

وقد اختلف العلماء هل هذا الكلام محكمٌ أو منسوخٌ على قولين :

❖ **أحدهما** : أنه منسوخ . ذكر أكثر المفسرين أنه لما نزلت هذه الآية قالوا : يا رسول الله من يقوى على هذا ؟ .. وشق عليهم ذلك فأنزل الله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ فنسخت هذه الآية . قال مقاتل ^(١) : وليس في آل عمران من المنسوخ شيء إلا هذا .

❖ **والثاني** : أنها محكمة . قالت جماعة من أهل العلم : لا نسخ في شيء من هذا ، وهذه الآيات متفقات ، قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ بيان لهذه الآية ، والمعنى : فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم ، وهذا أصوب ؛ لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع ، والجمع ممكن فهو أولى .

قال أبو جعفر ^(٢) : " لا يجوز أن يقع في هذا ناسخٌ ولا منسوخٌ ؛ لأنَّ الله تعالى لا يكلف الناس إلا ما يستطيعون . إذ لا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها " . اهـ ^(٣) .

وقد فسّر هذه الآية عبدالله بن مسعود ^(٤) فقال : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر ^(٥) .

عن ابن عباس ^(٦) في قوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ قال : لم تنسخ ولكن ﴿ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ : أن يجاهدوا في سبيله حقَّ جهاده ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم .

^(١) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء ، البلخي ، أبو الحسن : من أعلام المفسرين ، أصله من بلخ انتقل إلى البصرة ، ودخل بغداد فحدث بها ، كان متروك الحديث ، من كتبه : التفسير الكبير ، ونوادر التفسير ، والرّد على القدرية ، ومتشابه القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، والوجوه والنظائر . ت بالبصرة سنة ١٥٠ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٧ / ٣٧٣ ، تاريخ بغداد : ١٣ / ١٦٠ ، وفيات الأعيان : ٥ / ٢٥٥ ، سير أعلام النبلاء : ٧ / ٢٠١ .

^(٢) هو أبو جعفر النحاس : سبق ترجمته في ص ٥٨ .

^(٣) معاني القرآن للنحاس : ١ / ٤٥٢ .

^(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٥ .

^(٥) قال الميمني : رواه الطبراني باسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح والآخر ضعيف . انظر : مجمع الزوائد : ٦ / ٣٢٦ . ورواه الحاكم بغير (وأن يشكر فلا يكفر) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . انظر : المستدرک على الصحيحين (٣١٥٩) : ٢ / ٣٢٣ . عن عبد الله بن مسعود ^(٦) . وذكره ابن كثير في تفسيره وقال : والأظهر أنه موقوف ، والله أعلم .

^(٦) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

وروي عن أنس ^(١) ﷺ أنه قال : لا يتقي الله العبد حق تقاته حتى يخزن لسانه .
وقال طاووس ^(٢) في معنى هذه الآية : إن لم تتقوه ولم تستطيعوا ذلك ، فلا تموتن إلا وأنتم
مسلمون ^(٣) .
قال أبو السعود ^(٤) :
" ﴿ حَقُّ تَقَاتِهِ ﴾ أي حق تقواه وما يجب منها ، وهو استفراغ الوسع في القيام بالموجب
والاجتناب عن المحارم .
وقيل : هو أن يتره الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازاة " . اهـ ^(٥) .

● والتقوى زاد المسافر :

عن أنس ^(٦) ﷺ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ قال : " إني أريد سفراً فزوّدني . قال : زدك
الله التقوى . فقال : زدني . فقال : وغفر ذنبك . قال : زدني بأبي أنت وأمي . قال : ويسر
لك الخير حيث كنت " ^(٦) . والتزوّد يكون بالتقوى ، أي : الاستغناء عن المخلوق ، أي :
امتنال الأوامر واجتناب النواهي ^(٧) .

● والتقوى لباس المؤمن :

قال تعالى : ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَرِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا ۗ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ
خَيْرٌ ﴾ . [سورة الأعراف : ٢٦] . وقد تنوّعت الآراء في المراد بلباس التقوى ، والصحيح هو :
استشعار تقوى الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه ^(٨) .

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ٦٠ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٨٤ .

(٣) انظر : زاد المسير : ١ / ٤٣٢ ، المحرر الوجيز : ١ / ٤٨٣ ، تفسير القرطبي : ٤ / ١٥٧ ، تفسير النسفي : ١ / ١٧٠ ، تفسير ابن
كثير : ١ / ٣٨٨ ، تفسير أبو السعود : ٢ / ٦٥ ، فتح القدير : ١ / ٣٦٧ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٥٧ .

(٥) تفسير أبو السعود : ٢ / ٦٥ .

(٦) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب (٣٤٤٤) : ٥ / ٥٠٠ . عن أنس ^(٦) ﷺ . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

(٧) انظر : تحفة الأحوذى : ٩ / ٢٨٥ .

(٨) انظر : تفسير الطبري : ٨ / ١٥١ ، تفسير القرطبي : ٧ / ١٨٥ .

بواعث (١) التقوى :

البواعث على التقوى عشرة : خوف العقاب الأخروي ، وخوف العقاب الدنيوي ، ورجاء الثواب الدنيوي ، ورجاء الثواب الأخروي ، وخوف الحساب ، والشكر على نعمه بطاعته ، والعلم لقوله : ﴿ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ . [سورة فاطر : ٢٨] . وتعظيم جلال الله ؛ وهو مقام الهيبة ، وصدق المحبة .

والحياء من نظر الله ؛ وهو مقام المراقبة ، ، فهو السبب الموجب لخشية الله في السرِّ ، فإنَّ من علم أن الله يراه حيث كان ، وأنه مطلع على باطنه وظاهره ، وسرّه وعلايته ، واستحضر ذلك في خلواته ، أوجب له ذلك ترك المعاصي في السرِّ ، وإلى هذا المعنى الإشارة في القرآن بقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ . [سورة النساء : ١] . (٢)

درجات التقوى :

" درجات التقوى خمس :

- أن يتقي العبد الكفر ؛ وذلك مقام الإسلام .
- وأن يتقي المعاصي والحرمات ؛ وهو مقام التوبة .
- وأن يتقي الشبهات ؛ وهو مقام الورع .
- وأن يتقي المباحات ؛ وهو مقام الزهد .
- وأن يتقي حضور غير الله على قلبه ؛ وهو مقام المشاهدة " (٣) .

وقيل : للتقوى ثلاث مراتب :

● الأولى : التقوى عن العذاب المخلد بالتبرؤ عن الكفر . وعليه قوله تعالى : ﴿ وَالزَّمَهُمْ

كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ . [سورة الفتح : ٢٦] .

(١) الباعث من بعث : الباء والعين والتاء أصل واحد وهو الإثارة ، فالباعث الذي يثير النفس تجاه شيء ما ويحفزها . انظر : المقاييس

كتاب الباء ، باب الباء والعين وما يثلثهما (مادة : بعث) : ١٤٢ .

(٢) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ٣٥ ، جامع العلوم والحكم : ١ / ١٦٢ .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ٣٥ .

❁ والثانية : التجنُّب عن كل ما يؤثِّم من فعل أو ترك ؛ حتى الصغائر عند قوم ، وهو المتعارف بالتقوى في الشرع ، وهو المعنى بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ . [سورة المائدة : ٦٥] .

❁ والثالثة : أن يتزَّه عن كل ما يشغل سرَّه عن الحقِّ ﷻ ، ويتبتل إليه بكلِّيته ، وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٠٢] . وفي هذه المرتبة يعتبر ترك الصغائر .

وهذه المرتبة يتفاوت فيه طبقات أصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم بما منَّ الله عليهم ، أقصاها ما انتهى إليه همم الأنبياء - عليهم الصلوة والسلام - ، حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ، وما عاقهم التعلق بالدنيا وزخارفها ، ساعدهم في ذلك صفاء نفوسهم ، وتأيد المولى سبحانه لهم ، وهداية الكتاب المبين شاملة لأرباب هذه المراتب أجمعين (١) .

من ثمرات التقوى :

في العاجل :

❁ الانتفاع بالقرآن الكريم والهداية به . قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . [سورة البقرة : ٢] .

❁ تيسير الأمور وتكفير السيئات وعظم الأجر . قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ . [سورة الطلاق : ٤ ، ٥] .

❁ المخرج من الغمِّ والرِّزق دون حساب . قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ . [سورة الطلاق : ٢ ، ٣] .

(١) انظر : تفسير البيضاوي : ١ / ١٠٠ ، تفسير أبو السعود : ١ / ٢٨ ، روح المعاني : ١ / ١٠٨ .

﴿ فتح البركات من السماء والأرض : قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ . [سورة الأعراف : ٩٦] .

﴿ الحفظ من وساوس الشيطان . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ . [سورة الأعراف : ٢٠١] .

﴿ الفرقان بين الحق والباطل . قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ . [سورة الأنفال : ٢٩] .

﴿ تعليم الله تبارك وتعالى للمتقين . قال تعالى : ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ ۖ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٨٢] .

﴿ معية الله ونصرته . وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ . [سورة النحل : ١٢٨] .

﴿ الولاية . لقوله الله : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ . [سورة الجاثية : ١٩] .

﴿ محبة الله ﷻ . لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ . [سورة التوبة : ٧] . ﴿ تُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ ﴾ . [سورة المائدة : ٥٤] .

﴿ إصلاح العمل وغفران الذنوب . قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ . [سورة الأحراب : ٧٠ - ٧١] .

﴿ تقبل الأعمال . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ . [سورة المائدة : ٢٧] .

﴿ النجاة من الكيد والضرر . قال تعالى : ﴿ وَإِن تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٢٠] .

﴿ كفلين من الرحمة والنور والمغفرة . قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ ۖ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ۖ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ۖ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ ﴾ . [سورة الحديد : ٢٨] .

﴿ الفلاح . قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأْتِيهِ الْآلُوبِ لِعَلَّكُمْ تفلِحُونَ ﴾ . [سورة المائدة : ١٠٠] .

﴿ البشري . قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ . [سورة يونس : ٦٣ ، ٦٤] .

﴿ الكرامة عند الله . قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُكُمْ ﴾ . [سورة الحجرات : ١٣] .

﴿ حسن العاقبة . قال تعالى : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ . [سورة طه : ١٣٢] .

﴿ الاهتداء والاعتاظ والاعتبار . قال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٣٨] .

أما في الأجل :

﴿ المكانة العالية عند الله والارتفاع فوق الكفرة والساخرين . قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَسَخَّرُوهَا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . [سورة البقرة : ٢١٢] .

﴿ الجنات والأثمار والخلود والأزواج المطهرة ورضوان الله . قال تعالى : ﴿ قُلْ أُوتِيتُكُم بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٥] .

﴿ استقبال الملائكة وسلامهم . كما في قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ . [سورة الزمر : ٧٣] .

﴿ انتفاء الخوف والحزن ^(١) وحصول الفوز والبشارة . كما في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . [سورة الأعراف : ٣٥] . ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٣٨﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ

(١) إن انتفاء الخوف والحزن أثر من آثار البر في الآخرة ، وسيكون مبحث خاص يتناول ذلك في الباب الثالث : آثار البر ، انظر :

الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ . [سورة يونس: ٦٤ - ٦٢] .

﴿ الصَّدَاقَةُ الرَّابِجَةُ ﴾ . قال تعالى : ﴿ الْآخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ . [سورة الزخرف : ٦٧] .

﴿ مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ . [سورة القمر : ٥٤ ، ٥٥] .

﴿ الْمَقَامِ الْأَمِينِ وَحَسَنِ الْمَأْتِ ﴾ . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ . [سورة الدخان : ٥١] . ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَقَابٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ . [سورة ص : ٤٩] .

﴿ الْغُرْفِ الَّتِي فَوْقَهَا غُرْفٌ ﴾ . قال تعالى : ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّيْبِئَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا تَخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ﴿٤٠﴾ ﴾ . [سورة الزمر : ٢٠] .

﴿ الْإِنضْمَامِ لَوْفِ الرَّحْمَنِ ﴾ . قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ . [سورة مريم : ٨٥] .

﴿ النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَالْهَلَاكِ ﴾ . قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧٢﴾ ثُمَّ نُنْحِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثْيًا ﴿٧٣﴾ ﴾ . [سورة مريم : ٧٢ ، ٧٣] .

مكانة التقوى :

تبين مما ذكر من آيات مترلة التقوى من التشريع الإسلامي ، فقد ورد ذكرها في مائتين واثنين وخمسين آية تقريباً ؛ ولا غرو فهي أصل كل خير ، وقد أوصى الله بها في كل شريعة سماوية ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ . [سورة النساء : ١٣١] .

فالتقوى وصية الله لجميع خلقه ، ووصية رسول الله ﷺ لأُمَّته حيث قال :

■ " أتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلقٍ حسن " (١) .

(١) أخرجه الترمذي في كتاب البرّ والصلة ، باب ما جاء في معاشرّة الناس (١٩٨٧) : ٤ / ٣٥٥ ، وأخرج أحمد بمثله في مسند أبو ذر (٢١٣٩٢) : ٥ / ١٥٣ ، (٢١٤٤١) : ٥ / ١٥٨ ، وأخرج الدارمي بمثله في كتاب الرقاق ، باب في حسن الخلق (٢٧٩١) : ٢ / ٤١٥ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح عن أبي ذر .

■ ومن دعائه ﷺ: " اللهم إني أسألك الهدى والتقوى والعفاف والغنى " (١). " اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكّها أنت خير من زكّاها ، أنت وليّها ومولاها " (٢) .

وكان ﷺ إذا خطب في الناس افتتح خطبته بالأمر بتقوى الله ، كما كان في حجة الوداع يوم النحر ، وإذا بعث أميراً على سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ، ولم يزل السلف الصالح يتواصون بها ، فهذا أبو بكر الصديق (٣) يقول في خطبه : أمّا بعد فإني أوصيكم بتقوى الله ... ، ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عمر (٤) دعاه فوصاه بوصيته وأوّل ما قال له : أتق الله يا عمر . وكذلك من بعده من الخلفاء وسلف هذه الأمة (٥) .

وقد جعل الشاعر التقوى السعادة كل السعادة ؛ قال جرير (٦) :

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
فتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للأتقى مزيد

من معاني كلمة التقوى في القرآن :

حقيقة التقوى : الخوف الخشية . كقوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ . [سورة النساء : ١] . لكنها قد جاءت في القرآن لأغراض منها :

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٢٧٢١) :

٤ / ٢٠٨٧ . عن عبد الله بن مسعود ﷺ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٢٧٢٢) :

٤ / ٢٠٨٨ . عن زيد بن أرقم ﷺ .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ٨٧ .

(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ٥٩ .

(٥) انظر : جامع العلوم والحكم : ١ / ١٦٠ ، ١٦٢ ، أضواء البيان : ٨ / ٥١ .

(٦) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطمي بن بدر الكلبي البربوعي ، أبو جزرة ، من تميم : أشعر أهل عصره ، ولد ومات باليمامة وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم - وكان هجاءً مرأ - ، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة : جرير والفرزدق والأحطل . ويقال إن بيوت الشعر أربعة : فخر ومديح وهجاء ونسيب ، وفي الأربعة فاق جرير . وكان عفيفاً ، وهو من أغزل الناس شعراً ، وقد جمعت " نقائضه مع الفرزدق " في ثلاثة أجزاء وديوان شعره ، وأجباره مع الشعراء وغيرهم كثيرة جداً . وكان يكنى بأبي حرزة . ت سنة ١١٠ هـ . انظر : وفيات الأعيان : ١ / ٣٢١ ، سير أعلام النبلاء : ٤ / ٥٩٠ ، البداية والنهاية : ٩ / ٢٦٠ ، شذرات الذهب : ١ / ١٤٠ .

- الإيمان . ف قوله تعالى : ﴿ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ . [سورة الفتح : ٢٦] . أي : التوحيد .
- التوبة . ك قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ . [سورة الأعراف : ٩٦] .
- الطاعة . كما قال تعالى : ﴿ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ . [سورة النحل : ٢] .
- ترك المعصية كما قال تعالى : ﴿ وَأَتُوا الْبَيْوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٨٩] .
أي : فلا تعصوه .
- الإخلاص . كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ . [سورة الحج : ٣٢] . أي : من إخلاص القلوب .

من أسباب التقوى :

- ١- الخشوع في الصلاة . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ . [سورة العنكبوت : ٤٥] . والانتها عن الفحشاء والمنكر هو التقوى ، وهذا لأن من حَبَّبَ الله إليه الصلاة ، ووفَّقَه لها ، وذلَّلَ أعضائه وجوارحه بها ، لم يكن إلا منتهياً عن الفحشاء والمنكر .
- ٢- الصيام . قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٨٣] . لأن التملؤ من الطعام والشراب رأس البواعث على الفحشاء والمنكرات . إنَّ الجائع العطشان لا يجد في نفسه من قلق الشهوات ما يجد منه الممتلئ من الطعام والشراب ، وإذا كان ذلك فقد حصل من الصيام التقوى .

وفيه وجه آخر : وهو أن المعنى : لعلكم تتقون الكفر والتغافل والتجاهل وتشكرون الله ففي فرض الصوم تذكيرٌ بنعمة الله عليهم طوال الدهر ؛ وهي وجود الطعام والشراب والتي لم يعودوا ليشعروا بها لإلفهم لها ، فلما صاموا ثم فطروا رُدَّتْ إليهم النعمة ، فشكروها وأدُّوا حقَّها ، وهذا لا شك بابٌ من أبواب التقوى .

وفيه وجه آخر : وهو أن يكون المعنى : لعلكم تتقون البخل وإهمال المحتاجين والتغافل عنهم وذلك لأنَّ الإحساس بالجوع والعطش يذكر بحال من يبيت ليلته طاوياً ، فلا هو صائمٌ ولا

طاعماً لشدة فقره ، فيصير ذلك سبباً لعطفهم على الضعفاء والإحسان اليهم ، وشكرهم
نعمة الله عندهم ، ولا شك أن المواساة والإحسان من التقوى (١) .

حقيقة التقوى :

التقوى في الحقيقة تقوى القلوب (٢) لا تقوى الجوارح ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعَظِّمْ
شَعْتِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ . [سورة الحج : ٣٢] . وقال : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا
دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ . [سورة الحج : ٣٧] . وقال ﷺ : " التقوى ههنا ، يشير إلى
صدره ثلاث مرات " . ومن طريق آخر زاد فيه : " إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى
صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ، وأشار بأصابعه إلى صدره " (٣) .
والكيس يقطع منازل السير إلى الله بقوة العزيمة ، وعلو الهمة وتجريد القصد ، وصحة النية
مع العمل القليل ، أضعاف أضعاف ما يقطعه صاحب العمل الكثير المتجرد من التقوى
وصدق الرغبة والعزيمة وحقيقة الإيمان الباطنة ، مع التعب الكثير ، فإن ساواه في همته تقدم
عليه بعمله . والله تعالى أمر عباده أن يقوموا بشرائع الإسلام من صلاة وزكاة وصيام
وحج ... على ظاهرها ، على أن يهتموا بإصلاح قلوبهم وعكوفها على الله وحده
وتصحيح المحبة والخوف والرجاء والتوكل والإنابة ، فلا تكون إلا له سبحانه .. وهذه أمور
لا يعلمها إلا الله ، ولا يقبل عمل إلا بتحقيق كلا الأمرين الظاهر والباطن ، وفي المسند
مرفوعاً : " الإسلام علانية والإيمان في القلب " (٤) . فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف ، ولم

(١) انظر : شعب الإيمان : ٣ / ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٢) لما كانت التقوى من أعمال القلوب تم إدراجها ضمن مباحث فصل البر في الإيمان .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير (٥٧١٧) : ٥ / ٢٢٥٣ ، (روى البخاري بداية الحديث
من غير هذه الزيادة) وأخرجه مسلم بزيادة : " المسلم أحو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ، ويشير إلى صدره ثلاث
مرات ... " في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (٢٥٦٤) : ٤ / ١٩٨٦ .
وهو جزء من حديث طويل أوله : " إياكم والظن فإن أكذب الحديث ... " . وهو حديث جامع في الأدب والصحة . كلاهما عن أبي
هريرة ؓ .

(٤) أخرجه أحمد في مسند أنس بن مالك ؓ (١٢٤٠٤) : ٣ / ١٣٤ . قال الهيثمي : رواه أحمد وأبو يعلى بتمامه والبخاري باختصار
ورجاله رجال الصحيح ما خلا علي بن مسعدة ، وقد وثقه ابن حبان وأبو داود الطيالسي وأبو حاتم وابن معين ، وضعفه آخرون .
انظر : مجمع الزوائد : ١ / ٥٢ .

يتعبد بالأمر وظاهر الشرع لم ينجّه ذلك من النار ، كما أنه لو قام بظواهر الإسلام ، وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجّه من النار . وأكمل الهدي هدي رسول الله ﷺ ؛ وكان موفياً كل واحد منهما حقه ، فكان مع كماله وحبّه لربه ، وأحواله مع الله يقوم حتى تتورّم قدماه ويصوم حتى يقال لا يفطر ، ويجاهد في سبيل الله ، ويخالط أصحابه ولا يحتجب عنهم ، ولا يترك شيئاً من النوافل والأوراد ، رغم عظم المهمة التي أنيط بها ، والتي تعجز عن حملها قوى البشر ، كما أن العمل لا يكون طاعة وقربة حتى يكون الباعث عليه هو الإيمان المحض ، لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك ، وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته وهو الاحتساب (١) .

وحقيقة التقوى متوقفة على العلم ، إذ الجاهل لا يعلم كيف يتقي لا من جانب الأمر ولا جانب النهي .

التقوى والعلم :

قيل : كيف يكون متقياً من لا يدري ما يتقي !؟
وقال معروف الكرخي (٢) : إذا كنت لا تحسن تتقي أكلت الربا ، وإذا كنت لا تحسن تتقي لقيت امرأة ولم تغض بصرك ، وإذا كنت لا تحسن تتقي وضعت سيفك على عاتقك (٣) .

وأصل التقوى : أن يعلم العبد ما يتقي ثم يتقي ، فالمتقي هو الذي أقام الدين بشرائطه المشروعة ، فإذا صلى أحضر قلبه مع بدنه في تذكّر وتدبّر أذكاره ، وأحسن أدبه بين يدي مولاه ، وإذا تصدّق أخرج الطيب من كسبه ، لا يريد عليه جزاءً إلاّ ابتغاء وجه ربه ، وإذا حجّ أخلص النية لله في قصده قبل الخروج من أهله ، وأنفق من طيب المال وحله واجتنب

(١) انظر : زاد المهاجر إلى ربه ١ / ١٠ ، ١١ ، الفوائد : ١ / ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٢) هو معروف بن فيروز الكرخي ، أبو محفوظ : أحد أعلام الزهاد والصوفيين . كان من موالى الإمام علي الرضى بن موسى الكاظم . ولد في كرخ بغداد ، ونشأ وتوفي ببغداد . اشتهر بالصلاح وقصده الناس حتى كان الإمام أحمد في جملة من يختلف إليه . ت سنة ٢٠٠ هـ . انظر : صفة الصفوة : ٢ / ٣١٨ ، وفيات الأعيان : ٥ / ٢٣١ ، طبقات الصوفية : ١ / ٨٠ ، طبقات الحنابلة :

١ / ٣٨١ . وفيه : اسمه : معروف بن الفيرزان .

(٣) جامع العلوم والحكم : ١ / ١٦٠ .

الحرام ، وإذا صام صان نظره عما لا يحل له عليه النظر ، وصان لسانه عن الكلام الزور والهذر ، وصان سمعه عما يجرم الاستماع إليه ، وصان لسانه عن تمزيق أعراض المسلمين . وهكذا في كل صغيرة وكبيرة هو مراقب لله ﷻ في السر قبل العلانية (١) .

قال المناوي (٢) : " ويقدم السر ؛ لأن تقوى الله فيه أعلى درجة من العن ، لما يخاف من شوب رؤية الناس ، وهذه درجة المراقبة ، وخشيته فيهما تمنع من ارتكاب كل منهيّ وتحته على فعل كل مأمور ، فإن حصل للعبد غفلة عن ملاحظة خوفه وتقواه ، فارتكب مخالفة مولاه لجأ إلى التوبة ، ثم داوم الخشية " . اهـ (٣) .

من فوائد التقوى :

لتجنب المحارم فوائدها جمّة منها :

الأول : صون النفس ، وهو حفظها وحمايتها عما يشينها ويعيبها ، ويزري بها عند الله ﷻ وملائكته وعباده المؤمنين وسائر خلقه .

الثاني : توفير الحسنات ، فمن وجهين :

أحدهما : توفير زمانه على اكتساب الحسنات .

والثاني : توفير الحسنات المكتسبة عن نقصانها عند موازنتها بالسيئات .

الثالث : صيانة الإيمان ، فلأن الإيمان عند جميع أهل السنة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية (٤) ، فإن العبد كما جاء في الحديث : " إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه ، وإن عاد زيد فيها حتى تعلق قلبه وهو الرآن الذي ذكر الله ﷻ : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ . [سورة المطففين : ١٤] . " (٥) .

فالمعاصي تسود القلب وتطفىء نوره ، والحسنات تزيد نور القلب .

(١) انظر : التذكرة في الوعظ لعبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي : ١ / ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٤٨ .

(٣) فيض القدير : ٣ / ٣٠٧ .

(٤) سيكون هناك تفصيل لهذا القول في الباب الثالث ، مبحث : البر سبب محبة الله للعبد وزيادة الإيمان ، انظر : ص ٥٥٣ .

(٥) أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة ﴿ وَيَلِّ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ (٣٣٣٤) : ٥ / ٤٣٤ .

وأخرج النسائي بنحوه في السنن الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة (١٠٢٥١) : ٦ / ١١٠ ، وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب =

وهذه الأمور الثلاثة وهي : صون النفس ، وتوفير الحسنات ، وصيانة الإيمان ، ويكون صاحبها أرفع همّة لأنه يجاهد على تزكية نفسه ، وصونها وتأهيلها للوصول إلى ربها ، وهي في الدرجة الأولى من ورع المتّقين .

الدرجة الثانية : حفظ الحدود عند ما لا بأس به :

- إبقاء على الصيانة والتقوى .
- وصعوداً عن الدناءة وتخلصاً عن اقتحام الحدود .

إن من صعد عن الدرجة الأولى إلى هذه الدرجة من الورع ، يترك كثيراً مما لا بأس به من المباح إبقاء على صيانتة ، وخوفاً عليها أن يتكدر صفوها ويطفأ نورها ، ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية ^(١) أن أخذ المباح ينافي المراتب العالية ، وإن لم يكن تركه شرطاً في النجاة لا سيّما إذا كان ذلك المباح برزخاً بين الحلال والحرام .

والفرق بين صاحب الدرجة الأولى وصاحب هذه : أن ذلك يسعى في تحصيل الصيانة وهذا يسعى في حفظ صفوها أن يتكدر ، ونورها أن يطفأ ويذهب .
وأما الصُّعود عن الدناءة : فهو الترفُّع عن طرقاتها وأفعالها .

وأما التخلُّص عن اقتحام الحدود : فالحدود : هي نهاية الحلال وبداية الحرام ، فحيث ينقطع الحلال وينتهي فذلك حدّه ، فمن اقتحمه وقع في المعصية ، وقد نهى الله ﷻ عن تعدّي حدوده وعن قربانها فقال : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾ . [سورة البقرة : ١٨٧] . وقال :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ . [سورة البقرة : ٢٢٩] . وحيث نهى عن قربان الحدود هناك أوائل الحرام ، يقول سبحانه : لا تتعدّوا ما أبحت لكم ، ولا تقربوا ما حرّمت عليكم فالورع يخلّص العبد من قربان هذه وتعدّي هذه ، وهو اقتحام الحدود .

الدرجة الثالثة : التورُّع عن كل داعيةٍ تدعو إلى شتات الوقت ^(٢) .

= الزهد ، باب ذكر الذنوب (٤٢٤٤) : ٢ / ١٤١٨ . عن أبي هريرة ؓ . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وقال الذهبي في المذهب : إسناده صالح .

^(١) سبق ترجمته في ص ٢١ .

^(٢) مدارج السالكين : ٢ / ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ . بتصريف يسير .

الأبرار هم المتقون :

إن الأبرار هم المتقون ؛ لأنهم تركوا المحظور وفعّلوا المأمور ، ولأنّ هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير ؛ فالعبادات المنصوص عليها في هذه آية البرّ أكبر العبادات ، ومن قام بها كان بما سواها أقوم .

لقد جمعت هذه الآية الكريمة بين أصول الاعتقاد وتكاليف المال وتقويم الأخلاق وجعلتها كلاً لا يتجزأ ، ووحدة لا تنفصم ، وكان هذا هو البرّ ، وكان أصحابها هم المتقون الذين يخشون ربهم ويتصلون به ، ويؤدّون واجبهم له في حساسية وإشفاق ، فالبرّ والتقوى جماع الدين كلّهُ ، وأصل كلّ خير (١) .



(١) انظر : تفسير الطبري : ٢ / ١٠٢ ، تفسير السعدي : ١ / ٨٤ ، الظلال : ١ / ١٦١ .

الخطى الثاني البحر في العبادات

وفيه أربعة مجلدات :

المجلد الأول : الصلاة فرضاً ونفلًا .

المجلد الثاني : الصلوة فرضاً ونفلًا .

المجلد الثالث : الصوم فرضاً ونفلًا .

المجلد الرابع : الحج فرضاً ونفلًا .

تمهيد

إن من خصال البرُّ من أقام الصلاة وآتى الزكاة ، وهذه شعائرٌ تعبديَّةٌ محضة ؛ وهما ركنان من أركان الإسلام الخمس ، فلا يكتمل برُّ المتقين الأبرار حتى يحققوا البرَّ في صلاتهم وفي إنفاقهم من أموالهم .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَنَّ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

العبادة لغة وشرعاً :

العبادة لغة :

مأخوذ من " عَبَدَ " ، العين والباء والdal أصلان صحيحان ، كأنهما متضادان الأول : يدلُّ على لين وذلٍّ ، والآخر على شدة وغلظة .

والعبد : الإنسان حراً كان أو رقيقاً ، ويقصد بذلك أنه مربوب لباريه ﷻ .

فمن الأول العبد المملوك : وهو خلاف الحرِّ ، ولا يقال : عبد يعبد عبادة ، إلا لمن يعبد الله تعالى ، وتعبَّد يتعبَّد تعبُّداً ، فالتعبَّد : المتفرِّد بالعبادة . والعبيداً - بالقصر والمدِّ - : جمع العبيد ، كالعباد والعبيد .

وأصل العبوديَّة الخضوع والذل ، ويقال تعبَّد الله العبد بالطاعة أي : استعبده ، أما تعبَّدت فلاناً فمعناه : اتخذته عبداً مثل عبده سواء ، وكل من دان لملك فهو عابده له ، والمعبد : المكرَّم المعظم ؛ كأنه يعبد (١) .

(١) انظر : المقاييس ، كتاب العين ، باب العين مع الباء وما يثلثهما (مادة : عبد) : ٧٢٨ ، النهاية (مادة : عبد) : ٣ / ١٦٩

لسان العرب (مادة : عبد) : ٣ / ٢٧٠٤ .

العبادة اصطلاحاً :

هي : " اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة " (١) .

وقيل : " هي فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه .

وقيل : هي تعظيم الله وامثال أوامره " (٢) .

كما عرّفت بأنها : " الأفعال الواقعة على نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع المتجاوز لتذلل

بعض العباد لبعض ، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله ، ولهذا قال تعالى :

﴿ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ . [سورة يوسف : ٤٠] . وهي أخص من العبودية التي تعني مطلق

التذلل " (٣) .

فالتعريف الصحيح للعبادة : هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال

والأعمال الظاهرة والباطنة ، يفعلها المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه وامثالاً

لأمره ، وتكون على نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع المتجاوز لتذلل بعض العباد لبعض

ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله .

أما العبودية فهي : " الوفاء بالعهود ، وحفظ الحدود ، والرضا بالموجود ، والصبر على

المفقود " (٤) .

شروط العبادة :

ولتحقق العبادة لله سبحانه وتعالى لابد من توفر شرطين :

" الأول : ألا يعبد الله إلا بما شرع ، متبوعاً في ذلك هدي كتابه وسنة رسوله ﷺ تحليلاً

وتحريراً مع التسليم لأمر الله والخضوع التام له سبحانه ، وبالكيفية التي أَرادها الله

وارتضاها .

الثاني : إخلاص العبادة لله ، وصدق التوجه إليه ، وخلوص النية عن الشرك والرياء أو

قصد غير الله تعالى " (٥) .

(١) العبودية لابن تيمية : ٤ .

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف : ٤٩٨ ، ٤٩٩ .

(٣) انظر : المفردات (مادة : عبد) ، ٣٢٢ ، التوقيف على مهمات التعاريف : ٤٩٨ ، ٤٩٩ .

(٤) التعريفات : ١٩٠ .

(٥) العبودية : ٤١ .

حقيقة العبادة :

حقيقة قول العبد : (اللهم إني عبدك) :

⊗ التزام عبوديته من الذل والخضوع والإنابة ، وامثال أمر سيده واجتناب فحيه ودوام الافتقار إليه ، واللجوء إليه ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، وعباد العبد به ، وأن لا يتعلق قلبه بغيره محبةً وخوفاً ورجاء .

⊗ وفيه أيضاً : أني عبد من جميع الوجوه : صغيراً وكبيراً ، حياً وميتاً ، مطيعاً وعاصياً معافى ومبتلى ، بالروح والقلب واللسان والجوارح .

⊗ وفيه أيضاً : أن مالي ونفسي ملك لك ؛ فإن العبد وما يملك لسيدته .

⊗ وفيه أيضاً : أنك أنت ولي نعمتي ، فكل ما أنا فيه من نعمة فذلك كله من إنعامك علي عبدك .

⊗ وفيه أيضاً : إني لا أتصرف في مالي ونفسي إلا بأمرك ، كما لا يتصرف العبد إلا بإذن سيده ، وإني لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، فإن وفقى بما قال بأفعاله فقد قال : إني عبدك حقيقة (١) .

أركان العبادة :

العبادة تجمع أصليين : غاية الحب وغاية الذل والخضوع ، فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له لم تكن عابداً له ، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابداً له حتى تكون محبباً خاضعاً (٢) .

الانحراف الحاصل في تصور مفهوم العبادة في الأجيال المعاصرة :

من أخطر الانحرافات التي وقعت فيها الأجيال المتأخرة من المسلمين ، انحرافهم في تصور معنى العبادة ، وحين يعقد الإنسان مقارنة بين المفهوم الشامل الواسع العميق الذي كانت الأجيال الأولى من المسلمين تفهمه من أمر العبادة ، والمفهوم الهزيل الضئيل الذي تفهمه

(١) الفوائد : ٣٤ . بتصرف يسير .

(٢) مدارج السالكين : ١ / ٨٥ . بتصرف يسير .

الأجيال المعاصرة ، لا يستغرب كيف هوت هذه الأمة من عليائها لتصبح في هذا الحضيض الذي تعيشه اليوم ، وكيف هبطت من مقام القيادة والريادة للبشرية كلها ، لتصبح ذلك الغناء الذي تتداعى عليه الأمم تنهشه من كل جانب . ويعلم الإنسان في الوقت ذاته الطريق الذي ينبغي أن تسلكه الصحوّة الإسلامية وهي تجاهد لرفع هذا الغناء من حضيضه الذي يعيش فيه ليعود كما أراده الله أن يكون : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . [سورة آل عمران : ١١٠].

كان المفهوم الصحيح للعبادة في حسّ الأجيال الأولى أن عبادة الله هي غاية الوجود الإنساني كله ، وذلك من قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ . [سورة الذاريات : ٥٦].

إنّ القرآن نزل بلغتهم ، وهم يدركون أسرار بلاغتها ، فيدركون أنّ معنى الآية أنّ غاية الوجود الإنساني كله محصورة في العبادة لا تتعدّها إلى شيء غيرها على الإطلاق ؛ فالنفي والاستثناء أقوى صور الحصر والقصر في اللسان العربي ، ومعناها النفي الباتّ من جهة والحصر الكامل من الجهة الأخرى ، نفي أي غاية للوجود البشري غير عبادة الله ، وحصر غاية هذا الوجود كله في عبادة الله ! .

هذا إلى جانب شعورهم بعظمة الله وإخلاص العبادة له ، ومن ثم لم ينحصر مفهوم العبادة في حسّهم في نطاق الشعائر التعبدية وحدها : من صلاة وزكاة وصيام وحج ... الخ . إنّ شعائر التعبّد لا يمكن بداهة أن تكون هي كل " العبادة " المطلوبة من الإنسان . فما دامت غاية الوجود الإنساني كما تنصّ الآية الكريمة محصورة في عبادة الله ، فأنى يستطيع الإنسان أن يوفّي العبادة المطلوبة بالشعائر التعبدية فحسب ؟ ! .

كم تستغرق الشعائر من اليوم واللييلة ؟ وكم تستغرق من عمر الإنسان ؟ وبقية العمر ؟ وبقية الطاقة ؟ وبقية الوقت ؟ أين تنفق وأين تذهب ؟ تنفق في العبادة أم في غير العبادة ؟ وإن كانت في غير العبادة فكيف تتحقق غاية الوجود الإنساني التي حصرتها الآية حصراً كاملاً في عبادة الله ؟ وكيف يجوز للإنسان من عند نفسه - أن يجعل لوجوده - أو لجزء من وجوده - غاية لم يأذن بها الله ؟

إنَّ الإنسان لا يستطيع - مهما حاول - أي يقضي يومه وليلته في إقامة الشعائر التعبدية فهو ليس مَلَكًا ؛ فالملائكة هم الذين يَسْبِّحُونَ الله بالليل والنهار لا يفترون ، وكذلك خلقهم الله ، أمَّا الإنسان المخلوق من قبضة من طين ونفخة من روح الله ، المشتمل - إلى جانب روحه الشَّفيقة - على جسدٍ يكدح ويتزع ، يأكل ويشرب ، يتعب وينام ، وعقلٍ يفكر في تدبير مطالب الحياة الحسِّيَّة والمعنويَّة ، فإنه لا يستطيع أن يعبد الله على طريقة الملائكة ، ولذلك فإنَّ الله فرض عليه عبادة تناسب تكوينه وتناسب مهمَّته ، تناسب طاقاته المتنوعة والكبد الذي يعانيه ، وتناسب في الوقت ذاته مواهبه التي اختلفت بها بين الكائنات ومجالات نشاطه الواسعة ، والأمانة التي يحملها .. عبادة لا تعنته في شيء ، ولا تكلفه مالا يطيق ، وتتسع في الوقت ذاته حتى تشمل وجوده كلَّه وعمره كلَّه من لحظة التكليف إلى لحظة الموت لا تندُّ عنها لحظة واحدة من لحظات الوعي ، ولا لحظة ولا خاطر ولا لون من ألوان النشاط : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ [سورة الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣] .

لقد كان في حسِّ الجيل الأول .. الجيل الفريد أن حياتهم كلُّها عبادة ، وأنَّ الشعائر إنما هي لحظات مركَّزة ، يتزود الإنسان فيها بالطاقة الروحية التي تعينه على أداء بقية العبادة المطلوبة ، فكانوا يقومون بالعبادة وهم يمارسون الحياة في شتى مجالاتها ، وكانت عبادتهم الكبرى هي العمل في شتى مجالات الحياة ، فهنا موقف حمد ، وهنا موقف استغفار ، وآخر تربية للأولاد على المنهج الربَّاني ، وهكذا في كلِّ مجال له عبادته الخاصة كما أمر تعالى ورسوله ﷺ ، فنطلب العلم لوجه الله ، ونعمر الأرض ، ونبتغي الرزق ... نحقق عبادة الله في كلِّ جانب من جوانب الحياة (١) .

ونحن الآن بصدد الحديث عن البرِّ في العبادات ، وقد اقتضت آية البرِّ على البرِّ في إقامة الصلاة والبرِّ في إيتاء المال ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُؤُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي

(١) انظر : مفاهيم ينبغي أن تصحَّح محمد قطب إبراهيم : ١٧٣ - ١٨٣ .

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴿١٧٧﴾
 [سورة البقرة : ١٧٧] .

لأن الصلاة والزكاة هما أهم العبادات وأجلها ؛ وقد أردفت القول بالحديث عن البر في بقية أركان الإسلام ، فبحثت في بر الصوم وبر الحج ، استزادة في الخير ، وإتماماً للفائدة .



المبحث الأول

الصلاة فرضاً ونهلاً

أول ما يسأل عنه المرء الصلاة ؛ فإن أداها وأقامها كما يحب الله ويرضى خُفِّفَ عنه الحساب وقد فطن الأبرار لهذا ؛ بل هي قبل ذلك قرّة أعينهم ، وبها راحة قلوبهم ، فهي التي تصلهم برّبهم .. يتضرّعون بين يديه ، ويأنسون بمناجاته .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّالِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

إن إقامة الصلاة شيءٌ غير التوليّ قبل المشرق والمغرب ، إنها توجّه الإنسان بكليته إلى ربّه ظاهراً وباطناً ، جسماً وعقلاً وروحاً ، إنها ليست مجرد روحانيّات محضة ، فالصلاة الإسلامية تلخّص فكرة الإسلام الأساسية عن الحياة ، والإسلام يوازن بين متطلبات الجسم والعقل والروح ، وليس هناك تعارضٌ بين نشاط هذه القوى المكونة في مجموعها للإنسان ولا يحاول أن يكبت الجسم لتنطلق الروح ، لأنّ هذا الكبت ليس ضرورياً لتنطلق الروح ومن ثم يجعل عبادته الكبرى .. الصلاة ؛ مظهراً لنشاط قواه الثلاثة وتوجهها إلى خالقها جميعاً في ترابط واتساق :

- يجعلها قياماً وركوعاً وسجوداً ؛ تحقيقاً لحركة الجسد .
 - ويجعلها قراءةً وتدبراً وتفكيراً في المعنى والمبنى ؛ تحقيقاً لنشاط العقل .
 - ويجعلها توجهاً واستسلاماً لله ؛ تحقيقاً لنشاط الروح .
- كلها في آن ... وإقامة الصلاة على هذا النحو تذكر بفكرة الإسلام كلها عن الحياة وتحقق فكرة الإسلام كلها عن الحياة .. في كل ركعة وكل صلاة (١) .

(١) الظلال : ١ / ١٦٠ . بتصرف يسير .

تعريف الصلاة لغة وشرها :

الصلاة لغة :

مأخوذة من (صلي) : الصاد واللام والحرف المعتل أصلان :

• أحدهما : النار وما أشبهها من الحمى .

• والآخر : جنس من العبادة ، ومنه الدعاء .

ومجال البحث الأصل الثاني : فالصلاة هي الدعاء ، وقال رسول الله ﷺ : " إذا دعى أحدكم إلى طعام فليجب ، فإن كان مفطراً فليأكل ، وإن كان صائماً فليصل " (١) . أي :

فليدع لهم بالخير والبركة .

وقال الزجاج (٢) :

الأصل في الصلاة اللزوم ، يقال : قد صلي واصطلى : إذا لزم ، ومن هذا من يصلى في النار أي : يلزم النار .

والأقرب أنها مأخوذة من الدعاء ؛ إذ لا صلاة إلا ويقع فيها الدعاء أو ما يجري مجراه ، وقد تكون صلاة ولا يكون فيها متابعة للغير .

أما الصلاة من الله تعالى فهي الرحمة ، ومن ذلك الحديث : " اللهم صل على آل (٣) أبي أوفى (٤) " (٥) . يريد بذلك الرحمة ، والصلاة على النبي ﷺ معناها : اللهم عظمه في الدنيا

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الصوم ، باب ما جاء في إجابة الصائم الدعوة (٧١١) : ٣ / ١٥٠ . قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح . عن أبي هريرة ؓ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٥٥ .

(٣) الآل : كل من يؤول إلى الرئيس في خيرهم وشرهم ، أو يؤولون إلى خيرهم وشره فهو الآل ، والقوم أعم منه ، لأن كل من يقوم الرئيس بأمرهم أو يقومون بأمره فهم القوم . انظر : الكليات (فصل الهزمة) : ١٦٤ .

(٤) أبي أوفى : والد الصحابي الجليل عبد الله بن أبي أوفى ، واسمه علقمة (أبي أوفى) بن خالد الخزاعي الأسلمي ، وابن أبي أوفى : هو آخر من مات من أصحاب النبي ﷺ بالكوفة ، له في كتب الحديث ٩٥ حديثاً ، وهو أحد من بايع بيعة الرضوان ، وشهد الحديبية وخير انتقل من المدينة إلى الكوفة بعد وفاة النبي ﷺ ، وكف بصره في أواخر أعوامه ، ت سنة ٨٦ هـ بالكوفة . انظر : الطبقات الكبرى : ٦ / ٢١ ، معجم الصحابة : ٢ / ٨٤ ، مولد العلماء ووفياتهم لمحمد بن عبد الله الربيعي : ١ / ٢١٤ ، وفيه قال الواقدي والمدائني : عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي ، يكنى أبا معاوية ، الإصابة : ٤ / ١٨ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة ، رقم (١٤٢٦) : ٢ / ٥٤٤ ، وأخرج مسلم مثله في كتاب الزكاة ، باب الدعاء لمن أتى بصدقة ، رقم (١٠٧٨) : ٢ / ٧٥٦ . كلاهما عن عبد الله بن أبي أوفى ؓ .

بإعلاء ذكره ، وإظهار دعوته ، وإبقاء شريعته ، وفي الآخرة : بتشفيعه في أمته وتضعيف أجره ومثوبته (١) .

الصلاة شرحاً :

هي أفعالٌ وأقوالٌ مفتوحةٌ بتكبير ، محتمةٌ بتسليم ، كتسمية الشيء باسم ما يتضمنه .
وقيل : هي عبارة عن أركان مخصوصة ، وأذكار معلومة ، بشرائط محصورة في أوقات مقدرة (٢) .

هل المراد بقوله تعالى : ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ﴾ في آية البرّ الصلاة المفروضة أو النافلة ؟

قال أكثر المفسرين : ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ﴾ أي : المفروضة (٣) ، كما أن عدداً من المفسرين جعلوا الأمر على إطلاقه ، ولم يحددوا إن كانت صلاة فرضٍ أو نافلة .
قال الآكوسي (٤) :

" والمراد بالصلاة هنا :

- الصلاة المفروضة ، وهي الصلوات الخمس .
- أو الفرائض والنوافل ، كما قاله الجمهور . والأوّل هو المروي عن ابن عباس (٥) رضي الله عنه وهو الأرجح ؛ لأنه الذي يقع عليه الفلاح ؛ فإنه ﷺ لما بين للأعرابي صفة الصلاة

(١) انظر : أنيس الفقهاء لقاسم بن عبد الله بن أمير القنوني : ٦٨ ، المقائيس (مادة : صلى) : ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، التفسير الكبير : ٤٨٦ / ١ ، لسان العرب (مادة : صلى) : ٤٦٥ / ١٤ .

(٢) انظر : التعريفات : ١٧٥ ، التوقيف على مهمات التعاريف : ١ / ٤٦١ .

(٣) قاله القرطبي ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو السعود ، والسيوطي ، والشوكاني ، والآكوسي . انظر : تفسير القرطبي : ٢ / ٢٤٢ ، تفسير البيضاوي : ١ / ٤٥٤ ، تفسير النسفي : ١ / ٨٦ ، تفسير أبو السعود : ١ / ١٩٤ ، الدر المنثور : ١ / ٤١٦ ، فتح القدير : ١ / ١٧٤ ، روح المعاني : ٢ / ٤٧ .

(٤) سبق ترجمته في ص ١٨ .

(٥) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

المفروضة قال : والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها . فقال ﷺ : " أفلح إن صدق " (١) .
اهـ (٢) .

البرّ في الصلّاة :

والبرّ في الصلّاة يتناول جانبين :

- ١- البرّ في إقامتها وأدائها على الوجه المطلوب كما يحبُّ ربنا ويرضى .
- ٢- البرّ في الصلّاة بالإكثار من النوافل .

أولاً : البرّ في الصلّاة بإقامتها - فرضاً كانت أو نهلاً - :

معنى ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ﴾ :

أقام الشيء أي : أدامه ، وأقام الصلّاة أدام فعلها (٣) .

قال ابن الجوزي (٤) :

" وفي معنى إقامتها ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنه تمام فعلها على الوجه المأمور به ، روي عن ابن عباس (٥) ﷺ ومُجاهد (٦) .

القول الثاني : أنه المحافظة على مواقيتها ، ووضوئها ، وركوعها ، وسجودها ، قاله قتادة (٧) وغيره .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب الزكاة من الإسلام (٤٦) : ١ / ٢٥ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الإيمان ، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام (١١) : ١ / ٤٠ . عن طلحة بن عبيد الله ﷺ . (وأولّه : " خمس صلوات في اليوم والليله ") .

(٢) روح المعاني : ١ / ١١٧ .

(٣) انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد الفيومي : ٢ / ٥٢١ ، أنيس الفقهاء : ٨١ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٤٣ .

(٥) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٧) سبق ترجمته في ص ٥ .

القول الثالث : إدامتها ، والعرب تقول في الشيء الراتب : قائم ، وفلان يقيم أرزاق الجند قاله ابن كَيْسَانَ (١) . اهـ (٢) .

إذن ، تتم إقامة الصلاة بأمر :

١- المحافظة على مواعيتها :

وقد " سئل رسول الله ﷺ : أيُّ العمل أفضل ؟ قال : الصلاة لوقتها " (٣) .

قال المناوي (٤) : " أحب الأعمال إلى الله : أي أكثرها ثواباً من الله تعالى الصلاة لوقتها اللام لاستقبال الوقت ، أو بمعنى (في) ، لأن الوقت ظرف لها ، على وزن ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ . [سورة الأنبياء : ٤٧] . أي فيه والصلاة أول وقتها : أي المحافظة عليها المأمور به في آية : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٣٨] . والمحافظة تكون بأدائها أول وقتها خوف فوت فضيلتها ، وهذا حثٌ على ندب المبادرة ، وأفضل الأعمال الصلاة في أول وقتها ، لأنها أعظم الوصل بين العبد وربّه وهي عماد الدين وعصام النبيين مشتملة على ما لم يشتمل عليه غيرها من الكمالات ، ولهذا قال بعض أهل الكمال : الصلاة طهرة للقلب ، واستفتاح لأبواب الغيوب ، تتسع فيها ميادين الأسرار ، وتشرق فيها شوارق الأنوار ، ثم ما أحسن تركيبها وما أبدع أن الجنة قصورها ؛ لبنة من ذهب وأخرى من فضة وملاطها المسك ؛ فالصلاة بناؤها لبنة من قراءة ، ولبنة من ركوع ولبنة من سجود

(١) هو محمد بن أحمد بن كَيْسَانَ التُّحوي ، أبو الحسن : كان يحفظ طريقة البصريين والكوفيين معاً . قال ابن مجاهد : كان ابن كيسان أنحى من الشيخين المبرد وثلعب . ت ٢٩٩ هـ . انظر : تاريخ بغداد : ١ / ٣٣٥ ، البداية والنهاية : ١١ / ١١٧ ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ١ / ١٨٨ ، النجوم الزاهرة : ٣ / ١٧٨ .

(٢) زاد المسير : ١ / ٢٥ .

(٣) جزء من حديث رواه عبد الله بن مسعود ؓ : " الصلاة لوقتها " . قال : قلت : ثم أيّ ؟ قال : " بر الوالدين " . قال : قلت : ثم أيّ ؟ قال : " الجهاد في سبيل الله " . فما تركت أستزيده إلا إرعاء عليه " . أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل الصلاة لوقتها (٥٠٤) : ١ / ١٩٧ ، وبلغت : أي الأعمال أفضل ؟ ، وفي كتاب التوحيد ، باب وسمّى النبي الصلاة عملاً (٧٠٩٦) : ٦ / ٢٧٤٠ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الإيمان ، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٨٥) : ١ / ٨٩ ، وأيضاً بلفظ : " أي الأعمال أقرب إلى الجنة ؟ قال : " الصلاة على مواعيتها " . وبلغت : " أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : " الصلاة على وقتها " .

(٤) سبق ترجمته في ص ٤٨ .

وملاحظها التسبيح والتحميد " . اهـ (١) .

الأحاديث الواردة على أفضلية أداء الصلاة في أول وقتها :

والصلاة أول الوقت أفضل ، وتحصل الفضيلة بالتأهب أول الوقت :

سئل جابر بن عبد الله (٢) رضي الله عنه فقال : " كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة (٣) "

..... والصبح كان النبي ﷺ يصليها بغلس (٤) " (٥) . وقال ﷺ : " بكرؤا (٦) بالصلاة "

في يوم الغيم ، فإنه من فاتته صلاة العصر حبط عمله " (٧) . وقال رافع بن خديج (٨) "

ﷺ : " كنا نصلّي المغرب مع رسول الله ﷺ ، فينصرف أحدنا وإنه ليصير مواقع "

نبله (٩) " . (١٠)

(١) فيض القدير : ٢ / ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي : صحابي جليل ، ت سنة ٧٨ هـ . انظر : معجم الصحابة :

١ / ١٣٦ ، صفة الصفوة : ١ / ٦٤٨ ، سير أعلام النبلاء : ٣ / ١٨٩ ، الإصابة : ١ / ٤٣٤ .

(٣) الهاجرة هي : قال الخطابي : يذهب كثير من الناس إلى أن الخروج وقت الهاجرة وقت الزوال ، وهو غلط والصواب أنه التسبُّك

رواه النضر بن شميل عن الخليل . قال النضر : والهاجرة إنما تكون في القَيْظ قبل الظهر بقليل وبعدها بقليل ، والظهيرة نصف النهار في

القَيْظ حتى تكون الشمس بحمال رأسك كأنها لا تريد أن تروح ، وفي الحديث استحباب المبادرة بالصلاة في أول الوقت . انظر : غريب

الحديث حمد بن محمد الخطابي : ١ / ٣٣١ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ٥ / ١٤٥ .

(٤) قال ابن عبد البرّ : صحَّ عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان أنهم كانوا يغلسون ، ومحال أن يتركوا الأفضل ، وهم النهاية في إتيان

الفضائل . الغلس : ظلمة الليل ، والتغليس خلاف النور . (انظر : أنيس الفقهاء : ٧٢) . أي : أن الأفضل صلاة الفجر في الغلس لا

عند إسفار الفجر ، فقد أخرج أبو داود من حديث ابن مسعود أنه ﷺ أسفر بالصبح مرة ثم كانت صلاته بعد بالغلس حتى مات لم يعد

إلى أن يسفر ، وأما ما رواه أصحاب السنن وصحَّحه غير واحد من حديث رافع بن خديج قال ، قال رسول الله ﷺ : " أسفروا بالفجر

فإنه أعظم للأجر " . فقد حمّله الشافعي وغيره على أن المراد بذلك تحقق طلوع الفجر ، وحمّله الطحاوي على أن المراد الأمر بتطويل

القراءة فيها حتى يخرج من الصلاة مسفراً ، وأبعد من زعم أنه ناسخ للصلاة في الغلس . انظر : فتح الباري : ٢ / ٥٥ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب وقت العشاء إذا اجتمع الناس أو تأخروا (٥٤٠) : ١ / ٢٠٧ ، وأخرج مسلم بمثله في

كتاب الصلاة ، باب استحباب التكبُّر بالصبح (٦٤٦) : ١ / ٤٤٦ .

(٦) قال الإمام ابن حجر : المراد بالتكبُّر المبادرة إلى الصلاة في أول الوقت ، وأصل التكبُّر فعل الشيء بكرة ، والبكرة أول النهار ثم

استعمل في فعل الشيء في أول وقته . انظر : فتح الباري : ٢ / ٦٦ .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب التكبُّر بالصلاة في يوم غيم (٥٦٩) : ١ / ٢١٤ . عن أبي قلابة رضي الله عنه .

(٨) هو رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الأوسي الحارثي : صحابي جليل ، ولد سنة ١٢ ق . هـ ، كان عريف قومه بالمدينة

وشهد أحداً والخندق . توفي في المدينة متأثراً من جراحه سنة ٧٤ هـ ، له ٧٨ حديثاً . انظر : الطبقات الكبرى : ٥ / ٢٥٦ ، سير أعلام

النبلاء : ٣ / ١٨١ ، الإصابة : ٢ / ١٨٦ ، التهذيب : ٣ / ١٩٨ .

(٩) قال ابن حجر : النبيل : هي السهام العربية ، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، قاله ابن سيده ، وقيل : واحدها نبيلة ؛ مثل تمر وتمرّة

ومقتضاها المبادرة بالمغرب في أول وقتها بحيث أن الفراغ منها يقع والضوء باقٍ : انظر : فتح الباري : ٢ / ٥٥ .

(١٠) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت المغرب وقال عطاء يجمع المريض بين المغرب والعشاء (٥٣٤) :

١ / ٢٠٥ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الصلاة ، باب بيان أن أول وقت المغرب عند غروب الشمس (٦٣٧) : ١ / ٤٤١ .

وعن ابن عمر (١) رضي الله عنهما مرفوعاً: " الوقت الأوّل من الصلاة رضوان الله ، والآخر عفو الله " (٢) .

الصلوات الخمس محبّين أمحاحها وأوقاتها العليم الحكيم :

وهذه الصلوات الخمس تؤدى في أوقاتها المعينة التي حدّدها الله فقال : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ . [سورة النساء : ١٠٣] . وأشار إلى أوقاتها في القرآن ، وفصلتها السنة النبويّة ، ولها ركعات معدودة تؤدى بها هذه الصلوات الخمس دائماً ، وقد داوم عليها رسول الله ﷺ مدة حياته حتى في الحروب وتواترت أخبارها تواتراً لا يعرف لأيّ عملٍ أو عبادةٍ في ملّة من الملل ، وفي دورٍ من أدوار التاريخ ، وتوارثتها الأُمّة جيلاً بعد جيل ، حتى في أحلك أوقاتها وأعظم محنها .

وفي تكرّر هذه الصلوات وتعاقبها في كلّ يوم وليلة حكمةً بالغةً ، وتغذيةً صالحةً كاملةً للنفوس ، وزادٌ إيمانيٌّ وافرٌ ، ووقايةٌ لها عن الغفلة عن الله واستحواذ الماديّة على القلب والروح ، وفي الصلاة سرٌّ سلامة الإيمان ، وسلامة الدّين ، والاتصال بالله تعالى ، والبقاء في حظيرة الإسلام ، والانخراط في سلك المؤمنين (٣) .

٢- الخشوع :

الخشوع لغة :

مأخوذ من (خشع) ، الخاء والشين والعين أصل واحد ، يدل على التطامن . يقال خشع إذا تطامن وطأطأ رأسه ، يخشع خشوعاً ، وهو قريب المعنى من الخضوع ، قال الله تعالى : ﴿ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ ﴾ . [سورة القلم : ٤٣] .

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ١٣٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب أبواب الصلاة ، باب ما جاء في الوقت الأول من الفضل (١٧٢) : ١ / ٣٢١ . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، وقد روى ابن عباس عن النبي ﷺ نحوه . والحديث ضعيف جداً من وجهين : الأول : أن في سنده عبد الله بن عمر العمري وهو ضعيف وقد أنكر القطان إعلال الحديث بالعمري ويّين أن علة الحديث هو يعقوب بن الوليد ، والثاني : أن فيه اضطراباً ولكن له شاهد من حديث ابن مسعود . انظر : نصب الراية لعبد الله بن يوسف الزيلعي : ١ / ٢٤٢ ، الدراية في تخرّيج أحاديث الهداية لعلي بن حجر العسقلاني : ١ / ١٠٤ ، ١٠٥ ، تحفة الأحوذى : ١ / ٤٣٩ .

(٣) الأركان الأربعة ، الصلاة ، الزكاة ، الصوم ، الحج في ضوء الكتاب والسنة ، مقارنة مع الدّيانات الأخرى لعلي الحسيني النّدوي : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ . بتصرف يسير .

قال ابن دريد ^(١) : الخاشع المستكين والراكع ^(٢) .

وقال أحمد الفيومي ^(٣) : " خشع خشوعاً : إذا خضع ، وخشع في صلاته ودعائه : أقبل بقلبه على ذلك ، وهو مأخوذ من خشعت الأرض : إذا سكنت واطمأنت " . اهـ ^(٤) .

الخشوع شرحاً :

قال المناوي ^(٥) : " الخشوع هو الانقياد للحق ، وقيل : الخوف الدائم في القلب . أو : السكون . أو : معنى يقوم في النفس يظهر عنه سكون الأطراف يلائم مقصوده العبادة " . اهـ ^(٦) .

وقال أبو البقاء ^(٧) :

" الخشوع بالجوارح ، ولذلك إذا تواضع القلب خشعت الجوارح " ^(٨) .

" ومن علاماته : أن العبد إذا خولف وردّ عليه بالحق ، استقبل ذلك بالقبول والانقياد .

وقيل : الخشوع : خمود نيران الشهوة ، وسكون دخان الصدور ، وإشراق نور التعظيم في القلب .

وقال الجنيد ^(٩) : الخشوع تدلُّ القلوب لعلام الغيوب .

(١) سبق ترجمته في ص ٥١ .

(٢) انظر : المقاييس ، كتاب الخاء ، باب الخاء والشين وما يتلها (مادة : خشع) : ٣١٦ .

(٣) هو أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ، أبو العباس ، لغوي ، اشتهر بكتابه : " المصباح المنير " . ولد ونشأ بالفيوم (بمصر) ورحل إلى حماة بسورية فقطنها . وله أيضاً : نثر الجمان في تراجم الأعيان ، وديوان خطب . قال ابن حجر : كأنه عاش إلى بعد ٧٧٠ هـ . وفي كشف الظنون : فرغ من تأليف المصباح في شعبان سنة ٧٣٤ هـ وتوفي سنة ٧٧٠ هـ . انظر : الدرر الكامنة : ٣٧٢ / ١ كشف الظنون : ١٧١٠ / ٢ ، هدية العارفين : ١١٣ / ١ .

(٤) المصباح المنير : ١٧ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٤٨ .

(٦) انظر : التوقيف على مهمات التعاريف : ٣١٤ ، فيض القدير : ٨٨ / ٣ .

(٧) هو أبو البقاء الكفوي ، سبق ترجمته في ص ٣٤ .

(٨) الكليات (فصل الخاء) : ٤٣١ .

(٩) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، أبو القاسم : صوفي ، من العلماء بالدين ، مولده ونشأته ووفاته ببغداد . أصل أبيه من ناهوند ، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير ، وعرف الجنيد بالخزاز لأنه كان يعمل الخبز ، قال أحد معاصريه : ما رأيت عينا مثله ، الكتابة يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه . وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد . وقال ابن الأثير في وصفه : إمام الدنيا في زمانه . وعده العلماء شيخ مذهب التصوف ، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ، ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة ، محمي الأساس من شبه الغلاة ، سالماً من كل ما يوجب اعتراض للشرع . له رسائل منها ما كتبه إلى بعض إخوانه ، ومنها ما هو في التوحيد والألوهية ، والغناء ، ومسائل أخرى . ت سنة ٢٩٧ هـ . انظر : حلية الأولياء : ١٠ / ٢٥٥ ، تاريخ بغداد : ٧ / ٢٤١ ، صفة الصفوة : ٢ / ٤١٦ ، طبقات الشافعية : ٢ / ٧٦ .

وأجمع العارفون على أن الخشوع محلّه القلب ، وثمرته على الجوارح وهي تظهره ^(١) .

الخشوع المذموم :

" أوّل ما يرفع من الناس الخشوع ، أي خشوع الإيمان الذي هو روح العبادة ، وخرج بخشوع الإيمان خشوع النفاق ، والفرق بينهما : أن الأوّل خشوع القلب لله بالإجلال والوقار والمهابة والحياء ، والثاني يبدو على الجوارح تصنعاً وتكلفاً " ^(٢) .

قال النبي ﷺ : " التّقوى ههنا - وأشار إلى صدره - ثلاث مرّات " ^(٣) .

" قال بعض العارفين : حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن .

وكان بعض الصّحابة رضي الله عنهم يقول : " إيّاكم وخشوع النفاق ، فقليل له : وما خشوع النفاق ؟ قال : أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع " . ورأى عمر بن الخطاب ^(٤) رجلاً طأطأ رقبته في الصلاة ، فقال : " يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ، ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب " . " ورأت عائشة ^(٥) - رضي الله عنها - شاباً يمشون ويتماوتون في مشيتهم ، فقالت لأصحابها : من هؤلاء ؟ فقالوا : نسّاك . فقالت : كان عمر بن الخطاب ^(٦) إذا مشى أسرع ، وإذا قال أسمع ، وإذا ضرب أوجع ، وإذا أطعم أشبع وكان هو التّاسك حقاً " . وقال الفضيل بن عياض ^(٦) : كان يكره أن يري الرجل من

(١) مدارج السالكين : ١ / ٥١٦ .

(٢) فيض القدير : ٣ / ٨٨ .

(٣) سبق تخريجه في ص ١٥٤ ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) صحابي جليل . انظر : ص ٥٩ .

(٥) أم المؤمنين : صحابية جليّة ، انظر : ص ٦٤ .

(٦) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي البربري ، أبو علي : شيخ الحرم المكي ، من أكابر العباد الصالحاء ، كان ثقة في الحديث أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي ، ولد في سمرقند ، ونشأ بأبيورد ، ودخل الكوفة وهو كبير ، وأصله منها ، ثم سكن الكوفة وتوفي بها سنة ١٨٧ هـ . انظر : حلية الأولياء : ٨ / ٨٤ ، صفة الصفوة : ٢ / ١٣٤ ، وفيات الأعيان : ١ / ٤١٥ ، سير أعلام النبلاء :

الخشوع أكثر مما في قلبه . وقال حذيفة (١) ﷺ : أول ما تفقدون من دينكم الصلوة ورُبَّ مصلٍّ لا خير فيه ، ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعاً . (٢)

٣- الطمأنينة :

الطمأنينة لغة :

مأخوذة من : طمن ، الطاء والميم والنون أصل بزيادة همزة ، يقال : اطمأن المكان يطمئن طمأنينة ، والطمأنينة والاطمئنان : السكون بعد الانزعاج (٣) .

الطمأنينة شرهماً :

هي : " القرار مقدار التسيحة في أركان الصلوة " (٤) .

وسئل شيخ الإسلام (٥) عن رجل لا يطمئن في صلاته فأجاب :

" الطمأنينة في الصلوة واجبة وتاركها مسيءٌ باتفاق الأئمة ؛ بل جمهور أئمة الإسلام لا يخالفون في أن تارك ذلك مسيءٌ غير محسن ، بل هو آثمٌ عاصٍ تاركٌ للواجب ، وغيرهم يوجبون إعادة على من ترك الطمأنينة " . اهـ (٦) .

ودليل وجوب إعادة ما في الصحيحين :

" أن رجلاً صلى في المسجد ركعتين ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : ارجع فصل فإنك لم تصل " . مرتين أو ثلاثاً فقال : والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمني ما يجزئي في صلاتي . فقال : إذا قمت إلى الصلوة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من

(١) هو حذيفة بن اليمان بن حسيل (أو حُسيل - بالتصغير ، ويقال بالكبير) بن جابر العبسي ، واليمان لقب حسيل ، أبو عبد الله صحابي جليل ، كان صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين ، لم يعلمهم أحد غيره . ت سنة ٣٦ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٦ / ١٥ ، حلية الأولياء : ١ / ٢٧٠ ، صفة الصفوة : ١ / ٦١٠ ، التهذيب : ٢ / ٢١٩ .

(٢) مدارج السالكين : ١ / ٥١٦ ، ٥١٧ .

(٣) انظر : المقاييس (مادة : طمن) : ٦٢٤ ، المفردات (مادة : طمن) : ٣١٠ .

(٤) الكلبيات (فصل الطاء) : ٥٨٥ .

(٥) هو ابن تيمية : سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٦) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه : ٢٢ / ٦٠١ - ٦٠٣ ، وقد كتب في ذلك من دلائل الكتاب والسنة .

القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راکعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم اجلس حتى تطمئن جالساً ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها " (١) . فهذا كان رجلاً جاهلاً ، ومع هذا أمره النبي ﷺ أن يعيد الصلاة ، وأخبره أنه لم يصل ، فتبين بذلك أن من ترك الطمأنينة فقد أخبر الله ورسوله ﷺ أنه لم يصل ، وقد أمره الله ورسوله بالإعادة وقال ﷺ : " لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود " (٢) . يعني : يقيم صلبه إذا رفع من الركوع وإذا رفع من السجود .

رأى حذيفة (٣) ﷺ رجلاً لا يتم الركوع والسجود قال : " ما صليت ولو متَّ متَّ على غير الفطرة التي فطر الله محمداً ﷺ " (٤) . وقال عنها ﷺ : " تلك صلاة المنافق يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً ، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً " (٥) .

حياة الصلاة :

تمت حياة الصلاة بأمرٍ ستة :

١- حضور القلب :

وهو أن يفرغ القلب من التفكير عن غير ما هو فيه ؛ فلا ينصرف فكره ولا يجول ولا يغفل بل يتيقظ ويحضر القلب .

سبب حضور القلب : الهمة ؛ فإن القلب تابع للهمة ، ولا يحضر إلا فيما يهتبه .

ملاجه : لا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة ، والهمة لا تنصرف إليها ما

(١) أخرجه البخاري في كتاب صفة الصلاة ، باب حد إتمام الركوع والاعتدال فيه والطمأنينة (٧٦٠) : ١ / ٢٧٤ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٣٩٧) : ١ / ٢٩٨ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

(٢) أخرجه أبو داود - واللفظ له - في كتاب الصلاة ، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود (٨٥٥) : ١ / ٢٢٦ وأخرج الترمذي بنحوه في كتاب أبواب الصلاة ، باب ما جاء فيمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود (٢٦٥) : ٢ / ٥١ ، وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب الركوع في الصلاة (٨٧٠) : ١ / ٢٨٢ . قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وقال الزيلعي : أخرجه أصحاب السنن الأربعة عن أبي معمر الأزدي هو عبد الله بن سخيرة عن أبي مسعود ؓ . انظر : نصب الراية : ١ / ٣٨٠ .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ١٧٥ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب صفة الصلاة ، باب إذا لم يتم الركوع (٧٥٨) : ١ / ٢٧٣ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التكبير بالعصر (٦٢٢) : ١ / ٤٣٤ . عن أنس بن مالك ؓ .

لم يتبين أن الغرض المطلوب منوطٌ بها وهو :

- الإيمان والتصديق بأن الآخرة خيرٌ وأبقى ، وأن الصلاة وسيلة لها .
- حقيقة العلم بحقارة الدنيا .

وإن القلب ليحضر. تمثل هذه العلة إذا حضر الإنسان بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتة ومنفعته ، فكيف لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والتَّنفَع والضَّر !! ..

والدواء في إحضار القلب هو دفع الخواطر ، ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه ، وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمراً خارجاً ، أو أمراً في ذاته باطناً ، أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر ، فإن ذلك قد يختطف الهمم حتى يتبعه ويتصرف فيه ، ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه ، ولكن الضعيف لا بد وأن يتفرق به فكره ، وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره ، أو يصلي في بيت مظلم ، أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ، ويقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ، ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة ، ولذلك كان المتعبدون يحضرون المساجد ويغضون البصر ، ولا يجاوزون به موضع السجود ، ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم ، وأما الأسباب الباطنة فهي أشد ؛ فإن من تشعبت به الهموم في أودية الدنيا لا ينحصر فكره في شيء واحد ؛ وغض البصر لا يغنيه ، فإن ما وقع في القلب من قبل كافٍ للشغل ، فعليه أن يرد النفس قهراً إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم^(١) بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله سبحانه وهو المطلع ، ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهيمه فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره ، فهذا طريق تسكين الأفكار ؛ فإن كان لا يسكن هوائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيهِ إلا أن يعاقب نفسه بالتزوع عن تلك الشهوات ، وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضدّ دينه وجند إبليس عدوّه

(١) التحريم : قول تكبيرة الإحرام .

فإمساكه أضرب عليه من إخراجِه ، فيتخلص منه بإخراجه ، كما روى أنه ﷺ لما لبس الخميصة التي أتاه بها أحد أصحابه (١) ، وعليها علم ، وصلّى بها ، نزعها بعد صلاته (٢) .

٢- التفهم :

إنّ التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب ، وهو اشتغال القلب على العلم بمعنى اللفظ وتفهم المعاني للقرآن والتسيّجات ، فكم من معانٍ لطيفة يفهمها المصلّي ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله .

سبب التفهم : سببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى .

وملاجه : ما هو علاج إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها ، وما لم تنقطع تلك الأسباب لا تنصرف عنها الخواطر ، فمن أحب شيئاً أكثر ذكره ، فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ، فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر .

٣- التعظيم :

فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين :

■ معرفة جلال الله ﷻ وعظمته ، وهو من أصول الإيمان ، فإن من لا يعتقد عظمته لا تدعن النفس لتعظيمه .

■ معرفة حقارة النفس وخسستها ، وكونها عبداً مسخراً مربوباً ؛ حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه ، فيعبّر عنه : بـ " التعظيم " .

٤- الهيبة والخوف :

فحالة للنفس تتولد من :

■ المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به ، وأنه لو أهلك الأولين والآخريين لم ينقص من ملكه ذرة .

(١) هو أبو جهم ؓ .

(٢) جاء هذا في حديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب إذا صلى في ثوب له أعلام ونظر إلى علمها (٣٦٦) : ١ / ١٤٦ وأخرج مسلم بنحوه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب كراهة الصلاة في ثوب له أعلام (٥٥٦) : ١ / ٣٩١ . كلاهما عن عائشة - رضي الله عنها - .

■ هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدَّفْع ، على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض .

٥- الرجاء :

العبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله ﷻ ، كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله ﷻ .

سبب الرجاء : معرفة لطف الله ﷻ وكرمه ، وعميم إنعامه ، ولطائف صنعه ، ومعرفة صدقه في وعده بالجنة بالصلاة ، فإذا حصل اليقين بوعدده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة .

٦- الحياء :

سببه : استشعاره التقصير في العبادة ، وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله ﷻ .

ملاجه :

يقوي ذلك :

■ بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتهما ، وقلة إخلاصها وخبث دخلتها ، وميلها إلى الحظّ العاجل في جميع أفعالها .

■ مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله ، والعلم بأنه مطلع على السرّ وخطرات القلب وإن خفيت ودقت .

وهذه المعارف إذا حصلت يقيناً انبعث منها بالضرورة حالة تسمى " الحياء " . ويقدر اليقين يخشع القلب (١) .

" إن الصلاة استجابة لغريزة البشر التوعية ، غريزة الافتقار والحاجة ، والضعف والطلب ، وغريزة الالتجاء والاعتصام ، والدعاء والمناجاة ، والانطراح على عتبة القوي الغني والانكسار بين يديه ، الجواد الكريم الرؤوف الرحيم ، الحافظ المانع ، المعطي الباذل واستجابة لغريزة الشكر والوفاء ، وغريزة الحب والحنان ، وغريزة الخضوع والتواضع والعبودية والتذلل ، فهو في ذلك كالسّمك لا يعيش إلا في الماء ، وإذا أخرج من

(١) الإحياء : ١ / ١٦١ - ١٦٤ . بتصرف يسير .

الماء لم يزل في حاجة إلى الماء ، وفي حنين وفي فرارٍ والتجاءٍ إليه ، وذلك معنى قول رسول الله ﷺ : " وجعل قرّة عيني في الصلاة " (١) . (٢)

أسرار الصلاة :

ومع أركان الصلاة نستشفُّ معاني جديدة تبعث على حياة الصلاة :

أما القيام : تقوم بين يدي مولاك قيام العبد المحرم المسيء الآبق ؛ الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكساً رأسه من الحياء والخوف .

وأما الاستقبال : فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى والأهم صرف القلب فلا مطلوب سواه ، وإنما هذه الظواهر تحريكات للبوطن وضبط للجوارح ، وتسكين لها بالإثبات في جهة واحدة ، ولا ينصرف القلب إلى الله ﷻ إلا بالتفرغ عما سواه .

وأما الاحتدال قائماً : فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقاً مطأطفاً متنكساً وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهاً على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبرّي عن التروّس والتكبر ، وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله ﷻ في هول المطلع عند العرض للسؤال ، واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله ﷻ وهو مطلع عليك ، فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك ، وتخشع جوارحك .

وأما النية : فاعزم على إجابة الله ﷻ في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها ، والكف عن نواقضها ومفسداتها ، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه ، رجاءً لثوابه ، وخوفاً من عقابه ، وطلباً للقربة منه ، متقلداً للمنة منه بإذنه إيتاك في المناجاة مع سوء أدبك ، وكثرة عصيانك ، وعظّم في نفسك قدر مناجاته ، وانظر من تناجي ، وكيف تناجي ، وبماذا

(١) جزء من حديث أخرجه النسائي (المتجني) في كتاب عشرة النساء ، باب حب النساء (٣٩٣٩) : ٧ / ٦١ عن أنس ؓ وأخرج أحمد بمثله في مسند أنس ؓ (١٢٣١٥) : ٣ / ١٢٨ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . انظر : المستدرک على الصحيحين : ٢ / ١٧٤ . وقال المناوي : قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم . وقال الحافظ العراقي : إسناده جيد . وقال ابن حجر : حسن . انظر : تلخيص الحبير لأحمد بن علي بن حجر : ٣ / ١١٦ ، فيض القدير : ٣ / ٣٧١ .

(٢) الأركان الأربعة : ٢٩ ، ٣٠ . بتصرف يسير .

تتاجي ، وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل ، وترتعد فرائصك من الهيبة ، ويصفّر وجهك من الخوف .

وأما التكبير : فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك ، فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنك لكاذب وإن كان الكلام صدقاً ، فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله ﷻ فأنت أطوع له منك لله تعالى ، فقد اتخذته إلهك وكبرته فيوشك أن يكون قولك : ﷻ كلاماً باللسان المجرد ، وليس نابعاً من القلب ، وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار ، وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه .

وأما حياء الاستهتاج : فأول كلماته قولك : " وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض " . وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر ، فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة ، وإنما وجه القلب هو الذي تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض ، فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق ومتبع للشهوات ، أو مقبل على فاطر السموات ، وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ، فليكن قولك في الحال صادقاً .

وإذا قلت : " حنيفاً مسلماً " فينبغي أن يحظر ببالك أن المسلم هو : الذي سلم المسلمون من لسانه ويده ، فإن لم تكن كذلك كنت كاذباً ، فاجتهد في أن تعزم على الرقي بأخلاقك وكفّ أذاك عن الناس ، وتندم على ما سبق من الأحوال .

وإذا قلت : " وما أنا من المشركين " فتذكر الشرك الخفي ، وكن حذراً مشفقاً من هذا الشرك .

وإذا قلت : " محيياً ومماتياً لله " فاعلم أن هذا حال عبدٍ مفقودٍ لنفسه موجودٍ لسيدّه ، وأنه إن صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأمر الدنيا لم يكن ملائماً للحال .

وإذا قلت : " أحمق بالله من الشيطان الرجيم " : فاعلم أنه عدوك ومترصدٌ لصرف قلبك عن الله ﷻ ، حسداً لك على مناجاتك مع ربك ، وأن استعاذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله ﷻ لا بمجرد قولك ، وإن من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول ؛ فليقترن قوله بالعزم على التعود

بحصن الله ﷻ من شرّ الشيطان ، فأما من اتخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله ﷻ ، واعلم أن من مكايده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة ، وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ ، فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها .

وإذا قلت : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ : فأنو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه ، وافهم أن الأمور كلها بالله سبحانه ، وأن المراد بالاسم ههنا هو المسمى .
وإذا كانت الأمور بالله سبحانه ؛ فلا جرم كان ﴿ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ومعناه أن الشكر لله ؛ إذ النعم من الله ، ومن يرى من غير الله نعمة ، أو يقصد غير الله سبحانه بشكر ؛ لا من حيث إنه مسخر من الله ﷻ ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى .
فإذا قلت : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فاستحضر في قلبك جميع أنواع لطفه ؛ لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاؤك .

ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ أما العظمة ؛ فلأنه لا مُلك إلا له ، وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكة .
ثم جدّد الإخلاص بقولك : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ وجدد العجز والاحتياج والتبرّي من الحول والقوة بقولك : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بإعانته ، وأن له المنّة إذ وفقك لطاعته ، واستخدمك لعبادته ، وجعلك أهلاً لمناجاته ، ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين .

ثم إذا فرغت من التعوذ ، ومن قولك : بسم الله الرحمن الرحيم ، ومن التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقاً فعين سؤالك ، ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الذي يسوقنا إلى جواره ، ويفضي بنا إلى مرضاته ، وزده شرحاً وتفصيلاً وتأكيذاً واستشهاداً بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية ؛ من النبيين والصدّيقين

والشهداء والصالحين دون الذين **لخصب لهم** من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين .

ثم التمس الإجابة **وقال** : (**أهين**) فإذا **تَلَوْتَ** الفاتحة كذلك فيشبهه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي ﷺ : " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل " (١) . فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة ؛ فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله .

وكذلك ينبغي أن **تفهم ما تقرؤه من السور** فلا تغفل عن أمره ونهيهِ ، ووعدهِ ووعدهِ ومواعظهِ وأخبار أنبيائه ، وذكر مننه وإحسانه ، ولكل واحدٍ حق ، فالرجاء حقُّ الوعد والخوف حقُّ الوعيد ، والعزم حقُّ الأمر والنهي ، والاتعاظ حقُّ الموعظة ، والشكر حقُّ ذكر المنّة ، والاعتبار حقُّ أخبار الأنبياء ، وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ، ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ، ودرجات ذلك لا تنحصر ، والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات ، فهذا حقُّ القراءة ؛ وهو حقُّ الأذكار والتسيّحات أيضاً .

ثم **والح المهيبة في القراءة** فرثل ولا تسرد ؛ فإن ذلك أيسر للتأمل ، وفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب ، والوعد والوعيد ، والتحميد والتعظيم والتمجيد . كان إبراهيم النخعي (٢) إذا مرَّ بمثل قوله ﷺ : ﴿ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ . [سورة المؤمنون : ٩١] . يخفض صوته كالمستحي عن أن يذكره بكل شيء لا يليق به .

وأما دعاء القيام : فإنه تنبيه على إقامة القلب مع الله ﷻ بتيقظ وحضور ، وإقبال المصلي على خالقه يناجيه .

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٣٩٥) : ١ / ٢٩٦ . عن أبي هريرة .

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود ، أبو عمران النخعي ، من مذبح : من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث من أهل الكوفة ، قال فيه الصلاح الصفدي : فقيه العراق ، كان إماماً مجتهداً له مذهب . ولما بلغ الشعبي موته قال : والله ما ترك بعده مثله . مات مختفياً من الحجاج سنة ٩٦ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٦ / ٢٧٠ ، حلية الأولياء : ٤ / ٢١٩ ، صفة الصفوة : ٣ / ٨٦ ، سير أعلام النبلاء : ٤ / ٥٢٠ .

وكل من يطمئن بين يدي غير الله ﷻ خاشعاً ، وتضطرب أطرافه بين يدي الله عابثاً فذلك لقصور معرفته عن جلال الله ﷻ ، وعن اطلاعه على سرّه وضميره . قال عكرمة (١) في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي يَرْنُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١٠٠﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴿١٠١﴾ ﴾ . [سورة الشعراء : ٢١٨ ، ٢١٩] . قال : قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه .

وأما الركوع والسجود : فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه ، وترفع يديك مستجيراً بعفو الله ﷻ من عقابه بتحديد نيّة ، ومتبعاً سنّة نبيّه ﷺ ، ثم تستأنف له ذلاًّ وتواضعاً بركوعك ، وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك ، وتستشعر عزّ مولاك واتّضاعك وعلوّ ربك ، وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك ، فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة ، وأنه أعظم من كل عظيم ، وتكرّر ذلك على قلبك لتؤكدّه بالتكرار ، ثم ترتفع من ركوعك راجياً أنه راحم لك ، ومؤكداً للرجاء في نفسك ، بقولك : **سمع الله لمن حمده** أي أجاب لمن شكره ، ثم تردف ذلك الشكر المتقاضي للمزيد ، فتقول : **ربنا لك الحمد** وتكثر الحمد ، بقولك : **ملء السموات وملء الأرض** . ثم تهوى إلى السجود ، وهو أعلى درجات الاستكانة ، فتمكن أعزّ أعضائك - وهو الوجه - من أذلّ الأشياء - وهو التراب - وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل ؛ فإنه أجلب للخشوع وأدلّ على الذلّ ، وإذا وضعت نفسك موضع الذلّ ، فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله ؛ فإنك من التراب خلقت وإليه تعود ، فعند هذا جدّد على قلبك عظمة الله ، وقل : **سبحان ربي الأعلى** . وأكدّه بالتكرار ، فإن الكثرة الواحدة ضعيفة الأثر فإذا رقت قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله ؛ فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل لا إلى التكبر والبطر ، فارفع رأسك مكبراً وسائلاً حاجتك ، وقائلاً : **رب اغفر وارحم** وتجاوز عما تعلم ، أو ما أردت من الدعاء ، ثم أكدّ التواضع بالتكرار فعُدّ إلى السجود ثانياً كذلك .

وأما التشهد فإذا جلست له فاجلس متأدباً ، وصرّح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات ، أي : من الأخلاق الطاهرة لله ، وكذلك الملك لله ، وهو معنى التحيات وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم ، وقل : **السلام عليك أيها النبي**

(١) سبق ترجمته في ص ٨٥ .

ورحمة الله وبركاته وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه ، ثم تسلّم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ، ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ، ولمحمد نبيّه ﷺ بالرسالة مجدداً عهد الله سبحانه بإعادة كلمتي الشهادة ، ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالإجابة ، وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين ، واقصد عند التسليم السّلام على الملائكة والحاضرين ، وأنوِّحتم الصلاة به ، واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة ، وأنك مودّع لصلاتك هذه ، وأنك ربّما لا تعيش لمثلها ، ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة ، وخفّ أن لا تقبل صلاتك ، وأن تكون ممقوتاً بذنب ظاهر أو باطن فتردّ صلاتك في وجهك ، وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله (١) .

وقال محمد رشيد رضا (٢) :

" ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ﴾ أي أداها على أكمل وجه وأقومه وأدامها وهذا هو الركن الروحاني الركين للبرّ ، وإقامة الصلاة التي يكرّر القرآن المطالبة بها لا تتحقّق بأداء أفعال الصلاة وأقوالها فقط ؛ وإن جاء بها المصلي تامّة على الوجه الذي يذكره الفقهاء لأنّ ما يذكرونه هو صورة الصلاة وهياتها ، وإنما البرّ والتقوى في سرّ الصلاة وروحها الذي تصدر عنه آثارها من النهي عن الفحشاء والمنكر ، وقلب الطّباع السقيمة والاستعاضة عنها بالغرائر المستقيمة ، فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٣﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ . [سورة المعارج : ١٩ - ٢٢] . فمن حافظ على الصلاة الحقيقية تطهرت نفسه من الهلع والجزع إذا مسّه الشرّ ، ومن البخل والمنع إذا مسّه الخير وكان شجاعاً كريماً قويّ العزيمة ، شديد الشكيمة ، لا يرضى بالضيم ، ولا يخشى في الحق العذل واللوم ؛ لأنه بمراقبته الله تعالى في صلاته ؛ واستشعاره عظمته وسلطانه الأعلى في ركوعه وسجوده يكون الله تعالى غالباً على أمره ، فلا يبالي ما لقي من الشدائد في سبيله وما أنفق من فضله ابتغاء مرضاته ، وصورة الصلاة لا تعطي صاحبها شيئاً من هذه المعاني فليست بمجرد

(١) الإحياء : ١ / ١٦٦ - ١٦٩ . بتصرف .

(٢) سبق ترجمته في ص ١٣٠ .

من البرِّ في شيء ، وإنما شرعت للتذكير بذلك السناء الإلهي ، والاستعانة بها على توجّه القلب إليه ، واستغراقه في ذكره ومناجاته ودعائه ، وهو روحها وسرُّها الذي يستعان به وبالصبر على جميع المقاصد العالية والمجاهدات . فهذا هو البرُّ " . اهـ (١) .

ثانياً : البرّ في الصلاة بالإكثار من النوافل :

معنى النافلة لغة :

نفل : النون والفاء واللام أصل صحيح يدلُّ على عطاء وإعطاء ، والنَّفْل : في اللغة مطلق الزيادة ، ومنه النَّافِلَة : عطية التطوُّع من حيث لا تجب ، ومنه نافلة الصلاة ، والنَّوْفَل : الرَّجُلُ الكثير العطاء (٢) .

النافلة شرعاً :

قال الرَّاغِب (٣) : " وأصل ذلك من النَّفْل ، أي الزيادة على الواجب ، ويقال له : " النَّافِلَة " . قال تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [سورة الإسراء : ٧٩] . اهـ (٤) .

وعرفها الجرجاني (٥) بقوله : " هي اسمٌ لما شُرِعَ زيادةً على الفرائض والواجبات (٦) "

(١) تفسير المنار : ١١٧ / ٢ ، ١١٨ .

(٢) انظر : المقاييس (مادة : نفل) : ١٠٣٩ ، لسان العرب (مادة : نفل) : ١١ / ٦٧٢ ، أنيس الفقهاء : ١٠٤ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٣ .

(٤) انظر : المفردات (مادة : نفل) : ٥٠٥ ، المصباح المنير : ٢ / ٦١٩ ، أنيس الفقهاء : ١٠٤ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٥١ .

(٦) الفرائض جمع فرض وهو : ما ثبت بدليل قطعي لا شبهة فيه ، ويكفر جاحده ويعذب تاركه . والواجبات جمع واجب وهو في عرف الفقهاء : عبارة عما ثبت وجوبه بدليل فيه شبهة العدم ، كخير الواحد ، وهو ما يثاب بفعله ويستحق بتركه عقوبة ، ولا يضل جاحده ولا يكفر به . انظر : التعريفات : ٢١٣ ، ٣٢٢ .

و " الفرض " و " الواجب " عند الجمهور لفظان مترادفان اصطلاحاً على مفهوم واحد ، وعند الحنفية لفظان متباينان فقالوا : إن ثبت التكليف بدليل قطعي بالكتاب والسنة المتواترة فهو الفرض كالصلوات الخمس ، وإن ثبت بدليل ظني كخير الواحد والقياس المظنون فهو الواجب كالوتر . انظر : التمهيد للأنسوي : ٥٨ ، كتاب التقرير والتحجير : ٢ / ١٩٨ ، أصول الفقه لمحمد زكريا البرديسي :

وهو المسمّى بالمندوب ، والمستحبّ ، والتطوّع ^(١) . اهـ ^(٢) .
 وقال التّوّي ^(٣) : " ويرادف التّنفّل السّنة ^(٤) ، والمندوب ، والمستحب ، والمرغب فيه ،
 والحسن ، هذا هو المشهور " ^(٥) .
 وقال ابن عابدين ^(٦) في حاشيته : " كل سنّة نافلة ، سواء أكانت مؤكدة أم غير مؤكدة ،
 فالكلّ يسمّى نافلة ؛ لأنه زيادة على الفرض لتكميله ، ولا عكس ، أي : لغوياً ، فالمراد :
 وليس كل نافلة سنّة ، فإنّ كلّ صلاة لم تطلب بعينها نافلة وليست بسنّة ، بخلاف ما طُلبت
 بعينها ؛ كصلاة الليل والضّحي مثلاً " . اهـ ^(٧) .

أنواع النوافل :

" غير الفرض ثلاثة :

- تطوّع : وهو ما لم يرد فيه نقل بخصوصه ، بل ينشئه الإنسان ابتداءً ^(٨) .
- وسنّة : وهي ما واطب عليه ﷺ .

^(١) المندوب عند الفقهاء : هو الفعل الذي يكون راجحاً على تركه في نظر الشارع ويكون تركه جائزاً . والمستحبّ : اسم لما شرع
 زيادةً على الفرض والواجبات ، وقيل : ما رغب فيه الشرع ولم يوجبه . أمّا التطوّع : في الأصل : تكلف الطاعة ، وفي التعارف : تبرّع
 بما لا يلزم كالتنفّل ، وفي الشريعة : المستحبّ . انظر : التعريفات : ٢٧٢ ، ٢٩٩ ، الكليات (فصل النون) : ٣١٥ .

^(٢) التعريفات : ٣١٤ .

^(٣) سبق ترجمته في ص ١٥ .

^(٤) قال أبو البقاء الكفوي في كلياته : السنّة شرعاً : اسمٌ للطريقة المرضية المسلوكة في الدّين من غير افتراضٍ ولا وجوبٍ ، والمراد
 بالمسلوكة في الدين : ما سلكها رسول الله ﷺ أو غيره ممن هو علم في الدّين ، كالصحابة رضي الله عنهم ، لقوله ﷺ : " عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء
 الراشدين من بعدي " . وعند الشافعي : محتصّة بسنّة رسول الله ﷺ ، وهذا بناء على أنه لا يرى تقليد الصحابة ... وسنّة النبي ﷺ أقوى
 من سنّة الصحابة ؛ فهي مما يندب إلى تحصيله ويلازم على تركه ؛ ولكنه دون ما واطب الرسول ﷺ . انظر : الكليات (فصل السين) :
 ٤٩٨ .

^(٥) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي) ، شرح محمد الخطيب الشربيني : ١ / ٢١٩ .

^(٦) هو محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي : فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره . مولده ووفاته في دمشق . له :
 ردُّ المختار على الدرِّ المختار ، ويعرف بمحاشية ابن عابدين ، ورفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدرِّ المختار ، والعقود الدرّية في تنقيح
 الفتاوي الحمّدية ، ونسمات الأسحار على شرح المنار ، وحواشٍ على التفسير ؛ التزم فيها ألا يذكر شيئاً ذكره المفسرون ، وغير ذلك .
 ت سنة ١٢٥٢ هـ . انظر : الأعلام : ٦ / ٤٢ .

^(٧) ردُّ المختار على الدرِّ المختار (المعروف بمحاشية ابن عابدين) : ٢ / ٣ .

^(٨) ليس المراد من كلام الخطيب الشربيني : " بل ينشئه الإنسان ابتداءً " أي يتدع تطوعاً من عنده ، لأن المسلم يتعد الله بما شرع له ،
 فهذا أحد شرطي العبادة (انظر : ص ١٦١) ، فالتطوع يكون بعبادة من جنس ما شرع لنا سواء كانت صلاة أو زكاة الخ ،
 فينشئها ابتداءً أي : لم تفرض عليه ولكنه ابتدأها وتطوع بما قربه إلى الله وحبا .. فلا يظن ظان أن المسلم بوسعه أن ينشئ عبادة من عند
 نفسه ! ..

■ ومستحبّ : وهو ما فعله أحياناً ، أو أمر به ولم يفعله ، ولم يتعرضوا للبقية لعمومها للثلاثة مع أنه لا خلاف في المعنى ، فإن بعض المسنونات أكد من بعض قطعاً ، وإنما الخلاف في الاسم " (١) .

وإذا كانت الصلاة أفضل العبادات :

لقول رسول الله ﷺ : " واعلموا أنّ خير أعمالكم الصلاة " (٢) . ففرضها أفضل الفروض ، وتطوعها أفضل التطوع ، وهو ينقسم إلى قسمين :

١- قسمه تسنن الجماعة فيه :

وهو خمس : العيدان (٣) ، والكسوفان (٤) ، والاستسقاء ، وربتها في الأفضلية على حكم ترتيبها المذكور . ومما يسنُّ فيه الجماعة أيضاً : صلاة التراويح : وهي سنّة مؤكّدة .

٢- وقسمه لا تسنن الجماعة فيه :

وينقسم إلى قسمين :

أ) التطوع المقيّد ، ومنه :

١- السنن الرواتب : وهي على المشهور التابعة للفرائض ، وقيل : هي ما له وقت . والحكمة فيها : تكميل ما نقص من الفرائض بنقص ، نحو : خشوع ، وترك تدبّر قراءة .
المؤكّد من الرواتب (٥) : ركعتا الفجر قبل صلاة الصبح ، وأربع ركعات قبل الظهر وركعتان بعد الظهر ، وركعتان بعد المغرب ، وركعتان قبل العشاء . وأكدها ركعتا الفجر

(١) مغني المحتاج : ١ / ٢١٩ .

(٢) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه - واللفظ له - في كتاب الطهارة وسننها ، باب المحافظة على الوضوء (٢٧٧) : ١ / ١٠١ وأخرج الدارمي بنحوه في كتاب الطهارة ، باب ما جاء في الطهور (٦٥٥) : ١ / ١٧٤ ، كلاهما عن ثوبان رضي الله عنه . وأخرج أحمد بنحوه في مسند ثوبان (٢٢٤٨٦) : ٥ / ٢٨٢ . قال المناوي : " قال الحاكم : على شرطهما ولا علة له سوى وهم بلال الأشعري ، وقد تابع منصور الأعمش في هذه الرواية عن سالم . وقال المنذري : إسناد ابن ماجه صحيح . وقال الذهبي : أخرجه ابن ماجه من حديث منصور عن سالم وهو لم يدرك ثوبان . وقال الحافظ العراقي في أماليه : حديث حسن رواه ثقات ، إلا أن في سنده انقطاعاً بين سالم وثوبان . وقال الدميري : ذكره الرافعي في مجلس العشرين في أماليه ، وقال ما ملخصه إنه حديث ثابت " . انتهى . انظر : فيض القدير : ١ / ٤٩٧ .

(٣) عيد الفطر ، وعيد الأضحى .

(٤) صلاة الكسوف ، وصلاة الخسوف .

(٥) اختلفت الأقوال في عدد السنن الرواتب على قولين : =

قالت عائشة (١) - رضي الله عنها - : " لم يكن النبي ﷺ على شيءٍ من التوافل أشدّ منه تعاهداً على ركعتي الفجر " (٢) .

= القول الأول : أن محدّد السنن الرواتب اثنتا عشرة ركعة :

قال ﷺ : " ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثني عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلاّ بنى الله له بيتاً في الجنة " . أو : " إلاّ بنى له بيت في الجنة " . (أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل السنن الراتبية قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن : ١ / ٥٠٣) . وسألت عائشة - رضي الله عنها - عن صلاة رسول الله ﷺ عن تطوعه فقالت : كان يصلي في بيته قبل الظهر أربعاً ، ثم يخرج فيصلّي بالناس ، ثم يدخل فيصلّي ركعتين ، وكان يصلي بالناس المغرب ، ثم يدخل فيصلّي ركعتين ، ويصلي بالناس العشاء ، ويدخل بيته فيصلّي ركعتين ، وكان يصلي من الليل تسع ركعات فيهنّ الوتر ، وكان يصلي ليلاً طويلاً قائماً وليلاً طويلاً قاعداً ، وكان إذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قاعدٌ وإذا قرأ قاعداً ركع وسجد وهو قاعدٌ ، وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين " . (أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل السنن الراتبية قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن (٧٣٠) : ١ / ٥٠٤) . ويظهر لنا من روايتي مسلم هذه أن السنن الرواتب اثني عشر ركعة .

القول الثاني : أن محدّد السنن الرواتب عشر ركعات :

ما روي في الصحيحين عن ابن عمر رضيهما قال : " صليت مع رسول الله ﷺ قبل الظهر سجدة ، وبعدها سجدة ، وبعد المغرب سجدة ، وبعد العشاء سجدة " . (أخرجه البخاري - بنحوه - في كتاب التهجّد ، باب الركعتان قبل الظهر (١١٢٦) : ١ / ٣٩٥ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل السنن الراتبية قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن (٧٢٩) : ١ / ٥٠٣) . فتبين أن عدد السنن الرواتب عشر ركعات ، وأن سنة الظهر القبليّة ركعتين ، ومن هنا جاء الاختلاف في عدد السنن الرواتب ، لكننا نجد حديثاً أكثر تفصيلاً ترويه السيدة عائشة - رضي الله عنها - تقول فيه : " أن النبي ﷺ كان لا يدع أربعاً قبل الظهر " .

وقد فصلّ القول في هذه المسألة الإمام ابن حجر في فتح الباري فقال :

- يحتمل أن يقال : مراده بيان أن الركعتين قبل الظهر ليستا بحثاً بمجتمع الزيادة عليهما .
- وقال الدّودي : وقع في حديث ابن عمر : " أن قبل الظهر ركعتين " وفي حديث عائشة : " أربعاً " ، وهو محمولٌ على أن كل واحد منهما وصف ما رأى ، قال : ويحتمل أن يكون نسي ابن عمر ركعتين من الأربع ، قلت : هذا الاحتمال بعيد والأوّل أن يحمل على حالين ، فكان تارة يصلي اثنتين ، وتارة يصلي أربعاً .
- وقيل : هو محمولٌ على أنه كان في المسجد يقتصر على ركعتين ، وفي بيته يصلي أربعاً .
- ويحتمل أن يكون يصلي إذا كان في بيته ركعتين ثم يخرج إلى المسجد فيصلّي ركعتين فرأى ابن عمر ما في المسجد دون ما في بيته ، وأطلعت عائشة على الأمرين ، ويقوي الأوّل ما رواه أحمد وأبو داود في حديث عائشة : " كان يصلي في بيته قبل الظهر أربعاً ثم يخرج " .

قال أبو جعفر الطبري : الأربع كانت في كثير من أحواله والركعتان في قليلها . انظر : فتح الباري : ٣ / ٥٨ ، ٥٩ .

(١) صحابية جليلة وأمّ المؤمنين ، انظر : ص ٦٤ .

(٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب التهجّد ، باب تعاهد ركعتي الفجر (١١١٦) : ١ / ٣٩٣ ، وأخرجه مسلم بنحوه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب ركعتي سنة الفجر (٧٢٤) : ١ / ٥٠١ . كلاهما عن عائشة - رضي الله عنها - .

غير المؤكدة من الرواتب: ركعتان بعد الظهر ، وأربع قبل العصر ، وركعتان خفيفتان قبل المغرب ، وركعتان قبل العشاء ، والجمعة كالظهر فيما مرّ ، فيصلّي قبلها أربعاً وبعدها أربعاً ، وست ركعات بعد المغرب ، وأربع ركعات بعد العشاء .

٢- المؤتبر : وهو سنة مؤكدة .

٣- صلاة الضحى : وهي مستحبة .

ب) التطوع المطلق :

فيشرع في الليل كله ، وفي النهار فيما سوى أوقات التّهي .

ومنه : صلاة الليل : وتطوّع الليل أفضل من تطوّع النهار .

ثم الطلوات ذوات الأسباب : وهي سنن مؤكدة .

• صلاة الاستخارة .

• تحية المسجد .

ومن الطلوات المعيّنة في أوقات مختلفة :

• صلاة الحاجة .

• صلاة التوبة .

وهناك أنواع أخرى من التطوعات مثل :

ركعتا الإحرام ، وركعتا الوضوء ، وركعتا الطواف ، وركعتان عند الخروج من المنزل وعند دخوله وعند الخروج من مسجد رسول الله ﷺ ، وعند مروره بأرض لم يمر بها قط وركعتان عقب الخروج من الحمام ، وركعتان في المسجد إذا قدم من سفره ، وركعتان عندما يهدّد بالقتل إن أمكنه ، وركعتان إذا عقد على امرأة وزفت إليه إذ يسنُّ لكلٍّ منهما قبل الوقاع أن يصلّي ركعتين (١) . (٢)

(١) أدلة هذه السنن مشهورة لا يسع المقام لذكرها ، وهي موجودة في مظانها .

(٢) انظر : الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع لحمد الخطيب الشربيني : ١ / ١١٥ - ١١٨ ، والكافي في فقه ابن حنبل لعبد الله بن أحمد

بن قدامة المقدسي : ١ / ١٤٨ - ١٥٧ ، المغني لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي : ١ / ٤٢٤ ، فقه السنة لسيد سابق :

وأفضل القسم الذي لا تسنُّ فيه الجماعة :

الوتر ، ثم ركعتا الفجر ، وهما أفضل من ركعتين في جوف الليل ، ثم باقي رواتب الفرائض ثم الضُّحى ، ثم ما يتعلق بفعل غير سنة الوضوء : كركعتي الطواف ، والإحرام ، والتَّحِيَّة . وهذه الثلاثة في الأفضلية سواء . والقسم الذي تسنُّ الجماعة فيه أفضل من القسم الذي لا تسنُّ الجماعة فيه ، نعم تفضل راتبة الفرائض على التراويح .

وأفضل القسم الذي فيه تسنُّ الجماعة :

صلاة العيدين ، ويتساوى العيدين في الفضيلة لكنَّ الأرحح في النَّظر ترجيح عيد الأضحى فصلاته أفضل من صلاة الفطر ، وتكبير الفطر أفضل من تكبير عيد الأضحى ، ثم بعد العيد في الفضيلة كسوف الشمس ، ثم خسوف القمر ، ثم الاستسقاء ، ثم التراويح .
ولا حصر للنفل المطلق ، وهو : ما لا يتقيَّد بوقتٍ ولا سببٍ (١) .

وقد تنازح العلماء أيهما أفضل إطالة القيام أم تكثير الركوع والسجود أم هما سواء ؟

في المسألة ثلاثة مذاهب :

أحدهما : أن الأفضل تطويل القيام ، وهو مذهب الشافعي (٢) . لحديث : " أفضل الصلاة طول القنوت " (٣) . والمراد بالقنوت القيام ، ولأن ذكر القيام القراءة ، وذكر السجود التسييح ؛ والقراءة أفضل ؛ لأنَّ المنقول عن النبي ﷺ أنه كان المطلوب القيام أكثر من تطويل السجود .

والمذهب الثاني : تطويل السجود وتكثير الركوع والسجود أفضل ، وممن قال به ابن عمر (٤) . لقول رسول الله ﷺ : " أقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد

(١) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع : ١ / ١١٨ ، ١١٩ ، وانظر : زاد المستقنع لموسى بن أحمد بن سالم المقدسي الخنيلي : ١ / ٤٧

٤٨ .

(٢) إمام المذهب الشافعي ، انظر : ص ١٣٢ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب أفضل الصلاة طول القنوت (٧٥٦) : ١ / ٥٢٠ . عن جابر رضي الله عنه .

(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ٥٩ .

فأكثرُوا الدعاء " (١) . (٢) .

المذهب الثالث : أهما سواء .

وتوقف أحمد (٣) في المسألة ، ولم يقض فيها بشيء ، وقيل : أمّا في النهار فتكثير الركوع والسجود أفضل ، وأمّا في الليل فتطويل القيام ؛ إلا أن يكون للرجل جزء بالليل يقوم فيه فتكثير الركوع والسجود أفضل ؛ لأنه يقرأ جزأه ، ويربح كثرة الركوع والسجود (٤) .

وتحقيق الأمر : أن الأفضل في الصلاة أن تكون معتدلة ، فإذا أطال القيام يطيل الركوع والسجود كما كان النبي ﷺ يصلي بالليل ، وهكذا كانت صلاته الفريضة ، وصلاة الكسوف وغيرهما ، كانت صلاته معتدلة ، فإن فضل مفضل إطالة القيام والركوع والسجود مع تقليل الركعات ، وتخفيف القيام والركوع والسجود مع تكثير الركعات فهذان متقاربان . وقد يكون هذا أفضل في حال كما أنه لما صلى الضحى يوم الفتح صلى ثماني ركعات يخففهن ، ولم يقتصر على ركعتين طويلتين ، وكما فعل الصحابة في قيام رمضان لما شقّ على المأمومين إطالة القيام (٥) .

والتطوع في البيت أفضل :

لقول رسول الله ﷺ : " ... فصلوا أيها الناس في بيوتكم ، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة " (٦) .

" السر في ذلك : لأن الصلاة في البيت أقرب إلى الإخلاص ، وأبعد من الرياء ، وهو من عمل السرّ ، وفعله في المسجد علانية والسرّ أفضل . ويستحب أن يكون للإنسان تطوعات يداوم عليها ، فإذا فاتت يقضيها .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٢) : ١ / ٣٥٠ . أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) المغني : ١ / ٤٤٢ .

(٣) إمام المذهب الحنبلي ، انظر : ص ٧٢ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم : ٤ / ٢٠٠ . بتصرف يسير .

(٥) انظر : المغني : ١ / ٤٤٢ ، وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه : ٢٣ / ١١٤ ، ١١٥ .

(٦) جزء من حديث أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الجماعة والإمامة ، باب صلاة الليل (٦٩٨) : ١ / ٢٥٦ ، وأخرج

مسلم بنحوه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد (٧٨١) : ١ / ٥٣٩ .

كلاهما عن زيد بن ثابت رضي الله عنه .

قال أحمد (١) :

يعجبني أن يكون للرجل ركعات من الليل والنهار معلومة ، فإذا نشط طوَّها وإذا لم ينشط خففها . قال ﷺ : " وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل " (٣) . " (٤) .

القول في البدع المذمومة :

ومن البدع المذمومة صلاة الرغائب : اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب ، وصلاة ليلة نصف شعبان مائة ركعة . ولا يغترب من يفعل ذلك (٥) . (٦) .

ثمرة التوافل والإكثار من الصلاة وآثارها :

وللمحافظة على الصلوات - بقالها وروحها - والإكثار من التوافل تأثير لا يعرف لغيرها في صفاء النفس والسمو الروحي ، وتلقي التحليلات الأخروية ، لذلك جاء في الحديث :

(١) إمام المذهب الحنبلي ، انظر : ص ٧٢ .

(٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب اللباس ، باب الجلوس على الحصى ونحوه (٥٥٢٣) : ٥ / ٢٢٠١ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (٧٨٢) : ١ / ٥٤٠ . كلاهما عن عائشة - رضي الله عنها - وللحديث عدة روايات مختلفة عند البخاري ومسلم .

(٤) المغني : ١ / ٤٤٢ .

(٥) انظر : المجموع ليحيى بن شرف التتوي : ٤ / ٦١ .

(٦) وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن صلاة نصف شعبان وعن صلاة الرغائب فأجاب :

ليلة النصف روي في فضلها أحاديث وآثار ، ونقل عن طائفة من السلف أنهم كانوا يصلون فيها ، فإذا صلى الإنسان ليلة النصف وحده أو في جماعة خاصة ، كما كان يفعل طوائف من السلف فهو حسن وله فيه حجة ، فلا ينكر مثل هذا ، وأما الاجتماع في المساجد على صلاة مقدرة ، كالاجتماع على مائة ركعة بقراءة ألف (قل هو الله أحد) دائماً فهذا بدعة لم يستحبها أحد من الأئمة ، والله أعلم . وأما صلاة الرغائب فلا أصل لها ؛ بل هي محدثة فلا تستحب لا جماعة ولا فرادى فقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : " لا تنصوا ليلة الجمعة بقيام ولا يوم الجمعة بصيام " . والأثر الذي ذكر فيها كذب موضوع باتفاق العلماء ، ولم يذكره أحد من السلف والأئمة أصلاً ، ولهذا قال المحققون : أنها مكروهة غير مستحبة والله أعلم . وكذلك الصلوة التي تذكر في ليلة الإسراء والمعراج والصلوة يوم الأحد والاثنين وغير هذا من أيام الأسبوع - وإن كان قد ذكرها طائفة من المصنفين - فلا نزاع بين أهل المعرفة بالحديث أن أحاديثه كلها موضوعة ، ولم يستحبها أحد من أئمة الدين .

ولو أن قوماً اجتمعوا بعض الليالي على صلاة تطوع من غير أن يتخذوا ذلك عادة راتبية تشبه السنة الراتبية لم يكره ، لكن اتخاذه عادة دائرة بدوران الأوقات مكروه ، لما فيه من تغيير الشريعة وتشبيهه غير المشروع بالمشروع ، ولو ساغ ذلك لساغ أن يعمل صلاة أخرى وقت الضحى ، أو بين الظهر والعصر ، أو تراويح في شعبان ، أو أذان في العيدين ، أو حج إلى الصخرة بيت المقدس ، وهذا تغيير لسنة الله وتبديل له . وهو الذي عناه النبي ﷺ بقوله : " كل بدعة ضلالة " . والله أعلم . انظر : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه :

قال ﷺ: " إِيَّاكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تَضَامُونَ ^(١) فِي رُؤْيَيْهِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ . [سورة ق: ٣٩] . " ^(٢) .

وعن أبي هريرة ^(٣) ﷺ أن النبي ﷺ قال لبلال ^(٤) ﷺ عند صلاة الفجر: " يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، فأني سمعت دفَّ نعليك ^(٥) بين يدي في الجنة ، قال : ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي " ^(٦) .

والتوافل والإكثار منها سببٌ كبيرٌ في تقوية محبة الله تعالى ، وجلب رحمته واصطفائه ، لذلك أشار النبي ﷺ على من طلب منه المرافقة في الجنة بتكثير النوافل وكثرة السجود ^(٧) .
وجاء في الحديث الصحيح: " وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه

(١) تضامون وتضامون: بالتشديد والتخفيف ، التشديد من الضمِّ ومعناه: تتراحمون ، والتخفيف من الضمِّ: أي لا يظلم بعضكم بعضاً . انظر: المقاييس ، كتاب الضاد ، باب الضاد والياء وما يثلثهما (مادة: ضم) : ٦٠٨ ، لسان العرب (مادة: ضم) : ٣٥٩ / ١٢ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر (٥٢٩) : ١ / ٢٠٣ ، وأخرج مسلم مثله في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والحفاظة عليهما (٦٣٣) : ١ / ٤٣٩ . كلاهما عن جرير بن عبد الله ﷺ .
(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ١٤٣ .

(٤) بلال بن رباح الحبشي ، أبو عبد الله : صحابي جليل ، مؤذن رسول الله ﷺ وحازنه على بيت ماله . ت سنة ٢٠ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٣ / ٢٣٢ ، صفة الصفوة : ١ / ٤٣٤ ، حلية الأولياء : ١ / ١٤٧ ، الإصابة : ١ / ٣٢٦ .

(٥) عند البخاري ، قال أبو عبد الله : " دفَّ نعليك " يعني : تحريكهما . قال ابن حجر : قال الخليل : دف الطائر إذا حرك جناحيه وهو قائم على رجله ، وقال الحميدي : الدف الحركة الخفيفة والسير اللين . ووقع في رواية مسلم " خثف " بفتح الخاء وسكون الشين المعجمتين وتخفيف الفاء ، قال أبو عبيد وغيره : الخثف الحركة الخفيفة . انظر : فتح الباري : ٣ / ٣٤ .

(٦) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب التهجد ، باب فضل الطهور بالليل والنهار (١٠٩٨) : ١ / ٣٨٦ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب فضائل الصحابة ﷺ ، باب من فضائل بلال ﷺ (٢٤٥٨) : ٤ / ١٩١٠ .

(٧) هو الصحابي الجليل ربيعة بن كعب ﷺ قال له ﷺ : " أعنى على نفسك بكثرة السجود " . أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه (٤٨٩) : ١ / ٣٥٣ .

ولئن استعاذني لأعيذته " (١) . (٢)

فالأبرار يحافظون على الصلاة في أوقاتها ؛ فهي أحب الأعمال إلى الله ، ويحسنون وضوئها وركوعها وسجودها ، ويخشعون في صلاتهم خشوع العبد الفقير إلى ربه المتذلل بين يدي مولاه ، فتطمئن جوارحهم ويزدادون إيماناً و يقيناً ، وتتعلق قلوبهم بالله ، ويحرصون على الإكثار من النوافل حباً وتقرباً لله لعل الله يكرمهم فيقول : قوموا مغفوراً لكم .
ولهذا فالأبرار أشد الناس خشية لله ؛ لأن برّ صلاتهم قد نهاهم عن الفحشاء والمنكر وأكسبهم تقوى ورضى ، فالصلاة هي الزاد الإيماني في درب الحياة الشاق الطويل .



(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب التواضع (٦١٣٧) : ٥ / ٢٣٨٤ . عن أبي هريرة ؓ . (وأوله : " إن

الله قال : من عادى لي ولياً آذنته بالحرب ") .

(٢) الأركان الأربعة : ٧٩ ، ٨٠ . بتصرف .

المبحث الثاني الصدقة فرضاً ونفلاً

شَتَانٌ بَيْنَ مَنْ يَتَصَدَّقُ وَيَشْعُرُ أَنَّهُ هُوَ الْحَسَنُ الْمُتَفَضِّلُ ، وَمَنْ يَعْطِي مَالَهُ بِسَخَاءٍ وَكِرَمٍ وَمِلءِ شَعُورِهِ الْحَيَاءِ وَالتَّقْصِيرِ وَالْإِشْفَاقِ ، وَأَمْنِيَتِهِ الْقَبُولِ وَالْفَوْزِ بِرُضَى الرَّحْمَنِ ؛ وَلَا غَرَوُ فَاَلْمَالُ مَالُ اللَّهِ .

إِنَّ بَرًّا مِنْ آتَى الْمَالَ لَا يَكْمُنُ فِي عَطَاءٍ مَادِيٍّ فَحَسَبَ ؛ بَلْ هُوَ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى عَطَاءٌ مَعْنَوِيٌّ إِنْسَانِيٌّ ، وَالْأَبْرَارُ يَضْرِبُونَ أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ فِي ذَلِكَ ؛ وَيَحْقُقُونَ الْبِرَّ فِي الْعَطَاءِ بِمَفْهُومِهِ الشَّامِلِ الْعَمِيمِ .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

الصدقة فرضاً :

يقصد بالصدقة فرضاً الزكاة الشرعية ؛ فهي تسمى في لغة الكتاب والسنة : " صدقة " حتى قال الماوردي (١) :

" الصدقة زكاة ، والزكاة صدقة ، يفرق الاسم ويتفق المسمى " . اهـ (٢) .

وقد جاء في محكم الكتاب قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ . [سورة التوبة : ١٠٣] .

(١) سبق ترجمته في ص ١١٦ .

(٢) الأحكام السلطانية لعلي بن محمد الماوردي : ٢٠٢ .

وقال ﷺ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٥٨] . إلى غير ذلك من الآيات .

وفي السنة : قال ﷺ لمعاذ (١) في حديث إرساله إلى اليمن : " فأعلمهم أن الله افترض عليهم في أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم " (٢) .

وهذه النصوص وغيرها قد جاءت بلفظ الصدقة وأريد منها الزكاة ، بيد أن العرف قد درج في تعريف كلمة الصدقة على أنها صدقة التطوع وما تجود به النفس .

الزكاة لغة وشرها :

الزكاة لغة :

الزكاة ممدود التَّماء والرَّيْعُ ، زَكَ يَزْكُو زَكَاءً وَزُكُوءًا ، من : (زكي) أو (زكا) ، وأصل الزكاة في اللغة : الطهارة والتَّماء والبركة والمدح . ويقال : الطهارة زكاة المال . قال بعضهم : سميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال ، وهو زيادته ونماؤه ، وقيل : سميت زكاة لأنها طهارة ، وسمي القدر المخرج من المال زكاة ؛ والفعل منه : زَكَّى يُزَكِّي تَزْكِيَةً إِذَا أَدَّى عَنْ مَالِهِ زَكَاتَهُ ، وَزَكَاهُ : إِذَا أَخَذَ زَكَاتَهُ ، وَتَزَكَّى : أَي تَصَدَّقَ (٣) .

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي ، أبو عبد الرحمن : صحابي جليل . توفي عقيماً بناحية الأردن ١٨ هـ . ودفن بالغور . انظر : طبقات ابن سعد (القسم الثاني) : ٣ / ٥٨٣ ، حلية الأولياء : ١ / ٢٢٨ صفة الصفوة : ١ / ٤٨٩ ، الإصابة : ٣ / ٤٢٦ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة وقول الله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (١٣٣١) : ٢ / ٥٠٥ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٩) : ١ / ٥٠ . كلاهما عن ابن عباس ؓ .

(٣) انظر : المقاييس ، كتاب الزاي ، باب الزاء والكاف وما يثلثهما (مادة : زكي) : ٤٥٧ ، لسان العرب (مادة : زكا) : ٣٥٨ / ١٤ .

الزكاة شرهما :

" هي : حقٌ يُجبي في مالٍ خاص ، لطائفةٍ مخصوصة ، في وقتٍ مخصوصٍ ، وتسمى صدقة لأنها دليلٌ لصحة إيمان مؤدّيها وتصديقه " (١) . " وسميت (الزكاة) شرعاً زكاة لأنها يزكو بها المال بالبركة ، ويطهر المرء بالمغفرة " (٢) .

ثانياً : الصدقة نهياً :

الصدقة لغة وشرها :

الصدقة لغة :

من (صدق) وهو أصلٌ يدل على قوّة في الشيء قولاً وغيره ، و الصدقة : ما تصدّقت به على الفقراء عن نفسك ومالك ، والمتصدّق : الذي يعطي الصدقة ، ويقال للذي يقبض الصدقات ويجمعها لأهل السهّمان : مُصدّق - بتخفيف الصاد - ، وأما المُصدّق - بتشديد الصاد والذال - فهو المتصدّق ، أدغمت التاء في الصاد فشددت (٣) .

الصدقة شرها :

هي : " العطية تبتغي بها المثوبة من الله تعالى " (٤) .

أو : " الفعلة التي يبدو بها صدق الإيمان بالغيب من حيث إن الرزق غيب " (٥) .

وقيل : " ما يخرج الإنسان من ماله على وجه القرية كالزكاة ، لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوّع به والزكاة للواجب ، ويقال لما تجافى عنه الإنسان من حقه : تصدّق به ، نحو قوله : ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ . [سورة المائدة : ٤٥] . أي : من تجافى عنه . وقوله : ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٨٠] . فإنه أجرى ما يسامح به المعسر

(١) المبدع لإبراهيم بن مفلح الحنبلي : ٢ / ٢٩٠ .

(٢) أنيس الفقهاء : ١٣٠ .

(٣) انظر : المقاييس ، كتاب الصاد ، باب الصاد والذال وما يثلثهما (مادة : صدق) : ٥٨٨ ، لسان العرب (مادة : صدق) :

١٠ / ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٤) التعريفات : ١٧٤ .

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف : ١ / ٤٥٢ .

مجرى الصدقة ، ومنه قوله : ﴿ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ﴾ . [سورة النساء : ٩٢] .
فسمي إعفائه صدقة " (١) .

البرّ في إيتاء المال :

اشتملت آية البرّ على نوعين من الإيتاء ، قال تعالى : ﴿ وَلَيْكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَىٰ الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ
السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَىٰ الزَّكَاةَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .
وهما في قوله تعالى :

• ﴿ وَءَاتَىٰ الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ .

• ﴿ وَءَاتَىٰ الزَّكَاةَ ﴾ .

إنّ تفسير هذه الآية الكريمة قد أشكل على أهل العلم في جوانب عدة :

أولها : الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَىٰ الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ إلى ماذا يرجع ؟

ثانيها : هل المراد بقوله تعالى : ﴿ وَءَاتَىٰ الْمَالَ ﴾ الزكاة الواجبة أم نوافل الزكاة ؟

ثالثها : هل قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَىٰ الْمَالَ ﴾ يدلُّ على أنّ في المال حقاً غير الزكاة ؟ وإلاّ فما هو
الإيتاء الواجب الذي هو ركنٌ من أركان البرّ والصّلة ؟ ..

المسألة الأولى :

اختلف المفسّرون في الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَىٰ الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ إلى ماذا يرجع ؟
وذكروا فيه وجوهاً ثلاثة :

الأول : أنه راجعٌ إلى المال ، ، لأنّ القاعدة أنّ الضمير لا يعود على غير الأقرب إلاّ بدليل
وهو قول الأكثرين .

الثاني : أنّ الضمير يرجع إلى الإيتاء كأنه قيل : يعطي ويحب إعطاءً رغبةً في ثواب الله .

(١) المفردات (مادة : صدق) : ٢٨١ .

الثالث : أن الضمير عائد على اسم الله تعالى ، يعني يعطون المال على حب الله ؛ أي على طلب مرضاته (١) .

وأضاف ابن عطية (٢) : " ويحتمل أن يعود على الضمير المستكن في ﴿وَأَتَى﴾ أي : على حبه المال فالمصدر مضاف إلى الفاعل ، والمعنى المقصود : أن يتصدق المرء في هذه الوجوه وهو صحيحٌ شحيحٌ يخشى الفقر ويأمل الغنى " . اهـ (٣) .

وأضاف القرطبي (٤) وجهاً خامساً ، فقال : " يعود على المعطي للمال ، وحذف المفعول وهو ﴿أَلْمَالُ﴾ ، ويجوز نصب ذوي القربى بالحب ؛ فيكون التقدير : على حب المعطي ذوي القربى " . اهـ (٥) .

والرَّاجح وهو قول أكثر المفسرين : أن الضمير عائدٌ على حبِّ المال (٦) .

المسألة الثانية :

اختلفوا في المراد من ﴿وَأَتَى أَلْمَالَ عَلَيَّ حَبِيئَةً﴾ على ثلاثة أقوال :

القول الأول : إنها الزكاة ، فقالوا : المراد بكل من : ﴿وَأَتَى أَلْمَالَ عَلَيَّ حَبِيئَةً﴾ و ﴿وَأَتَى أَلزَّكَاةَ﴾ الزكاة المفروضة ، والأول لبيان المصارف ، والثاني لبيان وجوب الأداء .

(١) انظر : تفسير الطبري : ٢ / ٩٦ ، تفسير الواحدي : ١ / ١٤٧ ، تفسير البغوي : ١ / ١٤٣ ، المحرر الوجيز : ١ / ٤٩٣ ، الكشاف : ١ / ٣٦٣ ، زاد المسير : ١ / ١٧٨ ، التفسير الكبير : ٢ / ٢١٥ ، تفسير القرطبي : ٢ / ٢٤٢ ، تفسير البيضاوي : ١ / ٤٥٣ ، تفسير النسفي : ٢ / ٩٩ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٢٠٩ ، الجواهر الحسان : ١ / ١٣٢ ، الدر المنثور : ١ / ٤١٤ ، تفسير أبو السعود : ١ / ١٩٣ ، فتح القدير : ١ / ١٧٢ ، محاسن التأويل : ٣ / ٤٨ ، روح المعاني : ٢ / ٤٦ ، تفسير المنار : ٢ / ١١٥ ، التحرير والتنوير : ٤ / ١٣٠ .

(٢) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الحاربي ، من محارب قيس ، الغرناطي ، أبو محمد : مفسر ، فقيه ، أندلسي من أهل غرناطة . عارفٌ بالأحكام والحديث ، قال أبو حيان : هو أجلُّ من صنَّف في علم التفسير ، له شعر ، ولي قضاء المرية ، وكان يكثر الغزوات في جيوش المثلثين ، وتوفي بلرقة سنة ٥٤٦ هـ أو ٥٤٢ هـ ، وقبل سنة ٥١٨ هـ . له : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، و "برنامج" في ذكر مروياته وأسماء شيوخه . انظر : سير أعلام النبلاء : ١٩ / ٥٨٦ ، تذكرة الحفاظ لمحمد بن أحمد السدي : ٤ / ١٢٩٤ ، طبقات المفسرين ٢ : ١ / ١٧٥ ، كشف الظنون : ١ / ٤٣٩ ، ٢ / ١٦١٣ .

(٣) المحرر الوجيز : ١ / ٤٩٣ .

(٤) سبقت ترجمته في ص ٨٠ .

(٥) تفسير القرطبي : ٢ / ٢٤٢ .

(٦) انظر : البيان في غريب إعراب القرآن لعبد الرحمن بن محمد الأنباري : ١ / ١٣٩ ، ١٤٠ .

القول الثاني: أن المراد نوافل الصدقات والمبار^(١).

القول الثالث: احتمال أن يراد بالزكاة زكاة النفس^(٢).

وقد ضعف الفخر الرازي^(٣) القول الأول فقال:

" وهذا ضعيف ؛ وذلك لأنه تعالى عطف الزكاة عليه بقوله: ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى

الزَّكَاةَ ﴾ ومن حقّ المعطوف والمعطوف أن يتغايرا ، فثبت أن المراد به غير الزكاة " .

اهـ (٤) .

واعترض على القول الثالث بأنه قول بعيد ، ووجه ذلك : أن الزكاة المقرونة بالصلاة في

التزويل لا يراد بها إلا زكاة المال ، وأمّا مع الانفراد فعلى حسب المقام^(٥) .

فالمرجع إذن هو القول الثاني ، وأن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَآتَى آلَمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ نوافل

الصدقات والمبار .

قال ابن عطية^(٦) :

" إن في قوله تعالى : ﴿ وَآتَى آلَمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ دليلٌ على أن الإيتاء المتقدم هو صدقة التطوع ؛ أي

ليس بالزكاة المفروضة ، وقدم على الفريضة مبالغة في الحث عليه " . اهـ (٧) .

المسألة الثالثة :

قد ذكر إيتاء المال لذوي القربى واليتامى والمساكين ... وغير ذلك من الوجوه ، ثم قفاه

بإيتاء الزكاة ، فهل دل ذلك على أن في المال حقاً سوى الزكاة ؟ ... أي هل من أخرج

(١) قاله الزمخشري وابن عطية والبيضاوي والنسفي وابن كثير والسيوطي وأبو السعود والشوكاني والالوسي والقاسمي : انظر :

الكشاف : ١ / ٣٦٧ ، المحرر الوجيز : ١ / ٣٩٣ ، تفسير البيضاوي : ١ / ٤٥٤ ، تفسير النسفي : ١ / ٨٦ ، تفسير ابن كثير :

١ / ٢١٠ ، الدر المنثور : ١ / ٤١٦ ، تفسير أبو السعود : ١ / ١٩٤ ، فتح القدير : ١ / ١٧٣ ، روح المعاني : ٢ / ٤٧ ، محاسن

التأويل : ٢ / ٥٢ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير : ١ / ٢٠٩ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٨ .

(٤) التفسير الكبير : ٢ / ٢١٦ .

(٥) انظر : محاسن التأويل : ٢ / ٥٢ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٢٠٠ .

(٧) المحرر الوجيز : ١ / ٤٩٣ .

زكاته فقد طهر ماله ، وبرئت ذمته ، ولا يطالب بعدها بشيء آخر ، إلا ما تطوَّع به رغبةً في مثوبة الله ! .. أم هناك حقوقاً في المال غير الزكاة ؟ ..

لقد شاع لدى المتأخرين من أهل الفقه : أن لا حقَّ في المال سوى الزكاة ، وأصبح هذا كالقضية المسلمة عند كثير من المشتغلين بالعلم الديني ؛ لكن المسألة فيها اختلاف على ثلاثة أقوال :

المقول الأول : إنَّ الحقَّ الواجب في المال هو الزكاة فقط وليس فيه سواها ، وهذا مذهب أكثر الفقهاء (١) .

المقول الثاني : إنَّ في المال حقاً سوى الزكاة ، وهذا مذهب غير واحدٍ من الصَّحابة والتابعين (٢) .

المقول الثالث : إنَّ المال ليس فيه حقٌّ يجب بسبب المال سوى الزكاة ، وإلاَّ ففيه واجبات بغير سبب المال .

والذي يتضح مما صحَّ من الأحاديث (٣) أنَّ الزكاة هي الحقُّ الدوري المحدد الثابت في المال والواجب على الأعيان بصفة دائمة ، شكراً لنعمة الله ، وتطهيراً وتزكية للنفس والمال ، وهو حقٌّ واجب الأداء ولو لم يوجد فقيرٌ يستحقُّ المواساة أو حاجة تستدعي المساهمة . أمَّا الحقوق الأخرى فهي حقوقٌ طارئةٌ غير ثابتة ثبوت الزكاة ، وغير مقدَّرة بمقدار معلوم كمقادير الزكاة ، فهي تختلف باختلاف الأحوال ، وتتغير بتغير البيئات والعصور (٤) .

(١) نسبه ابن عبد البرُّ إلى الأكثر . انظر : التمهيد لابن عبد البرِّ : ٤ / ٢١١ . استند أصحاب هذا القول بغير واحد من الأحاديث أصحابها ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه عن السائل الذي جاء يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : " خمس صلوات في اليوم والليلة . فقال : هل عليَّ غيره؟ قال : لا ، إلا أن تطوَّع ، وصيام شهر رمضان . فقال : هل عليَّ غيره؟ فقال : لا إلا أن تطوَّع . وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة ، فقال : هل عليَّ غيره؟ قال : لا ، إلا أن تطوَّع . قال : فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه . فقال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق " . فدلَّ ظاهر الحديث أن لا حقَّ في المال سوى الزكاة .

(٢) استند أصحاب هذا القول لما أخرجه الترمذي وغيره أنَّ النبي ﷺ تلا هذه الآية مستدلاً بها على الحكم المذكور ، فعن فاطمة بنت قيس : سألت - أو سئل - النبي ﷺ عن الزكاة فقال : " إنَّ في المال لحقاً سوى الزكاة " ثم تلا الآية التي في البقرة : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ ... ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧] . وقد ضعَّفه الترمذي والبيهقي وغيرهما ، والضعف ظاهر في إسناده ، ولمعرفة المزيد من الأدلة انظر : نيل الأوطار : ٩ / ٣٦ - ٣٩ .

(٣) أي : الحديث الذي أخرجه الشيخان (المذكور في حاشية رقم ١) .

(٤) انظر : المجموع : ٥ / ٤٦٠ .

وقد فصل ابن تيمية^(١) القول في هذه المسألة فقال: "أي ليس فيه - أي المال - حقٌ يجب بسبب المال سوى الزكاة، وإلا ففيه واجبات بغير سبب المال كما تحب النفقات للأقارب والزوجة والرقيق والبهائم، ويجب حمل العاقلة وقضاء الديون، ويجب الإعطاء في النائبة، ويجب إطعام الجائع وكسوة العاري فرضاً على الكفاية، إلى غير ذلك من الواجبات المالية، لكن بسبب عارضٍ والمال شرط وجوبها كالأستطاعة في الحج، فإنَّ البدن سبب الوجوب، والأستطاعة شرط. والمال في الزكاة هو السبب، والوجوب معه حتى لو لم يكن في بلده من يستحقها حملها إلى بلدٍ أخرى وهي حقٌ وجب لله تعالى". اهـ^(٢).

وقال الغزالي^(٣): "والذي يصحُّ في الفقه من هذا الباب أنه مهما أرهاقته حاجته - أي: الفقير - كانت إزالتها فرض كفاية، إذ لا يجوز تضييع مسلم، ولكن:

● يحتمل أن يقال: ليس على الموسر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرضاً، ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه.

● ويحتمل أن يقال: يلزمه بذله في الحال، ولا يجوز له الاقتراض، أي لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض، وهذا مختلف فيه. اهـ^(٤). وهذا هو الرَّاجح، والله أعلم.

أعظم الصدقة أجراً:

قد يخرج الإنسان زكاة ماله، أو يتصدق تطوعاً، لكن الأبرار - وهم المسارعون في الخيرات - يتخيرون أفضل الأوقات وأعظم الأجور.

"سئل الرسول ﷺ أيُّ الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: أن تصدق وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان"^(٥).

(١) سبق ترجمته في ص ٢١.

(٢) الإيمان - الكبير - لابن تيمية (مجموع الفتاوى): ٣١٦/٧.

(٣) سبق ترجمته في ص ٥٣.

(٤) الإحياء: ٢١٤/١.

(٥) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الزكاة، باب أي الصدقة أفضل؟ (١٣٥٣): ٥١٥/٢، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الشحيح الصحيح (١٠٣٢): ٧١٦/٢. كلاهما عن أبي هريرة رضى الله عنه.

وهذا الحديث يدلُّ على أنَّ الصَّدقة حال الصِّحة أفضل منها عند القرب من الموت ، فعند الصِّحة يحصل ظنُّ الحاجة إلى المال ، وعند ظنِّ قرب الموت يحصل الاستغناء عن المال وبذل الشيء عند الاحتياج إليه أدلُّ على الطاعة من بذله عند الاستغناء عنه ، وقد قال تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . [سورة آل عمران : ٩٢] . فمن أنفق مما أحبَّ كان من جملة الأبرار ، وكان السَّلَف إذا أحبُّوا شيئاً جعلوه لله (١) ، وللمفسِّرين في تفسير البرِّها هنا قولان :

■ **القول الأول :** لن تنالوا درجة الكمال من فعل البرِّ حتى تكونوا أبراراً إلاَّ بالإنفاق المنضاف إلى سائر أعمالكم .

■ **القول الثاني :** لن تنالوا برِّ ربكم حتى تنفقوا مما يعجبكم ومما تهوون من أموالكم ، وبرِّ الله هو رحمته ولطفه وثوابه وهو الجنَّة . فكأنَّه قال : لن تنالوا هذه المترلة إلاَّ بالإنفاق على هذا الوجه (٢) .

وهذا متأيِّد بقوله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (٣) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿ (٤) . [سورة الإنسان : ٨ ، ٩] . قال القاسمي (٣) :

" ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ أي : أخرجته وهو محبُّ له راغبٌ فيه ، نصَّ على ذلك ابن مسعود (٤) وسعيد بن جبیر (٥) وغيرهما من السَّلَف والخلف " . اهـ (٦) .

(١) وشواهد ذلك كثيرة في السِّيرة ، انظر ما جاء في تفسير الآية بالمأثور في الدر المنثور للسيوطي : ٢ / ٢٥٩ - ٢٦٢ ، وسيأتي شيء من الحديث عن ذلك في مبحث البرِّ بالفقراء والمساكين والسائلين .

(٢) انظر : تفسير الطبري : ٣ / ٣٤٧ ، تفسير السمعي : ١ / ٣٤٠ ، تفسير البغوي : ١ / ٣٢٥ ، المحرر الوجيز : ١ / ٤٧١ ، زاد المسير : ١ / ٤٢٠ ، التفسير الكبير : ٥ / ٣٥ ، ٨ / ١١٧ ، ١١٨ ، تفسير البيضاوي : ١٢ / ٦٤ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٣٨٢ ، تفسير الثعالبي : ١ / ٢٨٨ ، الدر المنثور : ٢ / ٢٦٢ ، تفسير أبو السعود : ٢ / ٥٧ ، فتح القدير : ١ / ٣٦٠ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٥٨ .

(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٥ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٥٦ .

(٦) محاسن التأويل : ٣ / ٤٨ .

ويجيء قوله : ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ اعتراضاً بليغاً أثناء القول ، وقد جمع قوله تعالى : ﴿وَيُطْعَمُونَ﴾
 الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا﴾ المعنيين الاعتراض وإضافة المصدر إلى المفعول ، أي : على حبِّ
 الطعام ، وهذا عند أهل البلاغة يسمَّى التَّمِيم ، ويسمَّى أيضاً الاحتراس والاحتياط ، فتمَّ
 بقوله : ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ (١) .

الأحابي الباطنة في الصدقة - فرضاً أو نقلاً - :

إنَّ الأبرار عند إيتائهم المال لمستحقِّه يراعون آداباً باطنة ، لا يفتن لها إلاَّ المتقين المخلصين
 الذين يبتغون رضی ربهم في السرِّ والعلن ، ومنها :

❶ فهم سبب مشروعية الزكاة ومعناها ، ووجه الامتحان فيها ، ولم جعلت من مباني
 الإسلام مع أنها تصرف ماليّ وليست من عبادة الأبدان ، ذلك أنَّ التلقُّظ بكلمتي الشهادة
 التزام للتوحيد وشهادة بإفراد المعبود ، وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للموحد محبوبٌ
 سوى الواحد الفرد فإنَّ المحبة لا تقبل الشراكة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى ، وإنما
 يمتحن به درجة الحبِّ بمفارقة المحبوب ، والأموال محبوبةٌ عند الخلائق ، فامتحنوا بتصدق
 دعواهم في المحبوب ، واستترلوا عن المال الذي هو محبوبهم .

❷ التعجيل عن وقت الوجوب ، وذلك في حالة الزكاة ؛ إظهاراً للامتثال ، بإيصال السرور
 إلى الفقراء ، ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات ، ويجتهد أن يكون من أفضل
 الأوقات ليكون ذلك سبباً لنماء قربته وتضاعف زكاته ، وذلك كشهر الله الحرم أو شهر
 رمضان ، أو شهر ذو الحجة ، وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر ، وأفضل أيام ذي
 الحجة العشر الأول .

❸ الإسرار ؛ فإنَّ ذلك أبعد عن الرياء والسُّمعة . وفي الحديث المشهور : " سبعةٌ يظلمهم الله
 في ظله ... " ومنهم : " ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق
 يمينه " (٢) .

(١) انظر : المحرر الوجيز : ١ / ٢٤٣ ، تفسير القرطبي : ٢ / ٢٤٢ .

(٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الزكاة ، باب الصدقة باليمين (١٣٥٧) : ٢ / ٥١٧ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب
 الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١) : ٢ / ٧١٥ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

❶ أن يظهر الصدقة حيث يعلم أن في إظهاره ترغيباً للناس في الاقتداء ، ويحرس سره من الرياء ؛ لأن في الإظهار بالإضافة إلى ما فيه من خوف المن والرياء ؛ ففيه أيضاً هتك لستر الفقير ؛ فإنه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج .

❷ أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى ، قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ . [سورة البقرة : ٢٦٤] .

واختلفوا في حقيقة المن والأذى :

- فقيل : المن أن يذكرها ، والأذى أن يظهرها .
- وقيل : المن أن يستخدمه بالعتاء ، والأذى أن يعيره بالفقر .
- وقيل : المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى أن ينتهره أو يوبّخه بالمسألة .

❸ أن يستصغر العطيّة ، لأنه إن استكثرها أعجب بها فأحبط عمله ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾ . [سورة التوبة : ٢٥] . ودواؤه علم وعمل :

■ أما العلم : فهو أن يعلم أن العُشر أو ربع العُشر - وهو مقدار الزكاة - قليلٌ من كثير وهو أقل درجات البذل ، فهو جديرٌ بأن يستحي منه ، فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كلِّ ماله ، فليتأمل أنه من أين المال ؟ فالمال مال الله ، وله المنّة أن أعطاه ووفّقه للبذل ، وأجدر به أن ينظر للآخرة ويحتسب الأجر ، فإن لم يستعظم بذل ما سيكافئه الله عليه أضعافه .

■ وأما العمل : فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بإمساك بقية ماله عن الله وَجَلَّ ، فتكون هيئته الانكسار والحياء ، كهيئة من يطالب برّد ودیعة فيمسك بعضها ويردّ بعضها .

❹ أن ينتقي من ماله أجوده وأحبّه إليه وأطيبه ، فإن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً . قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ .

[سورة البقرة: ٢٦٧]. وعن عائشة (١) - رضي الله عنها - قالت: "أتى النبي ﷺ بضب فلم يأكله، فقلت: ألا نطعمه المساكين؟ قال: "لا تطعموهم مما لا تأكلون" (٢).
 ❁ أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة، فبعد تحريه الأصناف الثمانية - أي مصارف الزكاة - فإنه يراعي من فيه صفات مخصوصة وهي ستة:

- ١- أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة، قال ﷺ: "لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي" (١). وهذا لأن التقي يستعين به على التقوى، فتكون شريكاً له في طاعته.
- ٢- أن يكون من أهل العلم خاصة، فإن ذلك إعانة له على طلب العلم لأن العالم إذا اشتغل قلبه بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل.
- ٣- أن يكون صادقاً في تقواه وتوحيده لله، وتوحيده إذا أخذ العطاء حمد الله وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة، فمن أعطاه مجرد سبب والمنعم الحقيقي هو الله، فلا بد من تصفية الباطن عن رؤية الوسائط لكي يصفو له توحيده عن كدرات الشرك وشوائبه.
- ٤- أن يكون مستتراً مخفياً حاجته لا يكثر البث والشكوى، أو يكون من أهل المروءة ممن ذهب نعمته وبقيت عادته، فهو يتعيش في جلباب التجمل، قال الله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾. [سورة البقرة: ٢٧٣]. أي: لا يلحون في السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم، أعزة بصبرهم.

(١) صحابية جليلة وأم المؤمنين، انظر: ص ٦٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسند عائشة - رضي الله عنها - (٢٥١٥٣): ٦ / ١٤٣. قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى ورجلها رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد: ٤ / ٣٧.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس (٤٨٣٢): ٤ / ٢٥٩، وأخرج الترمذي بمثله في كتاب الزهد باب ما جاء في صحبة المؤمن (٥٥): ٤ / ٦٠٠، وأخرج الدارمي بمثله في كتاب الأطعمة، باب من كره أن يطعم طعامه إلا الأتقياء (٢٠٥٧): ٢ / ١٤٠. عن أبي سعيد الخدري ؓ، وأخرج أحمد بمثله في مسند أبي سعيد الخدري ؓ (١١٣٥٥): ٣ / ٣٨. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، إنما نعرفه من هذا الوجه.

- ٥- أن يكون محبوساً بمرضٍ أو سببٍ من الأسباب ، كما قال تعالى :
- ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٧٣] . أي :
- الفقراء ^(١) الذين حبسوا بغزو ، أو جهاد لا يستطيعون ضرباً في الأرض فيستحقون بذلك الصدقة .
- ٦- أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام ، فتكون صدقة وصيلة رحم وفي صلة الرِّحِم من الثواب ما لا يحصى . قال ﷺ : " الصدقة على المسكين صدقة ، وهي على ذي الرِّحِم اثنتان : صدقة وصلة " ^(٢) . ^(٣)

بَرٌّ مِنْ آتَى الْمَالَ :

إنَّ للزكاة مصالِحاً اقتصادية واجتماعية ، وله فوائد ومنافع تعود بالخير على الفرد والمجتمع لكنَّ أهمَّ ما في تشريع الزكاة روحها التي تسيطر عليها ، وهي روح العبادة والتقرب إلى الله ولن يتحقَّق البرُّ في الزكاة - فرضاً كانت أو نفلاً - ما لم يتحقَّق فيها سمات وإشراقاتٌ توصل إلى المغزى الأساسي من فرضيتها ، ومن أبرز هذه السمات وأعمقها في التأثير :

١- ما يرافقها من روح الاحتساب ، فالأبرار يعتقدون أنها مشروعةٌ من الله لا بتشريع بشر ويرجون بها الثواب الذي وعد الله به المنفقين والمتصدقين من الأجر العظيم والأمان والفرح فلا خوفٌ ولا حزنٌ ، وكذلك النمو والبركة في المال فقال عزَّ من قائل : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٤] . وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الْمُسْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا

(١) سيكون هناك مبحث خاص عن البرِّ بالفقراء والمساكين والسائلين .

(٢) أخرج الترمذي بنحوه - وحسنه - في كتاب الزكاة ، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرباة (٦٥٨) : ٣ / ٤٦ ، وأخرجه النسائي - واللفظ له - في السنن الكبرى في كتاب الزكاة ، باب الصدقة على الأقارب (٢٣٦٣) : ٢ / ٤٩ ، وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة (١٨٤٤) : ١ / ٥٩١ ، وأخرج أحمد بنحوه في مسند سلمان بن عامر الضبي ﷺ : ٤ / ١٧ ، وأخرج الدارمي بنحوه في كتاب الزكاة ، باب الصدقة على القرباة (١٦٨٠) (١٦٨١) : ١ / ٤٨٨ . كلهم عن سلمان ابن عامر الضبي ﷺ .

(٣) انظر : الإحياء ، بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة : ١ / ٢١٣ - ٢٢١ .

اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ . [سورة الحديد : ١٨] . ومثلها كثيرٌ في القرآن الكريم ، وتوعد الله من يمتنع عن أداء حق الله وحق الفقراء في ماله الذي يفيض عن حاجته ويتكدس عنده تسلياً بها وتطاولاً وشحاً وحرصاً ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٥﴾ يَوْمَ نُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٣٤ ، ٣٥] .

وعلى هذا التمسك الكريم جرى لسان النبوة ، ففاض الحديث النبوي ببشارات ووعود كريمة لمن يؤدي الزكاة ، وآثارها الطيبة في النفس ، وفي الدنيا والآخرة .

فمن ذلك قوله ﷺ : " ما تصدق أحد بصدقة من طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة ، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فضيله " (١) . وقال ﷺ : " ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان يتزلان ، يقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً " (٢) .

٢- والسمة البارزة التي تميز الزكاة هي وضعها الشرعي الذي قرره رسول الله ﷺ بلفظه المعجز الحكيم الذي يعدُّ من جوامع الكلم فقال : " تؤخذ من أغنيائهم ، وتردُّ على فقرائهم " (٣) . وهذا وضع الزكاة الأصيل الشرعي فهي تؤخذ من الأغنياء الذين يستوفون شروط وجوبها ، ويملكون النصاب المعين المنصوص ، وتُصرف في مصارف عينها الله تعالى في القرآن ، ولم يكلها إلى رأي مشرعٍ أو مقننٍ ، أو عالمٍ أو حاكمٍ ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ... ﴾ . الآية . [سورة التوبة : ٦٠] . وكذلك آية البر التي معنا ؛ فقد

(١) أخرجه البخاري بنحوه في كتاب الزكاة ، باب لا يقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب (١٣٤٤) : ٢ / ٥١١ وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها (١٠١٤) : ٢ / ٧٠٢ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٦٠﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦١﴾ فَسَنبَرُهُهُ لِلْيَسْرَىٰ ﴿٦٢﴾ وَأَمَّا مَنْ خَالَ وَأَسْتَعْفَىٰ ﴿٦٣﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦٤﴾ فَسَنبَرُهُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿٦٥﴾ ﴾ (١٣٧٤) : ٢ / ٥٢٢ ، وأخرج

مسلم بمثله في كتاب الزكاة ، باب في المنفق والممسك (١٠١٠) : ٢ / ٧٠٠ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

(٣) سبق تخريجه في ص ١٩٧ ، أخرجه البخاري ومسلم .

أوردت وجوه مصارف للصدقة فرضاً ونفلاً ، فكانت الزكاة التي فرضها الله على عباده الموسرين لطفاً ورحمة بالأمة وتحقيقاً لليمن والبركة ، لأنها " تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم " .

٣- والسمة الثالثة المميزة للزكاة هي روح الإخلاص والتقوى ، والتواضع والامتنان والإكرام الذي يجب أن يقترن به أداء الزكاة ، ويتصف به صاحبها ، وهي الآداب الدقيقة والأخلاق السامية النبيلة ، والروح الدينية التي حثَّ عليها القرآن وأشاد بها ، ووصف كرام القائمين بهذه الفريضة بالتلبس بها :

■ فتارةً نهي المتصدقين وأصحاب الخير والبرِّ ، عن أن يكدر أعمالهم ، ويقلل من قيمتها المن والأذى ، فقال في الأسلوب القرآني المعجز : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ ۗ هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿١١٠﴾ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿١١١﴾ يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَا يَقْدَرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١١٢﴾ . [سورة البقرة : ٢٦٢ - ٢٦٤] .

■ وتارةً مدح أصحاب الخير والبرِّ بروح التواضع والإشفاق الذي يسيطر عليهم عند اشتغالهم بهذه الخيرات فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ . [سورة المؤمنون : ٦٠] . وقال ﷺ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ﴿١١٣﴾ . [سورة المائدة : ٥٥] .

■ وتارةً مدح القائمين بهذه المبرات وأعمال المواساة بالإخلاص التام ، والتجرد عن الأغراض المادية أو المعنوية ، فقال : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿١١٥﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١١٦﴾ . [سورة الإنسان : ٨ - ١٠] .

إنَّ برَّ من آتى الزكاة لا يتحقق بمجرد أن يأخذ الإنسان شيئاً من ماله فيناوله محتاج كلاً .. إنَّ البرَّ له مفهوم عميق ؛ فهو يتصل بنفسية المتصدق وإقباله على العطاء ، ومدى عطفه على الفقير ؛ فليس كل من أخرج زكاة ماله أو تصدَّق فقد حقَّق البرَّ .

الأبرار وإيتاء المال :

■ إنَّ الأبرار بإيتائهم المال تخلصوا من رذيلة الشح والبخل ، والبخيل بعيد عن الله بعيد عن الناس ، بخلاف السخيِّ ؛ فإنه قريب من الله وقريب من الناس ، ومن كان شحيحاً فإنه إذا مات بقي قلبه متعلقاً بالمال وعذبٌ بذلك ، وإنَّ من تمرَّن بالزكاة وأزال الشحَّ عن نفسه كان ذلك نافعاً له . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . [سورة الحشر : ٩ ، وسورة التباين : ١٦] . كررها في القرآن مرتين ، قصد فيها الفلاح على من وقى هذا الداء الفتاك .

إنَّ المتقون الأبرار يفطنون لهذا الأمر ، ولقد نوّه الله بهذه الغاية العظيمة فقال مخاطباً للرسول ﷺ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ . [سورة التوبة : ١٠٣] . فعبر القرآن وأجمل في كلمتين من عدة أحرف ، ولكنهما تتضمنان الكثير من أسرار الزكاة ، وهاتان الكلمتان هما : التطهير والتزكية ، فهما يشملان كل تطهير وتزكية ، سواء أكانا ماديين أو معنويين فالزكاة تطهير لروح الغني ونفسه ، فإنَّ المؤمن عندما يسدي الخير ، ويصنع المعروف ويبدل من ذات نفسه ويده ليساعد إخوانه المحتاجين ، وليقوم بحقِّ الله عليه ؛ يشعر بانسراح في صدره ، ويحس وكأنه انتصر في معركة ، وهو فعلاً قد انتصر على ضعفه وأثرته وشيطان شحِّه ، كما أنَّ الزكاة تطهير للمال .. روى ابن عباس (١) عن النبي ﷺ قال : " إنَّ الله لم يفرض الزكاة إلاَّ ليطيَّب ما بقي من أموالكم " (٢) . فالأبرار قد طهروا نفوسهم .. يعطون من أحبِّ أموالهم فرحين مستبشرين بالأجر والثواب ، وأموالهم مباركة طيبة لأنها قد زكت بالإتفاق ، وطابت بطيب نفوسهم ؛ فعمَّت البركة ديارهم وأوطانهم .

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٢) جزء من حديث أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة ، باب في حقوق المال (١٦٦٤) : ٢ / ١٢٦ ، وأخرجه الحاكم وصحَّحه وقال الذهبي : عثمان لا أعرفه . والخير عجيب . وقال ابن حجر : وأخرجه أبو داود مرفوعاً . انظر : فتح الباري : ٣ / ٢٧٣ .

■ الأتقياء قد اعتادت أنفسهم البذل والعطاء ، فهم قد ملكوا زمام الأمر ، وطوّعوا أموالهم وأنفسهم لرضى الرحمن ، وتحرّروا من قهر الملكية الغالبة ، وروّضوا أنفسهم على بذل المال مع الحاجة إليه ، وهدفهم ليس مساعدة الضعفاء وذوي الحاجة وإقالة عثرهم فحسب ؛ بل علوهم على المادة فلا يكونون عبيداً لها .

■ إن الأبرار بتطهّرتهم من الشح والبخل ، واعتيادهم البذل والإنفاق قد ارتقوا من حضيض الشحّ الإنساني ، واقتربوا من أفق الكمالات " الربّانية " ، فإن من صفات الحقّ ﷻ إفاضة الخير والرحمة والجود والإحسان دون نفع يعود عليه ﷻ .
قال الفخر الرّازي (١) :

" إنّ النفس الناطقة - يعني تلك التي صار بها الإنسان إنساناً - لها قوتان : نظرية وعملية فالقوة النظرية كما لها في التعظيم لأمر الله ، والقوة العملية كما لها في الشفقة على خلق الله فأوجب الله الزكاة ، ليحصل لجوهر الروح هذا الكمال ، وهو اتصافه بكونه محسناً إلى الخلق ، ساعياً في إيصال الخيرات لهم ، رافعاً للآفات عنهم " . اهـ (٢) .

■ الأبرار شاكرين لنعمة الله ، فإن الزكاة أيقظت في نفوسهم معنى الشكر لله تعالى والاعتراف بفضله وإحسانه إليه ، فهم يستشعرون نعمة الله عليهم أن جعلهم اليد العليا واليد العليا خير من اليد السفلى ، فلم يكونوا هم في موضع الحاجة ، وهذا فضل عظيم من الله ، وهم مع ذلك لا يرون أنفسهم بذلك محسنين ؛ فالفقير هو المحسن إليهم في تطهيرهم بالقبول ، إذ جعل كفه نائباً عن الله في قبض حق الله ﷻ ، فعن عبد الله بن مسعود (٣) ﷺ : " إنّ الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل ، ثم قرأ عبد الله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ . [سورة الشورى : ٢٥] . " (٤) .

(١) سبق ترجمته في ص ٨ .

(٢) التفسير الكبير : ١٦ / ١٠١ .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٥ .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، مما أسند إلى عبد الله بن مسعود ﷺ (٨٥٧١) : ٩ / ١٠٩ ، قال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الله بن قتادة الحاربي ولم يضعفه أحد ، وبقيّة رجاله ثقات . انظر : مجمع الزوائد : ٣ / ١١١ .

قال ابن كثير (١) : " فمعناه : أنه سبق لتحقيق القبول من الله لمن أخلص في عمله ، وليس له معنى يتبادر عند العلماء المحققين سوى هذا ، والله أعلم " . اهـ (٢) .

وقد كان بعض السلف يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا . وكان من حرص سلفنا الصالح على مداواة قلوبهم أنهم كانوا لا يتوقعون الدعاء من الفقير لأنه شبه المكافأة ، وكانوا يقابلون الدعاء بمثله ، وهكذا كان أرباب القلوب يطهرون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنّة (٣) .

ثم أنه لو بعث بصدقته ودخله الشك في عدم وصولها لمستحقيها ، فعليه أن يطرد هذا الشك ويوقن بحصول الأجر ، فإن صدقته قد وقعت بيد الله ﷻ ، وثبت أجره قبل أن تقع في يد السائل لدلالة الحديث السابق .

■ إن الأبرار على يقين بأن المال مال الله ، وأنه عندهم عارية ؛ فالمعطي هو الله وهم مستخلفين في الأرض ؛ والله مالك السموات والأرض ؛ لذا فهم يبسطون أيديهم بالعطاء فلا شح ولا طمع ، بل قناعة ورضى . وقد بين سيد قطب (٤) هذا المعنى أشد بيان عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ . [سورة البقرة : ٢٥٥] . حيث قال :

" إن مجرد استقرار هذه الحقيقة في الضمير .. مجرد شعور الإنسان بحقيقة المالك ﷻ لما في السموات والأرض ، مجرد إحساسه بأن ما في يده عارية لأمد محدود ، ثم يستردها صاحبها الذي أعارها له في الأجل المرسوم .. مجرد استحضار هذه الحقائق والمشاعر كفيلاً وحده بأن يطامن من حدة الشره والطمع ، وحدة الشح والحرص ، وحدة التكالب المسعور ، وكفيل كذلك بأن يسكب في النفس القناعة والرضى بما يحصل من الرزق والسماحة والجود بالموجود ، وأن يفيض على القلب الطمأنينة والقرار في الوجدان والحرمان سواء ؛ فلا تذهب النفس حشرات على فائت أو ضائع ؛ ولا يتحرق القلب سعاراً على المرموق المطلوب ! " . اهـ (٥) .

(١) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٢٥ .

(٣) انظر : الإحياء : ١ / ٢١٧ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٩ .

(٥) الظلال : ١ / ٢٨٨ .

والزكاة المشروعة في الإسلام هي الحد الأدنى للبرِّ والمواساة في أموال المسلمين وثروتهم وفريضة لا يقبل الله عنها صرفاً ولا عدلاً ، وهذا الذي تطالب به الشريعة الإسلامية بكلِّ جدٍّ وصرامة ، وتعتبره شرطاً للإسلام ، وركناً من أركان الدين الأساسيَّة .

أمَّا الأبرار فقد علت همُّهم وسارعوا بالخيرات فلم يكتفوا بهذا الحدِّ الأدنى ؛ بل أعطوا وبذلوا ذات اليمين وذات الشمال ، وقلوبهم مشفقة وجلة ؛ يسألون الله القبول ، ويحبِّون الخير لمن حولهم .. فيرحمون عبدة اليتيم ، ويعطفون على القريب والفقير والمسكين والسائل ويسدُّون حاجة الرقيق والمكاتب ، ويكرمون ابن السَّبيل ^(١) ، وكلِّ أملهم أن يرحم الله حالهم فيكرمهم ويتفضَّل عليهم في يومٍ تشحُّ فيه الحسنات ، وتكثر فيه العبرات .



(١) لكل من هؤلاء المذكورين وهم : ذوي القربى ، واليتامى ، والفقراء والمساكين والسائلين ، وفي الرقاب مبحث خاص يبين كيفية البرِّ بكل منهم .

المبحث الثالث

الصَّوم فرضاً ونفلًا

إنَّ المؤمن يتحرَّى البرَّ في عبادته ، وخاصَّة ما هو ركنٌ من أركان إسلامه ، فهو حريصٌ على أدائه على أتمِّ وجه ليكون مقبولاً عند الله ، والأبرار لهم شأنٌ خاصٌّ مع الصَّوم سواء كان فريضةً أو نفلًا ، فالأبرار لم يصوموا عن المفطرات فحسب ؛ لأنهم حريصون ألاَّ يجرحوا صيامهم بأيِّ شائبة ، فأجزل الله مثوبتهم ورفع قدرهم .

الصوم لغة وشرحاً :

الصوم لغة :

الصاد والواو والميم أصلٌ يدلُّ على إمساكٍ وركودٍ في مكان ، والصَّومُ : من صَامَ يَصُومُ صَوْماً وصياماً . والصَّومُ في اللغة : الإمساكُ عن الشيء والتَّركُ له ، وقيل للصَّائم صائمٌ لإمساكه عن المَطْعَمِ والمَشْرَبِ والمَنْكَحِ ، وقيل للصَّائم صائمٌ لإمساكه عن الكلام ، وقيل للفرس صائمٌ لإمساكه عن العَلْفِ مع قيامه .

قال أبو عبيدة ^(١) : كلُّ ممسكٍ عن طعامٍ أو كلامٍ أو سيرٍ فهو صائمٌ ^(٢) .

^(١) هو معمر بن المثنى التيمي مولاهم ، البصري ، النحوي ، أبو عبيدة : صاحب التصانيف ، وكان ييغض العرب وألف في مثالبها كثيراً وكان يرى رأي الخوارج ، وقيل إنَّ الرشيد أقدم أبا عبيدة وقرأ عليه بعض كتبه ؛ وهي تقارب معني مصنف منها : كتاب مجاز القرآن وكتاب غريب الحديث ، وكتاب مقتل عثمان ، وكتاب أخبار الحجاج . كان من مجور العلم ؛ ومع ذلك فلم يكن بالماهر بكتاب الله ولا العارف بسنة رسول الله ﷺ ، ولا البصير بالفقه واختلاف أئمة الاجتهاد ، بل وكان معاني من معرفة حكمة الأوائل والمنطق وأقسام الفلسفة ، وله نظر في المعقول ولم يقع لنا شيء من عوالي روايته ، ولد سنة ١١٠هـ ، وقيل : ت سنة ٢٠٩ هـ ، وقيل : سنة ٢١٠ هـ . انظر : وفيات الأعيان : ٥ / ٢٣٥ ، سير أعلام النبلاء : ٩ / ٤٤٥ ، شذرات الذهب : ١ / ٢٤ ، أجدد العلوم : ٣ / ٣١ .

^(٢) انظر : المقاييس (مادة : صوم) : ٥٨٢ ، لسان العرب (مادة : صوم) : ١٢ / ٣٥٠ ، ٣٥١ ، المصباح المنير : ١ / ٣٥٢ .

الصوم شرعاً :

" هو عبارة عن الإمساك عن أشياء مخصوصة ، في زمنٍ مخصوصٍ ، من شخصٍ مخصوصٍ بنيةٍ مخصوصة " (١) .

قال الكَفَوِيُّ (٢) : " كل صوم في القرآن فهو من العبادة إلا : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ . [سورة مريم : ٢٦] . أي : صمتاً " (٣) .

فضل الصيام :

جاء في فضل هذه العبادة أحاديث صحيحة منها :

- قال ﷺ : " إذا كان أوَّل ليلةٍ من شهر رمضان صُفِّدَت الشياطين مردة الجن ، وغُلِّقَت أبواب النار فلم يُفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب ، ومناد ينادي : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشرِّ أقصر ، والله عتقاء من النار وذلك كل ليلة " (٤) .
- وقال ﷺ : " الصَّلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفَّرات ما بينهنَّ إذا اجتنبت الكبائر " (٥) .
- وقال ﷺ : " من صام يوماً في سبيل الله بعَدَّ الله وجهه عن النَّار سبعين خريفاً " (٦) .

(١) المطلع على أبواب المقنع لمحمد بن أبي الفتح البعلبي الحنبلي : ١ / ١٤٥ ، وانظر : أنيس الفقهاء : ١ / ١٣٧ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٣٤ .

(٣) الكليات (فصل الصاد) : ٥٤٣ .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الصوم ، باب ما جاء في فضل شهر رمضان (٦٨٢) : ٣ / ٦٦ ، وأخرج ابن ماجه بمثله في كتاب الصيام ، باب ما جاء في فضل شهر رمضان (١٦٤٢) : ١ / ٥٢٦ ، وأخرج أحمد بنحوه في حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ : ٤ / ٣١٢ ، ٥ / ٤١١ . صحَّحه ابن خزيمة ، وقال العجلوني : له شاهد رواه الشيخان عن أبي هريرة . انظر : كشف الخفاء : ٩٢ / ١ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة ، باب الصَّلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفَّرات لما بينهنَّ ما اجتنبت الكبائر (٢٣٣) : ١ / ٢٠٩ . عن أبي هريرة ﷺ .

(٦) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الجهاد والسير ، باب فضل الصوم في سبيل الله (٢٦٨٥) : ٣ / ١٠٤٤ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الصيام ، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه بلا ضرر ولا تفويت حق (١١٥٣) : ٢ / ٨٠٨ . كلاهما عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

المبرِّ في الصيام - فرضاً كان أو نقلاً - :

الصَّوم هو كَفُّ الجوارح عن الآثام ، فينبغي أن يتحفظ الصائم من الأعمال التي تخدش صومه ، فالصيام إمساكٌ عن الأكل والشرب وسائر ما نهى الله عنه ، وهذا واجبٌ في رمضان وغيره ، وهو متأكدٌ في هذا الشهر المبارك لعظيم حرمة ، وتماه بأمر :
الأول : الإيمان والاحتساب . قال ﷺ : " من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدَّم من ذنبه " (١) .

فصوم رمضان سببٌ عظيمٌ لغفران الذنوب ، وذلك مقيّدٌ بشرطين يسيرين على من يسرهما الله عليه ، وهما الإيمان (٢) والاحتساب .

قال ابن حجر (٣) : " والمراد بالإيمان : الاعتقاد بحقِّ فرضية صومه ، وبالاحتساب : طلب الثواب من الله تعالى . وقال الخطَّابي (٤) : احتساباً : أي عزيمته ، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه (٥) طيبةً به نفسه ، غير مستثقلٍ لصيامه ولا مستطيلٍ لأيامه " . اهـ (٦) .

الثاني : رمضان شهر التقوى (٧) : إن الأبرار ليصومون كما أمر الله على رجاء حصول ثمرة التقوى . قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٣] .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان (٣٨) : ١ / ٢٢ . عن أبي هريرة ؓ .

(٢) سبق تعريف الإيمان في ص : ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٧٣ .

(٤) الخطَّابي - يفتح الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة وبعد الألف باء موحدة - : هو حمد - ويقال أحمد - بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، أبو سليمان : فقيه محدث لغوي ، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب ، له : معالم السنن ، وبيان إعجاز القرآن ، وإصلاح غلط المحدثين ، وغريب الحديث . وله شعر أورد منه الثعالبي في " اليتيمة " نقلاً جيدة ، وكان صديقاً له . توفي في بست (في رباط على شاطئ هير مند) سنة ٣٨٨ هـ . انظر : وفيات الأعيان : ٢ / ٢١٤ ، ٢١٥ ، سير أعلام النبلاء : ١٧ / ٢٣ ، طبقات الشافعية الكبرى : ٣ / ٢٨٢ ، البداية والنهاية : ١١ / ٣٢٤ ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ١ / ٩٤ .

(٥) من يصوم إيماناً واحتساباً يفرق عن من يصوم على سبيل تخسيس وإنقاص وزنه ، وعن من يصوم كرياضة ، ومن يمتنع عن الأكل والشرب بغية الانتحار ، ولا مانع من الصيام إيماناً واحتساباً وفي ذات الوقت بغية تقليل حدة الشهوة ، وذلك لقول النبي ﷺ : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباعة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " . متفق عليه .

(٦) فتح الباري : ٤ / ١١٥ .

(٧) سبق تعريف التقوى لغة وشرعاً في ص ١٤٠ ، ١٤١ .

وقوله سبحانه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ قيل : لتتقوا المعاصي . وهو على العموم ؛ لأن الصيام سبب تقوى لأنه يمت الشهوات (١) .

والتقوى لا تتم في شهر رمضان ولا في غيره إلا بعلمٍ نافعٍ وبعملٍ صالحٍ ، وأساس التقوى (٢) أن يعلم العبد ما يتقى ثم يتقى ، ولذلك يجب على الصائم أن يتعرف على الواجبات والمستحبات في الصيام ويمتثلها ، ويتعلم المحرمات والمكروهات ويتباعد بنفسه عنها ؛ بل ولا بد من إبلاغ الحق وتعليم الخير .

المثالث : صوم القلب ، فالقلوب تمرض ويطبع عليها وتقفل وتموت . قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ . [سورة محمد ﷺ : ٢٤] . والمؤمن الحريص على سلامة قلبه عليه أن يحذر من وساوس ومداخل الشيطان إلى نفسه ؛ ومن أعظمها الغضب والشهوة والحسد والحرص والبخل وخوف الفقر ، والتعصب للمذاهب والأهواء وسوء الظن بالمسلمين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ . [سورة الأعراف : ٢٠١] .

ومن أخطر سموم القلب : فضول الكلام ، وفضول النظر ، وفضول المخالطة ، وفضول الطعام ، وفضول النوم .

الرابع : صوم العين ، ويكون ذلك بغضها عن الحرام ، وكفها عن فضول النظر إلى كل ما يذم ويكره ، وإلى كل ما يشغل القلب ، ويلهي عن ذكر الله ﷻ . قال ﷺ : " النَّظْرَةُ سَهْمٌ

(١) تفسير القرطبي : ٢ / ٢٧٦ . بتصرف .

(٢) ذكرته سابقاً في مبحث التقوى ص ١٥٥ .

من سهام إبليس مسمومة ، فمن تركها من خوف الله أثابه عَلَيْكَ إيماناً يجد حلاوته في قلبه " (١) .

وقيل : من غَضَّ بصره عن المحارم ، وأمسك نفسه عن الشهوات ، وعمَّر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنَّة ، وعود نفسه أكل الحلال لم تخطئ له فِرَاسَة (٢) .

الخامس : صوم اللسان ، ويكون بصونه عن الكذب والغيبة والنميمة ، وتجنُّب الفحش والسبِّ وبذاءة اللسان والجفاء والخصومة والمراء ، والبعد عن اللعن والسَّخْرِيَّة والاستهزاء وإلزامه السُّكُوت ، وتعاهده بالتهذيب والتأديب وتعويده حسن القول ، وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن ، فهذا صوم اللسان . قال عَلَيْهِ : " الصيام جُنَّة (٣) ، فلا يرفث (٤) ولا يجهل . وإن امرؤ قاتله أو شاتمته فليقل : إني صائم - مرتين - " (٥) .

وليس الصيام بالجوع والعطش ، وإنما الصيام من اللغو وقول الزور ، قال عَلَيْهِ : " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " (٦) .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین ، کتاب الرقاق (٧٨٧٥) : ٤ / ٣٤٩ . قال الحاكم : هذا صحیح الإسناد ولم یخرجه . عن حذیفة عَلَيْهِ . قال الذهبي : إسحاق بن عبد الواحد القرشي واه . وعبد الرحمن هو الواسطي ضعُفوه . وقال العجلوني : " رواه الحاكم وصحَّحه ، تركه العراقي وضعفه المنذري عن حذیفة ، وأخرجه الطبراني عن ابن مسعود ، ومن شواهد ما عند البيهقي وغيره ، قال المنذري : ورواهم لا أعلم فيهم مجروحاً عن ابن مسعود عَلَيْهِ " . اهـ . انظر : كشف الخفاء : ٢ / ٤٣٧ .

(٢) مفتاح الجنة لعبد الرحمن السيوطي : ٧٢ .

(٣) والجُنَّة - بضم الجيم - : الوقاية والستر ، وجرم ابن عبد البر أنه الستر من النار . وقيل : معنى كونه جُنَّة أي : يقى صاحبه ما يؤذيه من الشهوات . وقال القرطبي : جُنَّة أي : سترة ، يعني بحسب مشروعيته ، فينبغي للصائم أن يصونه مما يفسده وينقص ثوابه ، وإليه الإشارة بقوله : " فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ... الخ " . وقال عياض : معناه ستره من الآثام أو من النار أو من جميع ذلك وبالأخير جرم النووي . انظر : التمهيد لابن عبد البر : ١٦ / ١٥٢ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ٨ / ٣٠ ، ٣١ ، فتح الباري : ٤ / ١٠٤ .

(٤) الرَّفَثُ لغة : الجماع وغيره مما يكون بين الرجل وامرأته ، يعني التقبيل والمغازلة ونحوهما ، مما يكون في حالة الجماع ، وأصله قول الفحش . ورفَثَ في كلامه يرثُثُ رفثاً ، ورفَثَ رفثاً ، ورفَثَ ، بالضم عن اللحياني ، وأرفَثَ ، كلُّهُ : أرفَثَ . والرَّفَثُ : التعريض بالنكاح . وقال غيره : الرَّفَثُ كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة . انظر : لسان العرب (مادة : رفث) : ٢ / ١٥٣ ، ١٥٤ . القاموس المحيط : ١٤٠٤ .

(٥) جزء من حديث أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الصوم ، باب فضل الصوم (١٧٩٥) : ٢ / ٦٧٠ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الصيام ، باب حفظ اللسان للصائم (١١٥١) : ٢ / ٨٠٦ . كلاهما عن أبي هريرة عَلَيْهِ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم (١٨٠٤) : ٢ / ٦٧٣ . عن أبي هريرة عَلَيْهِ .

السادس : صوم الأذن كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه ، لأن كل ما حُرِّم قوله حُرِّم الإصغاء إليه ، ولذلك سوى الله ﷻ بين المستمع للكذب واكل السحت . فقال تعالى : ﴿ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ . [سورة المائدة : ٤٢] . وقال ﷻ : ﴿ لَوْلَا يَهْتَهُمُ الرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ . [سورة المائدة : ٦٣] . فالسُّكوت على الغيبة حرام . وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَتُشْهَرُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ ﴾ . [سورة النساء : ١٤٠] .

وللأبرار صيامٌ عظيمٌ عن سماع ما يغضب الله في رمضان وفي غيره ، والصالحون هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، فهم يحرصون على الاستماع لدروس العلم النافع والمواعظ الحسنة ، وسماع آيات القرآن ، ويعرضون عن اللغو . قال تعالى في صفات عباد الرحمن : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ . [سورة الفرقان : ٧٢] .

السابع : كفُّ بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل عن المكاره في نهار رمضان وليله فلا معنى للصَّوم - وهو الكفُّ عن الطعام الحلال - ثمَّ الإفطار على الحرام ، والحرام سَمٌّ مهلكٌ للدين ، قال ﷻ : " رُبُّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ ، وَرُبُّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ " (١) .

" قيل : هو الذي يفطر على الحرام . وقيل : هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة ؛ وهو حرام . وقيل : هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام " (٢) .
فالمقصود من إيجاب الصوم ومشروعيته ليس نفس الجوع والعطش ؛ بل ما يتبعه من كسر الشهوات وإطفاء نائرة الغضب ، وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة ، فإذا لم يحصل له

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ، آداب الصائم ، ما ينهى عنه الصائم من قول الزور والغيبة (٣٢٤٩) : ٢ / ٢٣٩ ، وأخرج ابن ماجه بمثله في كتاب الصيام ، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم (١٦٩٠) : ١ / ٥٣٩ . عن أبي هريرة ؓ ، وأخرج أحمد بنحوه في مسند أبي هريرة ؓ (٨٨٤٣) : ٢ / ٣٧٣ ، وأخرج الحاكم بنحوه وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . انظر : المستدرک علی الصحیحین ، کتاب الصوم (١٥٧١) : ١ / ٥٩٦ .

(٢) الإحياء : ١ / ٢٣٤ .

شيء من ذلك ، ولم يكن له من صيامه إلاّ الجوع والعطش لم يبال الله تعالى بصومه ، ولم ينظر إليه نظر قبول (١) .

الثامن : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلىء جوفه ؛ فما من وعاء أبغض إلى الله ﷻ من بطن مليء من حلال ، وكيف يستفاد من الصّوم قهر عدوّ الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاتته ضحوة نهاره ، وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان ، فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر ، ومعلوم أنّ مقصود الصّوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى ، وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها ، وتضاعفت قوتها ، وانبعثت من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها ، فروح الصّوم وسرّه تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ، ولن يحصل ذلك إلاّ بالتقليل ، وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم ، فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلاً لم ينتفع بصومه ؛ بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار ؛ حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى ؛ فيصفو عند ذلك قلبه ، ويستديم في كل ليلة قدرًا من الضعف حتى يخفّ عليه همّجده وأوراده ، ويقوى على عبادة ربّه ، ومن أحلى معدته فلا يكفيه ذلك لصفاء قلبه ما لم يخل همّته عن غير الله ﷻ وذلك هو جماع الأمر كلّ ، ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام .

التاسع : أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقاً بين الخوف والرجاء ؛ إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين ، أو يردّ عليه فهو من الممقوتين ! . وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها (٢) .

(١) شرح سنن ابن ماجه لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : ١٢١ . نقلًا عن البيضاوي .

(٢) انظر : الإحياء : ١ / ٢٣٥ . بتصرف يسير .

العاشر : تأخير السحور وتعجيل الفطر : تتحقق الخيرية لأمة محمد ﷺ بتعجيل الفطر عند صيامهم . قال ﷺ : " لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر " (١) .

قال النووي (٢) : " فيه الحثُّ على تعجيله بعد تحقق غروب الشمس ، ومعناه : لا يزال أمر الأمة منتظماً وهم بخير ما داموا محافظين على هذه السنة ، وإذا أخره كان ذلك علامة على فساد يقعون فيه " . اهـ (٣) .

وقال ﷺ : " لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر ؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون " (٤) .

قال ابن تيمية (٥) : " وهذا نصٌّ في ندب تعجيل الفطر لأجل مخالفتهم ، وإذا كانت مخالفتهم سبباً لظهور الدين ؛ فإنما القصد بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله فتكون نفس مخالفتهم من أعظم مقاصد البعثة " . اهـ (٥) .

ويستحبُّ السحور لقوله ﷺ : " تسحروا فإن في السحور بركة " (٦) . وهو الفارق والمميز بين صيامنا وصيام أهل الكتاب ؛ فإنهم لا يتسحرون ونحن يستحبُّ لنا السحور ، قال ﷺ : " فصلٌ ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر " (٧) . ويستحبُّ تأخيره

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ، باب تعجيل الإفطار (١٨٥٦) : ٢ / ٦٩٢ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الصيام ، باب فضل السحور (١٠٩٨) : ٢ / ٧٧١ . كلاهما عن سهل بن سعد ؓ .

(٢) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم : ٢٠٨ / ٧ .

(٤) أخرجه أبو داود - واللفظ له - في كتاب الصوم ، باب ما يستحب من تعجيل الفطر (٢٣٥٣) : ٢ / ٣٠٥ ، وأخرج النسائي بنحوه في السنن الكبرى في كتاب الصيام ، باب الترغيب في تعجيل الفطر (٣٣١٣) : ٢ / ٢٥٣ ، وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب الصيام ، باب ما جاء في تعجيل الإفطار (١٦٩٨) : ١ / ٥٤٢ ، وأخرج أحمد بنحوه في مسند أبي هريرة ؓ (٩٨٠٩) : ٢ / ٤٥٠ . كلهم عن أبي هريرة ؓ . وصحَّحه ابن حبان وابن خزيمة والحاكم . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وقال ابن عبد البر : أخبار تعجيل الفطر وتأخير السحور صحاح متواترة . انظر : فتح الباري : ٤ / ١٩٩ ، فيض القدير : ٦ / ٣٩٥ ، نيل الأوطار محمد بن علي الشوكاني : ٤ / ٣٠٠ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٥) انظر : فيض القدير : ٤ / ٣٠٧ . نقلاً عن ابن تيمية . (بحث فلم أقف على قول ابن تيمية هذا في أي من كتبه) .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ، باب بركة السحور (١٨٢٣) : ٢ / ٦٧٨ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الصيام ، باب فضل السحور وتأكيده استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر (١٠٩٥) : ٢ / ٧٧٠ . كلاهما عن أنس ؓ .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الصيام ، باب فضل السحور وتأكيده استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر (١٠٩٦) : ٢ / ٧٧٠ . عن عمرو بن العاص ؓ .

فعن زيد بن ثابت ^(١) قال : " تسحرنا مع النبي ﷺ ، ثم قام إلى الصلاة ، قلت : كم كان بين الأذان والسحور ؟ قال : قدر خمسين آية " ^(٢) .
قال التَّووي ^(٣) : " وفيه الحث على تأخير السحور إلى قبيل الفجر " . اهـ ^(٤) .

الحاجي محشر : كثرة القراءة والذكر والدعاء والصلاة والصدقة :

عن ابن عباس ^(٥) قال : " كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة " ^(٦) ^(٧) .

" قيل : الحكمة فيه أن مدارس القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس ، والغنى سبب الجود والجود في الشرع : إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي ؛ وهو أعم من الصدقة ، وأيضاً فرمضان موسم الخيرات ؛ لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره ، فكان النبي ﷺ يؤثر متابعة سنة الله في عباده ، فبمجموع ما ذكر من الوقت والمتروك به والنازل والمذاكرة حصل المزيد في الجود ، والعلم عند الله تعالى .

وعبر بـ " المرسله " إشارة إلى دوام هبوها بالرحمة ، وإلى عموم النفع بجوده كما تعمُّ الريح المرسله جميع ما تمب عليه " ^(٨) .

^(١) هو زيد بن ثابت بن الضحَّك الأنصاري ، أبو خارجه : صحابي جليل ، من أكابرهم ، كان كاتب الوحي وأحد الذين جمعوا القرآن سنة ٤٥ هـ . انظر : صفة الصفوة : ١ / ٧٠٤ ، العبر في خير من غير : ١ / ٥٣ ، البداية والنهاية : ٥ / ٣٤٦ ، الإصابة : ٥٩٢ / ٢ .

^(٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الصوم ، باب قدر كم بين السحور وصلاة الفجر (١٨٢١) : ٢ / ٦٧٨ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الصيام ، باب فضل السحور وتأكيده واستجابته واستجاب تأخيرته وتعجيل الفطر (١٠٩٧) : ٢ / ٧٧١ .

^(٣) سبق ترجمته في ص ١٥ .

^(٤) شرح النووي على صحيح مسلم : ٧ / ٢٠٨ .

^(٥) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

^(٦) الريح المرسله : أي المطلقة المخلاة على طبعها ، والريح لو أرسلت على طبعها لكانت في غاية الهبوب ، وفيه استعمال صيغة التفضيل " أفعل " ، وفيه المبالغة بزيادة الأجدية له ﷺ على الريح المرسله مطلقاً . انظر : فتح الباري : ١ / ٣١ ، ٩ / ٤٥ ، حاشية السندي لنور الدين بن عبد الهادي السندي : ٤ / ١٢٥ .

^(٧) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة (٣٠٤٨) : ٣ / ١١٧٧ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الفضائل ، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسله (٢٣٠٨) : ٤ / ١٨٠٣ .

^(٨) فتح الباري : ١ / ٣١ ، وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ١٥ / ٦٩ .

قال ابن السمنير^(١) : " وجه التّشبيه بين أجوديته ﷺ بالخير وبين أجوديّة الريح المرسلّة أن المراد بالريّح ريح الرحمة التي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام ؛ الذي يكون سبباً لإصابة الأرض الميتة وغير الميتة ، أي : فيعم خيره وبرّه من هو بصفة الفقر والحاجة ومن هو بصفة الغنى والكفاية أكثر مما يعم الغيث الناشئة عن الريح المرسلّة ﷺ " . اهـ (٢) .

والأبرار يقتدون بنبيهم ﷺ ويكثرّون من الصدقة في هذا الشهر الكريم ، ويعمّون بخيرهم القريب والبعيد ، والفقر ذا الحاجة والغني ذا الكفاية ، ومن هذا الخير إفطار صائم . قال ﷺ : " من فطّر صائماً فله أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً " (٣) .

قال النووي^(٤) :

" وفي هذا الحديث فوائدٌ منها : بيان عظم جوده ﷺ ، ومنها استحباب إكثار الجود في رمضان ، ومنها زيادة الجود والخير عند ملاقة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلبقائهم ومنها استحباب مدارس القرآن " . اهـ (٥) .

وقال ابن حجر^(٦) في فوائد هذا الحديث :

" واستحباب الإكثار من القراءة في رمضان وكونها أفضل من سائر الأذكار ؛ إذ لو كان الذكر أفضل أو مساوياً لفعلاً ، فإن قيل : المقصود تجويد الحفظ . قلنا : الحفظ كان حاصلًا والزيادة فيه تحصل ببعض المجالس " . اهـ (٧) .

(١) هو أحمد بن محمد بن منصور زين الدين ابن المنير السكندري : من علماء الإسكندرية وأدبائها ، وبرع في الفقه والأصول والنظر العربية والبلاغة ، ولي قضاءها وخطابتها مرتين ، له تصانيف منها : تفسير ، وديوان خطب ، وتفسير حديث الإسراء ، وحاشية الانتصاف من الكشاف . ت سنة ٦٨٣ هـ . انظر : النجوم الزاهرة : ٧ / ٣٦٣ ، طبقات المفسرين ٢ : ١ / ٢٥٢ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣٨١ .

(٢) فتح الباري : ٤ / ١١٦ .

(٣) أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب الصوم ، باب ما جاء في فضل من فطّر صائماً (٨٠٧) : ٣ / ١٧١ ، وأخرج النسائي في السنن الكبرى بنحوه في كتاب الصيام ، باب ثواب من فطّر صائماً (٣٣٣٠) : ٢ / ٢٥٦ ، وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب الصيام ، باب في ثواب من فطّر صائماً (١٧٤٦) : ١ / ٥٥٥ ، وأخرج الدارمي بنحوه في كتاب الصوم ، باب الفضل لمن فطّر صائماً (١٧٠٢) : ٢ / ١٤ . كلهم عن زيد بن خالد الجهني ﷺ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٥ / ٦٩ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٧٣ .

(٧) فتح الباري : ١ / ٣١ .

وذلك لأنه شهر القرآن ، قال الله ﷻ : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ . [سورة البقرة : ١٨٥] . وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ . [سورة القدر : ١] . (١)
قال النووي (٢) :

" وقد كانت للسلف عاداتٌ مختلفةٌ فيما يقرءون كلَّ يومٍ بحسبِ أحوالهم وأفهامهم ووظائفهم فكان بعضهم يختم القرآن في كلِّ شهر ، وبعضهم في عشرين يوماً وبعضهم في عشرة أيام وأكثرهم في سبعة ، وكثير منهم في ثلاثة ، وكثير في كل يوم وليلة وبعضهم في كل ليلة ، وبعضهم في اليوم والليلة ثلاث ختمات ، وبعضهم ثمان ختمات والمختار أنه يستكثر منه ما يمكنه الدوام عليه ، ولا يعتاد إلا ما يغلب على ظنه الدوام عليه في حال نشاطه وغيره ، هذا إذا لم تكن له وظائف عامة أو خاصة يتعطل بإكثار القرآن عنها ، فإن كانت له وظيفة عامة كولاية وتعليم ونحو ذلك فليوظف لنفسه قراءة يمكنه المحافظة عليها مع نشاطه وغيره ، من غير إخلال بشيء من كمال تلك الوظيفة وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف . والله أعلم " . اهـ (٣) .
والصائم يُكثر من الدعاء ، فدعوته لا تردّ حتى يفطر . قال ﷺ : " ثلاثة لا تردّ دعوتهم :
الصائم حتى يفطر (٤) ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم " (٥) .

(١) انظر : شعب الإيمان : ٢ / ٣٢١ ، ٤١٤ ، فتح الباري : ١ / ٣١ .

(٢) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم : ٨ / ٤٢ ، ٤٣ .

(٤) " ثلاثة لا ترد دعوتهم " : أي لكل منهم دعوة دعا بها ؛ مع توفر الأركان والشروط وصدق النية ، " دعوة الصائم " دلّ مما قبله على حذف مضاف ، أي : دعوة الإنسان في حال تلبسه بالصوم حتى يفطر ، أي إلى أن يتناول مفطراً ، ويحتمل إلى أن يدخل وقت إفطاره وإن لم يفطر بالفعل . وللصائم دعوة مستجابة عند فطره : عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال : قال ﷺ : " إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد " . وكان عبد الله بن عمر ﷺ يقول إذا أفطر : " اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي " . وحديث عبد الله بن عمرو أخرجه ابن ماجه والحاكم لكن إسناده ضعيف كما قال ابن القيم ، وعند الخنابلة يؤخذ بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال بشروط ثلاثة - كما قال ابن حجر - :

١ - أن يكون الضعف غير شديد .

٢ - أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به .

٣ - أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته ، بل يعتقد الاحتياط . انظر : تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج لعمر بن علي بن أحمد الوادياشي الأندلسي : ٢ / ٩٧ ، تدريب الراوي لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : ١ / ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، فيض القدير : ٣ / ٣٠٠ .

(٥) جزء من حديث أخرجه الترمذي - وحسنه - في كتاب الدعوات ، باب في العفو والعافية (٣٥٩٨) : ٥ / ٥٧٨ . عن أبي هريرة

الثاني عشر : صلاة التراويح ^(١) : قيام رمضان أو التراويح سنة مؤكدة للرجال والنساء تؤدى بعد صلاة العشاء ^(٢) .

عن أبي هريرة ^(٣) قال : كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة ^(٤) ، فيقول : " من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه " ، فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك ، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرأ من خلافة عمر على ذلك . وقد رغّب فيها رسول الله ﷺ من غير أن يأمر الناس بعزيمة " ^(٥) . قال النووي ^(٦) : " معنى إيماناً : تصديقاً بأنه حقٌ معتقداً أفضليته ، ومعنى احتساباً : أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس ؛ ذلك مما يخالف الإخلاص " . اهـ ^(٧) .

وتشرع الجماعة ^(٨) في قيام رمضان ؛ بل هي أفضل من الانفراد لإقامة النبي ﷺ لها بنفسه وبيانه لفضلها بقوله ، كما في حديث أبي ذر ^(٩) قال : " صُمننا مع رسول الله ﷺ رمضان ، فلم يقم بنا شيئاً من الشهر حتى بقي سبع فقام بنا ، حتى ذهب ثلث الليل ، فلما

(١) التراويح جمع ترويجة ، وهي المرة الواحدة من الراحة ، كسليمة من السلام ، وسميت الصلاة في الجماعة في ليالي رمضان التراويح لأنهم أول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين . انظر : فتح الباري : ٤ / ٢٥٠ .

(٢) انظر : المغني : ١ / ٤٥٥ .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ١٤٣ .

(٤) يأمر بعزيمة : أي أن يوجهه ، بل أمر ندب وترغيب . انظر : شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني : ١ / ٣٣٧ .

(٥) أخرجه البخاري مختصراً بلفظ : " من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه " في كتاب الإيمان ، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان (٣٧) : ١ / ٢٢ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (٧٥٩) : ١ / ٥٢٣ . كلاهما عن أبي هريرة ^(٦) .

(٦) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم : ٦ / ٣٩ .

(٨) اختلف العلماء في أن الأفضل صلاحاً منفرداً في بيته أم في جماعة في المسجد :

• فقال الشافعي وجمهور أصحابه وأبو حنيفة وأحمد وبعض المالكية وغيرهم : الأفضل صلاحاً جماعة ، كما فعله عمر بن الخطاب والصحابة ^(٩) واستمر عمل المسلمين عليه ؛ لأنه من الشعائر الظاهرة فأشبهه صلاة العيد .

• وقال مالك وأبو يوسف وبعض الشافعية وغيرهم : الأفضل فرادى في البيت ، لقوله ^(٩) : " أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة " أخرجه البخاري . انظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ٦ / ٣٩ ، ٤٠ .

(٩) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٢ .

كانت السادسة لم يقم بنا (١) ، فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل فقلت : يا رسول الله ، لو نفلتنا قيام هذه الليلة ؟ فقال : " إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسْبَ لَهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ " . قال : فلما كانت الرابعة لم يقم ، فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح ، قال : قلت : ما الفلاح ؟ قال : السَّحُور ، ثم لم يقم بنا بقيَّة الشهر " (٢) .

في هذا الحديث ترغيبٌ في صلاة التراويح جماعة مع الإمام إلى أن ينصرف ، فمن صَلَّى معه حتى ينصرف حصل له قيام ليلة تامة ، والأبرار يحرصون على الاستكثار من الأجر والخير . والمؤمنة التقيَّة تأتي لصلاة التراويح مسترَّة متحجبة ، غير متبرجة ولا متطيبة ، ولا رافعة صوتاً ولا مبدية لزيينة ، والسنة للنساء أن يتأخرن عن الرجال ويتعدن عنهم ، بيدأن بالصف المؤخر فالمؤخر عكس الرجال ، لقوله ﷺ : " خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوْلَاهَا ، وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا ، وَشَرُّهَا أَوْلَاهَا " (٣) .

الثالث عشر : قيام ليلة القدر (٤) : ليلة القدر هي أفضل ليالي رمضان ، وهي أيضاً أفضل ليالي العام ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ . [سورة القدر : ١ - ٣] .

(١) امتنع النبي ﷺ من الاستمرار بالجماعة فيه خشية أن تفرض عليهم صلاة التراويح ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : " صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلِ الثَّلَاثَةِ ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ : " قَدْ رَأَيْتَ الَّذِي صَنَعْتُمْ ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَبِي خَشِيتُ أَنْ يَفْرُضَ عَلَيْكُمْ " وذلك في رمضان . متفق عليه .

(٢) أخرجه أبو داود - واللفظ له - في كتاب الصلاة ، باب في قيام شهر رمضان (١٣٧٥) : ٢ / ٥٠ ، وأخرج الترمذي بنحوه في كتاب الصوم ، باب ما جاء في قيام شهر رمضان (٨٠٦) : ٣ / ١٦٩ ، وأخرج النسائي بمثله في السنن الكبرى في كتاب صفة الصلاة باب ثواب من صلى مع الإمام حتى ينصرف (١٢٨٧) : ١ / ٤٠٦ ، وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في قيام شهر رمضان (١٣٢٧) : ١ / ٤٢٠ ، وأخرج أحمد بن حنبل بنحوه في مسند أبي ذر رضي الله عنه (٢١٤٥٧) : ٥ / ١٥٩ (٢١٤٨٥) : ٥ / ١٦٣ ، وأخرج الدارمي بمثله في كتاب الصوم ، باب في فضل قيام شهر رمضان (١٧٧٧) : ٢ / ٤٢ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف وإقامتها (٤٤٠) : ١ / ٣٢٦ . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) معنى ليلة القدر : ليلة تقدير الأمور وقضائها ، والقدر بمعنى التقدير ، أو سُميت بذلك لشرفها على سائر الليالي . انظر : تفسير البغوي : ٤ / ٥٠٩ ، تفسير النسفي : ٤ / ٣٥٠ .

وفي هذه السورة فضائل متعددة لهذه الليلة المباركة منها :

الأولى : أن الله أنزل فيها القرآن الذي فيه هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

الثانية : ما يدل عليه الاستفهام من التفخيم والتعظيم لشأنها ، وعلو قدرها ورفعته والتشويق

إلى خيرها في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ [سورة القدر : ٢] .^(١)

الثالثة : أنها خير من ألف شهر^(٢) .

الرابعة : أن الملائكة تنزل فيها بالخير والبركة والرحمة .

الخامسة : ﴿ سَلَّمَ هِيَ ﴾ [سورة القدر : ٥] . أي : هي خيرٌ كلها ، ليس فيها شرٌّ إلى مطلع

الفجر^(٣) .

قال ابن الجوزي^(٤) : " وفي معنى السَّلام قولان :

أحدهما : أنه لا يحدث فيها داءٌ ولا يُرسل فيها شيطان ، قاله مجاهد^(٥) .

والثاني : أن معنى السَّلام الخير والبركة ، قاله قتادة^(٦) . وكان بعض العلماء يقول : الوقف

على ﴿ سَلَّمَ ﴾ على معنى : تنزل الملائكة بالسَّلام " . اهـ^(٧) . أي : تسليم الملائكة ليلة

القدر على أهل المساجد حتى يطلع الفجر^(٨) .

ومن فضائل ليلة القدر ما قاله ﷺ : " من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من

ذنبه " ^(٩) .

(١) انظر : تفسير الواحدي : ١٢١٩ / ٢ ، زاد المسير : ١٩١ / ٩ ، أضواء البيان : ٣٤ / ٩ .

(٢) أي أن ليلة القدر تعدل في الزمن فوق ثلاث وثمانين سنة ، أي فوق متوسط أعمار هذه الأمة .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير : ٥٣٢ / ٤ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٤٣ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٧) زاد المسير : ١٩٤ / ٩ .

(٨) انظر : تفسير ابن كثير : ٥٣٢ / ٤ .

(٩) جزء من حديث أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الصوم ، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً (١٨٠٢) : ٦٧٢ / ٢ .

وأخرج مسلم بنحوه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (٧٦٠) : ٥٢٣ / ١ . كلاهما

عن أبي هريرة رضي الله عنه .

قال النووي (١) : " وقيام ليلة القدر لمن وافقها وعرفها سببٌ للغفران ؛ وإن لم يقم غيرها " . اهـ (٢) .

ويحتمل أن يكون المراد يوافقها في نفس الأمر ، وإن لم يعلم هو ذلك ، لأن النبي ﷺ لم يشترط العلم بها في حصول هذا الأجر . قال ابن حجر (٣) : " ولا أنكر حصول الثواب الجزيل لمن قام لابتغاء ليلة القدر وإن لم يعلم بها ولو لم توافق له ، وإنما الكلام على حصول الثواب المعين الموعود به ، وفرعوا على القول باشتراط العلم بما أنه يختص بها شخص دون شخص ، فيكشف لواحد ولا يكشف لآخر ولو كانا معاً في بيت واحد " . اهـ (٤) .

متى تكون ليلة القدر ؟

اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافاً كثيراً ، وتحصّل من مذاهبهم في ذلك أكثر من أربعين قولاً ، وأرجحها كلّها أنّها في وتر من العشر الأخير ، وإنها تنتقل كما يفهم من الأحاديث وأرجحها أوتار العشر ، وأرجى أوتار العشر عند الجمهور ليلة سبع وعشرين (٥) .

قال ﷺ : " تحرّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان " (٦) . وقال ﷺ : " من كان متحرّياً فليتحرّها ليلة سبع وعشرين " (٧) .

وقد أخفى الله سبحانه علمها على العباد رحمة بهم ؛ ليكثر عملهم في طلبها في تلك الليالي الفاضلة بالصلاة والذكر والدعاء والاستغفار فيزدادوا قربة من الله وثواباً ، وأخفاها اختباراً لهم أيضاً ليتبيّن بذلك من كان جاداً في طلبها حريصاً عليها ممن كان كسلاناً متهاوناً .

(١) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٢) رجّح النووي بقوله هذا شرط العلم بليلة القدر وموافقها ووافق ابن حجر والزرقاني . انظر : شرح النووي على صحيح مسلم :

٦ / ٤١ ، فتح الباري : ٤ / ٢٦٧ ، شرح الزرقاني : ٢ / ٢٩٦ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٧٣ .

(٤) فتح الباري : ٤ / ٢٦٧ .

(٥) فتح الباري : ٤ / ٢٦٢ - ٢٦٦ . بتصرف .

(٦) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب صلاة التراويح ، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر فيه عن عبادة

(١٩١٣) : ٢ / ٧١٠ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الصيام ، باب فضل ليلة القدر (١١٦٩) : ٢ / ٨٢٨ . كلاهما عن عائشة

- رضي الله عنها - .

(٧) أخرجه أحمد في مسند ابن عمر ﷺ (٤٨٠٨) : ٢ / ٢٧ . قال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . انظر : مجمع

الزوائد : ٣ / ١٧٦ .

قال ابن حجر : " قال العلماء : الحكمة في إخفاء ليلة القدر ليحصل الاجتهاد في التماسها بخلاف ما لو عيّنت لها ليلة لاقتصر عليها " . اهـ (١) .

أمارات ليلة القدر :

وأما رُحْمَا أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها (٢) . وعن رؤية علامة (٣) تظهر لمن وقفت له هذه الليلة ، قال ابن المنير (٤) في الحاشية (٥) : " ولا نعتقد أن ليلة القدر لا ينالها إلا من رأى الخوارق ؛ بل فضل الله واسع ، ورب قائم تلك الليلة لم يحصل منها إلا على العبادة من غير رؤية خارق ، وآخر رأى الخارق من غير عبادة ، والذي حصل على العبادة أفضل ، والعبرة إنما هي بالاستقامة ؛ فإنه تستحيل أن تكون إلا كرامة بخلاف الخارق فقد يقع كرامة وقد يقع فتنة ، والله أعلم " . اهـ (٦) .

ويستحب كتمان ليلة القدر لمن رآها ، ووجه الدلالة أن الله قدر لنبيه أنه لم يخبر بها ، والخير كله فيما قدر له فيستحب أتباعه في ذلك (٧) .

مما تقدّم نلاحظ أن هناك أعمالاً يقوم بها الصائم في رمضان تكون سبباً في مغفرة ما تقدّم من ذنوبه وهي : ١ - صوم رمضان إيماناً واحتساباً .

(١) فتح الباري : ٤ / ٢٦٦ .

(٢) ذكر ذلك في حديث أخرجه مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم . انظر : صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان (٧٦٢) : ١ / ٥٢٥ . وقد ورد ليلة القدر علامات أكثرها لا تظهر إلا بعد أن تمضي منها ، والوارد في صحيح مسلم ما خرجته . وورد بعض علامات ليلة القدر في أحاديث أخرى منها : ما أخرجه ابن خزيمة من حديثه مرفوعاً : " ليلة القدر طلقة لا حارة ولا باردة ، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة " . ولأحمد من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً : " أنها صافية بلجة كأن فيها قمراً ساطعاً ، ساكنة صاحبة لا حرّ فيها ولا برد ، ولا يحل لكوكب يرمي به فيها ، ومن إماراتها أن الشمس في صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ " . ولابن أبي شيبة من حديث ابن مسعود أيضاً : " أن الشمس تطلع كل يوم بين قرني شيطان إلا صبيحة ليلة القدر " . وله من حديث جابر بن سمرة مرفوعاً : " ليلة القدر ليلة مطر وريح " . ولابن خزيمة عن أبي هريرة مرفوعاً : " وأن الملائكة تلك الليلة أكثر في الأرض من عدد الحصى " . وذكر الطبري عن قوم أن الأشجار في تلك الليلة تسقط إلى الأرض ثم تعود إلى منابتها . وأن كل شيء يسجد فيها . انظر : فتح الباري : ٤ / ٢٦٠ .

(٣) اختلف العلماء هل ليلة القدر علامة تظهر لمن وقفت له أم لا ؟ فقليل : يرى كل شيء ساجداً . وقيل : الأنوار في كل مكان ساطعة ، حتى في المواضع المظلمة . وقيل : يسمع سلاماً أو خطاباً من الملائكة . وقيل : علامتها استجابة دعاء من وقفت له . واختار الطبري أن جميع لازم ، وأنه لا يشترط حصولها رؤية شيء ولا سماعه . انظر : فتح الباري : ٤ / ٢٦٦ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٢٢٤ .

(٥) حاشية الانتصاف من الكشاف .

(٦) ذكره ابن حجر نقلاً عن ابن المنير . انظر : فتح الباري : ٤ / ٢٦٧ .

(٧) ذكر هذا القول ابن حجر نقلاً عن السبكي . انظر : فتح الباري : ٤ / ٢٦٨ .

٢ - قيام رمضان - أي صلاة التراويح - إيماناً واحتساباً .

٣ - قيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً .

فاشترط للصيام والقيام الإيمان والاحتساب ، وهي أعمالٌ قلبيةٌ وليست عملية ، يعقد فيها الصائم النيّة فيها على نيل رضى ربّه وابتغاء الأجر والثوبة ، وإلّا لم يكن صيامه وقيامه سبباً في غفران ذنوبه ، والمتقون الأبرار يفطنون لهذا ، فقلوبهم معلّقة بخالقهم ، يتذكرون ويذكرون أنفسهم دائماً بالإيمان واحتساب الأجر مهما وجدوا من مشقةٍ وعناء في صومهم فلا يتأفّفون ولا يضحرون ، فهم يعلمون أنّ الأجر على قدر المشقة ، يصومون يوماً شديداً الحرّاً ليتقوا به حرّاً جهنم ؛ بل ويستعذبون ما يلاقون مادام أنه في رضى مولاهم ، ويشعرون بنعمة الله عليهم ويحسّون بجوع الفقير ويتعاطفون معه ، فتسحو أنفسهم له . قال تعالى :

﴿ إِنِّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [سورة الكهف : ٣٠] . فالأبرار يحرصون ويجتهدون في الطاعات في رمضان ، وعلى الأخصّ في العشر الأواخر منها ليظفروا بالأجر الجزيل وغفران الذنوب ، ويكثرّون من دعاء ليلة القدر :

" اللهم إنك عفوٌّ كريمٌ تحبُّ العفو فاعف عني " (١) . ويسألون الله المغفرة والعق من النار .

عن عائشة (٢) - رضى الله عنها - قالت : " كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره " (٣) . وعن عائشة (٤) : " كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شدّ معزّره (٤) وأحيا ليله ، وأيقظ أهله " (٥) .

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي - واللفظ له بزيادة " كريم " - في كتاب الدعوات ، باب ٨٥ (٣٥١٣) : ٥ / ٥٣٤ ، وأخرج النسائي بنحوه في السنن الكبرى في كتاب قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ ، ذكر أسماء الله تعالى وتبارك (٧٧١٢) : ٤ / ٤٠٧ ، وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب الدعاء ، باب الدعاء بالعفو والعافية (٣٨٥٠) : ٢ / ١٢٦٥ ، وأخرج أحمد بنحوه في مسند عائشة - رضى الله عنها - (٢٥٤٢٣) : ٦ / ١٧١ . كلهم عن عائشة - رضى الله عنها - . قال الترمذي : قال هذا حديث حسن صحيح .

(٢) صحابية جليبة وأم المؤمنين ، انظر : ص ٦٤ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الاعتكاف ، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان (١١٧٥) : ٢ / ٨٣٢ .

(٤) المفترز هو الإزار ، ونظيره ملحف ولحاف . انظر : النهاية : ١ / ٤٤ ، فيض القدير : ٥ / ١٣٢ .

(٥) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب صلاة التراويح ، باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس (١٩٢٠) : ٢ / ٧١١

و أخرجه مسلم بنحوه في كتاب الاعتكاف ، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان (١١٧٤) : ٢ / ٨٣٢ .

اختلف العلماء في معنى " شدّ المئزر " :

- فقيل : هو الاجتهاد في العبادات زيادة على عادته ﷺ في غيره ، ومعناه : التّشمير في العبادات ، يقال : شدت لهذا الأمر مئزري ، أي : تشمّرت له وتفرّغت .
- وقيل هو كناية عن اعتزال النساء للاشتغال بالعبادات .

" وأحيا ليله " : أي ترك النوم وسهره فأحياه بالطّاعة ، وأحيا نفسه بسهره فيه ؛ لأن النوم أخو الموت وأضافه إلى الليل اتساعاً إذا حيي باليقظة ؛ أي : أحيا ليله ^(١) بحياته بالعبادات ^(٢) . وظاهر هذا الحديث أنه ﷺ كان يحيي الليل كلّه في عبادة ربه من الذكر والقراءة والصلاة والاستعداد لذلك والسحور وغيرها ، بهذا يحصل الجمع بينه وما بين الحديث الصّحيح عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : " وما رأيت رسول الله ﷺ قام ليلة حتى الصباح " ^(٣) . لأنّ إحياء الليل الثابت في العشر يكون بالقيام وغيره من أنواع العبادة ، والذي نفت إحياء الليل بالقيام فقط ، والأبرار يغتنمون موسم الخيرات والنفحات الإيمانية في ليالي رمضان المباركة ، فيستيقظون ويوقظون أهلهم ليحيوا الليل بالصلاة والعبادة ، فلعلهم يفوزون برضوان ربهم ، ويدركون بها سعادة الدارين .

الرابع عشر : الاعتكاف : من خصائص العشر الأواخر أن النبي ﷺ كان يعتكف فيها فعن عائشة - رضي الله عنها - : " أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ، ثم اعتكف أزواجه من بعده " ^(٤) .

^(١) حكم إحياء الليل كلّه : قال النووي : " وأما نهي ﷺ عن صلاة الليل كله فهو على إطلاقه ، وغير مختص به ؛ بل قال أصحابنا : يكره صلاة كل الليل دائماً لكل أحد ، وفرقوا بينه وبين صوم الدهر في حق من لا يتضرر به ، ولا يفوت حقاً بأن في صلاة الليل كلّه لا بد فيه من الاضرار بنفسه وتفويت بعض الحقوق ؛ لأنه إن لم ينم بالنهار فهو ضرراً ظاهراً ، وإن نام نوماً ينحجر به سهره فوت بعض الحقوق ؛ بخلاف من يصلي بعض الليل فإنه يستغنى بنوم باقيه ، وإن نام معه شيئاً في النهار كان يسيراً لا يفوت به حق ، وكذا من قام ليلة كاملة كليلة العيد أو غيرها لا دائماً لا كراهة فيه لعدم الضرر والله أعلم . وقال أيضاً : وأما قول أصحابنا يكره قيام الليل كله فمعناه الدوام عليه ، ولم يقولوا بكراهة ليلة وليلتين والعشر ، ولهذا اتفقوا على استحباب إحياء ليالي العيدين وغير ذلك " . اهـ . انظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ٧١ / ٨ ، ٤١ ، ٧١ .

^(٢) انظر : فتح الباري : ٤ / ٢٦٩ ، فيض القدير : ١٣٢ / ٥ .

^(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض (٧٤٦) : ٥١٥ / ١ .

^(٤) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الاعتكاف ، باب الاعتكاف في العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد كلها (١٩٢٢) : ٢ / ٧١٣ ، وأخرجه مسلم - بزيادة : " ﷺ " - في كتاب الاعتكاف ، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان (١١٧٢) : ٢ / ٨٣١ .

الاعتكاف^(١) شهرماً : " لبث صائم في مسجد جماعة^(٢) بنية ، وتفريغ القلب عن شغل الدنيا وتسليم النفس إلى المولى . وقيل : الاعتكاف والعكوف الإقامة ، معناه : لا أبرح عن بابك حتى تغفر لي " (٣) .

قال ﷺ : " ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق ، كلُّ خندق أبعد مما بين الخافقين " (٤) .

حكم الاعتكاف :

" أجمع أهل العلم على أن الاعتكاف سنة لا يجب على الناس فرضاً إلا أن يوجب المرء على نفسه الاعتكاف نذراً فيجب عليه " (٥) .

ويصحُّ الاعتكاف من الرجال والنساء ، وليس للمرأة أن تعتكف بغير إذن زوجها ؛ لأنه يملك استمتاعها فلا تملك تفويته بغير إذنه ، وليس للعبد الاعتكاف بغير إذن سيده ؛ لأنه يملك نفعه فإن أذن لهما صحَّ منهما .

والسنة على المعتكف أن لا يعود مريضاً ، ولا يشهد جنازة ، ولا يمَسَّ امرأة ولا يياشرها ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بدُّ منه^(٦) ، ولكن إن كان متطوعاً فله ترك اعتكافه لفعل ذلك ثم يعود إلى الاعتكاف ، وإن كان واجباً لم يجز له تركه لما ليس بواجب .

(١) الاعتكاف لغة : الإقامة على الشيء وبالمكان ولزومهما . والاعتكافُ : الاختِباس . انظر : النهاية (مادة : عكف) : ٣ / ٢٨٤ لسان العرب (مادة : عكف) : ٩ / ٢٥٥ .

(٢) لا يصحُّ من رجل ولا امرأة إلا في المسجد . لقول الله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ ﴾ . [سورة البقرة : ١٨٧] . ولا يصحُّ من الرجل إلا في مسجد تقام فيه الجماعة ؛ لأنها واجبة عليه فلا يجوز تركها ولا كثرة الخروج الذي يمكن التحرز منه ، والأفضل أن يعتكف في الجامع لأن ثواب الجماعة فيه أكثر ، ويصح من المرأة في جميع المساجد لعدم وجوب الجماعة عليها ، هذا مذهب الحنابلة . وقال أبو حنيفة والثوري : لها الاعتكاف في مسجد بيتها ، وهو المكان الذي جعلته للصلاة منه واعتكافها فيه أفضل ؛ لأن صلاحها فيه أفضل . وحكي عن أبي حنيفة أنها لا يصح اعتكافها في مسجد الجماعة . انظر : الكافي في فقه ابن حنبل : ١ / ٣٦٨ ، المغني : ٣ / ٦٥ ، ٦٧ .

(٣) التعريفات : ٤٧ ، وانظر : أنيس الفقهاء : ١٣٨ ، التوقيف على مهمات التعاريف : ٧٥ .

(٤) جزء من حديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧٣٢٦) : ٧ / ٢٢١ . عن ابن عباس ؓ . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد . انظر : مجمع الروائد : ٨ / ١٩٢ .

(٥) المغني : ٣ / ٦٣ .

(٦) اختلفت الرواية عن أحمد في ذلك :

الرواية الأولى : ليس له فعله ، وهو قول عطاء وعروة ومجاهد والزهري ومالك والشافعي وأصحاب الرأي .

الرواية الثانية : أن المعتكف له أن يعود المريض ويشهد الجنازة ويعود إلى معتكفه ، وهو قول علي ؓ ، وبه قال سعيد بن جبير والنخعي والحسن . انظر : المغني : ٣ / ٧٠ .

ويستحبُّ للمعتكف التشاغل بالصلاة والذكر وتلاوة القرآن ، واجتناب ما لا يعنيه من الأقوال والأفعال ، فإنَّ من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، ويجتنب الجدال والمراء والسباب والفحش والإكثار من الكلام ، فإن ذلك مكروه في الاعتكاف الذي هو استشعار بطاعة الله تعالى ولزوم عبادته ؛ وبيته أولى ، ولا يبطل الاعتكاف بشيء من ذلك لأنه لما لم يبطل بمباح الكلام لم يبطل بمحرّمه كالصوم ، وأمّا التزام الصّمت ^(١) فليس من شريعة الإسلام .

وأما إقراء القرآن وتدريس العلم ، ومناظرة الفقهاء ومذاكرتهم وكتابة العلم في الاعتكاف ففي المسألة قولان :

القول الأول : لا يستحبُّ ؛ لأن الاعتكاف عبادة شرط لها المسجد ؛ فلم يستحب ذلك فيها كالطواف والصلاة ، وهذا ظاهر كلام أحمد ^(٢) ، وعلى هذه الرواية فعله لهذه الأمور أفضل من اعتكافه الشاغل عنهما .

القول الثاني : يستحبُّ إذا قصد به طاعة الله تعالى لا المباهاة ، وهذا مذهب الشافعي ^(٣) ، لأن ذلك أفضل العبادات ونفعه يتعدّى ، فكان أولى من تركه كالصلاة . ومن اعتكف العشر الأواخر من رمضان استحب أن يبيت ليلة الفطر في معتكفه ، ثم يخرج إلى المصلّى في ثياب اعتكافه ؛ لأن كثيراً من السلف كانوا يستحبّون ذلك ، ولأنها ليلة تتلو العشر ورد الشرع بالترغيب في قيامها والعبادة فيها ، فأشبهت ليالي العشر والله ﷻ أعلم ^(٤) .

مما سبق يتبيّن أنّ هناك أمور ظاهرة ومعانٍ باطنة ، فلكلّ عبادة ظاهراً وباطناً ، وقشراً ولباً والأبرار لا يقنعون بالقشر عن اللب بل يسعون للكمال ، ويتوقون لنيل أعلى الدرجات وإتمام كل عبادة على الوجه الأمثل ، فيجتهدون في الطّاعات ، ويصلحون بواطنهم وظواهرهم ، وشهر رمضان المبارك فرصة عظيمة للقرب من الله فهو موسم خيرات ، فيه تهفو النفوس إلى الطاعة وتنقطع عن كثير من الغيِّ والعصيان ، وهم بعد ذلك يسألون الله

(١) سيتم بحث هذه المسألة إن شاء الله لاحقاً في مبحث : إتيان البيوت من أبوابها ، انظر : ص ٣٨٧ .

(٢) إمام المذهب الحنبلي ، انظر : ص ٧٢ .

(٣) إمام المذهب الشافعي ، انظر : ص ١٣٢ .

(٤) انظر : الكافي في فقه ابن حنبل : ١ / ٣٦٧ - ٣٧٦ ، المغني : ٣ / ٦٨ - ٧٦ .

القبول والرضوان ، وهم في صيامهم يقتدون بالملائكة في الكفّ عن الشهوات بحسب الإمكان ، فتشّف أرواحهم ويزدادون قرباً من خالقهم (١) .

المبر في الصوم نقلاً (٢) :

رغب رسول الله ﷺ في صيام التطوع ، وبيّن فضله وأجره لأمته حتى تسمو أخلاقهم وتزكو نفوسهم ، وقد وردت أحاديث كثيرة في بيان فضل صيام التطوع منها قوله ﷺ : " من صام يوماً في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً " (٣) . وقال ﷺ : " الصّيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصّيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفّعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفّعني فيه ، قال : فيشفعان له " (٤) . إن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة ، وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها يوجد في كل شهر ، وبعضها في كل أسبوع .

أما في السنة :

١- بعد أيام رمضان فيوم عرفة لغير الحاجّ ، ويوم عاشوراء : قال ﷺ : " صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنّة التي قبله والسنّة التي بعده وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنّة التي قبله " (٥) .

(١) انظر : الإحياء : ١ / ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٢) سبق تعريف النافلة لغة وشرعاً في مبحث الصلاة ، انظر : ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٣) سبق تفريجه في ص ٢١٦ ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) أخرجه أحمد في مسند عبد الله بن عمرو (٦٦٢٦) : ٢ / ١٧٤ . قال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال الطبراني

رجال الصحيح . انظر : مجمع الزوائد : ٣ / ١٨١ .

(٥) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإنسنة

والخميس (١١٦١) : ٢ / ٨١٨ . عن عمر بن الخطاب .

٢- صيام العشر الأول من ذي الحجة :

عن حفصة ^(١) - رضي الله عنها - قالت : " أربعٌ لم يكن يدعهن النبي ﷺ : صيام عاشوراء ، والعشر (أي من ذي الحجة) ، وثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتان قبل الغداة " ^(٢) .

٣- صيام ستة من شوال :

قال ﷺ : " من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر " ^(٣) .

٤- صيام المحرم :

قال ﷺ : " أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم " ^(٤) .

٥- صوم الأشهر الحرم :

قال ﷺ لمن تغيرت هيئته من طول الصيام : " صم شهر الصبر ويوماً من كل شهر . قال : زدني ، فإن بي قوة . قال : صم يومين . قال : زدني . قال : صم ثلاثة أيام . قال : زدني ، قال : صم من الحرم ^(٥) واترك ، صم من الحرم واترك ، صم من الحرم واترك " . وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها ^(٦) . ^(٧)

^(١) هي حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - : صحابية حليمة وأم المؤمنين ، وارثة الصحيفة الجامعة للكتاب - رضي الله تعالى عنها - ، ت سنة ٤٥ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٨ / ٨١ ، حلية الأولياء : ٢ / ٥٠ ، صفة الصفوة : ٢ / ٣٨ ، البداية والنهاية : ٨ / ٣٠ ، الإصابة : ٧ / ٥٨١ .

^(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب الصيام ، كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر (٢٧٢٤) : ٢ / ١٣٥ ، وأخرج أحمد بمثله في مسند حفصة - رضي الله عنها - (٢٦٥٠٢) : ٦ / ٢٨٧ ، وصححه ابن حبان . قال الشوكاني : رواه أحمد والنسائي . انظر : نيل الأوطار : ٤ / ٣٢٣ .

^(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصيام ، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال أتباعاً لرمضان (١١٦٤) : ٢ / ٨٢٢ . عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

^(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الصيام ، باب فضل صوم الحرم (١١٦٣) : ٢ / ٨٢١ . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

^(٥) " صم من الحرم " : بضمين ، أي الأشهر الحرم ، وهي أربعة أشهر التي ذكرها الله تعالى في كتابه فقال : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴾ . [سورة التوبة : ٣٦] . وهي شهر رجب وذي القعدة وذي الحجة والمحرم . انظر : عون المعبود : ٧ / ٥٨ .

^(٦) أي أشار إليه بصيام ثلاثة أيام وفطر ثلاثة أخرى . انظر : عون المعبود : ٧ / ٥٨ .

^(٧) أخرجه أبو داود - واللفظ له - في كتاب الصوم ، باب في صوم أشهر الحرم (٢٤٢٨) : ٢ / ٣٢٢ ، وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب الصيام ، باب صيام أشهر الحرم (١٧٤١) : ١ / ٥٥٤ ، وأخرج أحمد بنحوه في حديث أعرابي رضي الله عنه : ٥ / ٢٨ . كلهم عن مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها . وأخرج البيهقي بمثله بإسناد جيد في كتاب الصيام ، باب فضل الصوم في أشهر الحرم (٨٢٠٩) : -

٦- صيام أكثر شعبان :

عن أسامة بن زيد (١) رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم " (٢) .

وأما ما يتكرر في الشهر :

الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . قال رضي الله عنه : " يا أبا ذر (٣) إذا صُمت من الشهر ثلاثة أيام فصُمت ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة " (٤) .

وأما في الأسبوع :

فصيام الإثنين والخميس : قال رضي الله عنه : " تُعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم " (٥) .

فهذه هي الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام ، وتكثر الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات .

= ٤ / ٢٩١ . وقد ضُعب بعضهم هذا الحديث للاختلاف في اسم الرجل الذي من ياهله . قال المنذري : وهو متوجه وفيه نظر ؛ لأن مثل هذا الاختلاف لا ينبغي أن يعدُّ قادحاً في الحديث . انظر : نيل الأوطار : ٤ / ٣٣٤ ، عون المعبود : ٧ / ٥٨ .
(١) أسامة بن زيد بن حارثة ، من كنانة عوف ، أبو محمد : صحابي جليل ، مولى رسول الله ﷺ وابن مولاه وحبه وابن حبه ت سنة ٥٤ هـ . انظر : صفة الصفوة : ١ / ٥٢١ ، العبر في خبر من غير : ١ / ٥٩ ، البداية والنهاية : ٥ / ٣١١ ، الإصابة : ٤٩ / ١ .

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب الصيام ، صوم النبي ﷺ (٢٦٦٦) : ٢ / ١٢٠ ، وصححه ابن خزيمة وابن حجر . انظر : فتح الباري : ٤ / ٢١٥ .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٢ .

(٤) أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب الصوم ، باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر (٧٦١) : ٣ / ١٣٤ ، وأخرج النسائي بنحوه في السنن الكبرى في كتاب الصيام ، ذكر الاختلاف على موسى بن طلحة في الخبر في صيام ثلاثة أيام من الشهر (٢٧٣١) : ٢ / ١٣٦ . قال عمر بن علي الوادياشي الأندلسي : رواه النسائي والترمذي وقال حسن . انظر : تحفة المحتاج لعمر بن علي بن أحمد الوادي آشي الأندلسي : ٢ / ١١٠ .

(٥) أخرج أبو داود بنحوه في كتاب الصوم ، باب في صوم الإثنين والخميس (٢٤٣٦) : ٢ / ٣٢٥ ، وأخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب الصوم ، باب ما جاء في صوم يوم الإثنين والخميس (٧٤٧) : ٣ / ١٢٢ ، أخرج النسائي بنحوه في السنن الكبرى في كتاب الصيام ، صوم النبي ﷺ (٢٦٦٧) : ٢ / ١٢١ ، وأخرج ابن ماجه بنحوه بزيادة : " يغفر الله فيهما لكل مسلم إلا متهاجرين يقول : دعهما حتى يصطلحا " في كتاب الصيام ، باب صيام يوم الإثنين والخميس (١٧٤٠) : ١ / ٥٥٣ ، قال أبو عيسى : حديث أبي هريرة في هذا الباب حديث حسن غريب . وقال ابن الملقن : أخرجه ابن ماجه والترمذي من رواية أبي هريرة رضي الله عنه وقال : حسن غريب . وأبو داود والنسائي من رواية أسامة بن زيد . انظر : خلاصة البدر المنير لعمر بن علي بن الملقن الأنصاري : ١ / ٣٣٧ .

وأفضل الصيام صيام داود : قال ﷺ : " لا صوم فوق صوم داود عليه السلام ، شطر الدهر صُم يوماً ، وأفطر يوماً " (١) .

الأيام المنهي عن صيامها :

ورد التَّهْي عن صيام يومي العيدين وأيام التشريق ، وعن صيام يوم الجمعة منفرداً (٢) ويوم الشَّك ، والترهيب لمن تقدَّم رمضان بصوم يوم أو يومين (٣) أو أفرد يوم السبت بصوم (٤) كما ورد النهي عن صوم الدهر (٥) .

أُمُور ليست من البرِّ في الصيام :

قال ﷺ : " ليس من البرِّ الصوم في السَّفَر " (٦) .

يَحْتَمَل معناه : ليس هو أبرُّ البرِّ لأنه قد يكون الافطار أبرَّ منه إذا كان في حجٍّ أو جهاد ليقوى عليه ، وقد يكون الفطر في السفر المباح برّاً ؛ لأن الله أباحه . فيكون المعنى : ليس البرُّ كلُّه في الصيام في السفر ؛ لأنَّ الفطر في السفر برٌّ أيضاً لمن شاء أن يأخذ برخصة الله تعالى ذكره ، وقد اختلف السلف في هذه المسألة ؛ والذي يترجَّح قول الجمهور إلى أن الصَّوم أفضل لمن قوي عليه ، ولكن قد يكون الفطر أفضل لمن اشتدَّ عليه الصَّوم وتضرَّر به وكذلك من ظنَّ به الاعراض عن قبول الرُّخصة .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الصوم ، باب صوم داود عليه السلام (١٨٧٩) : ٢ / ٦٩٩ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم الدهر (١١٥٩) : ٢ / ٨١٧ . كلاهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

(٢) يجوز صيام يوم الجمعة لمن صام قبله أو بعده ، أو اتفق وقوعه في أيام له عادة بصومها ؛ كمن يصوم أيام البيض ، أو من له عادة بصوم يوم معين كيوم عرفة فوافق يوم الجمعة ، ويؤخذ منه جواز صومه لمن نذر يوم قدوم زيد مثلاً ، أو يوم شفاء فلان . انظر : فتح الباري : ٤ / ٢٣٤ .

(٣) لا تعارض بين ما روى عنه ﷺ من صوم كل شعبان أو أكثره ووصله برمضان ، وبين أحاديث النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين ، وكذا ما جاء من النهي عن صوم نصف شعبان الثاني ، فإن الجمع بينها ظاهر ؛ بأن يحمل النهي على من لم يدخل تلك الأيام في صيام يعتاده ، وقد تقدم تقييد أحاديث النهي عن التقدم بقوله ﷺ : " إلا أن يكون شيئاً يصومه أحدكم " . انظر : نيل الأوطار : ٤ / ٣٣٣ .

(٤) المكروه إفراد يوم السبت بصوم ، فإن صام معه غيره لم يكره ، وإن وافق صوماً لإنسان لم يكره . انظر : المغني : ٣ / ٥٢ ، ٥٣ .

(٥) أدلة ذلك موجودة في مظانها لا يتسع لها المقام في هذا البحث . انظر : المغني : ٣ / ٥١ - ٥٣ .

(٦) سبق تحريجه في ص ١٤ ، أخرجه البخاري ومسلم .

أما من احتج بقول الله ﷻ : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٨٤] . وزعم أن ذلك عزيمة فلا دليل معه على ذلك ؛ لأن ظاهر الكلام وسياقه يدلان على الرخصة والتخيير ، والدليل على ذلك :

- قوله ﷻ : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٨٥] .
- ودليل آخر : وهو إجماعهم أن المريض إذا تحامل على نفسه فصام وأتم يومه أن ذلك مجزئ عنه ، فدل على أن ذلك رخصة له (١) .

والكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم ، وأن مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله ﷻ ، والفقير بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله ، فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر ، وقد يقتضي مزج الإفطار بالصوم ، والأبرار المتقون يدركون هذا المقصد ، ويدركون أن البر في الصيام ليس بكثرتة ؛ وإنما بمدى ما تصفو لهم قلوبهم بالصيام وما يزدادون به تقوى لله ، وهذا لا يوجب ترتباً مستمراً ، ولذلك لما سألت عائشة - رضي الله عنها - عن صوم النبي ﷺ فقالت : " كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول : لا يفطر ، ويفطر حتى نقول : لا يصوم ، فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان " (٢) . وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات (٣) .



(١) انظر : التمهيد لابن عبد البر : ٢ / ١٧٤ - ١٧٦ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ٧ / ٢٣٠ ، فتح الباري : ٤ / ١٨٣ .
(٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الصوم ، باب صوم شعبان (١٨٦٨) : ٢ / ٦٩٥ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الصيام ، باب صيام النبي ﷺ رمضان واستحباب أن لا يخلي شهراً عن صوم (١١٥٦) : ٢ / ٨١٠ .
(٣) انظر : الإحياء : ١ / ٢٣٨ .

المبحث الرابع

الحجُّ فرضاً ونهلاً

خصَّ القرآن الكريم عبادة الحجِّ على ما سواها من العبادات المحضنة بتحريم الرِّفث والفسوق والجدال ليكون الحجُّ مبروراً . ولم تُكثِرِ السُّنة النبويَّة ولم تصرِّح ببرِّ عبادة مثلما أكثرت من ذكر الحجِّ المبرور ، فقد بيَّن رسول الله ﷺ برَّ الحجِّ في كثير من أحاديثه ، وذكر الأجر العظيم لمن برَّ حجه ، والأبرار سواء في حجة فرضهم أو ما يؤدُّونه تطوُّعاً يتحرُّون اتباع سنة نبيهم ﷺ ؛ يبتغون بذلك ما وعدهم ربُّهم من عظيم الأجر والثواب .

الحجُّ لغة وشرهاً :

الحجُّ (١) لغة :

الحاء والجيم أصولٌ أربعة (٢) ، فالأوَّل القصد على جهة التعظيم ، حَجَّ إلينا فلانٌ أي قَدِمَ وَحَجَّه يَحِجُّه حَجًّا : قصده . وَحَجَجْتُ فلاناً واعتمدته ؛ أي : قصدته . ورجلٌ محجوجٌ أي : مقصود . وكلٌّ من قَصَدَ شيئاً فقد حَجَّه ، ثم اختص بهذا الاسم القصد إلى البيت الحرام للنسك . ورجلٌ حاجٌ وقومٌ حجَّاجٌ وحجيج ، والحجيج : جماعة الحاجِّ ، ويقال لهم : الحجُّ .

ويقال : الحجُّ ، وبعضُ يكسر الحاء فيقول : الحجُّ ، والحجَّة والحجُّ اسم العمل ، وذو الحجَّة شهر الحجِّ ؛ سُمِّيَ بذلك للحجِّ فيه ، والجمع ذوات الحجَّة ، ومن الباب الحجَّة ؛ وهو جادة

(١) قرئ : ﴿ ... وَبَلَّغَ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ... ﴾ . [سورة آل عمران : ٩٧] . والفتح أكثر . وقال الزجاج في قوله تعالى :

﴿ ... وَبَلَّغَ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ... ﴾ يقرأ بفتح الحاء وكسرها ، والفتح الأصل . والحجُّ والحجُّ ليس عند الكسائي بينهما فَرْقَانٌ . وغيره يقول : الحجُّ حَجَّ الْبَيْتِ والحجُّ عَمَلُ السُّنَّةِ . انظر : لسان العرب (مادة : حجج) : ٢ / ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٢) باقي الأصول : الأصل الثاني : الحجَّة وهي السُّنة ، والأصل الثالث : الحجاج ، وهو العظم المستدير حول العين ، والأصل الرابع : الحجَّحة ، وهو النكوص . انظر : المقاييس : (مادة : حج) : ٢٥٠ ، ٢٥١ .

الطريق . وَبَرَّ حَجَّتْ يَبْرُوراً ، وَبَرَّ الْحَجُّ يَبْرُوراً - بالكسر - ، وَبَرَّ اللَّهُ حَجَّهُ وَبَرَّ حَجَّهُ (١) .

قال ابن سيده (٢) :

" وَقَالُوا حَجَّةً وَاحِدَةً ، يَرِيدُونَ عَمَلَ سَنَةٍ وَاحِدَةً " (٣) .

الحجُّ شرعاً :

قال الكفوي (٤) :

" معناه الشرعي : القصد إلى بيت الله الحرام بأعمالٍ مخصوصةٍ " (٥) .

فصل الحج :

ورد في فضيلة هذه العبادة أحاديث كثيرة ، منها :

عن أبي هريرة (٦) رضي الله عنه قال : " سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهادٌ في سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : حجٌّ

(١) انظر : المقاييس : (مادة : حج) : ٢٥٠ ، لسان العرب (مادة : حجج) : ٢ / ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، (مادة : برر) : ٤ / ٥٣ الكليات (فصل الحاء) : ٣٦٠ .

(٢) هو علي بن إسماعيل ، المعروف بابن سيده ، أبو الحسن : إمام في اللغة وآدابها . وفي اسم أبيه خلاف ، قيل : إسماعيل ، وقيل : أحمد وقيل : محمد . وسماه ابن قاضي شهبة في الإعلام (مخطوط) بخطه : علي بن إسماعيل . ولد بمرسية (في شرق الأندلس) وانتقل إلى دانية فتوفي بها . كان ضريراً (وكذلك أبوه) واشتغل بنظم الشعر مدّة ، وانقطع للأمير أبي الجيش مجاهد العامري . ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها ، فصنّف : المخصّص في سبعة عشر جزءاً ، وهو من أئمن كنوز العربية ، والمحكم والمحيط الأعظم ، وشرح ما أشكل من شعر المتنبي ، والأنيق في شرح حماسة أبي تمام وغير ذلك . ت سنة ٤٥٨ هـ . انظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٣٣٠ ، البداية والنهاية : ١٢ / ٩٥ ، نفع الطيب : ٣ / ٣٧٠ ، شذرات الذهب : ٢ / ٣٠٥ .

(٣) المخصّص لعلي بن إسماعيل بن سيده السمرسي : ٤ / ٥٩ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٣٤ .

(٥) الكليات (فصل الحاء) : ٤٠٥ . وقال القونوي : الحج عبارة عن قصدٍ مخصوصٍ ، إلى مكانٍ مخصوصٍ ، في زمانٍ مخصوصٍ . انظر : أنيس الفقهاء : ١٣٩ . والقصد المخصوص : هو قصد الكعبة للنسك ؛ والنسك هو النيّة والطواف والسعي والوقوف بعرفة . والمكان المخصوص : البيت الحرام ، والزمن المخصوص : هو أشهر الحجّ . وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة . انظر : مغني المحتاج : ١ / ٤٦٠ ، شرح العمدة لابن تيمية : ٢ / ٣٧٧ ، حواشي الشرواني لعبد الحميد الشرواني : ٤ / ٢ .

(٦) صحابي جليل ، انظر : ص ١٤٣ .

ميرور" (١) .

❦ وعنه قال : " العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحجُّ الميرور ليس له جزاءٌ إلاَّ الجنَّة " (٢) .

❦ وعن عائشة (٣) أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها قالت : " قلت : يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : لا ، لكن أفضل الجهاد حجٌّ ميرورٌ " (٤) .

❦ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " سمعت النبي ﷺ يقول : " من حجَّ ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه " (٥) .

الحجُّ الميرور - فرضاً كان أو نفلاً - :

قال الأزهرى (٦) وغيره :

الميرور المتقبَّل (٧) . أي المقابل بالبرِّ وهو الثَّواب ، ومن علامة المقبول : أن يزداد الشخص بعد فعله خيراً ويستقيم على طاعة الله ولا يعاود المعاصي ، ولا ينسى ما عاهد الله عليه من خير .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب فضل الحج الميرور (١٤٤٧) : ٢ / ٥٥٣ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الإيمان ، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٨٣) : ١ / ٨٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أبواب العمرة ، باب وجوب العمرة وفضلها (١٦٨٣) : ٢ / ٦٢٩ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الحج ، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (١٣٤٩) : ٢ / ٩٨٣ .

(٣) أم المؤمنين ، صحابية جلييلة ، انظر : ص ٦٤ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب فضل الحج الميرور (١٤٤٨) : ٢ / ٥٥٣ .

(٥) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الحج ، باب فضل الحج الميرور (١٤٤٩) : ٢ / ٥٥٣ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الحج ، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (١٣٥٠) : ٢ / ٩٨٣ .

(٦) هو محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى الهروي ، أبو منصور : أحد الأئمة في اللغة والأدب . مولده ووفاته في هراة بخراسان ، نسبته إلى جدِّه " الأزهر " ، عني بالفقه فاشتهر به أولاً ، ثم غلب عليه التبُّخر في العربية ، ومن كتبه : الزاهر ، وغريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء ، وتفسير القرآن ، وفوائد منقولة من تفسير للمزني . ت سنة ٣٧٠ هـ وعمره ثمانية وثمانون . انظر : وفيات الأعيان :

٤ / ٣٣٤ ، طبقات الشافعية الكبرى : ٣ / ٦٣ ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ١ / ١٨٦ ، طبقات الشافعية : ٢ / ١٤٤ .

(٧) الزَّاهر في غريب ألفاظ الشافعي لمحمد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى الهروي : ١٧٨ .

وكلُّ حجٍّ أصراً صاحبه على المعاصي فيه ^(١) فلم يوفَّ حقّه من البرِّ فليس مروراً .
وبرَّ الله حجَّك - بفتحها - : إذا رجع مروراً مأجوراً ، ويجوز أن يكون المرور : الصادق
الخالص لله تعالى .

وقال الحسن البصري ^(٢) :

الحجُّ المرور : أن يرجع زاهداً في الدنيا ، راغباً في الآخرة .

وقيل : هو الذي لا رياء فيه .

والأصحُّ الأشهر أن الحجَّ المرور : هو الذي لا يخالطه من المآثم شيء ^(٣) .

قال القرطبي ^(٤) :

" الأقوال التي ذكرت في تفسيره متقاربة المعنى ، وهي أنه الحجُّ الذي وفِّيت أحكامه ، ووقع
موقعاً لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل . والله أعلم " . اهـ . ^(٥) .

بِرُّ الْحَجِّ :

الحجُّ المرور يشتمل على أمور منها :

أولاً : الإحسان إلى الناس بجميع وجوه الإحسان .

وقد سئل النبي ﷺ عن البرِّ فقال : " البرُّ حسن الخلق " ^(٦) .

والإحسان إلى النَّاس في الحجِّ بالقول والفعل يحتاج إليه كثيراً في السفر، وروي عن

(١) انظر : الحليُّ لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري : ١٣٩ / ١١ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٥٢ .

(٣) هذا القول رجَّحه النووي ، انظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ٢ / ٧٥ ، ٩ / ١١٨ ، ١١٩ ، المجموع : ٤ / ٧ . وانظر :

المطلع على أبواب المقنع لمحمد بن أبي الفتح البعلبي الحنبلي : ١٩١ ، فتح الباري : ٣ / ٣٨٢ شرح الحافظ جلال الدين السيوطي لسنين

النسائي : ٥ / ١١٢ ، فيض القدير : ٣ / ٤٠٦ ، تحفة الأحوذى : ٥ / ٢٤٤ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٥) انظر : تفسير القرطبي : ٢ / ٤٠٨ ، ٤ / ١٤٢ .

(٦) سبق تخريجه في ص ١٥ ؛ أخرجه البخاري ومسلم .

جابر (١) رضي الله عنه عن النبي ﷺ: " الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة (٢) ". قيل : وما برُّه ؟ قال : سنان (٣) الطعام وإفشاء السلام " (٤) . وكان ابن عمر (٥) رضي الله عنه يقول : البرُّ شيء هين ؛ وجه طلق وكلام لين (٦) .

ثانياً : البرُّ هو فعل الطاعات كلها ، وضدُّه الإثم .

قال الله تعالى :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ

السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

وكلها يحتاج إليها الحاجُّ ، فلا يصحُّ الحجُّ بدون الإيمان ، ولا يكون مبروراً بدون إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فأركان الإسلام مرتبط بعضها ببعض .

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ١٧٥ .

(٢) ومعنى " ليس له جزاء إلا الجنة " : أنه لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه ، بل لابد أن يدخل الجنة . والله أعلم . أي : مع السابقين ، أو بغير عذاب ، وإلا فكلُّ مؤمن يدخلها وإن لم يحجَّ . انظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ١١٩ / ٩ ، فيض القدير : ٤٠٦ / ٣ .

(٣) سنان : لم أجد في كتب اللغة معنى يلائم مقصود الحديث ، ولكن البخاري قد بوب أحد أبواب كتاب العتق بقوله : باب ما جاء في العتق وفضله ، وقوله تعالى : " فك رقبة * أو سنان في يوم ذي مسغبة * يتيما ذا مقربة) . فالسنان هو الإطعام ، والآية تعين على هذا المعنى . انظر : صحيح البخاري : ٢ / ٨٩١ . وهذا ما يظهر أيضاً من طرق ورود الحديث عند تخريجه .

(٤) أخرجه أحمد - واللفظ له - في حديث جابر رضي الله عنه (١٤٦٢٢) : ٣ / ٣٣٤ ، وأخرج الحاكم بنحوه في المستدرک على الصحيحين في كتاب المناسك (١٧٧٨) : ١ / ٦٥٨ ، عن جابر رضي الله عنه . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه لأحدهما لم يحتج بأيوب بن سويد لكنه حديث له شواهد كثيرة . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن . وقال المنذري : رواه أحمد والطبراني في الأوسط بإسناد حسن وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي والحاكم مختصراً ، وقال صحيح الإسناد . وفي رواية لأحمد والبيهقي : " إطعام الطعام وإفشاء السلام " . انظر : الترغيب والترهيب (١٦٨٩) : ٢ / ١٠٦ ، مجمع الزوائد : ٣ / ٢٠٧ . قال ابن حجر : ولأحمد والحاكم من حديث جابر ، قالوا : يا رسول الله ما برُّ الحج ؟ قال : " سنان الطعام وإفشاء السلام " . وفي إسناده ضعف فلو ثبت لكان هو المتعين دون غيره . ونقل هذا القول عنه الشوكاني أيضاً . انظر : فتح الباري : ٣ / ٣٨٢ ، نيل الأوطار : ٥ / ٦ . ويبدو أن الحديث فيه ضعف ولكن لكثرة الشواهد ارتقى إلى مرتبة الحسن لغيره .

(٥) صحابي جليل ، انظر : ص ١٣٥ .

(٦) جامع العلوم والحكم : ٢٥٢ .

ثالثاً : من أعظم أنواع البرِّ في الحجِّ كثرة ذكر الله تعالى فيه .

" سئل رسول الله ﷺ : أيُّ الحجِّ أفضل ؟ قال : العجُّ والشجُّ " (١) .

والعجُّ : هو رفع الصوت بالتلبية والذكر ، والشجُّ إراقة دماء الهدايا والتسك (٢) .

روت عائشة (٣) - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال : " ما عمل آدمي من عمل

يوم النحر أحبَّ إلى الله من إهراق الدم ، إنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها

وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض ، فطيبوا بها نفساً " (٤) .

(١) روي هذا الحديث عن أبي بكر الصديق وابن عمر - رضي الله عنهما - فحديث ابن عمر ﷺ :

أخرجه الترمذي وابن ماجه عن إبراهيم بن يزيد الخوزي قال : سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث عن بن عمر قال : " قام رجل إلى النبي ﷺ فقال : من الحاجُّ ؟ قال : الشُّعْتُ الثَّقَلُ . فقام آخر فقال : أيُّ الحجِّ أفضل يارسول الله ؟ قال : العجُّ والشجُّ ... " . الحديث .

قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي ، وقد تُكلم فيه من قبل حفظه . اهـ . وزاد

ابن ماجه فيه : قال وكيع : يعني بالعجُّ التلبية ، والشجُّ نحر البدن . اهـ . أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة آل

عمران (٢٩٩٨) : ٥ / ٢٢٥ ، وأخرج ابن ماجه بمثله في كتاب المناسك ، باب ما يوجب الحج (٢٨٩٦) : ٢ / ٩٦٧ ، في الحج

وقال البزار : في مسنده إبراهيم بن يزيد ليس بالقوي ، وروى عنه سفيان الثوري وجماعة كثيرة . اهـ .

وأما حديث أبي بكر ﷺ :

فأخرجه الترمذي في كتاب الحجِّ ، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر (٨٢٧) : ٣ / ١٨٩ ، وابن ماجه في كتاب المناسك ، باب رفع

الصوت بالتلبية (٢٩٢٤) : ٢ / ٩٧٥ . أن النبي ﷺ سئل أيُّ الحجِّ أفضل ؟ قال العجُّ والشجُّ " ، وأخرج الدارمي بمثله في كتاب

المناسك ، باب أيُّ الحجِّ أفضل (١٧٩٧) : ٢ / ٤٩ ، وأخرجه الحاكم عن أبي بكر الصديق ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل أيُّ العمل

أفضل ؟ قال : العجُّ والشجُّ " . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . انظر : المستدرک علی الصحیحین (١٦٥٥) :

١ / ٦٢٠ . وقال الترمذي : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث بن أبي فديك عن الضحاك عن عثمان ، ومحمد بن المنكدر لم يسمع

من عبد الرحمن بن يربوع ، وقد روى محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن هذا الحديث .

قال الحسيني : رمز السيوطي لصحَّته ، وقال الذهبي : فيه إبراهيم بن يزيد وهو ضعيف ، لكن له شاهد مرسل وآخر مسند عن ابن عباس

ﷺ . انظر : البيان والتعريف : ٢ / ٧٣ . عن أنس : " سمعهم يصرخون بما " . متفق عليه ، أي بالتلبية . انظر : نصب الراية لعبد الله بن

يوسف الزيلعي : ٣ / ٣٣ ، ٣٤ ، الدرارية في تخريج أحاديث الهداية : ٢ / ١٢ . وحكى الدارقطني الاختلاف فيه وقال : الأشبه

بالصواب رواية من رواه عن الضحاك بن عثمان عن ابن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر ، وقال أحمد والبخاري والترمذي

: من قال فيه عن ابن المنكدر عن ابن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه عن أبي بكر فقد أخطأ . انظر : علل الدارقطني لعلي بن محمد

الدارقطني : ١ / ٢٨٠ ، تلخيص الحبير : ٢ / ٢٣٩ . قال الألباني : وهذا الإسناد رجاله ثقات رجال مسلم ؛ إلا أنه منقطع ثم وجدت له

شاهداً ، فالحديث به حسنه . (بتصرف من الصحيحة رقم ١٥٠٠) .

(٢) انظر : تهذيب الأسماء ليجي بن شرف التُّووي : ٣ / ١٩١ ، المغني : ٣ / ١٢٩ ، تفسير القرطبي : ١٩ / ١٧٤ ، تاج العروس من

جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي (مادة : نج) : ٥ / ٤٤٥ .

(٣) صحابية جلييلة وأم المؤمنين ، انظر : ص ٦٤ .

(٤) أخرجه الترمذي - وحسنه واللفظ له - في كتاب الأضاحي ، باب ما جاء في فضل الأضحية (١٤٩٣) : ٤ / ٨٣ ، وأخرج ابن

ماجه بنحوه في كتاب الأضاحي ، باب ثواب الأضحية (٣١٢٦) : ٢ / ١٠٤٥ . وصحَّحه الحاكم . انظر : المستدرک علی الصحیحین

كتاب الأضاحي (٧٥٢٣) : ٤ / ٢٤٦ . وقال الذهبي : سليمان وإه وبعضهم تركه . وضعفه ابن حبان لوجود أبو المثنى في اسناده

وقال : شيخ يخالف الثقات في الروايات لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا للاعتبار . انظر : المجروحين لابن حبان (١٢٦٦) : -

وفي الخبر : " بكلِّ شعرةٍ حسنة . قلنا : يا رسول الله ، فالصُّوف ؟ قال : بكلِّ شعرةٍ من الصوف حسنة " (١) .

وفي رفع الصوت بالتلبية تأثير غريب في تنبيه النفس وإيقاظها لمقاصد الحجِّ ، وشحنها بالإيمان والحنان ، والاطراح على عتبة الرحمن ، وقد يكون الحاجُّ عزم على الحجِّ من غير استعداد ، أو من غير تفقه ووعي ، فإذا قال : " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ... " . تمثّل له الحجِّ ومقاصده العظيمة وروحه ، وثارَت فيه الأشواق ، وفاض كأس الحب والحنان ، والتهبت شعلة التوحيد في عروقه ودمه ، وتذكّر إبراهيم الخليل الموحّد الحنيف ، وتذكّر محمداً ﷺ والداعين بدعوته ، واندمج في حزبهم (٢) .

وأبعماً : من أنواع البرِّ في الحجِّ كذلك استحسان الهدي واستسماها واستعظامها ، ولأنَّ ذلك أعظم لأجرها وأكثر لنفعها . قال الله ﷻ : ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ ﴾ . [سورة الحج : ٣٦] . وقد أهدى النبي ﷺ في حجة الوداع مائة بدنة (٣) . قال ابن قدامة (٤) : " ويسنُّ استسمان الأضحية واستحسانها ، لقول الله تعالى : ﴿ ذَلِكِ

= ١٥١ / ٣ . وقال البيهقي : قال البخاري فيما حكى أبو عيسى عنه هو حديث مرسل . وقال المناوي : " قال الحافظ العراقي : الظاهر أن ذا مدرج من كلام عائشة ، وفي رواية أبي الشيخ ما يدلُّ على ذلك ، رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم في الأضاحي عن عائشة ، وحسنه الترمذي واستغربه ، وضعفه ابن حبان " . اهـ . وقال ابن الجوزي : حديث لا يصحُّ ؛ فإنَّ يحيى بن عبد الله بن نافع أحد رواة ليس بشيء . قال النسائي : متروك . وقال البخاري : منكر الحديث . انظر : سنن البيهقي الكبرى : ٩ / ٢٦١ ، فيض القدير : ٥ / ٤٥٨ ، نيل الأوطار : ٥ / ١٩٥ .

(١) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه بنحوه في كتاب الأضاحي ، باب ثواب الأضحية (٣١٢٧) : ٢ / ١٠٤٥ ، وأخرجه أحمد - واللفظ له - في مسند زيد بن أرقم ﷺ : ٤ / ٣٦٨ . وصحَّحه البيهقي . انظر : سنن البيهقي الكبرى ، كتاب الضحايا : ٩ / ٢٦١ .

(٢) الأركان الأربعة : ٢٣٩ ، ٢٤٠ . بتصرف يسير .

(٣) جاء هذا في حديث أخرجه البخاري في كتاب الحجِّ ، باب يتصدق بجلال البدن (١٦٣١) : ٢ / ٦١٣ . والحديث رواه علي ﷺ قال : " أهدى النبي ﷺ مائة بدنة فأمرني بلحومها فقسمتها ، ثم أمرني بجلالها فقسمتها ، ثم بجلودها فقسمتها " .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي ، أبو محمد ، موفِّق الدين : فقيه ، من كبار الحنابلة ، ولد في جماعيل (من قرى نابلس بفلسطين) وتعلَّم في دمشق ، ورحل إلى بغداد سنة ٥٦١ هـ ، فأقام نحو أربع سنين ، وعاد إلى دمشق وفيها وفاته . له تصانيف منها : المغني ، وروضة الناظر ، والمقتنع ، ولمعة الاعتقاد ، والكافي ، والعمدة ، والمتحايين في الله ، والرهان في مسائل القرآن وغير ذلك . ت سنة ٦٢٠ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء : ٢٢ / ١٦٥ ، البداية والنهاية : ١٣ / ٩٩ ، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد : ٢ / ١٥ ، طبقات الحفاظ : ١ / ٥٠٧ .

وَمَنْ يُعْظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ . [سورة الحج : ٣٢] . " . اهـ (١) .

فيتقرب الحاجُّ بإراقة دم وإن لم يكن واجباً (٢) عليه ، وليأكل منه إن كان تطوعاً ولا يأكل منه إن كان واجباً (٣) . وسوق الهدى من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده .

قال النَّووي (٤) : " إنَّ سَوَاقَ الْهَدْيِ لِمَنْ قَصَدَ مَكَّةَ حَاجًّا أَوْ مَعْتَمِرًا سَنَةً مُؤَكَّدَةً ، وَقَدْ أَعْرَضَ النَّاسُ أَوْ أَكْثَرُهُمْ عَنْهَا فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ ، وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَكُونَ هَدِيَهُ مَعَهُ مِنَ الْمِيَاقَاتِ مُشْعَرًا مُقْلَدًا (٥) ، وَلَا يَجِبُ الْهَدْيُ إِلَّا بِالتَّنْذِرِ ، وَالْأَفْضَلُ سَوَاقَ الْهَدْيِ مِنْ بَلَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَمِنْ طَرِيقِهِ ، وَإِلَّا فَمِنْ الْمِيَاقَاتِ أَوْ مَا بَعْدَهُ ، وَإِلَّا فَمِنْ مَنَى ، وَيَسْتَحَبُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَتَوَلَّى ذَبْحَ هَدِيهِ وَأَضْحِيَتِهِ بِنَفْسِهِ ، وَيَنْوِي عِنْدَ ذَبْحِهَا ، فَإِنْ كَانَ مَنْذُورًا نَوَى الذَّبْحَ عَنْ هَدِيهِ أَوْ أَضْحِيَتِهِ الْمَنْذُورَةِ ، وَإِنْ كَانَ تَطَوُّعًا نَوَى التَّقَرُّبَ بِهِ " . اهـ (٦) .

وليترك المكاس (٧) في شرائه ، وروى ابن عمر (٨) رضي الله عنهما : " أهدى عمر بن الخطاب (٩) رضي الله عنه بختية (١٠) أعطى بها ثلاث مائة دينار ، فأتي رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أهديت بختية لي أعطيت بها ثلاث مائة دينار . أفأنحرها أو اشتري بثلثها بدناً ؟ . قال : لا .

(١) المغني : ٩ / ٣٤٨ ، وانظر : التمهيد لابن عبد البر : ١٧ / ٤١٥ .

(٢) الواجب من الهدى قسمان : أحدهما : وجب التَّنْذِرُ في ذمته ، والثاني : وجب بغيره ، كدم التمتع والقران والدِّمَاءُ الواجبة بترك واجب أو فعل . ولا يجب هدي التمتع إلا بشروط خمسة . انظر : المغني : ٣ / ٢٩٢ ، الكافي في فقه ابن حنبل : ١ / ٣٩٦ ، ٣٩٩ .

(٣) انظر : الكافي في فقه ابن حنبل : ١ / ٤٦٨ .

(٤) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٥) مُشْعَرًا : أي مُعْلَمًا بإسالة الدم من سنامه ، و أشعر البدنة : أعلمها ، وهو أن يشق جلدها أو يطعنها في أسنمتها في أحد الجانبين بمضع أو نحوه ، وقيل : طعن في سنامها الأيمن حتى يظهر الدم ويعرف أنها هدي . والهدي ما لم يشعر اكتفى فيه بالتقليد ، وتقليد البُذْن : أن يجعل في عنقها شعار يعلم به أنها هدي . انظر : لسان العرب (مادة : قلد) : ٣ / ٣٦٧ لسان العرب (مادة : شعر) : ٤ / ٤١٤ .

(٦) المجموع : ٨ / ١٤٤ .

(٧) الْمَكَّاسُ : النقص . و الْمَكَّسُ : انتقاص الثمن في البيعة ؛ ومنه أُجِدَّ الْمَكَّاسُ لِأَنَّهُ يَسْتَنْقِصُهُ . وقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهنَّ : الهدى والأضحية والرَّقْبَةُ ، فإنَّ أفضل ذلك أغلاه ثمناً وأنفسه عند أهله . انظر : لسان العرب (مادة : مكس) : ٦ / ٢٢٠ .

(٨) صحابي جليل ، انظر : ص ١٣٥ .

(٩) صحابي جليل ، انظر : ص ٥٩ .

(١٠) البختية هي : الأنتى من الجمال البخت ، والذكر بختي ، وهي جمال طوال الأعناق ، وتُجْمَعُ عَلَى بُخْتٍ وَبُخَاتِيٍّ ، واللفظة معربة . انظر : النهاية (مادة : بخت) : ١ / ١٠١ .

ولكن انحرها إياها " (١) . وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون ، وفي ثلثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ؛ ولكن ليس المقصود اللحم ؛ إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله ﷻ : ﴿ لَنْ يَنْتَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنْتَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ . [سورة الحج : ٣٧] . وذلك يحصل بمراعاة التفاسر في القيمة كثر العدد أو قل (٢) .

خامساً : ومن برّ الحجّ كذلك اجتناب أفعال الإثم كلها ، من الرفث والفسوق والجدال . قال الله ﷻ : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ . [سورة البقرة : ١٩٧] . وقال ﷻ : " من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه " (٣) .

وفي المراد بالرفث (٤) ثلاثة أقوال :

- " أحدها : أنه الجماع .
 - والثاني : أنه الجماع وما دونه من التعريض به .
 - والثالث : أنه اللغو من الكلام " (٥) .
- وفي المراد بالفسوق (٦) ثلاثة أقوال :
- أحدها : أنه السباب .
 - والثاني : أنه التنازع بالألقاب ، مثل أن تقول لأخيك : يا فاسق ، يا ظالم .

(١) أخرج أبو داود بنحوه في كتاب اللقطة ، باب تبديل الهدي (١٧٥٦) : ٢ / ١٤٦ ، وأخرجه أحمد - واللفظ له - في مسند عبد الله بن عمر ﷺ (٦٣٢٥) : ٢ / ١٤٥ . قال محمد شمس الحق العظيم آبادي : وهذا الحديث أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه وابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما . انظر : عون المعبود لمحمد شمس الحق العظيم آبادي : ٥ / ١٢٣ . فالحديث صحيح .

(٢) انظر : الإحياء : ١ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ . بتصرف يسير .

(٣) سبق تخريجه في ص ٢٤٢ ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) سبق تعريف الرفث لغة في مبحث الصوم في ص ٢١٩ .

(٥) زاد المسير : ١ / ٢١١ ، ٢١٢ .

(٦) الفسوق لغة : مأخوذ من فسق يفسق ، ويفسق فسقاً ، وفسوقاً فسقاً - الضم عن اللحياني - أي فجر . والفسق : العصيان والترك لأمر الله ﷻ والخروج عن طريق الحق ، وبه سُمي العاصي فاسقاً . انظر : لسان العرب (مادة : فسق) : ١٠ / ٣٠٨ ، النهاية ، كتاب الفاء (مادة : فسق) : ٣ / ٤٤٦ .

■ والثالث : أنه المعاصي (١) .

واختار ابن جرير الطبري (٢) :

أنَّ الفسوق ها هنا هو ارتكاب ما نهى الله عنه في الإحرام من قتل الصيد ، وحلق الشَّعر وقلم الأظفار ونحو ذلك ، وهو مروى عن ابن عمر رضي الله عنهما (٣) . (٤)

وأولى الأقوال (٥) :

أنَّ المراد بالفسوق المعاصي ؛ لأنَّ المعاصي تشمل الكلِّ ، ولأنَّ الفاسق هو الخارج من الطاعة إلى المعصية ، كما نهى تعالى عن الظلم في الأشهر الحرم ؛ وإن كان في جميع السنَّة منهيًّا عنه إلا أنه في الأشهر الحُرْم أكد ، ولهذا قال تعالى :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ . [سورة التوبة : ٣٦] .

قال الفخر الرَّازي (٦) :

" كثيرٌ من المحققين حملوه - أي الفسوق - على كلِّ المعاصي . قالوا : لأنَّ اللفظ صالح لكلِّ ومتناول له ، والنَّهي عن الشيء يوجب الانتهاء عن جميع أنواعه ، فحمل اللفظ على بعض أنواع الفسوق تحكُّم من غير دليلٍ " . اهـ (٧) .

(١) انظر : تفسير البغوي : ١ / ١٧٢ ، المحرر الوجيز : ١ / ٢٧٣ ، زاد المسير : ١ / ٢١١ ، ٢١٢ ، التفسير الكبير : ٥ / ١٤٠ ،

تفسير ابن كثير : ١ / ٢٣٨ ، تفسير الثعالبي : ١ / ١٥٥ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٣) صحابي حليل ، انظر : ص ١٣٥ .

(٤) انظر : تفسير الطبري : ٢ / ٢٧١ .

(٥) وهو اختيار ابن عطية والرازي وابن كثير والثعالبي . انظر : المحرر الوجيز : ١ / ٢٧٣ ، التفسير الكبير : ٥ / ١٤٠ ، تفسير ابن

كثير : ١ / ٢٣٨ ، تفسير الثعالبي : ١ / ١٥٥ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٨ .

(٧) التفسير الكبير : ٥ / ١٤٠ .

واختلف العلماء في المعنى المراد بقوله : ﴿وَلَا جِدَالَ﴾^(١) هنا على أقوال منها :

القول الأول : أن معناه لا يمارين أحدًا أحدًا فيخرجه المراء إلى الغضب وفعل ما لا يليق بالحج^(٢) .

القول الثاني : أن معناه لا مجادلة في وقت الحج في مناسكه ، وقد بينه الله أتم بيان ووضّحه أكمل إيضاح ، فقد استقام أمره ، وعرف وقته ، وزال النسيء عنه . قال مجاهد^(٣) : كانوا يحجّون في ذي الحجة عامين ، وفي المحرم عامين ، ثم حجّوا في صفر عامين وكانوا يحجّون في كل سنة في كل شهر عامين ؛ حتى وافقت حجة أبي بكر^(٤) ﷺ الآخر من العامين في ذي القعدة قبل حجة النبي ﷺ بسنة ، ثم حجّ النبي ﷺ من قابل في ذي الحجة فذلك حين قال : " إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض " (٥) . (٦) وقيل : الجدل أن تقول طائفة : حجنا أبر من حجكم . وقيل : الجدل كان في الفخر بالآباء . والله أعلم^(٧) .

" والمقصود من الحجّ الذلّ والانكسار لله ، والتقرب إليه بما أمكن من القربات ، والتترّ عنه مقارفة السيئات ، فإنّه بذلك يكون مبروراً ، والحجّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان فإنها يتغلظ المنع عنها في الحجّ " (٨) .

(١) الجدل - محرّكة - لغة : اللدّد في الخصومة ، والقُدرة عليها ، جادّله فهو جدلٌ ومجدلٌ ، كمنبّرٍ ومخرّابٍ . قال ابن الأثير : الجدل مُعَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ ، وَالْمُجَادَلَةُ : الْمُنَاطَرَةُ وَالْمُخَاصَمَةُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الْحَدِيثِ الْجِدْلُ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَطَلَبُ الْمَغَالِبَةِ بِهِ . فَأَمَّا الْجِدْلُ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ فَإِنَّ ذَلِكَ مَحْمُودٌ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَجَدَلْتَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ . انظر : النهاية (مادة : جدل) : ١ / ٢٤٧ ، ٢٤٨ لسان العرب (مادة : جدل) : ١١ / ١٠٣ ، القاموس المحيط (مادة : جدل) : ٨٧١٠ .

(٢) ذهب إلى هذا المعنى ابن عمر و ابن عباس ﷺ وطاوس وعطاء وعكرمة والنخعي وقتادة والزهري والضحاك وآخرين .

(٣) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ٨٧ .

(٥) جزء من حديث أخرجه البخاري مختصراً في كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كَتَبِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكََ الْدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (٤٣٨٥) : ٤ / ١٧١٢ ، وأخرجه مسلم - بزيادة - في كتاب القسامة ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (١٦٧٩) : ٣ / ١٣٠٥ . كلاهما عن أبي بكره ﷺ .

(٦) وإلى هذا المعنى ذهب السدي عن أشياخه ، والقاسم بن محمد ، ورجّحه القرطبي ، انظر : تفسير القرطبي : ٢ / ٤١٠ .

(٧) انظر : زاد المسير : ١ / ٢١١ ، ٢١٢ ، تفسير القرطبي : ٢ / ٤١٠ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٢٣٨ .

(٨) تفسير السعدي : ٩١ ، ٩٢ .

" وقد جعل رسول الله ﷺ طيب الكلام مع إطعام الطعام من برِّ الحجِّ ، والممارسة تناقض طيب الكلام ، فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه ومن يخدمه وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ، ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله ﷻ ، ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الأذى ؛ بل احتمال الأذى ، وقيل : سمي السفر سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال " (١) .

لماذا أظهر نبي قوله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ كلمة ﴿ الْحَجِّ ﴾ الثانية وقد يصح الإضمار ، وله جاءت الآية بصيغة النفي ؟

قال أبو السعود (٢) :

" والإظهار في مقام الإضمار لإظهار كمال الاعتناء بشأنه والإشعار بعلّة الحكم ؛ فإن زيارة البيت المعظم والتقرّب بها إلى الله ﷻ من موجبات ترك الأمور المذكورة ، وإيثار النفي للمبالغة في النهي ، والدلالة على أنّ ذلك حقيقٌ بأن لا يكون ، فإن ما كان منكراً مستقبهاً في نفسه ؛ ففي تضاعيف الحجِّ أقبح ، كلبس الحرير في الصلّاة ، والتطريب بقراءة القرآن لأنه خروج عن مقتضى الطبع والعادة إلى محض العبادة " . اهـ (٣) .

الحكمة في ذكره سبحانه هذه الألفاظ الثلاثة لا تزيد ولا أنقص ، وهو قوله : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ :

إن في الإنسان قوى ثلاثة : قوة شهوانية بهيمية ، وقوة غضبية سبعية ، وقوة وهمية شيطانية والمقصود من جميع العبادات قهر وترويض هذه القوى الثلاثة ؛ فلا ينقاد لشهوة ، ولا يثور ولا يتمرد ، بل يطوع هواه لرضى مولاه .

■ فقوله : ﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾ إشارة إلى قهر القوة الشهوانية .

■ وقوله : ﴿ وَلَا فُسُوقَ ﴾ إشارة إلى قهر القوة الغضبية التي توجب التمرد والغضب .

(١) الإحياء : ١ / ٢٦٢ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٥٧ .

(٣) تفسير أبي السعود : ١ / ٢٠٧ .

■ وقوله : ﴿ وَلَا جِدَالَ ﴾ إشارة إلى القوَّة الوهميَّة التي تحمل الإنسان على الجدال في ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه ، وهي الباعثة للإنسان على منازعة الناس ومماراتهم والمخاصمة معهم في كلِّ شيء .

ولمَّا كان منشأ الشرِّ محصوراً في هذه الأمور الثلاثة ؛ لا جرم قال : ﴿ فَلَا رَفْتَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ أي فمن قصد معرفة الله ومحَبَّته ، والاطلاع على نور جلاله والانخراط في سلك عباد الرحمن ، فلا يكون فيه هذه الأمور ^(١) .

هل جميع أنواع الجدال مذمومة ؟ وما هو الجدال المذموم والجدل الممدوح ؟

" من الناس من عاب الاستدلال والبحث والنَّظر والجدال ، واحتجَّ بوجوه :

① أحدها : أنه تعالى قال يقتضي نفي جميع أنواع الجدال ، ولو كان الجدال في الدِّين طاعة وسبيلاً إلى معرفة الله تعالى لما نهى عنه في الحجِّ ؛ بل على ذلك التقدير كان الاشتغال بالجدال في الحجِّ ضمَّ طاعة إلى طاعة ، فكان أولى بالترغيب فيه .

② وثانيها : قوله تعالى : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جِدَالًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ . [سورة الزخرف : ٥٨] . عابهم بكونهم من أهل الجدال ، وذلك يدلُّ على أن الجدال مذموم .

وثالثها : قوله : ﴿ وَلَا تَنَزَعُوا فِتْفَشْلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ . [سورة الأنفال : ٤٦] . هُي عن المنازعة .

وأما جمهور المتكلمين فإنهم قالوا : الجدال في الدِّين طاعةٌ عظيمةٌ ، واحتجُّوا عليه بقوله تعالى : ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . [سورة النحل : ١٢٥] . وبقوله تعالى حكايةً عن الكفار أنهم قالوا لنوح الكليل : ﴿ قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ . [سورة هود : ٣٢] . ومعلومٌ أنه ما كان ذلك الجدال إلا لتقرير أصول الدِّين .

(١) التفسير الكبير : ١٤٢ / ٥ . بتصريف يسير .

ونستطيع التوفيق بين هذه التُّصوص فنحمل الجدل المذموم على الجدل في تقرير الباطل وطلب المال والجاه ، والجدل الممدوح على الجدل في تقرير الحق ، ودعوة الخلق إلى سبيل الله ، والذبُّ عن دين الله تعالى " (١) .

سادساً : ومن برِّ الحجِّ كذلك أن يطيب العبد نفقته (٢) ، فإنَّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً . قال العلماء : شرط الحج المبرور طيب النفقة فيه (٣) .

فتطيب نفس الحاجِّ بما أنفقه من نفقة وهدى ، وبما أصابه من خسرانٍ ومصيبةٍ في مالٍ أو بدنٍ إن أصابه ذلك ، فإن ذلك من دلائل قبول حجِّه ، فإنَّ المصيبة في طريق الحجِّ تعدل النفقة في سبيل الله ﷻ ، وهذا بمثابة الشَّدائد في طريق الجهاد فله بكلِّ أذىٍ احتمله وخسرانٍ أصابه ثوابٌ ، فلا يضيع منه شيءٌ عند الله ﷻ (٤) .

فمن برِّ الحجِّ أن تكون النَّفقة حلالاً ، وتكون اليد خاليةً من تجارةٍ (٥) تشغل القلب وتفرق الهمَّ ، حتى يكون الهمُّ مجرداً لله تعالى ، والقلب مطمئناً منصرفاً إلى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره .

(١) التفسير الكبير : ٥ / ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٢) قال ﷻ : " إذا حجَّ رجل بمالٍ من غير حلِّه ، فقال : لبيك اللهم لبيك . قال الله ﷻ : لا لبيك ولا سعديك ، هذا مردودٌ عليك " . وهو حديث ضعيف ، والمشهور على الألسنة : " حجَّك مردود عليك " بدل هذا . انظر : كشف الخفاء : ١ / ٨٩ .

(٣) شرح الزرقاني : ٢ / ٣٦٠ .

(٤) انظر : الإحياء : ١ / ٢٦٣ .

(٥) قد قال تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٧) لِيَشْهَدُوا

مَنْتَفِعَ لَهُمْ ﴿ الآية . [سورة الحج : ٢٧ ، ٢٨] . قال الطبري : اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع . ورجح ابن كثير قول ابن عباس ومجاهد وغير واحد ، قالوا : هو عموم ، أي : ليحضرُوا منافع لهم ، أي : ما يرضي الله تعالى من أمر الدنيا والآخرة ، واختاره ابن العربي فإنه يجمع ذلك كله من نسك وتجارة ومغفرة ومنفعة دنيا وأخرى . وقال ابن عباس ﷻ : " كان ذو الحجاز وعكاظ متجر الناس في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك ، حتى نزلت : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ . [سورة البقرة : ١٩٨] . في مواسم الحج " . أخرجه البخاري في كتاب الحجِّ ، باب التجارة أيام الموسم والبيع في أسواق

الجاهلية (١٦٨١) : ٢ / ٦٢٨ . وانظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٤٦ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٤١ ، تفسير كثير : ٣ / ٢١٧ . وطلب منافع الدنيا والتجارة جائز في الحجِّ ، ولكننا حين نتحدث عن برِّ الحجِّ فخلوُّ البال من همِّ التجارة يجمع شتات الذهن ويفرغه للعبادة .

ويتوسَّع في الزَّاد ، وتطيب النفس بالبذل والإنفاق من غير تقتير ولا إسراف ؛ بل على اقتصاد ، والمقصود بالإسراف : التَّعَمُّمُ بأطيب الأطعمة والترفُّه بشرب أنواعها على عادة المترفين ، فأما كثرة البذل فلا سرف فيه ؛ إذ لا خير في السَّرْفِ ، ولا سرف في الخير .
وبذل الزَّاد في طريق الحج نفقته في سبيل عَيْتِكَ . قال ابن عمر (١) رضي الله عنهما : من كرم الرَّجُل طيب زاده في سفره . وكان يقول : أفضل الحاج أخلصهم نيةً وأزكاهم نفقةً ، وأحسنهم يقيناً (٢) .

سابعاً : ومن برَّ الحجَّ كذلك أن لا يقصد العبد بحجِّه رياءً ولا سمعةً ، ولا مباهاةً ولا فخراً ولا خيلاءً ، ولا يقصد به إلا وجه ربِّه ورضوانه ، ويتواضع في حجِّه ، ويستكين ويخشع لربِّه (٣) .

ثامناً : أن يكون رثَّ الهيئة أشعث أغبر ، غير مستكثرٍ من الزينة ، ولا مائلٍ إلى أسباب التفاخر والتكاثر ، فيكتب في ديوان المتكبرين المترفِّهين ، ويخرج عن حزب الضُّعفاء والمساكين وخصوص الصَّالحين (٤) . وقد " حجَّ رسول الله ﷺ على راحلة وكان تحته رَحْلٌ (٥) رثٌّ ، وقطيفةٌ خَلقةٌ قيمتها أربعة دراهم " (٦) .
وعن أبي هريرة (٧) رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : " إنَّ الله ﻋَبَّكَ لبياهي الملائكة بأهل عرفات ، يقول : انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً " (٨) . وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ١٣٥ .

(٢) الإحياء : ١ / ٢٦١ . بتصرف يسير .

(٣) انظر : التمهيد لابن عبد البر : ٢٢ / ٣٩ .

(٤) انظر : الإحياء : ١ / ٢٦٣ - ٢٦٥ .

(٥) الرَّحْلُ : ما يوضع على ظهر البعير للركوب عليه ، وهو للبعير كالسرج للفرس . انظر : النهاية (مادة : رحل) : ٢ / ٢٠٩ .

(٦) جزء من حديث آخره : " ثم قال : اللهم حجِّه لا رياء فيها ولا سمعة " . أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية : ٢٧٥ ، وأخرج ابن

ماجه بنحوه من حديث أنس بسند ضعيف . انظر : سنن ابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب الحج على الرحل (٢٨٩٠) : ٢ / ٩٦٥ .

ولكن الحديث له طرق وشواهد ، وبعض هذه الطرق يصلح للاعتبار ، فالحديث لا يقلُّ عن رتبة الحسن .

(٧) صحابي جليل ، انظر : ص ١٤٣ .

(٨) أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٨٠٣٣) : ٢ / ٣٠٥ . قال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . انظر : مجمع

[سورة الحج : ٢٩] . والتَّفَثُ : الشَّعْثُ والاعْتِرَارُ ، وقضائُه بالحلق وقصُّ الشارب والأظفار (١) .

أسرار الحجِّ :

لكل عبادة أسرار ، وفهم هذه الأسرار بالتأمل في بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص في النية ، والتذكُّر لمعاني الحجِّ من أوَّله إلى آخره ، ويتبدأ بفهم موقع الحجِّ في الدِّين ، ثم الشَّوق إليه ، ثم العزم عليه ، ثم قطع العلائق المانعة منه ، ثم شراء ثوب الإحرام ، ثم شراء الزاد ، ثم اكتراء الراحلة ، ثم الخروج ، ثم المسير في البادية ، ثم الإحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ، ثم استتمام أفعال الحجِّ جميعها ، وفي كلِّ واحدٍ من هذه الأمور تذكُّرة للمتذكِّر وعبرة للمعتبر ، وتعريف وإشارة للفظن ، فلنرمز إلى مفاتيحها ؛ حتى إذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكلِّ حاجٍ من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه ، وطهارة باطنه ، وغزارة فهمه .

أما الفهم فلا وصول إلى الله ﷻ إلا بالتزُّه عن الشهوات ، والكفِّ عن اللذات والاقْتِناص على الضرورات فيها ، والتجرُّد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ، وقد بعث الله ﷺ نبيّه محمداً ﷺ لإحياء طريق الآخرة ، وتجديد سنَّة المرسلين في سلوكها ، وشرف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه تعالى ، ونصبه مقصداً لعباده ، وجعل ما حوَّاه حرماً لبيته تفخيماً لأمره ، وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه ، وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ، يقصده الزوَّار من كلِّ فجٍّ عميقٍ ، ومن كلِّ أوبٍ سحيقٍ ، شعثاً غيراً متواضعين لربِّ البيت ، ومستكينين له خضوعاً لجلاله واستكانةً لعزته ، مع الاعتراف بتزبيته عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ؛ ليكون ذلك أبلغ في رقِّهم وعبوديتهم ، وأتمَّ في إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظَّف عليهم فيها أعمالاً لا تأنس بها النفوس ، ولا تهتدي إلى معانيها العقول ، كرمي الجمار بالأحجار ، والتردُّد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار ، وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرقِّ والعبودية ؛ فإنَّ الزكاة إرفاقٌ ووجهه مفهوم وللعقل إليه ميل ، والصوم كسرٌ للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكفِّ عن الشواغل

(١) انظر : تفسير الطبري : ١٧ / ١٤٩ ، ١٥٠ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٤٩ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٢١٨ .

والركوع والسجود في الصلاة تواضعٌ لله ﷻ بأفعال هي هيئة التواضع ، وللنفوس أنسٌ بتعظيم الله ﷻ ، فأما تردُّدات السعي ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظٌ للنفوس ولا أنسٌ فيها ، ولا اهتمامٌ للعقل إلى معانيها فلا يكون في الإقدام عليها باعثٌ إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمرٌ واجب الاتِّباع فقط ، وفيه عزلٌ للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه ؛ فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلاً ما ؛ فيكون ذلك الميل معيناً للأمر وباعثاً معه على الفعل ، فلا يكاد يظهر به كمال الرقِّ والانقياد ، ولذلك قال ﷺ في الحجِّ على الخصوص : " لبيك حجاً حقاً ، تعبداً ورقاً " (١) .

ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها ، فكان ذلك أبلغ أنواع التعبُّدات في تركية النفوس ، وإذا فطن الإنسان لهذا فهم أن تعجُّب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذُّهول عن أسرار التعبُّدات .

وأما الشوق فإنما ينبعث بعد الفهم والتحقُّق بأن البيت بيت الله ﷻ ، وأنه وُضع على مثال حضرة الملوك ، فقاصده قاصدٌ إلى الله ﷻ ، وأن من قصد البيت في الدنيا جديرٌ بأن يرزق لذة النَّظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار بحكم الوعد الكريم ، فالشوق إلى لقاء الله ﷻ يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة هذا ، مع أن الحب مشتاقٌ إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله ﷻ فحريٌّ أن يشواق إليه العبد لمجرد هذه الإضافة ، فضلاً عن الطَّلب لنيل ما وُعد عليه من الثواب الجزيل .

وأما العزم فإنَّ الحاجَّ يكون بعزمه قاصداً إلى مفارقة الأهل والوطن ، ومهاجرة الشَّهوات واللذات ، متوجهاً إلى زيارة بيت الله ﷻ ، فليعظَّم في نفسه قدر البيت وقدر ربِّ البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطيرٌ أمره ، وليجعل عزمه خالصاً لوجه الله سبحانه بعيداً عن شوائب الرياء والسَّمعة ، وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير .

(١) قال الهيثمي : رواه البيهقي مرفوعاً وموقوفاً ولم يسمِّ شيخه في المرفوع . وقال ابن حجر : رواه البيهقي من حديث أنس ، وذكر الدارقطني في العلل الاختلاف فيه ، وساقه بسنده مرفوعاً ورجَّح وقفه . انظر : خلاصة البدر المنير (١٢٥٣) : ١ / ٣٦١ ، مجمع الزوائد : ٣ / ٢٢٣ ، تلخيص الحبير (١٠٠٤) : ٢ / ٢٤٠ . (هذا ولم أقف عليه في مسند البيهقي) .

وأما قطع العلائق فمعناه ردّ المظالم والتّوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي ، فكل مظلمة علاقة ، فمن أراد أن يكون حجّه مروراً فليردّ المظالم ، وليتب إلى الله أولاً من جميع المعاصي ، ويقطع علاقة قلبه عن الالتفات إلى ما وراءه ليكون متوجّهاً إليه بوجه قلبه كما أنه متوجه إلى بيته بوجه ظاهره ، فمن لم يفعل ذلك لم يكن له من سفره أولاً إلا النصب والشقاء ، وآخرأ إلا الطرد والردّ ، وليقطع العلائق عن وطنه انقطاع من قطع عنه وقدر أن لا يعود إليه ، وليكتب وصيته لأولاده وأهله ؛ فإن المسافر وماله لعلّى خطر إلا من وقى الله سبحانه ، وليتذكّر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة ؛ فإن ذلك بين يديه على القرب ، وما يقدمه من هذا السفر طمعٌ في تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير ، فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر .

وأما الزاد فليطلبه من موضع حلال ، وإذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر ، وأن زاده التقوى وأن ما عداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه ، كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر ، فيبقى وقت الحاجة متحيراً محتاجاً لا حيلة له ، فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت ؛ بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير .

وأما الراحلة إذا أحضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله ﷻ له المركب ليخفف عنه المشقة ، وليتذكر عندها المركب الذي يركبه إلى دار الآخرة ، وهي الجنّازة التي يحمل عليها فإن أمر الحج من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة ، ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب ؟! فما أقرب ذلك منه ! وما يدريه لعلّ الموت قريب ويكون ركوبه للجنّازة قبل ركوبه للمركب وركوب الجنّازة مقطوع به وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه ، فكيف يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه ، ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن ؟! ..

وأما شراء ثوبي الإحرام فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه ، فإنه فيه سيرتديه ويترر بشوبي الإحرام عند القرب من بيت الله ﷻ ، وربما لا يتمّ سفره إليه ، وأنه سيلقى الله ﷻ ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة ، فكما لا يلقي بيت الله ﷻ إلا مخالفاً عاداته في الزي والهيئة فلا

يلقى الله ﷻ بعد الموت إلا في زيِّ مخالفٍ لزيِّ الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما في الكفن .

وأما الخروج من البلد فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن ، متوجهاً إلى الله ﷻ في سفرٍ لا يضاهاه أسفار الدنيا ، فليحضر في قلبه أنه ماذا يريد ؟ وأين يتوجه ؟ وزيارة من يقصد ؟ وأنه متوجهٌ إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين له ، الذين نودوا فأجابوا ، وشُوقوا فاشتاقوا ، واستنهضوا فنهضوا ، وقطعوا العلائق ، وفارقوا الخلائق ، وأقبلوا على بيت الله ﷻ ، الذي فخم أمره ، وعظم شأنه ، ورفع قدره ، تسلياً بقاء البيت عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ، ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم ، وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول ، لا إدلالاً بأعماله في الارتحال ومفارقة الأهل والمال ، ولكن ثقةً بفضل الله ﷻ ورجاءً لتحقيقه وعده لمن زار بيته ، وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته المنية في الطريق لقي الله ﷻ وافداً إليه ، إذ قال ﷻ : ﴿ وَمَنْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ . [سورة النساء : ١٠٠] .

وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات ؛ فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة ، وما بينهما من الأهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكرٍ ونكير ، ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات ، ومن انفراده من أهله وأقاربه وحشة القبر وكربتة ووحدته ، وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزوداً لمخاوف القبر .

وأما الإحرام والتلبية من الميقات فإن معناه إجابة نداء الله ﷻ ، وليرج أن يكون مقبولاً ، وليخش أن يقال له : لا لبيك ولا سعديك . فيكون بين الرجاء والخوف متردداً وعن حوله وقوته متبرئاً ، وعلى فضل الله ﷻ وكرمه متكلاً ، فإن وقت التلبية هو بداية الأمر وهي محل الخطر . وليتذكر الملبّي عند رفع الصّوت بالتلبية في الميقات إجابته لنداء الله ﷻ إذ قال : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ . [سورة الحج : ٢٧] . ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور ، وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ، ومنقسمين إلى مقرين وممقوتين ، ومقبولين ومردودين ، ومترددن في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات ، حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا .

وأما دخول مكة فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمناً ، وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله ﷻ ، وليخش أن لا يكون أهلاً للقرب ؛ فيكون يدخوله الحرم خائباً ومستحقاً للمقت ، وليكن رجاءه في جميع الأوقات غالباً ، فالكرم عميم ، والرب رحيم ، وشرف البيت عظيم ، وحق الزائر مرعي ، وذمام المستجير اللائذ غير مضيع ، وأما عند وقوع البصر على البيت :

■ فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر وكأنه مشاهدٌ لرب البيت لشدة تعظيمه إياه .

■ ويرج أن يرزقه الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقه الله النظر إلى بيته العظيم .
 ■ ويشكر الله تعالى على تبليغه إياه هذه الرتبة ، وإحاقه إياه بزمرة الوافدين عليه .
 ■ وليتذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ، ثم انقسامهم إلى مأذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين ، ولا يغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما يراه ؛ فإن كل أحوال الحاج دليلٌ على أحوال الآخرة .

■ وأما الطواف بالبيت :

■ فليعلم أنه صلاة ؛ فليحضر في قلبه فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة .
 ■ وليعلم أنه بالطواف متشبه بالملائكة المقرين الحافين حول العرش الطائفين حوله ، وأن البيت المعمور في السموات بإزاء الكعبة ، فإن طواف الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت ولما قصرت رتبة الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الإمكان .

وأما الاستلام فليعتقد عنده أنه مبايع لله ﷻ على طاعته ، فيصمم عزمته على الوفاء ببيعته ، فمن غدر في المبايعه استحقَّ المقت .

وأما الدعاء عند الملتزم فينبغي للحاج أن تكون نيته في الالتزام طلب القرب حباً وشوقاً للبيت ولرب البيت ، وليلج في طلب المغفرة وسؤال الأمان ، ويتضرع إلى الله ليغفوَ عنه ، ويظهر له أنه لا ملجأ له منه إلا إليه ، ولا مفزع له إلا كرمه وعفوه ، وأنه لن يترك مناجاته حتى يعفو عنه .

وأما السعي، بين الصفا والمروة في، فناء البيت فإنه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائئاً وذاهباً مرة بعد أخرى ، إظهاراً للخلوص في الخدمة ، ورجاءً للملاحظة بعين الرحمة ، كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول أو رد ! فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى ، يرجو أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى ، ولتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة ، وليمثل الصفا بكفة الحسنات ، والمروة بكفة السيئات ، ولتذكر تردده بين الكفتين ناظراً إلى الرجحان والنقصان ، متردداً بين العذاب والغفران .

وأما الوقوف بعرفة فليتذكر بما يرى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات ، وباختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاءً لهم وسيراً بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة ، واقتفاء كل أمة نبيها ، وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول ، وإذا تذكر ذلك فليلزم قلبه الضراعة والابتهاال إلى الله ﷻ ، فيحشر في زمرة الفائزين المرحومين ، ويحقق رجاءه بالإجابة فالموقف شريف ، والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق فإذا اجتمعت همهم وتجردت للضراعة والابتهاال قلوبهم ، وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتدت إلى أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم ، مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة ، فلا تظن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ، ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ، وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الصالحين المجتمعين من أقطار البلاد هو سرّ الحج وغاية مقصوده ، فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد .

وأما رمي الجمار فليقصد به الانقياد للأمر إظهاراً للرقّ والعبودية ، وانتهاضاً لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ، ثم ليقصد به التشبه بإبراهيم ﷺ حيث عرض له إبليس - لعنه الله تعالى - في ذلك الموضع ليدخل على حجّه شبهة ، أو يفتنه بمعصية ، فأمره الله ﷻ أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله ، فإن خطر له أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان فليعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبه ليفتر عزمه في الرمي ، ويخيل إليه أنه فعل لا فائدة فيه ، وأنه يضاهي

اللعب فلم يشتغل به ، فليطرده عن نفسه بالجدِّ والتَّشْمِيرِ في الرمي فيه برغم أنف الشيطان وليعلم أنه في الظاهر يرمي الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة يرمي به وجه الشيطان ويقصم به ظهره ؛ إذ لا يحصل إرغام أنفه إلاَّ بامتثالك أمر الله ﷻ تعظيماً له بمجرد الأمر من غير حظٍّ للنفس والعقل فيه .

وأما ذبح الهدي فليعلم الحاجُّ أنه تقرَّب إلى الله تعالى بحكم الامتثال ، وليزيد من الحسنات .

فهذه وظيفة القلب في أعمال الحجِّ ، فإذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلزم قلبه الحزن والهَمُّ والخوف ، وأنه ليس يدري أقبل منه حجَّه وأثبت في زمرة المحبوبين أم ردَّ حجَّه وألحق بالمطرودين ! .. وليتعرَّف ذلك من قلبه وأعماله ؛ فإن صادف قلبه قد ازداد تجافياً عن دار الغرور وانصرافاً إلى دار الأُنس بالله تعالى ، ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول ، فإن الله تعالى لا يقبل إلاَّ من أحبَّه ، ومن أحبَّه تولَّاه وأظهر عليه آثار محبته وكفَّ عنه سطوة عدوه إبليس - لعنه الله - ، فإذا ظهر ذلك عليه دلَّ على القبول ، وإن كان الأمر الآخر بخلافه فيوشك أن يكون حظُّه من سفره العناء والتعب ، نعوذ بالله ﷻ من ذلك (١) .

البرِّ في الحجِّ نفلاً (٢) :

ومن أعمال البرِّ أداء الحجِّ نافلةً ، فالحجُّ واجبٌ في العمر مرَّةً واحدةً ، وقد أجمع العلماء على أن الحجَّ لا يتكرَّر ، إلاَّ أن ينذره فيجب الوفاء بالنَّذر وما زاد فهو تطوُّع (٣) ؛ لكننا نجد النبي ﷺ يأمر بالمتابعة بين الحجِّ والعمرة ، حيث قال ﷺ : " تابعوا بين الحج والعمرة

(١) الإحياء : ١ / ٢٦٦ - ٢٧٠ . بتصرف .

(٢) سبق تعريف النافلة لغة وشرعاً في مبحث الصلاة ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٣) انظر : فتح الباري : ٣ / ٣٧٨ ، تحفة الأحوذى : ٣ / ٤٥١ ، عون المعبود : ٥ / ٩٩ .

فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة " (١) .
 و" تابعوا " أي : قاربوا بينهما ، إمّا بالقران أو بفعل أحدهما بالآخر . أو : إذا اعتمرتم
 فحجُّوا ، وإذا حجَّجتُم فاعتمرُوا . ويجوز أن يراد بالتتابع المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ فَصِيَامُ
 شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ . [سورة النساء : ٩٢] . فيأتي بكل منهما عقب الآخر بلا فصل ، وهذا ظاهر
 لفظ المتابعة ، وأن يراد اتباع أحدهما الآخر ولو تخلل بينهما زمن ؛ بحيث يظهر مع ذلك
 الاهتمام بهما ، ويطلق عليه عرفاً أنه اتبعه (٢) .
 هذا هو برُّ الحجِّ في الفرض والتأفلة ، وفي كلِّ هو تهذيب للنفس ؛ فهو رحلة إيمانية يتحلَّى
 فيها المسلم بالانضباط وحسن الخلق ، والأبرار يسعون الناس بأخلاقهم ومالهم ، فيطعمون
 الطعام ويلينون الكلام وينحرون الأضاحي ، ويكثر من التلبية وذكر الله ، ويتجنَّبون
 المعاصي ، ويتقربون إلى الله بأفضل الأعمال ، وجلُّ همُّهم أن يقبل الله حجَّهم ليخرجوا من
 ذنوبهم كما وعدهم ربُّهم كيوم ولدتهم أمهاتهم .



(١) أخرجه الترمذي في كتاب الحجِّ ، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة (٨١٠) : ٣ / ١٧٥ . وأخرج النسائي بمثله في السنن الكبرى في كتاب الحجِّ ، فضل المتابعة بين الحج والعمرة (٣٦١٠) : ٢ / ٣٢٢ . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال أبو عيسى : حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح غريب .
 (٢) انظر : تحفة الأحوذني : ٣ / ٤٥٤ ، فيض القدير : ٣ / ٢٢٥ ، حاشية السندي : ٥ / ١١٥ .

الفصل الثالث البر في مكارم الأخلاق

وفيه ستة مجلدات :

المجلد الأول : الوفاء بالعهود والوفود .

المجلد الثاني : الصبر .

المجلد الثالث : الصدق .

المجلد الرابع : التناهي بالبر والتقوى

والتعاون على البر والتقوى .

المجلد الخامس : الأمر بالمعروف والنهي من المنكر .

المجلد السادس : إتيان البيوت من أبوابها .

تمهيد

إنَّ علم الأخلاق الإسلامية من أشرف العلوم وأعلاها قدراً ، وقد حفل به القرآن الكريم وعني به أيما عناية ، حيث تناولت سوره وآياته موضوعات شتى من أسس الأخلاق ومكارمها ، وقد خاطب الله رسوله محمداً ﷺ بآيات عظيمة يخبره في بعضها ويمتدحه بالخلق العظيم : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤١ ﴾ . [سورة القلم : ٤] . وفي بعضها يأمره بالتخلق بمكارم الأخلاق وأحسنها : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ۝١١٣ ﴾ . [سورة الأعراف : ١١٣] . فهذه آية جمعت مكارم الأخلاق ، وقد خوطب بها نبي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق .

وقيمة الإنسان تقاس بأخلاقه وأعماله ، قال ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَىٰ صُورِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ ، وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَىٰ صَدْرِهِ " (١) .

الأخلاق لغة :

الأخلاق جمع خلق ، وهو من خلق : الخاء واللام والقاف أصلان ، أحدهما : تقدير الشيء والآخر مَلَاَسَة الشيء ، ومن الأوَّل : الخلق ، وهو الدِّين والطَّبَع والسَّجِيَّة والمروءة والدِّين لأن صاحبه قد قُدِّرَ عليه ، وفلانٌ خَلِيقٌ بكذا ، وأَخْلَقَ به ، أي ما أَخْلَقَهُ ، أي هو مَن يَقْدِرُ فيه ذلك (٢) .

تعريف الخلق :

قال الغزالي (٣) : " فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية " (٤) .

(١) سبق ترجمته في ص ١٥٤ ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) انظر : المقاييس ، كتاب الخاء ، باب الخاء واللام وما يثلثهما (مادة : خلق) : ٣٢٩ ، لسان العرب (مادة : خلق) : ١٠ / ٨٦ الكليات : ٤٢٩ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٥٣ .

(٤) الإحياء : ٣ / ٥٣ .

وقال ابن قيِّم الجوزيَّة (١) : " الدِّين كله خُلُق ، فمن زاد عليك في الخُلُق زاد عليك في الدين " (٢) .

والخُلُق والخُلُق في الأصل واحد ، لكن خُصَّ الخُلُق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر ، وخُصَّ الخُلُق بالقوى والسَّجَايا المدركة بالبصيرة (٣) .

" وعليه فإنَّ الأخلاق مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس الإنسانية بحيث تصبح طبعاً وسجِّية يصعب على المرء مخالفتها وتغييرها " (٤) ، وهذه المعاني عني بها الإسلام حيث وضع المسلم على المحجَّة البيضاء ، وأبان له سبل الخير والشرِّ ، وحَبَّب إليه الإيمان وزَيَّنَه في قلبه ، وألهمه فجور النفس وتقواها .

حقيقة حسن الخُلُق :

حقيقة الخُلُق : " أنه لصورة الإنسان الباطنة ، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة " (٥) .

ومن أقوال السَّلَف في حقيقة حسن الخُلُق ما يلي :

- أن لا يخاصِم ولا يخاصِم من شدة معرفته بالله تعالى .
- هو كَفُّ الأذى واحتمال المؤن .
- هو إرضاء الخلق في السراء والضراء .
- أدناه الاحتمال وترك المكافأة ، والرَّحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه .
- أن لا يَتَّهم الحقَّ في الرزق ، ويثق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن ، فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه ، وفيما بينه وبين الناس .
- هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق .

(١) سبق ترجمته في ص ٦ .

(٢) مدارج السالكين : ٣٠٧ / ٢ .

(٣) المفردات : ١٥٨ . بتصرف يسير .

(٤) نحو ثقافة إسلامية ، د . عمر الأشقر : ١٥٧ .

(٥) لسان العرب (مادة : خلق) : ١٠ / ٨٦ .

■ هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى (١) .

ارتباط الأخلاق بالإيمان :

لقد ربط القرآن الكريم بين الأخلاق والإيمان منذ الساعات الأولى للتكليف بالإندار العام .
قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمُدْثِرُ ﴿١﴾ فَمَّا نَذَرَ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهَّرَ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرَ ﴿٥﴾
وَلَا تَمُنَّ بِتَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ . [سورة المدثر: ١ - ٧] . ووضح ﷺ أن الإيمان القوي
يلد الخلق القويم حتماً ، وأن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان أو فقدانه ، قال ﷺ :
" أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً " (٢) . وقال ﷺ : " الحياء والإيمان قرناء جميعاً ، فإذا
رفع أحدهما رفع الآخر " (٣) .

إن بعض المنتسبين للدين يحرصون على أداء العبادات المطلوبة ، وهم في الوقت نفسه
يرتكبون أعمالاً ياباها الخلق الكريم والإيمان الحق ، رغم أن الإيمان والصلاح والأخلاق
عناصر متلازمة ، لا يستطيع أحدٌ تمزيق عراها .

لقد سأل ﷺ أصحابه يوماً : " أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا
متاع . فقال : إن المفلس من أمّتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتي قد شتم
هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من
حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم
فطرح عليه ، ثم طرح في النار " (٤) .

(١) انظر : الإحياء : ٣ / ٥٣ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الإيمان (١) : ٤٣ / ١ . عن أبي هريرة ؓ . قال الذهبي : لم يتكلم عليه
المؤلف وهو صحيح . وقال المناوي : قال الحافظ العراقي في أماليه : حديث صحيح . انظر : فيض القدير : ٢ / ٩٧ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الإيمان (٥٨) : ٧٣ / ١ . عن ابن عمر ؓ . قال الحاكم : هذا حديث
صحيح على شرطهما ، فقد احتجا برواته ولم يخرجاه بهذا اللفظ . ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم (٢٥٨١) : ٤ / ١٩٩٧ . عن أبي هريرة ؓ .

أركان الإسلام ومبادئ الأخلاق :

إن الشعائر التعبديّة التي فرضها الله على كل مسلم إنما هي تمارين متكرّرة لتعويده أن يجي بأخلاق حسنة ، وأن يظل مستمسكاً بهذه الأخلاق مهما تغيّرت الظروف .

والقرآن الكريم والسنة المطهرة يبيّنان هذا الأمر بجلاء ، فالصلاة الواجبة عندما أمر الله بها أبان الحكمة من إقامتها فقال ﷺ : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ . [سورة العنكبوت : ٤٥] .

وقال ﷺ : " من لم تنهه صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلاّ بعداً " (١) .

والزكاة المفروضة ليست ضريبة تجبي ، وإنما هي طهرة للنفس وإحساس بالمحتاجين ومواساة للفقراء والمساكين ، وفي هذا غرس لمشاعر الحنان والرأفة ، وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين شتى الطبقات .

قال ﷺ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ . [سورة التوبة : ١٠٣] .

وكذلك شرع الله الصوم ، ليس لحرمان الإنسان من الطيبات ، ولكن لترويض النفس على الانضباط ، ولجم زمام الهوى والنفس الأمارة بالسوء .

قال ﷺ : " من يدع قول الزور والعمل به ؛ فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " (٢) .

كما أن الحجّ ليست رحلة إيمانية مجردة من المعاني الخلقية ، فمن افتقر حجّه إلى الخلق الحسن لم يكن حجّه مروراً . قال الله ﷻ : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ . [سورة البقرة : ١٩٧] .

لقد تنوّعت العبادات وتباينت في جوهرها ومظهرها ، لكنها تلتقي عند الغاية التي رسمها

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، ما أسند إلى ابن عباس ؓ (١١٠٢٥) : ١١ / ٥٤ . قال الميثمي : رواه الطبراني في الكبير وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة ولكنه مدلس ، وعن عبد الله بن مسعود قال : " من لم تأمره صلواته بالمعروف ونهاه عن المنكر لم يزد من الله إلاّ بعداً " . رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح . وقال العجلوني : رواه أحمد في الزهد عن ابن مسعود موقوفاً ، ورواه ابن جرير عنه مرفوعاً . انظر : مجمع الزوائد : ٢ / ٢٥٨ ، كشف الخفاء : ٢ / ٣٦٤ .

(٢) سبق تخريجه في ص ٢١٩ ، أخرجه البخاري .

الرسول ﷺ : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (١) .
 إن الأخلاق في الإسلام ليست لونها من الترف يمكن الاستغناء عنه عند اختلاف الظروف والأشخاص ، وليست ثوباً يرتديه الإنسان لموقف ثم يترعه متى يشاء ، بل إنها ثوابت ومبادئ لا تتغير ، خاصة بعدما بينا أن إيمان المرء مرتبط بأخلاقه ، وأن عبادته الظاهرة لن تنفعه يوم القيامة إن صاحبها سوء خلق ، بل إن المسلم ليلعب بحسن خلقه درجة الصائم القائم (٢) . (٣)

والبرُّ حسن الخلق ، فالأبرار حسنة أخلاقهم ، كريمة فعالمهم ، فهم يوفون بالعهد ويتحلون بالصبر ، ويصدقون في أقوالهم وأفعالهم ، ويتناجون بالبرِّ والتقوى ، ولا يأمرؤن الناس بالبرِّ وينسون أنفسهم ، ويأتون البيوت من أبوابها ، وبعد هذا كله هم مشفقون يسألون الله القبول والإخلاص .

قال تعالى : ﴿ وَلَيَكِنَّ الْبِرَّ مَنَءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بَعْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .



(١) أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة ؓ (٨٩٣٩) : ٢ / ٣٨١ . قال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . انظر : مجمع الزوائد : ٨ / ١٨٨ .

(٢) قال رسول الله ﷺ : " إن الله ليلعب العبد بحسن خلقه درجة الصوم والصلاة " . أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الإيمان (٢٠٠) : ١ / ١٢٨ . قال الذهبي : على شرط مسلم .

(٣) انظر : خلق المسلم لحمد الغزالي : ٧ - ١٢ ، كلمات في الأخلاق الإسلامية لكامل محمد عيسى : ٥٩ - ٦٤ .

المبحث الأول

الوفاء بالعهود والوعود

من أبرز خصال البرِّ في الأخلاق الوفاء بالعهد ، فلم يذكر ﷺ من خلق الأبرار في آية البرِّ إلاَّ الوفاء بالعهد والصبر ، وقدَّم الوفاء على الصبر ، لذا فهو أبرُّ البرِّ ، لأنَّ الوفاء أخو الصدق والعدل ، فلا يُتَوَقَّع من ناقضٍ للعهد أن يكون صادقاً عادلاً مع نفسه أو مع الناس .

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنِينَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧] .

الوفاء لغة :

من (وفي) الواو والفاء والحرف المعتل كلمة تدلُّ على إكمال وإتمام . ومن هذا الوفاء : وهو إتمام العهد وإكمال الشرط ، وفي وأوفى : فهو وفي ، ويقولون : أوفيتك الشيء ، إذا قضيته وافياً ، وتوفيت الشيء واستوفيته ؛ إذا أخذته كله حتى لم تترك منه شيئاً ، ووفى بعهده وأوفى : إذا تمَّ العهد ولم ينقض حفظه ، واشتقاق ضده وهو الغدر يدلُّ على ذلك وهو ترك (الحفظ) . ويقال : وفى بالشيء وأوفى ووفى بمعنى واحد . وأوفى الرجل حقه ؛ ووفاه إياه بمعنى : أكمله له وأعطاه وافياً . والوفاة : الموت ^(١) .

(١) انظر : المقاييس ، كتاب الواو ، باب الواو والفاء وما يثلثهما (مادة : وفي) : ١٠٩٩ ، لسان العرب (مادة : وفي) : ١٥ / ٣٩٨

تعريف الوفاء :

- هو : " ملازمة طريق المواصلة ومحافظه عهود الخلقاء " (١) .
و " الوفاء بالعهد : إتمامه وعدم نقض حفظه " (٢) .

أنواع الوفاء :

أولاً : الوفاء بالعهد :

- قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ . [سورة الإسراء : ٣٤] . وقال تعالى :
﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .
قال الزجاج (٣) : كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد .
وقال ابن عباس (٤) : العهود يعني : ما أحل ، وما حرم ، وما فرض ، وما حد في القرآن كله ، لا تغدروا ولا تنكثوا (٥) .

ثانياً : الوفاء بالعقد :

- قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ . [سورة المائدة : ١] .
أجمع أهل التأويل (٦) على أن معنى العقود : العهود ، قال الزجاج : العقود أوكد العهود
وبذلك يتطابق مع النوع الأول .
" والمراد بالعهد :

- قيل : عهود الإيمان والقرآن .
- وقيل : هي ما يتعاقدده الناس فيما بينهم " (٧) .

(١) التعريفات : ٣٢٧ ، التعاريف : ٧٢٩ .

(٢) المفردات (مادة : وفي) : ٥٤٣ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٥٥ .

(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٥) الكبائر لمحمد بن أحمد الذهبي : ١٦٨ .

(٦) نقل هذا الإجماع الإمام الطبري ، انظر : تفسير الطبري : ٦ / ٤٦ .

(٧) تفسير البغوي : ٢ / ٥٠ ، ٦ .

" والصَّحِيحُ أَنْ لَفْظَ (الْعُقُودُ) شَامِلٌ لِجَمِيعِ الْعُقُودِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَهَذَا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ " (١) .

" وَإِنَّمَا سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ التَّكَالِيفَ عُقُوداً كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى رَبَطَهَا بِعِبَادِهِ كَمَا يَرِبُطُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ بِالْحَبْلِ الْمَوْثِقِ ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ هَذِهِ التَّكَالِيفَ تَارَةً عُقُوداً ، كَمَا فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَئِنْ يُؤَاخِذْكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ مِنَ الْآيْمَانِ ﴾ . [سورة المائدة : ٨٩] . وَتَارَةً عَهُوداً ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . [سورة البقرة : ٤٠] . وَقَالَ : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْآيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ . [سورة النحل : ٩١] . " (٢)

ثالثاً : الوفاء بالوعد :

الوفاء بالوعد على نوعين :

- أحدهما : أن يعد ومن نيته أن لا يوفي بوعدته وهذا أشرف الخلق ، ولو قال : أفعل كذا إن شاء الله تعالى ، ومن نيته أن لا يفعل كان كذباً وخلفاً ، قاله الأوزاعي (٣) .
 - الثاني : أن يعد ومن نيته أن يفي ، ثم يبدو له عذر في الخلف ، فيُخلف (٤) .
- قال الإمام مالك (٥) : العدة (٦) : مثل أن يسأل الرجل الرجل أن يهب له الهبة فيقول له : نعم . ثم يبدو له ألا يفعل .

(١) تفسير السمرقندي : ٣٨٩ / ١ .

(٢) التفسير الكبير : ٩٧ / ١١ .

(٣) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمّد الأوزاعي ، من قبيلة الأوزاع ، أبو عمرو : إمام أهل الشام في الفقه والزهد ، وأحد الكتاب المترسلين ، ولد في بعلبك ، ونشأ في البقاع ، وسكن بيروت وتوفي بها . وعرض عليه القضاء فامتنع . قال صالح بن يحيى في " تاريخ بيروت " : كان الأوزاعي عظيم الشأن بالشام ، وكان أمره فيهم أعز من أمر السلطان ، له كتاب " السنن " في الفقه ، والمسائل ، ويقدر ما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أحاب عليها كلها . وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه . ت سنة ١٥٧ هـ . انظر : حلية الأولياء : ١٣٥ / ٦ ، طبقات الفقهاء للشيرازي : ٧١ / ١ ، وفيات الأعيان : ١٢٧ / ٣ ، شذرات الذهب : ١ / ٢٤١ .

(٤) انظر : الإحياء : ١٣٢ / ٣ ، ١٣٣ ، جامع العلوم والحكم : ٤٣١ / ١ .

(٥) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي ، أبو عبد الله : إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه تنسب المالكية أحد المذاهب الأربعة الفقهية . ت سنة ١٧٩ هـ . انظر : طبقات الفقهاء : ١ / ٥٣ ، صفة الصفوة : ٢ / ١٧٧ ، وفيات الأعيان : ٤ / ١٣٥ ، الديباج المذهب : ١٧ - ٣٠ .

(٦) العدة : الوعد ، ويكون ذلك بخير وشر ، وجمعها عدات ، والوعد لا يجمع . انظر : العين : ٢ / ٢٢٢ ، المقاييس : كتاب الواو باب الواو والعين وما يثلثهما (مادة : وعد) : ١٠٩٧ .

حكم الوفاء بالوعد :

وقد اختلف الفقهاء في حكم الوفاء بالوعد على أربعة أقوال :

القول الأول : يجب الوفاء بالوعد مطلقاً سواء ترتب عليه عزم للموعد أم لا ، وإلى هذا ذهب عمر بن عبد العزيز ^(١) وجماعة .

القول الثاني : لا يلزم الوفاء بالوعد مطلقاً ، لأنه في معنى الهبة قبل القبض ، وهذا قول الجمهور ^(٢) .

القول الثالث : يستحبُّ الوفاء بالوعد استحباباً مؤكداً ، ويكره إخلافه كراهة شديدة لأن من نوى العدة فلا شيء عليه ؛ لأنها منافع لم يقبضها ، والعارية أشخاص وأعيان موهوبة لم تقبض ، ولصاحبها الرجوع فيها ، وهو قول الشافعية ^(٣) والحنفية ^(٤) . ^(٥)

القول الرابع : لا يلزمه الوفاء بالوعد إلا إذا شهد شهوداً على وعده ، وإذا تعلق بالوعد غرم على الموعد وارتبط بسبب وجب الوفاء به ، كما لو قال لغيره : تزوج ولك عليّ كل يوم كذا . فتزوج ، وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك ؛ لأنه تعلق به حق آدمي وهو مبني على المضايقة ، وإلا فلا ، وهو قول الإمام مالك ^(٦) .

وقد استدلَّ بقوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣٠﴾ . [سورة الصف : ٢ ، ٣] . على وجوب الوفاء بالوعد .

ومن السنة بقوله ﷺ : " آية المنافق ثلاث : إذا وعد أخلف ، وإذا حدث كذب ، وإذا أؤتمن خان " ^(٧) .

^(١) سبق ترجمته في ص ٩١ .

^(٢) انظر : كشف القناع : ٦ / ٢٨٤ ، المبدع : ٩ / ٣٤٥ .

^(٣) الشافعية أحد المذاهب الفقهية الأربعة ، والشافعي إمام المذهب الشافعي ، انظر : ص ١٣٢ .

^(٤) هو النعمان بن ثابت بن زوطي ، التيمي بالولاء ، الكوفي ، أبو حنيفة : إمام الحنفية ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . ت سنة ١٥٠ هـ . انظر : طبقات الفقهاء : ١ / ٨٧ ، وفيات الأعيان : ٥ / ٤٠٥ ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية : ١ / ٢٦ سير أعلام النبلاء : ٦ / ٣٩٠ .

^(٥) انظر : روضة الطالبين وعمدة المفتين ليحيى بن شرف التتوي : ٥ / ٣٩٠ ، المبسوط لمحمد بن أبي سهل السرخسي : ٤ / ١٣٢ .

^(٦) انظر : التمهيد لابن عبد البر : ٣ / ٢٠٩ .

^(٧) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق (٣٣) : ١ / ٢١ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق (٥٩) : ١ / ٧٨ . زاد في رواية لمسلم : " وإن صام وصلى ، وزعم أنه مسلم " . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

" وظاهر عموم النصوص يدلُّ على عدم إخلاف الوعد ، ولكن الواعد إذا امتنع من إنجاز الوعد لا يحكم عليه به ، ولا يلزم به جبراً ؛ بل يؤمر به ولا يجبر عليه ؛ لأن أكثر علماء الأمة على أنه لا يجبر على الوفاء به ؛ لأنه وعد بمعروفٍ محض " (١) .

وبالنظر إلى مكارم الأخلاق وحسن المروءة فالوفاء بالوعد شيمة الكرام ، وقد أثنى الله تعالى على من صدق وعده ووفى بعهده ، فقال سبحانه : ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] . وقال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ . [سورة مريم : ٥٤] .

كلمات في الوفاء :

❁ مناط الوفاء والبرّ ألا يكون إلا في الخير والحق ، فلا عهد في معصية ، ولا نذر في إثم . قال ﷺ : " من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه " (٢) .

❁ الشروط التي لا بدّ أن يوفي بها المسلم لا بدّ أن تكون في كتاب الله ، لقول النبي ﷺ : " ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وإن كان مائة شرط ، كتاب الله أحقُّ وشرط الله أوثق " (٣) . وقوله ﷺ : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردّ " (٤) .

❁ الالتزام بالوفاء يفتقر لعاملين : قوّة الذاكرة ، وعلوّ الهمة والعزيمة . فقد يعد المرء بأمر ما ثم يضعف عند إنجازهِ لنسيانه أو فتور عزمته ، فيحول ذلك دون وفائه ، وعندما وصّى الله بالوفاء بالعهد لفت الأنظار إلى ضرورة التذكّر اليقظ للوفاء ، فقال سبحانه : ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . [سورة الأنعام : ١٥٢] . وإن الله قد عهد إلى آدم

(١) أضواء البيان : ٣ / ٤٤١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنور ، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (٦٣٢٢) : ٦ / ٢٤٦٤ . عن عائشة - رضي الله عنها - .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري بنحوه في كتاب البيوع ، باب البيع والشراء مع النساء (٢٠٤٧) : ٢ / ٧٥٦ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب العتق ، باب إنما الولاء لمن أعتق (١٥٠٤) : ٢ / ١١٤١ . كلاهما عن عائشة - رضي الله عنها - .

(٤) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٥٥٠) : ٢ / ٩٥٩ . وأخرج مسلم بنحوه (بلفظ : " منه " بدل " فيه ") في كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨) : ٣ / ١٣٤٣ . كلاهما عن عائشة - رضي الله عنها - .

أبي البشر عهداً مؤكداً ألا يقرب الشجرة المحرّمة ، لكنَّ آدم عليه السلام ما لبث أن نسي وضعف ثمَّ نكث في عهده . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَتَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [سورة طه : ١١٥] .

● سئل معروف الكرخي ^(١) عن حقيقة الوفاء ، فقال : إفاقة السرِّ عن رقد الغفلات وفراغ الهمِّ عن فضول الآفات ^(٢) .

الوفاء بالعهد :

الوفاء بالعهد من أبرز صفات المؤمن ، إذ هو أدب رباني ، وخلق نبوي ، وسلوك إسلامي راقى ، وقد جعله الله صفةً لأنبيائه ، فامتدح به خليل الله إبراهيم عليه السلام فقال عليه السلام : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [سورة النجم : ٣٧] . وجعله صفةً لأوليائه فقال في أولي الألباب : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَن هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ [سورة الرعد : ١٩ ، ٢٠] .

وهذا العهد هو الذي :

- بين العبد وبين الله : ومنه ما يلزم من الوفاء بالنذور والأيمان .
- وبينه وبين رسول الله : فهو الذي عاهد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه عند البيعة من القيام بالنصرة والمظاهرة والمجاهدة ، وموالاته من والاه ومعاداة من عاداه .
- وبينه وبين سائر الناس : فقد يكون ذلك :

- ١- من الواجبات ، مثل : ما يلزمه في عقود المعاوضات من التسليم والتسلم ، وكذا الشروط التي يلتزمها في السلم والرهن .
- ٢- وقد يكون ذلك من المندوبات : مثل الوفاء بالمواعيد في بذل المال ، والإخلاص في المناصرة .

^(١) سبق ترجمته في ص ١٥٥ .

^(٢) حلية الأولياء : ٨ / ٣٦٧ .

فقوله تعالى : ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ يتناول كل هذه الأقسام ، وهذا الذي عبر المفسرون عنه فقالوا : هم الذين إذا واعدوا أنجزوا ، وإذا حلفوا ونذروا وفوا ، وإذا قالوا صدقوا ، وإذا ائتمنوا أدوا (١) .

أنواع المواثيق والعهود :

المواثيق والعهود التي أخذت على بني الإنسان كثيرة منها :

أولاً : العهد الأعظم الذي بين العبد ورب العالمين : من التزام عبوديته والقيام بما أتم قيام ، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئاً . قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٧﴾ . [سورة يس : ٦٠ ، ٦١] . وهذا هو معنى الميثاق الذي أخذه الله على الناس كافة . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنَىءِ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٣﴾ . [سورة الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣] .

ووفاء الإنسان بهذا العهد عليه أساس كرامته في الدنيا ، وفلاحه وسعادته في الآخرة (٢) . قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . [سورة البقرة : ٤٠] . عن ابن عباس (٣) رضي الله عنه في قوله : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾ . يقول : ما أمرتكم به من طاعتي ، ونهيتمكم عنه من معصيتي في النبي ﷺ وغيره ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . أي : أرض عنكم وأدخلكم الجنة (٤) .

قال ابن عطية (٥) : " ووفائهم بعهد الله أمانة لوفاء الله تعالى لهم بعهدهم لا علة له ؛ لأن العلة لا تتقدم المعلول " (٦) .

(١) التفسير الكبير : ٣٨ / ٥ . بتصرف يسير .

(٢) انظر : تفسير السعدي : ٢١٨ ، خلق المسلم : ٥٩ ، ٦٠ .

(٣) صحابي جليل . انظر : ص ٢٧ .

(٤) الدر المنثور : ١ / ١٥٤ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٢٠٠ .

(٦) المحرر الوجيز : ١ / ١٣٤ .

والعهود التي بين الناس وبين الله ما أكثرها ، فالإحسان بالقول والفعل عهد .. وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة عهد ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ . [سورة البقرة : ٨٣] .

وبيع النفس والمال بالجنة عهد ، قال الله تعالى : ﴿ إِنِ اللَّهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَبْلِ لَهُمُ الْجَنَّةِ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۗ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ . [سورة التوبة : ١١١] .

ثانياً : العهد بين العبد وبين رسول الله ﷺ :

قد فهم سلفنا الصالح معاني الوفاء وتشربتها أنفسهم ، فوفوا بالعهد ، وبذلوا الأرواح والمهج في سبيل ذلك ، والتزموا بالصغيرة قبل الكبيرة ، يحدوهم في ذلك تلبية نداء الفطرة الأبية والأخلاق الكريمة ، فكانت بيعتهم لرسول الله ﷺ بيعة لم يشهد التاريخ لها نظيراً في الوفاء .

﴿ فعن عوف بن مالك ^(١) قال : " كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً فَقَالَ : أَلَا تَبَايَعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ - وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةِ - فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا تَبَايَعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا تَبَايَعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا ، وَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَامَ نَبَايَعُكَ ؟ قَالَ : عَلَىٰ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَالصَّلَاةَ الْخَمْسَ وَتَطِيعُوا ، وَأَسْرَ كَلِمَةَ خَفِيَّةٍ قَالَ : وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئاً . قَالَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلَادِكَ النَّفَرِ

(١) هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني ، صحابي جليل : من الشجعان الرؤساء ، مختلف في كنيته ، قيل : أبو عبد الرحمن ، وقيل : أبو محمد ، وقيل غير ذلك . قال الواقدي : أسلم عام خيبر ونزل حمص . وقال غيره : شهد الفتح ، وكانت معه راية أشجع وسكن دمشق . وقال ابن سعد : أخى النبي بينه وبين أبي الدرداء . ت سنة ٧٣ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٤ / ٢٨٠ معجم الصحابة : ٢ / ٣٠٥ ، سير أعلام النبلاء : ٢ / ٤٨٧ ، الإصابة : ٤ / ٧٤٢ .

يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إيَّاه " (١) . فانظر إلى الوفاء بالبيعة ودقّة تنفيذها ! .

❶ وعن أنس (٢) ﷺ قال : غاب عمِّي أنس بن النَّضْر (٣) عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله غبت عن أوّل قتالٍ قاتلت المشركين .. لعن الله أشهدي قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون ، قال : اللّهُمَّ إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني - أصحابه - وأبرأ إليك ممّا صنع هؤلاء - يعني المشركين - ، ثمّ تقدّم فاستقبله سعد بن معاذ (٤) ، فقال : يا سعد بن معاذ الجنّة ، وربّ النَّضْر إني أجد ريحها من دون أحد . قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع . قال أنس ﷺ : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربةً بالسيف ، أو طعنةً برمح ، أو رميةً بسهم ، ووجدناه قد قتل ، وقد مثلّ به المشركون فما عرفه أحدٌ إلاّ أخته (٥) بينانه ، قال أنس ﷺ : كنّا نرى أو نظنُّ أنّ هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٣] . " (٦) .

❷ والعهد الذي قطعه الأنصار على أنفسهم يُعدُّ ألمع المواثيق وأبرزها في تاريخ الإسلام في التجرّد لله ، فلقد عقدوا البيعة مع رسول الله ﷺ على أن يجنّدوا أنفسهم وأموالهم لحماية دعوته حتى يستطيع إبلاغها للناس كافة ؛ وبذلوا الغالي والرخيص في سبيل ذلك .

❸ وسبقهم في هذا المهاجرون الذي ضحّوا ببلادهم وأموالهم ودورهم فداءً للحقّ وللدعوة التي آمنوا بها ، وقد ضرب المسلمون في ذلك أروع الأمثلة عبر التاريخ ، اتباعاً لأمر ربهم واقتداءً بسنة نبيهم ، فقد كان ﷺ أوفى الأوفياء ، ويكفيه أنه وفّى بتبليغ أمر ربّه وصير في

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس (١٠٤٣) : ٢ / ٧٢١ .

(٢) صحابي جليل ، انظر : ص ٦٠ .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ٦٧ .

(٤) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ، أبو عمرو ، الأنصاري الأوسي الأشهلي البصري : صحابي جليل ، سيّد الأوس الذي

اهتز العرش لموته ، ت سنة ٥ هـ . انظر : معجم الصحابة : ١ / ٢٥١ ، صفة الصفوة : ١ / ٤٥٥ ، سير أعلام النبلاء : ١ / ٢٧٩

الإصابة : ٣ / ٨٤ .

(٥) هي الربيع بنت النَّضْر - رضي الله عنها - .

(٦) سبق تخريجه في ص ٦٧ ، أخرجه البخاري ومسلم .

سبيل ذلك على شتى صنوف الأذى من قومه ومن غيرهم ، ومن أشهر قصصه في الوفاء : وفاؤه لزوجته خديجة ^(١) - رضي الله عنها - حتى بعد مماتها ، فقد كان ﷺ يصل صويحبات خديجة بعد موتها قائلاً : " وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ " ^(٢) . وأكمل الطريق صحابته من بعده ، فنجد أبا بكر الصديق ^(٣) ﷺ يوفي بما وعد رسول الله ﷺ قبل وفاته ، فعن جابر ^(٤) ﷺ قال : قال لي النبي ﷺ : " لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا . فلم يجيء مال البحرين حتى قبض النبي ﷺ ، فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر ﷺ فنأدى : من كان له عند رسول الله ﷺ عدة أو دين فليأتنا . فأتيته ، وقلت له : إنَّ النبي ﷺ قال لي كذا . فحثي لي حثية فعددتها فإذا هي خمسمائة ، فقال لي : خذ مثلها " ^(٥) .

وهكذا لا بد أن يكون المسلم ؛ ناصراً لسنة حبيبهِ ﷺ ، مقتدياً به ، مجتهداً نفسه لخدمة السنة النبوية ، يجري حبه ﷺ في دمايه ، مقدماً حبه على نفسه وماله وولده والناس أجمعين ، ومن الوفاء بشهادة أن محمداً رسول الله : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر .

ثالثاً : الميثاق الغليظ :

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَبَدَّالَ زَوْجِ مَكَانِ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ؕ أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنًا وَإِنَّمَا مِيثَاقًا ۖ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۖ ﴾ . [سورة النساء : ٢٠ ، ٢١] .

^(١) هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية : زوجة النبي ﷺ الأولى . ت سنة ٣ قبل الهجرة . انظر : الطبقات الكبرى : ٨ / ٥٢ ، صفة الصفوة : ٢ / ٧ ، البداية والنهاية : ٢ / ٢٩٣ ، الإصابة : ٧ / ٦٠٠ .

^(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين كتاب الإيمان (٤٠) : ١ / ٦٢ . عن عائشة - رضي الله عنها - . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة ، وليس له علة . ووافقه الذهبي .

^(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ٨٧ .

^(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ١٧١ .

^(٥) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الكفالة ، باب من تكفل عن ميت ديناً فليس له أن يرجع ، وبه قال الحسن (٢١٧٣) :

٢ / ٨٠٣ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الفضائل ، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال : لا . وكثرة عطائه (٢٣١٤) :

المراد بالميثاق الغليظ :

في المراد بالميثاق هاهنا أقوال منها :

الأول : أنه الذي أخذه الله للنساء على الرجال : الإمساك بمعروف ، أو التسريح بإحسان هذا قول ابن عباس ^(١) وغير واحد .

والثاني : أنه عقد النكاح ، ومنه قوله ﷺ : " فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله " ^(٢) . ^(٣)

فالميثاق هو ميثاق النكاح ، وهو ميثاق غليظ لا يستهين بحرمته قلب مؤمن ، فمن الوفاء احترام هذا الميثاق ؛ لتقوم أسرة مترابطة تسودها المودة والرحمة .

وقد أحاط الإسلام عقد الزواج بمزيد من الرعاية ، فلا يجوز لرجل بني بامرأة أن يأخذ درهماً من حقها ، أو يستخف بالرباط الذي جمعه بها ^(٤) .

وفي الحديث : " أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ، ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها ، خدعها فمات ولم يؤدي إليها حقها ، لقي الله يوم القيامة وهو زان " ^(٥) .

رابعاً : الوفاء مع الكفار :

الوفاء بالمواثيق واجب مع المؤمن بالإسلام ومع الكافر به ، بل لا يتحقق للنفس سموها حتى تتمكن من ترويض طباعها ، وارتياح طريق السلوك القويم في ضبط مشاعرها تجاه الكافر قبل المؤمن ، فمن أمارات الإيمان انتصار الإنسان على أهواء نفسه ، واستجابته لما يأمره به خالقه ومولاه ، نعم نكره الكافر ولا نواليه ، ولكن نكره كفره وليس شخصه ، وتعامل معه بما

^(١) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

^(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ (١٢١٨) / ٢ / ٨٨٩ . عن جابر بن عبد الله .

^(٣) انظر : زاد المسير : ٤٣ / ٢ ، ٤٤ ، تفسير النسفي : ٢١٣ / ١ .

^(٤) الظلال : ١ / ٦٠٧ ، خلق المسلم : ٦٤ . بتصرف يسير .

^(٥) جزء من حديث أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١١١) : ١ / ٨٤ ، وفي المعجم الأوسط (١٨٥١) : ٢ / ٢٣٧ . عن ميمون

الكردي عن أبيه . وآخره : " وأيما رجل استدان ديناً لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه خدعه حتى أخذ ماله فمات ولم يرد إليه دينه لقي

الله وهو سارق " . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله ثقات . انظر : مجمع الزوائد : ٤ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

يرضى الله . وقد أمرنا الله ﷻ باحترام المواثيق بيننا وبين الكفار ، فإن كان لنا إخوة في العقيدة آمنوا ولكن لم يهاجروا إلى دار الإسلام التي تحكمها شريعة الله ، فإن الله لم يجعل لهم ولاية مع المجتمع المسلم ؛ لأنهم لا يعتبرون أعضاء فيه ، ثم اعتدي عليهم في دينهم ففتنوا مثلاً في عقيدتهم ، فعلى المسلمين نصرهم بشرط ألا يخل هذا بعهد من عهود المسلمين مع جماعة أخرى وإن كانت كافرة ، ولو كانت هذه الجماعة هي المعتدية على أولئك الأفراد في دينهم وعقيدتهم ! رعاية للمواثيق التي أبرمها مع غيره ولو مع الكفار ، وحفظاً للعهد ووفاء به . قال تعالى : ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ [سورة الأنفال : ٧٢] . (١)

قال ابن العربي (٢) : " إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين ، فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة " . اهـ (٣) .

ومما يدل على الالتزام بالوفاء بالعهد مع الكافر ما روي عن حذيفة بن اليمان (٤) ﷺ قال : " ما منعي أن أشهد بداراً إلا أني خرجت أنا وأبي حُسيل (٥) ، قال : فأخذنا كفار قريش قالوا : إنكم تريدون محمداً . فقلنا : ما نريده ، ما نريد إلا المدينة . فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لنصرفنَّ إلى المدينة ، ولا نقاتل معه ، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر ، فقال : انصرفا ، نفي لهم بعهدهم ، ونستعين الله عليهم " (٦) .

(١) انظر : المحرر الوجيز : ٢ / ٥٥٦ ، الظلال : ٣ / ١٥٥٩ .

(٢) سبق ترجمته في ص ١٣٠ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي : ٢ / ٤٤٠ .

(٤) صحابي جليل ، انظر ص : ١٧٥ .

(٥) هو حسيل - بالتصغير ، ويقال بالتكبير - بن جابر بن ربيعة بن فروة بن الحارث ، المعروف باليمان العبسي ، والد حذيفة بن اليمان : صحابي جليل ، وإنما قيل له (اليمان) لأنه نسب إلى جده اليمان بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض ، وقيل : لخالفته اليمانية ، استشهد في حياة النبي ﷺ ، وقال ابن إسحاق في المغازي : لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رفع حسيل بن جابر وثابت بن وقش إلى الآطام مع النساء . أخطأ المسلمون بأبي حذيفة يوم أحد حتى قتلوه ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . فبلغت السني ﷺ فزاده عنده خيراً . ت سنة ٣ هـ . انظر : تاريخ الطبري محمد بن جرير الطبري : ٢ / ٧٣ ، المنتظم (حتى ٢٥٧هـ) : ٣ / ١٨٣ بغية الطلب في تاريخ حلب لعمر بن أحمد بن أبي جرادة (ابن العلم) : ٥ / ٢١٦٠ ، الإصابة : ٢ / ٧٤ .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب الوفاء بالعهد (١٧٨٧) : ٣ / ١٤١٤ .

قال النووي (١) :

" فأمرهما النبي ﷺ بالوفاء ، وهذا ليس للإيجاب ، فإنه لا يجب الوفاء بترك الجهاد مع الإمام ونائبه ، ولكن أراد النبي ﷺ أن لا يشيع عن أصحابه نقض العهد " . اهـ (٢) .

خامساً : الوفاء بالدين :

إن سداد الدين من أكد الحقوق عند الله ، ومن أكد حقوق الناس في تركة الميت بعد وفاته ، ولم تزل آيات الموارث تؤكد بعد كل تقسيم للتركة قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ . [سورة النساء : ١١] .

قال ابن كثير (٣) : " أجمع العلماء من السلف والخلف على أن الدين مقدم على الوصية " (٤) .

" ومعنى الآية الجمع لا الترتيب ، وبيان أن الميراث مؤخر عن الدين والوصية جميعاً " (٥) وتقدم الدين مفهوم واضح ، لأنه يتعلق بحق الآخرين ، وترثة لذمة المدين ، وأول ما شرعه الإسلام في هذا أن حرم الاستدانة إلا للحاجة القاهرة ، وأما من يسارع للاقتراض لشهوة طارئة وليس في حسابه سداد دينه فقد اعتبر سارقاً . قال ﷺ : " وأيما رجل استدان ديناً لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه ، خدعه حتى أخذ ماله فمات ولم يؤدّه لقي الله وهو سارق " (٦) .

فالمستدين مهما تكن أعماله جليلة وعظيمة في الدنيا ، فإنها يوم القيامة لن تكفر عنه ذنوبه فسوف يسأل عن دينه ، ولن يخلص من الحساب حتى تبرأ ذمته (٧) .

(١) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٢ / ١٤٤ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٤) تفسير ابن كثير : ١ / ٤٦٠ .

(٥) تفسير البغوي : ١ / ٤٠٢ .

(٦) سبق تخريجه في ص ٢٧٩ ، قال فيه الهيتمي : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله ثقات .

(٧) انظر : خلق المسلم : ٦٦ ، ٦٧ .

عن أبي قتادة ^(١) قال : " قال رجل : يا رسول الله ، أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفّر عني خطاياي ؟ فقال له رسول الله ﷺ : نعم ، إن قتلت في سبيل الله ، وأنت صابراً محتسباً ، مقبلٌ غير مدبر ! ثم قال : رسول الله ﷺ : كيف قلت ؟ (فأعاد) . فقال رسول الله ﷺ : إلا الدين ، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك " ^(٢) .

ولقد شدّد الإسلام في إبراء الذمة من الدين ، كي تقوم الحياة على أساس من الثقة في المعاملة ، وحياة الضمير ، وتشيع الطمأنينة في جو الجماعة ، فجعل الدين في عنق المدين لا تبرأ منه ذمته ، حتى بعد وفاته ^(٣) .

الوفاء بالعهد من أبرد البر :

قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْبَرَ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

الوفاء بالعهد صفة مدح للأبرار :

في رفع ﴿ وَالْمُؤْفُونَ ﴾ قولان :

❶ أحدها : أنه عطف على محل ﴿ مَنْ ءَامَنَ ﴾ ، تقديره : لكنّ ذا البرّ المؤمنون والمؤفون ، عن الفراء ^(٤) .

❷ الثاني : رفع على المدح ، على أن يكون خير مبتدأ محذوف تقديره : وهم المؤفون ^(٥) .

(١) هو الحارث (أو النعمان ، أو عمرو) بن ربيعي الأنصاري الخزرجي السلمي ، أبو قتادة : صحابي من الأبطال الولاة ، اشتهر بكنيته وكان يقال له " فارس رسول الله " . وفي حديث أخرجه مسلم : " خير فرساننا أبو قتادة " . شهد الوقائع مع النبي ﷺ ابتداء من وقعة أحد . ولما صارت الخلافة إلى علي ولأه مكة ، وشهد صفين معه . ولما ولي عبد الملك بن مروان إمرة المدينة ، أرسل إليه ليريه مواقف النبي ﷺ فانطلق معه وأراه . ومات بالمدينة سنة ٥٤ هـ . انظر : الآحاد والثاني لأحمد بن عمرو بن الضحاح الشيباني : ٣ / ٤٣٤ صفة الصفوة : ١ / ٦٤٧ ، سير أعلام النبلاء : ٢ / ٤٤٩ ، الإصابة : ٧ / ٣٢٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياها إلا الدين (١٨٨٥) : ٣ / ١٥٠١ .

(٣) الظلال : ١ / ٥٩٢ . بتصرف يسير .

(٤) سبق ترجمته في ص ٩٩ .

(٥) انظر : تفسير البغوي : ١ / ١٤٤ ، التفسير الكبير : ٥ / ٣٨ .

قال أبو السُّعود (١) : " وإيثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء " (٢) .
في الآية الكريمة انتقل سبحانه من البرِّ في الأعمال إلى البرِّ في الأخلاق ، فذكر منها أبرَّ البرِّ
وهو الوفاء .

والوفاء سمةٌ يحرص عليها الإسلام أشدَّ الحرص ، ويؤكِّدها القرآن في مواضع كثيرة ، ويعدها
آية الإيمان ، كما في الحديث السابق ذكره : " وإنَّ حُسْنَ العهد من الإيمان " (٣) . وهي
أيضاً آية إنسانية ؛ لأنَّ الوفاء من خصائص الإنسان ، ومن فقد فيه فقد انسلخ من
الإنسانية . والوفاء بالعهد مرتبطٌ بالتَّقوى ، قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٦] . فالمتقي لا يتغيَّر في التعامل مع عدوٍّ أو صديق
لأنَّ التعامل مع الله أبداً ، بغضُّ النَّظر عمَّن يتعامل معهم ، فالباعث الأخلاقي ليس هو
المصلحة ولا هو الجماعة ، فهو يستمد قيِّمه ومقاييسه في التعامل من جهة أعلى .. أعلى من
اصطلاحات الناس ومصالحهم .. إنه يستمد قيِّمه ومقاييسه من الله .. بمعرفة ما يرضيه من
الأخلاق والتطلع إلى رضاه والشعور بتقواه ، وهكذا تتطلع البشرية على الدَّوام إلى أفقٍ
أعلى من الأرض .. ذلك الأفق الثَّابت الوضيء .

وأما الغادرون الذين ينقضون العهد فلا خلاق لهم في الآخرة ، والله خصَّصهم يوم القيامة
ويصوِّرُ ﷻ إهماله لهم بأنه سبحانه لا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولا يطهرهم .. صورةٌ حيَّة
تؤثر في الوجدان البشري على طريقة القرآن في ظلاله وإيجاءاته المعبرة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا
يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة آل
عمران : ٧٧] . وقال رسول الله ﷺ : " يقول الله ﷻ : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجلٌ

(١) سبق ترجمته في ص ٥٧ .

(٢) تفسير أبي السعود : ١ / ١٩٤ .

(٣) سبق تخريجه في ص ٢٧٨ ، صحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي .

أعطى بي ثم غدر ، ورجلٌ باع حراً فأكل ثمنه ، ورجلٌ استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يُعْطِه أجره " (١) .

كما أن الغدر وعدم الوفاء بالعهد ينتهي بصاحبه إلى النفاق . قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ اللّٰهَ لَئِنۡ ءَاتٰنَا مِنۡ فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوْنُنَّ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ ۗ ﴾ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتٰنَهُم مِّنۡ فَضْلِهِۦ خٰلَوْا بِهٖ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُوْنَ ۗ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِيۡ قُلُوْبِهِمْ اِلٰى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَآ اٰخَلَفُوْا اللّٰهَ مَا وَعَدُوْهُ وَبِمَآ كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ ۗ ﴿٧٧﴾ . [سورة التوبة : ٧٥ - ٧٧] .

لقد ذكرت الأعمال في آية البرِّ بصيغة الفعل : ﴿ وَءَاتَىٰ اَلْمَالَ عَلٰى حُبِّهٖ وَاَقَامَ الصَّلٰوةَ وَءَاتَىٰ الزَّكٰوةَ ﴾ والأخلاق بصيغة الوصف ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ بَعَثَهُمْ اِذَا عَاهَدُوْا وَالصّٰبِرِيْنَ فِي الْبَآسَآءِ وَالصّٰرِّءِ ﴾ لأن الأعمال أفعال والصفات أخلاق ، فمن أوفى بعهده وصبر تكلفاً لا يصير باراً حتى يصير الوفاء والصبر من أخلاقه ولو بتكرار تكلف العمل . وتقدم الأعمال على الأخلاق في الآية ليشير إلى دور تلك الأعمال في تطهير النفوس وتركيتها لاسيما الصلاة وبذل المال ، فهما من الوسائل المعينة على ترويض النفوس ؛ يستشعر فيهما العبد فضل الله وإحسانه عليه وعلى الناس ، وإذا ما زكت النفوس وتعلقت بخالقها سمّت أخلاقها وارتقت .

كما أن الموفى بالعهود لا يعتبر باراً ، إلا إذا كان وفاؤه من نفسه بدون إلزام من سلطة أعلى أو خوف من جزاء ، أو إهانة تصيبه ، أو ذم يلحق به ؛ فهو يرجو المثوبة من خالقه ، يعتزُّ بوفائه ، ويضحّي من أجله .

وحسب الوفاء بالعهد تشريفاً قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ اَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ اللّٰهِ ۗ ﴾ . [سورة التوبة :

١١١] . ومن ثمّ كان ممّا يسأل عنه الإنسان يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ اِنَّ اَلْعَهْدَ كَانَ

مَسْئُوْلًا ۗ ﴾ . [سورة الإسراء : ٣٤] . يسأل الله الإنسان عنه ، أوفى أم نكث ؟ ولا يستوي الوافي

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع ، باب (ثم من باع حراً) (٢١١٤) : ٢ / ٧٧٦ . عن أبي هريرة ؓ .

والتَّابِثُ . قال تعالى : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَاتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الفتح : ١٠] .

وما استهانت أمة بالإيفاء بالعهد ، وفشا فيها الغدر والإخلاف إلا وتكبدت الكثير من الخسائر من تقطيع للرؤابط وضعف الثقة ، فلا تعاون ولا تناصر ، ولا تعاضد ولا تآزر ، بل استبدلوا بهذه المزايا التحاسد والتباغض ، والتعادي والتعارض ، فكيف تعمّر الأرض ؟ ومتى تأتي أمة النصر؟! ..

لذا كان من خصال البرّ الوفاء بالعهد ، والأبرار يشعرون بسعادة عظيمة عند تمسّكهم بالوفاء في كل أحوالهم ، لأنهم يعيشون في جوّ من الثقة والطمأنينة في علاقاتهم مع الأفراد والجماعات والأمم والدول .. فهي تقوم ابتداء على الوفاء بالعهد مع الله ، وبغير هذه السمة يعيش كل فرد قلقاً فزعاً ، لا يركن إلى وعدٍ ولا يطمئن إلى عهدٍ ، ولا يثق بإنسان (١) .



(١) انظر : تفسير المنار : ٢ / ١١٩ - ١٢١ ، الظلال : ١ / ١٦١ ، ٤١٨ .

المبحث الثاني : الصبر

لم يبشّر الله أحداً في القرآن الكريم مثلما بشّر الصّابرين ، وهم يوفون أجرهم بغير حساب قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصّٰبِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . [سورة الزمر : ١٠] .

والأبرار تتطلع نفوسهم لنيل هذه البشارة وهذا الأجر الكبير ، ومن خصال البرّ الصبر في البأساء والضراء وحين البأس ، فنجد المتقين يحتسبون الأجر .. يتصبرون .. ويصابرون ويصطبرون ليتمّموا البرّ في جميع جوانبه الخلقية ويفوزوا بمنازل الأبرار .

قال تعالى : ﴿ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنۢ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآلَمَاتِهِۦ كَاتِبَةٍ وَآلَنَّبِيعِنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصّٰبِرِينَ فِي الْبَآسَاءِ وَالضَّرَآءِ وَحِينَ الْبَآسِ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

الصبر لغة واصطلاحاً :

الصبر لغة :

الصّاد والباء والراء أصول ثلاثة : الأوّل : الحبس والكف ، والثاني : أعالي الشّيء والثالث : جنس من الحجارة . وقد اشتقّ الصبر المراد هنا من المعنى الأوّل ؛ وهو الحبس يقال : صبرت نفسي على ذلك الأمر ، أي : حبستها .

صبره عن الشّيء يصبره صبراً : حبسه ؛ والمصبرة : هي الحبوسة على الموت .
والصبر : نقيض الجزع ، صبر يصبر صبراً ، فهو صابرٌ و صبارٌ و صبيرٌ و صبورٌ ، والأنثى صبور أيضاً ، بغير هاء ، وجمعه صبرٌ . التصبر : تكلف الصبر ؛ وتصبر واصطبر : جعل له صبراً . وشهر الصبر : شهر الصوم ، وسُمّي الصوم صبراً ؛ لما فيه من حبس النفس عن

الطَّعام والشَّرَاب والنِّكاح . ومن أسماء الله تعالى : الصَّبْرُ تعالى وتقدَّس ، هو الذي لا يُعاجل العُصاة بالانتقام^(١) .

الصبر اصطلاحاً :

قال الرَّاعِب^(٢) : " هو حبس النَّفس على ما يقضيه العقل والشرع ، أو عمَّا يقتضيان حبسها عنه " ^(٣) .

وقال المناوي^(٤) : " الصبر قوة مقاومة الأهوال والآلام الحسيَّة والعقليَّة " ^(٥) .

" وقيل : هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله ؛ لأن الله تعالى أثنى على أيوب عليه السلام بالصبر بقوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ﴾ . [سورة ص : ٤٤] . مع دعائه في رفع الضرِّ عنه

بقوله : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ٨٣] .

فعلمنا أن العبد إذا دعا الله تعالى في كشف الضرِّ عنه فإن هذا لا يقدر في صبره " ^(٦) .

وقيل : هو حبس النفس عن الجزع والتسخط ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش .

وقيل : الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب .

وقيل : هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة ^(٧) .

حقيقة الصبر :

" أمَّا حقيقة الصبر : فهو خلقٌ فاضلٌ من أخلاق النَّفس ، يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل ، وهو قوَّة من قوى النَّفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها " ^(٨) .

^(١) انظر : المقاييس ، كتاب الصاد ، باب الصاد والباء وما يثلثهما (مادة صبر) : ٥٨٤ ، لسان العرب (مادة صبر) : ٤٣٧ / ٤ - ٤٣٩ .

^(٢) سبق ترجمته في ص ٣ .

^(٣) المفردات (مادة : صبر) : ٢٧٧ .

^(٤) سبق ترجمته في ص ٤٨ .

^(٥) التوقيف على مهمات التعاريف : ٤٤٧ .

^(٦) التعريفات : ١٧٢ .

^(٧) انظر : مدارج السالكين : ٢ / ١٥٦ ، ١٥٨ .

^(٨) عدَّة الصابرين لابن القيم : ٨ .

" وقيل : إنه على ثلاث مقامات مرتبة بعضها فوق بعض :

فالأول : التصبر ؛ وهو تحمُّل مشقة وتجرُّع غصة ، والثبات على ما يجري من الحكم ، وهذا هو التصبر لله ، وهو صبر العوام .

والثاني : الصبر ؛ وهو نوع سهولة تخفف عن المتبلي بعض الثقل ، وتسهل عليه صعوبة المراد وهو الصبر لله .

والثالث : الاصطبار ؛ وهو التلذذ بالبلوى ، والاستبشار باختيار المولى ، وهذا هو الصبر على الله " (١) .

" وعن بعض العلماء أنه قال : إنما سمي الصبر صبراً لأن تمرَّره في القلب وإزعاجه للنفس كتمرَّره في الفم " (٢) .

فضيلة الصبر :

قال الإمام أحمد (٣) : ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً (٤) . وللصبر مسميات أخرى كلُّ بحسب متعلقه :

■ فمثلاً إن كان الصبر عن فضول العيش : سمي زهداً .

■ وإن كان على قدرٍ يكفي من الدنيا : سمي قناعة .

■ وإن كان عن إجابة داعي الفرار والهرب : سمي شجاعة ... وهكذا .

والاسم الجامع لجميعهم هو الصبر (٥) . لهذا أحبَّ الله الصابرين فقال : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الصَّابِرِينَ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٤٦] . وعلق الفلاح به فقال سبحانه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . [سورة آل عمران : ٢٠٠] . وأثنى به

على صفوته من أنبيائه ورسله ، فأثنى على نبيه أيوب عليه السلام بقوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ

(١) طريق المحررتين وباب السعادتين : ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٢) ذم الهوى لابن القيم : ٥٨ / ١ .

(٣) إمام المذهب الحنبلي ، سبق ترجمته في ص ٧٢ .

(٤) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٣٩٩ - ٤٠١ .

(٥) انظر : عدَّة الصابرين : ١١ .

الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ . [سورة ص: ٤٤] . وقال لخاتم أنبيائه ورسوله ﷺ : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ . [سورة الأحقاف : ٣٥] . وقال : ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ . [سورة النحل : ١٢٧] . وقال يوسف الصديق عليه السلام ؛ وقد قال له إخوته : ﴿قَالُوا أءِنتَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ . [سورة يوسف : ٩٠] . وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايَتِنَا يُوقِنُونَ﴾ . [سورة السجدة : ٢٤] . وأثنى على أهله في قوله تعالى : ﴿وَلَيْكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآلَمَاتِ كِتَابِهِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] . وهو كثير في القرآن ، وأوجب سبحانه معيته لهم وهي معية خاصة تتضمن حفظهم ونصرهم وتأيدهم ، وليست معية عامة والتي هي معية العلم والإحاطة ، كقوله : ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ . [سورة الأنفال : ٤٦] . وأوجب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم ، كقوله تعالى : ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . [سورة النحل : ٩٦] . وأوجب جزاءهم بغير حساب كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . [سورة الزمر : ١٠] . وأطلق سبحانه البشري لأهل الصبر كقوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ . [سورة البقرة : ١٥٥] . وكثير من الآيات التي تدلُّ على فضيلة الصبر وعظم شأن الصابرين (١) .

(١) انظر : أمراض القلوب لابن تيمية : ٥٤ ، عدَّة الصابرين : ٥٧ ، مدارج السالكين : ٢ / ١٥٣ - ١٥٥ ، طريق المحجرتين وباب

وقال ﷺ: " ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاءً خيراً له وأوسع من الصبر " (١) .

وقال النبي ﷺ: " والصبر ضياء " (٢) . وسمي الصبر ضياءً لأن الشهوات إذا انقمت به وانجلى عن القلب الظلام - باستيلاء الشهوات على النفس - ، أثر عبادة الله وطاعته وبادر إليها ، واجتنب معاصي الله وكف عنها (٣) . " والضياء هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق ، كضياء الشمس بخلاف القمر فإنه نور محض فيه إشراقٌ بغير إحراق ، قال الله ﷻ: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ . [سورة يونس: ٥] . ولما كان الصبر شاقاً على النفوس ، يحتاج إلى مجاهدة النفس وجسها وكفها عما تهواه ، كان ضياءً " (٤) .

قال النووي (٥): " والمراد أن الصبر محمود ، لا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً على الصواب " (٦) .

وقال عبد الله بن مسعود (٧) ﷺ: " اليقين الإيمان كله ، والصبر نصف الإيمان " (٨) . " والمراد بالصبر : الورع ، وذلك أن العبادات تنقسم إلى قسمين : نُسكٌ وورع فالتنسك : ما أمرت به الشريعة ، والورع ما نهت عنه ، وإنما ينتهي عن ذلك بالصبر ، فصار الصبر على هذا المعنى كأنه نصف الإيمان " (٩) .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب الاستغفار عن المسألة (١٤٠٠) : ٢ / ٥٣٤ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الزكاة ، باب فضل التعفف والصبر (١٠٥٣) : ٢ / ٧٢٩ . كلاهما عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء (٢٢٣) : ١ / ٢٠٣ . عن أبي مالك الأشعري ﷺ .

(٣) شعب الإيمان : ٣ / ٢٩١ . بتصرف يسير .

(٤) جامع العلوم والحكم : ٢١٩ .

(٥) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم : ٣ / ١٠١ .

(٧) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٥ .

(٨) عن أبي ظبيان قال : كنا نعرض المصاحف عند علقمة فقرأ هذه الآية : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فقال قال عبد الله :

اليقين الإيمان كله . وقرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ قال فقال عبد الله : الصبر نصف الإيمان " . أخرجه

الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب التفسير (٣٦٦٦) : ٢ / ٤٨٤ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

ووافقه الذهبي .

(٩) غريب الحديث لحمّد بن محمد بن إبراهيم الخطّابي البستي : ١ / ٤٥٦ .

وهذا يدلُّ على أنَّ الصَّبْرَ من أجلِّ مقامات الإيمان ، وأن أقرب الناس لله وأولاهم به أكثرهم تحقيقاً له ، وأن الخاصَّة أحوج إليه من العامة ، كما أن الصَّبْرَ سببٌ في حصول كلِّ كمال فأكمل الخلق أصبرهم ، ولم يتخلَّف أحد عن الوصول للكمال الممكن إلا من ضعُف صبره (١) .

أثر الصَّبْرِ فِي حياة المسلم :

إذا استحكمت الأزمات ، وتعقدت حبالها ، وترادفت الضوائق ، وطال ليلها ، فالصَّبْرُ وحده هو الذي يسلي النفوس ، ويعصمها من التَّخْبِطِ والتَّضَجُّرِ ، ويجعل الإنسان متماسكاً متزناً وفق منهج الإسلام أمام صعوبات الحياة ، فلا بدَّ أن يوطِّن المسلم نفسه على احتمال المكاره دون تذرُّم ، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت ، فسنة الله في عباده الابتلاء ، وقد أخبرهم سبحانه بذلك ليأخذوا أهبتهم للتَّوَازُلِ المتوقعة ، فلا تذهلهم الفواجع والملمات . قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٢] .

قال القاسمي (٢) في تفسير هذه الآية : " فمن البعيد أن يصل الإنسان إلى السَّعادة والجنَّة مع إهمال هذه الطاعة " . اهـ (٣) . - أي : المجاهدة والصَّبْرُ - .

من أحابِ الصَّبْرِ :

- أن يكون الصَّبْرُ عند أوَّل صدمة . لقوله ﷺ : " الصَّبْرُ عند الصَّدْمَةِ الأولى " (٤) .
- الاسترجاع عند المصيبة ، وذلك بقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللَّهُمَّ أَجْرِي فِي مَصِيبِي ، وَأَخْلَفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا (٥) .

(١) طريق المجرتين وباب السعادتين : ٤٠٠ . بتصرف يسير .

(٢) سبق ترجمته في ص ٥٨ .

(٣) تفسير القاسمي : ٤ / ٢٤١ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب الصبر عند الصدمة الأولى (١٢٤٠) : ١ / ٤٣٨ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الجنائز باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى (٩٢٦) : ٢ / ٦٣٧ . كلاهما عن أنس بن مالك ؓ .

(٥) لحديث أم سلمة - رضي الله عنها - عندما توفي زوجها أبو سلمة ، قالت هذا الدعاء ، فأبدلها الله خيراً منه ، وتزوجها رسول الله ﷺ . أخرجه مسلم في كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند المصيبة (٩١٨) : ٢ / ٦٣١ .

وقال عمر ^(١) ﷺ في ذلك : نعم العدلان ، ونعم العلاوة : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [١٥٦، ١٥٧] .

﴿ سكون الجوارح واللسان ، فأما البكاء فجائز .

﴿ ومن حسن الصبر أن لا يظهر أثر المصيبة على المصاب ^(٢) .

والصبر الجميل : صبرٌ بلا شكوى . قال يعقوب ^(٣) : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ . [سورة يوسف ^(٤) : ٨٦] . مع قوله : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ . [سورة يوسف ^(٥) : ١٨] . فالشكوى إلى الله لا تنافي الصبر الجميل ، ومن ذلك دعاء النبي ﷺ المشهور عند خروجه من الطائف . وكان عمر بن الخطاب ^(٦) يقرأ في صلاة الفجر : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ويكي حتى يُسمع نشيجه من آخر الصفوف ، بخلاف الشكوى إلى المخلوق .

قال رسول الله ﷺ : " قال الله تعالى : إذا ابتليت عبدي المؤمن ولم يشكني إلى عواده أطلقته من أساري ، ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ثم يستأنف العمل " ^(٧) .

وقيل : الصبر الجميل : هو أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره .

قال أحد الصالحين : من شكَا مصيبةً به إلى غير الله لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوةً أبداً .

﴿ ومن آداب الصبر كتمان المصائب ، قال بعض الحكماء : من كنوز البر كتمان المصائب وقد كانوا يفرحون بالمصائب نظراً إلى ثوابها . وليس المقصود عدم كراهية المصائب - فهذا ليس باختياره - أو الفرح بوجوده ، ولكن لما يُرجى من عاقبته ، فإن السلف تلمّحوا الثواب ، فهان عليهم البلاء . يقال أن امرأةً صالحةً عثرت فانقطع ظفرها ، فضحكت ، فقيل لها : أما تجدين الوجع ؟ فقالت : إن لذة ثوابه أزلت عن قلبي مرارة وجعه ^(٨) .

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ٥٩ .

(٢) كما فعلت أم سليم امرأة أبي طلحة لما مات ابنها ، وحديثها مشهور .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الجنائز (١٢٩٠) : ١ / ٥٠٠ . عن أبي هريرة ^(٤) . قال الحاكم : هذا

حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٤) انظر : الإحياء : ٤ / ٧٣ .

ولا يخرج عن حدِّ الصبر توجُّع القلب ولا فيضان العين بالدمع^(١) ، لأنَّ البكاء توجُّع القلب على الميت ؛ وهذا مقتضى البشريَّة ، ودلالة على امتلاء القلب بالرحمة ، ولذلك لما مات ابن لإحدى بنات النبي ﷺ فاضت عيناه ، فقيل له : يا رسول الله ما هذا ؟ فقال : " هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرُّحماء " (٢) . بل ذلك أيضاً لا يخرج عن مقام الرضا . ولا يأثم الصَّابِر الحزين إذا لم يقترن بحزنه محرِّم ، كما قال النبي ﷺ : " إنَّ العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يُرضى ربُّنا " (٣) . وإنما يخرج عن مقام الصَّابرين بالجزع ولطم الخدود ، وشقَّ الجيوب ، والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة ، وتغيير العادة في الملبس والمطعم والمفرش ، وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جميعها ، ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمراً على عادته .

وقد يقترن بالحزن ما يثاب ويحمد صاحبه عليه ، كالحزين على مصيبة في دينه ، وعلى مصائب المسلمين عموماً ، فهذا يثاب على ما في قلبه من حبِّ الخير وبغض الشرِّ وتوابع ذلك ، ولكن لا يحمد هذا الحزن إذا أفضى إلى ترك مأمورٍ من الصبر والجهاد أو دفع مضرة فهو يفضى حينئذٍ إلى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما أمر الله ورسوله به ، فلذلك كان مذموماً عليه من تلك الجهة ، وإن كان محموداً من جهة أخرى (٤) .

(١) إن قال قائل كيف لا يخرج عن حدِّ الصبر فيضان العين بالدمع وقد قال ﷺ : " يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه " . وفي هذا حكى النووي إجماع العلماء على اختلاف مذاهبهم أن المراد بالبكاء الذي يعذب الميت عليه : هو البكاء بصوتٍ ونياحةٍ لا بمجرد دمع العين ، وأن من وصَّى بأن يبكي عليه ويناح بعد موته فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم ؛ لأنه بسببه ومنسوبٌ إليه . انظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ٦ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب قول النبي ﷺ : " يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه ، إذا كان النوح من سنته " (١٢٤٤) : ١ / ٤٣١ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الجنائز ، باب البكاء على الميت (٩٢٣) : ٢ / ٦٣٥ . كلاهما عن أسامة ابن زيد ؓ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب قول النبي ﷺ : " إنا بك محزونون " (١٢٤١) : ١ / ٤٣٩ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الفضائل ، باب رحمته والعيال وتواضعه هو فضل ذلك (٢٣١٥) : ٤ / ١٨٠٧ . كلاهما عن أنس بن مالك ؓ .

(٤) انظر : الإحياء : ٤ / ٧٣ ، مختصر منهاج القاصدين : ٢٥٨ - ٢٦٠ ، الزهد والورع والعبادة لابن تيمية : ٩٩ ، ١٠٠ ، أمراض القلوب : ٤٢ ، ٤٣ .

أنواع الصبر المذكورة في آية البر :

للصبر أنواع كثيرة باعتبار متعلّقه ^(١) ، وباعتبار حكمه ^(٢) ، وباعتبار محله ^(٣) ، ولكن أنواع الصبر المرادة لتحقيق البر هي :

- الصبر في البأساء .
- الصبر في الضراء .
- الصبر حين البأس .

قال تعالى : ﴿ وَلَئِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

المراد بـ ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ :

عن قتادة ^(٤) قال : كُنَّا نَحْدُثُ أَنَّ الْبَأْسَاءَ : الْبُؤْسُ وَالْفَقْرُ ، وَالضَّرَّاءُ : السُّقْمُ وَالْوَجَعُ وَحِينَ الْبَأْسِ : عِنْدَ مَوَاطِنِ الْقِتَالِ ^(٥) .

(١) ينقسم الصبر باعتبار متعلّقه ثلاثة أقسام : صبرٌ على الأوامر والطاعات حتى يؤديها ، وصبرٌ عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها وصبرٌ على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها . انظر : منازل السائرين لعبد الله الأنصاري الهروي : ٤٩ ، ٥٠ ، الإحياء : ٤ / ٧٢ عدّة الصابرين : ١٩ ، جامع العلوم والحكم : ٢١٩ .

(٢) ينقسم الصبر باعتبار حكمه إلى : فرض ونفل ومكروه ومحرم ، فالصبر عن المحظورات فرض ، وعلى المكروه نفل ، والصبر على الأذى المحظور محظور ، كمن تقطع يده أو يده ولده وهو يصبر عليه ساكناً ، وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتتهيج غيرته ، فيصبر عن إظهاره الغيرة ، ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم ، والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع . انظر : الإحياء : ٤ / ٦٩ .

(٣) ينقسم الصبر باعتبار محله إلى ضربان : ضرب بدني وضرب نفسي ، وكل منهما نوعان : اختياري واضطراري ، فهذه أربعة أقسام : الأول : البدن الاختياري ، كتعاطي الأعمال الشاقة على البدن اختياراً وإرادة .

الثاني : البدن الاضطراري ، كالصبر على ألم الضرب والمرض والجراحات والبرد والحز وغير ذلك .

الثالث : النفساني الاختياري ، كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعاً ولا عقلاً .

الرابع : النفساني الاضطراري ، كصبر النفس عن محبوبها قهراً إذا حيل بينها وبينه . انظر : عدّة الصابرين : ١٣ ، ١٤ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٥) الدر المنثور : ١ / ٤١٧ . وهذا قول ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وأبو العالية ومرة الهمداني ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وأبو مالك والضحاك وغيرهم . انظر : التحفة العراقية لابن تيمية : ١ / ٥٥ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٢١٠ .

والصبر يُحمد في هذه المواطن وفي غيرها ، وخصَّ هذه الثلاث بالذكر لأنَّ من صبر فيها كان في غيرها أصبر ، لما في احتمالها من رباطة الجأش ، وترويض النفس على تحمُّل الشدائد فإن الفقر إذا اشتدت وطأته يضيق به الذرع ، ويكاد يفسد حال صاحبه . والضُّر إذا استشرى في البدن يضعف الأخلاق ، ويضيق الصدر ، ويجعل المريض نزقاً قلقاً ، وأمَّا في حال اشتداد الحرب فعلى ما فيها من خوض غمار الحروب ، والتَّضحية بالنفس ومواجهة الصَّعاب ، ولكنَّ الإيمان يجمِّل الصَّابِر المحتسب ، فيتقبَّل كل ما كتبه الله له بنفسٍ راضيةٍ ويقينٍ تامٍّ بموعود الله وعِوضه ، حتى على الشُّوكة يُشاكها (١) .

الصبر صفة مدح للأبرار :

يبرز السِّياق القرآني في آية البرِّ صفة الصَّبر في البأساء والضَّرَاء وحين البأس ، يبرزها بإعطاء كلمة ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ وصفاً في العبارة يدلُّ على الاختصاص ، فما قبلها من الصفات مرفوع أمَّا هي فمنصوبةٌ على الاختصاص والمدح بتقدير : " وأخصُّ الصابرين " (٢) ، وهو في الحقيقة معطوفٌ على ما قبله ، تغيُّر إعرابه عمَّا قبله تنبيهاً على فضيلة الصَّبر في الشَّدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال ، والحثُّ عليه في هذه الأحوال لشِدَّته وصعوبته والعرب تنصب على المدح وعلى الذمِّ إذا طال الكلام بالنسق في صفة الشيء الواحد . قال أبو علي الفارسي (٣) : " إذا ذكرت صفات للمدح أو للذمِّ فحولف في بعضها الإعراب فقد حولف للافتنان ، ويسمَّى ذلك : " قطعاً " ؛ لأن تغيُّر المؤلف يدلُّ على زيادة ترغيبٍ في استماع المذكور ، ومزيد اهتمامٍ بشأنه " . اهـ (٤) .

(١) انظر : تفسير المنار : ٢ / ١٢٠ .

(٢) انظر : الظلال : ١ / ١٦١ .

(٣) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفسوي الفارسي الأصل ، أبو علي : أحد الأئمة في علم العربية ، ولد في فسا (من أعمال فارس) ودخل بغداد سنة ٣٠٧ هـ ، وتجوَّل في كثيرٍ من البلدان ، وقدم حلب سنة ٣٤١ هـ ، فأقام مدة عند سيف الدولة ، وعاد إلى فارس فصحب عضد الدولة ابن بويه ، وتقدم عنده ، فعلمه النحو ، وصنَّف له كتاب الإيضاح : في قواعد العربية ، كان متهماً بالاعتزال ، وله شعرٌ قليل ، من كتبه : التذكرة ، وتعاليق سيبويه ، والحجة ، والمقصور والممدود ، والعوامل وغير ذلك . ت سنة ٣٧٧ هـ . انظر : وفيات الأعيان : ١ / ١٩٣ ، سير أعلام النبلاء : ١٦ / ٣٧٩ ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ١ / ٨٠ ، شذرات الذهب : ٨٨ / ٢ .

(٤) نقله أبو السعود عنه ، انظر : تفسير أبي السعود : ١ / ١٩٤ .

وهي لفظة خاصة لها وزنها في معرض صفات البرِّ ، وتخصص هذه السمة من بين سمات الإيمان بالله والملائكة والكتب والنبين وإيتاء المال - على حبه - وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهد .. لأن الصبر هو مبدأ الفضائل ، وهو الجامع للفضائل كلها أيضاً وقد قامت الأخلاق على أربع دعائم منها الصبر ، لذلك غير سبحانه إعرابه تمييزاً لهذا الخلق الكريم (١) .

أولاً : الصابرون في البأساء :

البأساء لغة :

اسم من البؤس ، والبؤس : الشدة والفقير ، وهو مأخوذ من (بؤس) : الباء والهمزة والسين أصل واحد ، وهو الشدة وما شابهها . وبؤس الرجل يئس بؤساً وبؤساً وبؤساً : إذا افتقر واشتدت حاجته ، فهو بؤس ، أي : فقير (٢) .

والفقير يحتاج إلى الصبر من وجوه كثيرة لكونه يحصل له من الآلام القلبية والبدنية المستمرة ما لا يحصل لغيره ؛ فالجوع والعري والبرد والخوف من المستقبل ونحو هذا مصائب ، يؤمر الفقير بالصبر عليها والاحتساب رجاء الثواب من الله عليها (٣) .

بدر الفقير :

إن الصابر على شظف العيش وقلة ذات اليد ليصل بصبره إلى مرتبة الأبرار المقربين من الله وليس كل فقير يصل لذلك ؛ ولكن من تأدب بآداب العبودية لخالقه في فقره ، فقد ذم الله الفقير المستكبر وتوعده بأليم العذاب ، قال ﷺ : " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا

(١) انظر : تفسير الطبري : ٢ / ١٠٠ ، الكشاف : ١ / ٢٤٥ ، التفسير الكبير : ٥ / ٣٩ ، مدارج السالكين : ٢ / ٣٠٨ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٢١٠ ، تفسير أبي السعود : ١ / ١٩٤ ، تفسير القاسمي : ٣ / ٥٣ .

(٢) انظر : المقاييس ، كتاب الباء ، باب الباء والهمزة وما ينثلهما (مادة : بؤس) : ١٦٦ ، لسان العرب (مادة : بؤس) : ٦ / ٢٠ . وهنا اتفق المعنى اللغوي للبأساء مع ما أثر عن السلف .

(٣) انظر : تفسير الطبري : ٢ / ٩٨ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ٦٩ ، ٧٠ ، التفسير الكبير : ٥ / ٤٠ ، تفسير القرطبي : ٢ / ٢٤٣ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٢١٠ ، الدر المنثور : ١ / ٤١٧ ، تفسير أبي السعود : ١ / ١٩٤ ، تفسير السعدي : ٨٣ ، ٨٤ .

يزكّهم ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليم : شيخ زان ، وملكٌ كذاب ، وعائلٌ مستكبر " (١) .

قال النووي (٢) :

" العائل الفقير قد عُدِمَ المال ، وإنما سبب الفخر والخيلاء والتكبر والارتفاع على القرناء الثروة في الدنيا ؛ لكونه ظاهراً فيها وحاجات أهلها إليه ، فإذا لم يكن عنده أسبابها فلماذا يستكبر ويحتقر غيره ؟! فلم يبق فعله " . اهـ (٣) .

وينبغي للفقير أن لا يكون كارهاً لما ابتلاه الله به من الفقر ، وأرفع من هذا أن يكون راضياً فرحاً ، وهذا لا يعني أن لا يأخذ بأسباب تحسين مستوى معيشته ، فيجلس في بيته ويتكفف الناس ، ولكن يبذل ما في وسعه طلباً للرزق ، ويتوكّل على الله سبحانه ويثق به ثم بعد ذلك يرضى بما قسم الله له ، ومتى عكس الحال ، وكان يشكو إلى الخلق ، ولا يشكو إلى الله تعالى ، كان الفقر عقوبةً في حقّه ، فلا ينبغي له الشكوى للخلق ؛ بل يُظهر التعفّف والتجمل . قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (٤) . [سورة البقرة : ٢٧٣] .

وينبغي للفقير أن لا يتواضع لغنيٍّ لأجل غناه ، ولا يرغب في مجالسته . وينبغي له أيضاً أن لا يفتر عن العبادة بسبب فقره ، بل يكون دافعاً له للاستكانة لربّه واللجأ إليه بتفريج الكرب ، وتوسيع الرزق (٥) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار ، والمن بالعطية ، وتنفيق السلعة بالحلف ، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّهم ولهم عذابٌ أليم (١٠٧) : ١ / ١٠٢ . كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم : ١١٧ / ٢ .

(٤) إلحافاً : الإلحاف : شدة الإلحاح في المسألة ، وهي مأخوذة من لحف : اللام والحاء والفاء أصل يدل على اشتغال وملازمة ، يقال : التحف باللحاف يلتحف ، ولا حقه : لازمه ، ومعنى ألحف ، أي : شَمِلَ بالمسألة وألح وهو مُسْتَعْن عنها . انظر : المقاييس ، كتاب اللام باب اللام والحاء وما يثلثهما (مادة : لحف) : ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، لسان العرب (مادة : لحف) : ٩ / ٣١٤ ، ٣١٥ .

(٥) مختصر منهاج القاصدين : ٣٠٥ . بتصرف .

قال ابن القيم^(١) عن الصبر :

" هو محض العبودية والاستكانة وامتنال الأمر ، وهو من عبودية الله المفروضة على عبده في البلاء ، فالقيام بها عين كمال العبد ولوازم الطبيعة لا بد منها ، ومن رام أن لا يجد البرد والحرق والجوع والعطش والألم عند تمام أسبابها وعللها ؛ فقد رام الممتنع ، وهل يكون الأجر إلا على وجود تلك الآلام والمشاق والصبر عليها !؟ " . اهـ^(٢) .

ثانياً : الصابرون في الضراء :

الضراء لغة :

مأخوذ من (ضر) : الضاد والراء ثلاثة أصول : الأول : خلاف النفع والثاني : اجتماع الشيء ، والثالث : القوة . ومن الأول الضراء ؛ ويقال : ضره يضره ضرّاً ، ثم يحمل على هذا كل ما جانسه أو قاربه ، وقيل : الضراء الشدة والزمانة وكل حالة تضر ، والضر ما كان من سوء حال ، أو فقر ، أو شدة في بدن^(٣) . ومن دعاء أيوب عليه السلام : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ٨٣] . والبأساء والضراء اسمان على فعلاء ولا أفعل لهما ؛ لأنهما ليسا بنعتين .

والمريض على اختلاف أنواع السقم ، من حمى وقروح ورياح ووجع عضو ، حتى الضرس والإصبع ونحو ذلك ، فإنه يحتاج إلى الصبر على ذلك ؛ لأن النفس تضعف والبدن يتألم وذلك في غاية المشقة على النفوس ، خصوصاً مع تطاول ذلك ، فإنه يؤمر بالصبر احتساباً رجاء الثواب من الله^(٤) .

(١) سبق ترجمته في ص ٦ .

(٢) طريق المحررتين وباب السعادتين : ٤٠٢ .

(٣) انظر : المقاييس ، كتاب الضاد ، باب الضاد في المضاعف والمطابق (مادة : ضر) : ٥٩٨ ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية (مادة : ضر) : ٥٣٨ . وهنا أيضاً اتفق أحد المعاني اللغوية مع ما أثار عن السلف .

(٤) انظر : تفسير الطبري : ٢ / ٩٨ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ٦٩ ، ٧٠ ، التفسير الكبير : ٥ / ٤٠ ، تفسير القرطبي : ٢ / ٢٤٣ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٢١٠ ، الدر المنثور : ١ / ٤١٧ ، تفسير أبي السعود : ١ / ١٩٤ ، تفسير السعدي : ٨٣ ، ٨٤ .

بِرَّ الْمَرِيضِ :

الأمراض من جملة ما يتلى الله به عباده ، والمريض الصَّابِرُ المحتسب ليلج بصبره منازل عالية عند الله ، فهو من مكارم الأخلاق ^(١) التي ترفعه إلى رتبة الأبرار الأخيار ^(٢) . وحينما يدرك المريض ويعي ما أعدّه الله للمريض الصَّابِرِ ؛ انقلبت المحنة في حقّه منحة ، واستحالت البلية عطيةً ، وصار المكروه محبوباً ، بينما هو بالنسبة لغيره مصيبة حلّت به ، ومن جملة ما يستشعره المريض الصَّابِرُ ويتعمّق في وجدانه ما يلي :

أ) تحقيقه لعبودية الضراء :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَيْتَلِ عِبْدَهُ لِيَهْلِكَ ، وَإِنَّمَا ابْتَلَاهُ لِيَمْتَحِنَ صَبْرَهُ وَعِبُودِيَّتَهُ ، وَالدُّنْيَا دَارُ ابْتِلَاءٍ وَامْتِحَانٍ ، وَهِيَ دَارُ الِهْمُومِ وَالْأَحْزَانِ وَالْأَكْدَارِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [سورة البلد : ٤] . وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ عِبُودِيَّةَ الضَّرَاءِ كَمَا لَهُ عَلَيْهِ عِبُودِيَّةَ السَّرَاءِ وَأَكْثَرَ الْخَلْقِ يَعْطُونَ الْعِبُودِيَّةَ فِيمَا يُحِبُّونَ ، وَالْعِبَادَ فِي إِعْطَاءِ الْعِبُودِيَّةِ فِي الْمَكَارِهِ تَتَفَاوَتُ مَرَاتِبُهُمْ ، وَبِحَسَبِهِ كَانَتْ مَنَازِلُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ^(٣) .

وعبودية الضراء تكون بالصبر ، ولا تتم إلا بأن يقبّل الله الأحوال على العبد حتى يتبين صدق عبوديته له تعالى ، وإذا كان المرء مؤمناً حقاً فإن كل أمره له خير ، فإنه إن كان في سرء شكر فكان خيراً له ، وإن كان في ضراء صبر فكان خيراً له . كما قال ﷺ : " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له " ^(٤) .

(١) الصبر من مكارم الأخلاق ، ولقائل أن يقول : قد أجمعت الأمة على وجوب الصبر ، فالمسلم مأمور بالصبر ، فهو يصبر وجوباً لا تفضلاً . ويجاب عليه بأن الصبر له طرفان : واجب مستحق وكمال مستحب ، وقد بعث ﷺ ليتّم مكارم الأخلاق ، والإسلام بني الأخلاق على أساس الإيمان . انظر : مدارج السالكين : ١ / ١١٠ ، أمراض القلوب : ٥٤ ، كلمات في الأخلاق الإسلامية : ٥٩ وتمهيد فصل البر في مكارم الأخلاق .

(٢) ولكننا لا نسأل الله الصبر ؛ فكأننا نسأله حينئذ المصيبة لنصبر عليها ، وقد مرّ النبي ﷺ على رجل يقول : اللهم اني أسألك الصبر . قال : " قد سألت ربك البلاء ، فسله العافية " . وهذا جزء من حديث أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب ٩٤ (٣٥٢٧) : ٥ / ٥٤١ . عن معاذ ﷺ . قال الترمذي : هذا حديث حسن .

(٣) الوابل الصيب لابن القيم : ١١ . بتصرف يسير .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير (٢٩٩٩) : ٤ / ٢٢٩٥ . عن أبي يحيى صهيب بن سنان ﷺ .

ب) المرض مقدر من عند الله :

أن يتيقن المريض أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، كما قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣ ﴾ . [سورة الحديد : ٢٢ ، ٢٣] . ^(١) وأن الله لو شاء جعل مصيبته أعظم مما هي وأنه إن صبر أخلف الله عليه أعظم من فوات مصيبته ، وأن سرور الدنيا مع قلته وانقطاعه منعص . كما أن الجزع لا يرد المصيبة بل يزيدا ، وأنه يسرُّ عدوه ويسيء محبه ، وإذا علم المسلم أن لكل مصيبة ثواباً فلن يجزن عليها ، بل يستشعر رحمة الله فيها ، ويتيقن أن الله أرحم به من نفسه ومن الناس أجمعين ^(٢) .

ج) المرض تكفير للذنوب والسيئات :

إن المرض سبب في تكفير الخطايا التي يقترفها القلب والسمع والبصر واللسان ، وسائر الجوارح ، فإن المرض قد يكون عقوبة على ذنب وقع من العبد ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ۝٢٤ ﴾ . [سورة الشورى : ٣٠] .
والأحاديث الواردة في بيان تكفير الأمراض للذنوب كثيرة جداً ، أذكر بعضاً منها :
قال النبي ﷺ : " ما يصيب المسلم من نصب ^(٣) ، ولا وصب ^(٤) ، ولا هم ، ولا حزن ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها " ^(٥) .

وفي هذا الحديث دلالة على أن المرض النفسي كالمرض البدني في تكفير السيئات ، حيث ذكر فيه المكروه الوارد على القلب ، وهو الهم والحزن والغم ، فالهم يكون على مكروه

^(١) وذلك كما جاء عن الرسول ﷺ في قوله لابن عباس ؓ وهو غلام : " واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك " . وهو جزء من الحديث . أخرجه الحاكم وصححه . انظر : المستدرک على الصحيحين (٦٣٠٤) : ٣ / ٦٢٤ .

^(٢) انظر : أحكام القرآن للحصاص : ١ / ١١٧ ، الآداب الشرعية والمنح المرعية لمحمد بن مفلح المقدسي : ٢ / ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

^(٣) النَّصَب : التَّعَب . انظر : لسان العرب (مادة : نصب) : ١ / ٧٥٨ .

^(٤) الوصب : الوجع والمرض . انظر : لسان العرب (مادة : وصب) : ١ / ٧٩٧ .

^(٥) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب المرضى ، باب ما جاء في كفارة المرض (٥٣١٨) : ٥ / ٢١٣٧ ، وأخرج مسلم بنحوه

في كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها (٢٥٧٣) :

١٩٩٢ / ٤ . عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة ؓ .

يُتوقع في المستقبل يهتمُّ به القلب ، والحزن على مكروهٍ ماضٍ من فوات محبوبٍ أو حصول مكروهٍ حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغمَّ ، وهذه المكروهات هي من أعظم أمراض القلب وأدوائه (١) .

وقال رسول الله ﷺ : " ما من مسلم يصيبه أذى من مرضٍ فما سواه إلا حطَّ الله به سيئاته كما تحطُّ الشجرة ورقها " (٢) .

وعن جابر بن عبد الله (٣) أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب (٤) فقال : " مالك يا أمَّ السائب ، أو يا أمَّ المسيب ترفزين (٥) !؟ قالت : الحمى لا بارك الله فيها . فقال : " لا تسبي الحمى ، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير (٦) خبث الحديد " (٧) .

وهذا لا يعني أن يُعرض المؤمن نفسه للبلاء ، ولكن يسأل الله العافية ، فإن المرء لا يدري فلعله لا يقوم بواجب الصبر عند البلاء ، وقد ورد الأمر بسؤال الله العافية في عدَّة أحاديث . وكان ﷺ لا يدعُ سؤال ربِّه العفو والعافية كلَّ صباحٍ ومساءً (٨) .
ومَّا قاله الصالحون : ساعات الوجد يُذهبن ساعات الخطايا (٩) .

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية : ٢٧٤ . بتصريف يسير .

(٢) أخرج البخاري بنحوه في كتاب المرضى ، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول (٥٣٢٤) : ٥ / ٢١٣٩ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها (٢٥٧١) : ٤ / ١٩٩١ . كلاهما عن عبد الله ﷺ .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ١٧١ .

(٤) هي أم السائب الأنصارية : صحابية جلييلة ، أدركت رسول الله ﷺ وأسلمت ، قال أبو عمر : روى عنها أبو قلابة عن النبي ﷺ في الحمى ، وقال بعضهم فيها " أم المسيب " ، قيل : إنها أنصارية ، ولكن ذكرها ابن كعب في قبائل العرب بين المهاجرين والأنصار . انظر : تاريخ الطبري : ٨ / ٣٠٨ ، الإصابة : ٨ / ٢١٥ . (ولم أجد لها ترجمة في باقي كتب تراجم الصحابة) .

(٥) تُرفزين : - بزاءين معجمتين ، وفاءين ، بضمَّ أوله وفتح ، ومعناها : تتحركين حركة شديدة ، أي ترتعدين من البرد . انظر : لسان العرب (مادة : زف) : ٩ / ١٣٧ ، القاموس المحيط (مادة : زف) : ٧٣٤٧ .

(٦) الكير : هو المنفخ الذي ينفخ به النار . انظر : النهاية (مادة : كار) : ٤ / ٢١٧ ، لسان العرب (مادة : كور) : ٥ / ١٥٧ .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها (٢٥٧٥) : ٤ / ١٩٩٣ .

(٨) قال ابن عمر ﷺ : لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسي : " اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي وأمن روعاتي ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي " . يعني : الخسف . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . انظر : المستدرک علی الصحیحین (١٩٠٢) : ١ / ٦٩٨ .

وقال ابن عبد البر^(٢) :

" والدُّنُوبُ تكفِّرُها المصائب والآلام والأمراض والأسقام ، وهذا أمر مجتمِعٌ عليه " . اهـ (٣) .

(د) كِتَابَةُ الحَسَنَاتِ للمريض ورفَعِ حِرْجَاتِهِ :

إِنَّ المريضَ إِذَا صَبَرَ عَلَى مَا ابتَلَاهُ رَبُّهُ مِنْ أَوْجَاعٍ وَأَلَامٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَشِيئُهُ بِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ .

قال رسول الله ﷺ : " ما يصيب المؤمن من شوكةٍ فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة ، أو حطَّ عنه بها خطيئة " (٤) .

وعن أبي هريرة (٥) ﷺ قال : " ما من مرضٍ يصيبني أحب إليّ من الحمى ، لأنها تدخل في كل عضوٍ مني ، وإنَّ الله ﷻ يعطي كلَّ عضوٍ قسطه من الأجر " (٦) .

قال ابن حجر (٧) : " ومثل هذا لا يقوله أبو هريرة برأيه " (٨) .

وقد يكون للعبد منزلة عظيمة عند الله ﷻ لم يبلغها بعمله ، وإنما بما يتلوه الله به ليكون أهلاً لتلك المنزلة . قال رسول الله ﷺ : " إنَّ الرجلَ ليكون له عند الله المنزلة الرفيعة فما يبلغها بعمله ، فما يزال الله يتلوه بما يكره حتى يبلغها " (٩) .

(١) الزهد لحناد بن السري الكوفي : ١ / ٢٤٢ .

(٢) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النمرى القرطبي المالكي ، أبو عمر : من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخ ، أديب ، مجتهد . يقال له حافظ المغرب ، ولد بقرطبة ، ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها ، وولي قضاء لشبونة وشتترين ، من كتبه : الاستيعاب ، والعقل والعقلاء : في تراجم الصحابة ، والانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء ، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد والاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار ؛ وهو اختصار التمهيد ، والكافي في الفقه وغير ذلك . ت سنة ٤٦٣ هـ . انظر : وفيات الأعيان : ٧ / ٦٦ ، العبر في خير من غير : ١ / ٣ / ٢٥٧ ، الديباج المذهب : ٣٥٧ ، طبقات الحفاظ : ١ / ٤٣١ . وسماه ابن فرحون في الديباج : يوسف بن عمر بن عبد البرّ .

(٣) التمهيد لابن عبد البرّ : ٢٣ / ٢٦ .

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب المرضى ، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول (٥٣٢٤) : ٥ / ٢١٣٩ وأخرج مسلم مثله في كتاب البرّ والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها (٢٥٧٢) : ٤ / ١٩٩١ . كلاهما عن عبد الله ﷺ .

(٥) صحابي جليل ، انظر : ص ١٤٣ .

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، باب العيادة في حوف الليل (٥٠٣) : ١٧٧ . قال ابن حجر عن الحديث : " فعند البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح عنه " . انظر : فتح الباري : ١٠ / ١١٠ .

(٧) سبق ترجمته في ص ٧٣ .

(٨) فتح الباري : ١٠ / ١١٠ .

قال الغزالي (٢) :

" إن أجر الصَّابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه ، فإذا مهمما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصَّابرين " . اهـ (٣) .

هـ (الصبر على المرض سببٌ في دخول الجنة :

لا تُنال الجنة إلا بما تكره النفس ، كما قال ﷺ : " حُفَّت الجنة بالمكاره ، وحُفَّت النار بالشهوات " (٤) . والمكاره هي كل ما تكرهه النفس ويشقُّ عليها . وهذا يتطلَّب مجاهدة النفس في القيام بالطاعات واجتناب المعاصي ، والصبر على المصائب والتسليم لأمر الله فيها (٥) .

ولهذا جاء في حق من أصيب بفقد بصره قوله ﷺ : " إن الله قال : إذا ابتليت عبدي بحبيتيه فصبر عوّضته منهما الجنة " يريد عينيه (٦) .

وورد أن من أصيب بمرض الصرع فصبر على ذلك كانت له الجنة ، فقد جاء عن ابن عباس (٧) أنه قال لأحد التابعين : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قال : بلى . قال : هذه المرأة السوداء (٨) أتت النبي ﷺ فقالت : إني أصرع ، وإني أتكشّف ، فادع الله لي . قال : " إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك " . فقالت : أصبر . فقالت : إني أتكشّف ، فادع الله أن لا أتكشّف . فدعا لها " (٩) .

(١) أخرجه أبو يعلى في مسند أبي هريرة ﷺ (٦١٠٠) : ١٠ / ٤٨٧ . قال الهيثمي : رواه أبو يعلى ، وفي رواية له : " يكون له عند الله المترلة الرفيعة " ورجاله ثقات . انظر : مجمع الزوائد ، باب بلوغ الدرجات بالابتلاء : ٢ / ٢٩٢ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٥٣ .

(٣) الإحياء : ٤ / ٧٤ .

(٤) أخرج البخاري بنحوه في كتاب الرقاق ، باب حجبت النار بالشهوات (٦١٢٢) : ٥ / ٢٣٧٩ عن أبي هريرة ﷺ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب ١ (٢٨٢٢) : ٤ / ٢١٧٤ . كلاهما عن أنس بن مالك ﷺ .

(٥) انظر : فتح الباري : ١١ / ٣٢٠ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب المرضى ، باب فضل من ذهب بصره (٥٣٢٩) : ٥ / ٢١٤٠ . عن أنس بن مالك ﷺ .

(٧) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٨) ليس لها ترجمة في كتب التراجم ، قالوا عنها فقط : " السوداء الممتحنة الصابرة بالبلوى مرهنة " . وذكر هذا الحديث عنها .

(٩) أخرجه البخاري في كتاب المرضى ، باب فضل من يصرع من الريح (٥٣٢٨) : ٥ / ٢١٤٠ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب السير والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها (٢٥٧٦) : ٤ / ١٩٩٤ .

فهذه النصوص وغيرها تدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ الصبر على الأمراض والأسقام من أسباب دخول الجنان التي أعدت للمتقين الأبرار .

(و) المرض يرد المريض الصَّابِرَ إلى ربه ويذكره بمعاصيه :

" إنَّ المرض وغيره من المصائب يرد العبد الشَّارد عن ربِّه إليه ، ويذكره بربه بعد أن كان غافلاً عنه ، ويكفُّه عن معصيته بعد أن كان منهمكاً فيها ، فإنَّ العبد متى كان معافياً انهمك في ملذاته وشهواته وأقبل على دنياه فنسي مولاه ، وتحنَّ الشيطان غفلته فأوقعه في الشَّهوات والمعاصي ، وفضل الله تعالى ورحمته وعفوه ومغفرته وراء ذلك كلِّه ، فإذا أراد الله بعبد خيراً ابتلاه بمرض أو غيره استشعر ضعفه وذلَّه إلى مولاه ، فيفتح الله له من أبواب التَّوبة والندم والانكسار والافتقار والاستعانة به وصدق اللجأ إليه ، ودوام التَّضرع والدُّعاء والتَّقرب إليه بما أمكن من الحسنات " (١) .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٢] .

قال ابن جرير (٢) في تفسير هذه الآية : " وقوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ يقول : فعلنا ذلك بهم ليتضرَّعوا إليَّ ، ويُخلصوا لي العبادة ، ويفردوا رغبتهم إليَّ دون غيري ، بالتذلُّل منهم لي بالطَّاعة ، والاستكانة منهم إليَّ بالإنابة " (٣) .

" عاد سلمان (٤) ﷺ مريضاً في كندة (٥) ، فلما دخل عليه ، قال : أبشر ، فإنَّ مرض المؤمن يجعله الله له كفارةً ومستعتباً ، وإنَّ مرض الفاجر كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم عقل ولم أرسل " (٦) !! . وقوله : " مستعتباً " أي : سبباً في محاسبة النَّفس

(١) الوابل الصَّيب : ١٣ .

(٢) هو ابن جرير الطبري ، سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٣) تفسير الطبري : ١٩٢ / ٧ .

(٤) هو سلمان الفارسي ، أبو عبد الله : صحابي جليل ، كان يسمِّي نفسه " سلمان ابن الإسلام " ، وقال عنه ﷺ : " سلمان من أهل البيت " . ت سنة ٣٦ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٤ / ٧٥ - ٩٣ ، حلية الأولياء : ١ / ١٨٥ ، صفة الصفوة : ١ / ٥٢٣ الإصابة : ٣ / ١٤١ .

(٥) كندة - بالكسر - مخلاف كندة باليمن ، وقيل : اسم القبيلة . انظر : معجم البلدان : ٤ / ٤٨٢ .

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، باب كفارة المريض (٤٩٣) : ١٧٣ . قال ابن حجر : أخرجه البخاري في الأدب المفرد موقوفاً . انظر : فتح الباري : ١٠ / ١١٦ .

والرجوع عن الإساءة ، ومعنى الحديث : أن المرض كفارةٌ للمؤمن ، وسببٌ في توبته وإيقاظه من غفلته ، بخلاف الفاجر فإنه لا يزال مصراً على المعصية فلم يؤثر عليه المرض ولم يُعده إلى ربه ، فلم يعرف أن المرض إنما نزل به لإيقاظه من الغفلة وإرجاعه إلى الحق كالبعير الذي أمسكه وربطه أهله ، ثم أرسلوه ، فلا يدري لم أمسك ولم أرسل !!

والمرض يري العبد فقره وحاجته لربه ، و أنه لا غنى له عنه طرفة عين ، فيتعلق قلبه بالله ويقبل عليه بعد أن كان غافلاً ، فيكون البلاء حينئذ خيراً له من النعمة . وقد قال ﷺ :

" من يرد الله به خيراً يُصَبُّ منه " (١) .

قال أبو عبيد (٢) : " معناه يتلوه بالمصائب ليشبه عليها " (٣) .

(ز) المرض يذكر بنعم الله الماضية والحاضرة :

يتذكر المريض الصابر آلاء الله ونعمه عليه ، فكم منحه الله من نعمة ، وكم دفع عنه من مكروه ، ونعم الله كثيرةٌ قد يغفل عنها الإنسان في حال صحته ، لانشغاله بمتع الحياة ، فإذا أسره المرض وأضعفه البلاء تذكر ثوب العافية الذي كان يرفل فيه ، فكم من أوقات كثيرة وأزمنة مديدة كان فيها طليقاً صحيحاً معافى . ويتذكر أيضاً نعم الله الحاضرة عليه ، فكم أبقى عليه من نعمة تتعم بها الآن ، وكم أبقى من أعضاء سليمة ، وتذكر أيضاً أن الله أبقى له العقل الذي هو من أجل النعم ، وأنعم عليه بأن لم يكن مرضه أعظم مما كان ، أو مصيبته في دينه ، فيكون ذلك التذكر سبباً في زيادة شكره لربه ، وامتلاء قلبه بحبته وإجلاله وتعظيمه ، وفي هذا أعظم المنفعة للعبد .

(ح) المريض الصابر يتذكر حال إخوانه المرضى ويتصبر بهم :

إن أهمك المرء في حياته وانشغاله بتحصيل متعها ومعافاته من الأمراض والعلل ، كل هذا مما لا يدع لديه متسعاً من الوقت والفكر للبحث عن إخوانه المرضى ثم القيام بحقهم . ولهذا فمن حكمة الباري سبحانه أن يعرض المؤمن للابتلاء بالأمراض والأسقام في بعض الأحيان فيتذكر بما أصابه حال إخوانه المرضى الذين طالما غفل عنهم في حال صحته وسلامته

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضى ، باب ما جاء في كفارة المرض (٥٣٢١) : ٥ / ٢١٣٨ . عن أبي هريرة ؓ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٦٤ .

(٣) فتح الباري : ١٠ / ١٠٨ .

فيدعوه هذا إلى القيام بحقوقهم ، من تعهدهم بالزيارة ، وقضاء حوائجهم ، والتخفيف من مصابهم ، ومواساتهم ، والسعي في أسباب الشفاء لهم ، والدعاء لهم بالعافية وهذا بابٌ عظيمٌ من أبواب البرِّ .

كما أن نظر المريض إلى من هو أشدُّ منه بلاءً أعظم تسليّةً له في مصابه ، ومن أعظم ما يتأسى به مصائب الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وأبرز من يُتعرّى به نبينا ﷺ ، فقد كان من أشدَّ الناس بلاءً ، ويشتدُّ عليه المرض أكثر من غيره ، حتى قالت عائشة - رضي الله عنها - : " ما رأيت الوجع على أحد أشدَّ منه على رسول الله ﷺ " (١) . وكذلك نبي الله أيوب ﷺ الذي مكث في مرضه ثمانية عشر عاماً ، حتى رفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه (٢) .

ط (تذكر أن الابتلاء بالمرض ونخيره علامة على محبة الله للعبد :

قال ﷺ : " إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإنَّ الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط " (٣) .

فالجزع لا يفيد ، بل يزيد الآلام ، ويضاعف على المبتلى المصيبة ، ويفوت عليه الأجر .

ي (إنَّ الشافي هو الله ، ولا تنافى ذلك مع الأخذ بأسباب الشفاء :

لا يعني صبر المريض على مرضه واحتسابه أن لا يسأل الله الشفاء ، أو أن لا يأخذ بأسباب الشفاء ؛ بل يُكثر من الدعاء وسؤال الشفاء والإلحاح على الله في ذلك ، والتذلل والخضوع له ، ويكون على يقينٍ بالإجابة ولا يستعجل ، ويحسن الظن بالله ، وينتظر الفرج ، ويأخذ

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضى ، باب شدة المرض (٥٣٢٢) : ٥ / ٢١٣٨ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب البرِّ والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها (٢٥٧٠) : ٤ / ١٩٩٠ .

(٢) ذكره الحاكم وابن حبان في حديثهما وصحَّاهما ، قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي . وصحَّحه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة . انظر : صحيح ابن حبان : ٧ / ١٥٨ ، المستدرک على الصحيحين (٤١١٥) : ٢ / ٦٣٥ ، الأحاديث المختارة (٢٦١٦) : ٧ / ١٨٢ .

(٣) أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب الزهد ، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٩٦) : ٤ / ٦٠١ ، وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء (٤٠٣١) : ٢ / ١٣٣٨ . كلاهما عن أنس بن مالك ؓ . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

بأسباب الشفاء من التداوي بالرقي الشرعية من القرآن ، وقول : " بسم الله " ثلاثاً ، ثم " أعوذ بالله وقدرته من شرِّ ما أجد وأحاذر " (١) سبعا .
قال ﷺ : " لكلِّ داءٍ دواءٌ ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله ﷻ " (٢) .
واتباع السنة في التداوي (٣) والاستشفاء من أعمال البرِّ التي يؤجر عليها المسلم ، ويعرف بها مدى استسلام المريض لأمر الله ، وعدم جزعه ويأسه من رحمة الله .

ثالثاً : الصَّابِرُونَ حِينَ الْمَأْسِ :

المَأْسُ لُغَةٌ (٤) :

الشَّدَّةُ فِي الْحَرْبِ (٥) ، يُقَالُ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ فِي هَذَا ، أَي لَا شَدَّةَ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ بَعْدَابٍ بَيْسٍ ﴾ . [سورة الأعراف : ١٦٥] . أَي : شَدِيدٌ ، وَتَسْمَى الْحَرْبُ : بَأْسًا لَمَّا فِيهَا مِنْ الشَّدَّةِ وَالْعَذَابِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ . [سورة غافر : ٨٤] . وَزِيَادَةُ " الْحَيْنِ " لِلإِشْعَارِ بِوُقُوعِهِ أحياناً وَسُرْعَةِ انْقِضَائِهِ ، وَالصَّبْرُ وَقْتُ مَجَاهِدَةِ الْعَدُوِّ فِي مَوَاطِنِ الْحَرْبِ أَمْرٌ شَاقٌّ عَلَى النَّفْسِ ، وَالإِنْسَانُ يَجْزَعُ مِنَ الْقَتْلِ أَوْ الْجِرَاحِ أَوْ الْأَسْرِ ، فَاحْتِيجُ إِلَى الصَّبْرِ فِي ذَلِكَ احْتِسَابًا ، وَرَجَاءَ لثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي مِنْهُ النَّصْرُ وَالْمُعُونَةُ الَّتِي وَعَدَهَا الصَّابِرِينَ (٦) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب السَّلام ، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء (٢٢٠٢) : ٤ / ١٧٢٨ . عن عثمان بن أبي العاص الثقفي ﷺ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب السَّلام ، باب لكلِّ داءٍ دواءٍ واستحباب التداوي (٢٢٠٤) : ٤ / ١٧٢٩ عن جابر ﷺ .

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ولست أعلم سالفاً أوجب التداوي ، وإنما كان كثيرٌ من أهل الفضل والمعرفة يفضل تركه تفضلاً واختياراً لما اختار الله ورضي به وتسلماً له ، وهذا هو حال أنبياء الله المبجلين الصابرين على البلاء ، حين لم يتعاطوا الأسباب الدافعة له مثل أيوب الصَّخْرَةَ وغيره ، وحال السَّلف الصَّالح ؛ فإنَّ أبا بكر الصديق ﷺ حين قالوا له : ألا ندعو لك الطبيب ؟ قال : قد رأي . قالوا : فما قال لك ؟ قال : إني فعَّال لما أريد . ومثل هذا ونحوه ، وهذا المنصوص عن أحمد ، وإن كان من أصحابه من يوجهه ، ومنهم من يستحبه ويرجِّحه كطريقة كثير من السَّلف ؛ استمسكاً لما خلقه الله من الأسباب وجعله من سنَّته في عباده . انظر : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه : ٢١ / ٥٦٤ .

(٤) سبق تعريف البأس والبؤس والبأساء لغة في هذا المبحث . انظر : ص ٢٩٦ .

(٥) لسان العرب (مادة : بأس) : ٢٠ / ٦ .

(٦) انظر : تفسير الطبري : ٢ / ٩٨ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ٦٩ ، ٧٠ ، التفسير الكبير : ٥ / ٤٠ ، تفسير القرطبي : ٢ / ٢٤٣

تفسير ابن كثير : ١ / ٢١٠ ، الدر المنثور : ١ / ٤١٧ ، تفسير أبي السعود : ١ / ١٩٤ ، تفسير السعدي : ٨٣ ، ٨٤ .

ومَّا يلزم المجاهدين من حقوق الجهاد في حقِّ الله تعالى أشياء منها : مصابرة العدو عند التقاء الجمعين ، بأن لا ينهزم عنه من مثليه فما دونه ، وقد كان الله تعالى فرض في أول الإسلام على كلِّ مسلمٍ أن يقاتل عشرةً من المشركين ، فقال : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ^٤ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ . [سورة الأنفال : ٦٥] . ثمَّ خفف الله ﷻ عنهم فأوجب على كلِّ مسلمٍ لاقى العدو أن يقاتل رجلين منهم ، فقال : ﴿ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ^٥ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ . [سورة الأنفال : ٦٦] . وحرَّم على كلِّ مسلمٍ أن ينهزم من مثليه إلاَّ لإحدى حالتين :

- (أ) إما أن يتحرَّف لقتالٍ يميناً أو شمالاً ، فيؤلِّي لاستراحة أو لمكيدة ، ويعود إلى قتالهم .
 (ب) وإما أن يتحصَّن إلى فئةٍ أخرى من المسلمين يجتمع معها على قتالهم ، لقول الله تعالى :
 ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يُؤَمِّدْهُمْ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ .
 [سورة الأنفال : ١٦] . (١)

قال محمد رشيد رضا (٢) : " وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أنَّ الفرار من الزحف من أكبر الكبائر ، وعبر عنه في بعضها بالكفر ، فلا غرو أن يجعل الصبر في حين البأس أصلاً من أصول البر " . اهـ (٣) .

والصبر أحد الأسباب الخمسة التي أمر الله بها المقاتلين ؛ وقد جمع الله تعالى آداب الحروب في قوله ﷻ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٦﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَّوْا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

(١) الأحكام السلطانية : ٤٧ ، ٥١ ، ٥٢ . بتصرف يسير . وانظر : الأمِّ محمد بن إدريس الشافعي : ٤ / ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، بدائع الصنائع لعلاء الدين الكاساني : ٧ / ٩٩ ، الكافي في فقه ابن حنبل : ٤ / ٢٦٠ ، ٢٦١ ، الفواكه الدواني لأحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي : ١ / ٣٩٧ .

(٢) سبق ترجمته في ص ١٣٠ .

(٣) تفسير المنار : ٢ / ١٢١ .

[سورة الأنفال: ٤٥، ٤٦]. فالصبر هو ملاذ الأمر والنصر وسببه، ومتى فقد شيء من ذلك نقص من النَّصر بحسبه (١).

وقد امتدح الله جماعاتٍ قاتلوا مع أنبيائهم، فما ضعفت نفوسهم لما أصابهم من البلاء والكرب والشدة والجراح، وما ضعفت قواهم لما أصابهم من الاستمرار في الكفاح، وما استسلموا للجزع والأعداء، بل صبروا وصمدوا، فهذا هو شأن المؤمنين، الذائدين عن حياض الدين، فنالوا حبَّ ربهم، وهو شعورٌ تلتئم معه الجراح، ويعوِّض عن الجهاد المرير.

قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾. [سورة آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

صبر المجاهدين حين البأس من أنواع البر:

من خلال الآية الكريمة السابقة يظهر أن الصَّابرين عند مجاهدة العدو في مواطن الحرب ما كان لهم في تلك الحال التي كانوا عليها من اعتصامٍ بالله، وعزةٍ وقوة، وحماسة للدفاع عن دين الله إلا ذلك القول المنبئ عن قوة إيمانهم وعزيمتهم، وتعلقهم بخالقهم، وهو الدُّعاء والتضرُّع إلى الله.

قال الطَّاهر بن عاشور (٢):

"فصيغة القصر في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا﴾ قصرٌ إضافيٌّ، لردِّ اعتقاد من قد يتوهم أنهم قالوا أقوالاً تُنبئ عن الجزع، أو الهلع أو الشك في النَّصر، أو الاستسلام للكفار". اهـ (٣).

(١) بدائع السلك في طبائع الملك لأبي عبد الله بن الأزرق ج ١: ١ / ١٦٧.

(٢) هو محمد الطَّاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، عيَّن (سنة ١٩٣٢ م) شيخاً للإسلام مالكيًا. وهو من أعضاء الجمعيتين العربيتين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها: مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، والتحرير والتنوير (في تفسير القرآن)، وصدر منه عشرة أجزاء والوقف وآثاره في الإسلام، وأصول الإنشاء والخطابة، وموجز البلاغة، ومما عني بتحقيقه ونشره: ديوان بشار بن برد، أربعة أجزاء، وكتب كثيرا في المجالات، وهو والد محمد الفاضل، ت ١٣٩٣ هـ. انظر: الأعلام: ٦ / ١٧٤.

(٣) التحرير والتنوير: ٣ / ٢٤٥.

وقال الفخر الرازي (١) في تفسيرها :

" بين تعالى أنهم كانوا مستعدّين عند ذلك التصبر والتجلّد بالدعاء والتضرّع بطلب الإمداد والإعانة من الله ، والغرض منه أن يُقتدى بهم في هذه الطريقة أمة محمد ﷺ ، فإن من عوّل في تحصيل مهمّاته على نفسه ذلّ ، ومن اعتصم بالله فاز بالمطلوب " . اهـ (٢) .

وكان الدعاء بأمر هي :

أولاً : طلب المغفرة ، ويقدم على طلب تثبيت الأقدام ، لأنه تعالى لما ضمن النصرة للمؤمنين فاذا لم تحصل النصرة ، وظهر أمارات استيلاء العدو ، دلّ ذلك ظاهراً على صدور ذنب وتقصير من المؤمنين .

قال الزمخشري (٣) : " والدعاء بالاستغفار منها مقدّم على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ؛ ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاة وطهارة وخضوع وأقرب إلى الاستجابة " . اهـ (٤) .

والاستغفار يكون من كلّ الذنوب سواء كانت من الصغائر أو من الكبائر ، ثم أنهم خصّوا الذنوب العظيمة الكبيرة منها بالذكر بعد ذلك لعظمتها وعظمت عقابها ، وهو المراد من قوله : ﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ لأن الإسراف في كلّ شيء هو الإفراط فيه .

ثانياً : سؤال الله تثبيته الأقدام ، وذلك بإزالة الخوف والجزع عن قلوبهم ، وإزالة الخواطر الفاسدة عن صدورهم .

ثالثاً : سؤال الله بعد ذلك النصرة على القوم الكافرين ، لأنّ هذه النصرة لا بدّ فيها من أمورٍ زائدة على ثبات أقدامهم - وهي من أسباب النصر - ، وهو كالرعب الذي يقذفه الله في قلوب أعدائهم ، وإحداث أحوالٍ سماويةٍ أو أرضيةٍ توجب انهزامهم ، مثل : هبوب رياحٍ تغير مخطّطاتهم ، وجريان سيلٍ يعيق تحركاتهم .

(١) سبق ترجمته في ص ٨ .

(٢) التفسير الكبير : ٢٤ / ٩ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٤) الكشف : ٤٥١ / ١ .

وهذا تأديبٌ من الله تعالى في كيفية الطلب بالأدعية عند التَّوائب والحن سواء كان في الجهاد أو غيره ، وقد كان رسول الله ﷺ يدعو بهذا الدعاء : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي ، وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي " (١) .

ولا شكَّ أن الدعاء والتوجه إلى الله حين اشتداد الحرب ليزيد المؤمن المجاهد قوَّةً وصلابةً ومصابرةً للشدائد ، وهذا ما قرَّره علماء النفس والأخلاق ؛ فالمؤمنون أشدُّ ثباتاً وصبراً في القتال من الجاحدين (٢) .

ولقد دعا الله المؤمنين إلى الصبر والمصابرة في مواضع كثيرة من كتابه ، منها قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٢٠٠] . فالأعداء يحاولون جاهدين أن يفلتوا من صبر المؤمنين بكلِّ وسيلة ، فلا بدَّ للمسلم أن يكون على صلةٍ بالله ، واستسلامٍ لقدره ، وردِّ الأمر كله في طمأنينة وثقة وخشوع (٣) ، فهذا مقام الصَّابرين الذي أورثهم - مع غيره من الصِّفات - منزلة الأبرار المقربين ، وأورثهم جنَّةً وحريراً . قال تعالى : ﴿ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [سورة الإنسان : ١٢] .

إنَّ في الصبر من الخشونة وحبس النَّفس عن شهواتها ، لذا كان جزاء الصَّابرين من سعة الجنَّة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة ، فقد جمع الله لهم بين النَّضرة والسرور وبهذا جملت ظواهرهم وبواطنهم ؛ كما جمَّلوا في الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام وبواطنهم بحقائق الإيمان (٤) .



(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب قول النبي ﷺ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ " (٦٠٣٥) : ٥ / ٢٣٥٠ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شرِّ ما عمل ومن شرِّ ما لم يعمل (٢٧١٩) : ٤ / ٢٠٨٧ . كلاهما عن أبي موسى الأشعري ؓ .

(٢) انظر : التفسير الكبير : ٩ / ٢٤ ، تفسير القرطبي : ٤ / ٢٣١ ، تفسير المنار : ٤ / ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٣) انظر : الظلال : ١ / ٥٥٢ .

(٤) روضة المحبين لابن القيم : ٤٨٠ ، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : ١٢٧ . بتصرف يسير .

المبحث الثالث : الصدق

الصدق خلقٌ من الأخلاق الإسلامية الهامة ، فهو يشكل دعامة أساسية في بناء مجتمع صالح وقد أعطت آية البر للصدق مفهوماً شاملاً واسعاً ، فهو لا يكون في القول فحسب ؛ بل الصدق أعمُّ من ذلك ، وله مظاهر أخرى يتجلى فيها ، ويبنى عليه في أمور الإيمان والعبادة وسلوك الفرد والجماعة في واقع الحياة .

قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

الصدق لغة :

الصاد والداد والقاف أصلٌ يدلُّ على قوَّة في الشيء قولاً وغيره . والصدق : مصدر قولهم : صدَّقَ يَصِدِّقُ صدقاً^(١) ، وهو خلاف الكذب ، سمي لقوَّته في نفسه ، ولأنَّ الكذب لا قوَّة له فهو باطل ؛ وأصل هذا من قولهم شيء صدَّق ، أي صلب^(٢) ، ورمح صدَّق . والصدِّيق : الملازم للصدق ، ويكون أيضاً الذي يصدق قوله بالعمل ، ورجل صدوق أبلغ من الصادق ، ويقال : صدقوهم القتال ، وفي خلاف ذلك كذبوهم ، والمصدق : الذي يصدقك في حديثك ، وصدقته النصيحة والإحياء : أمحضه له^(٣) .

(١) قال في اللسان : يقال : صدَّقاً - بفتح الصاد - وتصدقاً . وما ذكرته هو الأشهر . انظر : لسان العرب (مادة : صدق) :

١٩٣ / ١٠ .

(٢) لم يرتض ابن درستويه هذا الاشتقاق فقال : ليس الصدق من الصلابة في شيء ، ولكن أهل اللغة أخذوه من قول النابغة : في حالك اللون صدق غير ذي أود ، قال : وإنما الصدق الجامع للأوصاف المحمودة ، والرُمح يوصف بالطول واللين والصلابة ونحو ذلك ، وقال الخليل : الصدق الكامل من كل شيء . انظر : لسان العرب (مادة : صدق) : ١٩٦ / ١٠ .

(٣) انظر : المقاييس ، كتاب الصاد ، باب الصاد والداد وما ينلثهما (مادة : صدق) : ٥٨٨ ، لسان العرب (مادة : صدق) :

١٩٣ / ١٠ - ١٩٥ .

تعريف الصدق :

قال الكفوي (١) : " الصدق كل خير مخبره على ما أخبر به فهو صدق " (٢) .
وقال الراغب (٣) :

" والصدق والكذب أصلهما في القول ، ماضياً كان أو مستقبلاً ، وعداً كان أو غيره .
والصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً ، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً
بل إما أن لا يوصف بالصدق ، وإما أن يوصف تارة بالصدق ، وتارة بالكذب على نظيرين
مختلفين ، كقول الكافر من غير اعتقاد : محمد رسول الله ، فإن هذا يصح أن يقال صدق
لكون المخبر عنه كذلك ، وأن يقال كذب لمخالفة قوله لضميره " اهـ (٤) .
وقيل : " هو مطابقة الحكم للواقع ، وهو ضد الكذب " (٥) .

وقد يستعمل الصدق والكذب في أمور الاعتقاد ، نحو صدق ظني وكذب ، وفي أعمال
الجوارح ، كصدق في القتال ؛ إذا وفى حقه وأبلى بلاءً حسناً ، وكذب فيه إذا كان بخلاف
ذلك .

وقيل : الصدق أن لا يكون في أحوالك شوب ، ولا في اعتقادك ريب ، ولا في أعمالك
عيب (٦) .

فضل الصدق :

إن الالتزام بالصدق في كل شأن هو دأب المؤمن ، والصدق والإخلاص هما تحقيق الإيمان
والإسلام ، والمؤمنين للإسلام ينقسمون إلى مؤمنين ومنافق ، والفارق بين المؤمن والمنافق هو
الصدق ، فقد فرّق سبحانه بين أهل السعادة وأهل الشقاوة بذلك ، فقال :

(١) سبق ترجمته في ص ٣٤ .

(٢) الكليات (فصل الصاد) : ٥٤٣ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٣ .

(٤) المفردات (مادة : صدق) : ٢٨٠ .

(٥) الحدود الأنيفة لتركيب بن محمد بن زكريا الأنصاري : ٧٤ ، التعريفات : ١٢٠ .

(٦) انظر : التوقيف على مهمات التعاريف : ٤٥١ .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ . [سورة الزمر: ٣٢، ٣٣] .

● والصدِّيق أعلى مقاماً من الشَّهيد ، ومرتبة الصديقيَّة (١) أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة ؛ لأنَّ الله قرَّهم في كتابه بالأنبياء فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٣٤﴾ ﴾ . [سورة النساء : ٦٩] . فجعل سبحانه في هذه الآية درجة الصديقيَّة معطوفةً على درجة النبوة وقبل درجة الشهداء ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ ۗ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ . [سورة الحديد : ١٩] . فتبيَّن أنَّ مرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهداء ؛ ولهذا قدَّمهم عليهم في الآيتين هنا ، وهكذا جاء ذكرهم مقدِّماً على الشهداء في كلام النبي ﷺ في قوله : " أثبت أحد فإِنَّمَا عليك نبي وصدِّيق وشهيدان " (٢) . ولهذا كان نعت الصديقيَّة وصفاً لأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين أبي بكر الصديق ، ولو كان بعد النبوة درجة أفضل من الصديقيَّة لكانت نعتاً له ﷺ (٣) .

● والإيمان أساسه الصِّدق ، والتَّفَاق أساسه الكذب ، فلا يجتمع كذب وإيمان في قلب امرئ أبداً ، والأحاديث في ذمِّ الكذب والترهيب منه أكثر من أن تحصى ، ومن أشدها أن سائلاً سأل رسول الله ﷺ : " أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قِيلَ لَهُ : أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قِيلَ لَهُ : أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَابًا ؟ قَالَ : لَا " (٤) .

(١) وقد بسط ابن القيم القول عن الصديقيَّة عند الحديث عن مراتب المكلفين في الآخرة وطبقاتهم ، فجعل مرتبة الصديقيَّة في الطبقة الرابعة ، وذكر أئمَّ ورثة الرسل وخلفاؤهم في أئمهم . انظر : طريق المحترين وباب السَّعَادَتَيْنِ : ٥١٦ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : " لو كنت متخذاً خليلاً (٣٤٧٢) : ٣ / ١٣٤٤ . عن أنس .

(٣) انظر : طريق المحترين وباب السَّعَادَتَيْنِ : ٥١٦ ، ٥١٧ ، تفسير ابن كثير : ٤ / ٣١٣ ، روح المعاني : ٥ / ٧٧ .

(٤) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الكلام باب ما يكره من الكلام ، باب ما جاء في الصدق والكذب (١٧٩٥) : ٢ / ٩٩٠ . عن صفوان بن سليم . قال العجلوني : وفي الباب عن ابن عمر وابن مسعود وأبي أمامة وغيرهم ، وأمثلة حديث سعد لكن ضعف البيهقي رفعه ، وقال الدارقطني : الموقف أشبه بالصواب ، لكن حكمه الرفع على الصحيح لأنه لا مجال للرأي فيه . انظر : كشف الخفاء : ١٤٢ / ٢ .

❁ وأخبر سبحانه أنه لا ينفع العبد يوم القيامة وينجيه من عذابه إلا صدقه ، قال تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۗ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ ﴾ . [سورة المائدة : ١١٩] .

❁ وبشر الله جل ثناؤه الصادقين والصادقات بالمغفرة والأجر العظيم بقوله : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّاتِمِينَ وَالصَّاتِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ ﴾ . [سورة الأحزاب : ٣٥] . وبشر رسول الله ﷺ الصادقين بالغرف العالية في الجنة ومع علو مقام الصادقين إلا أنه بفضل الله ميسور لمن أراده ، فكل من يحقق إيمانه بالله ورسله يأمل في هذا المقام الرفيع ، قال ﷺ : " إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل بينهم ، قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم . قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين " (١) .

❁ وأمر المؤمنين بأن يكونوا مع أهل الصدق ، ورتبها مع التقوى فلا تكتمل درجة التقوى إلا بالصدق فقال : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ۝ ﴾ . [سورة التوبة : ١١٩] . وقال سبحانه في ذم المنافقين : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ ﴾ متع قليلاً وهم عذاب أليم ۝ ﴾ . [سورة النحل : ١١٦ ، ١١٧] .

❁ والصدق مفتاح كل خير ، كما أن الكذب مفتاح كل شر .

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة (٣٠٨٣) / ٣ / ١١٨٨ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب تراثي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء (٢٨٣١) : ٤ / ٢١٧٧ . كلاهما عن أبي سعيد الخدري .

❁ ويكفي في فضيلة الصدق أن الصديق مشتق منه ، والله تعالى وصف الأنبياء به في معرض المدح والثناء فقال : ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ . [سورة مريم - عليها السلام - : ٤١] . وقال : ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [سورة مريم - عليها السلام - : ٥٤] . وقال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ . [سورة مريم - عليها السلام - : ٥٦] . وقال في وصف يوسف عليه السلام : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ ﴾ . الآية . [سورة يوسف عليه السلام : ٤٦] . وامتدح مريم - عليها السلام - فقال : ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ . الآية . [سورة المائدة : ٧٥] . وجعل سبحانه لإبراهيم عليه السلام وذريته لسان الصدق فقال : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ . [سورة مريم - عليها السلام - : ٥٠] . قال ابن عباس (١) : لسان الصدق هو الثناء الحسن . وهذا من أعظم نعم الله على العبد بأن يرفع له بين العالمين ذكره ويُعلى قدره ولذلك خصَّ به أنبياءه ورسوله .

❁ والأخيار من عباد الله الصادقين في عبادتهم وأعمالهم ، المخلصين في نواياهم أعدَّ الله لهم سبحانه مقعداً في الجنة وصفه بأنه مقعد صدق في الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴾ . [سورة القمر : ٥٤ ، ٥٥] . هنا مدح للمكان المخصَّص في الجنة لأهل الصدق ، وهو مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم (٢) .

❁ وبشر عباده أيضاً بأن لهم عنده قدم صدق فقال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . [سورة يونس - عليه السلام - : ٢] . وفي معنى قدم الصدق أقوال منها : الجنة ومحمد ﷺ ، والأعمال الصالحة ، وحقيقة القدم : ما قدموه وما يُقدمون عليه يوم القيامة وهم قدموا الأعمال والإيمان بمحمد ﷺ ، ويقدمون على الجنة التي هي جزاء ذلك ، فالثلاثة قدم صدق (٣) .

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٢) انظر : الإحياء : ٤ / ٣٨٦ ، تفسير القرطبي : ١٧ / ١٥٠ ، أمراض القلوب : ٣٩ ، الاستقامة لابن تيمية : ١ / ٤٦٧ ، الفوائد :

١٣٦ ، الجواب الكافي : ٥٣ ، ٥٤ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ١٢٥ .

(٣) انظر : زاد المسير : ٤ / ٥ ، تفسير القرطبي : ٨ / ٣٠٦ ، مدارج السالكين : ٢ / ٢٧٢ .

﴿ وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَدْعُوهُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ ﴾ . [سورة الإسراء : ٨٠] . وقد تعددت الأقوال (١) في المراد بمدخل الصدق ومخرج الصدق ، واختار ابن جرير (٢) إدخاله المدينة وإخراجه من مكة لأن الآية نزلت حين أمر بالهجرة (٣) .
والرَّاجح أن الآية عامة ، ولا ريب أن ما ذكره علماء التفسير فهو على سبيل التمثيل ، وإلا فمدخله ﷺ كلها مدخل صدق ، ومخرجه مخرج صدق ؛ إذ هي لله وبالله وبأمره ولا ابتغاء مرضاته . فالآية عامّة في كل ما تناوله من الأمور ، فهي دعاء ، ومعناها : ربّ أصلح لي وردني في كلّ الأمور وصدري عنها (٤) .

درجات الصدق :

الصدق على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : صدق القصد ، وبه يتلافى كلّ تفريط ، ويتدارك كلّ فائت ، ويعمّر كلّ خراب ، وعلامة هذا الصادق : أن لا يفكر أبداً في نقض عهد ، ولا يصبر على صجة سوء ، ولا يقعد عن الجدّ بحال .

والدرجة الثانية : أن لا يتمنى الحياة إلاّ للحقّ ، ويرى نفسه دائماً بمنزلة المقصّر في جنب الله ، ولا يلتفت إلى ترفيه الرخص .

والدرجة الثالثة : الصدق في معرفة الصدق ، وهو أن يطلب رضى الحقّ في كل أعماله وأحواله وأوقاته ، فيكون العبد راضياً مرضياً ، فأعماله إذا مرضية ، وأحواله صادقة ونيتة خالصة (٥) .

(١) انظر : زاد المسير : ٥ / ٧٧ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣١٣ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٥٩ ، ٦٠ ، فتح القدير : ٣ / ٢٥٢ .

(٢) هو ابن جرير الطبري ، سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٣) انظر : تفسير الطبري : ١٥ / ١٤٩ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٣١٣ ، فتح القدير : ٣ / ٢٥٢ .

(٥) منازل السائرين : ٥٥ - ٥٧ . بتصرف .

ولا يحلُّ من الكذب شيءٌ إلاَّ في : الحرب والحرب خدعة ، وإصلاح ذات البين ، وكذب الرجل على زوجته ليرضيها ، والمرأة على زوجها لترضيه . فعن أم كلثوم بنت عقبة ^(١) - رضي الله عنها - قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، فينمي ^(٢) خيراً أو يقول خيراً " ، ثمَّ قالت : لم أسمع يرخِّص في شيءٍ ممَّا يقوله الناس إلاَّ في ثلاث : في الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها " ^(٣) .

مجالات الصدق في آية البرِّ :

للصدق في آية البرِّ مفهومٌ شاملٌ عميق ، فالذين صدقوا هم الأبرار الذين استكملوا البرِّ في إيمانهم وعبادتهم وسلوكهم ، والصادق ليس هو الصادق في القول فحسب ؛ بل الصدق أعمُّ من ذلك ، وإن كان تحرِّي الصدق في القول هو مفتاح الصدقية لدلالة قوله ﷺ : " إنَّ الصدق يهدي إلى البرِّ ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة ، وإنَّ الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله

^(١) أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية ، أخواها الوليد بن عقبة ، وأمهما أروى بنت كرز بن ربيعة وهي والدة عثمان ، وكانت أم كلثوم ممن أسلم قديماً ؛ صحابية جلييلة ، كانت قبل أن تهجر بلا زوج ، فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة ، ثم تزوجها الزبير بن العوام بعد قتل زيد فولدت له زينب ، ثمَّ فارقتها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له إبراهيم وحيداً ثمَّ مات عنها ، فتزوجها عمرو بن العاص فمكنت عنده شهراً ومات . روى عنها ولداها حميد بن عبد الرحمن وإبراهيم . قال ابن سعد : هي أول من هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ ، ولا نعلم قرشية خرجت من بين أبايها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلاَّ أم كلثوم ، خرجت من مكة وحدها وصاحبت رجلاً من خزاعة حتى قدمت في الهدنة ، فخرج في أثرها أخواها فقدا ثاب يوم قدومها ، فقالا : يا محمد شرطنا أوف به . فقالت أم كلثوم : يا رسول الله ، أنا امرأة وحال النساء إلى الضَّعف ، فأخشى أن يفتنوني في ديني ولا صبر لي ، فنقض الله العهد في النساء وأنزل الله آية الامتحان ، وحكم في ذلك بحكم رضوا به كلهم ، فامتحنها رسول الله والنساء بعدها : ما أخرجكن إلاَّ حُبَّ الله ورسوله والإسلام لا حُبَّ زوج ولا مال ، فإذا قلن ذلك لم يرددن . انظر : الطبقات الكبرى : ٨ / ٢٣٠ ، صفة الصفوة : ٢ / ٥٥ ، الإصابة : ٨ / ٢٩١ .

^(٢) ينمي خيراً : أي أبلغه ورفع ، يقال : نَمَيْت بالحديث ونَمَيْتَه - المخفَّف - في الإصلاح ، و المتثقل في الإفساد والنميمة . انظر : غريب الحديث للقاسم ابن سلام الهروي : ١ / ٣٤٠ ، الفائق في غريب الحديث : ٤ / ٢٧ ، غريب الحديث لعبد الرحمن بن علي ابن الجوزي : ٢ / ٤٣٨ ، النهاية ، كتاب النون (مادة : نَمَى) : ٥ / ١٢٠ .

^(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلح ، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس (٢٥٤٦) : ٢ / ٩٥٨ ، ولم يذكر البخاري ما ذكرته أم كلثوم من الأمور المرخص في الكذب فيها ، وأخرج مسلم في كتاب البرِّ والصلة والآداب ، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه (٢٦٠٥) : ٤ / ٢٠١١ .

صدِّيقاً ، وإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور ، وإنَّ الفجور يهدي إلى النَّار ، وإنَّ الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً " (١) . فصدِّقه سيمنعه من اقتراف الذنوب .
وأجملها في عبارة واحدة وهي : الصدِّق مع الله . قال تعالى : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ . [سورة الأحزاب : ٢٣] .

وقد فصل الغزالي (٢) في هذا فقال : " لفظ الصدِّق يستعمل في ستة معانٍ : صدقٌ في القول وصدقٌ في النية والإرادة ، وصدقٌ في العزم ، وصدقٌ في الوفاء بالعزم ، وصدقٌ في العمل وصدقٌ في تحقيق مقامات الدين كلها ، فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صدِّيق لأنه مبالغة في الصدق " (٣) .

وقد جاء ذكر صفات الصادقين في أربعة مواضع من كتاب الله العزيز ، وأبرز ما اتصف به الصادقون الإيمان بالله ورسوله ، أي الصدق في الإيمان ، قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ . [سورة الحجرات : ١٥] . وقال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ . [سورة الحشر : ٨] . وقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . [سورة الحديد : ١٩] .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ وما ينهى عن الكذب (٥٧٤٣) : ٥ / ٢٢٦١ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٢٦٠٧) : ٤ / ٢٠١٢ . كلاهما عن عبد الله ﷺ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٥٣ .

(٣) الإحياء : ٤ / ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

إن آية البرِّ قد جمعت لأهل الصدق برّاً في الإيمان والأعمال والأخلاق ، فتعددت صفات الصّادقين ، ولم تقتصر على الإيمان فحسب ، بل الصدق في الفعل أيضاً .

ودلت على تحقق معنى البرِّ في المسلمين ، وفيه تعريضٌ بأهل الكتاب الذين لم يتحقق فيهم معنى البرِّ ؛ لأنهم لم يؤمنوا ببعض الملائكة وبعض النبيين ، وشحوا بأموالهم ولم يعطوها من يستحقها ، وكانوا ناقضين للعهود والمواثيق ، ولم يتحلوا بالصبر ، وفيه تعريضٌ بالمشركين الذين أنكروا البعث واليوم الآخر والنبيين والكتب ، وتعدوا على أموال اليتامى ولم يقيموا صلاةً ولم يؤتوا زكاةً .

وآية الحجرات ^(١) قد بينت أن الصّادقين هم الذين آمنوا بالله ورسوله ، إيماناً مطمئناً ثابتاً مستيقناً لا يتزعزع ولا يضطرب ، ليس فيه ارتياب ولا شك ، فالقلب متى تذوق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه ، اندفع لتقرير حقيقته خارج القلب في واقع الحياة فانبتق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله ، فوافق صدق القلب صدق الجوارح .

وفي آية الحشر ^(٢) امتدح الله المهاجرين الذين أخرجوا إخراجاً من ديارهم وأموالهم وأكرههم الاضطهاد والأذى للخروج من مكة ، لا لذنب إلا أن يقولوا ربنا الله ، وذلك لابتغاء مرضاة الله ، وهم على على قتلهم ومطاردة عدوهم لهم ينصرون الله ورسوله بقلوبهم وسيوفهم في أحلك الأوقات ، فهم قد صدقوا بقلوبهم وألسنتهم وأفعالهم .

قال ابن عطية ^(٣) : " والصادقون في هذه الآية جمعوا بين صدق اللسان وصدق الأفعال لأن أفعالهم في أمر هجرتهم إنما كانت وفق أقوالهم " . اهـ ^(٤) .

وقال الفخر الرازي ^(٥) : " قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ ﴾ يعني أنهم لما هجروا لذات الدنيا وتحملوا شوائدها لأجل الدين ظهر صدقهم في دينهم " . اهـ ^(٦) .

وحصر الصدق فيهم في الآيات الثلاث الأولى حصرٌ إضافيٌّ للمبالغة ، في وصفهم بالصدق الكامل ، كأن صدق غيرهم ليس صدقاً في جانب صدقهم ^(١) .

(١) سورة الحجرات : ١٥ . (السابقة الذكر) .

(٢) سورة الحشر : ٨ . (السابقة الذكر) .

(٣) سبق ترجمته في ص ٢٠٠ .

(٤) المحرر الوجيز : ٥ / ٢٨٧ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٨ .

(٦) التفسير الكبير : ٢٩ / ٢٤٩ .

أما آية الحديد (٢) فذكرت مرتبة الصديقية ، والصدّيق - بتشديد الدال - : مبالغة في المصدّق مثل المسّيك للشّحیح ، أي كثير الإمساك لماله ، ومرتبة الصديقية ليصل إليها كل من آمن بالله ورسله .

قال ابن عباس (٣) ﷺ : فمن آمن بالله ورسله فهو من الصديقين .

وإنما وصفوا بأنهم صديقون لأنهم صدّقوا جميع الرّسل ، ولم تمنعهم عن ذلك عصبية ولا عناد وضمير الفصل للقصر وهو قصر إضافي ، أي : هم الصديقون ؛ لا الذين كذبوا بعض الرّسل ، واسم الإشارة للتنويه بشأنهم ، وللتنبية على أن المشار إليهم استحقوا ما يرد بعد اسم الإشارة من أجل الصفات التي قبل اسم الإشارة (٤) .

يستخلص من الآيات ومن أقوال علماء التفسير ما يلي :

- أن أساس الصدق وطريقه الموصل إليه هو الإيمان بالله ورسله ، ولا يطمح المؤمن للارتقاء إلى مرتبة الصديقية إلا حينما يؤمن بالله والرّسل جميعهم ، فدعوة الأنبياء واحدة وهم جاؤوا لتحقيق غرض واحد ، أي : الصدق في التوحيد والعبودية لله .
- لانتحصر صفات الصادقين فيما ذكر في حقهم في الآيات المذكورة ، فالصدق يتناول مناحي متعددة مثل : الصدق في الشهادة ، والصدق في التعامل مع الناس ؛ فلا يغش ولا يخدع ، مما أوضحته غير ذلك من الآيات وكذلك الأحاديث الشريفة ، ولعل هذه هي أبرز الصفات التي من تحلّى بها كان لغيرها متحلّياً بالتبعية .
- الصدق لا يكون باللسان فحسب ؛ فالقول يصدّقه العمل ، وهو برهان صدق القلب مع الله ، ولا يتصور أن لا يصدق في قوله من صدقت نيّته ، والعكس صحيح .
- للصدق مظاهر يتحلّى فيها منها : الصدق في الإيمان ، والصدق في الأعمال ، والصدق في الأخلاق .

(١) انظر : التحرير والتنوير : ٢ / ١٣١ ، ٢٦ / ٢٢٣ ، ٢٨ / ٨٠ .

(٢) سورة الحديد : ١٩ (السابقة الذكر) .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٤) انظر : تفسير السمرقندي : ٣ / ٣٨٦ ، تفسير البغوي : ٤ / ٢٩٨ ، التحرير والتنوير : ٢٧ / ٣٥٨ .

الصدق الأول : الصدق في الإيمان (التوحيد) :

لا يقصد بالتوحيد أن يقول المرء بلسانه لا إله إلا الله ، فلا ينفع القول باللسان ، وإنما ينفع الصدق في التوحيد ، وكمال التوحيد أن يتيقن أن الأمور كلها من عند الله ، وعلامته : أن لا يغضب على أحد من الخلق في ما يحصل له ؛ فيعلم أن الله مسبب الأسباب ولا يعول على الأسباب ، ولا يكثر من قول : " لو " فإن لو تفتح عمل الشيطان ، فالتأفيع والضار هو الله . ويكون الصدق مع الله أيضاً في الإيمان بأسمائه وصفاته بإثبات ما أثبتته لنفسه ، ونفي ما نفاه سبحانه عن نفسه ، وكذلك الصدق في دينه وشرعه ؛ بتحليل ما أحله الله وتحريم ما حرمه وإيجاب ما أوجبه وإسقاط ما لم يوجبه ، وحب ما أحبه وكراهة ما لم يحبه ، فلذلك كانت الصديقية : كمال الإخلاص ، والانقياد والمتابعة للخير والأمر ظاهراً وباطناً . قال الثوري^(١) في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [سورة الزمر : ٦٠] : هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين^(٢) .

ومما يراعيه الصادق ألفاظه التي يناجي بها ربه ، كقوله : " وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض " . فإن كان قلبه مشغولاً عن الله بأماشي الدنيا وشهواته فهو كاذب وكقوله : ﴿ إِيَّاكَ تَعْبُدُ ﴾ وقوله : (أنا عبد الله) فإنه إذا لم يتصف بحقيقة العبودية ولم يعلق قلبه بالله لم يكن كلامه صدقاً ، وكل أمر تعلق به المرء وقدمه على مرضاة ربه كان عبداً له ، فمن الناس من يكون عبداً لنفسه أو عبداً لدنيا ، أو عبداً لشهواته أو هواه . قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ . [سورة الجاثية : ٢٣] . وقال نبينا

(١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، من بني ثور بن عبد مناة ، من مضر ، أبو عبد الله : أمير المؤمنين في الحديث . كان سيّد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى . وكان آية في الحفظ ، من كلامه : ما حفظت شيئاً فنسيته . ولد ونشأ بالكوفة ، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم ، فأبى . وخرج من الكوفة (سنة ١٤٤ هـ) فسكن مكة والمدينة . ثم طلبه المهدي ، فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً . له من الكتب : الجامع الكبير ، والجامع الصغير : كلاهما في الحديث ، وكتاب في الفرائض . ت سنة ١٦١ هـ . انظر : الفهرست : ١ / ٣١٤ ، حلية الأولياء : ٦ / ٣٥٦ ، تاريخ بغداد : ٩ / ١٥١ ، طبقات الفقهاء : ٨٥ / ١ .

(٢) انظر : الإحياء : ٤ / ٢٩ ، مدارج السالكين : ٢ / ٢٧٣ .

ﷺ: " تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش " (١) . وإنما العبد الحق لله ﷻ من امتلاء قلبه بحب الله ، وجمل باطنه وظاهره بطاعته ، فلا يبتغي إلا رضا مولاه عندها يرتقي إلى رتبة الصادقين (٢) .

وأعلى درجات الصدق وأعزها الصدق في مقامات الدين كلها ، كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور ، فإن هذه الأمور لها غايات وحقائق ، وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقاً فيه ، كما يقال : فلان صدق القتال ، ويقال : هذا هو الخوف الصادق .

وقدم جبريل عليه السلام مثلاً رائعاً في تعظيم الله ﷻ . قال رسول الله ﷺ : " مررت ليلة أسري بي بالملا الأعلى وجبريل كالحلحلس (٣) البالي من خشية الله " (٤) . فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع إلى ذلك الحد ! وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم (٥) .

ويتبع هذا الإيمان باليوم الآخر والملائكة والكتب والنبين (٦) ، فلا يك إيماناً باللسان ؛ بل يتغلغل هذا الإيمان في القلب ، ويصير واقعاً حياً يثمر تسليماً ، ورضاً ، وحباً ومتابعة على الحق .

الصدق الثاني : الصدق في الأعمال :

الأعمال الصالحة التي يقوم بها المسلم كثيرة متنوعة ، وقد اقتصرنا آية البر على إقامة الصلاة

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله (٢٧٣٠) : ٣ / ١٠٥٧ . عن أبي هريرة ﷺ .

(٢) الإحياء : ٤ / ٣٨٨ ، ٣٨٩ . بتصرف .

(٣) الحلس : كل شيء وكسي ظهر البعير والدابة تحت الرجل والقنب والسرج . انظر : لسان العرب (مادة : حلس) : ٦ / ٥٤ .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤٦٧٩) : ٥ / ٦٤ ، عن جابر ﷺ . قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح . انظر : مجمع الزوائد : ١ / ٧٨ .

(٥) انظر : الإحياء : ١ / ٤٦ - ٤٨ ، ٤ / ٣٩١ ، ٣٩٢ .

(٦) سبق الحديث عن بر من آمن باليوم الآخر والملائكة والكتب والنبين ، انظر : ص ٤٧ ، ٨٩ ، ١٠٦ ، ١٢٢ .

وإيتاء الزكاة فرضاً ونفلاً ، فكان الصدق فيهما سبباً لتحقيق البر^(١) ، وأداؤهما على الوجه المطلوب سبباً في الفلاح .

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ، ثائر الرأس ، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول ، حتى دنا من رسول الله ﷺ فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : " خمس صلوات في اليوم والليلة . فقال : هل عليّ غيرهنّ ؟ قال : لا ، إلا أن تطوّع وصيام شهر رمضان . فقال : هل عليّ غيره ؟ فقال : لا ، إلا أن تطوّع . وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة ، فقال : هل عليّ غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطوّع . قال : فأدبر الرجل وهي يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه . فقال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق " (٢) .

يظهر لنا من هذا الحديث النبوي الشريف أن فلاح المسلم في دنياه وأخراه مشروط بالصدق في أعماله رغم كونها من أركان الإسلام ، فلا تنفعه هذه الأعمال إذا لم يتحرّ الصدق فيها ومما يتوجب تحقيق الصدق فيه ما يلي :

أ) الصدق في إقامة الصلاة :

إن صدق المسلم مع ربه عند إقامته للصلاة^(٣) يجعله مراعيّاً للخشوع والتضرّع بين يدي الله ، وإذا خشعت الجوارح والقلب غافلٌ كان خشوعه خشوع نفاق ، وإذا تسلسل الرياء إلى نية المصلي ظهر كذبه على الله ، وإن من ينظر إليه يرى استكانة وذلاً لكن قلبه قد شرد مع كل خاطرة وواردة ، ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلانية ؛ بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيراً من ظاهره .

قال أحد الصالحين : إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف ، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل ، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور .
فإذن مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق^(٤) .

(١) ولذا سأقتصر على الصدق فيهما ، مادام البرّ يتحقق بهما وهو موضوع بحثي هذا .

(٢) سبق ترجمته ص ١٦٩ ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) تحدثت عن البرّ في إقامة الصلاة بشكل أوسع في مبحث الصلاة فرضاً ونفلاً ، انظر : ص ١٦٩ .

(٤) انظر : الإحياء : ٤ / ٣٩١ .

كما أن التَّكاسل والفتور عند القيام إلى الصَّلَاة لا يدلُّ على صدق المصلِّي ؛ بل هو علامة واضحة على نفاقه ، فهو كاذبٌ في عمله . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . [سورة النساء : ١٤٢] .

ومن تعلق قلبه بالصَّلَاة كان عالي الهممة قويّ العزيمة ، يبادر إلى الصَّلَاة مع أوّل نداء لها ، فلا تفوته تكبيرة إحرام ، ويحرص على أن يكون في الصَّفِّ الأول ، فمقام الصدق جامع للإخلاص والعزم ، ولا يكون هناك صدق إلا باجتماعهما معاً في قلب المؤمن ^(١) .

بج (الصدق في إيتاء الزكاة :

إن المنفق لماله يعترضه عند إنفاقه آفتان :

إحداهما : طلبه بنفقته محمداً أو ثناء أو غرضاً من أغراضه الدنيوية .

والآفة الثانية : ضعف نفسه وتقاعسها وتردُّدها ، هل يفعل أم لا ؟! ..

فلاآفة الأولى تزول بابتغاء مرضاة الله ، والآفة الثانية تزول بالتثبيت وترويض النفس على البذل ؛ فقد لا يكون الإنسان جواداً كريماً ، ولكنه إذا تكلف العطاء ، فيوماً بعد يوم سيخلصه الله من شحّ نفسه وضعفها ، ويصبح الإنفاق عنده عادةً وسجيةً ، بل ويحبُّ العطاء ؛ لأنّ : " اليد العليا خير من اليد السفلى " ^(٢) . وتثبيت النفس بتشجيعها وتقويتها والإقدام بها على البذل هو صدقها الذي يوصلها إلى مرتبة الأبرار ^(٣) .

كما أن اللُّجوء إلى الحيل ^(٤) لإسقاط التكاليف يُخِلُّ بصدق المسلم مع ربّه ، وذلك كمن وهب ماله قرب الحول لإسقاط الزكاة بعد وجوبها ، ومن فعل ذلك لن يكون باراً ولا صادقاً ولن يكون من المفلحين .

قال ابن حجر ^(٥) :

(١) انظر : مدارج السالكين : ١ / ١٣٧ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى (١٣٦٢) : ٢ / ٥١٩ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الزكاة ، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفقة وأن اليد السفلى هي الآخذة (١٠٣٣) : ٢ / ٧١٧ . كلاهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) انظر : طريق المجرتين وباب السعادتين : ٥٤٦ ، الفوائد : ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٤) قد ورد الاختلاف في حكم الحيلة ، والمنصوص عن أحمد أن الحيل كلها باطلة . انظر : المغني : ٤ / ٧٤ ، ولم أتعرض لذلك فليس هذا مجال البحث هنا .

(٥) سبق ترجمته في ص ٧٣ .

" إنَّ من رام أن ينقص شيئاً من فرائض الله بحيلة يحتالها أنه لا يفلح " . اهـ (٦) .
والصَّادِق في عمله لا يريد بفعله وتركه إلاَّ الله ﷻ ، صلَّاته وزكَّاته وصومه وحجَّه
ووصله وهجره ، وصمته ونطقه ، وحركته وسكونه لله وحده لا شريك له ، لا يريد
بإحسانه غشاً وخديعة ، ولا يطلب من أحد غير الله جزاءً ولا شكوراً ، يقول الحقّ ولو
كان مرّاً ، ولا يبالي مع الصدق بعظمة عظيم ، وصنيعه ذلك يهديه إلى البرِّ ، ويجعله من
الصديّقين في الدنيا والآخرة .. لا يخالطه أحدٌ إلاَّ وثق به ، وأمنه على نفسه وأهله وماله
ورغب الناس في جواره ومعاشرته ومصاهرته ، وهذا ما عرف به واشتهر نبيُّ الرِّحمة حتى
لقَّب بالصَّادِق الأمين .

الصدق الثالث : الصدق في الأخلاق :

أ) الصدق في العهد :

من مظاهر الصدق الصدق في العهد ، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالوفاء (١) به . قال ﷻ :
﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا ﴾ . [سورة الإسراء : ٣٤] . وقال : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ اللَّهُ إِذَا
عَاهَدْتُمْ ﴾ . [سورة النحل : ٩١] .

وأثنى سبحانه على الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه . قال الله تعالى : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ
صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ .
[سورة الأحزاب : ٢٣] . (٢) .

إنَّ من أكرمهم الله تعالى وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فإنهم أوفياء ؛ ملتزمون أبداً بما بايعوا
عليه وأمروا به . فهذا إسماعيل عليه السلام يلتزم بما عاهد عليه الله تعالى ، راضياً بما يأمره به يأتيه
والده إبراهيم عليه السلام ليلبغنه أنه أمر بذبحه ، فيقدم على الوفاء بالعهد وإتمامه ولو كانت النفس
ثمناً له ، فوفى به حيث قال : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ . [سورة الصافات : ١٠٢] .

(١) فتح الباري : ١٢ / ٣٣١ .

(٢) سبق الحديث عن الوفاء بالعهد بشكل أوسع كخلق سامٍ من مكارم الأخلاق في مبحث الوفاء بالعهد والوعود ، فالعهد الذي أخذت
على الإنسان كثيرة : فمنها : ما بينه وبين ربه ، وما بينه وبين رسول الله ﷺ إلى غير ذلك ، انظر : ص ٢٧٥ .

(٢) نزلت في أنس بن النضر رضي الله عنه والقصة ذكرتها بالتفصيل في مبحث الوفاء بالعهد والوعود ، انظر : ص ٢٧٧ .

ولذلك أتى الله على نبيه إسماعيل عليه السلام فقال : ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [سورة مريم - عليها السلام - : ٥٤] . قال المفسرون عند تفسير هذه الآية : إنه لم يعد شيئاً إلا وفي به ^(١) . وخصَّ الله إسماعيل بهذا الوصف - وإن شاركه فيه بقية الأنبياء - تشريفاً له وتكريماً ، ولأنه اشتهر به وتركه خُلُقاً في ذريته ، وفيه تنيية بعظم الصدق في العهد والوعد ^(٢) ، ولذا كان ضده نفاقاً ، وذمَّ الله الذين أحلفوا ما عاهدوا الله عليه ، فقال سبحانه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة مريم - ٧٥] فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ [سورة التوبة : ٧٥ - ٧٧] .

إنَّ نقض العهد وخلف الوعد ليورث النفاق إلى يوم القيامة ، ولذلك فوبال خلف الوعد خطير ، ويخشى أن يطبع الله على قلب صاحبه فلا يقبل منه عمل أبداً ^(٣) ، فلذلك وجب الاحتراز من نقض العهود .

والصدق في الوفاء بالعهود من صفات الأبرار ، والاطمئنان والاستقرار النفسي رهنٌ بمدى قوة الالتزام بالمواثيق مع الله ومع البشر ، وهو سبيل فوزٍ ونجاحٍ في الدنيا والآخرة ، فالعهود المقترنة بالوفاء هي عاملٌ مساعدٌ على تنظيم شؤون المجتمع ، وحيانة العهود ونقضها هو سبب الفوضى والخلل ، وهو سمة الجاحدين الساعين للهروب من أيِّ التزام ، وسبيل الخسران في الدنيا والآخرة .

(١) انظر : تفسير البغوي : ٣ / ١٩٩ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٣٧٧ ، تفسير القرطبي : ١١ / ١١٥ .

(٢) انظر : تفسير القاسمي : ١١ / ١٣٤ ، التحرير والتنوير : ١٦ / ٥٦ .

(٣) وهذا ما حصل من حاطب بن ثعلبة عندما عاهد الله لئن آتاه مالا كثيراً ليصدقن ، ثم بخل فلم يعطي زكاة ماله ، فأعقبه الله نفاقاً في قلبه ، ولما علم بتول آيات تتلى فيه أحضر زكاة ماله فلم يقبلها رسول الله ﷺ ، ولم يقبلها من بعده لا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما . انظر : الدر المنثور : ٤ / ٢٤٧ .

به) (الصدق في الصبر (١) :

لا يصبر عن المحرمات إلا الصديقون ، لأن الصبر عن المحرمات صبرٌ على مخالفة هوى النفس والطبع ، وهو أشقُّ شيءٍ وأفضله ، ومن صبر عن المعاصي التي أكثرها محبةً للنفوس فقد ترك المحبوب العاجل في هذه الدار لمحبوب آجل في دار أخرى .

وأما البلاء الذي يجري على العبد بغير اختياره كالمرض والجوع والعطش ونحوها ، فالصبر عليه لا يتوقف على الإيمان ؛ بل يصبر عليه البرُّ والفاجر ، لا سيما إذا علم أنه لا طريق له إلا الصبر ، فإنه إن لم يصبر اختياراً صبر اضطراراً .

كما لا يصبر على السراء إلا الصديقون أيضاً . قال عبد الرحمن بن عوف (٢) ﷺ : ابتلينا بالضرء فصبرنا ، وابتلينا بالسراء فلم نصبر (٣) .

إن الصادق في صبره يحتسب الأجر ، وينظر إلى مصيبته بنفسٍ راضيةٍ بقضاء الله ، فلا تسخط ولا ضجر ولا وكولة ، ولا سب ولا لعان . وقد قال ﷺ : " لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً " (٤) . كما أن الصبر على المحافظة على الصلوات ، وأدائها في أوقاتها ، والمحافظة على برِّ الوالدين أمرٌ لازمٌ متكررٌ دائم ، لا يصبر على مراقبة أمر الله فيه إلا الصديقون (٥) .

ثمرات الصدق :

١- راحة الضمير وطمأنينة النفس :

لقوله ﷺ : " دع ما يريك (٦) إلى ما لا يريك ، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة " (٧) .

(١) قد تقدّم في المبحث السابق الحديث عن الصبر وتحقيق البرّ به بشكل أوسع ، انظر : ص ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٩ .

(٢) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث ، صحابي جليل ، ت سنة ٣٢ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٣ / ١٢٤ حلية الأولياء : ١ / ٩٨ ، صفة الصفوة : ١ / ٣٤٩ ، الإصابة : ٤ / ٣٤٦ .

(٣) انظر : طريق المهجرتين وباب السعادتین : ٣٤٩ ، عدّة الصابرين : ٢٧ ، ٥٠ ، فيض القدير : ٤ / ٢٣٥ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البرِّ والصلة والآداب ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها (٢٥٩٧) : ٤ / ٢٠٠٥ . عن أبي هريرة ؓ .

(٥) فتح الباري : ٢ / ١١ .

(٦) يريك : بفتح الياء وضمها ، أي يشككك ، أي : دع ما تشك فيه إلى ما لا تشك فيه . انظر : النهاية : (مادة : ريب) :

٢ / ٢٨٦ ، لسان العرب (مادة : ريب) : ١ / ٤٤٢ .

(٧) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ٦٠ (٢٥١٨) : ٤ / ٦٦٨ . عن الحسن بن علي ؓ ، وأخرج

أحمد بمثله في مسند الحسن بن علي ؓ (١٧٢٣) : ١ / ٢٠٠ . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

فمن علامات الصّدق : طمأنينة القلب إليه ، ومن علامات الكذب : حصول الريبة .

٢- البركة في البيع وزيادة الخير :

فإن صدق المتبايعين محلّ البركة في بيعهما ، وكذبهما يمحق بركة بيعهما ، كما قال ﷺ :
" البيعان بالخيار ما لم يتفرّقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كذبا وكتما
محقت بركة بيعهما " (١) .

٣- الفوز بمنازل الشهداء :

لقوله ﷺ : " من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على
فراشه " (٢) .

٤- الفرج بعد الضيق :

إذا التزم المسلم بقول الصّدق في الشّدّة والرخاء ، وفي الرّضا والغضب ، واليسر والعسر
والأمن والخوف ، جاءه الفرج بعد استحكام حلقات الكرب ، ونجا مما يخشى ، وخير
شاهد على هذا ما حصل لكعب بن مالك (٣) حين تخلف عن غزوة تبوك ولم ينجّه إلاّ
صدقه (٤) .

الصّادقون هم الأبرار :

لما كان أصل أعمال القلوب كلها الصّدق ، وأضدادها من الرّياء والعُجب ، والكبر والفخر
والخيلاء والبطر والأشر ، والعجز والكسل ، والجبن والمهانة وغيرها أصلها الكذب ، فكلّ

(١) أخرج البخاري بنحوه في كتاب البيوع ، باب إذا بين البيعان ولم يكتموا ونصحا (١٩٧٣) : ٢ / ٧٣٢ ، وأخرجه مسلم
- واللفظ له - في كتاب البيوع ، باب الصدق في البيع والبيان (١٥٣٢) : ٣ / ١١٦٤ . كلاهما عن حكيم بن حزام ﷺ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى (١٩٠٩) : ٣ / ١٥١٧ . عن سهل بن حنيف
ﷺ .

(٣) هو كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين النصاري السلمى الخزرجي : صحابي جليل ، شاعر رسول الله ﷺ وأحد الثلاثة الذين
خلفوا عن غزوة تبوك ، ت سنة ٥٠ هـ . انظر : معجم الصحابة : ٢ / ٣٧٤ ، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل : ٢ / ٩٢٣ ، البداية
والنهاية : ٥ / ٢٣ ، الإصابة : ٥ / ٦١٠ .

(٤) القصة مشهورة في توبة كعب بن مالك وصاحبيه ، ونزل فيهم قرآناً يتلى إلى يوم القيامة . انظر : سورة التوبة : ١١٨ ، والحديث
يرويه كعب ﷺ عن نفسه أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك وقول الله ﷻ : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ

خَلَّفُوا ﴾ (٤١٥٦) : ٤ / ١٦٠٣ ، وأخرجه مسلم في كتاب التوبة ، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه

عملٍ صالحٍ ظاهرٍ أو باطنٍ فمنشؤه الصدق ، وكلُّ عملٍ فاسدٍ ظاهرٍ أو باطنٍ فمنشؤه الكذب ، والله تعالى يعاقب الكذاب بأن يقعده ويثبّطه عن مصالحه ومنافعه ، ويثيب الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته ، فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق ولا فسدت بمثل الكذب ^(١) . قال سبحانه : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ

خَيْرًا لَهُمْ ﴾ . [سورة محمد ﷺ : ٢١] . وقال : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . [سورة التوبة : ٩٠] .

وهكذا نرى الصدق هادياً إلى البرّ الذي هو قمة الخير والفلاح ، وهو الهادي إلى الجنان . كما أن الصدق خلقٌ مميّزٌ من بين مكارم الأخلاق ؛ لكونه عاملٌ مهمٌّ في زرع الثقة بين الناس ، والذي بدوره يعمل على ترابط المجتمع واتحاده ، فكلُّ يأمن على نفسه وما يملك فلا غشٍّ ولا كذب ؛ بل صراحة ووضوح تقربٌ وجهات النظر ، وتجمع شمل المسلمين . وصدق المرء دلالةً على استقامته وشجاعته وثباته في مبادئه ، وهكذا نرى الصدق يجمع خصالاً محمودة قلما نجدها في غيره ^(٢) .

والصادقون هم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم ، وبهذه الصفة يرتفع بها النفاق في الإيمان والمخالفة في الفعل . لذا كان واجباً على من فهم عن الله وعقل عنه أن يلازم الصدق في الأقوال والإخلاص في الأعمال ، والصفاء في الأحوال ، فمن كان كذلك لحق بركب الأبرار ، ووصل إلى رضا الغفار ^(٣) .



(١) الفوائد : ١ / ١٣٦ . بتصرف يسير .

(٢) انظر : الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة لأسعد السحمراني : ١٣٣ .

(٣) تفسير القرطبي : ٨ / ٢٨٨ ، ٢٨٩ . بتصرف .

المبحث الرابع

التناجي بالبر والتقوى ، والتعاون على البر والتقوى

لقد أنعم الله على الإنسان بنعم كثيرة ، منها نعمة البيان ، وهي من أجل النعم التي كرمه الله بها ، ويستوجب شكر هذه النعمة أن نحفظ ألسنتنا عما لا فائدة فيه ، فالمؤمن إذا وجد داع للكلام تكلم ، وإلا فالصمت أولى به ، وهو دلالة على إيمانه بالله واليوم الآخر . قال ﷺ : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " (١) . ويقدر تترهه عن اللغو تكون درجته عند الله . عن أنس بن مالك (٢) ﷺ قال : توفي رجل ، فقال رجل آخر ورسول الله ﷺ يسمع : أبشر بالجنة . فقال رسول الله : " أولاً تدري ؟ فلعلة تكلم فيما لا يعنيه ، أو بجل بما لا ينقصه " (٣) .

ومما اهتم به الإسلام التناجي بين الناس ، وبين ﷺ في محكم تنزيله أن كثيراً من نجوى الناس وكلامهم لا خير فيه ، وأرشد تعالى إلى ما يكون فيه الخير من نجواهم ، قال تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ . [سورة النساء : ١١٤] . وذلك لينبه المسلمين إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم .

أولاً : التناجي بالبر والتقوى :

التناجي لغة :

التناجي مصدر والتنجوى اسم من التناجي ، وهما مأخوذان إمّا من :

■ قولهم : تناجى فلان وفلان إذا تسارّرا .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان (٦١١٠) : ٥ / ٢٣٧٦ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان (٤٧) : ١ / ٦٨ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

(٢) صحابي جليل ، انظر : ص ٦٠ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب ١١ (٢٣١٦) : ٤ / ٥٥٨ . قال الترمذي : قال هذا حديث غريب . ورجاله رجال الصحيحين إلا سليمان بن عبد الجبار البغدادي شيخ الترمذي ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات . قال المباركفوري : رجال حديث الباب ثقات كما قال المنذري ، لكن الأعمش ليس له سماع من أنس . قال الحافظ في تهذيب التهذيب في ترجمة الأعمش : روى عن أنس ولم يثبت له منه سماع . اهـ . انظر : التهذيب : ٤ / ١٩٥ ، تحفة الأحوذى : ٦ / ٤٩٩ .

■ وقيل : هي مصدر من قولهم : نجوت الشيء أنجوه إذا خلصته ، وهي مأخوذة

من مادة (ن ج و) التي تدل على الستر والإخفاء .

وَنَجَاهُ نَجْوًا وَنَجْوَى : سَارَهُ . وَالتَّجْوَى وَالتَّجِيُّ : السَّرُّ . وَالتَّجْوُ : السَّرُّ بَيْنَ اثْنَيْنِ

يقال : ناجيته وتناجوا وانتجوا ، وَالتَّجِيُّ : الْمُتَنَاجُونَ . وَفُلَانٌ نَجِيٌّ فُلَانًا ، أَي : يَنَاجِيهِ دُونَ

مِن سِوَاهُ . وَالجَمْعُ : أَنَجِيَّةٌ ، وَانتجيته : اِخْتَصَمْتَهُ بِمَنَاجِيَّتِي ، وَيَجُوزُ أَيْضًا أَنْ تَجْعَلَ النَجْوَى

وَصِفًا ، فَيُقَالُ : قَوْمٌ بِنَجْوَى ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ . [سورة الإسراء : ٤٧] . وَالمَعْنَى :

هَم ذَوُو بِنَجْوَى ؛ فَحَذَفَ المِضَافُ (١) .

قال الرَّاعِبُ (٢) :

" أصل النجاء : الانفصال من الشيء ، والنحو والنجوة : المكان المرتفع المنفصل عمّا حوله

وأصل المناجاة : أن تخلو (بمن تناجيه) في نجوة (مكان مرتفع) من الأرض .

وقيل : أصله من التّجاة : وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه .

وقيل : المراد أن تنجو بسرّك أن يطلع عليه غيرك كما " . اهـ (٣) .

تعريفه النجوى :

النجوى تأتي بمعنى : الكلام الخفي ، وبمعنى : الجماعة ، أي : اسمًا للقوم المتناجين .

وقال بعض المفسرين : النجوى : السرائر في التدبير ، سواء أكانت بين جماعة أو اثنين .

وإنما سُمِّيَ التّدْبِيرُ قَوْلًا لِأَنَّهُ كَلَامُ النَفْسِ ، وَرَبْمَا كَانَ مَعَهُ كَلَامٌ بِاللِّسَانِ .

قال الرَّجَّاحُ (٤) : " النجوى في الكلام ما تنفرد به الجماعة أو الاثنان سرًّا كان أو

ظاهرًا " . اهـ (٥) . السّرار والنجوى بمعنى واحد . وعن بعضهم : أن السّرار يكون بين

(١) انظر : المقاييس ، كتاب النون ، باب النون والجيم وما يثلثهما (مادة : نجو) : ١٠١٥ ، لسان العرب (مادة : نجو) :

٣٠٨ / ١٥ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٣ .

(٣) انظر : المفردات (مادة : نجو) : ٤٨٦ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٥٥ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري الرّجّاح : ٢ / ٨٥ .

اثنتين ، والتَّجْوَى تكون بين ثلاثة وأكثر إذا أخفي . فالنجوى ليست بمقصورة على الهمس في الأذن ونحوه ، وقد تكون في الخير وتكون في الشر^(١) .

أنواع التناجي :

يختلف نوع التناجي وحكمه باختلاف الأمر المتناجى فيه إلى :

أولاً : التناجي الم محمود :

لا خير فيما يتناجى فيه الناس ، ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال البر ، وإذا لم يكن فيه خير فإمّا أن يكون لا فائدة فيه : كفضول الكلام المباح ، وإمّا شرٌّ ومضرةً محضة : كالكلام المحرّم بجميع أنواعه ، ثم استثنى ﷺ التَّجْوَى في أعمال الخير . قال تعالى : ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ . [سورة النساء : ١١٤] . وقال رسول الله ﷺ : " كلّ كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، أو ذكر الله " (٢) .

ومن ظاهر الحديث يبدو أنه ليس في الكلام نوعٌ يباح للأنام ، إلا الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر أو ذكر الله ﷻ ، اللهم إلا أن يحمل على المبالغة والتأكيد في الزجر عن القول الذي ليس بسديد ، ولا شك أن المباح ليس له نفعٌ في العقبى . أو يقال : التقدير : كلّ كلام ابن آدم حسرةٌ عليه لا منفعة له فيه إلا المذكورات وأمثالها (٣) .

(١) انظر : تفسير السمعاني : ٤٧٧ / ١ ، ٣٨٦ / ٥ ، تفسير البيهقي : ٤٧٩ / ١ ، المحرر الوجيز : ١١٢ / ٢ ، زاد المسير : ١٩٨ / ٢ ، التفسير الكبير : ٣٣ / ١١ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ١٥٧ / ١ ، تفسير الثعالبي : ٤١٤ / ١ ، فتح القدير : ٥١٤ / ١ ، تفسير السعدي : ٨٤٥ .

(٢) أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب الزهد ، باب منه (٢٤١٢) : ٦٠٨ / ٤ . وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٤) : ١٣١٥ / ٢ . كلاهما عن أم حبيبة - رضي الله عنها - . وأورده البخاري في التاريخ الكبير . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس . وهو مقبول ، فحسن حديثه . انظر : التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل البخاري : ١ / ٢٦١ ، عند ترجمة محمد بن يزيد بن خنيس ، تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر : ٥١٣ .

(٣) تحفة الأحوذى : ٧٩ / ٧ . يتصرف يسر .

ثانياً : التناجي المذموم :

التناجي فيما عدا ما استثني الله في آية النساء من النجوى ، خصوصاً في وجود الآخرين أمرٌ مذمومٌ يسوّل به الشيطان ليقع سوء الظن بين الناس ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوتُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوتُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٨﴾ . [سورة المجادلة : ٨] . وقد كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مودة ، فكانوا إذا مرّ بهم رجلٌ من أصحابه جلسوا يتناجون بينهم حتى يظنّ المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكرهه ، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا ، فأنزل الله هذه الآيات (١) .

وقد نهى ﷺ عن التناجي إذا كان في ذلك أذىً لمؤمن ، فقال : " إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجي رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس ، أجل أن ذلك يحزنه " (٢) . وقد اشتملت آية أخرى على الحمود والمذموم من التناجي فقال ﷺ ناهياً عن التناجي المذموم ، وأمرأً بالتناجي الحمود : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٥٩﴾ . [سورة المجادلة : ٩] .

حكم التناجي :

يحرم تناجي الاثنين في وجود الثالث حتى يختلطوا بالناس ، لئلا يحزن الثالث ، وفي حكم التناجي مع حضرة الثالث : التحدّث بلغة أجنبية لا يعرفها ، فالحكم هو الحكم والإثم هو الإثم لاشتراكهما في علّة واحدة ؛ وهي ما ذكرت في الحديث : " أجل أن ذلك يحزنه " .

(١) لباب النقول : ٢٠٦ .

(٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الاستئذان ، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارعة والمناجاة (٥٩٣٢) : ٥ / ٢٣١٩ ، وأخرج مسلم بنحوه بلفظ : " اثنان " بدل " رجلان " في كتاب السّلام ، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضا (٢١٨٤) : ٤ / ١٧١٨ . كلاهما عن عبد الله ﷺ . وزاد قال أبو صالح : " قلت لابن عمر : فأربعة ؟ قال : لا يضرّك " .

من مفهوم الحديث السابق يتبين أن المتناجين إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارعة والمناجاة ؛ أي عند اختلاط الثلاثة بغيرهم ، ويؤخذ منه أنهم إذا كانوا أربعة لم يمتنع تناجي اثنين لإمكان أن يتناجى الاثنان الآخران .

وكان ابن عمر (١) إذا أراد أن يسارر رجلاً وكانوا ثلاثة ، دعا رابعاً وقال للاثنين : استأخرا شيئاً ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لا يتناجى اثنان دون واحد " (٢) . فعند وجود الزائد على الثلاثة ، سواء جاء اتفاقاً أو عن طلب كما فعل ابن عمر رضي الله عنه يجوز التناجي .

قال النووي (٣) : " في الحديث النهي عن تناجي اثنين بحضرة ثالث ، وكذا ثلاثة وأكثر بحضرة واحد ، وهو نهي تحريم ؛ فيحرم على الجماعة المناجاة دون واحد منهم إلا أن يأذن . ومذهب الجمهور (٤) أن النهي عام في كل الأزمان ، وفي الحضر والسفر . وقال بعض العلماء : إنما المنهي عنه المناجاة في السفر دون الحضر ؛ لأن السفر مظنة الخوف . وادعى بعضهم أن هذا الحديث منسوخ ، وأن هذا كان في أول الإسلام ، فلما فشا الإسلام وأمن الناس سقط النهي ، وكان المنافقون يفعلون ذلك بحضرة المؤمنين ليحزنوهم ، أما إذا كانوا أربعة فتناجى اثنان دون اثنين فلا بأس بالإجماع " . اهـ (٥) .

لقد حرص الإسلام على أن يتمتع المسلم بنفسية قوية متفائلة مشرقة ؛ لذا حرم تناجي الاثنين دون الثالث ، لما للحزن من أضرار وخيمة وعواقب جسيمة تثبط الهمم وتبث العجز والخور ، وأنى لنفسية كهذه أن تكون معطاءة خيرة !..

قال ابن القيم (٦) : " إن الحزن يضعف القلب ، ويوهن العزم ، ويضر الإرادة ، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَلْجَوِي مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ١٣٥ .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الكلام باب ما يكره من الكلام ، باب ما جاء في مناجاة اثنين دون واحد (١٧٨٩) : ٢ / ٩٨٨ ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، وأصله في الصحيحين المذكور في الصفحة السابقة : " إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر " .

(٣) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٤) هو مذهب ابن عمر رضي الله عنه ومالك والشافعية وجمهور العلماء .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٤ / ١٦٧ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٦ .

الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿١٠﴾ [سورة المائدة : ١٠] . فالحزن مرضٌ من أمراض القلب ، يمنع من فوضه وسيره وتشميره " . اهـ (١) .

والحزن ناتج من توهمه أن بجواهما هي لسوء رأيهما فيه ، واحتقاره عن أن يدخلاه في بجواهم ، أو إنما يتفقان على غائلة تحصل له منهما .

والتناجي إذا كان ممن إذا خصَّ أحداً بمناجاته أحزن الباقين امتنع ذلك ؛ إلا إذا كان في أمر مهم لا يقدر في الدين . واختلف إذا انفرد جماعة بالتناجي دون جماعة ، فقليل : المنع يرتفع إذا بقي جماعة لا يتأذون بالسرار .

ويستوي في ذلك كل الأعداد ، فلا يتناجى أربع دون واحد ولا عشرة ولا ألف لوجود المعنى في حقه ، بل وجوده في الكثير أقوى (٢) ، وإنما خصَّ الثالث بالذكر ؛ لأنه أقلُّ عدد يتأتى في ذلك المعنى . قال مالك (٣) : وهذا من حسن الأدب لئلا يتباغضوا ويتقاطعوا (٤) .

التناجي بالبر والتقوى (٥) :

التناجي بين الناس لا يكون برّاً وتقوى إلا في ثلاثة من أعمال الخير :

■ الأمر بالصدقة .

■ الأمر بالمعروف .

■ الإصلاح بين الناس .

والاستثناء في الآية إما أن يكون :

■ استثناء متصلاً ، ويراد بالنجوى القوم المتناجون ، أي : إلا في نجوى من أمر بصدقة .

(١) طريق المحرّتين وباب السعادتين : ٤١٩ . وانظر : مدارج السالكين : ١ / ٥٠٦ .

(٢) ذكر هذا القرطبي . انظر : تفسير القرطبي : ١٧ / ٢٩٥ .

(٣) إمام المذهب المالكي ، انظر : ص ٢٧١ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي : ١٧ / ٢٩٥ ، فتح الباري : ١١ / ٨٣ ، فيض القدير : ١ / ٤٣٦ ، شرح الزرقاني : ٤ / ٥٢٣ . بتصرف

يسير .

(٥) سبق التعريف لكل من لفظي : " البر " و " التقوى " ، البر لغة وشرعاً في ص ١٢ - ١٤ ، والتقوى لغة واصطلاحاً في ص ١٤٠ .

■ أو استثناء منقطعاً ، لأن من أمر ليس متناجياً ، فيكون بمعنى : لكن من أمر بصدقة ففي
نحوهم خير (١) .

أولاً : الأمر بالصدقة (٢) :

" قوله : ﴿ بِصَدَقَةٍ ﴾ الظاهر أنها صدقة التطوع . وقيل : هي صدقة الفرض . والمعروف :
صدقة التطوع ، والأول أولى " (٣) .

والتناجي في شأن الصدقات وإن كانت ترد في لسان الشرع عامة ، شاملة للتصدق بالمال
ولأنواع أخرى من البر والخير ، كإغاثة الملهوف ، وإمطة الأذى ، والسعي على المعاش
ونحو ذلك ، إلا أنها هنا أريد بها خصوص الصدقة المالية التي يدبرها أهل الخير فيما بينهم
ويتناجون في اكتسابها ، ثم يدفعونها لذوي الحاجات ، سدّاً لعوزهم وقضاءً لحاجتهم ، فالآية
تقرر أن التناجي فيها خير ، وذلك لأن الجهر بها قد يكون فيه إيذاء للمتصدق عليه وكشف
لحالة كان الأولى أن تظل خفية مستورة (٤) .

ثانياً : الأمر بالمعروف (٥) :

قيل : المعروف القرض ، وقيل : المعروف إغاثة الملهوف . وقيل : المعروف الفرض .
وقيل : صدقة التطوع ، على أن المراد بـ (الصدقة) الصدقة الواجبة .
والصحيح : أنه عامٌّ في كل جميل ، فالمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا يُنكره العقل
فأعمال البر كلها معروف ؛ لأنّ العقول تعرفها (٦) .

(١) انظر : معاني القرآن وإعراجه للزجاج : ٨٦ / ٢ .

(٢) سبق وكتبت عن الصدقة في مبحث خاص (مبحث الصدقة فرضاً ونفلاً) بشكل مفصّل ، انظر : ص ١٩٦ .

(٣) فتح القدير : ٥١٥ / ١ .

(٤) انظر : تفسير القاسمي : ٤٥٤ / ٥ .

(٥) سيكون هناك حديث عن الأمر بالمعروف في المبحث القادم بتوسع أكثر إن شاء الله ، انظر : ص ٣٥٩ .

(٦) انظر : تفسير البيهقي : ٤٧٩ / ١ ، الكشاف : ٥٩٧ / ١ ، زاد المسير : ٢٠٠ / ٢ ، تفسير القرطبي : ٣٨٣ / ٥ ، الدر المنثور :

٦٧٩ / ٢ ، تفسير أبي السعود : ٢٣٢ / ٢ ، فتح القدير : ٥١٥ / ١ ، روح المعاني : ١٤٤ / ٥ .

وقال ﷺ: " كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق " (١) .
وينبغي لمن يقدر على إسداء المعروف أن يعجله حذار فواته ، ويبادر به قبل أن يتمنى فعله
فلا يتمكن ؛ فالخير فرص ، واغتنامه في وقته مكسب عظيم ، فلا يهمله ولو كان واثقاً من
قدرته على عمله ، فقد يفوته وعندها سيندم أشد الندم ويتحسر على تماونه .
وقيل : لا يتمُّ المعروف إلا بثلاث خصال : تعجيله وتصغيره وستره ، فإذا عجَّلته هنأته
وإذا صغَّرته عظَّمته ، وإذا سترته أتممته .
ومن شرط المعروف : ترك الامتنان به ، وترك الإعجاب بفعله ؛ لما فيهما من إسقاط الشكر
وإحباط الأجر (٢) .

وإن كانت الآية قد ذكرت الأمر بالمعروف ، لكن المراد به : الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر ؛ لأن الأمر بالمعروف إذا أطلق من غير أن يقرب بالنهي عن المنكر ، دخل فيه النهي
عن المنكر ، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف ، وأيضاً لا يتمُّ فعل الخير إلا بترك الشرِّ
وأما عند الاقتران : فيفسر المعروف بفعل المأمور ، والمنكر بترك المنهي (٣) .
والتناجي في الأمر بالمعروف فإنه خيرٌ لا شرٌّ فيه ، وقد يكون في إظهاره شرٌّ بأن يكون فيه
إيذاء لمن يؤمر به ، وإحراجٌ قد يدفعه إلى العناد ، فيستمر على ترك المعروف ، وإنا لنعلم
أن من طبائع النفوس النفرة من سماع النصيحة العلنية ، لما فيها من التشهير بالمنصوح
والظهور بمظهر الاستعلاء عليه والتقد له ، فقد يأنف المأمور عن قبول الأمر بالمعروف لو
جهر به (٤) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٢٦٢٦) : ٤ / ٢٠٢٦ . عن أبي ذر رضى الله عنه .

(٢) تفسير القرطبي : ٣٨٣ / ٥ ، ٣٨٤ .

(٣) انظر : تفسير السمرقندي : ١ / ٣٦٣ ، تفسير السعدي : ٢٠٢ .

(٤) انظر : تفسير القاسمي : ٤٥٤ / ٥ .

ثالثاً : الإصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ :

الإصْلَاحُ لُغَةً وَاصْطِلَاحاً :

الإصْلَاحُ لُغَةً :

الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد . يقال : صَلَّحَ الشَّيْءُ يَصْلُحُ صلاحاً . ويقال صَلَّحَ - بفتح اللام - ، وحكى ابن السكيت (١) : صَلَّحَ وَصَلَّحَ . ويقال : صَلَّحَ صَلُوحاً . وقال بعض أهل العلم : إن مكة تسمى صلاحاً .

والإصلاح : نقيض الإفساد . وَأَصْلَحَ الشَّيْءُ بَعْدَ فِسادِهِ : أَقامَهُ . وَأَصْلَحَ الدَّابَّةُ : أَحْسَنَ إِلَيْهَا فَصَلَّحَتْ . وَالصُّلْحُ : تَصَالُحُ الْقَوْمِ بَيْنَهُمْ . وَالصُّلْحُ : السَّلْمُ . وَقَدْ اصْطَلَحُوا وَصَالَحُوا وَتَصَالَحُوا وَاصْطَلَحُوا ، مُشَدِّدَةَ الصَّادِ ، قَلَبُوا التَّاءَ صَاداً وَأَدْغَمُوهَا فِي الصَّادِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَقَوْمٌ صَلُوحٌ : مُتَصَالِحُونَ ، كَأَنَّهُمْ وَصَفُوا بِالمَصْدَرِ . وَالصَّلَاحُ ، بِكسْرِ الصَّادِ : مَصْدَرُ المُصَالِحَةِ ، وَالعَرَبُ تَوَثَّتْهَا ، وَالاسْمُ الصُّلْحُ ، يَذْكَرُ وَيؤنثُ . وَأَصْلَحَ ما بَيْنَهُمْ وَصَالَحَهُمْ مُصَالِحَةً وَصِلَاحاً (٢) .

الإصْلَاحُ اصْطِلَاحاً :

هو : " تلافي خلل الشيء . وقيل : التلطف بين الناس في الخصومات بما يرفعها . وقال بعضهم : تقويم العمل على ما ينفع بدلاً مما يضرُّ " (٣) .
و " الصُّلْحُ : يَخْتَصُ بِإِزَالَةِ التَّفَارِقِ بَيْنَ النَّاسِ " (٤) .

والإصلاح بين الناس عامٌّ في الدماء والأعراض والأموال ، وفي كلِّ شَيْءٍ يَقَعُ التَّدَاعِي فِيهِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ ، وفي كلِّ كَلَامٍ يَرادُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى بِما أَباحَ اللَّهُ الإِصْلَاحَ بَيْنَهُما لِيتراجعا إلى ما فِيهِ الأُلْفَةُ واجتماع الكلمة على ما أذن الله وأمر به ، وهذا هو المراد بإصلاح ذات البين .

(١) سبق ترجمته في ص ٧١ .

(٢) انظر : المقاييس ، كتاب الصاد ، باب الصاد واللام وما يثلثهما (مادة : صلح) : ٥٧٤ . لسان العرب (مادة : صلح) : ٥١٧ / ٢ .

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف : ٦٧ ، ٦٨ .

(٤) المفردات (مادة : صلح) : ٢٨٩ .

وفيه تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ . [سورة الأنفال : ١] :

■ قال الزجاج (١) : " معنى : ﴿ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ حقيقة وصلكم ، والبين : الوصل كقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ . [سورة الأنعام : ٩٤] . " (٢) والمراد ما أضيف إليه ، ومنه إصلاح ذات البين .

■ وقيل : أصلحوا ذات بينكم من الأقوال ، ولما كانت الأقوال واقعة في البين ، قيل لها : ذات البين . وكما أن الأسرار لما كانت مضمرة في الصدور ، قيل لها : ذات الصدور كقوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٥٤] .

■ وقيل : أحوال بينكم ، يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق ولما كانت الأحوال ملابسة للبين ؛ قيل لها : ذات البين ، كقولهم : اسقني ذا إنائك يريدون ما في الإناء من الشراب " ، وهذا قول الزمخشري (٣) .

■ وقيل : البين من الأضداد ، فتكون بمعنى الوصل ، أو الفراق .

■ والمراد بذات البين : المخاصمة والمهاجرة بين اثنين ، بحيث يحصل بينهما بين فرقة . وقيل : هي قطيعة الرحم والتظالم (٤) .

يستخلص من هذه الأقوال :

أن إصلاح ذات البين هو إصلاح ما قد يحصل بين المسلمين من التنازع والتخاصم ، والعبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والآية بوجه عام تأمر بالتصافي والمودة والتره عن متاع الحياة الدنيا .

(١) سبق ترجمته في ص ٥٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٢ / ٣٢٥ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٤) انظر : الكشاف : ٢ / ١٨٥ ، زاد المسير : ٣ / ٣٢٠ ، تفسير أبي السعود : ٤ / ٣ ، التفسير الكبير : ١٥ / ٩٤ ، ٩٥ ، روح

المعاني : ٩ / ١٦٤ ، عون المعبود : ٣ / ١٧٨ ، ١٣ / ١٧٨ ، تحفة الأحوذى : ٦ / ٥٨ ، ٧ / ١٧٩ .

أنواع الحقوق :

الحقوق نوعان :

النوع الأول : حق الله : وهذا لا مدخل للصُّلح فيه ، كالحُدود والزكوات والكفارات ونحوها ، وإنما الصُّلح بين العبد وبين ربه في إقامتها لا في إهمالها ، ولهذا لا يقبل بالحدود وإذا بلغت السلطان فلعن الله الشافع والمشفع .

النوع الثاني : حقوق الأحميين . وهي التي تقبل الصلح ، والإسقاط ، والمعاوضة عليها .

شروط الصُّلح بين المسلمين :

الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحلَّ حراماً أو حرَّم حلالاً ، قال ﷺ : " الصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحاً حرم حلالاً أو أحلَّ حراماً ، والمسلمون على شروطهم ، إلا شرطاً حرَّم حلالاً أو أحلَّ حراماً " (١) .

أقسام الصُّلح :

القسم الأول : صلح جائز . وهو الذي يحلُّ الحرام ويحرِّم الحلال ، كالصلح الذي يتضمن تحريم بضع حلال ، أو إحلال بضع حرام ، أو إرقاق حرٍّ ، أو نقل نسبٍ أو ولاءٍ عن محلٍ إلى محلٍّ ، أو أكل ربا ، أو إسقاط واجبٍ ، أو تعطيل حدٍّ ، أو ظلمٍ وما أشبه ذلك ، فكلُّ هذا صلحٌ جائزٌ مردود .

القسم الثاني : الصُّلح الجائز بين المسلمين . وهو الذي يعتمد فيه رضی الله سبحانه ورضی الخصمين ، وهذا هو الصُّلح العادل ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ﴾ .

(١) أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب الأحكام ، باب ما ذكر عن رسول الله ﷺ في الصلح بين الناس (١٣٥٢) : ٣ / ٦٣٤ . من حديث عمرو بن عوف المزني ، وأخرج أبو داود بنحوه في كتاب الأفضية ، باب في الصلح (٣٥٩٤) : ٣ / ٣٠٤ . عن أبي هريرة ، وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب الأحكام ، باب الصلح (٢٣٥٣) : ٢ / ٧٨٨ . من حديث عمرو بن عوف المزني ، وأخرجه أحمد بنحوه في مسند أبي هريرة (٨٧٧٠) : ٢ / ٣٦٦ . اقتصر أبو داود وابن ماجه وأحمد على لفظ : " الصلح جائز بين المسلمين " . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

[سورة الحجرات : ٩] . وهو يعتمد العلم والعدل ، فيكون المصلح عالماً بالوقائع ، عارفاً بالواجب قاصداً للعدل ، فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم ، لقوله ﷺ : " ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى . قال : إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة " (١) .

وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [سورة الحجرات : ١٠] . (٢)

حث رسول الله ﷺ في هذا الحديث ورغب في إصلاح ذات البين ؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله ، وعدم التفرق بين المسلمين ، وفساد ذات البين ثلثة في الدين ، ومن أصلح بين الناس نال درجة فوق ما يناله المشتغل بخاصة نفسه ، فعلى هذا ينبغي أن يحمل الصلاة والصيام على الإطلاق ، والحالقة على ما يحتاج إليه أمر الدين (٣) .

أنواع الإصلاح بين الناس :

وللصلح في كتب الفقه (٤) أربعة أبواب ، معروفة الأحكام والمسائل ، منها :

أولاً : الصلح بين الإمام والبيعة :

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۚ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [سورة الحجرات : ٩] .

(١) أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب الزهد ، باب حدثنا أبو يحيى محمد بن عبد الرحيم البغدادي (٢٥٠٨) : ٤ / ٦٦٣ وأخرج أبو داود بنحوه في كتاب الأدب ، باب في إصلاح ذات البين (٤٩١٩) : ٤ / ٢٨٠ ، وأخرج أحمد بنحوه (٢٧٥٤٨) في مسند أبي الدرداء ﷺ : ٦ / ٤٤٤ . قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح . وزاد فيه : " هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين " . قال ابن حجر : " قال البزار : إسناده صحيح . وأخرجه البخاري في الأدب المفرد من هذا الوجه ، وأخرجه من وجه آخر موقوفاً " . اهـ . انظر : الدراية في تخريج أحاديث الهداية لأحمد بن علي بن حجر : ٢ / ٢٧٠ .

(٢) انظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم : ١ / ١٠٧ - ١٠٩ .

(٣) تحفة الأحوذى : ٧ / ١٧٩ ، بتصرف يسير . وانظر : روح المعاني : ٥ / ١٤٥ .

(٤) انظر : الكافي في فقه ابن حنبل : ٢ / ٢٠٢ ، مواهب الجليل لمحمد بن عبد الرحمن المغربي : ٥ / ٧٩ ، مغني المحتاج : ٢ / ١٧٧

حاشية ابن عابدين : ٥ / ٦٢٨ .

وقد أمر الله ﷻ بالإصلاح بين الطائفتين المقاتلتين أولاً ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فحينئذ أمر بقتال الفئة الباغية لا بالصلح ؛ فإنها ظالمة ، ففي الإصلاح مع ظلمها هضم لحقّ الطائفة المظلومة ، فلا بدّ أولاً من استيفاء الحقّ للمظلوم ، ثم يطلب إليه برضاه أن يترك بعض حقه بغير محاباة لصاحب الجاه ، ولا إكراهٍ للآخر بالمحاباة ونحوها (١) .

ثانياً : بين الزوجين إذا خيفه الشقاق بينهما :

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَبِيرًا ﴾ . [سورة النساء : ٣٥] . وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ . [سورة النساء : ١٢٨] .

"﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ لفظ عامٌ مطلق يقتضي أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خيرٌ على الإطلاق ، ويندرج تحت هذا العموم أن صلح الزوجين خيرٌ من الفرقة " (٢) .

ثالثاً : بين المتخاصمين في الأموال (أو الصلح في المعاملة) :

رغب القرآن الكريم في الصلح بين المتخاصمين والإصلاح بينهم في الأموال على العموم وذلك كما حصل من الخصومة حول تقسيم الغنائم بعد غزوة بدر . قال تعالى : ﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ . [سورة الأنفال : ١] . وأيضاً إذا خيف الظلم من مورث والميل عن الحقّ إلى الباطل في وصيته ، يكون الصلح بين الموصي والموصى له بالأمر بالعدل . قال تعالى : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . [سورة البقرة : ١٨٢] .

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين : ١٠٩ . بتصرف .

(٢) المحرر الوجيز : ٢ / ١٢٠ .

أمثلة من السيرة على الصلح العادل :

• صالح النبي ﷺ بين كعب بن مالك ^(١) وغيره أعدل الصلح ، فأمره أن يأخذ الشطر ويدع الشطر ^(٢) .

• وكذلك لما عزم على طلاق سودة ^(٣) - رضي الله عنها - رضيت بأن تهب له ليلتها ^(٤) وتبقي على حقها من النفقة والكسوة فهذا أعدل الصلح ، فإن الله سبحانه أباح للرجل أن يطلق زوجته ويستبدل بها غيرها ، فإذا رضيت بترك بعض حقها وأخذ بعضه وأن يمسكها كان هذا من الصلح العادل .

• وجوز في دم العمد أن يأخذ أولياء القتيل ما صولحوا عليه ^(٥) .

• ولما استشهد والد جابر ^(٦) عبد الله ابن حرام الأنصاري ﷺ وكان عليه دين ، سأل النبي ﷺ غرماءه أن يقبلوا ثمر حائطه ويحللوا أباه ^(٧) .

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ٣٢٩ .

(٢) عن كعب ﷺ أنه تقاضى بن أبي حدرد دينا كان له عليه في المسجد ، فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته فخرج إليهما حتى كشف سحف حجرته ، فنادى : " يا كعب " قال : لبيك يا رسول الله ، قال : " ضع من دينك هذا فأوماً إليه أي : الشطر . قال : لقد فعلت يا رسول الله . قال : قم فأفضه " . أخرجه البخاري في كتاب الخصومات ، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض (٢٢٨٦) : ٢ / ٨٥١ .

(٣) هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر : أم المؤمنين ، وكانت أول نساء رسول الله ﷺ له ، وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ . وقيل : توفيت في شوال سنة ٥٤ هـ بالمدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان ورجحناه الواقدي . انظر : الطبقات الكبرى : ٨ / ٥٢ ، صفة الصفوة : ١ / ١٤٦ ، الإصابة : ٧ / ٧٢٠ .

(٤) عن عائشة - رضي الله عنها - : " أن سودة بنت زمعة وهبت يوماً وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ تبغني بذلك رضا رسول الله ﷺ " . انظر : صحيح البخاري ، كتاب الهبة وفضلها ، باب هبة المرأة لغير زوجها (٢٤٣٥) : ٢ / ٩١٦ .

(٥) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ : " من قتل مؤمناً متعمداً دفع إلى أولياء المقتول ، فإن شاءوا قتلوا وإن شاءوا الشاة الدية " . جزء من حديث أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب الديات ، باب ما جاء في الدية (١٣٨٧) : ٤ / ١١ ، وأخرج أبو داود بنحوه في كتاب الديات ، باب ولي العمد يرضى بالدية (٤٥٠٦) : ٤ / ١٧٣ . قال أبو عيسى : حديث عبد الله بن عمرو ﷺ حديث حسن غريب .

(٦) صحابي جليل ، انظر : ص ١٧١ .

(٧) قال شعبة عن الحكم : هو جائر ، ووهب الحسن بن علي ﷺ لرجل دينه . وقال النبي ﷺ : " من كان له عليه حق فليعطه أو ليتحلله منه " . فقال جابر : قتل أبي ، وعليه دين ، فسأل النبي ﷺ غرماءه أن يقبلوا ثمر حائطي ، ويحللوا أبي " . انظر : صحيح البخاري كتاب الهبة وفضلها ، باب إذا وهب ديناً على رجل (٢٤٦١) : ٢ / ٩١٨ .

❊ وكان ابن عباس (١) لا يرى بأساً بالمخارحة (٢)، يعني: الصلح في الميراث وسميت المخارحة: لأن الوارث يعطي ما يصلح عليه، ويخرج نفسه من الميراث.

❊ ووصلحت (٣) امرأة عبد الرحمن بن عوف (٤) من نصيبها من ربع الثمن على ثمانين ألفاً (٥).

وقد أباح رسول الله ﷺ لمن تحمّل حمالة (٦) في إصلاح ذات بين، أن يأخذ من الصدقات ما يستغني به على قضاء دينه وإن لم يكن فقيراً، وذلك راجع إلى الترغيب في الإصلاح وتخفيف الأمر على القائم به؛ ليكون تخفيفه عليهم مبعثاً له على الدخول فيه (٧).

ولقد أبيض الكذب لغرض الإصلاح بين الناس، فعن أم كلثوم بنت عقبة (٨) - رضي الله عنها - قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس

(١) صحابي جليل، انظر: ص ٢٧.

(٢) المخارحة يسميها البعض: التّخارج. انظر: التعريفات: ٧٥، التعاريف: ١٦٤.

(٣) وذلك لأن ابن عوف ﷺ طلقها في مرض موته طلاقاً بائناً، فورثها عثمان ﷺ، فصولحت عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً. قال ابن تيمية: "الطلاق فإنه يقع إن كان عاقلاً مختاراً لكن ترثه عند جمهور أئمة الإسلام، وهذا مذهب مالك وأحمد وأبي حنيفة والشافعي في القدم". انظر: إعلام الموقعين: ١ / ١٠٨، الكافي لابن عبد البر: ١ / ٢٧٠، حاشية البحريني على شرح منهج الطلاب (التجريد لنفع العبيد) لسليمان بن عمر بن محمد البحريني: ٤ / ١١، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه: ٣١ / ٣٦٨ حاشية ابن عابدين: ٨ / ٢٦١.

(٤) هي تماضر بنت الأصبح بن عمرو بن ثعلبة الكلبي، وقيل هي تماضر بنت زبان بن الأصبح: صحابية جلييلة، تزوجها عبد الرحمن بن عوف ﷺ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وحين طلقها الزبير - يعني بعد موت عبد الرحمن بن عوف ﷺ - وكان أقام عندها سبعاً، ثم لم يلبث أن طلقها، فكانت تقول للنساء: إذا تزوجت إحداكن فلا يغرنك السبع بعد ما صنع بي الزبير. قيل: هي أول كلبية نكحها قرشي، ولم تلد لعبد الرحمن غير أبي سلمة، وقيل: كان في تماضر سوء خلق، وكانت على تطليقتين فلما مرض عبد الرحمن جرى بينه وبينها شيء، فقال لها: والله لئن سألتني لأطلقنك. فقالت: والله لأسألتنك. فقال: فأعلميني إذا حضت وطهرت فلما حضت وطهرت أرسلت إليه تعلمه، فمرّ رسولها ببعض أهله، فقال: أين تذهب؟ قال: أرسلتني تماضر إلى عبد الرحمن أعلمه أمّا قد حضت ثم طهرت. قال: ارجع إليها، فقل لها: لا تغلي، فوالله ما كان ليردّ قسمه. فقالت: أنا والله لا أردّ قسمي. قال: فأعلمه، فطلقها ومتعها بجمارية سواد، لكن عثمان ورثها من عبد الرحمن وكان طلقها في مرضه تطليقة، وذلك بعد انقضاء العدة.

انظر: الطبقات الكبرى: ٣ / ١٣٦، تاريخ الطبري: ٢ / ١٢٦، سير أعلام النبلاء: ٤ / ٢٨٨، الإصابة: ٧ / ٥٤٣.

(٥) انظر: الطبقات الكبرى: ٣ / ١٣٦.

(٦) الحَمالة - بالفتح - ما يتحمّل الانسان عن غيره من دية أو غرامة، مثل: أن يقع حرب بين فرّيقين تُسْفَك فيهما السدّماء فيسُدخل بيْنهُم رجل يتحمّل ديات القتلى ليُصلح ذات البين. انظر: النهاية، كتاب الحاء (مادة: حمل): ١ / ٤٤٢.

(٧) شعب الإيمان: (الباب ٧٦): ٧ / ٤٨٧.

(٨) صحابية جلييلة، انظر: ص ٣١٨.

فَيُنْمِي (١) خيراً أو يقول خيراً " ، ثم قالت : لم أسمع به يرخص في شيءٍ مما يقوله الناس إلا في ثلاث : في الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها " (٢) .

والكذب في الإصلاح بين الاثنين فهو أن يرقق القول لهما ، وَيُنْمِي الجميل إلى كل واحد منهما عن صاحبه ، ويوصل كلاماً حسناً وإن لم يكن سمعه منه يستعطف به قلوبهما (٣) .
والتناجي بالإصلاح بين الناس خيراً وأيّ خير ، فيه ضمان الوصول إلى الوفاق وقطع الشقاق وقد يكون في إظهاره وإظهار ما يتخذ له من وسائل شرٍّ يحول دون تمام المقصود (٤) .

الإصلاح بين الناس من أعمال البر :

حث رسول الله ﷺ على إصلاح ذات البين ، و ذكر أنها صفة للرحمن ؛ فهو سبحانه يصلح بين المسلمين يوم القيامة . فعن أنس بن مالك (٥) قال : " بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه ، فقال له عمر رضي الله عنه : ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ؟ قال : " رجلان من أممي جثيا بين يدي رب العزة ، فقال أحدهما : يا رب خذ لي مظلمتي من أخي . فقال الله تبارك وتعالى للطالب : فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء ؟ قال : يا رب فليحمل من أوزاري . قال : وفاضت عيننا رسول الله ﷺ بالبكاء ، ثم قال : إن ذاك اليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم . فقال الله تعالى للطالب : أرفع بصرك ، فانظر في الجنان . فرفع رأسه ، فقال : يا رب أرى مدائن من ذهب ، وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ ، لأي نبي هذا ؟ أو لأي صديق هذا ؟ أو لأي شهيد هذا ؟ قال : هذا لمن أعطى الثمن . قال : يا رب ومن يملك ذلك ؟ قال : أنت تملكه . قال : بماذا ؟ قال : بعفوك عن أخيك . قال : يا رب فإني قد عفوت عنه . قال الله

(١) سبق تعريف " يُنْمِي " لغة في ص ٣١٨ .

(٢) سبق تحريجه في ص ٣١٨ ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) غريب الحديث للخطابي : ١٦٥ / ٢ .

(٤) انظر : تفسير القاسمي : ٤٥٤ / ٥ .

(٥) صحابي جليل ، انظر : ص ٦٠ .

ﷺ : فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة . فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، فإن الله تعالى يصلح بين المسلمين " (١) .

والإصلاح أن تعدل بين اثنين متحاكمين أو متخاصمين أو متهاجرين ، فتتصف المظلوم وتصيره على ما فات من حقه ، وتأمره بالعفو والمسامحة ، والتنازل عن بعض ماله لأخيه المسلم في سبيل الأخوة الدينية واستبقاء للمحبة بين المؤمنين ، وتكف الظالم عن ظلمه فتحوفه بالله ، وتذكره أيام الله ، ويعاقب إن أصر على ذنبه بما يستحق من حبس وتعزير أو ضرب وتخسير .

والخصمان المتعاديان قد يدخل بينهما المصلح الحكيم ، فيجعلهما صديقين حميمين بما ينقل من طيب الكلام ، وحسن الشاء من أحدهما إلى الآخر ، وبذكره لكل منهما فضيلة الصبر والاحتمال . وقد قال ﷺ : " كلُّ سُلامى (٢) من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة " (٣) .

ولما كان للمصلح بين الناس من دور كبير في تقوية الأواصر بين المؤمنين ، ولم شمل المجتمع وإحلال المودة مكان القطيعة ، والمحبة محل الكراهية ، وغرس لفضيلة التسامح والعفو في نفوس المتخاصمين ، واكتساب الحسنات والثواب الجزيل من الله حتى كان أفضل من درجة الصيام والصلاة الصدقة ، واستبيح الكذب في سبيل تحقيقه... كان الإصلاح بين الناس من مكارم الأخلاق التي تعتبر من أعمال البر المقربة إلى الله ، والتي تشعر بشفافية قلب المصلح وحبّه للخير والناس ، فهو لا ينعم في حياته حتى يرى من حوله إخوة متحابين ، يسودهم الإخاء والترأحم والتسامح ؛ فالمصلح قد ظفر بمكسبين : مكسب أجر الإصلاح بين الناس ومكسب القلب السليم . قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ (٤) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الأحوال (٨٧١٨) : ٤ / ٦٢٠ . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قال الذهبي : عباد ضعيف ، وشيخه لا يعرف . وأشار المنذري في الترغيب إلى تصحيح الحاكم ، وقال : أخرجه البيهقي . انظر : الترغيب والترهيب لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري : ٣ / ٣٠٩ .

(٢) السُّلامى : عظام الأصابع في اليد والقدم . انظر : النهاية (مادة : سلم) : ٢ / ٣٩٦ ، لسان العرب (مادة : سلم) : ١٢ / ٢٩٨ جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب من أخذ بالركاب ونحوه (٢٨٢٧) : ٣ / ١٠٩٠ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٩) : ٢ / ٦٩٩ . كلاهما عن أبي هريرة .

سَلِيمٍ ﴿٣٥﴾ . [سورة الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] .

وتبرز أهمية فضيلة الإصلاح بين الناس في زماننا هذا وقد تكالب أعداؤنا علينا ، وفشا الخصام والشجار بين المسلمين ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : " إنَّ الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم " (١) . وليس عيباً أن يكون هناك شجار ، ولكن من الخطورة أن تستسلم لوساوس الشيطان وأهواء النفس لتزيد من هوة الخلاف ، فتمكّن أعداءنا منا ، وهنا يصبح الإصلاح بين الناس من أبر البر حتى يحفظ الله علينا أمر ديننا ، ونكون يداً واحدة في وجه من يعادينا .

المعروفه لفظ يعمّ الصدقة والإصلاح ونخيرهما ؛ فلم خطأ بالذكر ، ولم جاءته الآية بأسلوب الحصر ؟

جاءت الآية بأسلوب الحصر لأن الخير إما نفع جسماني وهو في الأمر بالصدقة ، أو روحاني وهو في الأمر بالمعروف ، وإما دفع ضرر وهو في الإصلاح بين الناس . والمعروف لفظ يعمّ أعمال البر كلها ، وخصّ الصدقة والإصلاح بين الناس بالذكر من بين ما شمله هذا العام إذاناً بالاعتناء بهما ؛ لما في الصدقة من بذل المال الذي هو شقيق الروح ، وما في الإصلاح من إزالة فساد ذات البين ، وهي الخالقة للدين كما في الخير .

وقد جعل الله إصلاح ذات البين من لوازم الإيمان وموجباته ؛ ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على العمل به (٢) . قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَرَسُولَهُ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . [سورة الأنفال : ١] .

متى يكون النجوى بالأمر بالصدقة أو المعروفه أو الإصلاح بين الناس برّاً ؟ هذه الأقسام الثلاثة من الطاعات في غاية الشرف والفضل ، دلّ على ذلك اسم الإشارة ﴿ ذَلِكَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

[سورة النساء : ١١٤] .

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب تحريش الشيطان (١٨٣٦) : ٤ / ٢١٦٦ . عن جابر ؓ .

(٢) انظر : الكشف : ٢ / ١٨٥ ، التفسير الكبير : ١١ / ٣٣ ، ٣٤ ، تفسير الثعالبي : ١ / ٤١٤ ، تفسير أبي السعود : ٢ / ٢٣٢

فهو يشير إلى : الصدقة والمعروف والإصلاح ، واسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يُشار به إلى متعدّد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بما للإيدان ببعدها وترتلتها ورفع شأنها ، وقد وعد من فعلها الأجر العظيم بعد أن بين خيرية الأمر بها ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ ﴾ . إلا أن الإنسان إنما ينتفع بالتصدق ، أو الأمر بالمعروف ، أو الإصلاح بين الناس إذا فعله لوجه الله ولطلب مرضاته ، أما إذا أتى به على وجه الرياء والسمعة ؛ فلا خير فيه ولا ثواب له ، ولم يستحق به غير الحرمان ، فأساس البر هنا هو تنفيذ أوامر الله وابتغاء مرضاة الله . وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن المطلوب من الأعمال الظاهرة رعاية أحوال القلب في إخلاص النية ، وتصفية الداعية عن الالتفات إلى غرض سوى طلب رضوان الله تعالى (١) . ونظيره قوله ﷺ : " إنما الأعمال بالنيات " (٢) . وقوله ﷺ : " ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت بها ؛ حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك " (٣) .

ثانياً : التعاون على البر والتقوى :

المؤمنون الأبرار قلوبهم متكاتف ، وأيديهم مترابطة ، يحسّون بنعمة الأخوة في الله وينموها دائماً في الخير ، ويتعاونون على طاعة الله ومرضاته ، الأخ يتفقّد أخيه ويدلّه على الخير وهم بذلك ملبّين لنداء الرحمن ، قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ . [سورة المائدة : ٢] .

التعاون لغة :

مصدر تعاون ، وهو مأخوذ من العون الذي يراد به الظهير على الأمر ، الواحد والاثنتان والجمع والمؤنث فيه سواء ، وقد حكى في تكسيره أعوان ، وتقول : أعنته إعانة واستعنته

(١) انظر : التفسير الكبير : ١١ / ٣٤ ، تفسير أبي السعود : ٢ / ٢٣٢ ، روح المعاني : ٥ / ١٤٥ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١) : ٣ / ١ . عن عمر ابن الخطاب ﷺ .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري بنحوه في كتاب الإيمان ، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة (٥٦) : ١ / ٣٠ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب الوصية ، باب الوصية بالثلث (١٦٢٨) : ٣ / ١٢٥١ . كلاهما عن سعد بن أبي وقاص ﷺ .

واستعنتُ به فأعانتني ، والعرب تقول إذا جاءت السنة : جاء معها أعوانها ؛ يعنون بالسنة الجذب ، وبالأعوان الجراد والذباب والأمراض ، والاسم العون والمعانة والمعونة والمعونة والمعون . وتعاونوا عليّ واعتنوا : أعان بعضهم بعضاً (١) .

المراد بالتعاون في الآية :

هو الحثُّ على عمل البرِّ والتقوى ، وتسهيل طرق الخير ، وسدِّ سبل الشرِّ والعدوان بحسب الإمكان (٢) .

المراد بالتعاون على البرِّ والتقوى في الآية :

يمكن تعريف صفة التعاون على البرِّ والتقوى بأنها : أن يظاهر المسلم أخاه ، ويعينه على الطاعات وفعل الخيرات وتجنب المنكرات . قال ابن القيم (٣) :

" والمقصود من اجتماع الناس وتعاشرهم : هو التعاون على البرِّ والتقوى فيعين كلُّ واحد صاحبه على ذلك علماً وعملاً ، فإنَّ العبد وحده لا يستقلُّ بعلم ذلك ولا بالقدرة عليه فاقتضت حكمة الربِّ سبحانه أن جعل النوع الإنساني قائماً بعضه ببعضه ، معيناً بعضه لبعضه " . اهـ (٤) .

الأمر بالتعاون على البرِّ والتقوى :

والأمر بالتعاون على البرِّ والتقوى في قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [سورة المائدة : ٢] . معطوفٌ على ما قبله في نفس الآية وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ

(١) انظر : لسان العرب (مادة : عون) : ١٣ / ٢٩٨ .

(٢) الإحياء : ٢ / ٣٠٧ . بتصرف يسير . وذلك مأخوذ من نص الآية السابقة .

(٣) سبق ترجمته في ص ٦ .

(٤) زاد المهاجر إلى ربّه : ١٣ .

أَحْرَامٍ أَنْ تَعْتَدُوا ﴿ [سورة المائدة : ٢] . أي : تعاونوا على العفو والإغضاء ، ولا تعاونوا على الانتقام والتشفي (١) .

والأرجح أن المراد به العموم ، فهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى ، أي : ليعن بعضكم بعضاً ، وتحاتوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به ، وانتهوا عما نهى الله عنه وامتنعوا منه ، فيتناول بعمومه العفو والانتصار . وهذا موافق لما روي عن النبي ﷺ أنه قال : " من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله " (٢) .

وقوله ﷺ : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً " (٣) .

وقوله ﷺ : " المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم " (٤) .

ولكن هل من الأفضل مخالطة الناس والصبر على أذاهم لتحقيق التعاون على البر والتقوى أو العزلة ؟ كيف وقد قال ﷺ : " يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف (٥) الجبال ومواقع القطر يفرُّ بدينه من الفتن " (٦) ؟

اختلف العلماء في ذلك خلافاً مشهوراً على أقوال :

المقول الأول : المخالطة أولى بشرط رجاء السلامة من الفتن ، قاله الجمهور .

(١) انظر : الكشاف : ١ / ٦٣٧ ، تفسير البيضاوي : ٢ / ٢٩٢ ، تفسير النسفي : ١ / ٢٦٧ ، تفسير أبي السعود : ٣ / ٥٠ ، روح المعاني : ٦ / ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضل إمانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافة في أهله بخير (١٨٩٣) : ٣ / ١٥٠٦ عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب العلم ، باب من سنَّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (٢٦٧٤) : ٤ / ٢٠٦ . عن أبي هريرة ﷺ .

(٤) أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ٥٥ (٢٥٠٧) : ٤ / ٦٦٢ ، وأخرجه ابن ماجه - واللفظ له - في كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء (٤٠٣٢) : ٢ / ١٣٣٨ . عن ابن عمر ﷺ . قال الصنعاني : أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن ، وهو عند الترمذي إلا أنه لم يسمِّ الصحابي . انظر : سبيل السلام : ٤ / ٢١١ .

(٥) شعفة كل شيء أعلاه ، و شعفة الجبل - بالتحريك - رأسه ، والجمع شعف وشعاف وشعوف ، وهي رؤوس الجبال . انظر : لسان العرب (مادة : شعف) : ٩ / ١٧٧ ، القاموس المحيط (مادة : شعف) : ٧٤١٤ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب من الدين الفرار من الفتن (١٩) : ١ / ١٥ . عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

المقول الثاني : العزلة أولى ؛ لتحقيق السلامة بشرط معرفة ما يتعين .

المقول الثالث : يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأوقات .

وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأنه محمولٌ على الاعتزال في زمن الفتن والحروب ، أو هو فيمن لا يسلم الناس منه ولا يصير عليهم ، أو نحو ذلك من الخصوص ، وقد كانت الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - وجماهير الصحابة والتابعين والعلماء والزهاد مختلفين فيحصلون منافع الاختلاط ، كشهود الجمعة ، والجماعة ، والجنائز ، وعبادة المرضى وحلق الذكر وغير ذلك من شعائر الإسلام ، وفي ذلك تكثيرٌ لسواد المسلمين ، وليس المراد نفس الشُّعف خصوصاً ، بل المراد الانفراد والاعتزال ، وذكر الشُّعف مثلاً لأنه خالٍ عن الناس غالباً .

فالراجح أن العزلة والاختلاط يختلف باختلاف متعلقاتهما ، فتحمل الأدلة الواردة في الحضّ على الاجتماع على ما يتعلّق بطاعة الأئمة وأمور الدِّين وعكسها في عكسه ، وأمّا الاجتماع والافتراق بالأبدان فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حقّ معاشه ومحافظته دينه فالأولى له الانكفاف عن مخالطة الناس ، بشرط أن يحافظ على الجماعة والسّلام والردّ وحقوق المسلمين من العبادة وشهود الجنازة ونحو ذلك ، والمطلوب إنما هو ترك فضول الصُّحبة لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمات ، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغذاء والعشاء ، فيقتصر منه على ما لا بدّ له منه ؛ فهو أروح للبدن والقلب (١) .

أنواع التّعاون :

التعاون نوعان :

الأول : تعاونٌ على البرّ والتقوى ، من الجهاد ، وإقامة الحدود ، واستيفاء الحقوق ، وإعطاء المستحقّين ، فهذا مما أمر به الله ورسوله ، ومن أمسك عنه خشية أن يكون من أعوان

(١) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ١٣ / ٣٤ ، فتح الباري : ١١ / ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ١٣ / ٤٣ .

الظلمة فقد ترك فرضاً على الأعيان أو على الكفاية متوهماً أنه متورّع ، وما أكثر ما يشتهه الجبن والفشل بالورع ؛ إذ كلٌّ منهما كفٌّ وإمساك .

والثاني : تعاونٌ على الإثم والعدوان ، كالإعانة على دمٍ معصوم ، أو أخذ مالٍ معصوم أو ضرب من لا يستحق الضرب ونحو ذلك ؛ فهذا الذي حرّمه الله ورسوله (١) .

قال رسول الله ﷺ : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلمٍ كربة فرّج الله عنه بها كربةً من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة " (٢) .

وقال ﷺ : " والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه " (٣) .

من وجوه التعاون على البر والتقوى :

• طاعة الأُمراء في غير معصية الله ، ومناصحتهم ، والصبر عليهم في حكمهم ، وقسمهم والغزو معهم ، والصلاة خلفهم ، ونحو ذلك من متابعتهم في الحسنات التي لا يقوم بها إلا هم (٤) .

• تعليم الناس ، فالعالم والمتعلّم شريكان في الخير ، لاشتراكهما في التعاون على نشر العلم ونشره أعظم أنواع البر (٥) .

• إعانة الغني إخوانه بماله ، والشجاع بشجاعته في سبيل الله (٦) .

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه : ٢٨ / ٢٨٣ .

(٢) أخرج البخاري بنحوه (بلفظ " كربات " بدل " كرب ") في كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٣١٠) : ٢ / ٨٦٢ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب البرّ والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم (٢٥٨٠) : ٤ / ١٩٩٦ . كلاهما عن عبد الله بن عمر ؓ .

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٦٩٩) : ٤ / ٢٠٧٤ . عن أبي هريرة ؓ .

(٤) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه : ٣٥ / ٢٠ ، ٢١ .

(٥) فيض القدير : ٤ / ٣٧٠ بتصرف يسير .

(٦) تفسير القرطبي : ٦ / ٤٧ .

﴿ معونة المسلم في دفع ضائل ﴾^(١) يريد ماله أو نفسه ظلماً ، أو دفع لصوص لقافلة لأنه لولا التعاون لذهبت أموال الناس وأنفسهم ؛ لأن قطاع الطريق إذا انفردوا بأخذ مال إنسان لم يعنه غيره فإنهم يأخذون أموال الكل واحداً واحداً ، وكذلك غيرهم^(٢) .
وقد قال ﷺ : " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . فقال رجل : يا رسول الله ، أنصره إذا كان مظلوماً ، أفرأيت إذا كان ظالماً ، كيف أنصره ؟ قال : تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره " ^(٣) .

﴿ الإعانة على قصد السبيل ﴾^(٤) ونعته والتيسير لمن طلبه .

﴿ التهادي بين المسلمين ، ولو باليسير لما فيه من استجلاب المودة ، وإذهاب الشخناء ولما فيه من التعاون على أمر المعيشة ﴾^(٥) .

﴿ الإعلام بمكان مالٍ مطلوبٍ بحق ، أو رجلٍ مطلوبٍ بحق والدلالة عليه ، ولا يجوز كتمانها فإن هذا من باب التعاون على البر والتقوى ، وذلك واجب بخلاف ما لو كان النفس أو المال مطلوباً بباطل ، فإنه لا يحلُّ الإعلام به ؛ لأنه من التعاون على الإثم والعدوان ، بل يجب الدفع عنه لأن نصر المظلوم واجب ﴾^(٦) .

﴿ الإيقاظ لصلاة الفجر ، وقد كان عمر بن الخطاب وعلي^(٧) من عادتهما إذا طلع الفجر خرجا يوقظان الناس لصلاة الصبح ، فيؤخذ منه أن إيقاظ الناس ليس بمكروه ولا محرّم ، بل هو من باب التعاون على البر ﴾^(٨) .

(١) الصائل : القاصد الوثوب عليه . انظر : المطلع على أبواب المنع : ١٧٥ .

(٢) المغني : ٩ / ١٥٣ . بتصرف يسير .

(٣) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الإكراه ، باب يمين الرجل لصاحبه إنه يتحقق إذا خاف عليه القتل أو نحوه (٦٥٥٢) : ٦ / ٢٥٥٠ . عن أنس بن مالك ﷺ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب البر والصلة والآداب ، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (٢٥٨٤) : ٤ / ١٩٩٨ . عن جابر ﷺ .

(٤) سيكون بمشيئة الله هناك مبحث خاص عن البرّ بابن السبيل ، انظر : ص ٥١٣ .

(٥) تحفة الأحوذى : ٦ / ٢٧٦ .

(٦) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية : ١ / ٧٧ . بتصرف يسير .

(٧) صحبايان جليلان ، انظر : ص ٥٩ ، ص ١٠٨ .

(٨) نظام الحكومة النبوية المسمى " التراتيب الإدارية " لعبد الحي الكنتاني الإدريسي الحسيني القاسي : ١ / ٩٠ .

❶ قبول الوصايا والودائع إذا قدر على حفظها ، وأمن على نفسه خيانة فيها ، لأنها من باب التعاون على البر والتقوى المأمور به (١) .

❷ إيقاظ الزوج زوجته والزوجة زوجها لصلاة الوتر وقيام الليل من باب التعاون على البر والتقوى . وعن عائشة (٢) - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان إذا أوتر يقول : " قومي فأوترى يا عائشة " (٣) . وروى أن النبي ﷺ قال : " رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّى وأيقظ امرأته فصلّت ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلّت ، وأيقظت زوجها فإن أبي نضحت في وجهه الماء " (٤) .

❸ قبول الوكالة ، فهي مندوب إليها ؛ وفيها قيام بمصلحة الغير (٥) .

❹ إيجاب الدية على العاقلة (٦) ، وكل أحد لا يأمن على نفسه أن يتبلى بمثله ، وعند ذلك يحتاج إلى إعانة غيره ، فينبغي أن يعين من ابتلى ليعينه غيره إذا ابتلى بمثله كما هو العادة بين الناس في التعاون والتوادر ، فهذا هو صورة أمة متناصرة وجبلة قوم قوامين بالقسط شهداء لله متعاونين على البر والتقوى ، وبه أمر الله تعالى الأمة هذه ، وقد كان للعرب تعاون وتناصر : منها القرابة ، ومنها الولاء ، وقد بقي ذلك إلى زمن رسول الله ﷺ ، وإنما العاقلة تتحمل عنه بطريق التعاون (٧) .

❺ التعاون في بناء مسجد (٨) .

(١) انظر : الأحكام السلطانية : ٢٧٧ ، مغني المحتاج : ٣ / ٧٩ ، شرح كتاب " غاية البيان " شرح ابن رسلان لمحمد بن أحمد الرملي الأنصاري : ١ / ٢٣٦ .

(٢) صحابية جليلة وأم المؤمنين . انظر : ص ٦٤ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب صلاة الليل (٧٤٤) : ١ / ٥١١ .

(٤) أخرجه أبو داود - واللفظ له - في كتاب الصلاة ، باب الحث على قيام الليل (١٤٥٠) : ٢ / ٧٠ ، وأخرج النسائي بمثله في (الاحتجى) في كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، باب الترغيب في قيام الليل (١٦١٠) : ٣ / ٢٠٥ ، وفي السنن الكبرى بمثله في كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، باب الترغيب في قيام الليل (١٣٠٠) : ١ / ٤١١ ، وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل (١٣٣٦) : ١ / ٤٢٤ ، وأخرج أحمد بمثله في مسند أبي هريرة (٧٤٠٤) : ٢ / ٢٥٠ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . انظر : المستدرک على الصحيحين : ٤٥٣ / ١ .

(٥) شرح كتاب " غاية البيان " شرح ابن رسلان : ١ / ٢٠٧ .

(٦) عاقلة الرجل : عصبته ، وهم القرابة من قبل الأب الذين يعطون دية من قتله خطأ . انظر : أنيس الفقهاء : ٢٩٦ .

(٧) المغني : ٨ / ٢١٦ .

(٨) فتح الباري : ١ / ٥٤١ .

❊ إعطاء الماعون الذي هو من باب العارية .

❊ إقامة الشركة ، فهي مبناها على المعروف ، والتعاون على إقامة المعاش للجانبين بالنسبة إلى كل واحدٍ من الشريكين (١) .

❊ من أعظم التعاون على البر والتقوى : التعاون على سفر الهجرة إلى الله والرسول باليد واللسان والقلب والمساعدة والنصيحة ، تعليماً وإرشاداً ، ومن كان هكذا مع عباد الله فكلُّ خيرٍ إليه أسرع فقد أقبل الله إليه بقلوب عباده ، وفتح على قلبه أبواب العلم ، ويسَّره لليسرى ، ومن كان بالضدِّ فبالضدِّ (٢) .

❊ معاونة غازٍ في سبيل الله بتجهيزه ، وخلفه في أهله بالاهتمام بشؤونهم ورعايتهم في غيبة من يعولهم . قال رسول الله ﷺ : " من جهَّز غازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا " (٣) .

❊ التعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر ، هكذا كان عادة الصحابة رضي الله عنهم في مشاوراتهم : كتشاورهم في مسألة الجدِّ والأخوة ، وحدِّ شرب الخمر ، ووجوب الغرم على الإمام إذا أخطأ ، وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها عن كثير من العلماء رحمهم الله تعالى (٤) .

❊ والتعاون على طلب الحق من الدِّين . قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ . [سورة العصر : ١ - ٣] .

❊ إعانة الرجل في دأبته ، فتمسكها له حتى يركب ، أو ترفع معه المتاع عليها ، وهذا من التعاون ، وكذلك إن رددتها وهي شاردة ، أو أخذت بزمامها وهي جامحة ، أو ساعدته

(١) الموافقات في أصول الشريعة لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي : ٢٠٢ / ٣ .

(٢) زاد المهاجر إلى ربِّه : ٥٩ .

(٣) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الجهاد والسير ، باب فضل من جهَّز غازياً أو خلفه بخير (٢٦٨٨) : ٣ / ١٠٤٥ .

وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافة في أهله بخير (١٨٩٥) :

٣ / ١٥٠٦ . كلاهما عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه .

(٤) الإحياء : ٤٢ / ١ . بتصرف يسير .

على سقيها وعلفها . قال ﷺ : " ويعين الرجل على دابته ، فيحمله عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة " (١) .

ومثل الدابة سائر المراكيب في البر والبحر والجو ، ثمَّ بسفينة وقد نفذ وقودها ، أو تخرق شراعها ، أو اصطدمت بلغم أو شيء آخر فتنقذ أهلها ، فتخلصهم من الغرق ، أو تمدهم بما يحتاجون إليه . وسائق سيارة تلقاه في الطريق حائراً لعطب في سيارته ، أو حادثة ألمت به فتعيه بما أمكن ، أو تأخذه معك إلى حيث يجد حاجته ، أو ترجع معه لمساعدته .

المعاونة على البر بـ :

التعاون من أخلاق الذين يبنون الممالك ، وينظمون الحكومات ، ويعمرون البلاد ، وتسعد بهم الأمة والمجتمع ، فهو أساس التقدم والإنتاج والنجاح والتفوق ، والمرء قليل بنفسه كثير بأعدائه ، وخير الناس أنفعهم للناس ، وسنة الله في عباده احتياج هذا إلى هذا وافتقار كل منهم إلى غيره ؛ وإن اتسع ملكه وكثر ماله .

والأمر بالتعاون على البر والتقوى من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن ، إذ يوجب على الناس أن يتعاونوا على كل ما ينفعهم ، أفراداً وجماعات في دينهم ودنياهم ، وعلى كل عمل من أعمال التقوى التي يصلون بها إلى مرضاة ربهم .

ولقد كان المسلمون الأوائل يتعاونون على أمور معاشهم ؛ انطلاقاً من العهد والميثاق الذي أخذته الله عليهم لنصرة دينه ونفع عباده ، وما أحوجنا اليوم لتجديد العهد ، والقيام بحق الأخوة في الله ، فنغرس في نفوس الناشئة حب التعاون على البر والتقوى ، فهو خلق سام من مكارم الأخلاق ، وهو دليل حب الخير للآخرين ، وسبب من أهم أسباب الألفة والمحبة بين الناس ، وطريق لاكتساب الحسنات ، كما أنه يزيد من شعور الفرد بالقوة ويترع شعور العجز عن نفسه ، ويترع الحقد من النفوس الضعيفة ويزيل أسباب الحسد (٢) .

(١) جزء من حديث أوله : " كل سلامي من الناس عليه صدقة " سبق تخريجه في ص ٣٤٧ ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) انظر : تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي : ٤٦ / ٦ .

قال الماوردي^(١) : " ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى ؛ لأن في التقوى رضا الله تعالى ، وفي البر رضا الناس ، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته " . اهـ (٢) .

إنَّ المعاونة على البرُّ برٌّ ؛ لأنه إذا عدم التعاون مع وجود الحاجة إليه لم يوجد البرُّ ، وإذا وجد التعاون وجد البرُّ ، فبان بأنَّ المعاونة في نفسها برٌّ ، ثم رجع برُّ المتعاونين على الخير على البرِّ الذي ينفرد به الواحد ؛ بما فيه من حصول برِّ كثير لمشاركته أهل الخير والطاعة والتعاون معهم على البرِّ والتقوى ، وفي ذلك إظهار لشعائر الإسلام ، وتقوية رابطة الأخوة بين المسلمين ، وإظهار الحماسة للدين مما يوحد صف المسلمين فيصبحون يداً واحدة ، وقلباً واحداً (٣) .



(١) سبق ترجمته في ص ١١٦ .

(٢) نقله عنه القرطبي ، ولم أقف على هذا النص في أي من كتب الماوردي . انظر : تفسير القرطبي : ٦ / ٤٦ .

(٣) انظر : شعب الإيمان : ٦ / ١٠١ .

المبحث الخامس

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الواجب الذي أنزله الله في كتبه وأرسل له رسوله وقد وصف سبحانه نبينا ﷺ بقوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ لَهُمُ الْأَلْبَابُ وَخَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الظُّلْمَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧]. وهذا بيان لكمال رسالته ، فلم يترك ﷺ معروفاً إلا وأمر أمته به ، ولم ير منكراً إلا وحذر أمته منه وأحل لهم كل طيب ، وحرّم عليهم كل خبيث ، وهذا لا يتم إلا للرسول الذي تمّ الله به مكارم الأخلاق المندرجة في المعروف ^(١) . قال ﷺ: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " ^(٢) . وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يطهر المجتمع من كل رذيلة ، وتحيا فيه كل فضيلة .

المعروف لغة واصطلاحاً :

المعروف لغة :

مأخوذ من (عرف) العين والراء والفاء أصلاً صحيحان ، يدلُّ أحدهما على تتابع الشيء متصلاً ببعضه وبعض الآخر يدلُّ على السكون والطمأنينة ، والمعروف : كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه ^(٣) .

المعروف اصطلاحاً :

هو : " اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه ، والإحسان إلى الناس ، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات " ^(٤) .

(١) انظر : الحسبة في الإسلام لابن تيمية : ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) سبق تخريجه في ص ٢٦٨ ، قال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) انظر : المقاييس ، كتاب العين ، باب العين والراء وما يثلثهما (مادة : عرف) : ٧٥٩ ، لسان العرب (مادة : عرف) :

٢٤٠ / ٩ .

(٤) لسان العرب (مادة : عرف) : ٢٤٠ / ٩ .

وقال الجرجاني (١) : المعروف هو كل ما يحسن في الشرع (٢) .

المنكر لغة واصطلاحاً :

المنكر لغة :

مأخوذ من (نكر) النون والكاف والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب . ونَكَرَ الشيءَ وأنكَرَهُ : لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه . والتُّكْرُ والتُّكْرَاءُ : الدَّهَاءُ والفِطْنَةُ . والإِنْكَارُ : الجُحُودُ ، والتَّنْكَرَةُ إنكارُ الشيءِ ، وهو نقيض المعرفة . والمُنْكَرُ من الأمر : خلاف المعروف ، ونَكَرَهُ يَنْكَرُهُ نَكَراً ، فهو مَنكُورٌ ، واستنكره فهو مُسْتَنكِرٌ ، والجمع مناكيرٌ . والتَّكْيِيرُ والإِنْكَارُ : تغيير المنكر (٣) .

المنكر اصطلاحاً :

هو : " ما ليس فيه رضى الله تعالى من قول أو فعل ، والمعروف ضده . وكل ما قبحه الشرع وحرّمه وكرهه ، فهو مُنْكَرٌ " (٤) .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصطلاحاً :

قال الجرجاني : " الأمر بالمعروف الإرشاد إلى المرشد المنجية ، والنهي عن المنكر الزجر عما لا يلائم في الشريعة .

وقيل : الأمر بالمعروف الدلالة على الخير ، والنهي عن المنكر المنع عن الشر .

وقيل : الأمر بالمعروف أمر بما يوافق الكتاب والسنة ، والنهي عن المنكر نهي عما تميل إليه النفس والشهوة .

وقيل : الأمر بالمعروف إشارة إلى ما يرضي الله تعالى من أفعال العبد وأقواله ، والنهي عن المنكر تقبيح ما تنفر عنه الشريعة والعفة ؛ وهو ما لا يجوز في دين الله تعالى " اهـ (٥) .

(١) سبق ترجمته في ص ٥١ .

(٢) التعريفات : ٢٨٣ .

(٣) انظر : المقاييس ، كتاب النون والكاف وما يثلثهما (مادة : نكر) : ١٠٤٧ ، لسان العرب (مادة : نكر) : ٥ / ٢٣٢ .

٢٣٣ .

(٤) لسان العرب (مادة : نكر) : ٥ / ٢٣٣ ، التوقيف على مهمات التعاريف : ٦٨٠ .

(٥) التعريفات : ٥٤ .

مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم واجبات الشريعة المطهرة ، وأصل عظيم من أصولها ، وركنٌ مشيدٌ من أركانها ، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها ، ووجوبه ثابتٌ بالكتاب والسنة .

أولاً : الأحكام من الكتاب :

قال تعالى : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٤] . وقال سبحانه : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٠] .

وفي التزييل أيضاً : ﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٦٧] . وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [سورة التوبة : ٧١] .

" فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين ، فدلَّ على أن أخصَّ أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " (١) .

ثانياً : من السنة (٢) :

قال ﷺ : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان " (٣) .

(١) تفسير القرطبي : ٤ / ٤٧ .

(٢) الأدلة من السنة كثيرة ، وسأورد غيرها كلِّ بما يناسب المقام .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (٤٩) : ١ / ٦٩ . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

وقال ﷺ: " والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ، ولتنهونَّ عن المنكر ، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ، ثمَّ لتدعنه فلا يستجاب لكم " (١) .
 وسئل رسول الله ﷺ : من خير الناس يا رسول الله ؟ قال : " خير النَّاس أتقاهم لله وآمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرحم " (٢) .
 قال العزالي (٣) :

" إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوي بساطه ، وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة (٤) ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كان الذي خفنا أن يكون ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه ، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مدهانة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق ، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسدَّ هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها ، أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضاً بأعبائها ، ومتشمرّاً في إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إمامتها ، ومستبدداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها " اهـ (٤) .

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢١٦٩) : ٤ / ٤٦٨ . عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن . قال المزني : رواه الترمذي عن قتيبة ، فوافقناه فيه بعلو ، وقال : حسن . انظر : تهذيب الكمال : ١٥ / ٢٣٤ . وأقره العراقي .

(٢) أخرجه أحمد في حديث درة بنت أبي لهب - رضي الله عنها - (٢٧٤٧٤) : ٦ / ٤٣٢ . قال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات ، وفي بعضهم كلام لا يضر . انظر : مجمع الزوائد : ٧ / ٢٦٣ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٥٣ .

(٤) الفترة : الانكسار والضعف . انظر : لسان العرب (مادة : فتر) : ٥ / ٤٣ .

(٤) الإحياء : ٢ / ٣٠٦ .

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

اختلف العلماء في (مِنْ) في قوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ﴾ على قولين :

القول الأول : (مِنْ) في قوله : ﴿ مِنْكُمْ ﴾ للتبويض ، ومعناه : أن الأمرين يجب أن يكونوا علماء ، وليس كل الناس علماء .

القول الثاني : لبيان الجنس ، فتكون مؤكدة أن الأمر للمخاطبين ، والمعنى : لتكونوا كلكم كذلك ، قاله النحاس^(١) والبغوي^(٢) وغير واحد^(٣) . ومثله : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ . [سورة الحج : ٢٠] . معناه : اجتنبوا الأوثان فإنها رجس .

والقول الأول أصح^(٤) ، فإنه يدلُّ على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض^(٥) على الكفاية ، وقد عيَّنهم الله تعالى بقوله : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . [سورة الحج : ٤١] . وليس كل الناس مُكَّنُوا^(٦) .

قال ابن عطية^(٧) : " قال أهل العلم : وفرض الله بهذه الآية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من فروض الكفاية ، إذا قام به قائم سقط عن الغير " . اهـ^(٨) .
والأمر بالمعروف تابع للمأمور به : إن كان واجباً فواجب^(٩) ، وإن كان ندباً فنَدب وأما النهي عن المنكر فواجب كُله ؛ لأنَّ جميع ما أنكره الشرع حرام^(١٠) .

(١) سبق ترجمته في ص ٥٨ .

(٢) سبق ترجمته في ص ١٠٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن للنحاس : ١ / ٤٥٦ ، تفسير البغوي : ١ / ٣٣٨ .

(٤) هذا القول رجَّحه الطبري والقرطبي وابن جزري والثعالبي والشوكاني ، انظر : تفسير الطبري : ٤ / ٣٨ ، تفسير القرطبي : ٤ / ١٦٥ .

التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ١١٥ ، تفسير الثعالبي : ١ / ٢٩٧ ، فتح القدير : ١ / ٣٦٩ .

(٥) انظر : تعريف الفرض والواجب ، والفرق بينهما عند الحنفية في ص ١٨٦ .

(٦) انظر : زاد المسير : ١ / ٤٣٤ ، تفسير القرطبي : ٤ / ١٦٥ .

(٧) سبق ترجمته في ص ٢٠٠ .

(٨) المحرر الوجيز : ١ / ٤٨٦ .

(٩) استعملت لفظ (الواجب) سراً مع الجمهور ؛ الذين لا يفرِّقون بين الواجب والفرض .

(١٠) انظر : الكشاف : ١ / ٤٢٦ ، تفسير البيضاوي : ٢ / ٧٥ .

هل معنى قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ أنه كنا في الماضي

خير أمة نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ، ثم سقط منا هذا الفرض ؟

اختلف المفسرون في قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ ﴾ على وجوه منها :

الأول : قد تكون (كان) تامة بمعنى الوقوع والحدوث ، والمعنى : خلقتكم ووجدتم خير أمة .

الثاني : أن (كان) ههنا ناقصة ، فدل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طراً ^(١) . كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ . [سورة النساء : ٩٦] . أي : فهي تقتضي

الدوام والاستمرار ، أي : كان وما يزال ^(٢) .

وللمفسرين على هذا التقدير أقوال منها :

١- كنتم في اللوح المحفوظ .

٢- كنتم مذ آمنتم خير أمة .

٣- كنتم عند من تقدمكم من أهل الكتب خير أمة .

الثالث : ﴿ كُنْتُمْ ﴾ بمعنى أنتم . هو كقوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ ﴾ .

[سورة الأعراف : ٨٦] . وقال في موضع آخر : ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾ . [سورة الأنفال : ٢٦] .

الرابع : أن تكون (كان) بمعنى صار ، فقوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ معناه : صرتم خير أمة

أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، أي صرتم خير أمة بسبب كونكم

آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر ومؤمنين بالله ^(٣) .

(١) قاله الرُّمَّحْشَرِيُّ ، انظر الكشاف : ١ / ٤٢٩ .

(٢) (كان) هل تدل على الانقطاع ؟ المسألة فيها خلاف :

(كان) قد تدل على الدوام بحسب القرائن ، كقوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ دلت على الدوام المتصف بتلك الصفات ، ودوام

التعبُّد بالصفات . وقد تدلُّ على الانقطاع ، نحو : كان هذا الفقير غنياً ، وكان لي مال . انظر : البرهان : ٤ / ١٢١ - ١٢٦ .

والقرينة هنا عطفت الإيمان بالله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإيمان بالله دائم لا ينقطع إلى يوم القيامة ، وهو مرتبطٌ بخيرية

الأمة ، ولذا كانت (كان) تدل هنا على الدوام والاستمرار .

(٣) انظر : زاد المسير : ١ / ٤٣٩ ، التفسير الكبير : ٨ / ١٥٥ ، تفسير القرطبي : ٤ / ١٧٠ .

ولا تعارض بين هذه الأقوال ، فأمة محمد ﷺ خير أمة ، سطر ذلك في اللوح المحفوظ وفي الكتب السابقة ، وهم خير أمة مذ آمنوا بالله والتزموا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن شرط الخيرية كما ورد عن السلف (١) هو قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو باقٍ إلى قيام الساعة ، فلا يتوهم أنهم كانوا موصوفين بهذه الصفة وأنهم ما بقوا الآن عليها . وأمة محمد ﷺ خير الناس للناس . قال أبو هريرة (٢) ﷺ : يأتيون بهم في السلاسل حتى يدخلوهم في الإسلام (٣) .

قال ﷺ : " إنكم تتمون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله ﷻ " (٤) .

وأن هذه الخيرية مشتركة ما بين أول هذه الأمة وآخرها ، بالنسبة إلى غيرها من الأمم وإن كانت متفاضلة فيما بينها ، كما ورد في فضل الصحابة على غيرهم . وهم خير أمة ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأتصفوا به ، فإذا تركوه زال عنهم ذلك (٥) ، ولقد لعن الله بني إسرائيل على تركهم هذا الواجب ، فقال سبحانه : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ . [سورة المائدة : ٧٨ ، ٧٩] .

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجبا على الأمم المتقدمة ، دل على ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦٨﴾ ﴾ . [سورة آل عمران : ٦٨] .

(١) روي عن قتادة أن عمر بن الخطاب ﷺ قرأ قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ثم قال : يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها . انظر : الدر المنثور : ٢ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٢) صحابي جليل ، انظر : ص ١٤٣ .

(٣) زاد المسير : ١ / ٤٤٠ .

(٤) أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة آل عمران (٣٠١) : ٥ / ٢٢٦ . قال الترمذي : هذا حديث حسن . وأخرج أحمد بنحوه بلفظ (ألا أنكم ...) : ٥ / ٣ . كلاهما عن مجز بن حكيم عن أبيه عن جده . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي : رواه الترمذي وغيره بعضه ، ورواه أحمد ورجاله ثقات . انظر : مجمع الزوائد : ١٠ / ٣٩٧ .

(٥) انظر : فتح القدير : ١ / ٣٧١ .

وقيل : إنما صارت أمة محمد ﷺ خير أمة ، لأن المسلمين منهم أكثر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى (١) .
قال القفال (٢) :

" تفضيلهم على الأمم الذين كانوا قبلهم إنما حصل لأجل أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بأكد الوجوه ، وهو القتال لأن الأمر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد وأقواها ما يكون بالقتال ؛ لأنه إلقاء للنفس في خطر القتل . وأعرف المعروفات : الدين الحق والإيمان بالتوحيد والنبوة ، وأنكر المنكرات : الكفر بالله فكان الجهاد في الدين محملاً لأعظم المضار لغرض إيصال الغير إلى أعظم المنافع ، وتخليصه من أعظم المضار ، فوجب أن يكون الجهاد أعظم العبادات ، ولما كان أمر الجهاد في شرعنا أقوى منه في سائر الشرائع لا جرم صار ذلك موجباً لفضل هذه الأمة على سائر الأمم " . اهـ (٣) .

وهذا معنى ما روي عن ابن عباس (٤) ﷺ أنه قال في تفسير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ تأمروهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويقرؤا بما أنزل الله وتقاتلوهم عليه ، و " لا إله إلا الله " أعظم المعروف ، والتكذيب هو أنكر المنكر (٥) .

لماذا قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله ؟
أخر الإيمان بالله عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجوداً ورتبة لأن :

- الإيمان مشترك بين جميع الأمم دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهما أظهر في الدلالة على الخيرية .

(١) تفسير القرطبي : ٤ / ٤٧ ، ١٧١ .

(٢) هو عبد الله بن أحمد المرزوي ، أبو بكر القفال : فقيه شافعي ، كان وحيد زمانه فقهاً وحفظاً وزهداً . كثير الآثار في مذهب الإمام الشافعي . له " شرح فروع محمد بن الحداد المصري " في الفقه . وكانت صناعته عمل الأفعال قبل أن يشتغل في الفقه ، وربما قيل له : " القفال الصغير " للتمييز بينه وبين القفال الشاشي (محمد بن علي) . ت في سجستان سنة ٤١٧ هـ . انظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٤٦ ، سير أعلام النبلاء : ١٧ / ٤٠٥ ، طبقات الشافعية الكبرى : ٥ / ٥٣ ، طبقات الشافعية : ٢ / ١٨٢ .

(٣) نقل هذا القول عن القفال الفخر الرازي ، انظر : التفسير الكبير : ٨ / ١٥٧ .

(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٥) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات . انظر : الدر المنثور : ٢ / ٢٩٥ .

- أو لبيان أهميتهما وكون سوق الكلام لأجلهما .
- أو للتنبيه على أن جدوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدين أظهر مما اشتمل عليه الإيمان بالله تعالى ؛ لأنه من وظيفة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - (١) .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بابٌ عظيمٌ من أبواب البرِّ : أولاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أنواع الصدقات :

يطلق اسم المعروف : على ما عرف بأدلة الشرع أنه من أعمال البرِّ سواء جرت به العادة أم لا . وقد عدَّ رسول الله ﷺ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أنواع الصدقات والتي لا تختص بأهل اليسار ، بل كلُّ واحدٍ قادرٌ على أن يفعلها في أكثر الأحوال وبغير مشقة . روي أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ : يا رسول الله ذهب أهل الدُّثور بالأجور يصلُّون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدَّقون بفضول أموالهم . قال : " أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدَّقون ، إن بكلِّ تسبيحةٍ صدقةٌ وكلِّ تكبيرةٍ صدقةٌ ، وكلِّ تحميدةٍ صدقةٌ ، وكلِّ تهليلةٍ صدقةٌ ، وأمرٌ بالمعروف صدقةٌ ، ونهيٌ عن منكر صدقةٌ " (٢) .

وقال ﷺ : " على كلِّ مسلمٍ صدقةٌ . قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : فيعمل بيديه ، فينفع نفسه ويتصدَّق . قالوا : فإن لم يستطع أو لم يفعل ؟ قال : فيعين ذا الحاجة الملهوف . قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : فليأمر بالخير . أو قال : بالمعروف . قال : فإن لم يفعل ؟ قال : فليمسك عن الشرِّ ، فإنَّه له صدقةٌ " (٣) .

" وقوله : " على كلِّ مسلم صدقةٌ " أي في مكارم الأخلاق ، وليس ذلك بفرضٍ إجماعاً وأصل الصدقة : ما يخرج المرء من ماله متطوعاً به ، وقد يطلق على الواجب لتحريِّ

(١) انظر : التفسير الكبير : ١٥٧ / ٨ ، روح المعاني : ٢٨ / ٤ .

(٢) أخرج البخاري بنحوه في كتاب صفة الصلاة ، باب الذكر بعد الصلاة (٨٠٧) : ١ / ٢٨٩ عن أبي هريرة ؓ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب الزكاة ، باب كل معروف صدقة (١٠٠٦) : ٢ / ٦٩٧ عن أبي ذر ؓ .

(٣) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الأدب ، باب كل معروف صدقة (٥٦٧٦) : ٥ / ٢٢٤١ ، وأخرجه مسلم بنحوه في كتاب الزكاة ، باب كل معروف صدقة (١٠٠٨) : ٢ / ٦٩٩ . كلاهما عن أبي موسى الأشعري ؓ .

صاحبه الصَّدق بفعله ، ويقال لكلُّ ما يجابي به المرء من حقِّه صدقة ؛ لأنه تصدَّق بذلك على نفسه " (١) .

وقال ﷺ : " يصبح على كل سلامي (٢) من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضُّحى " (٣) .

قال النَّووي (٤) : " قوله ﷺ : " وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن منكر صدقة " فيه إشارة إلى ثبوت حكم الصَّدقة في كل فرد من أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولهذا نكره والثواب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكثر منه في التسبيح والتحميد والتهليل ؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ، وقد يتعين ، ولا يتصور وقوعه نفلًا والتسبيح والتحميد والتهليل نوافل ، ومعلوم أن أجر الفرض أكثر من أجر النفل لقوله ﷺ في الحديث القدسي : " وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ من أداء ما افترضت عليه " (٥) . اهـ (٦) .

وأشكل الحديث مع تقدّم ذكر الأمر بالمعروف وهو من فروض الكفاية .. فكيف تجزئ عنه صلاة الضُّحى وهي من التطوّعات ؟

" إنَّ المراد أن صلاة الضُّحى تقوم مقام الثلاثمائة وستين حسنة التي يستحب للمرء أن يسعى في تحصيلها كل يوم ليعتق مفاصله التي هي بعددها ، لا أن المراد أن صلاة الضُّحى تغني عن الأمر بالمعروف وما ذكر معه ، وإنما كان كذلك لأن الصلاة عملٌ بجميع الجسد فتتحرك المفاصل كلها فيها بالعبادة ، ويحتمل أن يكون ذلك لكون الركعتين تشتملان على ثلاثمائة

(١) فتح الباري : ١٠ / ٤٤٨ .

(٢) سبق تعريف السُّلامي في ص ٣٤٧ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب صلاة الضُّحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست والحث على المحافظة عليها (٧٢٠) : ١ / ٤٩٨ . عن أبي ذر رضى الله عنه .

(٤) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٥) سبق تخريجه في ص ١٩٤ ، أخرجه البخاري .

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم : ٧ / ٩٢ .

وستين ما بين قول وفعل ، إذا جعلت كل حرف من القراءة مثلاً صدقة ، وكأن صلاة الضحى خصت بالذكر لكونها أول تطوعات النهار بعد الفرض وراتبته " (١) .

ثانياً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أنواع الكفارات :

الدنيا دار ابتلاء ، والمسلم يفتن بشتى أنواع الابتلاءات ليمحص إيمانه ويختبر يقينه ، قال أهل اللغة : أصل الفتنة في كلام العرب : الابتلاء والامتحان والاختبار (٢) ، ثم صارت في عرف الكلام : لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء . فتن الرجل يفتن فتوناً : إذا وقع في الفتنة وتحوّل من حالٍ حسنةٍ إلى سيئةٍ . وفتنة الرجل في أهله وماله وولده ضروبٌ من فرط محبته لهم ، وشغله بهم عن كثير من الخير . كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ . [سورة التغابن : ١٥] . أو لتفريطه بما يلزم من القيام بحقوقهم وتأديبهم وتعليمهم ، فإنه راع لهم ومسئولٌ عن رعيته ، وكذلك فتنة الرجل في جاره من هذا فهذه كلها فتنٌ تقتضي المحاسبة (٣) . وقد قال ﷺ : " فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " (٤) . فالقيام بفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكفر هذه الفتن التي تعرض للمسلم ، فيعتبر باباً واسعاً لكسب الحسنات . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِفَاتِ ﴾ . [سورة هود : ١١٤] . ويكون في ساهم بنصيبٍ وافرٍ في نصرة دينه وعمارة الأرض بما يرضي الله ... فيعم الخير والفضيلة بين أبنائه ذلك أنهم تواصلوا بالحق وتواصلوا بالصبر .

(١) فتح الباري : ٣ / ٣٠٩ .

(٢) انظر : لسان العرب (مادة : فتن) : ١٣ / ٣١٧ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم : ٢ / ١٧٠ . بتصرف يسير .

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري بنحوه في كتاب الفتن ، باب الفتنة التي تموج كموج البحر (٦٦٣٨) : ٦ / ٢٥٩٩ وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب الفتن وأشراف الساعة ، باب في الفتنة التي تموج كموج البحر (١٤٤) : ٤ / ٢٢١٨ . كلاهما عن حذيفة ؓ .

متى يتبرك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ . [سورة المائدة : ١٠٥] . فقال : " بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع عنك أمر العوام ، فإن من ورائكم أيام الصبر ، الصابر فيهن مثل القابض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم " (١) .

وروي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال : إن الرجل إذا رأى منكراً لا يستطيع التكرير عليه ، فليقل ثلاث مرّات : اللهم إن هذا منكر ، فإذا قال ذلك فقد فعل ما عليه (٢) .

صفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

ينبغي أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متواضعاً ، رقيقاً فيما يدعو إليه شقيقاً رحيماً ، غير فظ ولا غليظ القلب ، ولا متعنتاً ، فقيهاً عالماً بالمأمورات والمنهيات شرعاً ، ذا رأي وصرامة وشدة في الدين (٣) .

قال سُفيان الثوري (٤) : لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال : رقيقٌ بما يأمر رقيقٌ بما ينهي ، عدلٌ بما يأمر عدلٌ بما ينهي ، عالمٌ بما يأمر عالمٌ بما ينهي (٥) .

كذلك يكون قاصداً بذلك وجه الله ﷻ ، وإقامة دينه ، ونصرة شرعه ، وامتنال أمره

(١) أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة المائدة (٣٠٥٨) : ٥ / ٢٥٧ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب . وأخرج أبو داود بنحوه في كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي (٤٣٤١) : ٤ / ١٢٣ ، وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب الفتن ، باب قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ (٤٠١٤) : ٢ / ١٣٣٠ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . انظر : المستدرک علی الصحیحین ، كتاب الرقاق (٧٩١٢) : ٤ / ٣٥٨ . كلهم عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه .

(٢) انظر : تفسير السمرقندي : ١ / ٢٦١ ، تفسير القرطبي : ٤ / ٤٨ .

(٣) المراد بالشدّة : قوة الاعتصام والاستقامة وعدم التهاون والمحاباة ، لا بالغلظة في الأمر والإهانة لمن يأمره ، فإن هذا هو الفظ الغليظ القلب المذكور آنفاً وهو يضر بأمره ونهيه . انظر : تحقيق الآداب الشرعية والمنح المرعية لشعيب الأرنؤوط وعمر القيام : ١ / ٢٥٦ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٣٢٢ .

(٥) انظر : الورع لأحمد بن حنبل : ١ / ١٥٤ ، مكارم الأخلاق لابن تيمية ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ٦٧ ، جامع العلوم والحكم : ١ / ٣٢٥ ، فتح الباري : ١٣ / ٥٣ ، فيض القدير : ٥ / ٥٢٢ .

وإحياء سنته ، بلا رياءٍ ولا منافقةٍ ولا مدهانة ، غير منافسٍ ولا مفاخر . ويسن له العمل بالنوافل والمندوبات ، وطلاقة الوجه ، وحسن الخلق عند إنكاره ، والتثبت والمسامحة بالهفوة عند أول مرة .

واشترط بعضهم أن يكون عدلاً فلا يقبل من فاسقٍ ، ولا ممن يخالف قوله فعله (١) .

الالتزام بعمل البرّ قبل دعوة الناس إليه :

إنّ التغافل عن أعمال البرّ مع حثّ الناس عليها ليدل على نفسية متناقضة غير سوية ؛ إذ أن المرء لن يكون لكلماته صدى إلا إذا طابق قوله فعله ، وألزم نفسه قبل غيره بما يدندن من ترغيب في أعمال الخير ، وقد وبّخ الله ﷻ من يقوم بهذا الفعل في مواضع كثيرة في كتاب الله ، أجملها إبراهيم التّخعي (٢) بقوله : إني لأكره القصص لثلاث آيات : قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ . [سورة البقرة : ٤٤] . وقوله : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

[سورة الصف : ٢] . وقوله : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ ﴾ . [سورة هود : ٨٨] . (٣)

أولاً : قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٤) .

معنى البرّ الذي كان المخاطبين يأمرون به الناس وينسون أنفسهم :

اختلف أهل التأويل في معنى البرّ هنا - وجميعهم متفقون على أن : كلّ طاعة لله تسمّى برّاً - على أقوال ، منها :

١ - أنه التمسك بكتابهم ، كانوا يأمرون باتباعه ولا يقومون به .

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية : ٢٥٦ / ١ . بتصرف يسير .

(٢) سبق ترجمته في ص ١٨٣ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي : ٣٦٦ / ١ ، فتح القدير : ٧٧ / ١ ، روح المعاني : ٢٤٨ / ١ .

(٤) ورد في سبب نزول الآية ما قاله ابن عباس ؓ : نزلت هذه الآية في يهود أهل المدينة ، كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولئن بينه وبينهم رضاع من المسلمين : اثبت على الدّين الذي أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل - يعنون به محمداً - فإن أمره حق وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه . أخرجه الواحدي والثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ؓ . انظر : لباب النقول : ١٩ / ١ . وإسناده ساقط ، فيه الكلبي متروك متهم بالكذب . وقال ابن حبان - روى - أي الكلبي - عن أبي صالح التفسير وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس ، فلا يصح الاحتجاج به . انظر : التهذيب : ١٥٧ / ٩ .

٢- اتباع محمد ﷺ ، روي القولان عن ابن عباس رضي الله عنهما (١) .

٣- الصدقة ، كانوا يأمرون بها ويبخلون . (٢)

قال أبو جعفر (٣) :

" وجميع الذي قيل في تأويل هذه الآية متقارب المعنى ؛ لأنهم وإن اختلفوا في صفة البر الذي كان القوم يأمرون به غيرهم الذين وصفهم الله بما وصفهم به فهم متفقون في أنهم كانوا يأمرون الناس بما لله فيه رضا من القول أو العمل ، ويخالفون ما أمرهم به من ذلك إلى غيره بأفعالهم .

فالتأويل الذي يدل على صحته ظاهر التلاوة إذن : أتأمرون الناس بطاعة الله وتتركون أنفسكم تعصيه ، فهلاً تأمرونها بما تأمرون به الناس من طاعة ربكم ، معيهم بذلك ومقبحاً إليهم ما أتوا به " . اهـ (٤) .

والهمزة في : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ للتوبيخ والتعجب من حالهم ، هذا التوبيخ والتقريع وإن كان خطاباً لبني إسرائيل إلا أنه عامٌ من حيث المعنى لكل واعظ ، يأمر ولا يأتمر ، ويزجر ولا يترجر ، ينادي الناس البدار البدار ويرضى لنفسه التخلف والבוوار (٥) .

وقد توعد الله بالعقوبة لمن يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ، قال رسول الله ﷺ : " يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق (٦) أفتاب (٧) بطنه فيدور

(١) قال البقاعي : " والظاهر أن المراد به حكم التوراة كانوا يحملون عوامهم عليه ، وهم يعلمون دون العوام أن من حكم التوراة اتباع محمد ﷺ فقد نسوا أنفسهم من الأمر بأساس البر الذي لا يصح منه شيء إلا به " . انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ١٢٤ / ١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري : ١ / ٢٥٨ ، زاد المسير : ١ / ٧٥ ، التفسير الكبير : ٣ / ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) هو أبو جعفر الطبري ، تقدمت ترجمته في ص ٤٩ .

(٤) تفسير الطبري : ١ / ٢٥٩ .

(٥) انظر : روح المعاني : ١ / ٢٤٨ .

(٦) تندلق : الدال واللام والقاف أضل واحد مطرد ، يدل على خروج الشيء وتقدمه ، واندلقت أفتاب بطنه : إذا خرجت أمعاؤه . انظر : المقاييس ، كتاب الدال ، باب الدال واللام وما يثلثهما (مادة : دلق) : ٣٦٣ .

(٧) أفتاب : الأفتاب هي الأمعاء . انظر : المقاييس كتاب القاف ، باب القاف والتاء وما يثلثهما (مادة : قتب) : ٨٧٥ .

بها كما يدور الحمار بالرحى^(١) ، فيجتمع إليه أهل النار ، فيقولون : يا فلان مالك ، ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟! فيقول : بلى . قد كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية " (٢) .

وقال ﷺ : " مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه ، كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه " (٣) .

قال القرطبي^(٤) :

" دلّ الحديث الصحيح وألفاظ الآية على أن عقوبة من كان عالماً بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام بوظيفة كل واحدٍ منهما أشدّ ممن لم يعلمه ، وإنما ذلك لأنه كالمستهين بجُرّمات الله تعالى ، والمستخفّ بأحكامه ، وهو ممن لم ينتفع بعلمه " . اهـ (٥) .

وقيل : عمل رجلٍ في ألف رجلٍ أبلغ من قول ألف رجلٍ في رجلٍ ، وأمّا من وعظ واتعظ فمحلّه عند الله عظيم (٦) .

وقال أبو الدرداء^(٧) ﷺ : ويل لمن لا يعلم مرّةً ، وويل لمن علم ولم يعمل ألف مرّةً .

وقال الجنيد^(٨) : متى أردت أن تشرف بالعلم وتكون من أهله ، وتنتصب له قبل إعطائه حقه احتجب عنك نوره ، وكان عليك لا لك (٩) .

(١) الرّحى : الرّاء والحاء والحرف المعتل أصل واحد ، والرّحى الدائرة . قال ابن سيده : الرّحى الحَجَرُ العظيم . والرّحى : معروفة ؛ التي يُطْحَنُ بها . انظر : المقاييس ، كتاب الرّاء ، باب الرّاء والحاء وما يثلثهما (مادة : رحا) : ٤٤٦ ، لسان العرب (مادة : رحا) : ٣١٢ / ١٤ .

(٢) أخرج البخاري بنحوه في كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار (٣٠٩٤) : ٣ / ١١٩١ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب الزهد والرفائق ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله (٢٩٨٩) : ٤ / ٢٢٩٠ . كلاهما عن أسامة بن زيد .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، مسند جندب بن عبد الله بن سفيان الجلي^(٤) (١٦٨١) : ٢ / ١٦٥ . قال المناوي : رواه الطبراني عن جندب بإسناد حسن . انظر : فيض القدير : ٥١٠ / ٥ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٥) تفسير القرطبي : ١ / ٣٦٦ .

(٦) التفسير الكبير : ٣ / ٤٥ .

(٧) صحابي جليل ، انظر : ص ١٤٣ .

(٨) سبق ترجمته في ص ١٧٣ .

(٩) فيض القدير : ٥١٠ / ٥ .

وقال أبو الأسود الدؤلي (١) :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
وابداً بنفسك فأنهها عن غيرها فإن انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم

وقد ذمَّ الله ﷻ في كتابه قوماً كانوا يأمرون بأعمال البرِّ ولا يعملون بها ، وبخهم به تويحاً يُتلى على طول الدَّهر إلى يوم القيامة ؛ ليس على أمرهم بالبرِّ ؛ فإنه فعلٌ حسنٌ مندوبٌ إليه بل بسبب ترك فعل البرِّ المستفاد من قوله : ﴿ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي : تتركونها من البرِّ كالمنسيَّات ، والنسيان (بكسر النون) يكون بمعنى : التَّرك (٢) ، وهو المراد هنا ، كما في قوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ . [سورة التوبة : ٦٧] . وقوله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ . [سورة الأعراف : ١٦٥] . والنسيان عبارة عن السَّهو الحادث بعد حصول العلم ، والناسي غير مكلف ، ومن لا يكون مكلفاً لا يجوز أن يذمَّه الله تعالى على ما صدر منه ، وبما أن لا أحداً ينسى نفسه ؛ بل يجرمها ويتركها كما يترك الشيء المنسي ، فيكون ذلك مبالغة في عدم المبالاة والغفلة عما ينبغي أن يفعله (٣) .

﴿ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ تويحٌ عظيمٌ لمن يقرؤون الكتاب ، أي : التوراة ، ويعلمون بما فيها من الحث على أفعال البرِّ ، والإعراض عن أفعال الإثم ، أو : تقرؤون التوراة فيها نعته

(١) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل ، أبو الأسود الدؤلي الكتاني : واضع علم النحو ، من كبار التابعين ، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب . رسم له علي بن أبي طالب ﷺ شيئاً من أصول النحو ، فكتب فيه أبو الأسود ، وأخذ عنه جماعة . وفي صبح الأعشى أن أبا الأسود وضع الحركات والتنوين لا غير . سكن البصرة في خلافة عمر ، وولي إمارتها في أيام علي ، استخلفه عليها عبد الله بن عباس لما شخص إلى الحجاز . ولم يزل في الإمارة إلى أن قتل علي . وكان قد شهد معه " صفين " . ولما تمَّ الأمر لمعاوية قصده فبالغ في إكرامه . وهو - في أكثر الأقوال - أول من نَقَطَ المصحف . وله شعرٌ جيّد في ديوانٍ صغير ، أشهره أبيات يقول فيها : لا تنه عن خلق وتأتي مثله ، مات بالبصرة سنة ٦٩ هـ . انظر : وفيات الأعيان : ٢ / ٥٣٥ ، سير أعلام النبلاء : ٤ / ٨١ ، البداية والنهاية : ٨ / ٣١٢ ، الإصابة : ٣ / ٥٦١ .

(٢) قال ابن منظور : وللنسيان معنى آخر وهو : ضد الذكر والحفظ . وقال ابن فارس : والنسيان يدلُّ أيضاً على إغفال الشيء . انظر : المقاييس ، كتاب النون ، باب النون والسين وما يثلثهما (مادة : نسا) : ١٠٢٤ ، لسان العرب (مادة : نسا) : ١٥ / ٣٢٢ .

(٣) انظر : التفسير الكبير : ٣ / ٤٤ ، تفسير القرطبي : ١ / ٣٦٦ ، فتح القدير : ١ / ٧٧ ، روح المعاني : ١ / ٢٤٨ .

وصفته - أي الرسول ﷺ - ثم لا تؤمنون به ، وكذا من فعل فعلهم كان مثلهم (١) وأصل التلاوة : الاتباع ، ومنه تلاوة القرآن ؛ لأنه يتبع آية بعد آية (٢) .
ثم انتقل معهم من تقرير إلى تقرير ، ومن توبيخ إلى توبيخ ، فقال : إنكم لو لم تكونوا من أهل العلم وأهل الدراسة لكتب الله ، لكان مجرد كونكم ممن يعقل حائلاً بينكم وبين ذلك فكيف أهملتم ما يقتضيه العقل بعد إهمالكم لما يوجهه العلم !؟ .
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي : أفلا تمنعون أنفسكم من مواجهة هذه الحال المردية لكم ، العقل لغة : المنع ؛ لمنعه صاحبه من العدول عن سواء السبيل ، وهو الحابس عن ذميمة القول والفعل ومنه العقل للذمة ، لأنه يمنع ولي المقتول عن قتل الجاني ، والعقل نقيض الجهل .
وقال الزجاج (٣) : العاقل من عمل بما أوجب الله عليه ، فمن لم يعمل فهو جاهل . ولهذا قال علي (٤) ﷺ : قسم ظهري رجلان : عالمٌ مهتتكَ ، وجاهلٌ متنسكٌ (٥) .

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ كَبْرٌ مَقْتًا
عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿ ﴾ . [سورة الصف : ٢] .

قال الزمخشري (٦) عن هذه الآية : " ونداؤهم بالإيمان تمكُّم بهم وبإيمانهم ، وهذا من أفصح كلام وأبلغه في معناه ، قصد في ﴿ كَبْرٌ ﴾ التعجب من غير لفظه ، ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين ؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله ، وأسند إلى ﴿ أَنْ تَقُولُوا ﴾ ونصب ﴿ مَقْتًا ﴾ على تفسيره ؛ دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه ، واختير لفظ (المقت) لأنه أشدُّ البغض وأبلغه ... ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيراً حتى جعله أشدَّه وأفحشه ، و ﴿ عِنْدَ اللَّهِ ﴾

(١) انظر : التفسير الكبير : ٣ / ٤٤ ، تفسير القرطبي : ١ / ٣٦٩ .

(٢) انظر : المقاييس ، كتاب الناء ، باب الناء مع اللام (مادة : تلا) : ١٧٢ ، لسان العرب (مادة : تلا) : ١٤ / ١٠٣ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٥٥ .

(٤) صحابي حليل ، انظر : ص ١٠٨ .

(٥) انظر : التفسير الكبير : ٣ / ٤٤ ، تفسير القرطبي : ١ / ٣٧٠ ، الحدود الأنيقة : ٦٧ ، فتح القدير : ١ / ٧٨ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

أبلغ من ذلك لأنه إذا ثبت كبير مقتبه عند الله ، فقد تم كبره وشدته ، وانزاحت عنه الشكوك " . اهـ (١) .

والمقت : " البغض من أجل الذنب ، أو ريبة ، أو دناءة يصنعها الممقوت " (٢) .
قال المبرّد (٣) : رجلٌ ممقوت ومقيت ؛ إذا كان يبغضه كلُّ واحد .

وقوله تعالى : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ أن يقول الإنسان ما لا يفعله ، فإذا كان في الماضي كان كذباً ، وما كان في المستقبل كان خُلُفاً وكلاهما مذموم (٤) .

سبب نزول الآيات :

في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٤﴾ . [سورة الصف : ٢ ، ٣] . عدة أقوال منها :

١- قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا ، فقلنا : لو نعلم أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله لعملناه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ ﴾ . [سورة الصف : ١] . إلى آخر السورة (٥) .

(١) الكشاف : ٤ / ٥٢٣ .

(٢) المحرر الوجيز : ٥ / ٣٠١ .

(٣) هو محمد بن يزيد الأزدي ، البصري ، أبو العباس ، المبرّد : إمام أهل النحو في زمانه ، وصاحب المصنفات أخذ عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني ، وتصدر للاشتغال ببغداد ، وكان وسيما مليح الصورة فصيحاً مفوهاً أخبارياً علامة ثقة ، وقال ابن خلكان : كان إماماً في النحو واللغة ، وله التأليف النافعة في الأدب منها : كتاب الكامل ، ومنها الروضة والمقتضب ، وضرورة الشعراء الشعر . ت في آخر سنة ٢٨٥ هـ . انظر : وفيات الأعيان : ٤ / ٣١٣ ، سير أعلام النبلاء : ١٣ / ٥٧٦ ، كشف الظنون : ٢ / ١٠٨٧ ، شذرات الذهب : ١ / ١٩٠ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي : ١٨ / ٨٠ .

(٥) أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الصف (٣٣٠٩) : ٥ / ٤١٢ ، وأخرج أحمد بنحويه في مسند عبد الله بن سلام ﷺ (٢٣٨٣٩) : ٥ / ٤٥٢ ، وأخرج الدارمي بنحويه في كتاب الجهاد ، باب الجهاد في سبيل الله أفضل العمل (٢٣٩٠) : ٢ / ٢٦٣ . كلهم عن عبد الله بن سلام ﷺ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي وقال : وكان الشيخين تركاه لرواية المقل بن زياد بخلاف هذا . انظر : المستدرک على الصحيحين في كتاب الجهاد (٢٣٨٤) : ٢ / ٧٩ .

٢- أن ناساً من المسلمين كانوا يقولون قبل أن يفرض الجهاد : لوددنا أن الله تعالى دلنا على أحب الأعمال إليه ، فلما نزل الجهاد كرهه ناسٌ من المؤمنين ، فزلت هذه الآية (١) . (٢)

واختار ابن جرير (٣) هذا القول (٤) ورجَّحه غير واحدٍ من المفسرين (٥) لما يأتي بعد ذلك من أمر الجهاد والقتال . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بَنِينَ مَرصُوصًا ﴾ . [سورة الصف : ٤] .

والتحقيق أن القول الأول هو الأرجح لصحة روايته ، ومهما كان سبب نزول الآية فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وإن كانت هذه الآية نزلت لحادثة وقعت ، فهي عامّة لكل أحد ، والنصوص القرآنية دائماً أبعد مدى من الحوادث المفردة التي تنزل الآيات بسببها وأشمل لحالات كثيرة غير الحالة التي نزلت لمواجهتها .. فالآيات تعاتب صنفاً من المؤمنين خالف قولهم فعلهم ، وتشنع بصفتهم لكي يتنبه المسلمون أنّي كانوا بكبر الجرم ، ويتجنبوا مقت الله لهم ، فيعاتبهم الله فيقول لهم : لم تقولون الخير وتحثون عليه ، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه ، وتنهون عن الشرّ وربما نزهتم أنفسكم عنه ، وأنتم متلوّثون متصفون به . فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة ! .. ولهذا ينبغي للأمر بالخير أن يكون أوّل الناس مبادرة إليه ، والناهي عن الشرّ أن يكون أبعد الناس عنه (٦) .

ومحظ الفاسق :

هل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من كان متلبساً بمعصية ؟

اختلف العلماء على قولين :

القول الأول : إنّ مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها ، وهذا ضعيف .

(١) أورده الطبري عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ؓ . انظر : تفسير الطبري : ٢٨ / ٨٣ . وإسناده ضعيف لانقطاعه بين علي بن

أبي طلحة وابن عباس . قال ابن حجر : روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولم يسمع منه . انظر : التهذيب : ٧ / ٢٩٨ .

(٢) ذكر السيوطي هذين السببين في لباب النقول : ٢١٢ .

(٣) هو ابن جرير الطبري . سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٤) انظر : تفسير الطبري : ٢٨ / ٨٥ .

(٥) قاله ابن عطية وابن كثير ، انظر : المحرر الوجيز : ٥ / ٣٠١ ، تفسير ابن كثير : ٤ / ٣٥٨ .

(٦) انظر : تفسير السعدي : ١ / ٨٥٨ .

القول الثاني : أن العاصي يأمر بالمعروف وإن لم يفعله ، وينهي عن المنكر وإن ارتكبه وهو الصحيح ، وهو قول الجمهور .

ولو توقّف الأمر والنهي على الاجتناب لرفع الأمر بالمعروف ، وتعطلّ النهي عن المنكر وانسدّ باب النصيحة التي حثّ الشارع عليها ، كما أن العاصي في الجملة يُؤجر على الأمر بالمعروف ؛ ولا سيّما إن كان مطاعاً ، وأمّا إثمه الخاص به فقد يغفره الله له وقد يؤاخذه به لكن الأولى أن يتعظّ هو ويتزجر قبل أن يأمر غيره ، ولذلك قالوا : لا يأمر بالمعروف إلاّ من ليست فيه وصمة ^(١) . ^(٢)

قال ابن تيمية ^(٣) : " إن ترك الواجب - وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - معصية وفعل ما نهى عنه في الأمر معصية ، فالمنتقل من معصية إلى معصية كالمستحير من الرّمضاء ^(٤) بالنار " . اهـ ^(٥) .

وقال العزالي ^(٦) : " والحق أن للفاسق أن يجتسب ^(٧) ، وبرهانه هو أن نقول : هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوماً عن المعاصي كلها ؟ فان شرط ذلك فهو خرق للإجماع ، ثمّ حُسم لباب الاحتساب ؛ إذ لا عصمة للصحابة فضلا عن دولهم ، والأنبياء - عليهم السلام - قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا ، والقرآن العزيز دالٌّ على نسبة آدم ^(٨) إلى المعصية ، وكذا جماعة من الأنبياء " . اهـ ^(٨) .

ولا يعكّر على ذلك قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ لأنّ التوبيخ لجمع الأمرين ، لا منع الفاسق عن الوعظ .

^(١) الوصم : الصدع غير بائن ، ويحمل على هذا فيقال للعار والعيب : وصم ، يقال : ما في فلان وصمة أي عيب . انظر : المقاييس كتاب الواو ، باب الواو والصاد وما يتلثهما (مادة : وصم) : ١٠٩٤ ، لسان العرب (مادة : وصم) : ١٢ / ٦٣٩ .

^(٢) انظر : تفسير ابن كثير : ١ / ٨٦ ، فتح الباري : ١٣ / ٥٣ ، فيض القدير : ٥ / ٥٢٢ .

^(٣) سبق ترجمته في ص ٢١ .

^(٤) الرّمضاء : من (رمض) الرء والميم والضاد أصل مطرد يدلّ على حدّة في الشيء من حرّ وغيره ، والرّمض والرّمضاء : شدّة الحرّ انظر : المقاييس ، كتاب الرء ، باب الرء والميم وما يتلثهما (مادة : رمض) : ٤٢٢ ، لسان العرب (مادة : رمض) : ٧ / ١٦٠ .

^(٥) مكارم الأخلاق لابن تيمية ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ٦٧ .

^(٦) سبق ترجمته في ص ٥٣ .

^(٧) يجتسب : من الحسبة وهي : أمر بالمعروف إذا ظهر ، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله . انظر : الأحكام السلطانية : ٣٩١ .

^(٨) الإحياء : ٢ / ٣١٢ .

والذم إنما هو على نسيان أنفسهم ، لا على أمرهم بالبر ، وعلى ارتكابهم ما نهوا عنه لا عن نهيهم عن المنكر ، وعن السلف : مُرُوا بِالْخَيْرِ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوهُ . وليس من شرط الناهي عن المنكر أن يكون عدلاً عند أهل السنة ؛ خلافاً للمبتدعة حيث تقول : لا يغيِّره إلا عدل . وهذا ساقط ؛ لأن العدالة محصورة في قليل من الخلق ، والنهي عن المنكر عام في جميع الناس (١) .

قال الثوري (٢) :

" قال العلماء : ولا يشترط في الأمر والناهي أن يكون كامل الحال ، ممثلاً ما يأمر به مجتنباً ما ينهى عنه ، بل عليه الأمر وإن كان مخالفاً بما يأمر به ، والنهي وإن كان متلبساً بما ينهى عنه ، فإنه يجب عليه شيان : أن يأمر نفسه وينهاها ، ويأمر غيره وينهاها فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر " . اهـ (٣) .

قال الحسن (٤) لأحد الوعّاظ : عِظْ أَصْحَابَكَ . فقال : إني أخاف أن أقول ما لا أفعل . قال : يرحمك الله ، وأئنا يفعل ما يقول ! ويودُّ الشيطان أنه قد ظفر بهذا ، فلم يأمر أحداً بمعروف ولم ينه عن منكر (٥) .

وقال سعيد بن جبير (٦) : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ، ما أمر أحد بمعروف ولا نهي عن منكر . قال مالك (٧) : وصدق ، من ذا الذي ليس فيه شيء ! (٨) .

ولتفصيل في القول أكثر : فإن الحسبة أنواع ، فتارة تكون بالنهي بالوعظ ، وتارة بالقهر والفسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه ؛ إذ لا فائدة في وعظه ، فالفسق

(١) انظر : أحكام القرآن لابن العربي : ٣٤٩ / ١ ، التفسير الكبير : ٤٤ / ٣ ، تفسير القرطبي : ٤٧ / ٤ ، تفسير ابن كثير : ٨٦ / ١ .

تفسير أبي السعود : ٦٨ / ٢ ، فيض القدير : ٧٩ / ١ ، روح المعاني : ٢٤٨ / ١ .

(٢) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم : ٢٣ / ٢ .

(٤) هو الحسن البصري ، سبق ترجمته في ص ٥٢ .

(٥) تفسير القرطبي : ٣٦٧ / ١ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٥٦ .

(٧) إمام المذهب المالكي ، انظر : ص ٢٧١ .

(٨) تفسير ابن كثير : ٨٦ / ١ .

سبب في إسقاط كلامه ، ولذلك سقط وجوب الكلام ، فصارت العدالة مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك ، فلا حرج على الفاسق في إراقة الخمر وكسر الملاهي وغيرها إذا قدر (١) .

فالآية ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه ، والمراد بها حثه على تزكية النفس والإقبال عليها بالتكميل .

والمطابقة بين القول والفعل ، والقيم والسلوك ، ليست أمراً هيناً أو طريقاً معبداً ، إن الإنسان بحاجة إلى المجاهدة ورياضة النفس ، وإلى صلة بالله ، واستعانة به . ولهذا نجد نبي الله شعيب عليه السلام حينما قال : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتَهِكُمْ عَنْهُ ﴾ . أردف بقوله : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ . [سورة هود : ٨٨] .

إن ظروف الحياة وضروراتها واضطراباتها لتؤثر على ما يعتقد الفرد من مبادئ وقيم ، أو عما يأمر به غيره ؛ ناهيك عن لحظات الضعف التي قد تصيب الإنسان فيتخاذل ويتهاوى ما لم يستمد قوته من القوة الخالدة . قال تعالى على لسان نبي الله هود عليه السلام : ﴿ وَيَنْقُورِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ . [سورة هود : ٥٢] . فالإنسان ضعيفٌ ولا حول له ولا قوة ، لكنه قويٌّ بربه وخالقه ، قويٌّ على شهوته وعلى اضطراباته ، ومن ثم فسيكون قادراً - بإذن الله - على أن يفعل الخير ، ويحقق البر قبل أن يدعو غيره إليه ، فتجمل أخلاقه وتزكو نفسه (٢) .



(١) الإحياء : ٢ / ٣١٤ . بتصرف يسير .

(٢) انظر : الظلال : ١ / ٦٨ .

المبحث السادس

إتيان البيوت من أبوابها

إنَّ إتيان البيوت من ظهورها من الأمور التي تقدح في البرِّ ، وتحول دون كماله ؛ وإنَّ النفس ذات الأخلاق الكريمة لتسلَّع إلى إتمام جوانب البرِّ كلِّها ؛ فالبرُّ هو التقوى قبل كلِّ شيء والبرُّ يكون بإتيان البيوت من أبوابها .

قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۗ ﴾ . [سورة البقرة : ١٨٩] .

المراد من إتيان البيوت من أبوابها :

قال الرَّاعِبُ (١) : " الباب يقال لمدخل الشيء ، وأصل ذلك مداخل الأمكنة ، كباب المدينة والدار والبيت ، وجمعه أبواب ، وعنه استعير لمدخل الأمور المتوصل به إليها ، وقيل في العلم : باب كذا " . اهـ (٢) .

ولقد اتصل ذكر إتيان البيوت من أبوابها بما ذكر قبله عن الأهلة وأنها مواقيت للحج ، ووجه اتصاله بما قبله :

• أنهم سألوا عن الأمرين .

• أو أنه لما ذكر أنها مواقيت للحج ذكر عقيبها ما هو من أفعالهم في الحج استطراداً (٣) .

• أو أنهم لما سألوا عما لا يعنيههم ولا يتعلق بعلم النبوة - فإنه ﷺ مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الأشياء - وتركوا السؤال عما يعنيههم ويختص بعلم الرسالة عقب سبحانه بذكر الفائدة والغاية من الأهلة جواباً عما سألوا عنه ؛ تنبيهاً على أن اللاتق بهم أن يسألوا عن أمثال ذلك ، ويهتموا بالعلم به .

(١) سبق ترجمته في ص ٣ .

(٢) المفردات (مادة : باب) : ٤٥ .

(٣) عقب ابن القيم بقوله : إن هذا الاستطراد كثير جداً في القرآن . انظر : روضة المحبين : ١ / ٢٨٩ .

وعلى هذا تكون البيوت وأبوابها وظهورها (استعارة) ، يراد بالبيوت : المسائل وبظهورها : السؤال عمّا لا يفيد ، وأبوابها : السؤال عما يحتاج إليه (١) .
وقال الفخر الرازي (٢) :

" جعل إتيان البيوت من ظهورها : كناية عن العدول عن الطريق الصحيح ، وإتيانها من أبوابها : كناية عن التمسك بالطريق المستقيم ، وهذا طريق مشهور في الكناية فإن من أرشد غيره إلى الوجه الصواب ، يقول له : ينبغي أن تأتي الأمر من بابه ، وفي ضده يقال : إنه ذهب إلى الشيء من غير بابه " . اهـ (٣) .

وقد كان الأنصار إذا حجوا وعادوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم ، وإذا أهلوا بالحج أو العمرة يلتزمون شرعاً ألا يحول بينهم وبين السماء حائل ، فإذا خرج الرجل منهم بعد ذلك - أي من بعد إحرامه من بيته - فرجع لحاجة لا يدخل من باب الحجر من أجل سقف البيت أن يحول بينه وبين السماء ، فكان يتسّم ظهر بيته على الجدران ، ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته فتخرج إليه من بيته ، فكانوا يرون هذا من النسك والبرّ ، وأن ذلك من تمام الحج .

قال ابن عباس (٤) ﷺ : فردّ عليهم فيها ، وبين الرب تعالى أن البرّ في امتثال أمره .
وعن جابر بن عبد الله (٥) ﷺ قال : " كانت قريش يدعون الحُمس (٦) ، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام ، وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من الأبواب في الإحرام

(١) التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ٧٣ . وانظر : تفسير البيضاوي : ١ / ٤٧٥ ، تفسير النسفي : ١ / ٩٣ ، تفسير أبي السعود :

٢٠٣ / ١ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٨ .

(٣) التفسير الكبير : ٥ / ١٠٨ .

(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٥) صحابي جليل ، انظر : ص ١٧١ .

(٦) الحُمس هم : قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وخيثم وبنو عامر بن صعصعة وبنو نصر بن معاوية ، وهؤلاء سموا حُمساً ؛ لتشددهم في دينهم ، والحُماسة : الشدة ، وهؤلاء متى أحرموا لم يدخلوا بيوتهم ألْبَتَّةً ، ولا يستظلون الوبر ولا يأكلون السمن والأقط . انظر : النهاية

(مادة : حمس) : ١ / ٤٤٠ .

فبينما رسول الله ﷺ في بستان فخرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري (١) فقالوا : يا رسول الله ، إنَّ قطبة بن عامر رجلٌ فاجر ، إنه خرج معك من الباب . فقال : ما حملك على ذلك ؟ قال : رأيتك فعلت ففعلت كما فعلت . فقال : إني أحسبي . قال : إنَّ ديني دينك . فأنزل الله ﷻ : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ " (٢) .

وقيل : إنه النسيء ، وتأخير الحجِّ به حتى كانوا يجعلون الشهر الحلال حراماً بتأخير الحج إليه والشهر الحرام حلالاً بتأخير الحج عنه ، فيكون ذكر البيوت على هذا مثلاً لمخالفة الواجب في الحجِّ وشهوره .
وقال أبو عبيدة (٣) :

الآية ضرب مثل . المعنى : ليس البرُّ أن تسألوا الجهال ، ولكن اتقوا الله واسألوا العلماء فهذا كما تقول : أتيت هذا الأمر من بابه .
وقال الحسن (٤) :

كانوا يتطهرون ، فمن سافر ولم تحصل حاجته كان يأتي بيته من وراء ظهره تطهيراً من الخيبة فقليل لهم : ليس في التطير برُّ ؛ بل البرُّ أن تتقوا الله وتتوكلوا عليه ، وعلى هذا تأويل الآية : ليس البرُّ أن تأتوا البيوت من ظهورها على وجه التطير ، لكن البرُّ من يتقي الله ولم يتق غيره ولم يخف شيئاً كان يتطير به ، بل توكل على الله تعالى وأتقاه وحده (٥) .

(١) هو قطبة بن عامر بن حديدة الأنصاري ، أبو زيد : صحابي جليل ، لقي رسول الله في السنة الذين أسلموا أوَّل من أسلم من الأنصار وشهد العقبتين وبدراً ، ورمى يوم بدر حجراً بين الصفين ، وقال : لا أفر حتى يفر هذا الحجر . وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان من الرماة المذكورين ، وجرح يوم أحد تسع جراحات ، وتوفي في خلافة عثمان سنة ٣٥ هـ . انظر : صفة الصفوة : ١ / ٤٨٩ ، المنتظم (حتى ٢٥٧هـ) : ٣ / ٤١ ، الكامل : ٣ / ٨٩ ، الإصابة : ٧ / ١٦٦ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب المناسك (١٧٧٧) : ١ / ٦٥٧ . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه الزيادة . ووافقه الذهبي .

(٣) سبق ترجمته في ص ٢١٥ .

(٤) هو الحسن البصري ، سبق ترجمته في ص ٥٢ .

(٥) التفسير الكبير : ٥ / ١٠٦ . أخرجه عبد بن حميد بإسناد صحيح .

والقول الأوّل أصحُّ الأقوال ^(١) ؛ لما رواه البراء ^(٢) ﷺ قال : " كانت الأنصار إذا حجُّوا فرجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها ، قال : فجاء رجلٌ من الأنصار فدخل من بابه فقيل له في ذلك ، فترلت هذه الآية : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ ^(٣) وهذا نصٌّ في البيوت حقيقة .

وعن البراء ^(٤) أيضاً قال : " كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره ، فأنزل الله : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى ^٥ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ " ^(٤) . ^(٥)

قال ابن العربي ^(٦) : " وحقيقة هذه الآية البيوت المعروفة ، بدليل ما روي في سبب نزولها من طرق متعدّدة ، فتحقّق أنّها المراد بالآية ، ثم ركب من الأمثال ما يحمله اللفظ ويقرب ولا يعارضه شيء " . اهـ ^(٧) .

وأضاف ابن العربي : " قال علماؤنا هذا دليلٌ على مسألة من الفقه : وهي أن الفعل بنية العبادة لا يكون إلا في المندوبات خاصّة دون المباح ، ودون المنهي عنه ، واقتحام البيوت من ظهورها عند التلبّس بالعمرة لم يكن ندباً فيقصد به وجه القربة " . اهـ ^(٨) .

^(١) وهذا مارحّه ابن عباس والواحدى والقرطبي أخذوا برواية البخاري ومسلم عن البراء بن عازب ^(٩) . انظر : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : ١ / ٢٦ ، تفسير الواحدى : ١ / ١٥٤ ، تفسير القرطبي : ٢ / ٣٤٤ .

^(٢) هو البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي ، صحابي جليل ، ت سنة ٧١ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٦ / ١٧ ، معجم الصحابة : ١ / ٨٦ ، الإصابة : ١ / ٢٧٨ ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة محمد بن عبد الرحمن السخاوي : ١ / ٢١١ .

^(٣) أخرج البخاري بنحوه في كتاب أبواب العمرة ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ (١٧٠٩) : ٢ / ٦٣٩ وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب التفسير ، باب في قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ (٣٠٢٦) : ٤ / ٢٣١٩ .

^(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى ^٥ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ (٤٢٤٢) : ٤ / ١٦٤٠ .

^(٥) انظر : تفسير الطبري : ٢ / ١٨٦ ، تفسير البغوي : ١ / ١٦٠ ، زاد المسير : ١ / ١٩٦ ، تفسير القرطبي : ٢ / ٣٤٤ ، التفسير الكبير : ٥ / ١٠٦ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ٧٣ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٢٢٧ ، الدر المنثور : ١ / ٤٩١ ، فتح القدير : ١ / ١٨٩ .

^(٦) سبق ترجمته في ص ١٣٠ .

^(٧) أحكام القرآن لابن العربي : ١ / ١٤٣ .

^(٨) أحكام القرآن لابن العربي : ١ / ١٤٣ .

" وأما تلك الأقوال فتؤخذ من موضع آخر لا من الآية .

وقد قيل : إن الآية خرجت مخرج التنبية من الله تعالى على تعكيسهم في السؤال ، وكونه من قبيل دخول البيت من ورائه ، والمعنى : وليس البرُّ بأن تعكسوا في مسائلكم ، ولكن البرُّ من اتقى ، وأتى البيوت من أبوابها ، أي : تحرَّى في كلِّ عملٍ إتيان الشيء من وجهه ، تنبيهاً على أن ما يطلب من غير وجهه صعبٌ تناوله ، وعلى هذا يصحُّ ما ذكر من الأقوال " (١) .

وقال الزَّخَشَرِيُّ (٢) : " أي : وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا ، والمراد وجوب توطين النفوس ، وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير احتلاج شبهة ولا اعتراض شكٍّ في ذلك ، فله أن يفعل ما يشاء . قال تعالى : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٣] . " اهـ (٣) .

بِرٌّ مِّنْ اتَّقَى :

قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ﴾ [سورة البقرة : ١٨٩] . أي : برٌّ من اتَّقَى المحارم والشهوات .

فأخبر ﷺ أن دخول البيوت من ظهورها ليس ببرٍّ ؛ لأنه تعالى لم يشرِّعه لهم ، وكلُّ من تعبَّد بعبادة لم يشرِّعها الله ولا رسوله فهو متعبدٌ ببدعة ، فمن شرطي العبادة : متابعة سنة الحبيب المصطفى ﷺ (٤) ، وأمرهم سبحانه بأن يأتوا البيوت من أبوابها لما فيه من السهولة عليهم وانعدام الحرج التي هي قاعدة من قواعد الشرع . قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [سورة الحج : ٧٨] . (٥)

(١) تفسير القرطبي : ٢ / ٣٤٤ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٣) الكشَّاف : ١ / ٢٦٢ ، بتصرف يسير . وانظر : تفسير النسفي : ١ / ٩٣ .

(٤) سبق ذكر شرطي العبادة في ص ١٦١ .

(٥) تفسير السعدي : ١ / ٨٨ . بتصرف يسير .

إنَّ إتيان البيوت من ظهورها لا برَّ الله فيه ، ولا حرج أن تأتي البيوت من أبوابها وغير أبوابها ما لم يعتقد تحريم إتيانها من أبوابها في حال من الأحوال ، فإنَّ ذلك غير جائزٍ اعتقاده ؛ لأنَّ الله لم يحرمه ، وقد كانوا يعتقدون أن هذا هو البرُّ ، فجاء القرآن ليبتل هذا التصور الخاطئ وهذا العمل المتكليف الذي لا يستند إلى دليل . وجاء يصحِّح التصوُّرَ الإيماني للبرِّ .. فالبرُّ هو التَّقوى . هو الشعور بخشية الله ومراقبته في السرِّ والعلن . وليس التعسُّف بأعمالٍ وشكلياتٍ ما أنزل الله بها من سلطان ، ولن تعدو أن تكون إلاَّ عادةً جاهليةً (١) .

ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب الذي قد جعل له موصلاً :

❶ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينبغي أن ينظر في حالة المأمور ، ويستعمل معه الرفق والسياسة التي بها يحصل المقصود أو بعضه .

❷ والمتعلِّم والمعلِّم ينبغي أن يسلك أقرب طريقٍ وأسهله يحصل به مقصوده .

❸ وشفاء الأمراض بالأخذ بأسباب الشفاء ، مع اليقين بأن الشافي المعافي هو الله وحده فمن أراد الشفاء بغير ذلك فقد أتى البيوت من غير أبوابها ، فمن كان داؤه المعصية فشفاءؤه الطاعة ، ومن كان داؤه الغفلة فشفاءؤه اليقظة ، ومن كان داؤه كثرة الاشتغال فشفاءؤه تفرغ البال من تفرغ من هموم الدنيا ... وهكذا (٢) .

❹ وقد " نهى رسول الله ﷺ عن الوصال " (٣) . لأن الليل لا صوم فيه ، فنهى أن يعتقد صومه ، وأن ترك الأكل فيه قرينة إلى الله (٤) .

❺ وكذلك من نذر شيئاً مباحاً فإنه يكون قد أتى البيوت من غير أبوابها . عن ابن

(١) تفسير الطبري : ٢ / ١٨٩ . بتصرف يسير ، وانظر الظلال : ١ / ١٨٤ .

(٢) انظر : التذكرة في الوعظ : ١ / ٥٣ ، تفسير السعدي : ١ / ٨٨ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ، باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام لقوله تعالى : ﴿ تُمْرًا تَمْؤًا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ونهى النبي ﷺ عنه رحمة لهم وإبقاء عليهم وما يكره من التعمُّق (١٨٦٣) : ٢ / ٦٩٣ ، وأخرج مسلم مثله في كتاب الصيام ، باب النهي عن الوصال في الصوم (١١٠٥) : ٢ / ٧٧٦ . كلاهما عن عائشة - رضي الله عنها - .

(٤) انظر : أحكام القرآن للخصاص : ١ / ٣١٩ .

عباس ^(١) قال : " بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم ، فسأل عنه ، فقالوا : أبو إسرائيل ^(٢) نذر أن يقوم ولا يباع ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم . فقال النبي ﷺ : مُرّه فليتكلم وليستظل ، وليقعد وليتم صومه " ^(٣) .
قال ابن العربي ^(٤) :

" لا يتعلّق النذر بمباح ولا منهي عنه ، ولكن يتعلّق بكلّ مندوب " ^(٥) .

وقال ابن حجر ^(٦) : " وفيه - أي هذا الحديث - أمر رسول الله ﷺ بإتمام ما كان لله طاعة وترك ما كان معصية ، ولم يبلغني أنه أمره بكفارة " . اهـ ^(٧) .

❁ وليس من شريعة الإسلام الصّمت عن الكلام ، روي أنه : " دخل أبو بكر الصديق ^(٨) ﷺ على امرأة من أحبس ، يقال لها زينب ^(٩) ، فرآها لا تتكلم ، فقال : ما لها لا تتكلم ؟ قالوا : حجّت مُصمّة . فقال لها : تكلمي ، فإنّ هذا لا يحلّ ، هذا من أعمال الجاهلية فتكلّمت " ^(١٠) . ^(١١)

^(١) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

^(٢) هو أبو إسرائيل الأنصاري أو القرشي العامري : صحابي جليل . قال أبو عمر بن عبد البر : قال ابن بشكوال : هو أبو إسرائيل الفهري واسمه يسير (بتخانية ومهملة مصغراً) ، وأورده ابن السكن والباوردي والحسيني في حرف القاف : في قشير (بقاف ومعجمة) وقال الثوري في مختصر المبهمات : قيصر هو أبو إسرائيل ، وكأنه تصحيف في النسخة ، والذي في أصله من مبهمات الخطيب : قشير (بالشين المعجمة مصغراً) وهو الأصوب . قال الحسيني : اسمه قشير بن عباد له حديث واحد . وليس في الصحابة من يكنى أبا إسرائيل غيره . انظر : أسماء من يعرف بكنيته محمد بن الحسين الأزدي الموصلي : ١ / ٣٠ ، غوامض الأسماء المبهمة لخلف بن عبد الملك بن بشكوال : ١ / ٢٣٨ ، الإكمال لمحمد بن علي بن الحسن الحسيني : ١ / ٤٨٣ ، الإصابة : ٥ / ٤٤٢ ، ٥٦٧ ، ٧ / ١٢ .

^(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور ، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (٦٣٢٦) : ٦ / ٢٤٦٥ .

^(٤) سبق ترجمته في ص ١٣٠ .

^(٥) أحكام القرآن لابن العربي : ١ / ١٤٣ .

^(٦) سبق ترجمته في ص ٧٣ .

^(٧) تلخيص الحبير : ٤ / ١٧٧ .

^(٨) صحابي جليل ، انظر : ص ٨٧ .

^(٩) هي زينب بنت جابر الأحسية ، صحابية : روت عن أبي بكر الصديق ﷺ ، فهي من المخضرمات وليست لها رواية مرفوعة وحديثها عند البخاري من طريق قيس بن أبي حازم ، وهي ليست زينب بنت نبيط بن جابر . انظر : الإصابة : ٧ / ٦٨٨ . (ولم أقف لها على ترجمة في غيره من كتب التراجم) .

^(١٠) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب أيام الجاهلية (٣٦٢٢) : ٣ / ١٣٩٣ .

^(١١) انظر : المغني : ٣ / ٧٦ .

" وهذه أدلة على أن السُّكوت عن المباح أو عن ذكر الله ليس من طاعة الله ، وكذلك الجلوس للشمس ، وفي معناه كل ما يتأذى به الإنسان مما لا طاعة فيه بنص كتاب أو سنة مما لم ترد الشريعة بعمله لا طاعة لله فيه ولا قرينة ، وإنما الطاعة ما أمر الله به ورسوله بالتقرب بعمله إلى الله تبارك اسمه " (١) .

إتيان البيوت من أبوابها ومكارم الأخلاق :

أولاً : إتيان البيوت من أبوابها من مكارم الأخلاق :

إن إتيان البيوت من أبوابها من مكارم الأخلاق التي علمها رسول الله ﷺ أصحابه إياها فهي تعدُّ من آداب دخول البيوت ، فلا تتسور أسوارها (٢) ؛ بل ندخل من المكان المهيئ للدخول .

قال النووي (٣) :

" قال أصحابنا وغيرهم : وليس للآمر والنهائي البحث والتنقيب والتجسس واقتحام الدُّور بالظنون ؛ بل إن رأى شيئاً غيرَه " . اهـ (٤) .

فإن غلب على ظنِّ المحتسب أو غيره استسرار قوم بالمنكر بأمانة وآثار ظهرت فذلك ضربان :

• أحدهما : أن يكون فيه انتهاك حرمة يفوت تداركها ، بأن يخبره من يثق بصدقه أن رجلاً خلا برجل ليقته ، أو بامرأة ليزني بها ؛ فيجوز التجسس والإقدام على الكشف والإنكار .

• والثاني : ما قصر عن هذه الرتبة ؛ فلا يجوز فيه الكشف والتجسس (٥) .

(١) التمهيد لابن عبد البر : ٢ / ٦٢ .

(٢) انظر : مغني المحتاج : ٤ / ٢١١ .

(٣) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٤) روضة الطالبين وعمدة المفتين : ١٠ / ٢٢٠ .

(٥) الأحكام السلطانية : ٤٠٥ ، ٤٠٦ . بتصرف .

ويمكن أن يستدلَّ على ذلك ^(١) بما روي " عن عبد الرحمن بن عوف ^(٢) رضي الله عنه أنه حرس مع عمر ^(٣) رضي الله عنه ليلة المدينة ، فبينما هم يمشون شبَّ لهم سراجٌ في بيت ؛ فانطلقوا يؤمُّونه فلما دنوا منه إذا باب مجافٍ على قوم لهم فيه أصواتٌ مرتفعةٌ ولغط ، فقال عمر رضي الله عنه : - وأخذ بيد عبد الرحمن - أتدري بيت من هذا ؟ قال : هذا بيت ربيعة بن أمية ابن خلف ^(٤) ، الآن شُرب . قال : أرى أن قد أتينا ما نهي الله تعالى عنه . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ . [سورة الحجرات : ١٢] . فقد تجسَّسنا ، فانصرف عمر رضي الله عنه عنهم وتركهم " ^(٥) .

^(١) وقد جاء في رواية أخرى عنه ما يخالف ذلك ، وهي : " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يعسُ بالمدينة من الليل ، فسمع صوت رجل في بيت يتغنى ، فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمرة ، فقال : يا عدو الله ! أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته . فقال : وأنت يا أمير المؤمنين لا تعجل عليّ ، أن أكون عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاث ، قال الله : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ . [سورة الحجرات : ١٢] . وقد تجسَّست ، وقال : ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ . [سورة البقرة : ١٨٩] . وقد تسوَّرت عليّ ودخلت علي بغير إذن وقال الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ . [سورة النور : ٢٧] . قال عمر رضي الله عنه : فهل عندك من خير إن عفوت عنك . قال : نعم . فعفا عنه ، وخرج وتركه " . ولكني لم أقف عليه في الكتب المعنية بالحديث النبويّ ، وأسنده السيوطي في الدر المنثور إلى الخرائطي في مكارم الأخلاق عن ثور الكندي . انظر : الدر المنثور : ٧ / ٥٦٨ . فلا يصلح للمعارضة .

^(٢) صحابي جليل ، انظر : ص ٣٢٨ .

^(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ٥٩ .

^(٤) هو ربيعة بن أمية بن خلف بن وهب القرشي الجمحي ، كان أبوه من رعوس الكفر ، أسلم هو في الفتح وشهد حجة الوداع وأخرج ابن اسحاق في السيرة أن النبي صلى الله عليه وآله أمره أن يستنصت الناس إلى خطبته في حجة الوداع ، وكان صيتا ذكره ابن الخداء في رجال الموطن ، لقول مالك عن بن شهاب عن عروة أن خولة بنت حكيم دخلت على عمر ، فقالت له إن ربيعة بن أمية استمتع بامرأة موحدة ، فحملت منه ، فخرج عمر يجر رداءه فرعا ، فقال : هذه المتعة ، لو كنت تقدمت فيها لرجمته . وذكره جماعة في الصحابة منهم البغوي من أجل شهوده حجة الوداع ، وذكره مسلم في الطبقات ، فقال : يعدُّ في أهل المدينة ، ولكن عرض له الشقاء بعد ذلك فمات على الكفر ، فسقط وصفه بالصحة . وأخرج يعقوب بن شيبة بسند قوي عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أن أبا بكر الصديق كان أعير الناس للرؤيا ، جاءه ربيعة بن أمية فقص عليه مناماً فيه أنه خرج من أرض مخصبة إلى أرض مجدبة ، فقال : إن صدقت رؤياك فتخرج من الإيمان إلى الكفر ، قال : فشرب الخمر في زمن عمر ، فطلبه ، فهرب إلى الروم ، فتنصَّر عند قيصر حتى مات هنالك . وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن الزهري أن عمر غرب ربيعة في الخمر إلى خير ، فغضب فلحق بقيصر فتنصَّر . اللهم اختم لنا بالموت على الإسلام والاستقامة . ولم يذكره الحسيني . انظر : السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري : ٦ / ١٠ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ليويسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر : ٢ / ٧٢١ ، تعجيل المنفعة لابن حجر العسقلاني : ١ / ١٢٦ ، الإصابة : ٢ / ٥٢٠ .

^(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الحدود (٨١٣٦) : ٤ / ٤١٩ . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

إذا ؛ فلا يجوز تسور الأسوار ؛ فلكل بيت حرمة وسر الله عليه - إلا ما استثنينا - .

ثانياً : إتيان البيوت من أبوابها ليس من مكارم الأخلاق :

لإتيان البيوت من أبوابها معنى آخر ، فعند الاستئذان ينبغي للطارق أن لا يقف في مواجهة الباب ، وهنا لا يعدُّ إتيان البيوت من أبوابها من مكارم الأخلاق .

" كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ، ويقول : السَّلام عليكم ، السَّلام عليكم . وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ سُتور " (١) .

وهذا من آداب الاستئذان (٢) ، وقد حفل القرآن الكريم بآيات عدَّة في غير موضع تعلّم المسلم آداب الاستئذان (٣) ، وكذلك سنَّة رسوله ﷺ ، ومن تلك الأحاديث :

- قوله ﷺ : " إنما جُعِل الاستئذان من أجل البصر " (٤) .
- وقوله ﷺ : " من يتحقَّق في بيت قومٍ بغير إذْنهم فقد حلَّ لهم أن يفتقروا عينه " (٥) .
- وقوله ﷺ : " الاستئذان ثلاث ، فإن أذن لك وإلا فارجع " (٦) .

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان (٥١٨٦) : ٤ / ٣٤٨ ، عن عبد الله بن بشر ﷺ . قال المناوي : وفيه كما قال ابن القطان بقية وحاله معروف ، ومحمد بن عبد الرحمن بن عدة ذكره أبو حاتم ولم يذكر له حالاً . قال ابن القطان : فهو عنده مجهول . وحسنه السيوطي . انظر : فيض القدير : ٥ / ٨٧ ، الجامع الصغير لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : ١ / ٥٧ . وجاء في حديث آخر ، قال ﷺ : " لا تأتوا البيوت من أبوابها ، ولكن اتوها من جوانبها فاستأذنوا ، فإن أذن لكم فادخلوا وإلا فارجعوا " . قال المنذري : رواه الطبراني في الكبير من طرق أحدها جيد . انظر : الترغيب والترهيب : ٣ / ٢٩٤ .

(٢) ولست هنا بصدد الحديث عن آداب الاستئذان فهي مذكورة في مظانها ، ولكن سأكتفي بذكر ما يحتاجه البحث من إتيان البيوت من أبوابها .

(٣) آيات الاستئذان الواردة في سورة النور : ٢٧ - ٢٩ ، ٥٨ ، ٥٩ .

(٤) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الاستئذان ، باب الاستئذان من أجل البصر (٥٨٨٧) : ٥ / ٢٣٠٤ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الآداب ، باب تحريم النظر في بيت غيره (٢١٥٦) : ٣ / ١٦٩٨ . كلاهما عن سهل بن سعد ﷺ .

(٥) أخرج البخاري بنحوه في كتاب الديات ، باب من يتحقَّق في بيت قوم ففتقروا عينه فلا دية له (٦٥٠٦) : ٦ / ٢٥٣٠ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب الآداب ، باب تحريم النظر في بيت غيره (٢١٥٨) : ٣ / ١٦٩٩ ، كلاهما عن أبي هريرة .

(٦) أخرج البخاري بنحوه في كتاب الاستئذان ، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً (٥٨٩١) : ٥ / ٢٣٠٥ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب الآداب ، باب الاستئذان (٢١٥٣) : ٣ / ١٦٩٤ ، كلاهما عن أبي موسى الأشعري ﷺ .

• وعن جابر بن عبد الله ^(١) رضي الله عنه قال : " أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي ، فدققت الباب ، فقال : من ذا ؟ فقلت : أنا . فقال : أنا أنا ، كأنه كرهها " ^(٢) .

لقد جعل الله البيوت سكناً ، يفيء إليها الناس ، فتطمئن نفوسهم ، ويأمنون على حرماهم وما شرعت آداب الاستئذان إلا ليكون البيت حرماً آمناً لا يستيحه أحد إلا بعلم أهله ولئلا يطلع الداخل على عورة . والوقوف تلقاء الباب بوجهه لا يعطي للبيت هذه الحرمة لأن عين الزائر ستسبق جسده ؛ فيطلع على أمر لا يحبُّ صاحبه أن يطلع عليه أحد والعورات ليست عورات البدن فحسب ، وإنما تضاف إليها عورات الطعام ، وعورات اللباس ، وعورات الأثاث ، التي قد لا يحب أهلها أن يفاجئهم عليها الناس دون تهيؤٍ وتحمُّلٍ وإعداد ، وأيضاً عورات المشاعر والحالات النفسية ، فكم منّا لا يحب أن يرى وهو ييكي أو يغضب أو يتوجع ^(٣) .

قال ابن القيم ^(٤) : " قال تعالى في الاستئذان على أهل البيوت : ﴿ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ﴾ . [سورة النور : ٢٨] . فإنهم إذ أمروا بالرجوع لئلا يطلعوا على عورة لم يجب صاحب المنزل أن يطلع عليها أحد كان ذلك أزكى لهم ، كما أن ردَّ البصر وغضَّه أزكى لصاحبه " . اهـ ^(٥) .

ومن لطائف الآية ما ذكره قتادة ^(٦) ، قال : قال بعض المهاجرين : لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها ، أن استأذن على بعض إخواني فيقول لي : ارجع . فأرجع وأنا مغتبط ^(٧) .

(١) صحابي جليل . انظر : ص ١٧١ .

(٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الاستئذان ، باب إذا قال من ذا فقال أنا (٥٨٩٦) : ٥ / ٢٣٠٦ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الآداب ، باب كراهة قول المستأذن أنا إذا قيل من هذا (٢١٥٥) : ٣ / ١٦٩٧ . كلاهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

ولفظ حديث مسلم : " استأذنت على النبي ﷺ ، فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال النبي ﷺ : أنا أنا " .

(٣) انظر الظلال : ٤ / ٢٥٠٧ ، ٢٥٠٨ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٦ .

(٥) إغاثة اللهفان : ١ / ٤٩ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٧) تفسير ابن كثير : ٣ / ٢٨٢ .

إنَّ التحلِّيَ بهذا الأدب الرفيع الوضيء المشرق بنور الله له أكبر الأثر في حياة الفرد المسلم وفي مجتمعه ، ذلك أنه يتيح للإنسان أن يتصرف في بيته كما يشاء بما يرضي الله ، فيأذن لمن يريد ويردّ من يريد بغير حرج ، كما أن الاستئذان يشيع جوَّ الأمان في المجتمع فيأمن كلُّ عدم اقتحام بيته إلاَّ بإذنه . ومما لاشكَّ فيه أن تلك الآداب من مكارم الأخلاق ، والتي تعدُّ باباً رحباً من أبواب البرِّ المنشود .



الباب الثاني

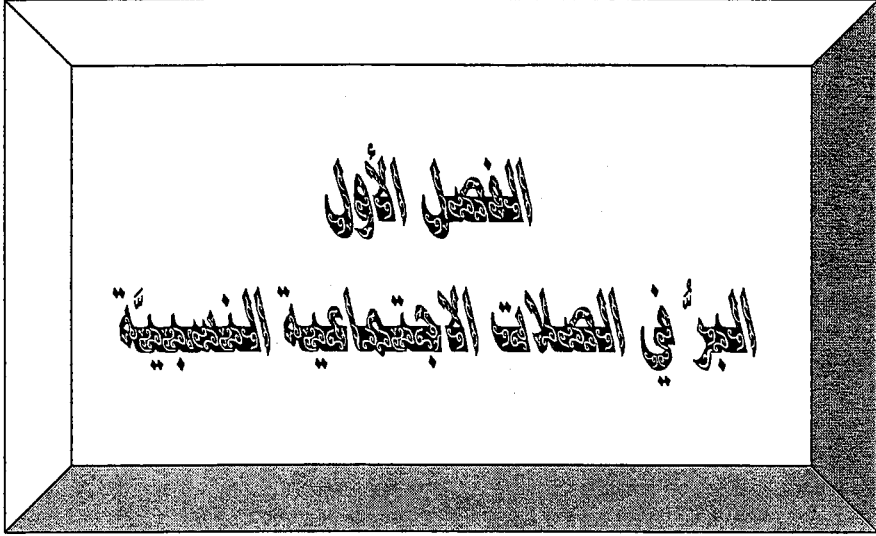
مبادئ البر في الصلوات الاجتماعية

وفيه فصلان :

الفصل الأول : البر في الصلوات الاجتماعية النسبية .

الفصل الثاني : البر في الصلوات الاجتماعية غير النسبية .





وفيه ثلاثة محاور :

المبحث الأول : البر بالوالدين .

المبحث الثاني : البر بذوي القربى .

المبحث الثالث : البر بالصالحين .

تمهيد

إنَّ الإحسان هو الذي يقوِّي غرائز الفطرة السويَّة ، ويوثق الروابط الطبيعية ؛ حتى يبلغ المجتمع في الترابط والتكاتف درجة الكمال ، والمجتمع يتألف من الأسر ، وصلاح الأسرة الواحدة هو صلاح المجتمع ، ومن لم يكن له أسرة فليس له أمة ، وذلك أنَّ عاطفة التَّراحم والودِّ تكونان على أكملهما في الفطرة بين الوالدين والأولاد ، ثمَّ بين سائر الأقربين ، فمن فسدت فطرته حتى لا خير فيه لأهله ، فأبى خير يرجى منه للبعداء والأبعدين ؟ .. لأنه لم تنفع فيه اللُّحمة النَّسَبِيَّة التي هي أقوى لحمة طبيعية تصل بين الناس .

وقد قضى نظام الفطرة بأن تكون صلة القرابة أقوى الصلّات الاجتماعية ، وصلتها أمتن من كل صلة ؛ فجاء الدِّين يقدِّم حقوق الأقربين على سائر الحقوق ، وجعل حقوقهم على حسب قربهم من الشخص .

الصلّات الاجتماعية النَّسَبِيَّة لغة :

الصلّات : جمع صلة ، والصلة والوصل في اللغة مصدر : وصلَ يصلُ صلةً ووصلاً ، وتدلُّ مادة (و ص ل) على ضمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حتى يعلِّقَهُ ، من ذلك الوصل ، والصلة ضد الهجران ، وكل شيء اتصل بشيءٍ فما بينهما وُصلةٌ ، أي اتَّصالٌ وذريعة ، يقال : توصَّل إليه ، أي تَلَطَّف في الوصول إليه ، والتَّواصل ضد التَّصارم ، ووصله توصيلاً إذا أكثر من وصله ، والوصل خلاف الفصل ، واتَّصل بالشيء لم ينقطع ^(١) .

الاجتماعيَّة : من جمع ، الجيم والميم والعين أصل واحد يدلُّ على تضام الشيء ، يقال : جمعت الشيء جمعاً ، وجمَعَ الشيءَ عن تفرقة يجمعه جمعاً ، وجمعه وأجمعه فاجتمع وتجمّع القوم : اجتمعوا أيضاً من ههنا وههنا ^(٢) .

(١) انظر : المقاييس ، كتاب الواو ، باب الواو والصاد وما يثلثهما (مادة : وصل) : ١٠٩٤ ، لسان العرب (مادة : وصل) :

١١ / ٧٢٦ ، ٧٢٧ .

(٢) انظر : المقاييس ، كتاب الجيم ، باب الجيم والميم وما يثلثهما (مادة : جمع) : ٢٢٤ ، لسان العرب (مادة : جمع) : ٥٣ / ٨ .

النسبية : من النَّسَبُ ، النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء ، منه النَّسَبُ ، سُمِّيَ لاتصّاله وللاتصّال به ، تقول : نسبتُ أنسبُ ، والنَّسَبُ : نسَبُ القَرَابَاتِ وهو واحدُ الأَنْسابِ . وقيل : هو في الآباءِ خاصّةً ؛ وفُلانٌ يُناسِبُ فلاناً فهو نَسِيبُهُ ؛ أي قريه ، ويقال : فلانٌ نَسِيبِي ، وهم أنسبائي (١) .

مقاصد الإسلام من العناية بشأن الصلّات الاجتماعية النسبية :

مقصد الإسلام من العناية بشأن الصلّات الاجتماعية النسبية ؛ والأمر ببرّ الوالدين وبصلة الرّحمِ يخلُصُ إلى مقصدين :

أحدهما : نفساني ؛ وهو تربية الجيل الناشئ على الاعتراف بالجميل لصانعه وهو الشكر فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، فيشكر الوالدين على نعمة الإيجاد الصّوري ونعمة التربية والرعاية .

والمقصد الثاني : عمراني ، أمر ﷺ بالبرّ والإحسان بالوالدين وذوي القربى . والإحسان إلى الصّاحب بالجنّب وقيل هي الزوجة ؛ ليقوّي أواصر المحبة والترابط ، ويربّي في النفوس من التحابّ والتوادّ ما يقوم مقام عاطفة الأمومة الغريزية في الأم ، ثم عاطفة الأبوة ثم وزّع الإسلام ما دعا إليه من ذلك بين بقية مراتب القرابة على حسب الدنو في القرب النسبي بما شرعه من صلة الرّحمِ ، وقد عزّز سبحانه قابلية الإنسان للاستجابة لما أمر سبحانه من البرّ (٢)

قال ﷺ : " إنَّ الله خلق الخلق ؛ حتى إذا فرغ منهم قامت الرّحمُ ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك . قالت : بلى . قال : فذاك لك " (٣) .

(١) انظر : المقاييس ، كتاب النون ، باب النون والسين وما يثلثهما (مادة : نسب) : ١٠٢٥ ، لسان العرب (مادة : نسب) : ٧٥٦ ، ٧٥٥ / ١ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير : ١٤ / ٦٠ .

(٣) أخرج البخاري بنحوه في كتاب التفسير ، باب وتقطعوا أرحامكم (٤٥٥٢) : ٤ / ١٨٢٨ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب البرّ والصلة والآداب ، باب صلة الرّحمِ وتحريم قطيعتها (٢٥٥٤) : ٤ / ١٩٨٠ . كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وأولى الناس بالبرِّ والإحسان هم الوالدان ، فلذلك قدّم الأمر بالإحسان إليهما في غير موضع من الكتاب العزيز ؛ جزاء ما يقدّمونه لأولادهما من برٍّ وعطفٍ وحنانٍ وتضحيةٍ وإيثارٍ .. فجزاهما الله عنّا خير الجزاء .



المبحث الأول : البرُّ بالوالدين

برُّ الوالدين فريضة لازمة ، وواجب محتم ، وعقوقهما حرام وذنبٌ عظيم ، وهو أعظم حقٍّ على العباد بعد حقِّ الله ﷻ ، وجاء التعبير بالمصدر المقيد ﴿إِحْسَانًا﴾ للتأكيد والمبالغة في الإحسان في خمس سور ، وذلك في :

■ في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ . [سورة البقرة : ٨٣] .

■ وقوله تعالى : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ . [سورة النساء : ٣٦] .

■ وقوله تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ . [سورة الأنعام : ١٥١] .

■ وقوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ . [سورة الإسراء : ٢٣] .

■ وقوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا.....﴾ . الآية . [سورة الأحقاف : ١٥] .

ولو لم يكن إلا أمر واحد من هذه الأوامر الخمسة لكفى في وجوب الإحسان بالوالدين وجوباً لا تسامح فيه . فكيف وقد جعل الله ﷻ برَّهما قرين توحيده وعبادته في القرآن الكريم ، وجعله ثاني الوصايا .

قال الزمخشري^(١) : " ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ، ونظمهما في سلك القضاء بهما معاً " . اهـ^(٢) .

ثم قرن شكرهما بشكره فقال سبحانه : ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ . [سورة لقمان : ١٤] . وفي هذا رفعٌ لمقام الأبوة والأمومة أيما رفع ، ولم تقف الوصية بهما عند هذا الحدِّ وبهذا الأسلوب بل جاءت في آيات أخرى بأسلوب الإيضاء ، وهو أن يعهد إلى الغير بعمل

(١) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٢) الكشاف : ٦١٥ / ٢ . وانظر : التفسير الكبير : ٧٧ / ١٠ ، تفسير القرطبي : ٢٣٨ / ١٠ ، تفسير النسفي : ٢٨٣ / ٢ (نقلًا عن الكشاف) ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥ ، فتح القدير : ٣ / ٢١٨ ، أضواء البيان : ٣ / ٨٥ .

ذي بال ، وهو يدلُّ على العناية التامة ، والاهتمام البالغ من الموصي بهذا العمل كما يدلُّ على سمو مكانة العمل ، ومن هنا كان أسلوب الإيضاء أقوى في البعث على الامتثال من أسلوب الأمر والتكليف ، ووصَّى الله بالإحسان إليهما في ثلاثة مواضع من الكتاب العزيز وذلك في :

- قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ... ﴾ . الآية . [سورة العنكبوت : ٨] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي غَمَمِينَ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ . [سورة لقمان : ١٤] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَّلَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ . الآية . [سورة الأحقاف : ١٥] .

الإحسان ^(١) لغة وشرحاً :

الإحسان لغة :

الحاء والسين والنون أصلٌ واحدٌ ، والحسن ضدُّ القبح ونقيضه ، والإحسان ضد الإساءة والمحاسن في الأعمال : ضدُّ المساويئ ^(٢) .

الإحسان شرعاً :

أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ^(٣) .

وكان للعلماء تعريفٌ للإحسان فقالوا :

- " هو التحقق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة " ^(٤) .
 أو : " هو إسلامٌ ظاهرٌ ، يقيمه إيمانٌ باطنٌ ، يكمله إحسانٌ شهوديٌّ " ^(٥) .

(١) الإحسان من مرادفات البر . انظر ص ١٨ .

(٢) انظر : المقاييس ، كتاب الحاء ، باب الحاء والسين وما يثلثهما (مادة : حسن) : ٢٦٢ ، لسان العرب (مادة : حسن) :

١٣ / ١١٤ ، ١١٧ .

(٣) التعريفات : ٢٧ . بتصرف يسير . وذلك من حديث جبريل المشهور عندما سأل الرسول ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان .

(٤) التعريفات : ٢٧ . بتصرف يسير .

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف : ٤٠ ، نقلاً عن الحرالي .

وقال الرَّاعِب (١) :

" الإحسان فعل ما ينبغي من المعروف ، وهو ضربان :

■ الإنعام على الغير

■ إحسان في فعله ، وذلك إذا عَلِمَ علماً حسناً ، أو عمل عملاً حسناً " . اهـ (٢) .

حقيقة الإحسان :

هو : سجيّة في النفس تحمل على مجاوزات المسيء بجوائز المحسن .

وقيل : هو معرفة الربوبية والعبودية معاً .

وقيل : إنفاق المعنى على العيان ، والإحسان لمن أساء كائناً من كان .

وقيل : هو إتقان العبادة بإيقاعها على وجهها ، مع رعاية حقّ الحقّ ومراقبته ، واستحضار

عظمته ابتداءً ودواماً (٣) .

جاء الإيحاء بلفظ : ﴿ حُسْنًا ﴾ و ﴿ إِحْسَانًا ﴾ فهل من فرق بينهما ؟

معنى حسناً : أي وصيائه فعلاً ذا حُسْن ، أو ما هو في ذاته حَسَن لفرط حُسْنه ، والحُسْن

خلاف القبح ، ثم أقام الصفة مقام الموصوف ؛ وهو الأمر ، ثم حذف المضاف وهو " ذا "

وأقام المضاف إليه مقامه ، وهو " حُسْن " ؛ من : حسن يحسن حسناً ، ومعنى إحساناً : أي

تحسن إليهما إحساناً ، من : أحسن يحسن إحساناً ، والإحسان خلاف الإساءة (٤) .

ففي الوصية بالوالدين حُسْنًا ؛ يفعل الولد كل ما هو حَسَن لإدخال السرور على قلب

والديه ، والإحسان إلى الوالدين أي البرّ بهما وعدم إساءتهما ، وهناك وجه شبه ؛ ولذلك

(١) سبق ترجمته في ص ٣ .

(٢) المفردات (مادة : حسن) : ١٢٦ .

(٣) فيض القدير : ٣ / ١٧١ ، ١٧٢ . بتصرف يسير .

(٤) انظر : الحجة في القراءات السبع : ٣٢٦ ، مشكل إعراب القرآن لمكيّ بن أبي طالب القيسي : ٢ / ٥٥٠ ، إبراز المعاني من حرز

الأمان في القراءات السبع لعبد الرحمن بن أسماعيل أبي شامة الدمشقي : ٢ / ٦٨٥ ، تفسير القرطبي : ١٦ / ١٩٣ ، تفسير النسفي :

قُرئ (١) : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ و (ووصينا الإنسان بوالديه حُسنًا) .
[سورة الأحقاف : ١٥] .

وبتتبع الآيات الكريمة السابقة نلاحظ أنه لم يأت لفظ (البرُّ) بالوالدين في القرآن الكريم بل جاء كله بالتعبير بلفظ (الإحسان) ، والإحسان هو البرُّ .

قال ابن عطية (٢) : " وفي الإحسان تدخل أنواع برِّ الوالدين كلّها " . اهـ (٣) .
لكننا نجد أن الله امتدح بعض أنبيائه برِّهم لوالديهم - أي بلفظ البرِّ - ؛ فقال سبحانه عن يحيى عليه السلام : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ . [سورة مريم : ١٤] . وقال عن عيسى عليه السلام : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ . [سورة مريم : ٣٢] .

وإنما أكد الله تعالى هذا الحقّ وكرّر الأمر به في أكثر من آية ، وقرنه بعبادته ، فهما سبب وجود الإنسان المباشر ، فإنكار حقّهما ذريعة لإنكار حقّ الله بوصفه الخالق .

بر الوالدين لغة (٤) :

يقال : يبرُّ والديه وذا قرابته ، وأصله الصدق في المحبة ، يقال : رجل برٌّ وبارٌّ ، وجمع البرِّ أبرار وجمع البارِّ برّرة ، والبرُّ إذا أضيف إلى الوالدين أو ذي القرابة كان معناه ضدُّ العقوق وهو الإساءة إليهم والتضييع لحقّهم (٥) .

قال القرطبي (٦) :

" عقوق الوالدين مخالفتهم في أغراضهما الجائزة لهما كما أن برّهما موافقتهم على أغراضهما ، وعلى هذا إذا أمرا أو أحدهما ولدهما بأمر وجبت طاعتهم فيه إذا لم يكن ذلك الأمر معصية ، وإن كان ذلك المأمور به من قبيل المباح في أصله ، وكذلك إذا كان من قبيل

(١) قرأ عاصم وحجرة والكسائي وخلف ووافقهم الأعمش : (إْحْسَانًا) بزيادة همزة مكسورة فحاء ساكنة وفتح السين وألف بعدها ، وقرأ الباقون : (حُسْنًا) - بضم الحاء وسكون السين - بلا همز ولا ألف ، واتفقوا على أن موضع العنكبوت كقفل ، ومواقع البقرة والنساء والأنعام والإسراء كإكرام . انظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي : ٥٠٣ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٢٠٠ .

(٣) المحرر الوجيز : ١ / ١٧٢ . وانظر : تفسير النعالي : ١ / ٨٣ ، روح المعاني : ١ / ٣٠٨ .

(٤) سبق تعريف البرِّ لغة في ص ١٢ ، وأنه يرجع إلى أربعة أصول ، ويرجع برُّ الوالدين إلى المعنى الأول وهو الصدق .

(٥) انظر : المقاييس ، كتاب الباء ، باب الباء والراء وما يثلثهما (مادة : بر) : ١٠٧ ، لسان العرب (مادة : بر) : ٤ / ٥٤ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

المندوب ، وقد ذهب بعض الناس إلى أن أمرهما بالمباح يصيره في حقّ الولد مندوباً إليه وأمرهما بالمندوب يزيده تأكيداً في نديته " . اهـ (١) .

فضل برّ الوالدين :

أولاً : أنه من أفضل الأعمال :

عن عبد الله بن مسعود (٢) رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أيّ العمل أفضل ؟ قال : الصلاة لوقتها . قال : قلت : ثمّ أيّ ؟ قال : برّ الوالدين . قال : قلت : ثمّ أيّ ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . فما تركت أستزيده إلاّ إرعاء عليه " (٣) .

أخبر صلى الله عليه وسلم أن برّ الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة ؛ التي هي أعظم دعائم الإسلام ، ورُتب ذلك بـ " ثمّ " التي تفيد الترتيب والمهلة .

ثانياً : أنه سببٌ من أسباب مغفرة الذنوب وتكفيرها :

قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ... ﴾ . [سورة الأحقاف : ١٥] . إلى أن قال في آخر الآية الثانية : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ . [سورة الأحقاف : ١٦] .

وعن ابن عمر (٤) رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل ، فقال : يا رسول الله ، إني أذنبت ذنباً كثيراً فهل لي من توبة ؟ قال : " ألك والدان ؟ " . قال : لا . قال : " فلك خالة ؟ " . قال : نعم . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فبرّها " (٥) .

ثالثاً : أنه سببٌ من أسباب دخول الجنة :

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أردت أن أغزو ، وقد جئت أستشيرك . فقال : " أهل لك من أم ؟ " . قال : نعم . قال : " فالزمها فإنّ الجنة عند رجلينها " (٦) .

(١) تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٣٨ .

(٢) صحابي جليل . انظر : ص ٢٥ .

(٣) سبق تخريجه في ص ١٧٠ ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ١٣٥ .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب البرّ والصلة (٧٢٦١) : ٤ / ١٧١ . وقال : هذا حديث صحيح على شرط

الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٦) أخرجه النسائي - واللفظ له - في السنن الكبرى في كتاب الجهاد ، باب الرخصة في التخلف لمن له والدة (٤٣١٢) : ٣ / ٨

وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب الجهاد ، باب الرجل يغزو وله أبوان (٢٧٨١) : ٢ / ٩٢٩ ، وأخرج أحمد بنحوه في حديث =

ويا لتعاسة من أدرك والديه عند الكبر فلم يدخله الجنة . قال ﷺ : " رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف . قيل : من يا رسول الله ؟ قال : من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة " (١) .

رابعاً : أنه سبب في رضا الرب :

قال ﷺ : " رضى الرب في رضى الوالد وسخط الرب في سخط الوالد " (٢) .

خامساً : أنه سبب في زيادة العمر (٣) وبركة الرزق :

قال ﷺ : " من أحب أن يمد له في عمره ، وأن يزداد له في رزقه فليبر والديه ، وليصل

= معاوية الليثي : ٣ / ٤٢٩ ، وأخرج الحاكم بنحوه وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله ثقات . انظر : المستدرک على الصحيحين : ٢ / ١١٤ ، مجمع الزوائد : ٨ / ١٣٨ . والرجل هو جاهمة .

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما ثم الكبر فلم يدخل الجنة (٢٥٥١) : ٤ / ١٩٧٨ . عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين (١٨٩٩) : ٤ / ٣١٠ . قال العجلوني : رواه الترمذي عن ابن عمر رفعه ، والأكثر على وقفه على ابن عمر ورواه الحاكم والطبراني والبيهقي والبخاري وغيرهم موقوفاً . انظر : كشف الخفاء : ١ / ٥٢٠ . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . انظر : المستدرک على الصحيحين : ٤ / ١٦٨ .

(٣) قيل : ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَفْرِجُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ . [سورة يونس : ٤٩] . والجمع بينهما من وجهين :

■ أحدهما : أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة ، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة ، وصيانته عن تضييعه ذلك ، ومثل هذا ما جاء أن النبي ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر ، وحاصله أن صلة الرحم تكون سبباً للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية ، فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمض ، ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده ، والصدقة الجارية عليه والخلف الصالح .

■ ثانيهما : أن الزيادة على حقيقتها ، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر ، وأما الأول الذي دلت عليه الآية فالنسبة إلى علم الله تعالى ، كأن يقال للملك مثلاً : أن عمر فلان مائة مثلاً إن وصل رحمه ، وستون إن قطعها ، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع ، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر ، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص ، واليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ . [سورة الرعد : ٣٩] . فالخو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك ، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى ؛ فلا محو فيه البتة ، ويقال له : القضاء المبرم ، ويقال للأول : القضاء المعلق . وقيل غير ذلك . انظر : فتح الباري : ١٠ / ٤١٦ .

رحمه " (١) .

سادساً : أنه سبب في بر أبنائك لك :

برّ الوالدين والسعي في مرضاهما شيء يجبه كل إنسان لنفسه ، ومن كان في يومه ولداً باراً أو عاقاً فسوف يكون غداً محتاجاً إلى برّ أبنائه وبناته ، وسيفعلون معه كما فعل ، وكما تدين تدان ، والجزاء من جنس العمل . قال ﷺ : " برُّوا آباءكم تيركم أبنائكم ، وعفوا تعف نساؤكم " (٢) .

وأجمع آية في برّ الوالدين :

قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۗ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝ ﴾ [سورة الإسراء : ٢٣ ، ٢٤] .

قال سيّد قطب (٣) : " بهذه العبارات النديّة ، والصور الموحية ، يستجيش القرآن الكريم وجدان البرّ والرحمة في قلوب الأبناء . ذلك أنّ الحياة وهي مندفعة في طريقها بالأحياء توجه اهتمامهم القويّ إلى الأمام .. إلى الذرية .. إلى الناشئة الجديدة .. إلى الجيل المقبل وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء .. إلى الأبوة .. إلى الحياة المولّية .. إلى الجيل الذاهب ! ومن ثمّ تحتاج البنوة إلى استجاشة وجدانها بقوة لتنعطف إلى الخلف ، وتلتفت إلى الآباء والأمهات " اهـ (٤) .

(١) أخرجه أحمد في مسند أنس بن مالك ﷺ (١٣٤٢٥) : ٣ / ٢٢٩ ، (١٣٨٣٨) : ٣ / ٢٦٦ . قال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . انظر : مجمع الزوائد : ١٣٦ / ٨ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط من حديث ابن عمر ﷺ (١٠٠٢) : ١ / ٢٩٩ . قال المناوي : " قال المنذري : إسناده حسن . وقال الهيثمي : رجاله رجال شيخ الطبراني منسوب ، والظاهر أنه من المكثرين من شيوخه ؛ فلذلك لم ينسبه . وبالغ ابن الجوزي فجعله موضوعاً " . انظر : الترغيب والترهيب من الحديث الشريف لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري : ٣ / ٢١٨ ، مجمع الزوائد : ١٣٨ / ٨ ، فيض القدير : ٢٠٠ / ٣ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٩ .

(٤) الظلال : ٤ / ٢٢٢١ .

وفي الآية ما يوجب المبالغة في الإحسان إلى الوالدين كما يلي :

أحدها : أنه تعالى قال في الآية المتقدمة : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ١٩] . ثم أردف سبحانه بهذه الآية المشتملة على الأعمال التي بواسطتها يحصل الفوز بسعادة الآخرة ، فذكر من جملتها البرُّ بالوالدين وذلك يدلُّ على أن هذه الطاعة من أصول الطاعات التي تفيد سعادة الآخرة .

وثانيهما : أنه تعالى بدأ بذكر الأمر بالتوحيد ، وثنى بطاعة الله تعالى ، وثالث بالبرِّ بالوالدين وهذه درجة عالية ومبالغة عظيمة في تعظيم هذه الطاعة .

وثالثهما : أنه تعالى لم يقل : وإحساناً بالوالدين ؛ بل قال : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ فتقدم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام .

ورابعها : أنه قال : ﴿ إِحْسَانًا ﴾ بلفظ التنكير ؛ والتنكير يدل على التعظيم ، والمعنى : وقضى ربك أن تحسنوا إلى الوالدين إحساناً عظيماً كاملاً ، وذلك لأنه لما كان إحسانهما إليك قد بلغ الغاية العظيمة ؛ وجب أن يكون إحسانك إليهما كذلك ، ومهما كان برُّ الابن فلن يستطيع أن يكافأ والديه ؛ لأنَّ إنعامهما عليه كان على سبيل الابتداء ، وفي الأمثال المشهورة : أن البادي بالبرِّ لا يكافأ^(١) .

قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ :

في هذه الآية الكريمة يأمر سبحانه بعبادته وحده لا شريك له ؛ والقضاء ههنا بمعنى : الأمر . قال مجاهد^(٢) : ﴿ وَقَضَىٰ ﴾ يعني : وصى . وكذا قرأ^(٣) أبي بن كعب وابن مسعود^(٤) :

﴿ (ووصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) ﴾^(٥) .

(١) التفسير الكبير : ٢٠ / ١٤٩ ، بتصرف يسير . وانظر : المحرر الوجيز : ١ / ١٧٢ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٣) هذه القراءة بالغة الشُّدُود ، فهي ليست من القراءات المتواترة ولا من القراءات الشاذة ؛ فلم يذكرها الديمياطي في كتابه في أوجه

القراءة في سورة الإسراء . انظر : إتحاف فضلاء البشر : ٣٥٥ - ٣٦٢ .

(٤) صحابييان جليلان ، انظر : ص ٢٥ .

(٥) انظر : أحكام القرآن للحصاص : ١٩ / ٥ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٧ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٣٩ ، تفسير ابن كثير :

ويجوز أن تكون (أن) مفسرة و (لا) ناهية ، وأتفق العلماء على أن في قوله : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ محذوفاً ، والتقدير : وأحسنوا بالوالدين إحساناً ؛ فـ : ﴿ إِحْسَانًا ﴾ مصدر ناب مناب فعله ، لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيّش ، ولهما من المحبة للولد والإحسان والقرب ما يقتضي تأكيد الحقّ ووجوب البرّ . وقد كان كثير من العرب في جاهليتهم أهل جلافة ، فكان الأولاد لا يوقرون آباءهم إذا بلغوا الكبر ؛ فليذلك كثرت وصاية القرآن بالإحسان بالوالدين ^(١) .

واللغة تعرف الإحسان متعدّياً بالباء ، وإلى . يقال : أحسنت بفلان وإلى فلان ، وبينهما فرق واضح ، فالباء : تدلّ على الإلصاق ، وإلى : تدلّ على الغاية ، والعلماء يفرقون بينهما بأن من أحسنت به هو من يتصل به بركّ وحسن معاملتك من ذوي قرباك ، ومن أحسنت إليه هو الذي تسدي إليه بركّ ولو على بعد أو بالواسطة أو كان نفعاً مالياً ^(٢) ، ولا ريب أن الإلصاق في هذا المقام أبلغ في تأكيد شأن العناية والإحسان بالوالدين .

قوله تعالى : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾ ^(٣) :

﴿ إِمَّا ﴾ مركبة من (إن) الشرطية و (ما) الزائدة لتأكيد معنى الشرط ، ولهذا فهي لا تفيد التكرير ، وإنما دخلت معها نون التوكيد للفرق بينهما وبين التي للتخيير ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ . [سورة الإنسان : ٣] . ولذلك صحّ لحقّ النون المؤكدة للفعل ، ولو أفردت (إن) لم يصحّ دخولها ^(٤) .

(١) انظر : الكشاف : ٢ / ٦١٤ ، المحرر الوجيز : ٢ / ٤٩ ، التفسير الكبير : ١٠ / ٧٧ ، تفسير القرطبي : ٧ / ١٣٢ ، تفسير

البيضاوي : ٣ / ٤٣٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٦٦ ، التحرير والتنوير : ٧ / ١١٨ .

(٢) انظر : البرهان : ٤ / ٢٣٣ ، ٢٥٢ ، الإتيان : ١ / ٤٦٢ ، التحرير والتنوير : ٤ / ١٢٣ .

(٣) قرأ حمزة والكسائي : (إمّا يبلغان) على الاثنین ، وقرأ الباقون : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ ﴾ على واحد . انظر : حجّة القراءات : ٣٩٩

إتحاف فضلاء البشر : ٣٥٦ .

(٤) انظر : البيضاوي : ٣ / ٤٣٩ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٨٣ ، البرهان : ٤ / ٢٤٥ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٦٦ .

ما معنى : ﴿عِنْدَكَ﴾ ؟ ولماذا تقدّم على مفعوله : ﴿الْكَبِيرِ﴾ ؟ ولماذا توحد

الضمير في ﴿عِنْدَكَ﴾ وما بعده ؟ ولماذا خصّ حالة الكبر ؟

إنّ الوالدين عندما يكبرا ويعجزا ، ويصبح كل واحد منهما كلاً على ولدهما لا كافل لهما غيره ، فهما عنده في بيته وكنفه ، وذلك أشق عليه وأشدّ احتمالاً وصبراً ، وربّما تولّى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة ، فهو مأمور بأن يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال .

وتقديمه على المفعول مع أن حقه التأخر عنه للتشويق إلى وروده ؛ فإنه مدار تضاعف الرّعاية والإحسان ، وتوحيد الضمير في : ﴿عِنْدَكَ﴾ وفيما بعده مع أن ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد ؛ فإن المقصود هي كلّ أحد عن التأفّف من والديه ونهرهما ، ولو قوبل الجمع بالجمع أو بالثنية لم يحصل هذا المرام ، وللإشعار بأن كل فرد من الأفراد منهيّ بما فيه النهي ومأمور بما فيه الأمر ، وإنما خصّ حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البرّ والقيام بحقوقهما لضعفهما .

قال المفسّرون : وإنما هي عن أذاهما في الكبر وإن كان منهيّاً عنه على كل حالة ؛ لأن حالة الكبر يظهر فيها منهما ما يضر ويؤذي وتكثر خدمتهما .

﴿أَحَدُهُمَا﴾ : فاعل ﴿يَبْلُغَنَّ﴾ ، ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ : عطف على ﴿أَحَدُهُمَا﴾^(١) .

وقيل فيه : إن بلغت حال الكبر وهو حال التكليف ، وقد بقي معك أبواك أو أحدهما فلا تقل لهما أف . وعن مجاهد قال : لا تقل لهما إذا بلغا من الكبر ما كان يليها منك في الصغر فلا تقل لهما أف .

قال الجصاص^(٢) :

" اللفظ محتمل للمعنيين فهو عليهما ، ولا محالة أن بلوغ الولد شرط في الأمر ؛ إذ لا يصحّ تكليف غير البالغ ، فإذا بلغ حال التكليف وقد بلغا حال الكبر والضعف إذ لم يبلغا فعليه الإحسان إليهما " . اهـ^(٣) .

(١) انظر : الكشاف : ٢ / ٦١٥ ، زاد المسير : ٥ / ٢٥ ، البيضاوي : ٣ / ٤٣٩ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ١٦٩ ، تفسير

القرطبي : ١٠ / ٢٤٢ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٦٦ ، فتح القدير : ٣ / ٢١٨ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٥ .

خمس من الإحسان بالوالدين :

أمر الله سبحانه في هذه الآية الكريمة بالإحسان إلى الوالدين ، ثم ذكر في شرح ذلك الإحسان خمسة أمور : وهي قوله : ﴿ فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (١) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (٢) .

أولاً : قوله سبحانه : ﴿ فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٌّ ﴾ (١) :

بَيَّنَّ ﷺ صفة الإحسان إليهما بالقول والفعل والمخاطبة الجميلة على وجه التذلل والخضوع ونهى عن التبرُّم والتضجُّر بهما بقوله : ﴿ فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٌّ ﴾ ونهى عن الإغلاظ والزجر لهما بقوله : ﴿ وَلَا تَنْهَرُهُمَا ﴾ فلا يقول الولد لواحد من والديه في حالتي الاجتماع والانفراد وليس المراد حالة الاجتماع فقط : ﴿ أَفٌّ ﴾ ، أي : لا يسمعهما قولاً سيئاً ؛ حتى ولا التأفُّف الذي هو أدنى مراتب القول السيء ، فهنا ضيق سبحانه الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخِّص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ، ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في استطاعة ، فالمراد المنع من إظهار الضجر بالقليل أو الكثير .
قال الفراء (٢) : تقول العرب : فلان يتأفف من ريحٍ وجدها ، أي : يقول : أف . أف . فأما معنى ﴿ أَفٌّ ﴾ ففيه أقوال منها :

- أنه وسخ الظفر .
- أنه وسخ الأذن .
- أن الأفَّ الاحتقار والاستصغار من الأفَّف ، والأفَّف عند العرب القلَّة .

(٢) أحكام القرآن للحصَّاص : ١٩ / ٥ .

(١) اختلفوا في فتح الفاء وكسرها والتنوين من قوله : (فلا تقل لهما أف) . فقرأ ابن كثير وابن عامر : (أفٌّ) بفتح الفاء ، وقرأ نافع : (أفٌّ) : بالتنوين وكذلك في سورة الأنبياء : ٦٧ ، وسورة الأحقاف : ١٧ ، وحفص عن عاصم مثله ، وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وحمة والكسائي : (أفٌّ) خفصاً بغير تنوين . انظر : السبعة في القراءات لأحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي : ٣٧٩ ، حجة القراءات : ٣٩٩ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٩٩ .

■ وقيل : معنى الأَفِّ التَّنُّ والتضجُّر ، وأصلها نفخك الشيء يسقط عليك من تراب ورماد وللمكان تريد إمطة الأذى عنه ، فالصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قول القائل : أفّ . ثم توسّعوا فذكروه عند كلِّ مكروه يصل إليهم . والحاصل أنه اسم فعل ينبئ عن التضجر والاستثقال ، أو صوت ينبئ عن ذلك ، وإثما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر من الإنسان ، فنهى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين فأولى وأحرى ألا يقال لهما ما فوق ذلك ، والنهي عن ذلك يدلُّ على المنع من سائر أنواع الإيذاء قياساً بطريق الأولى ^(١) ، وأما تنوينها فهو للتكثير .

عن مجاهد ^(٢) في قوله : ﴿ فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٌّ ﴾ لما تميط عنهما من الأذى الخلاء والبول كما كانا لا يقولانه فيما كانا يميطان عنك من الخلاء والبول .

وإنما صارت قوله : ﴿ أَفٌّ ﴾ للأبوين أردأ شيء لأنه رفضهما رفض كفر النعمة ، وجحد التربية ، ورد الوصية التي أوصاه إياها في التزليل ، و ﴿ أَفٌّ ﴾ كلمة مقولة لكل شيء مرفوض ولذلك قال إبراهيم عليه السلام لقومه : ﴿ أَفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . [سورة الأنبياء : ٦٧] .

أي : رفض لكم ولهذه الأصنام معكم .

ثانياً : قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَنْهَرُهُمَا ﴾ :

خصَّ سبحانه بالذكر بعض أنواع الإيذاء لإظهار الاعتناء بشأنه ، فقال : ﴿ وَلَا تَنْهَرُهُمَا ﴾ والنَّهْرُ : الزجر والغلظة في القول ، يقال : يقال نهْرته انهْره نهراً ، وانتهرته انتهاراً . بمعنى واحد ^(٣) ؛ إذا استقبله بكلام يزجره . قال الزجاج ^(٤) : معناه لا تكلمهما ضحراً صائحاً

^(١) وذلك عن طريق فحوى الخطاب فإن العلة من النهي عن التأفف الإيذاء ، وهذه العلة يدركها كل من يفهم الألفاظ ومعانيها ، وهي توجد بشكل أقوى في ضرب الوالدين وشمتهما ومنعهما من الطعام والشراب ، ويكون ذلك منهى عنه لوجود علة حرمة التأفف وهي الإيذاء بشكل أقوى ، فنبوت حرمة جميع أنواع الإيذاء عن طريق فحوى الخطاب . انظر : للمع في أصول الفقه لإبراهيم بن علي الشيرازي : ١ / ٤٤ ، قواطع الأدلة في الأصول لمنصور بن محمد أبي المظفر السمعاني : ١ / ٢٣٦ .

^(٢) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

^(٣) انظر : لسان العرب (مادة : نهر) : ٥ / ٢٣٩ ، القاموس المحيط (مادة : نهر) : ٤٣١٧ .

^(٤) سبق ترجمته في ص ٥٥ .

في وجوههما . وقيل : لا تزجرهما عمًّا لا يعجبك على وجه الاستخفاف بهما والاعلاظ لهما ، فالمراد المنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الردِّ عليهما والتكذيب لهما .
وقيل : ﴿ وَلَا تَهَرَّهْمَا ﴾ أي : لا تنفض يدك عليهما .

ثالثاً : قوله سبحانه : ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ :

لما منع تعالى الإنسان بالآية المتقدمة عن ذكر القول المؤذي الموحش ؛ لا جرم أردفه بأن أمره بالقول الحسن والكلام الطيب . فقال : ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ أي : قولاً جميلاً ليناً لطيفاً سهلاً حسناً لا شراسة فيه ، أحسن ما يمكن التعبير عنه ؛ كما يقتضيه حسن الأدب والتزول على المروءة ، مع التأدب والحياء والتوقير والاحترام والاحتشام ، ويكون قولاً تفرح به قلوبهما وتطمئن به نفوسهما ، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والعوائد والأزمان .
وقيل : إذا دعواك فقل : لبيكما وسعديكما .

قال مجاهد ^(١) :

لا تسمِّهما ولا تكنِّهما ، وقل لهما : يا أبتاه ، يا أمَّاه ^(٢) . كما قال إبراهيم لأبيه : ﴿ يَتَأَبَّتْ ﴾ مع كفره ، ولا يدعوها بأسمائهما ؛ لأنه من الجفاء وسوء الأدب . قالوا : ولا بأس به في غير وجهه ، كما قالت عائشة ^(٣) - رضي الله عنها - : نحلني أبو بكر ^(٤) كذا ^(٥) .

^(١) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

^(٢) نقل الفخر الرازي في تفسيره هذا القول عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ونقله كثير من المفسرين عن مجاهد .

^(٣) صحابية جلييلة وأم المؤمنين ، انظر : ص ٦٤ .

^(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ٨٧ .

^(٥) هذا أثر عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - . انظر : خلاصة البدر المنير : ٢ / ١٢٢ .

وسئل سعيد بن المسيّب (١) عن القول الكريم فقال : هو قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ . وقيل : هو أن تتكلّم معهما بشرط أن لا ترفع عليهما صوتك ، ولا تشدّ إليهما نظرك . وذلك لأن هذين الفعلين ينافیان القول الكريم (٢) . والأوّل أن ينظر لهما نظر رحمة فهو عبادة .

سئل الحسن ما البرّ؟ قال : الحب والبذل . فقيل : ما العقوق؟ قال : أن تحرمهما وتهجرهما ثمّ قال : ويحك ، ما شعرت أن نظرك في وجه والديك عبادة؟ فكيف بالبرّ بهما ! (٣) .
فإن قيل : إن إبراهيم عليه السلام كان أعظم الناس حلماً وكرماً وأدباً فكيف قال لأبيه : آزر وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءِإِلَٰهَةً إِنِّي أُرْسِلُ بِرَحْمَةِ رَبِّي وَأَنَا مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٤] . فخاطبه بالاسم وهو إيذاء ، ثم نسبه ونسب قومه إلى الضلال وهو أعظم أنواع الإيذاء؟

قال الفخر الرّازي (٤) : " إن قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ يدلّ على أن حقّ الله تعالى مقدّم على حقّ الأبوين ، بإقدام إبراهيم عليه السلام على ذلك الإيذاء إنما كان تقدماً لحقّ الله تعالى على حقّ الأبوين " . اهـ (٥) .

(١) هو سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب المخرومي القرشي ، أبو محمد : سيد التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة في المدينة . جمع بين الحديث والفقاه والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت ، لا يأخذ عطاءً ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب عليه السلام وأقضيته حتى سمي : راوي عمر . ت بالمدينة سنة ٩٤ هـ . انظر : الطبقات لخليفة بن خياط : ١ / ٢٤٤ ، الطبقات الكبرى : ١١٩ / ٥ ، حلية الأولياء : ١٦١ / ٢ ، صفة الصفوة : ٧٩ / ٢ .

(٢) انظر : أحكام القرآن للحصاص : ١٩ / ٥ ، ٢٠ ، تفسير البغوي : ١١٠ / ٣ ، الكشاف : ٦١٥ / ٢ ، زاد المسير : ٢٤ / ٥ ، ٢٥ ، التفسير الكبير : ١٥٢ / ٢٠ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٤٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٨٣ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ١٦٩ / ٢ ، ١٧٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥ ، تفسير النعالي : ٢ / ٣٣٧ ، تفسير أبي السعود : ١٦٦ / ٥ فتح القدير : ٣ / ٢١٨ ، ٢٢٠ .

(٣) البرّ والصلة للحسين بن الحسن المروزي : ٩ . ورجال إسناده حسن . ورؤي عن ابن عباس عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من رجل ينظر إلى أمه رحمة لها إلا كانت له حجة مقبولة مروراً . قيل : يا رسول الله ، وإن نظر إليها في اليوم مائة مرة؟ قال : وإن نظر إليها في اليوم مائة ألف مرة فإن الله أكثر وأطيب " . أورده ابن الجوزي في كتابه : برّ الوالدين وصلة الرّحم : ٣٧ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٨ .

(٥) التفسير الكبير : ١٥٢ / ٢٠ .

رابعاً : قوله سبحانه : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ ^(١) مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ :

ذكر القفال ^(٢) في معنى خفض الجناح وجهين :

■ الأول : أن الطائر إذا أراد ضمّ فراخه إليه للتربية خفض لها جناحه ، فهذا صار خفض الجناح كنايةً عن حسن التدبير ، فكأنه قال للولد : اكفل والديك بأن تضمّهما إلى نفسك كما فعلا ذلك بك في حال صغرك .

■ الثاني : أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه ، وإذا أراد السّترول خفض جناحه ^(٣) ، فصار خفض الجناح كناية عن التواضع وترك الارتفاع .

وفي معنى قوله : ﴿ جَنَاحَ الذُّلِّ ﴾ وجهان :

■ أحدهما : أنها كإضافة حاتم إلى الجود ؛ في قولك : حاتم الجود . هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف .

■ الثاني : سلوك سبيل الاستعارة ؛ كأنه تحيل للذل جناحاً ، ثم أثبت لذلك الجناح خفضاً وذلك مبالغة في التذلل والتواضع للوالدين .

قال الزّجاج ^(٤) : « وَالنَّ جَانِبَكَ مَتَذَلِّلاً لهُمَا مِنْ مِبَالِغَتِكَ فِي الرَّحْمَةِ لهُمَا .

وقيل : يلين لهما حتى لا يمتنع من شيء أحباه .

فينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلّة في أقواله وسكناته ونظره ولا يحدّ إليهما بصره ، يتواضع لهما ذلاً لهما ورحمة واحتساباً للأجر ؛ لا لأجل الخوف منهما أو الرجاء لما لهما ، ونحو ذلك من المقاصد التي لا يؤجر عليها العبد ، والخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ والمراد به أمته ؛ إذ لم يكن له ﷺ في ذلك الوقت أبوان ، ولم يذكر الذلّ في قوله تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [سورة الشعراء :

. [٢١٥] .

^(١) قرأ الجمهور : (الذل) بضم الذال ، وقرأ أبو رزين والحسن وسعيد بن جبير وقتادة وعاصم الجحدري وابن أبي عمير وعروة بن الزبير بكسر الذال (الذل) انظر : زاد المسير : ٥ / ٢٤ ، فتح القدير : ٣ / ٢١٨ . وهذه قراءة بالغة الشذوذ ؛ فهي ليست من القراءات الأربعة عشر (العشر المتواترة والأربعة الشاذة) . انظر : إتخاف فضلاء البشر : ٣٥٦ .

^(٢) سبق ترجمته في ص ٣٦٦ .

^(٣) اعترض أبو السعود على القفال بقوله : وأما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام . انظر :

تفسير أبي السعود : ٥ / ١٦٦ ، ١٦٧ .

^(٤) سبق ترجمته في ص ٥٥ .

وذكره هنا بحسب عظم الحقّ وتأكيده ، و ﴿ مِنْ ﴾ في قوله : ﴿ مِنْ الرَّحْمَةِ ﴾ لبيان الجنس أي : إن هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس ؛ لا بأن يكون ذلك تكلفاً ويصحُّ أن يكون لانتهاه الغاية .

و ﴿ مِنْ الرَّحْمَةِ ﴾ فيه معنى التعليل ، أي : من أجل فرط الشفقة والعطف عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم لمن كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس .

خامساً : قوله سبحانه : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ :

ثم أمر تعالى عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم ، وأن ترحمهما كما رحماك وترفق بهما كما رفق بك ؛ إذ ولياك صغيراً جاهلاً محتاجاً فأثراك على أنفسهما ، وأسهرها ليلهما وجاعا وأشبعاك ، وتعرياً وكسواك ؛ فلا تجزيهما إلا أن يبلغا من الكبر الحدّ الذي كنت فيه من الصغر فتليّ منهما ما وليا منك ، ويكون لهما حينئذ فضل التقدّم .

ولم يقتصر سبحانه في تعليم البرّ بالوالدين على تعليم الأقوال ؛ بل أضاف إليه تعليم الأفعال وهو أن يدعو لهما بالرحمة ، فيقول : ﴿ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا ﴾ ولفظ الرحمة جامع لكل الخيرات في الدّين والدنيا ^(١) . ثم يقول : ﴿ كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ ، يعيّن : ربّ أفعّل بهما هذا التسوّع من الإحسان كما أحسنا إليّ في تربيتهما إياي ، والكاف في محل نصب على أنه صفة لمصدر محذوف ، أي : رحمة مثل تربيتهما لي ، أو مثل رحمتهما لي على أن التربية رحمة ، ويجوز أن يكون لهما الرحمة والتربية معاً وقد ذكر أحدهما في أحد الجانبين والآخر في الآخر ، كما يلوح به التعرّض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء ، كأنه قيل : ربّ ارحمهما وربّهما كما رحمتني وربّاني صغيراً . ويجوز أن يكون الكاف للتعليل ؛ أي لأجل تربيتهما لي ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٨] .

(١) هذا قول القفال نقله عنه الرازي . انظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٥٣ .

والتربية^(١) هي : التنمية ، وأمر الله لعباده بالترحم على آبائهم وذكر متنتهما عليه في التربية ليكون تذكّر تلك الحالة مما يزيد الإنسان إشفاقاً لهما وحناناً عليهما .
 وفهم من هذا أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق ، وكذلك من تولّى تربية الإنسان في دينه وديناه تربيةً صالحةً غير الأبوين فإن له على من ربّاه حقّ التربية .
 ويقال معناه : أدع لهما بالرحمة بعد موتهما ، أي : كن باراً بهما في حياتهما وادع لهما بعد موتهما^(٢) ، واستحب بعض السلف أن يدعو المرء لوالديه في أواخر التشهد قبيل السلام لأنّه وقت فاضل^(٣) .

حكم برّ الوالدين الكافرين :

قيل : قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ منسوخ بقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة التوبة : ١١٣] . فلا ينبغي للمسلم أن يستغفر لوالديه ولا يترحم عليهما إذا كانا مشركين^(٤) .
 والقول المعتمد أن الآية محكمة لا نسخ فيها ؛ لأنّ للوالدين حقاً عظيماً لكونهما والدين لهما حقّ التربية وإن كانا كافرين ، فيجوز التلطّف معهما ، والدعاء لهما بالهداية والرشاد ماداماً حيّين ، ولكن إذا ماتا على الكفر فلا يجوز الاستغفار لهما ، قال ﷺ : " استأذنت ربي ﷻ في الاستغفار لها - أي لأمّه - ، قال : فأنزل عليّ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ . الآية .^(٥)

(١) التربية من قولهم : ربا الشيء إذا انتفع ، وربّتها : نمّأها ، وزادها ، وأتمّها ، وأصلحها . والراء والباء يدل على ثلاثة أصول : فالأوّل : إصلاح الشيء والقيام عليه ، والثاني : لزوم الشيء والإقامة عليه ، والثالث : ضمّ الشيء إلى الشيء . انظر : المقاييس ، كتاب الراء ، باب الراء وما معها في الثنائي والمطابق (مادة : ربّ) : لسان العرب (مادة : رب) : ١ / ٤٥٥ .

(٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ١٩ ، ٢٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٠ ، ١١١ ، الكشاف : ٢ / ٦١٥ ، ٦١٦ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤٤٩ ، زاد المسير : ٥ / ٢٤ ، ٢٥ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ١٥٢ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٤٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٤٠ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٨٣ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ١٧٠ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥ ، تفسير الثعالبي : ٢ / ٣٣٧ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٦٦ ، ١٦٧ ، فتح القدير : ٣ / ٢١٨ ، ٢١٩ ، تفسير السعدي : ٤٥٦ .

(٣) انظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ١٥٣ ، محاسن التأويل : ١٠ / ٢٢٠ .

(٤) قاله ابن عباس ؓ وقتادة ، وهو قول الجصاص والبغوي وابن كثير والشوكاني ، انظر : الناسخ والمنسوخ لقتادة السدوسي : ٤٤ ، أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٢٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٠ ، ١١١ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٥ ، فتح القدير : ٣ / ٢٢٠ .

(٥) انظر : الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس : ٥٤٥ .

قال القرطبي (١) :

" ليس هذا موضع نسخ ، فهو دعاء بالرحمة الدنيوية للأبوين المشركين ما دام حيين ، أو يكون عموم هذه الآية حصّ بتلك لا رحمة الآخرة ، لا سيما وقد قيل : إن قوله : ﴿ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا ﴾ نزلت في سعد بن أبي وقاص (٢) فإنه أسلم فألقت أمه نفسها في الرمضاء متجرّدة ، فذكر ذلك لسعد ، فقال : لِمَ تَمُت . فترت الآية . وقيل : الآية خاصة في الدعاء للأبوين المسلمين . والصواب : أن ذلك عموم " . اهـ (٣) .

وأنفق أكثر العلماء على أنه يجب برّ الوالدين وإن كانا كافرين ، فلا يختص برّ الوالدين بأن يكونا مسلمين ؛ بل إن كانا كافرين يبرّهما ويحسن إليهما إذا كان لهما عهد (٤) .

قال الله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَىكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [سورة المتحنة : ٨] .

وعن أسماء بنت أبي بكر (٥) - رضي الله عنهما - قالت : قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ ، فاستفتيت النبي ﷺ فقلت : إن أمي قدمت وهي راغبة (٦) أفأصلها؟ قال : " نعم ، صلي أمك " (٧) .

(١) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٢) هو سعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص : مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري ، أبو إسحاق : صحابي جليل ت سنة ٥٥ هـ . انظر : حلية الأولياء : ١ / ٩٢ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ٢ / ٦٠٦ ، صفة الصفوة : ١ / ٣٥٦ التهذيب : ٣ / ٤١٩ .

(٣) تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(٤) انظر : التفسير الكبير : ٣ / ١٥١ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٣٨ .

(٥) هي أسماء بنت أبي بكر بن الصديق عبد الله بن أبي قحافة التيميّة - رضي الله عنهما - ، صحابية جليّة ، ت سنة ٧٣ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٨ / ٢٤٩ ، صفة الصفوة : ٢ / ٥٨ ، سير أعلام النبلاء : ٢ / ٢٨٧ ، الإصابة : ٧ / ٤٨٦ .

(٦) قال ابن حجر : قولها : " راغبة " : إن كان بلا قيد فالمراد راغبة في الإسلام ، وإذا قرنت بقوله : " مشركة " أو " في عهد قريش " فالمراد : راغبة في صلي ، وإن كانت الرواية : " راغمة " بالميم ، فمعناه كارهة للإسلام . أما التي بالموحدة (راغبة) فيتعين حمل المطلق فيه على المقيد ، فإنه حديث واحد في قصة واحدة ، ويتعين المقيد من جهة أخرى ، وهي أنها لو جاءت راغبة في الإسلام لم تحتج أسماء أن تستأذن في صلتها لشبوح التألف على الإسلام من فعل النبي ﷺ وأمره فلا يحتاج إلى استئذانه في ذلك . انظر : فتح الباري : ١٠ / ٤١٣ .

(٧) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الهبة وفضلها ، باب الهدية للمشركين (٢٤٧٧) : ٢ / ٩٢٤ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين (١٠٠٣) : ٢ / ٦٩٦ .

ويفهم من الحديث أن الرَّحِمَ الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة ، ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة وإن كان الولد مسلماً (١) .

ولكن لا تجب طاعة الوالدين المشركين إذا أمرا بمعصية أو أمرا بترك النوافل والطاعات . قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ . [سورة العنكبوت : ٨] . وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿١٥﴾ . [سورة لقمان : ١٥] .

أسس البرِّ :

أولاً : أسس برِّ الوالدين في حياتهما :

الأساس الأول : تقديم برِّ الوالدين على :

١- الجهاد في سبيل الله :

إنَّ برِّ الوالدين فرض على كل فرد مسلم فرضه الله على عباده ، ويقدم على الجهاد في سبيل الله إلا في حالة فرضه العيني (وهو النفي العام) ، فإذا وقع وجب الخروج على الجميع أمّا في الفروض الكفائية التي إذا قام بها البعض سقط عن الباقي فإنَّ فرض برِّ الوالدين يتقدّم عليها جميعاً ؛ ناهيك عن المباحات والمندوبات .

جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال : " أحيي والداك ؟ " قال : نعم . قال : " ففيهما فجاهد " (٢) .

قال ابن حجر (٣) :

" قوله : " ففيهما فجاهد " أي : إن كان لك أبوان فأبلغ جهدك في برِّهما والإحسان إليهما فإنَّ ذلك يقوم لك مقام قتال العدو " . اهـ (٤) .

(١) انظر : فتح الباري : ٥ / ٢٣٤ . نقلاً عن الخطابي .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرضايا ، باب الجهاد بإذن الأبوين (٢٨٤٢) : ٣ / ١٠٩٤ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب البر والصلة والآداب ، باب برِّ الوالدين وأنهما أحق به (٢٥٤٩) : ٤ / ١٩٧٥ . كلاهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٣) سبق ترجمته في ص ٧٣ .

(٤) فتح الباري : ١٠ / ٤٠٣ .

وزيد الغزالي (١) معاني عظيمة في تدبّر الأمور عند تعارضها مع برّ الوالدين فيقول :
 " أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات وإن لم تجب في الحرام المحض ؛ حتى
 إذا كانا يتنصّان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك أن تأكل معهما ؛ لأن ترك الشبهة ورع
 ورضا الوالدين حتم ، وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة إلا بإذنها والمبادرة إلى
 الحج الذي هو فرض الإسلام نفلٌ لأنه على التأخير ، والخروج لطلب العلم نفلٌ إلا إذا
 كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن
 يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الإسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين "
 اهـ (٢) .

وقال الكاساني (٣) :

" وكذا الولد لا يخرج إلا بإذن والديه أو أحدهما إذا كان الآخر ميتاً لأنّ برّ الوالدين فرض
 عين فكان مقدّماً على فرض الكفاية " . اهـ (٤) .

أما الخروج للتجارة ونحوها فقالوا فيه :

" لا بأس به بغير إذنها ؛ لأنّ النبي ﷺ إنّما منعه من الجهاد إلا بإذن الأبوين إذا قام بفرض
 غيره لما فيه من التعرض للقتل وفجيرة الأبوين به ، فأما التّجارات والتصرف في المباحات
 التي ليس فيها تعرض للقتل فليس للأبوين منعه منها ، فلذلك لم يحتج إلى استئذنها " .
 اهـ (٥) .

(١) سبق ترجمته في ص ٥٣ .

(٢) الإحياء : ٢ / ٢١٨ .

(٣) هو أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني (أو الكاشاني) علاء الدين : فقيه حنفي ، وكاسان بلدة من وراء النهر من بلاد الترك ،
 أقام ببخارى واشتغل بها بالعلم على شيخه الامام علاء الدين محمد بن أبي أحمد السمرقندي ، وبرع في علمي الأصول والفروع ، وكان
 فقيهاً عالماً صحيح الاعتقاد ، كثير الذمّ للمعتزلة وأهل البدع ، وصنف كتباً في الفقه والأصول منها : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع
 والسلطان المبين في أصول الدين ، تولى التدريس في حلب وتوفي فيها سنة ٥٨٧ هـ . انظر : البرق الشامي لعماد الدين الأصفهاني :
 ٥ / ١٣٥ ، بغية الطلب في تاريخ حلب : ١٠ / ٤٣٤٧ ، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية : ٢٤٤ ، كشف الظنون : ١ / ٣٧١ .

(٤) بدائع الصنائع : ٧ / ٩٨ .

(٥) أحكام القرآن للحصّاص : ٣ / ١٥٦ .

٢- تقديم برِّ الوالدين على الزوجة والأولاد :

إنَّ تقديم برِّ الوالدين على الزوجة والأولاد سببٌ في التفريح من كربات الدنيا (١) .
وعن ابن عمر (٢) رضي الله عنه قال : كان تحتي امرأة أحبُّها ، وكان أبي يكرهها ، فأمرني أبي أن أطلقها (٣) فأبيت ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " يا عبد الله بن عمر طلق امرأتك " (٤) .

٣- تقديم برِّ الوالدين على العمِّ :

عن أبي هريرة (٥) رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " للعبد المملوك المصلح أجران " . والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبرِّ أمي لأحييت أن أموت وأنا مملوك (٦) .

هذا ولم يحجَّ أبو هريرة رضي الله عنه حتى ماتت أمه مبالغةً في إكرامها وصحبته (٧) .

(١) وهذا مثال من السنة : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " خرج ثلاثة نفر يمشون فأصاهم المطر ، فدخلوا في غار في جبل ، فانحطت عليهم صخرة . قال : فقال بعضهم لبعض : ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه . فقال أحدهم : اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران ، فكنت أخرج فأرعى ، ثم أحيء فأحلب ، فأحيء بالحلاب فأتي به أبوي فيشربان ، ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي فاحتبست ليلة فجئت فإذا هما نائمان ، قال : فكرهت أن أوقظهما ، والصبية يتضاغون عند رجلي ، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر ، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا فرجة نرى منها السماء . قال : ففرج عنهم " . الحديث . أخرجه الشيخان .

(٢) صحابي جليل ، انظر : ص ١٣٥ .

(٣) اختلف العلماء فيمن أمره أبوه بطلاق امرأته هل يطلقها أم لا ؟ : منهم من قال يطلقها ، لنص الحديث الأول ، ومنهم من قال : لا يطلقها ، لأن عمر كان ينظر بنور الله ، ويعمل لصالح الدين ، وليس له هوى فيما يقول أو يفعل ، إنما يقول ويفعل لله . وسئل الإمام أحمد عن ذلك ، فقال له رجل : إن أبي يأمرني أن أطلق امرأتي ، قال : لا تطلقها . قال : أليس عمر يأمر ابنه عبد الله أن يطلق امرأته ؟ قال : حتى يكون أبوك مثل عمر رضي الله عنه . ونص أحمد أيضا في رواية أنه لا يطلق لأمر أمه ، فإن أمره الأب بالطلاق طلق إن كان عدلا . وسئل ابن تيمية عن من تأمره أمه بطلاق امرأته : لا يحل له أن يطلقها لقول أمه ؛ بل عليه أن يبر أمه وليس تطليق امرأته من برِّها . انظر : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه : ٣٣ / ١١٢ ، الآداب الشرعية والمنح المرعية : ٧٧ / ٢ ، ٧٨ .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الطلاق واللعان ، باب ما جاء في الرجل يسأله أبوه أن يطلق زوجته (١١٨٩) : ٣ / ٤٩٤ . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٥) صحابي جليل ، انظر : ص ١٤٣ .

(٦) أخرج البخاري بنحوه في كتاب العتق ، باب العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده (٢٤١٠) : ٢ / ٩٠٠ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب الإيمان ، باب ثواب العبد وأجره إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله (١٦٦٥) : ٣ / ١٢٨٤ .

(٧) ذكره مسلم في آخر الحديث السابق ، وذكره ابن حجر في فتح الباري : ٥ / ١٧٦ .

٤- تقديم برّ الأم على النوازل :

عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه : " كان جُرَيْج رجلاً عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها ، فأته أمه وهو يصلي ، فقالت : يا جريج . فقال : يا ربّ أمي وصلاتي . فأقبل على صلاته فانصرفت " . فقالت بعدَ ثلاث يوم في ثالث مرّة : " اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات ، فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته ، وكانت امرأة بغية يُتمثل بحسنها فقالت : إن شئتم لأفتننه لكم ، قال : فتعرّضت له فلم يلتفت إليها ، فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته ، فأمكنته من نفسها فوقع عليها ، فحملت فلماً ولدت قالت : هو من جريج . فأتوه فاستزلوه ، وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : زنت بهذه البغي فولدت منك . فقال : أين الصبي ؟ فجاؤوا به ، فقال : دعوني حتى أصلي فصلّي ، فلما انصرف أتى الصبيّ فطعن في بطنه ، وقال : يا غلام من أبوك ؟ قال : فلان الراعي . قال : فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسّحون به ، وقالوا : نبي لك صومعتك من ذهب . قال : لا أعيدوها من طين كما كانت ، ففعلوا " (١) .

قال الفقيه أبو الليث (٢) : " لأن في ذلك الوقت كان الكلام الذي يحتاج إليه مباحاً في الصلاة وكذلك في أول شريعتنا ، ثم نسخ الكلام في الصلاة ، فلا يجوز أن يجيها إلا إذا علم أنه وقع لها أمرٌ مهمٌّ ؛ فيجوز له أن يقطع ثم يستقبل " . اهـ (٣) .
فمن حقّ الوالدين على ولدهما إذا دعياه أن يجييهما ويحضر امتثالاً لندائهما .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري بنحوه في كتاب الأنبياء ، باب : ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ (٣٢٥٣) : ٣ / ١٢٦٨ وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب البرّ والصلة والآداب ، باب تقدم برّ الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها (٢٥٥٠) : ٤ / ١٩٧٧ .

(٢) هو نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، أبو الليث ، المعروف بإمام الهدى : علامة فقيه ، من أئمة الحنفية ، تفقه على الفقيه أبو جعفر الهندواني ؛ صاحب الأقوال المفيدة والتصانيف المشهورة ، ولأبي الليث تصانيف كثيرة منها : تفسير القرآن ، والنوازل في الفقه وخزانة الفقه ، وتنبية الغافلين ، وكتاب البستان ، ت سنة ٣٧٣ هـ . وهو غير علي بن يحيى علاء الدين السمرقندي القرماي ، أبو الليث ، المتوفى نحو ٨٨٠ هـ ؛ صاحب تفسير : " بحر العلوم " . انظر : الجواهر المضية في طبقات الحنفية : ١٩٦ ، سير أعلام النبلاء : ١٦ / ٣٢٢ ، طبقات المفسرين ٢ : ١ / ٩١ ، كشف الظنون : ٢ / ١٢٢٨ .

(٣) تفسير السمرقندي : ٢ / ٣٠٧ ، وانظر : فتح الباري : ٣ / ٧٨ نقلاً عن ابن بطال .

الأساس الثاني : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق مع بقاء الإحسان إليهما :
 إن طاعة الوالدين واجبة ، ولكن إذا أراد بعض الأبوين استغلال هذا البرِّ في غير ما أمر الله
 فإنَّ الله ﷻ أذن للمسلم وطالبه بعدم الطاعة ، مع إبلاغهما شرع الله برفقٍ ولينٍ وحكمة
 وليس بفظاظة وغلظة وغضب واستكبار ، وفي ذلك إحسان لهما وتنبه للرجوع إلى أمر الله
 فإن أصرَّ على المعصية فيبقى الابن محسناً لهما في غير المعصية .

قال الفخر الرَّازي (١) : " الإنسان إن انقاد لأحد ينبغي أن ينقاد لأبويه ومع هذا لو أمراه
 بالمعصية لا يجوز اتباعهما فضلاً عن غيرهما " . اهـ (٢) .

وقال القرطبي (٣) : " إن طاعة الأبوين لا تراعى في ارتكاب كبيرة ولا في ترك فريضة على
 الأعيان ، وتلزم طاعتها في المباحات " . اهـ (٤) .

الأساس الثالث : حسن معاملة الوالدين والدعاء لهما وعدم التعرض لسبهما :
 يحسن الولد التعامل مع أبويه فلا ينبغي له أن يتكلم إذ شهد والديه إلا بإذنها ، ولا يمشي
 بين يديهما ولا عن يمينهما ولا عن شمالهما إلا أن يدعواه فيجيبهما ؛ ولكن يمشي خلفهما
 ولا يجلس في مكانٍ مرتفعٍ عنهما ، ولا تسبق يده قبل يديهما عند الطعام .
 كان أحد السلف لا يأكل مع أمه وكان أبرَّ الناس بها ، فقيل له في ذلك ، فقال : أخاف
 أن أكل معها فتسبق عيني إلى شيءٍ من الطعام وأنا لا أدري فأكله ، فأكون قد
 عققتها (٥) .

والدعاء ركنٌ أساسيٌّ في البرِّ ، وهو مظهر القلب الذي يعبر عن الحبِّ والودِّ ، وهو دليل
 البرِّ القلبي ، فالقلب المفعم بالحبِّ يلحُّ بالدعاء ويجري على اللسان مجرى النَّفس .

(١) سبق ترجمته في ص ٨ .

(٢) التفسير الكبير : ٢٦ / ٣٢ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٤) تفسير القرطبي : ١٤ / ٦٤ .

(٥) برُّ الوالدين وصلة الرَّحم : ٤٤ .

كان أبو هريرة ^(١) رضي الله عنه إذا غدا من منزله لبس ثيابه ، ثم وقف على أمه فقال : السّلام عليكم يا أمتاه ورحمة الله وبركاته ، جزاك الله عني خيراً كما ربّيتني صغيراً . فتردُّ عليه : وأنت يا بنيّ ؛ فجزاك الله عني خيراً كما بررتني كبيرة . ثم يخرج ، فإذا رجع قال مثل ذلك ^(٢) .

ومن البرّ بالوالدين والإحسان إليهما ألاّ يتعرض لسبّهما ولا يعقّبهما ؛ فإنّ ذلك من الكبائر بلا خلاف ، وبذلك وردت السنّة الثابتة .

قال رضي الله عنه : " إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه . قيل : يا رسول الله ، وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسبُّ الرجل أبا الرجل فيسبُّ أباه ، ويسبُّ أمّه فيسبُّ أمّه " ^(٣) .

قال الفخر الرّازي ^(٤) : " إن الاحسان إلى الوالدين هو أن يقوم بخدمتهما ، وألاّ يرفع صوته عليهما ولا يخشن في الكلام معهما ، ويسعى في تحصيل مطالبهما ، والإنفاق عليهما بقدر القدرة من البرّ ، وأن لا يشهر عليهما سلاحاً ولا يقتلها ^(٥) " . اهـ ^(٦) .

وسئل الفضيل بن عياض ^(٧) عن برّ الوالدين فقال : أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل ^(٨) .

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ١٣٥ .

(٢) البرّ والصلة : ١٥ .

(٣) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الأدب ، باب لا يجاهد إلاّ بإذن الأبوين (٢٨٤٢) : ٥ / ٢٢٢٨ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها (٩٠) : ١ / ٩٢ . كلاهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

(٤) سبق ترجمته في ص ٨ .

(٥) قال أبو بكر الرّازي : إلاّ أن يضطر إلى ذلك بأن يخاف أن يقتله أن ترك قتله ، فحينئذ يجوز له قتله ؛ لأنه إذا لم يفعل ذلك كان قد قتل نفسه بتمكين غيره منه ، وذلك منهي عنه . وروي أن النبي صلى الله عليه وآله هبى حنظلة بن أبي عامر الراهب عن قتل أبيه وكان مشركاً . انظر :

التفسير الكبير : ٧٧ / ١٠ .

(٦) التفسير الكبير : ٧٧ / ١٠ .

(٧) سبق ترجمته في ص ١٧٤ .

(٨) انظر : الكشاف : ٦١٨ / ٢ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٦٦ .

الأساس الرابع : أحقُّ الناس بصحبتك والداك ، مع تقديمه برَّ الأمِّ على الأبِّ عند التعارض بعد محاولة التوفيق بينهما :

يعزُّ الصديق المخلص الوفيُّ أحياناً ، ولطالما يبحث الإنسان عنه فتتعرَّض قدماه ، ويرشدنا صلوات الله وسلامه عليه على أفضل صاحب . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، من أحقُّ الناس بحسن صحابتي ؟ قال : " أمُّك " . قال : ثمَّ من ؟ قال : " ثمَّ أمُّك " . قال : ثمَّ من ؟ قال : " ثمَّ أمُّك " . قال : ثمَّ من ؟ قال : " ثمَّ أبوك " (١) .

والحديث السابق ظاهرٌ في ترجيح جانب الأمِّ ؛ لأن سؤال السائل دلٌّ على أنه يسأل عن حسن معاملته لأبويه .

وللعلماء أقوال :

أحدها : ترجيح الأمِّ على الأبِّ ، وهو ظاهر قول مالك (٢) ، وإلى هذا ذهب الجمهور . قال التَّووي (٣) : " قال العلماء : وسبب تقديم الأمِّ كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاق في حملة ، ثم وضعه ، ثم إرضاعه ، ثم تربيته وخدمته وتمريضه وغير ذلك " . اهـ (٤) .

الثاني : قول الشافعية أنَّ الأبوين سواء في البرِّ . وهذا القول يقتضي وجوب طلب الترجيح إذا أمرا ابنيهما بأمرين متضادين .

وحكى القُرطبي عن المَحاسبي (٥) في كتاب " الرِّعاية " أنه قال : لا خلاف بين العلماء

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب من أحقُّ الناس بحسن الصحبة (٥٦٢٦) : ٥ / ٢٢٢٧ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب البر والصلة والآداب ، باب بر الوالدين وأتقنا أحقَّ به (٢٥٤٨) : ٤ / ١٩٧٤ .

(٢) إمام المذهب المالكي ، انظر : ص ٢٧١ . وانظر : حاشية العَدَوِي لعلي الصعدي العدوي المالكي : ٢ / ٥٥٣ .

(٣) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٦ / ١٠٢ . وانظر : فتح الباري : ١٠ / ٤٠٢ .

(٥) هو الحارث بن أسد المَحاسبي ، أبو عبد الله : من أكابر الصوفية ، كان عالماً بالأصول والمعاملات ، واعظاً مُبكيّاً ، وله تصانيف في الزهد والردِّ على المعتزلة وغيرهم ، ولد ونشأ بالبصرة ، وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره . من كتبه : آداب النفوس ، وشرح المعرفة ، والمسائل في أعمال القلوب ، والتوهم ، والبعث والنشور ، والرعاية لحقوق الله صلى الله عليه وسلم . ت ببغداد سنة ٢٤٣ هـ . انظر : الفهرست : ١ / ٢٦١ ، طبقات الصوفية : ١ / ٥٨ ، حلية الأولياء : ١٠ / ٧٤ ، المنتظم (حتى ٢٥٧ هـ) : ١١ / ٣٠٨ .

في أن للأم ثلاثة أرباع البر وللأب الربع . وحكى القرطبي عن أبي الليث (١) أن للأم ثلثي البر وللأب الثلث ، بناء على اختلاف رواية الحديث المذكور أنه قال : (ثم أبوك) بعد المرة الثانية أو بعد المرة الثالثة (٢) .

وورد في تقديم الأم وعظم حقها من حديث عائشة (٣) - رضي الله عنها - قالت : " سألت النبي ﷺ : أيُّ الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ قال : زوجها . قلت : فأَيُّ الناس أعظم حقاً على الرجل ؟ قال : أمه " (٤) .

الأساس الخامس : الإنفاق عليهما :

أجمع أهل العلم على أن نفقة الوالدين الفقيرين اللذين لا كسب لهما ولا مال واجبة في مال الولد (٥) . قال تعالى : ﴿ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ . [سورة البقرة : ٢١٥] .

فليس من البر بالوالدين أن يدع الابن أباه يكنس ويخدم ، ويحمل للناس ما يتقوت بأجرته وهو في غاية الغنى وسعة ذات اليد ، وليس من بر أمه أن يدعها تخدم الناس وتغسل ثيابهم ولا يصونها بما ينفقه عليها .

فالإنفاق واجب على الولد إذا كان لا يوجد من يعولهما سواه ، وهما فقيران أو أحدهما فعليه أن ينفق عليهما ، وإذا احتاجا إلى الطعام أطعمهما ، وإذا احتاجا إلى الكسوة كساهما وإن قُدرَ عليه ، وإذا احتاج أحدهما إلى خدمته خدمه .

وإذا كان الولد موسراً وأبوه محتاجاً ، فعليه أن يعطيه تمام كفايته ، ولأبيه أن يأخذ من ماله ما يحتاجه بغير إذن الابن ، وليس للابن منعه (٦) .

(١) سبق ترجمته في ص ٤١٩ .

(٢) انظر : المحرر الوجيز : ٩٧ / ٥ ، تفسير القرطبي : ٢٣٨ / ١٠ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ١٦ / ١٠٢ ، فتح الباري : ٤٠٢ / ١٠ ، التحرير والتنوير : ٥٨ / ١٤ .

(٣) أم المؤمنين وصحابة جليلة ، انظر : ص ٦٤ .

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب عشرة النساء ، باب حق الرجل على المرأة (٩١٤٨) : ٥ / ٣٦٣ ، وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ، كتاب البر والصلة (٧٢٤٤) : ٤ / ١٦٧ ، وبين الذهبي أن هذا الحديث هو شاهد لحديث صحيح جاء قبله .

(٥) المغني : ١٦٩ / ٨ .

(٦) انظر : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه : ٣٤ / ١٠٢ .

فلا ابن وما مَلَكَ مَلِكٌ لأبيه عرفاناً لفضله . وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن أبي احتاج مالي . فقال ﷺ : " أنت ومالك لأبيك " . وقال رسول الله ﷺ : " إن أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من أموالهم " (١) .

ومعناه أنه إذا احتاج الأب إلى مال ولده أخذ منه قدر الحاجة (٢) كما يأخذ من مال نفسه وإذا لم يكن للولد مال وكان له كسب لزمه أن يكتسب وينفق عليه ، فأما أن يكون أراد به إباحة ماله على الإطلاق واعتراضه حتى يجتاحه ويأتي عليه فليس هو الوجه ؛ إذ لم يقل به أحد من الفقهاء ، فالحديث ليس على ظاهره بإطلاق (٣) .

والقصد من الحديث بيان عظم حق الأب على ابنه ، وزجره عن معاملته أباه بما يعامل به الأجنيين ، وأمره ببره والرفق به في القول والفعل معاً إلى أن يصله بماله ، فقال له : " أنت ومالك لأبيك " . لا أن مال الابن يملكه الأب في حياته إلا بطيب نفسٍ من الابن به (٤) . قال ﷺ : " إنه لا يحلُّ مال امرئٍ إلا بطيب نفسٍ منه " (٥) .

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب التجارات ، باب ما للرجل من مال ولده (٢٢٩١) (٢٢٩٢) : ٢ / ٧٦٩ . عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ﷺ ، وأخرجه أحمد في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ (٦٩٠٢) : ٢ / ٢٠٤ . والحديث صحيح ورجال إسناده ثقات . انظر : نصب الراية : ٣ / ٣٣٧ ، خلاصة البدر المنير : ٢ / ٢٠٣ . وقال ابن حجر : (في باب الهبة للوالد) : " ففي الترجمة إشارة إلى ضعف الحديث المذكور أو إلى تأويله ، وهو حديث أخرجه ابن ماجه من حديث جابر ، قال الدارقطني : غريب تفرد به عيسى ابن يونس بن أبي إسحاق ويوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق عن ابن المنكدر . وقال ابن القطان : إسناده صحيح . وقال المنذري : رجاله ثقات . وله طريق أخرى عن جابر عند الطبراني في الصغير والبيهقي في الدلائل فيها قصة مطولة ، وفي الباب عن عائشة في صحيح ابن حبان وعن سمرة وعن عمر كلاهما عند البزار ، وعن ابن مسعود عند الطبراني ، وعن ابن عمر عند أبي يعلى ؛ فمجموع الإشارة لا تحطه عن القوة وجواز الاحتجاج به فتعين تأويله " . اهـ . وقال البيهقي : " من زعم أن مال الولد لأبيه احتج بظاهر هذا الحديث ومن زعم أن له من ماله ما يكفيه إذا احتاج إليه فإذا استغنى عنه لم يكن للأب من ماله شيء احتج بالأخبار التي وردت في تحريم مال الغير وأنه لو مات وله ابن لم يكن للأب من ماله إلا السدس ، ولو كان أبوه يملك مال ابنه لحازه كله " . اهـ . انظر : سنن البيهقي الكبرى : ٧ / ٤٨١ ، فتح الباري : ٥ / ٢١١ .

(٢) وبعض العلماء قيد أخذ الوالد ما شاء من مال ولده بأن لا يجحف ولده ويدعه محتاجاً ، قال ابن قدامة :

" وللأب أن يأخذ من مال ولده ما شاء ، ويتملكه مع حاجة الأب إلى ما يأخذه ومع عدمها ، صغيراً كان الولد أو كبيراً ، بشرطين :

• أحدهما : أن لا يجحف بالابن ولا يضر به ولا يأخذ شيئاً تعلقت به حاجته .

• الثاني : أن لا يأخذ من مال ولده فيعطيه الآخر " . اهـ . انظر : المغني : ٥ / ٣٩٥ .

(٣) انظر : عون المعبود : ٩ / ٣٢٤ ، فيض القدير : ٥ / ٩ .

(٤) انظر : شرح ابن حبان للحديث الذي أخرجه في صحيحه في كتاب البر والإحسان ، باب حق الوالدين ، ذكر خير أوهم من لم يحكم صناعة العلم أن مال الابن يكون للأب (٤١٠) : ٢ / ١٤٢ .

(٥) جزء من حديث طويل أخرجه أحمد من حديث عم أبي حرة الرقاشي : ٥ / ٧٢ ، وبنحوه من حديث عمرو بن يثربي ﷺ : (٢١١٢٠) : ٥ / ١١٣ ، وأخرج الحاكم بنحوه وصححه ، انظر : المستدرک على الصحيحين (٣١٨) : ١ / ١٧١ .

ثانياً : أسس برّ الوالدين بعد وفاة أحدهما أو كليهما :

الأساس الأول : الدعاء والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ووصيتهما ، وصلة رحمهما وبرّ أصدقائهما :

من البرّ بالأبوين تنفيذ الأوامر ماعهده إليه آباؤهم وتنفيذ وصاياهم ، ومن البرّ الذي يقدر عليه كل من الأولاد الذكر والأنثى ، والغني والفقير ، والقوي والضعيف الصلّاة عليهما والاستغفار لهما .

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، هل بقي من برّ أبوي شيء أبرّهما به بعد موتهما ؟ قال : " نعم ، الصلّاة عليهما والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلّة الرّحم التي لا توصل إلاّ بهما ، وإكرام صديقهما " (١) .

والصلّاة (٢) هنا بمعنى الدعاء لهما ، وفي الحديث : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " (٣) .

فلا شيء أنفع للوالدين من الاستغفار ، ولو كان شيء أفضل منه لأمرنا به في الأبوين ، وهو الشيء المؤكّد وصوله إليهما . وهذا كان دأب الأنبياء .

■ قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ . [سورة إبراهيم : ٤١] .

■ وقال سبحانه عن نوح عليه السلام : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ . [سورة نوح : ٢٨] .

وإن من أبرّ البرّ أن يتعهد الرجل أصدقاء أبيه ، ويحسن إليهم كرامة له ، ووفاء بحق أصدقائه ليذكروه فيترحموا عليه .

= عن ابن عباس ؓ . وأخرجه البيهقي بنحوه وحسنه ، وللحديث طرق كثيرة كما بيّنها الحافظ ابن حجر ، وقال : قال البيهقي : إسناده حسن ، وحديث أبي حميد أصح ما في الباب . انظر : خلاصة البدر المنير : ٢ / ٨٨ ، تلخيص الخبير : ٣ / ٤٥ ، ٤٦ .

(١) أخرجه أبو داود - واللفظ له - في كتاب الأدب ، باب في برّ الوالدين (٥١٤٢) : ٤ / ٣٣٦ ، وأخرج ابن ماجه بنحوه في كتاب الأدب ، باب صل من كان أبوك يصل (٣٦٦٤) : ٢ / ١٢٠٨ . كلاهما عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي ؓ ، وأخرج أحمد بنحوه في مسند أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي ؓ : ٣ / ٤٩٧ . قال الحافظ ابن حجر : رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه . انظر : تلخيص الخبير : ٤ / ٩٢ . والحديث سكت عنه أبو داود في سننه ، وما سكت عنه أبو داود فهو صالح للاحتجاج به ، وهذا ما أوضحه في رسالته لأهل مكة يبين لهم منهجه في سننه .

(٢) سبق تعريف الصلاة لغة وشرعاً في ص ١٦٧ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (١٦٣١) : ٣ / ١٢٥٥ . عن أبي هريرة ؓ .

قال ﷺ: " إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودّ أبيه " (١) .

وكان ﷺ يهدي لصدائق خديجة (٢) - رضي الله عنها - برّاً بها ووفاء لها وهي زوجته
فما ظنك بالوالدين ! (٣)
قال الحافظ العراقي (٤) :

" جعله أبر البر أو من أبره لأن الوفاء بحقوق الوالدين والأصحاب بعد موتهم أبلغ ؛ لأنّ
الحيّ يجامل ، والميت لا يستحي منه ولا يجامل إلاّ بحسن العهد ، ويحتمل أن أصدقاء الأب
كانوا مكفيين في حياته بإحسانه وانقطع بموته ، فأمر بنيه أن يقوموا مقامه فيه ، وإنما كان
هذا أبر البر لاقتضائه الترحّم والثناء على أبيه ، فيصل لروحه راحة بعد زوال المشاهدة
المستوجبة للحياة ، وذلك أشد من برّه له في حياته " . اهـ (٥) .

وسئل بعضهم عن برّ الوالدين فقال : أن لا ترفع صوتك عليهما ، ولا تنظر شزراً إليهما
ولا يريا منك مخالفةً في ظاهرٍ ولا باطن ، وأن تترحمّ عليهما ما عاشا ، وتدعو لهما إذا ماتا
وتقوم بصلة أهل ودّهما من بعدهما (٦) .

الأساس الثاني : الحج والصوم عنهما والصدقة عليهما :

وردت أحاديث صحيحة تدل على انتفاع الميت بالصيام أو الحج عنه ، أو الصدقة عليه
منها :

❊ جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن فريضة الله على عباده في الحج
أدرکت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال : " نعم " .

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما (٢٥٥٢) : ٤ / ١٩٧٩ . عن ابن عمر
رضي الله عنهما .

(٢) صحاية جلييلة وأم المؤمنين ، انظر : ص ٢٧٨ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٤١ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ١٦ / ١١٠ .

(٤) هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن ، أبو الفضل ، زين الدين ، المعروف بالحافظ العراقي : بختانة ، من كبار حفاظ الحديث .
أصله من الكرد ، ومولده في رازنان (من أعمال إربل) تحوّل صغيراً مع أبيه إلى مصر ، فتعلّم ونبغ فيها ، وقام برحلة إلى الحجاز والشام
وفلسطين ، وعاد إلى مصر . من كتبه : المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج أحاديث الإحياء ، ونكت منهج البيضاوي
والألفية في مصطلح الحديث ، وشرحاً : فتح المغيث ، والألفية في غريب القرآن ، والتقييد والإيضاح وغير ذلك . ت في القاهرة
سنة ٨٠٦ هـ . انظر : طبقات الشافعية : ٤ / ٢٩ ، طبقات الحفاظ : ١ / ٥٤٣ ، شذرات الذهب : ٤ / ٥٥ ، البدر الطالع :
١ / ٣٥٤ .

(٥) نقله المناوي عن الحافظ العراقي . انظر : فيض القدير : ٢ / ٤٠٥ .

(٦) انظر : الكشاف : ٢ / ٦١٨ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٦٦ .

وذلك في حجة الوداع (١) .

❊ وجاء رجل إلى النبي ﷺ : فقال : يا رسول الله ، إن أمي ماتت ، وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ قال : " نعم " . قال : " فدين الله أحق أن يقضى " (٢) .

❊ وقال رجل للنبي ﷺ : إن أبي مات وترك مالا ولم يوص ، فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه ؟ قال : " نعم " (٣) .

قال ابن قدامة (٤) : " وهذه أحاديث صحاح ، وفيها دلالة على انتفاع الميت ؛ لأن الصوم والحجَّ والدعاء والاستغفار عباداتٌ بدنية ، وقد أوصل (٥) الله نفعها إلى الميت ، فكذلك ما سواها " . اهـ (٦) .

هل يستطيع الولد أن يجازي والداه ؟

قال ﷺ : " لا يجزي ولدٌ والدًا ؛ إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه " (٧) .

" لا يجزي ولدٌ والده إلا في صورة واحدة : أن يكون الوالد عبداً فيشتريه ولده فيعتقه ، أي يخلصه من الرق بسبب شرائه أو نحوه ، فالشراء خرج مخرج الغالب ؛ لأن الرقيق كالمعدوم

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب وجوب الحج وفضله (١٤٤٢) : ٢ / ٥٥١ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الحج ، باب

الحج عن العاجر لزمانه وهرم ونحوها أو للموت (١٣٣٤) : ٢ / ٩٧٣ . كلاهما عن امرأة من خثعم .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ، باب من مات وعليه صوم وقال الحسن : إن صام عنه ثلاثون رجلاً يوماً واحداً جاز

(١٨٥١) : ٢ / ٦٩٠ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الصيام ، باب قضاء الصيام على الميت (١١٤٨) : ٢ / ٨٠٤ . كلاهما عن ابن

عباس ؓ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الوصية ، باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت (١٦٣٠) : ٣ / ١٢٥٤ . عن أبي هريرة ؓ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٢٤٦ .

(٥) اختلف العلماء في غير الصدقة والدعاء من أعمال البر هل يصل إلى الميت ثوابه أو لا ؟ قال الشوكاني : " ذهب المعتزلة إلى أنه لا

يصل إليه شيء واستدلوا بعموم الآية . وقال في شرح الكتر : إن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغیره صلاة كان أو صوماً أو حجاً أو

صدقة أو قراءة قرآن أو غير ذلك من جميع أنواع البر ، ويصل ذلك إلى الميت وينفعه عند أهل السنة . اهـ . والمشهور من مذهب

الشافعي وجماعة من أصحابه أنه لا يصل إلى الميت ثواب قراءة القرآن ، وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء وجماعة من أصحاب

الشافعي إلى أنه يصل كذا ذكره النووي في الأذكار ، وفي شرح المنهاج لابن التَّحوي : لا يصل إلى الميت عندنا ثواب القراءة على

المشهور . والمختار وصول الثواب إذا سأل الله إيصال ثواب قراءته ، وينبغي الجزم به ؛ لأنه دعاء " . اهـ . نيل الأوطار : ٤ / ١٤٢ .

(٦) المغني : ٢ / ٢٢٥ .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب العتق ، باب فضل عتق الولد (١٥١٠) : ٢ / ١١٤٨ . عن أبي هريرة ؓ .

لاستحقاق غيره منافعه ونقصه عن المناصب الشريفة ، فتسببه في عتقه المخلص له من حيز ذلك كأنه أوجده ، كما أن الأب سببٌ في إيجادِه ، فهو تسببٌ في إيجاد معنويٍّ في مقابلة الإيجاد الصوريِّ .

وقيل : الحديث من قبيل التعليق بمحال للمبالغة ، يعني لا يجزي ولد والده إلا أن يملكه فيعتقه ، وهو محال فالحجزة محال عليه ، فالقصد بالخبر الإيدان بأن قضاء حقه محال ؛ لأنه خصَّ قضاء حقه في هذه الصورة ، وهي مستحيلة ؛ إذ العتق يقارن الشراء فقضاء حقه مستحيل " (١) .

فحقُّ الوالدين عظيم ولا نجازيهما . شهد ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً يمانياً يطوف بالبيت ، حمل أمه وراء ظهره يقول :

إني لها بعيرها المذلل
إن أذعرت ركابها لم أذعر

ثم قال : يا ابن عمر أتراني جزيتها ؟ قال : لا ، ولا بزفرة واحدة (٢) .

فالكيس الذي يبادر اغتنام فرصة برِّ والديه ؛ لئلا تفوته بموتهما فيندم على ذلك ، والشقي من عتقهما ؛ لا سيما من بلغه الأمر ببرِّهما .

وينبغي أن يدرك الآباء أن حقهم على أولادهم ليس معناه القسوة على الأولاد أو ظلمهم دون ميرر ، وألاً يتخذوا من هذا الحق سبيلاً للتكيل بأبنائهم ، والوقوف أمامهم في كل خير يريدونه ، أو التحكم في حياتهم الزوجية أو توجيههم العلمي الذي يقضي به استعدادهم والواجب أن يفهم الآباء حقوق الأبناء ، كما يفهم الأبناء حقوق الآباء ، ورحم الله والدًا أعان ولده على برِّه بتوفيته ما له عليه من حقوق ، لأنَّ الوالد إذا كان جافياً جرَّ الولد إلى القطيعة والعقوق .

وقيل : شرُّ الآباء من يحملة البرِّ على الإفراط ، وشرُّ الأبناء من يحملة التقصير على العقوق (٣) .

وإذا كان الله قد ظهرت وصيته بالوالدين كثيراً دون الوصية بالأبناء فليس ذلك إهمالاً للأبناء ولا إباحة للآباء أن يفعلوا ما يجلو لهم مع الأبناء ؛ بل إن طبيعة الأبوة دافعة لهم للسير

(١) فيض القدير : ٤٤٥ / ٦ .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد في باب لين الكلام لوالديه (١١) : ١٨ / ١ . ورجال إسناده ثقات .

(٣) تفسير السمعاني : ٢٣٢ / ٣ .

بالأبناء فيما يصلحهم وينشئهم على العزة والكرامة ، وتكوين الشخصية ، وحرية الرأي فيما يرونه خيراً لأنفسهم وفي حياتهم الخاصة .
 وبهذا تبني الأسرة المسلمة كما يريد الله على تبادل الحبِّ والإحسان ، وتبادل الحقوق والواجبات ، فالقرآن الكريم لم يُعَنَ هذه العناية كلها بحقِّ الوالدين نظراً لشخصهما فقط بل نظراً لأنهما عمادا الأسرة ، وأنَّ الأسرة لا بد لها من التكوين الذي يستظل فيه أفرادها بلواء العزة والسعادة ، فتكون هذه الأسرة منبعاً لأفراداً صالحين تنتفع بهم أمتهم .



المبحث الثاني : البرّ بذوي القربى

لا يقتصر برّ المسلم على والديه وزوجه وأولاده ، بل يتعدّاهم إلى أقاربه وذوي رحمه فيشمل هؤلاء جميعاً ببرّه وإحسانه وحسن صلته ، ولقد حَفِيَ الإسلام بالرحمِ حفاوةً ما عرفتْها الإنسانيّة في غيره من الأديان والنظم والشرائع ، فأوصى بها ، ورغّب في صلتها وتوعّد من قطعها .

ولقد أوصى الله ﷻ بالبرّ بذوي القربى في آية البرّ ، فقال تعالى : ﴿ وَلَيْكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] . وكذلك في غير موضع من كتابه العزيز ، وذلك في :

■ قوله تعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْهُ تَبْذِيرًا ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٦] .

■ وقوله تعالى : ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ . [سورة الروم : ٣٨] . وذلك في

القرآن المكي .

وفي القرآن المدني في :

■ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ﴾ . الآية . [سورة البقرة : ٨٣] .

■ وقوله تعالى : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ . الآية . [سورة النساء : ٣٦] . وكما نرى تأتي مرتبة ذوي القربى في البرّ بعد الوالدين ، كما حدّدها التوجيه القرآني الحكيم متدرّجاً من الأعلى إلى الأدنى في سلّم العلاقات الإنسانية .

■ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ . [سورة النحل : ٩٠] .

﴿ وَرَغَّبَ سُبْحَانَهُ فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى ^(١) فِي مَرَاعَاةِ مَشَاعِرِهِمْ وَالصَّفْحِ عَنْهُمْ . قَالَ تَعَالَى :
 ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ .
 [سورة النساء : ٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ
 وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .
 [سورة النور : ٢٢] .

المراد بـ ﴿ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾ :

قال ابن كثير ^(٢) :

" ﴿ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾ وهم قرابات الرجل وهم أولى من أعطى من الصدقة فهم أولى الناس
 ببرك وإعطائك ، وقد أمر الله تعالى بالإحسان إليهم في غير موضع من كتابه العزيز " .
 اهـ ^(٣) .

و ﴿ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾ مفعول أول لـ ﴿ وَءَاتَىٰ ﴾ قُدِّمَ عَلَيْهِ مَفْعُولُهُ الثَّانِي ؛ أَعْنَى ﴿ أَلْمَالِ ﴾
 للاهتمام به ، أو لأنَّ في ﴿ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾ مع ما عطف عليه طولاً لو روعي الترتيب لفات
 تجاوب الأطراف في الكلام ^(٤) .

^(١) جعل الله في مواضع أخر لذوي القربى حظاً :

• في بيت مال المسلمين من خمس الغنائم : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ
 وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ... ﴾ . [سورة الأنفال : ٤١] .

• ومن الفيء : ﴿ مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ
 السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ... ﴾ . [سورة الحشر : ٧] . ولكن المراد بذوي القربى في الآيتين : قرابة
 النبي ﷺ . انظر : أحكام القرآن للشافعي : ١ / ٧٦ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٣١٢ .

^(٢) سبق ترجمته في ص ٥ .

^(٣) تفسير ابن كثير : ١ / ٢٠٩ .

^(٤) انظر : تفسير أبي السعود : ١ / ١٩٣ ، ١٩٤ .

والمراد الفقراء من ذوى القربى ، وإنما أطلق لعدم الإلباس ، على أن المراد الخير والصدقة وإيتاء الأغنياء هبة لا صدقة (١) .

الرَّحِمُ هُمُ الْأَقَارِبُ :

والأقارب الذين أمرنا الله ببرِّهم هُمُ الرَّحِمُ .

قال ابن حجر (٢) : " الرَّحِمُ يُطْلَقُ عَلَى الْأَقَارِبِ " . اهـ (٣) .

وقال القاضي عياض (٤) : " الرَّحِمُ الَّتِي تُوَصَّلُ وَتُقَطَّعُ وَتُبْرُّ إِتْمَا هِيَ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي لَيْسَتْ بِجِسْمٍ ، وَإِنَّمَا هِيَ قَرَابَةٌ وَنَسَبٌ تَجْمَعُهُ رَحِمُ امْرَأَةٍ وَالِدَةٍ ، وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْإِتِّصَالَ رَحِمًا " . اهـ (٥) .

الرَّحِمُ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا :

الرَّحِمُ لُغَةً :

اسم مشتق من مادة " ر ح م " التي تدلُّ على الرَّقَّةِ وَالتَّعَطُّفِ وَالرَّأْفَةِ ، وَالرُّحْمِ وَالْمَرْحَمَةَ وَالرَّحْمَةَ بِمَعْنَى ، وَقَدْ رَحِمْتُهُ وَتَرَحَّمْتَ عَلَيْهِ . وَتَرَاخَمَ الْقَوْمُ : رَحِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وَالرَّحْمَةُ : الْمَغْفِرَةُ ؛ وَالرُّحِمُ : عِلَاقَةُ الْقَرَابَةِ ، ثُمَّ سُمِّيَتْ رَحِمَ الْأُنْثَى رَحِمًا مِنْ هَذَا ، لِأَنَّ مِنْهَا يَكُونُ مَا يُرْحَمُ وَيُرَقَّ لَهَا مِنْ وَلَدٍ (٦) .

الرَّحِمُ اصْطِلَاحًا :

اختلف العلماء في الرَّحِمِ (٧) التي تجب صلتها على ثلاثة أقوال :

القول الأول : هم المحارم فقط ، وعليه فلا تجب في بني الأعمام وبني الأخوال (٨) .

(١) انظر : تفسير البيضاوي : ١ / ٤٥٣ ، تفسير النسفي : ١ / ٨٦ ، روح المعاني : ٢ / ٤٦ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٧٣ .

(٣) فتح الباري : ١٠ / ٤١٤ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٦ / ١١٢ .

(٦) انظر : المقاييس ، كتاب الرءاء ، باب الرءاء والحاء وما يثلثهما (مادة : ر ح م) : ٤٤٦ ، لسان العرب (مادة : ر ح م) : ١٢ / ٢٣٠ .

(٧) ذو الرَّحِمِ عند أهل الفرائض من الفقهاء : هو القريب الذي ليس بذى سهم مقدَّر ولا عصبية ذكراً كان أو أنثى . انظر : المطلع على

أبواب المتنع : ٣٠٥ ، كشاف القناع لمنصور بن يونس البهوتي : ٤ / ٤٥٥ .

(٨) هذا قول الحنفية ، وبه قال النسفي وأبو السعود من المفسرين ، انظر : تفسير النسفي : ٢ / ٢٨٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٦٧

حاشية ابن عابدين : ٨ / ٤٨٢ .

القول الثاني : من يجمعهم الميراث ، ولكن يخرج من هذا أن رحم الأم التي لا يتوارث بها لا تجب صلتها ولا يحرم قطعهم ، وهذا ليس بصحيح .

القول الثالث : هم الأقارب الذين بينه وبين الآخر نسب سواء ، كان يرثه أم لا ، سواء كان ذا محرم أم لا ، وهذا هو الصحيح ^(١) .

ولا شك أن الرّحم هي قرابة ، فقد وصّى ﷺ بالقبط وقال : " فإن لهم ذمة ورحماً " . أو قال : " ذمة وصهراً " ^(٢) . لأن أم إسماعيل السّبيّة منهم ، وقد افتخر ﷺ بخاله سعد ^(٣) ﷺ فقال : " هذا خالي ، فليربي امرؤ خاله " ^(٤) .

المعنى الجامع لصلة ^(٥) الرّحم :

قال ابن حجر : " إنها إيصال ما أمكن من الخير ، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة وهذا في حقّ المؤمنين " . اهـ ^(٦) .

وصلة الرّحم كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النّسب والأصهار ، والتّعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم ، على حسب حال الواصل والموصول ، فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة ، وتارة بالزيارة والسّلام وغير ذلك ، وكذلك إن بُعدوا أو أساءوا ^(٧) .

فهناك علاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي ، ففي المعنى اللغوي يراد بالصلة ضمّ الشيء إلى الشيء ، والتلطف في الوصول إليه ، وعدم الهجران والتّصارم والانقطاع والفصل ، وفي المعنى الاصطلاحي هي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النّسب والأصهار ، وقطع

^(١) هذا قول المالكية والشافعية والحنابلة ، قال به القرطبي من المفسرين وابن حجر : انظر : تفسير القرطبي : ١٦ / ٢٤٨ ، فتح الباري : ١٠ / ٤١٤ ، كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني لأبي الحسن المالكي : ٢ / ٥٥٦ ، مغني المحتاج : ٣ / ٦٣ ، كشاف القناع : ٤ / ٤٥٥ .

^(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر (٢٥٤٣) : ٤ / ١٩٧٠ . عن أبي ذر رضي الله عنه .

^(٣) هو سعد بن أبي وقاص ، صحابي جليل ، انظر : ص ٤١٥ .

^(٤) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب مناقب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (٣٧٥٢) : ٥ / ٦٤٩ ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . قال الترمذي : قال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مجالد ، وكان سعد بن أبي وقاص من بني زهرة ، وكانت أم النبي ﷺ من بني زهرة ، فلذلك قال النبي ﷺ : " هذا خالي " .

^(٥) سبق تعريف الصّلة لغة في ص ٣٩٥ .

^(٦) فتح الباري : ١٠ / ٤١٨ .

^(٧) انظر : النهاية ، كتاب الواو ، باب الواو مع الصاد (مادة : وصل) : ٥ / ١٩٠ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ٢ / ٢٠١ .

الرَّحِمِ ضِدَّ ذَلِكَ كُلِّهِ ، فَكَأَنَّهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ قَدْ وَصَلَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنْ عِلَاقَةِ الْقَرَابَةِ وَالصَّهْرِ وَالصَّلَةِ الْجَائِزَةِ وَالْعَطِيَّةِ .

وَقَدْ قَسَمَ الْقُرْطُبِيُّ (١) الرَّحِمَ إِلَى عَامَةٍ وَخَاصَّةٍ فَقَالَ :

" فَالْعَامَةُ : رَحِمَ الدِّينِ ، وَتَجِبَ صَلَاتُهَا بِمِلَازِمَةِ الْإِيمَانِ وَالْحُبَّةِ لِأَهْلِهِ وَنَصْرَتِهِمْ ، وَالنَّصِيحَةُ وَتَرْكُ مُضَارَتِهِمْ وَالْعَدْلُ بَيْنَهُمْ ، وَالنَّصْفَةُ فِي مَعَامِلَتِهِمْ ، وَالْقِيَامُ بِحَقُوقِهِمْ الْوَاجِبَةَ ؛ كَتَمْرِيزِ الْمَرْضَى ، وَحَقُوقِ الْمَوْتَى مِنْ غَسْلِهِمْ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ وَدَفْنِهِمْ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ الْمُرْتَبَةِ لَهُمْ . وَأَمَّا الرَّحِمُ الْخَاصَّةُ : وَهِيَ الْقَرَابَةُ مِنْ طَرَفِي الرَّجُلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ، فَتَجِبُ لَهُمُ الْحَقُوقُ الْخَاصَّةُ وَزِيَادَةٌ ؛ كَالنَّفَقَةِ وَتَفْقُدِ أَحْوَالِهِمْ ، وَتَرْكِ التَّغَافُلِ عَنْ تَعَاهُدِهِمْ فِي ضَرُورَاتِهِمْ وَتَتَأَكَّدُ فِي حَقِّهِمْ حَقُوقُ الرَّحِمِ الْعَامَةِ ؛ حَتَّى إِذَا تَرَاحَمَتِ الْحَقُوقُ بُدِئَ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبُ " . اهـ (٢) .

تقديم البرِّ بذوي القربى :

وَقُدِّمَ الْبِرُّ بِذَوِي الْقَرْبَى فِي آيَةِ الْبِرِّ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَصْنَافِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ لِأَنَّ حَقَّهُمْ أَكْبَرُ ، وَإِيتَاءُهُمْ أَفْضَلُ ، وَصَلَاتُهُمْ أَوْجِبُ لِتَأْكِيدِ حَقِّ الرَّحِمِ الَّتِي اشْتَقَّ اللَّهُ اسْمَهَا مِنْ اسْمِهِ وَجَعَلَ صَلَاتَهَا مِنْ صَلَاتِهِ .

قَالَ ﷺ : " أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصَلِكِ ، وَأَقْطَعُ مِنْ قَطْعِكَ " (٣) . وَكَوْنِ الْمَالِ يَدْفَعُ إِلَيْهِمْ صَدَقَةً وَصِلَةً ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانُوا فُقَرَاءَ (٤) .

وَقَالَ ﷺ : " الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ : صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ " (٥) .

(١) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٢) تفسير القرطبي : ١٦ / ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٣) جزء من حديث سبق تخريجه في ص ٣٩٦ ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) انظر : تفسير القرطبي : ١٠ / ١٦٧ ، تفسير البيضاوي : ١ / ٤٥٣ ، تفسير النسفي : ١ / ٨٦ ، فتح القدير : ١ / ١٧٢ ، روح

المعاني : ٢ / ٤٦ .

(٥) سبق تخريجه في ص ٢٠٨ ، وهو حديث حسن .

وإنَّ ميمونة ^(١) - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ أعتقت وليدة ^(٢) لها ، فقال لها ﷺ :
 " ولو وصلت بعض أحوالك ^(٣) كان أعظم لأجرك " ^(٤) .
 وعن زينب ^(٥) امرأة عبد الله بن مسعود ^(٦) قالت : كنت في المسجد فرأيت النبي ﷺ
 فقال : " تصدقنَّ ولو من حليكنَّ " . وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها .
 قال : فقالت لعبد الله : سل رسول الله ﷺ : أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتامي في
 حجري من الصدقة ؟ فقال : سَلِي أنت رسول الله ﷺ . فانطلقت إلى النبي ﷺ فوجدت
 امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي ، فمرَّ علينا بلال ^(٧) ، فقلنا : سل النبي
 ﷺ أيجزي عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري ؟ وقلنا : لا تخبر بنا . فدخل فسأله
 فقال : " من هما ؟ " . قال : زينب . قال : " أيُّ الزَّيَّانِب ؟ " . قال : امرأة عبد الله .
 قال : " نعم ، لها أجران : أجر القرابة ، وأجر الصدقة " ^(٨) .

^(١) هي ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية ، صحابية جلييلة وأم المؤمنين ، كان اسمها أولًا برةً فغيَّره النبي ﷺ لما تزوجها ، وهي آخر
 امرأة تزوجها رسول الله ﷺ . ت سنة ٥١ هـ . انظر : تاريخ الطبري : ٢ / ١٤٣ ، الطبقات الكبرى : ٨ / ١٣٢ ، البداية والنهاية :
 ٦ / ٢٢٥ ، الإصابة (ت ١١٧٧٩) : ٨ / ١٢٦ ، وفيه أقوال أخرى في سنة وفاتها .

^(٢) وليدة : أي جارية . قال ابن بطال : فيه أن هبة ذي الرحم أفضل من العتق . لكن الأمر ليس على إطلاقه ؛ بل يختلف باختلاف
 الأحوال ؛ لاحتمال أن يكون المسكين محتاجاً ونفعه بذلك متعدياً والآخر بالعكس . انظر : النهاية (مادة : ولد) : ٥ / ٢٢٣ ، فتح
 الباري : ٥ / ٢١٨ ، ٢١٩ ، شرح الزرقاني : ٤ / ٤٧٢ .

^(٣) وصلت بعض أحوالك : يقال : وصل رحمه يصلها وصلًا وصله ، فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة
 والصهر . انظر : النهاية (مادة : وصل) : ٥ / ١٩١ .

^(٤) أخرجه البخاري في كتاب الهبة وفضلها (معلقاً) ، باب بمن يبدأ بالهدية (٢٤٥٤) : ٢ / ٩١٦ ، ووصله ابن حجر في تعليق
 التعليق (٢٥٩٤) : ٣ / ٣٥٨ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد
 والوالدين ولو كانوا مشركين (٩٩٩) : ٢ / ٦٩٤ . كلاهما عن كريب مولى ابن عباس ؓ . وفي رواية : " أخواتك " بالناء . قال
 القاضي : ولعله أصحّ بدليل رواية مالك في الموطأ : أن ميمونة - رضي الله عنها - استأذنت رسول الله ﷺ في جارية تعتقها ، فقال
 رسول الله ﷺ : " أرأيتك جاريتك التي كنت استأمرتيني في عتقها ، أعطيتها أختك ، وصلي بها رحمك ترعى عليها ، فإنه خير لك " .
 قال النووي : الجميع صحيح ، ولا تعارض . انظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ٧ / ٨٦ .

^(٥) هي زينب بنت معاوية ، وقيل : زينب بنت أبي معاوية ، وبهذا الأخير جزم أبو عمر ثم نسبها ، فقال : بنت أبي معاوية بن عتاب بن
 الأسعد الثقفية ، امرأة عبد الله بن مسعود ؓ : صحابية جلييلة ، أسلمت وبايعت ، وروت عن رسول الله ﷺ . انظر : الطبقات
 الكبرى : ٨ / ٢٩٠ ، الثقات لمحمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي : ٣ / ١٤٥ ، حلية الأولياء : ٢ / ٦٩ ، الإصابة : ٧ / ٦٨٠ .

^(٦) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٥ .

^(٧) صحابي جليل ، انظر : ص ١٩٤ .

^(٨) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الزكاة ، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر (١٣٩٧) : ٢ / ٥٣٣ ، وأخرج

مسلم بنحوه في كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين (١٠٠٠) :

حكم صلة الرّحم ودرجاتها :

قال القاضي عياض (١) : " ولا خلاف أنّ صلة الرّحم واجبة في الجملة ، وقطيعتها معصية كبيرة ، والأحاديث تشهد لهذا ، ولكن الصّلة درجات بعضها أرفع من بعض ، وأدناها ترك المهاجرة وصلّتها بالكلام ولو بالسّلام ، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة ، فمنها واجبٌ ، ومنها مستحبٌ ، ولو وصل بعض الصّلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً ولو قصرّ عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلاً " . اهـ (٢) .

فمثلاً من كان له أخ وعمٌّ ، وأخوه غنيّ وعمّه فقيرٌ معدّم ، فإنّ صلة الأخ يكفي فيها الكلام والتلطف والزيارة ، أمّا العمُّ فلا يعتبر واصلاً له إلاّ إذا أعطاه من ماله إن كان قادراً فالصّلة هنا روعي فيها حال الموصول ، بمعنى أنّ الواصل لو كان فقيراً يصل فقيراً فإنّه لا يكلف بالمساعدة الماليّة لعجزه ، كما أنّ الصّلة الواجبة تتبع حال الموصول في القرابة فمثلاً :

من كان له أخ وعمٌّ وابن عمٍّ ، وكلهم فقراء ، ولا يستطيع أن يصلهم جميعاً بماله ، فإنّ الواجب عليه أن يصل بالمال الأقرب فالأقرب ، وإذا فعلت الواجب في الصّلة فالزائد يعتبر مستحباً ، وذلك مثل الأخ الغنيّ فإنّ الواجب نحوه كما ذكرنا التلطف والزيارة ، فإن زدت فأهديت إليه شيئاً كان ذلك الزائد مستحباً ، وكلّ يثاب عليه فاعله .

مراتب ذوي القربى في الصّلة :

ذهب الجمهور إلى أنّ الأمّ تفضل على الأب (٣) ، واختلفوا في الأخ والجدّ من أحقّ بغيره منهما ؟

" والأكثر على تقديم الجدّ ، يقدّم الجد ثمّ الأخ ، ثمّ يقدّم من أدلى بأبوين على من أدلى بواحد ثمّ تقدّم القرابة من ذوي الرّحم ، والأفضل أن يبدأ بذوي الرّحم المحرّم كالإخوة

(١) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم : ١١٣ / ١٦ .

(٣) سبق تفصيل المسألة في مبحث البرّ الوالدين ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

والأخوات والأعمام والعمَّات والأخوال والخالات ، ويقدمُّ الأقرب فالأقرب ، وألحق بعضهم الزوج والزوجة بهؤلاء ؛ لحديث زينب امرأة ابن مسعود ^(١) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " زوجك وولدك أحقُّ من تصدقت به عليهم " ^(٢) . ثمَّ بذى المحرم كأولاد العمِّ وأولاد الخال ، ثمَّ المُحرَّم بالرضاع ، ثمَّ بالمصاهرة ، ثمَّ المولى من أعلى وأسفل ، ثمَّ الجار " ^(٣) . ويراعى هذا الترتيب حين لا يمكن البرُّ دفعة واحدة .

فضل البرِّ بذوي القربى :

١- صلة الرَّحِمِ شعار الإيمان بالله واليوم الآخر :

قال ﷺ : " ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه " ^(٤) . وقال تعالى : ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ . [سورة النساء : ١] . أي : اتقوا الله تعالى بفعل طاعته وترك معصيته ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولكن برُّوها وصلِّوها ، قاله غير واحد من السلف ^(٥) . فأمر سبحانه بصلة الأرحام بعد أمره بالتقوى منبهاً سبحانه إلى داعيها وهو ما بين الناس من صلة النَّسب ، وليدلُّ على أنَّ صلة الرَّحِمِ ابتغاء وجهه أثرٌ من آثار التقوى المباركة وعلامة تمكُّنها في القلوب ، ودليلٌ على صدق الإيمان ، فأوصل الناس لرحمه أكملهم إيماناً برِّبه وأتقاهم له ، ولهذا كان ﷺ أوصل الناس لرحمه وأتقاهم له ، ولذلك ذكَّرتُه خديجة ^(٦) - رضي الله عنها - بذلك عند أوَّل نزول الوحي : " فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي . فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً

(١) صحاح جليلية ، انظر : ص ٤٣٥ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب الزكاة على الأقارب (١٣٩٣) : ٢ / ٥٣١ .

(٣) فتح الباري : ١٠ / ٤٠٢ ، و انظر : المجموع للنووي : ٦ / ٢١٠ .

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه (٥٧٨٧) : ٥ / ٢٢٧٣ . عن أبي

هريرة رضي الله عنه .

(٥) انظر : تفسير الطبري : ٤ / ٢٢٧ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٤٤٩ .

(٦) صحاح جليلية وأم المؤمنين ، انظر : ص ٢٧٨ .

إنك لتصل الرِّحِمَ وتحمل الكَلَّ ، وتُكسب المعدوم ، وتُقري الضيف ، وتعين على نوائب الحقِّ " (١) .

٣- صلة الرِّحِمِ تزيد في العمر (٢) وتوسع الرزق وتدفع ميتة السوء :

قال ﷺ : " من سرَّه أن يمدَّ الله في عمره ، ويوسِّع له في رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه " (٣) .

٣- البرُّ بذوي القربى سبب مغفرة الذنوب وتكفير الخطايا :

وعن ابن عمر (٤) ﷺ قال : أتى النبي ﷺ رجلٌ ، فقال : يا رسول الله إني أذنبت ذنباً كثيراً ، فهل لي من توبة ؟ قال : " ألك والدان ؟ " . قال : لا . قال : " فلك خالة ؟ " . قال : نعم . فقال : رسول الله ﷺ : " فبرِّها " (٥) .

٤- صلة الرِّحِمِ تعمِّر الديار وتثمر الأموال :

قال ﷺ : " إنَّ الله ليعمِّر بالقوم الدِّيار ، ويثمِّر لهم الأموال ، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغيضاً لهم ، قيل : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : بصلتهم أرحامهم " (٦) .

وجوه البرِّ بذوي القربى :

قال تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٦] .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (٣) : ٤ / ١ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١٦٠) : ١ / ١٤١ . كلاهما عن عائشة - رضي الله عنها - .

(٢) سبق الحديث عن زيادة العمر مع أن الأجل مضروب . انظر : مبحث برِّ الوالدين ص ٤٠٣ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب البرِّ والصلة (٧٢٨٠) : ٤ / ١٧٧ . عن عاصم ﷺ . وقد سكت عنه الذهبي في التلخيص . ولكن للحديث أصل عند البخاري بلفظ : " من سرَّه أن يسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه " . ولفظ آخر أيضاً ، أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم (٥٦٣٩) (٥٦٤٠) : ٥ / ٢٢٣٢ . عن أبي هريرة وعن أنس بن مالك ﷺ .

(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ١٣٥ .

(٥) سبق تخريجه في ص ٤٠٢ ، وهو حديث صحيح ؛ أخرجه الحاكم وصحَّحه ووافقه الذهبي .

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، ما أسند إلى عبد الله بن عباس ﷺ (١٢٥٥٦) : ١٢ / ٨٥ . قال المنذري : رواه الطبراني بإسناد حسن والحاكم ، وقال : تفرد به عمران بن موسى الرملي لصاحب عن أبي خالد ، فإن كان حفظه فهو صحيح . انظر : الترغيب والترهيب : ٣ / ٢٢٨ .

والإيتاء : الإعطاء . وهو حقيقة في إعطاء الأشياء ، ومجاز شائع في التمكن من الأمور المعنوية كحسن المعاملة والنصرة ، وإطلاق الإيتاء هنا صالح للمعنيين كما هي طريقة القرآن في توفير المعاني وإيجاز الألفاظ .

والتعريف في ﴿ الْقُرْبَىٰ ﴾ تعريف الجنس ، أي القربى منك ، وهو الذي يعبر عنه بأن (ال) عوض عن المضاف إليه ، ولم يقل (القريب) لأن المطلق ينصرف إلى الكامل . والإضافة لما كانت لأدنى الملازمة ؛ صدق (ذو القربى) على كل من له قرابة ما (١) .

والخطاب (٢) في هذه الآية لجميع الناس لصلة قرابتهم من آبائهم وأمهاتهم والإحسان إليهم خوِّط بذلك النبي ﷺ والمراد الأمة ، قاله ابن عباس (٣) ﷺ والحسن (٤) ، وعلى هذا قول الجمهور (٥) .

ويشهد لذلك دلالة السياق القرآني (٦) ؛ فالظاهر أن هذا الخطاب ليس خاصاً بالنبي ﷺ بدليل ما قبل هذه الآية ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٣] . وما بعدها ؛ وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْدُرْ تُبْدِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٦ ، ٢٧] .

وعن ابن عباس ﷺ في قوله : ﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ قال : أمره بأحقّ الحقوق ، وعلمه كيف يصنع إذا كان عنده ، وكيف يصنع إذا لم يكن ، فقال : ﴿ وَإِنَّمَا تُعْرَضْنَ عَنْهُمْ أَيْبَغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٨] . قال : إذا سألك وليس عندك شيء انتظرت رزقاً من

(١) انظر : محاسن التأويل : ١٠ / ٢٢١ ، نقلاً عن المهامبي ، التحرير والتنوير : ١٤ / ٦٢ .

(٢) قال علي بن الحسين في قوله تعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ هم قرابة النبي ﷺ ، أمر ﷺ بإعطائهم حقوقهم من بيت المال أي من سهم ذوي القربى من الغزو والغنمة ، ويكون خطاباً للولاة أو من قام مقامهم ، وهذا الرأي مرجوح . انظر : زاد المسير : ٥ / ٢٧ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٤٧ .

(٣) صحابي حليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٥٢ .

(٥) قاله الجصاص ، والطبري ، والبعوي ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، وابن جزى الكلبي ، والثعالبي ، وأبو السعود والشوكاني . انظر : أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٢١ ، تفسير الطبري : ١٥ / ٧٢ ، تفسير البغوي : ٣ / ١١٢ ، زاد المسير : ٥ / ٢٧ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٢٤٧ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤٤١ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ١٧٠ ، تفسير الثعالبي : ٢ / ٣٣٩ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٦٧ ، فتح القدير : ٣ / ٢٢٤ .

(٦) سبق تعريف مصطلح : دلالة السياق القرآني في ص ١٢٠ .

الله ﴿ فَقُلْ هُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٨] . يقول : إن شاء الله ، ويكون شبه العدة (١) . (٢)

حقوق ذوي القربى :

" حقوق ذوي القربى تنقسم إلى :

- واجبة : مثل بعض النفقة على بعض القرابة مبيّنة شروطها عند الفقهاء .
- وغير واجبة : مثل الإحسان " (٣) .

وسئل الحسن : ما حقُّ الرَّحِمِ ؟ قال : لا تحرمها ولا تهجرها (٤) .

والقرآن يجعل لذوي القربى حقاً في الأعناق يوفى بالإنفاق ، فلا يكون المنفق مُتكرماً ولا متفضلاً ، إنما هو الحقُّ الذي فرضه الله ، ووصله بعبادته وتوحيده ، حقٌّ يؤديه المكلف فتراً ذمته ، فيواسي قرابته بماله وعطائه ليؤدي ما عليه الله (٥) .

فيكون برّ ذوي القربى بأهمور منها :

١- صلة الرَّحِمِ بالمال (٦) : وهذا الجانب هو الذي ذكر في آية البرِّ (٧) : ﴿ وَلَيَكِنَّ الْيَتِيمَ

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ

وَالْيَتِيمَ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ . الآية . [سورة البقرة : ١٧٧] .

ويكون بالاجتهاد في إيصال كفايتهم ، وخصوصاً عند فقرهم وسدِّ حاجاتهم ، وبذل المعروف لهم بطيب نفسٍ وانسراح ، وسداد الدّين أو المساعدة في سداده .

(١) العدة : أي الوعد . سبق تعريفه لغة في ص ٢٧١ .

(٢) الدرّ المنثور : ٥ / ٢٧١ .

(٣) التحرير والتنوير : ١٤ / ٦٢ .

(٤) البرّ والصلة : ٦٠ . ورجال إسناده ثقات .

(٥) انظر : الظلال : ٤ / ٢٢٢٢ .

(٦) ويراعى عند التصدق على ذوي القربى الآداب الباطنة في الصدقة ، ذكرتها في مبحث الصدقة ، انظر : ص ٢٠٥ .

(٧) وكما نرى لم يأت في آية البرِّ ذكر إلاّ وجه واحد من وجوه البرِّ بذوي القربى واليتامى والفقراء والمساكين وابن السبيل والساائلين والرقاب ؛ ألا وهو إيتاء المال - على حبه - ، وقد أشرت إلى غيره من وجوه البرِّ إتماماً للفائدة ، وحرصاً على معرفة كيفية البرِّ بأهل الحاجة .

والحقُّ في هذه الآية ما يتعيّن له من صلة الرّحم ، وسدّ الخلة ، والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه ، قال بنحو هذا غير واحد من السلف (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ . [سورة البقرة : ٢١٥] .

والخلاف بين أهل العلم في وجوب النفقة للقرابة أو لبعضهم معروف (٢) ، والذي ينبغي الاعتماد عليه وجوب صلتهم بما تبلغ إليه القدرة وحسبما يقتضيه الحال (٣) .

ومن البرّ بذوي القربى ما وصّى الله الوارثين لميراث إذا حضر الفقراء من القرابة ممن ليس بوارث قسمة ما لهم الجزيل ؛ فإن أنفسهم تتوق إلى شيء منه إذا رأوا هذا يأخذ وهذا يأخذ وهم يائسون لا شيء يعطونه ، فأمر الله تعالى - وهو الرؤوف الرّحيم - أن يعطوهم شيئاً من المال يكون برّاً بهم وصدقة عليهم وإحساناً إليهم وجبراً لكسرهم ، ويقال لهم : خذوا بورك لكم . وقيل : قولوا مع الرزق وددت أن لو كان أكثر من هذا (٤) .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ . [سورة النساء : ٨] . (٥)

٢- ابتداء زيارتهم ، وتأكّد عند المرض والحاجة .

(١) انظر : تفسير القرطبي : ٢٤٧ / ١٠ ، تفسير الثعالبي : ٣٣٩ / ٢ .

(٢) اختلف العلماء فيمن تجب عليه النفقة من ذوي القربى على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن النفقة تجب على كل وارث لمورثته ، إذا اجتمعت ثلاثة شروط :

- أن يكونوا فقراء لا مال لهم ولا كسب .
- أن تكون لمن تجب عليه النفقة ما ينفق عليهم فاضلا عن نفقة نفسه ؛ إمّا من ماله وإمّا من كسبه .
- أن يكون المنفق وارثاً ، وبه قال غير واحد من السلف ، وهو ظاهر المذهب الحنبلي .

القول الثاني : تجب النفقة على كل ذي رحم محرّم ولا تجب على غيرهم ، وبه قال أبو حنيفة .

القول الثالث : لا نفقة إلا على المولودين والوالدين ، وبه قال مالك والشافعي . انظر : المغني : ١٦٩ / ٨ - ١٧٣ .

(٣) فتح القدير : ٢٢١ / ٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري : ٢٦٦ / ٤ ، تفسير القرطبي : ٤٩ / ٥ ، ٥٠ .

(٥) ذهب جماعة إلى أن الآية منسوخة بآية الميراث ، وقال آخرون : هي محكمة ، ثم اختلفوا في الأمر ؛ فأكثرهم على الاستحباب ، وهو الصحيح ، وبعضهم على الوجوب . انظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس : ٣٠٢ ، المصنف من علم الناسخ والمنسوخ لعبد الرحمن بن علسي ابن الجوزي : ٢٣ .

- ٣- تقديمهم على غيرهم في إجابة دعوتهم ، والبداة بهم في الدعوة والضيافة - عند قُربهم أو كون ذلك لا يشقُّ عليهم ولا يُخرجهم - ، والتهنئة بما يسرُّ والتعزية في المصائب .
- ٤- إثارةهم بالإحسان والصدقة والهدية على من سواهم .
- ٥- التلطف بهم ولين الجانب معهم وإظهار محبتهم وطلاقة الوجه والدعاء لهم ، وحسن عشرتهم بالمدارة وسعة الخلق ، وإغاثة اللهفان منهم .
- ٦- الصّفح عن عثراتهم والغضّ عن مساوئهم في غير إثم أو معصية .
- ٧- دعوتهم وتوجيههم إلى الخير تحقياً لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ﴿٧٧﴾ .
- [سورة الشعراء : ٢١٤] . واقتداء بالنبي ﷺ في تطبيق هذه الآية حين دعا قرابته وعشيرته فأندرهم وحثهم على أن يُنقذوا أنفسهم من النار ، وأخبرهم أنه لن يغني عنهم من الله شيئاً ^(١) فنصيحتهم أوجبُ من نصيحة غيرهم في الأولوية ، خصوصاً عند فعلهم للمنكر أو تقصيرهم في المعروف ، وذلك حسب الاستطاعة مع مراعاة آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ٨- المبادرة إلى صلحهم عند اختلافهم والتأليف بينهم ، وإعانتهم على البرِّ والتقوى وتحذيرهم من الإثم والبغي والعدوان وكل ما يؤدي إلى القطيعة وفساد ذات البين ^(٢) .
- ٩- المبادرة إلى وصل الرّحم إذا قطعت ؛ فهذا هو الواصل لرحمه ، فقد يجد بعض الناس جفاء من ذوي رحمه حيث يتعمدون قطيعته ويباشرون أذاه ولا يقبلون إحسانه ، ولا شكّ أن ذلك من البلاء العظيم ، فينبغي للحريص على صلة رحمه ورضى ربّه أن يصبر عليه ويصله رغم قطيعته طمعاً في حسن العاقبة . قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . [سورة يوسف : ٩٠] .

(١) ذكر هذا في حديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ﴿٢٠٤﴾ :

١ / ١٩٢ . عن أبي هريرة ؓ .

(٢) سبق الحديث عن الإصلاح بين الناس والتعاون على البرِّ والتقوى ، انظر : ص ٣٣٩ ، ٣٤٩ .

وأفضل الصدقة على الرَّحِمِ الذي يضر لك عداوة ولا يأفك . سأل رجلُ النبي ﷺ عن الصدقات أيها أفضل ؟ فقال : " على ذي الرَّحِمِ الكاشح ^(١) " (٢) .

وقال ﷺ : " ليس الواصل بالمكافئ ^(٣) ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رَحِمه وصلها " (٤) . وهذا من باب الحثُّ على مكارم الأخلاق ، كقوله تعالى : ﴿ اَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ﴾ [سورة المؤمنون : ٩٦] .

والناس ثلاث درجات :

■ واصل : وهو الذي يتفضل ولا يتفضل عليه .

■ ومكافئ : وهو الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذه .

■ وقاطع : الذي لا يتفضل عليه ولا يتفضل ^(٥) .

والواصل هو المذكور في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله إن لي قرابةً أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ . فقال : " لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ ^(٦) ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك " (٧) .

(١) الكاشح : مأخوذ من كشح ، والكاف والشين والحاء أصل صحيح ، وهو بعض خلق الحيوان ، فالكشح : الخصر ، والكشح : داء يصيب الإنسان في كشحه ، والكاشح الذي يطوي على العداوات كشحه ، ويقال : طويت كشحي على المر ، إذا أضمرته وسترته . انظر : النهاية ، باب الكاف مع الشين (مادة : كشح) : ٤ / ١٧٥ ، لسان العرب (مادة : كشح) : ٢ / ٥٧١ ، ٥٧٢ .

(٢) أخرجه أحمد في مسند حكيم بن حزام رضي الله عنه (١٥٣٥٥) : ٣ / ٤٠٢ ، (٢٣٥٧٧) : ٥ / ٤١٦ ، وأخرجه الدراري في كتاب الزكاة ، باب الصدقة على القرابة (١٦٧٩) : ١ / ٤٨٧ ، وأخرجه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد بإسناد صحيح . ووافقه الذهبي . انظر : المستدرک على الصحيحين ، كتاب الزكاة (١٤٧٥) : ١ / ٥٦٤ .

(٣) قوله : " ليس الواصل بالمكافئ " أي : الذي يعطي لغيره نظير ما أعطاه ذلك الغير . انظر : فتح الباري : ١٠ / ٤٢٣ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب ليس الواصل بالمكافئ (٥٦٤٥) : ٥ / ٢٢٣٣ . عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

(٥) انظر : سبل السلام : ٤ / ١٦٢ .

(٦) الملّ - بفتح الميم - : الرماد الحار الذي يُحمى ليُدفن فيه الخبز لينضج ، أراد إنما تجعل الملة لهم سُفوقاً يستفونه ، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق أكل الرماد الحار من الألم ، يعني أن عطائك إيّاهم حرام عليهم ونار في بطونهم ، ولا شيء على هذا المحسن بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه ، وقيل معناه : أنك بالإحسان إليهم تحزبهم وتحقرهم في أنفسهم ؛ لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة من أنفسهم كمن يسف الملّ ، والظهير : المعين والدافع لأذاهم ، وقوله : " أحلم عنهم " - بضم اللام - ، ويجهلون أي : يسيئون ، والجهل هنا القبيح من القول . انظر : النهاية : (مادة : مل) : ٤ / ٣٦١ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ١٦ / ١١٥ .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٢٥٥٨) : ٤ / ١٩٨٢ .

وعن قتادة ^(١) في قوله تعالى : ﴿وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ . قال : إذا كان لك ذو قرابة فلم
تصله بمالك ، ولم تمش إليه برجلك فقد قطعته ^(٢) .
وقال ﷺ : " لا يدخل الجنة قاطع رَحِمٍ " ^(٣) .
ويُحمل هذا الحديث على أمرين :

■ أحدهما : حملة على أن من يستحل القطيعة بلا سبب ولا شبهة مع علمه بتحريمها
فهذا كافر يخلد في النار ، ولا يدخل الجنة أبداً .
■ والثاني : معناه : ولا يدخلها في أوَّل الأمر مع السابقين ، أو لا يدخلها حتى يعاقب
بما اجترحه .

وقوله : " لا يدخل الجنة " أشدّ وعيداً من قوله : يدخل النار ؛ لأن النار يرحى منها
الخلاص ، أمّا الإنذار بعدم دخول الجنة فهو وعيد شديد ، ممّا يؤكد حقّ ذوي القربى من
الصِّلة والبرِّ ^(٤) .

إذن ؛ فالحديث محمولٌ على الوعيد الشديد والتهديد والزجر لقاطع الرِّحِم لسبب من
الأسباب .

وإختلف العلماء بأيّ شيء تحصل القطيعة للرِّحِم :

قال زين الدين العراقي ^(٥) : تكون بالإساءة إلى الرِّحِم .

وقال غيره : تكون بترك الإحسان ؛ لأنّ الأحاديث أمرّة بالصِّلة ناهية عن القطيعة ، والصِّلة
نوعٌ من الإحسان كما فسرها غير واحد ، والقطيعة ضدّها ؛ وهي ترك الإحسان ^(٦) .

(١) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٢) انظر : البرّ والصلة : ٦٦ ، تفسير الصنعاني : ١٠٣ / ٣ . ورجال إسناده ثقات .

(٣) أخرج البخاري بنحوه في كتاب الأدب ، باب إم القاطع (٥٦٣٨) : ٥ / ٢٢٣١ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب البرّ
والصلة والآداب ، باب صلة الرِّحِم وتحريم قطيعتها (٢٥٥٦) : ٤ / ١٩٨١ . كلاهما عن جبير بن مطعم ﷺ .

(٤) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ١٦ / ١١٣ ، ١١٤ ، فيض القدير : ٦ / ٤٤٨ ، تحفة الأحوذى : ٦ / ٣١ .

(٥) سبقت ترجمته في ص ٤٢٦ .

(٦) انظر : سبل السّلام : ٤ / ١٦٢ .

وقال المناوي (١) : " وقد ورد الحثُّ فيما لا يحصى من الأخبار على صلة الرَّحِمِ ، ولم يرِدْ لها ضابط ، فالمعولُّ على العرف ، ويختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمنة والواجب منها ما يُعدُّ به في العرف واصلاً ، وما زاد فهو تفضُّل ومكرمة " . اهـ (٢) .

حكم هجر ذوي القربى :

قال ابن عبد البر (٣) : " وأجمع العلماء على أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون يخاف من مكالته وصلته ما يفسد عليه دينه ، أو يولِّد به على نفسه مضرة في دينه أو دنياه ؛ فإن كان ذلك فقد رخص له في مجانبته وبعده ، ورُبَّ هجرٍ جميلٍ خيرٍ من مخالطة مؤذية " . اهـ (٤) .

وقد ذكر الخطَّابي (٥) أن هجر الوالد ولده والزوج زوجته ونحو ذلك لا يتضيَّق بالثلاث واستدلَّ بأنه ﷺ هجر نساءه شهراً ، وكذلك ما صدر من كثير من السلف في استحازتهم ترك مكالمة بعضهم بعضاً مع علمهم بالنهي عن المهاجرة ، ولا يخفى أن هنا مقامين أعلى وأدنى :

- فالأعلى : اجتناب الإعراض جملة ، فيبذل السَّلام والكلام والمواددة بكل طريق .
- والأدنى : الاقتصار على السَّلام دون غيره .

والوعيد الشَّدِيد إنما هو لمن يترك المقام الأدنى ، وأمَّا الأعلى فمن تركه مع الأجنب فلا يلحقه اللوم ؛ بخلاف الأقارب فإنه يدخل فيه قطيعة الرَّحِمِ ، فذو القربى لا يكتفى في صلتهم السَّلام ، بل لابدَّ من التلطف والمواددة وطيب العشرة وترك الإعراض كليَّةً (٦) .

(١) سبق ترجمته في ص ٤٨ .

(٢) فيض القدير : ٤٤٨ / ٦ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٣٠٢ .

(٤) التمهيد لابن عبد البر : ١٢٧ / ٦ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٢١٧ .

(٦) انظر : جامع العلوم والحكم : ٣٣١ ، فتح الباري : ١٠ / ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

وقطبيعة الرَّحِمِ من الاقتطاع من الرحمة ، فإذا كانت بنحو إيداءٍ أو صدٍّ أو هجرٍ فإنه كبيرة كما يفيدُه الوعيد الشَّدِيدُ ^(١) . قال ﷺ : " ما من ذنبٍ أجدُرُ أن يعجل اللهُ في الدنيا مع ما يدخرُ له في الآخرة من البغي وقطيعة الرَّحِمِ " ^(٢) .

فمن أراد الفلاح في الدنيا والآخرة ، وسعة الرزق ، والبركة في العمر ، ودفع ميتة السوء وتعمير الدِّيار وتممير الأموال ، وغفران الذنوب وتكفير الخطايا ورضى الرحمن ودخول الجنان .. فليبادر إلى صلة أقاربه وتفقد أحوالهم ، وتعهدهم بالمال لمن احتاج منهم وبالزيارة لغيرهم ، ولا يقابلهم زيارة بزيارة ، وسؤالاً بسؤال ، بل يبذل ويعطي ويحلم ويحسن ويبرّ .

والأبرار متطلعون دوماً إلى مرضاة ربهم ، مترفعون أبداً عن الجهالات والإساءات التي تبدر بين الحين والحين من ذوي قرابتهم ، معرضون عن التفاهات التي تشغل الصغار من الناس وتوغر منهم الصدور ، وهذا من دلائل إيمانهم بالله واليوم الآخر ، وصفاء قلوبهم وصدق نيّتهم .. فهم لا ينتظرون الجزاء من الناس ، ولكن من ربِّ الناس يوم الجزاء .



^(١) انظر : فيض القدير : ٢ / ٤٢٦ ، ٥ / ٤٧٨ .

^(٢) أخرج أبو داود بنحوه في كتاب الأدب ، باب في النهي عن البغي (٤٩٠٢) : ٤ / ٢٧٦ ، وأخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب صفة القيامة والرفائق والورع ، باب ٥٧ (٢٥١١) : ٤ / ٦٦٤ ، وأخرج ابن ماجه بمثله في كتاب الزهد ، باب البغي (٤٢١١) : ٢ / ١٤٠٨ . كلُّهم عن أبي بكره ؓ . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وأخرج الحاكم بنحوه وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقد حذفه الذهبي من التلخيص .

المبحث الثالث : البرُّ بالصَّاحِبِ

للصَّاحِبِ فِي الْإِسْلَامِ حَقُّ الصُّحْبَةِ ، وَقَدْ قَرَنَ ﷺ الْإِحْسَانَ بِالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ مَعَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدِينَ وَذَوِي الْقُرْبَى وَمَعَ عِبَادَةِ اللَّهِ وَعَدَمِ الْإِشْرَاقِ بِهِ ، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى اهْتِمَامِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِحَقِّقِ الصُّحْبَةِ لِمَا لَهَا مِنْ أَثَرٍ فَعَّالٍ فِي تَقْوِيَةِ أَوَاصِرِ الْحَبِّ ، وَتَنْمِيَةِ بَذُورِ الْإِثَارِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمَجْتَمَعِ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ * وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا * وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [سورة النساء : ٣٦] . (١)

الصَّاحِبِ لُغَةً :

مَأْخُودٌ مِنْ " صَحِبَ " ، صَحِبَهُ يَصْحَبُهُ صُحْبَةً وَصَحَابَةً ، الصَّادُ وَالْحَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مَقَارَنَةِ شَيْءٍ وَمَقَارَبَتِهِ . وَصَاحِبِهِ : عَاشِرُهُ . وَالصَّحْبُ : جَمْعُ الصَّاحِبِ ، مِثْلُ : رَاكِبٌ وَرُكْبٌ . وَالْأَصْحَابُ : جَمَاعَةُ الصَّحْبِ مِثْلُ فَرَّخٍ وَأَفْرَاحٍ . وَالصَّاحِبُ : الْمُعَاشِرُ وَالْأَصْحَابُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ ، وَجَمْعُ الْأَصْحَابِ أَصْحَابٍ . وَأَمَّا الصُّحْبَةُ وَالصَّحْبُ فَاسْمَانِ لِلْجَمْعِ (٢) .

(١) هَذَا هُوَ الْمَوْضِعُ الْوَحِيدُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْأَمْرِ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الصَّاحِبِ ، وَلَفْظُ (الْإِحْسَانُ) مِنْ الْأَلْفَاظِ الْمُرَادِفَةِ وَالْمَقَارِبَةِ لِلرِّبِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَقَدْ بَيَّنَّتْ فِي مَقَدِّمَةِ الْبَحْثِ أَنِّي سَأَتَنَاوَلُ الْأَلْفَاظَ الْمُرَادِفَةَ لِلْفِظِّ الْبَرِّ فِي بَحْثِي هَذَا .

(٢) انظُرْ : الْمُقَائِيسَ ، كِتَابُ الصَّادِ ، بَابُ الصَّادِ وَالْبَاءِ وَمَا يَتْلُوهُمَا (مَادَّةُ : صَحِبَ) : ٥٨٧ ، لِسَانُ الْعَرَبِ (مَادَّةُ : صَحِبَ) :

الجَنبُ لغة :

مأخوذ من " جنب " ، الجيم والنون والباء أصلان متقاربان ، أحدهما الناحية ، والآخر البعد فمن الأول الجَنبُ والجَنبَةُ ، والجانبُ : شِقُّ الإنسان وغيره . تقول : قَعَدْتُ إلى جَنبِ فلان وإلى جانبِهِ بمعنى واحد ، والجمع جُنُوبٌ وجَوَانِبٌ^(١) .

ويجوز أن تكون الباء في ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ بمعنى (في) وأن تكون على بابها ، وعلى كلا الوجهين هو حال من الصَّاحِبِ ، والعامل فيها المحذوف^(٢) .

المراد بالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ :

اختلف المفسِّرون في المراد بالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ على أقوال :

■ القول الأول : هو الرِّفِيقُ في السفر .

■ القول الثاني : هو الزَّوْجَةُ .

■ القول الثالث : هو الذي يصحبك رجاء نفعك .

■ القول الرابع : هو جليسك في الحضر ، ورفيقك في السفر .

■ القول الخامس : الصَّاحِبِ بِالْجَنبِ هو الذي صحبتك بأن حصل بجنبك ، إمَّا رقيقاً في

سفر أو نكاح ، وإمَّا جاراً ملاصقاً ، وإمَّا شريكاً في تعلُّم أو حرفة ، وإمَّا قاعداً إلى

جنبك في مجلس أو مسجد أو غير ذلك من أدنى صُحبة حصلت بينك وبينه .

وقد تناول الآية الجميع بالعموم ، فهو الصَّاحِبِ مطلقاً ، ولعلَّه أولى فإنه يشمل الصَّاحِبِ

في الحضر والسفر ، ويشمل الزَّوْجَةَ وكل من له أدنى صُحبة ، لأنَّ كلَّهم بجنب الذي هو

معه وقريب منه ، ولم يخص الله جل ثناؤه بعضهم مما احتمله ظاهر التتريل ، فالصواب أن

يقال جميعهم معنيون بذلك ، وبكلَّهم قد أوصى الله بالإحسان إليه ، وهذا ما رجَّحه أكثر

المفسرين^(٣) .

(١) انظر : المقاييس ، كتاب الجيم ، باب الجيم والنون وما ينثلهما (مادة : جنب) : ٢٢٥ ، لسان العرب (مادة : جنب) :

٢٧٥ / ١ .

(٢) إملأ ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات : ١ / ١٧٩ .

(٣) انظر : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : ٧٠ ، تفسير سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري : ٩٥ ، تفسير الصنعاني :

١ / ١٥٩ ، ١٦٠ ، تفسير الطبري : ٥ / ٨٠ - ٨٢ ، معاني القرآن للنحاس : ٢ / ٨٤ ، أحكام القرآن للحصاص : ٣ / ١٥٧ :

تفسير الواحدي : ١ / ٢٦٤ ، تفسير السمعاني : ١ / ٤٢٦ ، تفسير البغوي : ١ / ٤٢٥ ، الكشاف : ١ / ٥٤١ ، زاد المسير :

٢ / ٨٠ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي : ١١٧ ، التفسير الكبير : ١٠ / ٧٨ ، تفسير القرطبي : -

قال أبو بكر (١) :

" لَمَّا كَانَ اللَّفْظُ مُحْتَمَلًا لِجَمِيعِ ذَلِكَ وَجِبَ حَمْلُهُ عَلَيْهِ ، وَأَنْ لَا يُخَصَّ مِنْهُ شَيْءٌ بِغَيْرِ دَلَالَةٍ " . اهـ (٢) .

فيجب على المسلم أن يرعى ذلك الحقَّ ولا ينساه ، ويجعله ذريعةً إلى الإحسان .

كان رسول الله ﷺ معه رجل من أصحابه وهما على راحلتين ، فدخل رسول الله ﷺ في غيضة طرفاء (٣) ، فقطع فصيلين أحدهما معوجَّ والآخر معتدل فخرج بهما ، فأعطى صاحبه المعتدل وأخذ لنفسه المعوجَّ ، فقال الرجل : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي أنت أحقُّ بالمعتدل مني . فقال : " كَلَّا يَا فُلَانُ ، إِنَّ كُلَّ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِبًا مَسْئُولٌ عَنْ صَحَابَتِهِ وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ " (٤) .

وقال ﷺ : " خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ " (٥) .

= ١٨٨ / ٥ ، ١٨٩ ، تفسير البيضاوي : ١٨٧ / ٢ ، تفسير النسفي : ٢٢١ / ١ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٤٩٦ ، تفسير الثعالبي : ٣٧١ / ١ ، تفسير الجلالين : ١٠٧ ، الدر المنثور : ٥٣١ / ٢ ، تفسير السمرقندي : ١ / ٣٢٨ ، تفسير أبي السعود : ٢ / ١٧٦ ، فتح القدير : ١ / ٤٦٥ روح المعاني : ٥ / ٢٩ ، تفسير السعدي : ١٧٨ .

(١) هو أبو بكر الجصاص : سبق ترجمته في ص ٥ .

(٢) أحكام القرآن للجصاص : ٣ / ١٥٧ .

(٣) الغيضة : هي الشجر الملتف ، والطرْفَةُ شجرة ، وهي الطَّرْفُ ، والطرفاء جماعة الطَّرْفَةِ : شجرٌ . انظر : النهاية ، باب الغين مع الضاد (مادة : غيضة) : ٣ / ٤٠٢ ، لسان العرب (مادة : غيضة) : ٧ / ٢٠٢ ، (مادة : طرف) : ٩ / ٢٢٠ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره بسنده عن سهل بن موسى الرازي قال ثنا ابن أبي فديك عن فلان بن عبد الله عن الثقة عنده . انظر : تفسير الطبري : ٥ / ٨٢ . ولم أجد في كتب الحديث . قال العجلوني : حديث : " إن الله سأل عن صحبة ساعة " . قال النجم : دأب في ألسنة الناس ، وفي معناه ما أخرجه ابن جرير في قوله تعالى : ﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ﴾ بلفظ : " ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من نهار إلا سئل عن صحبته ، هل أقام منها حق الله تعالى أم أضاعه ؟ " . انظر : كشف الخفاء : ١ / ٢٦٠ .

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب البرِّ والصلة ، باب ما جاء في حق الجوار (١٩٤٤) : ٤ / ٣٣٣ ، وأخرج الدارمي بمثله في كتاب السير باب في حسن الصحابة (٢٤٣٧) : ٢ / ٢٨٤ ، وأخرج أحمد بمثله (٦٥٦٦) في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ : ٢ / ١٦٧ . كلُّهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ . قال الترمذي : حسن غريب .

البرّ بالصّاحب بالجَنَدِ :

للصّاحب على صاحبه حقّان : حقّ الإسلام وحقّ الصّحبة ، أمّا حقّ الإسلام فهو حقّ المسلم على المسلم ، والحقوق كثيرة (١) أهمّها :
 أن تسلّم (٢) عليه إذا لقيته ، وتجيّه إذا دعاك ، وتشمته إذا عطس ، وتعوده إذا مرض ،
 وتبرّ قسمه إذا أقسم عليك ، وتنصح له إذا استنصحك ، وتنصره إذا ظلم ، وتشهد جنازته
 إذا مات .

قال ﷺ : " حقّ المسلم على المسلم (٣) خمس : ردّ السّلام ، وعبادة المريض ، واتباع الجنائز
 وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس " (٤) .

وعن البراء (٥) قال : " أمرنا النبي ﷺ بسبع وهانا عن سبع ، أمرنا باتباع الجنائز

(١) أخرج أبو القاسم الأصبهاني بسنده إلى علي عليه السلام مرفوعاً كما في روضة الأفكار : " للمسلم على المسلم ثلاثون حقّاً لا براءة له منها
 إلّا بالأداء أو العفو : يغفر زلته ، ويرحم عبرته ، ويستر عورته ، ويقبل عشرته ، ويقبل معذرتة ، ويرد غيبته ، ويلتم نصيحته ، ويحفظ
 خلته ، ويرعى ذمته ، ويعود مودته ، ويشهد ميته ، ويحب دعوته ، ويقبل هديته ، ويكافئ صلته ، ويشكر نعمته ، ويحسن نصرته ،
 ويحفظ حليلته ، ويقضي حاجته ، ويشفع مسألته ، ويطيب كلامه ، ويبرّ إنعامه ، ويصدق إقسامه ، وينصره ظالماً أو مظلوماً ويواليه ولا
 يعاديه ، ويجب له من الخير ما يجب لنفسه ، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه ، وإن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً حتى العطسة
 يدع تشميتة عليها فيطالبه يوم القيامة فيقضى له بما عليه " . أورده المناوي وقال : أخرجه مسلم في الاستئذان عن أبي هريرة عليه السلام ولم
 يخرجه البخاري في صحيحه ، وأورد طرفاً منه ابن قدامة في المغني . انظر : نصب الرأية : ٢ / ٢٥٧ ، المغني : ٥ / ١٠٩ ، فيض القدير :
 ٣ / ٣٩١ .

(٢) نقل ابن عبد البرّ الإجماع على أن ابتداء السلام سنة ، وأن ردّه فرض . انظر : التمهيد لابن عبد البرّ : ٥ / ٢٨٩ .

(٣) والمراد بقوله : " حقّ المسلم " : أي حقّ الحرمة والصحة ، والحقّ يعمّ وجوب العين والكفاية والندب ، وفي الشرع : يقال للواجب
 والمندوب المؤكد لأن كلا منهما ثابت في الشرع ، فإنه مطلوب مقصود قصداً مؤكداً لكن إطلاقه على الواجب أولى ، وقد أطلق هنا
 على القدر المشترك بين الواجب وغيره . قال ابن بطال : يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية ، كاطعام الجائع وفك الأسير
 ويحتمل أن يكون للندب للحث على التواصل والألفة . وجزم الداودي بالأول ، فقال : هي فرض يحمل بعض الناس عن بعض . وقال
 الجمهور : هي في الأصل ندب ، وقد تصل إلى الوجوب في حقّ بعض دون بعض . وعن الطبري : تتأكد في حق من ترجى بركته وتسب
 فيمن يراعي حاله ، وتباح فيما عدا ذلك . انظر : فتح الباري : ١٠ / ١١٢ ، ١١٣ ، فيض القدير : ٣ / ٣٩٠ ، نيل الأوطار :
 ٤ / ٤٣ .

(٤) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الجنائز ، باب الأمر باتباع الجنائز (١١٨٣) : ١ / ٤١٨ ، وأخرج مسلم بنحوه
 بلفظ : " حقّ المسلم على المسلم ستّ " . زاد : " فإذا استنصحك فانصح له " في كتاب السّلام ، باب من حقّ المسلم للمسلم ردّ السلام
 (٢١٦٢) : ٤ / ١٧٠٥ . كلاهما عن أبي هريرة عليه السلام .

(٥) صحابي جليل ، انظر : ص ٣٨٤ .

وعيادة المريض ، وإجابة الداعي ، ونصر المظلوم ، وإبرار القسم ، وردِّ السَّلام ، وتشميت العاطس ... " . الحديث (١) .

وأما حقُّ الصُّحبة ، فللصَّاحِبِ على صاحبه حقوقاً يجب الوفاء بها ، وذلك يجمعه ثمانية حقوق (٢) :

الحقُّ الأوَّلُ : في المال :

أعلى درجات البرِّ بالصَّاحِبِ أن تؤثره على نفسك ، وتقدِّم حاجته على حاجتك ، وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ، ومن ثمار هذه الرُّتبة الإيثار بالنفس ، فإن لم يقم الصَّاحِبُ بقضاء حاجة صاحبه ، وأجأه إلى السؤال فهذا تقصيرٌ في حقِّ الصُّحبة .

قال الله تعالى : ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ وقال : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ ﴾ . [سورة النور : ٦١] . فقد كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض له التصرف كما يريد ، وكان أخوه يتحرَّج من الأكل بحكم التقوى ، حتى أنزل الله هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الأصحاب والإخوان الذين صدقت مودتهم ، وإتِّمَّما يكون ذلك إذا علِّم رضا صاحب البيت بإذن أو قرينة ، وخصَّص الأصدقاء لأنه يُعتاد التبسُّط بينهم ، فلو وُجد في أحد من هؤلاء عدم المسامحة والشحِّ في الأكل المذكور لم يجز الأكل ولم يرتفع الحرج .

يحكى عن الحسن (٣) أنه دخل داره وإذا حلقة من أصدقائه ، وقد أخرجوا سلالاً من تحت سريره فيها أطيب الأطعمة ، وهم مكبُّون عليها يأكلون ، فتهلَّلت أسارير وجهه سروراً وضحكاً ، وقال : هكذا وجدناهم ، يريد كباراء الصحابة . وعن ابن عباس (٤) : الصَّدِيقُ أَكْثَرُ مِنَ الْوَالِدِينَ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَمَّا اسْتَعَاثُوا لَمْ يَسْتَعِيثُوا بِالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ، بَلْ بِالْأَصْدِقَاءِ . فقالوا : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ ﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿ . [سورة الشعراء : ١٠٠] . [١٠١] .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الجنائز ، باب الأمر باتباع الجنائز (١١٨٢) : ١ / ٤١٧ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء (٢٠٦٦) : ٣ / ١٦٣٥ .

(٢) انظر : الإحياء ، في حقوق الأخوة والصُّحبة : ٢ / ١٧٣ - ١٩١ .

(٣) هو الحسن البصري ، سبق ترجمته ص ٥٢ .

(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

وكان الحسن وقتادة ^(١) يريان الأكل من طعام الصديق بغير استئذان جائزاً ^(٢) .
أمّا الصّاحب الذي يدخل دارك فيتجرأ عليك ، ويطلب ما شاء بدون تكلّف ، حتى إذا
دخلت داره وجدته شحيحاً متكلفاً لا يُشعرك إلاّ بالخرج والغربة والتكلّف فهو أخ يزايد
بالأخوة لينال بسببها خيراً مادياً وليس صادقاً في صحبته .

الحقّ الثّاني : في الإثمّة بالنفس على قضاء الحاجات :

من البرّ بالصّاحب بالجنب أن تكون حاجته مثل حاجتك أو أهمّ ، وأن تكون متفقداً
لأوقات الحاجة ، غير غافلٍ عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك ، وتغنيه عن السؤال
وإظهار الحاجة إلى الاستعانة ، بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قمت بها ، ولا ترى
لنفسك حقاً بسبب قيامك بها ؛ بل تشعر بمثته عليك بقبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره .
وكان عبد الله بن مسعود ^(٣) يقول : كنّا إذا افتقدنا الأخ أتيناه ، فإن كان مريضاً
كان عيادة ، وإن كان مشغولاً كان عوناً ، وإن كان غير ذلك كانت زيارة ^(٤) .

وقال الله تعالى : ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ . [سورة الفتح : ٢٩] . إشارة إلى الشفقة والإكرام .

فمن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعامٍ لذيذ ، أو بحضورٍ في مسرّةٍ دونه ؛ بل يتنعّص لفراقه
ويستوحش بانفراده عن أخيه .

الحقّ الثّالث : أمر اللسان بالسكوت :

وهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته ؛ ولا يماريه ولا يناقشه ، ولا يتجسس
ويسأل عن أحواله ، وليكنتم أسرارته التي استأمنه إيّاها ، فلا يكشفها ولو بعد قطيعة ووحشة
وألاّ ينقل سبّ الناس فيه ، فإن الذي سبّك من بلّغك ، ولا يُخفي ما يسمع من الثناء عليه
فإن إخفاء ذلك من الحسد .

(١) سبق ترجمتهما ، الحسن البصري في ص ٥٢ ، وقتادة في ص ٥ .

(٢) انظر : فهم القرآن للحارث بن أسد المحاسبي : ٤٦٩ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٥٨ ، الكشاف : ٣ / ٢٦٢ ، أحكام القرآن لابن
العربي : ٣ / ٤٢٢ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٩٦ ، زاد المسير : ٦ / ٦٦ ، التفسير الكبير : ٢٤ / ٣٣ ، تفسير القرطبي : ١٢ / ٣١٦
تفسير البيضاوي : ٤ / ٢٠٢ ، تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٠٦ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ٣ / ٧٣ ، تفسير أبي السعود : ٦ / ١٩٦ ، تفسير
السعدي : ٥٧٥ .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٥ .

(٤) شعب الإيمان : ٦ / ٥٣٨ .

كما يجب أن يترك المسلم غيبة اللسان فيترك أيضاً غيبة القلب ؛ وهي إساءة الظن ، وهذا منهى عنه ، قال ﷺ : " إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا تَحْسَسُوا ، وَلَا تَحْسَسُوا ، وَلَا تَنَافَسُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا " (١) . وقال ﷺ : " وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بِنِي لَهُ فِي وَسْطِهَا ، وَمَنْ حَسَنَ خَلْقَهُ بِنِي لَهُ فِي أَعْلَاهَا " (٢) .

الحقُّ الرابع : حقُّ اللسان بالنطق :

إنَّ الصَّحْبَةَ كَمَا تَقْتَضِي السُّكُوتَ عَلَى الْمَكَارِهِ تَقْتَضِي النَّطْقَ بِالْحُبَّةِ ، وَذَلِكَ بِـ :

- التودد له وإخباره بحبِّه له .
- أن يدعى بأحبِّ أسمائه إليه في غيبته وحضوره .
- قال عمر بن الخطاب (٣) ﷺ : " إِنَّ مِمَّا يَصِفِي لَكَ وَدَّ أَحْيِكَ ثَلَاثًا : تَبْدَأُهُ بِالسَّلَامِ إِذَا لَقَيْتَهُ ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ ، وَتَوَسَّعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ " (٤) .
- أن يثنى عليه عند من يُحِبُّ وَيُؤَثِّرُ ، وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعه وفعله وجميع ما يفرح به ، وذلك من غير كذبٍ ولا إفراطٍ ، ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بدَّ منه .
- أن يشكر على صنيعه في حقِّ صاحبه ؛ بل على نيَّته وإن لم يتم ذلك .
- كان يقال : من لم يشكر صاحبه على حسن النيَّة فيه ، لم يشكره على حسن الصَّنِيعَةِ إِلَيْهِ (٥) .
- الدفاع عنه في غيبته إذا قصد بسوء ، فحقُّ الصُّحْبَةِ التَّشْمِيرُ فِي الْحِمَايَةِ وَالنُّصْرَةَ وَالسُّكُوتَ عَنْ ذَلِكَ تَقْصِيرٌ فِي حَقِّ الصُّحْبَةِ .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري بنحوه في كتاب النكاح ، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (٤٨٤٩) : ٥ / ١٩٧٦ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب البرِّ والصلة والآداب ، باب تحريم الظن والتحسس والتنافس والتناجش ونحوها (٢٥٦٣) : ٤ / ١٩٨٥ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

(٢) جزء من حديث أخرجه أبو داود بنحوه في كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق (٤٨٠٠) : ٤ / ٢٥٣ ، وأخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب البرِّ والصلة ، باب ما جاء في المراء (١٩٩٣) : ٤ / ٣٥٨ ، وأخرج ابن ماجه بمثله في أول الكتاب ، باب اجتناب البدع والجدل (٥١) : ١ / ١٩ . كلُّهم عن أنس بن مالك ؓ . قال الترمذي : حديث حسن .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ٥٩ .

(٤) مكارم الأخلاق لعبد الله بن محمد القرشي (ابن أبي الدنيا) : ١٠٠ .

(٥) شعب الإيمان (٩١٣٤) : ٦ / ٥٢٣ .

■ ومن البرُّ بالصَّاحِبِ نصحه وإرشاده إلى كلِّ ما ينفعه في الدين والدنيا ، وينبغي أن يكون ذلك سرًّا لا يطلع عليه أحد ، فما كان على الملأ فهو توبيخٌ وفضيحة ، وما كان سرًّا فهو شفقة . قال ﷺ : " المؤمن مرآة المؤمن " (١) .

ومن أقوال الحكماء : إنَّ مما يجب للأخ على أخيه : مودَّته بقلبه ، وتزيُّنه بلسانه ورفدُهُ (٢) بماله ، وتقويمه بأدبه ، وحسن الذبِّ والمدافعة عنه في غيبته (٣) .

■ الموافقة وقلة الخلاف ، وذلك بالمسايرة وعدم التعصُّب لرأيه وهواه ، فكثرة الخلاف والعتاب منفرَةٌ للأصحاب . قال ﷺ : " مداراة الناس صدقة " (٤) .

والمداراة من أخلاق المؤمنين ، وهي خفض الجناح للناس ، ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول ، وذلك من الألفة ، والمداراة ليست من المداهنة في شيء ؛ لأنَّ المداراة مندوب إليها ، أمَّا المداهنة من الدهان ، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه ، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه إنكار عليه ، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه والإنكار عليه بلطف القول والفعل ؛ خاصَّة إذا احتاج إلى تألفه (٥) .

الحق الخامس : الوفاء (٦) والإخلاص :

معنى الوفاء : الثبات على الحبِّ وإدامته إلى الموت معه ، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فإنَّ الحبُّ يراد للآخرة ، فإنَّ انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي .

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب في النصيحة والحيلة (٤٩١٨) : ٤ / ٢٨٠ . عن أبي هريرة ؓ . قال الزين العراقي : إسناده حسن . انظر : فيض القدير : ٦ / ٢٥٢ .

(٢) رَفَدَهُ بماله : الرَفْدُ بالكسر - العطاء والصلة ، ورفده بماله أعطاه إياه . انظر : القاموس المحيط (مادة : رَفَد) : ٢٧١١ .

(٣) الإخوان لابن أبي الدنيا : ١١١ .

(٤) أخرجه ابن حبان في كتاب البرِّ والإحسان ، باب حسن الخلق ، ذكر كتابة الله الصدقة للمداري أهل زمانه ارتكاب ما يكره الله جل وعلا فيها (٤٧١) : ٢ / ٢١٦ . عن جابر ؓ . قال أبو حاتم : المداراة التي تكون صدقة للمداري هي تخلق في الإنسان الأشياء المستحسنة مع من يدفع إلى عشرته ما لم يشبهها بمعصية الله ، والمداهنة هي استعمال المرء الخصال التي تستحسن منه في العشرة وقد يشوبها ما يكره الله جل وعلا . قال العجلوني : رواه الطبراني وأبو نعيم وابن السني وابن حبان عن جابر وصححه ابن حبان . انظر : كشف الخفاء : ٢ / ٢٦٢ .

(٥) نقل ابن حجر هذا القول عن ابن بطال . انظر : فتح الباري : ١٠ / ٥٢٨ . بتصريف يسير .

(٦) سبق الحديث عن الوفاء في مبحث الوفاء بالعهود والوعود ، انظر : ص ٢٦٩ .

ومن الوفاء ألاَّ يحسد الصَّاحِبِ صاحبه لا في دين ولا دنيا ، وألاَّ يتغيَّر الإنسان مع أخيه إذا ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه ؛ فالترفع عن الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم . وليس من الوفاء موافقة الصَّاحِبِ فيما يخالف الصواب في أمر يتعلَّق بالدين ، بل الوفاء له المخالفة ، ومن تمام الوفاء بالمحبة النصيح في الله .

ومن الوفاء ألاَّ يسمع الصَّاحِبِ بلاغات الناس عن صاحبه ، وألاَّ يصادق عدوّه . والإخلاص : استواء الغيب والشهادة ، واللسان والقلب ، والسر والعلانية ، والجماعة والخلوة ، فإنَّ حقَّ الصُّحبة ثقيلٌ لا يطيقه إلاَّ الأتقياء الأبرار .

الحقُّ السادس : العفو عن الزلَّاتِ والمهفوات :

وهفوة الصَّاحِبِ إمَّا أن تكون في دينه بارتكاب معصية ، أو في حقِّ صاحبه بتقصيره في حقِّ الصُّحبة ، فبالنسبة لارتكابه المعصية فعلى الصَّاحِبِ نصحه والتلطف في إرشاده ، فإن لم يقبل ينظر في أمره هل يديم مودَّته أو يقاطعه ، وقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في ذلك .

أمَّا إن قصَّر في حقِّ الصُّحبة فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحتمال ، ويقدر على وجه حسن ، ويقدم له العذر ؛ بل سبعين عذراً ، وهذا من حقِّ الصُّحبة .

الحقُّ السابع : الدعاء له :

الدعاء للصَّاحِبِ في حياته وبعد مماته بكلِّ خير لنفسه ولأهله وكلِّ متعلِّق به ، فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه ، فإنَّ دعاءك له دعاءٌ لنفسك ، فقد قال ﷺ : " من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل " (١) .

قال أبو الدرداء (٢) ﷺ : إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم (٣) .

الحقُّ الثامن : التخفيف وتترك التكلُّف والتكليف :

أن لا يكلف أخاه ما يشقُّ عليه ؛ بل لا يحمله أعباءه ويتعبه ، فلا يستمدُّ منه جاهاً ولا مالاً ولا يكلفه التواضع له والتنفُّد لأحواله والقيام بحقوقه ، بل لا يقصد بمحبَّته إلاَّ الله تعالى

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٢٧٣٢) : ٤ / ٢٠٩٤ . عن أبي الدرداء ﷺ .

(٢) صحابي جليل ، انظر : ١٤٣ .

(٣) شعب الإيمان : ٦ / ٥٠٢ .

يفرح بلقائه ويستعين به على دينه ، ويتقرَّب إلى الله بالقيام بحقوقه وتحمل مؤونته . وشرُّ الأصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار .

ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يعترض في نوافل العبادات ، فلا يقول أحدهم لصاحبه صُمْ ولا أفطر ، ولا قُمْ ولا نَمْ .

ولا يتمُّ التخفيف وترك التكليف إلاَّ بأن يرى نفسه دون إخوانه ، ويحسن الظنَّ بهم ، فإذا رآهم خيراً من نفسه فعند ذلك يكون هو خيراً منهم ، وأقلُّ الدرجات هو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للصَّاحِبِ .

ومن تنمة الانبساط وترك التكلف : أن يشاور إخوانه في كلِّ ما يقصده ويقبل إشارتهم فقد قال تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٥٩] . وينبغي ألاَّ يُخفي عنهم شيئاً من أسراره ، وكلما زادت الصُّحبة تأكَّد الحقُّ وزاد .

وكل ما ذكر من حقوق الصُّحبة من الإعانة بالمال والنفس ، وحقه من اللسان من الذكر الحسن وعدم إفشاء السرِّ وعدم الغيبة لساناً وقلباً ، وترك المماراة ، والنصح والموافقة وقلَّة الخلاف ، مع العفو عن الهفوات والزلات والوفاء والإخلاص ، والتخفيف وترك التكلف والتكليف ، وعدم نسيانه من صالح الدعاء بالغيب ينتظم في كلِّ صاحب ، ويتأكَّد في حقِّ الزوجة ؛ فهي الصَّاحِبِ الذي لا يفارقه أبداً لا في ليلٍ ولا في نهار ، فمن البرِّ الإحسان إلى الزوجة ^(١) التي تشارك زوجها آلامه وآماله ، وتعيّنه في درب كفاح الحياة الطويل ، وقد كان رسول الله ﷺ خير النَّاسِ لأهله . قال ﷺ : " خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي " ^(٢) .

فأعلى الناس رتبةً في الخير وأحقُّهم بالانِّصاف به هو من كان خير الناس لأهله ، فإنَّ الأهل هم أحقُّ الأصحاب بالبشر ، وحسن الخلق ، والإحسان ، وجلب النفع ، ودفع الضر ، فإذا كان الرجل كذلك فهو خير الناس ، لكننا نجد كثيراً من الناس يعكسون الحال ؛ فترى

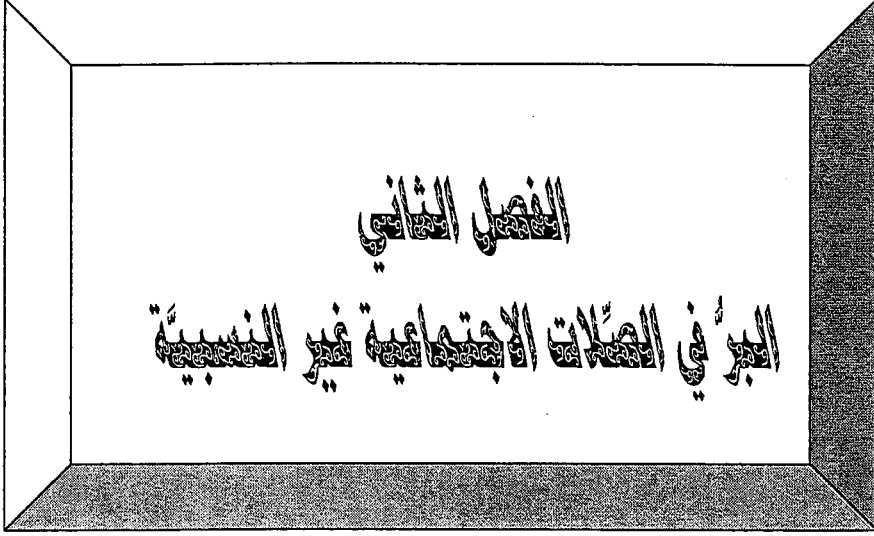
^(١) للزوجة حقوق خاصة بها ، ولكني هنا أتحدث عن البرِّ بالصَّاحِبِ على وجه العموم ، كما أني أعني في هذا البحث بجانب البرِّ في المعاملة بشيءٍ من التفصيل وليس عن الحقِّ الواجب .

^(٢) جزء من حديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب فضل أزواج النبي ﷺ (٣٨٩٥) : ٥ / ٧٠٩ ، عن عائشة - رضي الله عنها - ، وأخرج ابن ماجه بمثله في كتاب النكاح ، باب حسن معاشرته النساء (١٩٧٧) : ١ / ٦٣٦ ، عن ابن عباس ؓ وأخرج الدارمي بنحوه في كتاب النكاح ، باب في حسن معاشرته النساء (٢٢٦٠) : ٢ / ٢١٢ عن عائشة - رضي الله عنها - . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب صحيح .

الرجل إذا لقي أهله كان أسوأ الناس أخلاقاً وأشحُّهم نفساً وأقلهم خيراً ، ومع غير أهله من الأجنب نجده قد لانت عريكته ، وانبسطلت أخلاقه ، وجادت نفسه ، وكثر خيره ، ولا شك أن من كان كذلك فهو محروم التوفيق ، قد حاد عن درب المتقين الأبرار (١) .



(١) نيل الأوطار : ٦ / ٣٦٠ . بتصرف .



وفيه ستة مجلدات :

- المجلد الأول : البرّ باليتامى .
- المجلد الثاني : البرّ في معاملة الفقراء والمساكين والمساكين .
- المجلد الثالث : البرّ في معاملة الجار .
- المجلد الرابع : البرّ في معاملة ابن السبيل .
- المجلد الخامس : البرّ بالأرقاء والكتّابين .
- المجلد السادس : البرّ بالأمهات غير الحارثين .

تمهيد

من مقاصد الإسلام العظيمة تقوية أواصر الودِّ والحبِّ بين أفراد المجتمع ، ليكونوا على قلب واحد ، يرحم كبيرهم صغيرهم ، ويوقِّر صغيرهم كبيرهم ، ويغاث الملهوف ، ويطعم الجائع .. لذا فقد كان من البرِّ الذي يهدي إلى الجنَّة البرُّ باليتيم والفقير والمسكين والسائل والإحسان إلى الجار وابن السبيل والرقيق والمكاتب ، وحتى العدو إن لم يكن محارباً .

فالمؤمن التقيّ حريص على السموِّ بنفسه إلى الكمال في جميع صلاته الاجتماعيَّة وإن لم يكونوا أقاربه وأرحامه وأصهاره ، فالمؤمن يفيض قلبه بالحنوِّ على كل محتاج ، يتألم لألمه ويبادر بكل خطوة إيجابية لسدِّ عوزه .

والأبرار لتسابقهم إلى الخيرات ؛ وعقدهم الآمال للفوز بالجنان طابت نفوسهم فلم تبخل وجادت أيديهم بالخير وسختت ؛ فالمطلب غالٍ والثمن زهيد ، إنَّه الترفع عن متاع الدنيا الزائل ، وإيتاء المال على حبه لمن يستحقه .

قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ... ﴾ . الآية . [سورة البقرة : ١٧٧] .

وإن الله ﷻ أعطى الأولويَّة في البرِّ والإحسان لذوي القربى والمسكين وابن السبيل كما في قوله تعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ [سورة الإسراء : ٢٦] . لأنَّهم أوَّلِي من سائر الأصناف بالإحسان ، ولكون ذلك واجباً لهم على كل من له مال فاضل عن كفايته وكفاية من يعول ، سواء كان زكويّاً أو لم يكن ، وسواء كان بعد الحول أو قبله ؛ لأن المقصود ههنا الشفقة العامة ، وإذا نظرت إلى غيرهم من المحتاجين رأيتهم لا يجب صرف المال إليهم إلا على الذين وجبت الزكاة عليهم ، وإتِّمَّ يعطون من باب البرِّ والإحسان (١) .

(١) انظر : التفسير الكبير : ٢٥ / ١٠٩ ، فتح القدير : ٤ / ٢٢٦ .

وقدّم سبحانه ذا القربى ، ثمّ أتبعه تعالى باليتامى فمواساتهم بعد الأقارب أولى ، ثمّ ذكر المساكين لأنّ الحاجة قد تشتدّ بهم ، فهم لا مال لهم حاضراً ولا غائباً ، ثمّ ذكر ابن السبيل الذي قد يكون له مال غائب ، ثمّ ذكر السائلين الذين منهم صادق وكاذب ، ثمّ ذكر الرقاب الذين لهم أربابٌ يعولونهم ، ولأنّ إزالة الرق ليست في محل الحاجة الشديدة فحاجتهم دون حاجة من تقدم ذكره ، فكلُّ واحدٍ ممن أُخّر ذكره أقلُّ فقراً ممن قُدّم ذكره .. (١)

وأول من يحسن إليهم ويُبرُّ بهم من غير الأقارب والأرحام هم اليتامى ، ولقد وصّى ﷺ باليتيم ، ولم يقيدَه بفقرٍ ولا مسكنة ، فعلم أنه مقصودٌ لذاته ، لمزيد العناية بأموره الدنيوية والدينية ، وحفظاً لحقوقه .



(١) انظر: التفسير الكبير: ٥ / ٣٦ ، حاشية محيي الدين شيخ زادة: ٢ / ٤٣٠ ، تفسير القاسمي: ٣ / ٥١ .

المبحث الأول : البر باليتامى

اهتمَّ القرآن الكريم بشأن اليتيم لصغره ، وقلة حيلته ، وعجزه عن القيام بمصالحه التي تحفظ له طيب العيش في المستقبل ؛ لفقده الأب الذي يكفله ويهدّبه ويرعاه . وقد ظهرت هذه العناية في القرآن الكريم منذ الفترة الأولى حين بدأ الوحي ^(١) ، وإلى الفترة الأخيرة حين قارب الوحي التمام والكمال ^(٢) .

في العهد المكي :

بالنظر في نصوص القرآن العديدة في شأنه ؛ والتي زادت على العشرين موضعاً ؛ نجد أنّ الآيات والسور في العهد المكي لم تتعرّض لرعاية اليتيم في ماله إلا على وجه الإجمال ، بينما كان تعرّضه لرعايته في نفسه تفصيلاً ، وبشيء كثيرٍ من الاهتمام .

أولاً : الرعاية النفسية :

لحدم مساءة اليتيم في نفسه ، وذلك في :

- قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ ﴾ . [سورة الضحى : ٩] .
- وقوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ۝١٠ فذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۝١١ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝١٢ ﴾ . [سورة الماعون : ١ - ٣] .
- وقوله : ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝١٨ ﴾ . [سورة الفجر : ١٧ - ١٨] . فقدم إكرامه إشارة له .
- وجعل إطعام اليتيم سبب في اجتياز العقبة في قوله : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُ رَقِيَةً ۝١٣ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ ﴾ . [سورة البلد : ١١ - ١٥] .

(١) في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ ﴾ . [سورة الضحى : ٩] .

(٢) كثيرٌ من الآيات في سورة النساء المدنيّة تناولت أمر الاهتمام باليتيم .

ثانياً : رماية مال اليتيم على وجه الإجمال ، وذلك في :

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . [سورة الإسراء : ٣٤] . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ . [سورة الأنعام : ١٥٢] . فكانت الوصية في هذه الفترة بالتهني عن " قربان ماله " ، ونجد أن تسليط التهني عن " القربان " على هذا النحو لم يرد في شيء غير النهي عن مال اليتيم ، إلا في الوصية بالتهني عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأن ما عداها : كان النهي مسلطاً على نفس الفعل حتى الشرك بالله : لا تشركوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ... الخ وذلك : يدل على مقدار العناية الإلهية باليتيم ، ويوحى بأن الاعتداء عليه هو عند الله في مستوى ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

ولقد تأثرت نفوس القوم - آنذاك - بهذه الوصايا المكيّة ، تأثراً صاروا معه في حرج من أمر اليتيم . ماذا يفعلون ؟ أتركوا القيام عليه ، فيفسد أمره ويضيع ماله ؟ أم يقومون عليه ويعزلونه عن أبنائهم في مأكله ومشربه ، فيشعر بالذلة والمسكنة !؟ ..

في العهد المدني :

في العهد المدني كانت هناك حلول وإجابات لتساؤلات عن اليتيم وكيفية رعايته له في ماله ونفسه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ...وَدَسَّلُونَا عَنْ آلَيْتِنَا قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُحِبُّوهُمْ فَاِحْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٢٠] . أي : تعاملوهم كما تعاملون الإخوان ، وهذا أعلى درجات الإحسان والمعروف . ولذا قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ وفي تقديم ذكر المفسد على المصلح إشعاراً بشدة التحذير من الإفساد في معاملته ، ولذلك جعلهم في موطن آخر بمنزلة الأولاد في قوله : ﴿ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ . [سورة النساء : ٩] . أي : حتى في مخاطبتهم إياهم لأنهم بمنزلة أولادهم . ففي الآية الكريمة أمر للأوصياء بأن يخشوا الله تعالى ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم مثل ما يحبون أن يفعل بذريتهم الضعاف بعد وفاتهم ، وذلك بأن يحسنوا لهم في

القول والفعل كما يجبون أن يفعل بأبنائهم من بعدهم ، وهذه غاية درجات العناية والرعاية .

ويتزل في تنظيم معاملاتهم كثير من الآيات في هذا العهد المدني ، وذلك في جانبين :

أولاً : الجانب المالى :

دفع المضار عنه نبي ماله :

■ كقوله تعالى : ﴿ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٤١ ﴾ . [سورة النساء : ٢] .

■ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ ^(١) أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝٤٢ ﴾ . [سورة النساء : ١٠] .

■ وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۖ ﴾ . [سورة النساء : ١٢٧] .

٢- جلب المصالح :

■ فإننا نجد فيها أولاً جعله مع الوالدين والأقربين في عدة مواطن ، منها قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ ﴾ . الآية . [سورة البقرة : ٢١٥] .

■ وجعله سبحانه نوعاً من أنواع البر من الإيمان بالله وإنفاق المال ، قال تعالى : ﴿ وَلْيَكُنَّ

الْبِرُّ مِنْ ءَامَنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوَى

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ . الآية . [سورة البقرة : ١٧٧] .

■ وفي معرض الحث على مراعاة حاجتهم ومشاعرهم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ

أُولَؤُلَا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۖ ﴾ . [سورة

النساء : ٨] .

(١) وقد اتفق العلماء أن الآية شملت في النهي عن أكل أموال اليتامى كل ما فيه إتلاف أو تفويت ، سواء كان بكل حقيقة أو باختلاس أو بإحراق أو بإغراق ، وهو المعروف عند الأصوليين : بالإلحاق بنفي الفارق ؛ إذ لا فرق في ضياع مال اليتيم عليه بين كونه بأكل ، أو إحراق بنار ، أو بإغراق في ماء ؛ حتى الإهمال فيه فهو تفويت عليه ، وكل ذلك حفظاً لماله . انظر : التقرير والتحجير : ٣ / ٢٩٤ .

■ ومرة أخرى يجعل لهم نصيباً فيما هو أعلى منزلة في قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ... ﴾ . [سورة الأنفال : ٤١] . ونصيباً في الفيء في قوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ... ﴾ . [سورة الحشر : ٧] .

■ وجعل الله البر باليتيم وإطعامه من خصال الأبرار ، وسبباً للوصول إلى أعلى درجات النعيم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥٠﴾ ﴾ . وذكر أفعالهم التي منها أنهم يوفون بالنذر ، ثم بعدها أنهم : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة الإنسان : ٥٠ ، ٥١] .

■ وذكر أعظم من ذلك ، وهو أن يسوق الله الخضر وموسى عليه السلام ليقوما جدارا ليتيمين على كثر لهما حتى يبلغا أشدهما ، في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ . [سورة الكهف : ١٨٢] .

ثانياً : الرعاية والاهتمام بشأن اليتيم والإحسان إليه :

■ كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ... ﴾ . الآية . [سورة البقرة : ٨٣] .

■ وقوله تعالى : ﴿ * وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ... ﴾ . الآية . [سورة النساء : ٣٦] . فيحسن إلى اليتيم كما يُحسن للوالدين ولذي القربى ، وقدّم الله اليتامى على المساكين لأن الغمّ الحاصل بسبب عجز الصغار عن الطعام والشراب أشد من الغمّ الحاصل بسبب عجز الكبار عن تحصيلهما . كما أن المسكين يمكنه الاشتغال بتعهّد نفسه ومصالح معيشته ، واليتيم ليس كذلك ، كما أن ضعف اليتامى أكثر وحاجتهم أشد ، فكان وضع الصدقات فيهم

أفضل وأعظم في الأجر فلا جرم قدّم الله ذكر اليتيم على المسكين (١) .
تلك هي نصوص القرآن في حسن معاملة اليتيم وعدم الإساءة إليه ، مما يفصل مجمل قوله
تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [سورة الضحى : ٩] . (٢)

اليتامى لغة :

اليتامى جمع يتيم ، وهو مأخوذ من (يتم) ، واليُتَمُّ : الانفرادُ . واليَتِيمُ : الحاجةُ
واليتيم : الفردُ . قال ابن الأعرابي (٣) : المَيِّتُ المَفْرَدُ من كل شيء . واليَتِيمُ واليَتِيمُ : فقْدانُ
الأب . وقال ابن السكيت (٤) : اليَتِيمُ في الناس من قَبَل الأب ، وفي البهائم من قَبَل الأم
ولا يقال لمن فقَد الأم من الناس يَتِيمٌ ، ولكن منقطع (٥) .
" واليَتِيمُ الذي مات أبوه ، فهو يَتِيمٌ حتى يبلغ ، فإذا بلغ زال عنه اسمُ اليَتِيمِ ، والجمع أيتامٌ
ويَتامى ويَتَمَةٌ .

وقيل : أصل اليَتِيمُ الغفلةُ ، وبه سمي اليَتِيمُ يَتِيمًا ؛ لأنه يُتَعَاظَلُ عن برِّه . وقيل : اليَتِيمُ الإبطاءُ
ومنه أخذ اليَتِيم ؛ لأن البرَّ يُبْطِئُ عنه . وقيل : يقال للمرأة يَتِيمَةٌ لا يزول عنها اسمُ
اليَتِيمِ أبدًا . وقال أبو عبيدة (٦) : تُدعى يَتِيمَةً ما لم تتزوج ، فإذا تزوّجت زال عنها اسمُ
اليَتِيمِ ؛ وإذا بلغت زال عنها اسمُ اليَتِيمِ حقيقةً ، وقد يطلق عليها مجازاً بعد البلوغ كما كانوا
يُسَمُّون النبي ﷺ وهو كبيرٌ " يَتِيمَ أَبِي طَالِبٍ " ؛ لأنه ربّاه بعد موتِ أبيه (٧) .

(١) انظر : التفسير الكبير : ٣ / ١٥٢ ، ٩ / ١٦٠ .

(٢) انظر : أضواء البيان : ٨ / ٥٦٤ - ٥٦٧ .

(٣) سبق ترجمته في ص ١١٥ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٧١ .

(٥) انظر : المقاييس ، كتاب الياء ، باب الياء والناء وما يثنهما (مادة : يتم) : ١١٠٩ ، لسان العرب (مادة : يتم) : ١٢ / ٦٤٥ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٢١٥ .

(٧) قال النووي : " وفي هذا دليلٌ للشافعي ومالك وجهاهير العلماء أن حكم اليَتِيم لا ينقطع بمجرد البلوغ ولا بعلو السن بل لا بد أن
يظهر منه الرشد في دينه وماله . وقال أبو حنيفة : إذا بلغ خمساً وعشرين سنة زال عنه وصار رشيداً يتصرف في ماله ، ويجب تسليمه
إليه . وأمّا الكبير إذا طرأ تبذيره فمذهب مالك وجهاهير العلماء وجوب الحجر عليه ، وقال أبو حنيفة : لا يحجر . قال ابن القصار
وغیره : الصحيح الأول ، وكأنه إجماع " . اهـ . انظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ١٢ / ١٩١ .

وَأَيَّمَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ مُوتِمٌ : صار ولدها يتيماً أو أولادها يتامى ، وجمعها مَيَاتِيمٌ " (١) .

فضل البر باليتامى :

والأحاديث من السنة على ذلك عديدة ، بالغة مبلغها في حقه ، وكان ﷺ أرحم الناس باليتيم وأشفقهم عليه ، ومما يكسبه كافل اليتيم :

١- وجوب الجنة :

وقال ﷺ : " من ضمَّ يتيماً من بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة ألبتة " (٢) . والمراد بـ : " من ضم يتيماً " أي : تكفل بمؤنته وما يحتاجه حتى يغنيه الله عنه وجبت له الجنة .

٢- صُحبة الرسول ﷺ في الجنة :

قال ﷺ : " أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا - وأشار بالسبابة والوسطى - وفرج بينهما شيئاً " (٣) . وقال ﷺ : " كافل اليتيم له أو لغيره ، أنا وهو كهاتين في الجنة - وأشار مالك (٤) بالسبابة والوسطى - " (٥) .

وكفالة اليتيم هي : القيام بأمره ، والسعي في مصالحه من طعامه ، وكسوته ، وتنمية ماله إن كان له مال ، وإن لم يكن له مال أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى ، ومن جملة كفالة اليتيم إصلاح شعره وتسريحه ودهنه . وقوله في الحديث : " له أو لغيره " . أي : سواء كان اليتيم قرابة أو أجنبياً منه ، فالقرابة : مثل أن يكفله جده ، أو أخوه ، أو أمه ، أو عمه ، أو زوج أمه ، أو خاله ، أو غيره من أقاربه والأجنبي : من ليس بينه وبينه قرابة (٦) .

(١) الكليات (فصل الباء) : ٩٧٨ .

(٢) أخرجه أحمد من حديث مالك بن الحارث ﷺ : ٤ / ٣٤٤ . عن بينها مرفوعاً . قال الهيثمي : وإسناده حسن . انظر : مجمع الزوائد : ٨ / ١٤٠ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق ، باب اللعان (٤٩٩٨) : ٥ / ٢٠٣٢ ، عن سهل ﷺ .

(٤) مالك : أحد رواة الحديث ، وهو مالك بن أنس إمام المذهب المالكي ، انظر : ص ٢٧١ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (٢٩٨٣) : ٤ / ٢٢٨٧ . عن أبي هريرة ﷺ .

(٦) انظر : الدِّياج على صحيح مسلم بن الحجاج لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : ٦ / ٢٩٠ ، شرح الزرقاني : ٤ / ٤٣٠ .

٣- دواء لقسوة القلب :

وجعل الله المسح على رأس اليتيم دواء لقسوة القلب . روي عن أبي هريرة (١) رضي الله عنه أن رجلاً شكاً إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال : " امسح رأس اليتيم ، وأطعم المسكين " (٢) .

البر باليتامى :

أولاً : حسن معاملة اليتامى :

أمر الله ﷻ بإحسان تربية اليتامى ، وإن قوله تعالى : ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ . [سورة النساء : ٨] . يشعرنا بأهمية العناية بتربية اليتامى ، تربية تهذب من أخلاقهم ، وتكفل لهم حسن المستقبل .

والمفسرون ذكروا في تفسير القول المعروف وجوهاً منها :

- أنه الوعد الجميل من البر والصلة .
- أنه الدعاء ، مثل أن يقول : عافانا الله وإياك ، بارك الله فيك . وبالجملة كل ما سكنت إليه النفوس وأحبته من قولٍ وعملٍ فهو معروف ، وكل ما أنكرته وكرهته ونفرت منه فهو منكر .
- وقيل : المعنى علموهم مع إطعامكم وكسوتكم إياهم أمر دينهم مما يتعلّق بالعلم والعمل .
- وقيل : القول المعروف : هو أنه ان كان المولى عليه صبيّاً ، فالوليُّ يعرفه أن المال ماله وهو خازنٌ له ، وأنه اذا زال صباه فإنه يردُّ المال إليه ، وإن كان المولى عليه سفيهاً وعظه ونصحه ، وحثه على الصلاة ، ورغبه في ترك التبذير والإسراف ، وعرفه أن عاقبة التبذير الفقر والاحتياج إلى الخلق ، إلى ما يشبه هذا النوع من الكلام (٣) .

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ١٤٣ .

(٢) أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٩٠٠٦) : ٢ / ٣٨٧ . قال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . انظر : مجمع الزوائد : ٨ / ١٦٠ .

(٣) انظر : تفسير الطبري : ٤ / ٢٥٠ ، ٢٥١ ، أحكام القرآن للحصاص : ٢ / ٣٥٥ ، الكشف : ١ / ٥٠٣ ، المحرر الوجيز : ٢ / ١٠ ، التفسير الكبير : ٩ / ١٥٢ ، تفسير البيضاوي : ٢ / ١٤٨ ، تفسير أبي السعود : ٢ / ١٤٥ . القول الأخير نقله الرّازي عن القفال - مختصراً - .

وقد قرن الله ﷻ العناية بهم وحسن توجيههم بعبادته سبحانه والإحسان إلى الوالدين ؛ بل جعل من يدفع اليتيم دفعاً عنيفاً بجفوة وأذى ، ويردّه ردّاً قبيحاً بزجر وحشونة جعل ذلك من دلائل تكذيبه بالدين ، فهو بذلك متّصف بصفات مذمومة ؛ ألا هي الدناءة واللؤم ^(١) قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ ^(٢) الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ . [سورة الماعون : ١ - ٣] .

وحاصل الأمر في دعّ ^(٣) اليتيم إما أن يكون المعنى :

- عن إطعامه والإحسان إليه ، وترك المواساة معه وإن لم تكن المواساة واجبة ، وقد يُذمُّ المرء بترك النوافل لاسيما إذا أسند إلى النفاق وعدم الدين .
- وإما أن يكون دفعه عن حقّه وماله بالظلم ، فهذا أشدّ .
- أو زجره وضربه والاستخفاف به ، وقهره وظلمه .

وفي قوله : ﴿ يَدُعُّ ﴾ - بالتشديد - فائدة : وهي أن يدعّ - بالتشديد - معناه : أنه يعتاد ذلك ، فلا يتناول الوعيد من وجد منه ذلك وندم عليه ^(٤) .

قال أبو السعود ^(٥) : " ووضع اسم الإشارة المتعرض لوصف المشار إليه موضع الضمير للإشعار بعلة الحكم ، والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد " . اهـ ^(٦) .

(١) انظر : الكشاف : ٤ / ٨٠٩ ، تفسير النسفي : ٤ / ٣٥٩ .

(٢) قرئ في الشاذ : (يدع) - بفتح الدال خفيف - أي يتركه ولا يحسن إليه ولا يدعو بدعوة ، أي : يدعو جميع الأجانب ويترك اليتيم مع أنه ﷻ قال : " ما من مائدة أعظم من مائدة عليها يتيم " . قال ابن حجر : وهي قراءة الحسن وأبي رجاء ونقل عن علي عليه السلام أيضاً . وقرئ : (يدعو اليتيم) أي : يدعو رياء ثم لا يطعمه ، وإنما يدعوه استخداماً أو قهراً أو استطالة . انظر : فتح الباري : ٨ / ٧٣٠ . وهذه قراءة بالغة الشذوذ ؛ لأنها لم ترد ضمن القراءات الأربعة عشر (المتواترة ولا الشاذة) . انظر : إتحاف فضلاء البشر سورة الماعون : ٦٠٢ . ووردت فقط في بعض التفاسير . انظر : تفسير السمعاني : ٦ / ٢٨٨ ، المحرر الوجيز : ٥ / ٥٢٧ ، التفسير الكبير : ٣٢ / ١٠٦ ، تفسير أبي السعود : ٩ / ٢٠٣ .

(٣) دَعَّ من : دَعَعَ ، الدال والعين أصل واحد منقاس مطرد ، وهو يدلّ على حركة ودفع واضطراب . ودعه يدعه دعاً ، دفعه في جفوة وقال ابن دريد : دعه دفعه دفعاً عنيفاً ، أي : يعنف باليتيم عنفاً دفعاً وانتهازاً . انظر : المقاييس ، كتاب الدال ، باب الدال وما بعدها في المضاعف والمطابق (مادة : دَعَّ) : ٣٤٨ ، لسان العرب (مادة : دَعَعَ) : ٨ / ٨٥ .

(٤) انظر : المحرر الوجيز : ٥ / ٥٢٧ ، التفسير الكبير : ٣٢ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، تفسير ابن كثير : ٤ / ٥٥٥ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٥٧ .

(٦) تفسير أبي السعود : ٩ / ٢٠٣ .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرَ ^(١) ﴾ . [سورة الضحى : ٩] .

ورد في معنى قهر اليتيم قولان :

■ أخذ ماله وظلمه ، وقد كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك في أموال اليتامى .

■ وقيل : هو بمعنى : عبوسة الوجه ، والقهر أعمُّ من ذلك .

وخصَّ اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله ، فغلظ في أمره لتغليظ العقوبة على ظالمه .

وعن قتادة في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرَ ﴾ قال : كن لليتيم كأبٍ رحيم .

وقال ابن عباس ^(٢) : يرفق بهم ، ويربيهم ، ويمسح رأسهم ، وإن كان وصياً عليهم فليبالغ في حفظ أموالهم ^(٣) .

و ﴿ الْيَتِيمَ ﴾ منصوب بـ ﴿ تَقْهَرَ ﴾ وحقه التأخير بعد الفاء ، ولو كان مع تقهر (هاء)

لكان الاختيار في اليتيم الرفع ويجوز النَّصب ، ولا يجوز مع حذف الهاء إلا النَّصب ^(٤) .

قال أبو السعود ^(٥) : " قد يتقدَّم المعمول حيث لا مجال لتقدُّم العامل كما في قوله

تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرَ ^(٦) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَر ^(٧) ﴾ . [سورة الضحى : ٩ - ١٠] . فإنَّ

اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين الجزومين قد تقدَّما على " لا " الناهية مع

امتناع تقدُّم الفعلين عليهما " اهـ ^(٦) .

وفائدة اقتران الفاء في الكلام ﴿ فَلَا تَقْهَرَ ﴾ أنها تكسبه فضل تأكيد ، وقدرها سيبويه ^(٧)

^(١) قرأ ابن مسعود - بالكاف - : (تكهر) ، فقالوا : أي لا ترجمه ، وهو بمعنى القهر ، إلا أنه أشد . وهذه قراءة بالغة الشذوذ ؛ لأنها لم ترد ضمن القراءات الأربعة عشر (المتواترة ولا الشاذة) . انظر : إتحاف فضلاء البشر ، سورة الضحى : ٥٨٨ . ووردت فقط في بعض التفاسير . انظر : الكشاف : ٤ / ٧٧٣ ، التفسير الكبير : ٣١ / ١٩٩ ، الدر المنثور : ٨ / ٥٤٥ ، تفسير أبي السعود : ٩ / ١٧١ .

^(٢) صحابي حليل ، انظر : ص ٢٧ .

^(٣) انظر : أحكام القرآن للحصَّاص : ٥ / ٣٧٢ ، تفسير السمعاني : ٦ / ٢٤٦ ، الكشاف : ٤ / ٧٧٣ ، التفسير الكبير : ١٠ / ٧٧ .

٧٨ ، ٣١ / ١٩٩ ، الدر المنثور : ٨ / ٥٤٥ ، تفسير أبي السعود : ٩ / ١٧١ ، أضواء البيان : ٨ / ٥٦٤ .

^(٤) انظر : مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٨٢٤ .

^(٥) سبق ترجمته في ص ٥٧ .

^(٦) تفسير أبي السعود : ٤ / ١٨٩ .

^(٧) سبق ترجمته في ص ٥١ .

بـ " مهما " ، والتقدير : مهما يكن من شيء فلا تقهر اليتيم ^(١) .

ويرشد سبحانه إلى كيفية التعامل مع اليتيم بعد أن أشكل على الناس الأمر ، وخافوا من ظلم اليتيم ، وجأؤوا يسألون النبي ﷺ عن التصرف في أموال اليتامى . قال تعالى : ﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٢٠] . وفي سبب نزولها قولان :

❶ **أحدهما** : " أنه لما أنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ . [سورة الأنعام : ١٥٢] . و ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ . [سورة النساء : ١٠] . انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه ، وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد ، فاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فأنزل الله : ﴿.... وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ أَلَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٢٠] . فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم " ^(٢) . هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من السلف ^(٣) .

❷ **والثاني** : أن العرب كانوا يتشددون في أمر اليتيم ؛ حتى لا يأكلون معه في قصعته ولا يستخدمون له خادماً ، فسألوا النبي ﷺ عن مخالطتهم ، فترلت هذه الآية . فقال : ﴿ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ يصلح مصالح اليتيم بالتقويم والتأديب وغيرهما ؛ لكي ينشأ على علمٍ وأدبٍ وفضل ، ويصلح ماله وأمره له خير ، وأن يخالطه فيأكل معه ويطعمه ويركب راحلته ويحمله ، ويستخدم خادمه ويخدمه ، فهو أجود .

(١) البرهان : ٤ / ٢٤٢ .

(٢) أخرجه أبو داود - واللفظ له - في كتاب الوصايا ، باب مخالطة اليتيم في الطعام (٢٨٧١) : ٣ / ١١٤ ، وأخرج النسائي بنحوه السنن الكبرى في كتاب الوصايا ، ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه (٦٤٩٧) : ٤ / ١١٣ ، وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده ابن عباس رضي الله عنهما (٣٠٠٢) : ١ / ٣٢٥ ، وأخرجه الحاكم وصححه . قال الشوكاني : " رواه أحمد والنسائي وأبو داود ، الحديث أخرجه أيضاً الحاكم وصححه وفي إسناده عطاء بن السائب ، وقد تفرد بوصله وفيه مقال . وقد أخرج له البخاري مقروناً.... وقال الإمام أحمد : من سمع منه قديماً فهو صحيح ومن سمع منه حديثاً لم يكن بشيء . ووافقه على ذلك يحيى بن معين ، وهذا الحديث من رواية جرير بن عبد الحميد عنه وهو ممن سمع منه حديثاً . ورواه النسائي من وجه آخر عن عطاء موصولاً وزاد فيه : " وأحل لهم خلطهم " . اهـ .

انظر : نيل الأوطار : ٥ / ٣٧٥ .

(٣) انظر : لباب النقول : ٤٢ .

وقيل : معناه : تميم أموالهم ، والتتره عن أكلها لمن وليها خير .

واختلف في تفسير المخالطة لهم على أقوال منها :

المقول الأول : مخالطة اليتامى أن يكون لأحدهم المال ، ويشق على كافله أن يفرد طعامه عنه ، ولا يجد بدأً من خلطه بعياله ، فيأخذ من مال اليتيم ما يرى أنه كافيه بالتحري فيجعله مع نفقة أهله ، وهذا قد تقع فيه الزيادة والنقصان ، فدلّت هذه الآية على الرخصة .

المقول الثاني : المراد بها المصاهرة لهم .

المقول الثالث : المخالطة أن يشرب من لبنك وتشرب من لبنه ، ويأكل في قصعتك وتأكل في قصعته ، ويأكل من ثمرتك وتأكل من ثمرته ، قاله ابن عباس (١) .

والأولى عدم قصر المخالطة على نوع خاص ، بل تشمل كل مخالطة كما يستفاد من الجملة الشرطية ، وقوله : ﴿ فَأَخْوَانُكُمْ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف ، أي : فهم إخوانكم في الدين ؛ الذي هو أقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الأخوة ، والإخوان يعين بعضهم بعضاً ، ويصيب بعضهم من أموال بعض على وجه الإصلاح والرضا (٢) .

فمن البر باليتامى حسن رعايتهم ومعاملتهم ، وعدم ظلمهم وقهرهم ، لا بكلمة غير سديدة ولا بجرمانه من شيء يحتاجه ، ولا بإتلاف ماله ، ولا بالتحيل على أكله وإضاعته ، ولا بشيء بالكلي لا في نفسه ولا في ماله ، وتربيتهم ؛ ويكون ذلك بإرشادهم إلى ما هو خير ونافع وتحذيرهم مما هو شرّ وفساد ، ويجب الاعتناء باليتيم عناية خاصة فلا ينشأ محروماً من العطف والحب والحنان ، فيكون عنصر فساد في الأمة أو منبت شقاء ، بل يعمل على احتوائه وتلبية حاجاته النفسية أولاً ؛ لتعويضه ما فقده من حنان الأب ورعايته .

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٢) انظر : تفسير الطبري : ٢ / ٣٧٢ ، تفسير البغوي : ١ / ١٩٤ ، ١٩٥ ، زاد المسير : ١ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، التفسير الكبير :

٤٤ / ٦ ، تفسير البيضاوي : ١ / ٥٠٦ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، تفسير أبي السعود : ١ / ٢٢٠ ، فتح القدير :

١ / ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

وليس من باب الإساءة إلى اليتيم تأديبه والحزم معه ؛ بل ذلك من مصلحته ، ولكن بروح يتخللها الشفقة والحنو عليه ، وليس الاستهانة به لعدم وجود من يدافع عنه .

ثانياً : المحافظة على أموال اليتامى :

ويتجلى ذلك فيما يلي :

١- المحافظة على أموالهم ، وصيانتها لهم ، وعدم أكلها ظلماً ؛ بل النهي عن قربانها إلاّ بالتي هي أحسن ، حتى يتسلموها عند بلوغهم الرشد كاملةً غير منقوصة .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ . [سورة الأنعام : ١٥٢] . جاءت في سورة الأنعام ضمن الوصايا العشر . ويلاحظ أن النهي منصبٌ على مجرد الاقتراب من ماله ﴿ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

ثم بعد النهي عن اقتراب مال اليتيم ذلك فقد تتطّلع بعض النفوس إلى فوارق بسيطة من باب التحيل أو نحوه من استبدال شيءٍ مكان شيءٍ أو الخلط ، فيكون طريقاً لاستبدال طيبٍ بخبث وهذا أعظم الذنب ، فجاء قوله تعالى : ﴿ وَءَاتُوا الْيَتِيمَ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ . [سورة النساء : ٢] .

وأخيراً فإذا تمّ الحفاظ على ماله لم يقربه إلاّ بالتي هي أحسن ، ولم يبدله بغيره أقل منه ، ولم يخلطه بماله ليأكله عليه ، ولم يعتدّ عليه بأيّ إتلافٍ كان ، محفوظاً له إلى أن يذهب يتمه

ويثبت رشده ، فيأتي قوله تعالى : ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتِيمَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا

فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا ﴾ فيأمر الله ﷻ بابتلائهم واختبارهم

في المعاملات ، وتدريبهم عليها ، ثم أحاط دفع المال إليه بموجبات الحفظ بقوله في آخر

الآية : ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ﴾ أي : حتى لا تكون منكرة فيما بعد ، وفي

الختام ينبه الله فيهم وازع مراقبه الله بقوله : ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ . [سورة النساء : ٦] .

ثم يأتي الوعيد الشديد في صورة مفرقة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ

ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ . [سورة النساء : ١٠] .

وفيه إشعارٌ بأن أمواله تدفع إليه بعد محاسبة دقيقة فيما له وعليه ، ومهما يكن من دقة الحساب فالله سيحاسب عنه ، وكفى بالله حسيباً ، وهذا كله في حفظ ماله (١) .

٢- تحديد العلاقة بين الوصي واليتيم :

أ) النزاهة في التعامل مع مال اليتيم :

فقد بين تعالى قربان مال اليتيم بالي أحسن في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ . [سورة النساء : ٦] .

إذ أنه لما كان الوصي لا يخلو أن يكون غنياً بماله ، لا يحتاج إلى غيره ، أو فقيراً لا يملك ما يدفع به حاجته ، فأرشدهم الله تعالى :

إلى أن الغني : ينبغي له أن يترفع عن تناول شيء هو في غنى عنه من مال اليتيم ، وأن يجاهد نفسه بالتحلي بالعفة ، ليكون عمله في صون اليتيم وحفظ ماله عملاً إنسانياً فاضلاً يتغني به وجه الله ورضاه .

وأباح للموصى الفقير : أن يأخذ من مال اليتيم بقدر ما يسد حاجته ، التي لا ينكرها أصحاب العقول .

ب) تثمير أموالهم حتى تسليهما لهم :

إذ أن رؤوس الأموال لا يصح أن تبقى جامدة غير متحركة ، ولا واقفة غير مثمرة ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ . [سورة النساء : ٥] . وقد فسر السفهاء بأقوال كثيرة منها : أن المراد بالسفهاء هم اليتامى (٢) .

وقد رجح الفخر الرازي (٣) القول بالعموم ؛ فالسفيه كل من لم يكن له عقل يفى بحفظ المال ، ويدخل فيه النساء والصبيان والايام وكل من كان موصوفاً بهذه الصفة ؛ لأن التخصيص بغير دليل لا يجوز (٤) .

(١) انظر : أضواء البيان : ٨ / ٥٦٤ ، ٥٦٥ .

(٢) انظر : زاد المسير : ٢ / ١٢ ، التفسير الكبير : ٩ / ١٥١ ، تفسير القرطبي : ٥ / ٣٣ ، فتح القدير : ١ / ٤٢٦ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٨ .

(٤) انظر : التفسير الكبير : ٩ / ١٥١ .

وإنما قال سبحانه : ﴿ فِيهَا ﴾ ولم يقل : (منها) لئلا يجعلوا بعض أموالهم رزقاً لهم ، بل يجعلوا أموالهم مكاناً لرزقهم بأن يتجروا فيها ويثمروها ، فيجعلوا نفقتهم من الأرباح لا من أصول الأموال فلا يأكلها الإنفاق ^(١) .

وفي إضافته تعالى الأموال إلى الأولياء إشارة إلى أنه يجب عليهم أن يعملوا في أموال السفهاء ما يفعلونه في أموالهم من الحفظ والتصرف وعدم التعرض للأخطار ^(٢) .

ج) محله أكل حقوقهن في حالة التزوج بهن :

وحيث كان بعض أولياء اليتامى يترع إلى التزوج بمن يلي أمرها من اليتيمات اللاتي يحلُّ له الزواج بهنَّ ، أو إلى تزويجها بعض أبنائه إذا كانت لا تحلُّ له ، ويتخذ هذا أو ذاك ذريعةً إلى أكل مهرها الذي تستحقُّه بعقد الزواج ، لذا أمر الله من كان في حجره يتيمةً بتوفية حقوقها كاملة إذا أراد نكاحها ، وإذا خاف عدم القسط في اليتيمة فلينكح ما طاب له من النساء .

فهنا أرشدهم القرآن - إن لم يأمنوا على أنفسهم العدل في أموال اليتيمات ، وحسن معاشرتهم ، وتسليمهن حقوقهن إذا تزوجنهن ، أو زوجوا أبناءهم منهنَّ - إلى ترك التزوج بهنَّ حفظاً لأنفسهم من الوقوع في الإثم العظيم .

ولفت أنظارهم إلى بابٍ واسعٍ ، وهو التزوج بغيرهنَّ من الأجنبية اللاتي تميل إليهنَّ نفوسهم ، فذكرت لهم إباحة التزوج باثنتين أو ثلاث أو أربع ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي آلِيَتِنِي فَاَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَتِلْكَ وَرُبَعٌ ... ﴾ .

الآية . [سورة النساء : ٣] . يريد بذلك أنه لم يضيق عليكم في أمر الزواج ، حتى تقفوا فيه عند حدِّ اليتيمات اللاتي تتحرَّجون من سوء معاشرتنَّ ، وخوف أكل أموالهنَّ ، فلکم الزواج بما طاب لكم من النساء مُتَّسَعٌ عظيم .

(١) انظر : الكشاف : ١ / ٥٠٣ ، التفسير الكبير : ٩ / ١٥٢ ، تفسير البيضاوي : ٢ / ١٤٨ ، تفسير النسفي : ١ / ٢٠٤ ، تفسير أبي

السعود : ٢ / ١٤٥ .

(٢) تفسير السعدي : ١٦٤ .

وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ^ط قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَمَىٰ بِالْقِسْطِ ^ع وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿٣٦﴾ . [سورة النساء : ١٢٧] .

وفي هذا منتهى المحافظة على مال اليتيم ، وإغلاق باب الاحتيال الذي يسبب له من بعض الأوصياء الخسران وضياع المال .

ثالثاً : الإنفاق على اليتامى :

من البر باليتامى الإنفاق عليهم ، قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ^ط قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَمَىٰ وَالسَّكِينِ وَأَنْبِ السَّبِيلِ ﴿٢١٥﴾ . [سورة البقرة : ٢١٥] .

اختلف العلماء هل الآية منسوخة أو محكمة على ثلاثة أقوال :

القول الأول : الآية منسوخة ، قاله ابن مسعود ^(١) وأكثروا علماء التفسير . قال ابن مسعود ^{رضي الله عنه} : نسختها آية الزكاة .

القول الثاني : الآية في الزكاة والتطوع جميعاً ، وأنها ثابتة الحكم غير منسوخة ، روي عن الحسن البصري ^(٢) .

القول الثالث : هي في التوافل . وهذا الظاهر من الآية ؛ لأن ظاهرها يقتضي النَّدب ولا يصحُّ أن يقال أنها منسوخة ؛ إلا أن يُقال : إنها اقتضت وجوب التفقة على المذكورين فيها قاله ابن زيد ^(٣) . ^(٤)

فالراجح أن الآية محكمة من باب النَّدب فمن تركها فلا شيء عليه .

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٥ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٥٢ .

(٣) هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي ، مولاها ، البصري ، أبو إسماعيل : شيخ العراق في عصره ، من حفاظ الحديث الجودين يعرف بالأزرق . أصله من سي سحستان ، ومولده ووفاته بالبصرة ، وكان ضريراً طراً عليه العمى ، يحفظ أربعة آلاف حديث خرج حديثه الأئمة الستة . ت سنة ١٧٩ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٧ / ٢٨٦ ، الإرشاد في معرفة علماء الحديث : ٢ / ٤٩٧ صفة الصفوة : ٣ / ٣٦٤ ، طبقات الحفاظ : ١ / ١٠٣ .

(٤) انظر : أحكام القرآن للجصاص : ١ / ٣٩٩ ، زاد المسير : ١ / ٢٣٤ .

وقد قال تعالى : ﴿ وَلَيْكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى
 الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ... ﴾ .
 الآية . [سورة البقرة : ١٧٧] .

واشترط ﷺ في هذا المنفق على اليتيم أن يكون مما يحبه صاحبه ، ومن خير ما لديه ؛ حيث
 قال سبحانه : ﴿ وَءَاتَىٰ الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ فالأبرار يتصدقون وهم يحبون ما تصدقوا به ، وقد
 لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به ، وأحيانا يؤثرون على أنفسهم مع خصاصتهم
 وحاجتهم إلى ما أنفقوه لسدِّ حاجة اليتيم ، وإعطائه ما يكفيه .

وجعل ﷺ إطعام الطعام على حبه لليتيم أحد الأسباب التي بقي الله بها ذلك المطعم شر ذلك
 يوم الجزاء ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ . ومن

أفعالهم أهم : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [سورة الإنسان : ٨ ، ٥] .
 ويتمثل شعور البرِّ والعطف باليتيم في إطعام الطعام ، مع حبه بسبب الحاجة إليه ، وهذه لفظة
 توحى بقسوة البيئة في مكة بين المشركين ، فلم تكن تفضي بشيء إلى المحاويج ومنهم اليتيم
 وإن كانت لتبذل في مجالات المفاخرة الشيء الكثير ، فأما الأبرار عباد الله فكانوا واحةً ظليلةً
 في هذه البيئة الشحيحة ، وكانوا يطعمون الطعام بأرحية نفس ورحمة قلب ، وخلوص نية
 واتجاه إلى الله بالعمل ، يحكيه السياق من حالهم ومنطوق قلوبهم ^(١) ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا
 نَطْعِمُكُمْ لِرُؤُوفِهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ . [سورة الإنسان : ٩] .

والإحسان إلى اليتامى واجبٌ إنسانيٌّ وتكافلٌ اجتماعيٌّ ؛ لأنَّ يتيم اليوم منفق الغد ، وولد
 الأبوين اليوم قد يكون يتيمًا غدًا ، أي أن من أحسن إلى اليتيم اليوم قد يترك أيتامًا فيحسن
 عليهم ذلك اليتيم الذي أحسنت إليه بالأمس .

ومع هذا الحقُّ المتبادل ، فإن الإسلام يحثُّ عليه ويعني به ، ورغب في الإحسان إليه وأجزل
 المثوبة عليه ، وحذّر من الإساءة عليه ، وشدد العقوبة فيه .



المبحث الثاني

البرُّ في معاملة الفقراء والمساكين والسائلين

أمر الله ﷻ بالإحسان إلى الفقراء والمساكين والسائلين ، وجعل لهم حقوقاً على إخوانهم المسلمين من العطف عليهم والبرُّ بهم ؛ فالغني يرحم الفقير ويواسيه بماله ، وجعل هذا من أركان البرِّ والتقوى .

قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

وذكر ﷻ أفضل القربات التي تقرَّب بها المتقون الأبرار والتي استحقوا بها الجنات والنعيم ومنها الصدق على السائلين فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَأَخَذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ ءِإِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ . [سورة الذاريات : ١٥ - ١٩] . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٠﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢١﴾ ﴾ . [سورة الماعز : ٢٤ ، ٢٥] . إلى أن قال سبحانه : ﴿ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ . [سورة الماعز : ٣٥] .

وتأكد حق المسكين في غير موضع من كتاب الله العزيز ، ففي القرآن المكي : ﴿ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٦] .

وقال تعالى : ﴿ فَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ . [سورة الروم : ٣٨] .

وكذلك في القرآن المدني :

﴿ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ﴾ . الآية . [سورة البقرة : ٨٣] .

■ ورغب سبحانه في الإنفاق على المساكين فقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا

أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ . [سورة البقرة : ٢١٥] .

■ وأمر بالإحسان بهم في قوله تعالى : ﴿ * وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ... ﴾ . الآية . [سورة النساء : ٣٦] .

■ وجعل لهم حظاً في خمس الغنائم : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ

وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ... ﴾ . [سورة الأنفال : ٤١] .

■ كما جعل لهم حظاً من الفياء : ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ... ﴾ . [سورة

الحشر : ٧] .

■ وجعل لهم سهماً من الزكاة : ﴿ * إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا

وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ . [سورة التوبة : ٦٠] .

■ وفي معرض الحث على مراعاة حاجتهم ومشاعرهم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ . [سورة النساء : ٨] .

■ وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ

وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

[سورة النور : ٢٢] .

■ وجعل سبحانه إطعام المساكين نوع من أنواع الكفارات ؛ ففي كفارة الظهار قال

تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكُمْ

تَوْعُظُونَ بِهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٤﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ

يَتَمَاسًا ۗ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ﴾ . [سورة المائدة : ٣ - ٤] . وفي كفارة اليمين قال

تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ

إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۗ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ

ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴿ . [سورة المائدة : ٨٩] . وفي كفارة قتل الصيد عمداً للمُحْرَمِ في الْحَجِّ قال تعالى : ﴿ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنْ النَّعْمِ بِحَيْثُ بِهِ ذَوْا عَدَلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِلِغِ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفْرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لَيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ . [سورة المائدة : ٩٥] . ورخص للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما يطبقان الصوم أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكينا ، قال تعالى : ﴿ ... فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ . [سورة البقرة : ١٨٤] . كل ذلك ليفتح باب برِّ وإحسان بالمسكين ؛ فتقضى حاجته ، ويسدّ عوزه .

لقد أمر الله بالإحسان والبرِّ بالمساكين والسائلين في آية البرِّ ، ولم يأت ذكر الفقراء فيها فهل الفقراء هم المساكين !؟ .. لتتعرف أولاً على معنى الفقير والمسكين والسائل .

الفقراء والمساكين والسائلين لغة :

الفقراء لغة :

الفقراء جمع فقير ، مأخوذ من (فقر) : الفاء والقاف والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على انفراج في شيء من عضو أو غير ذلك . والفقر ضد الغنى ، والفقيرُ مَبْنِيٌّ عَلَى فُقْرٍ قِيَاسًا وَلَمْ يُقَلِّ فِيهِ إِلَّا اِفْتَقَرَ يَفْتَقِرُ ، فَهُوَ فَاقِرٌ . ومن ذلك : الفقار للظَّهر ، الواحدة فقارةٌ ، سُمِّيَتْ لِلْحُزُوزِ والفصول التي بينها ، والفقير المكسور فقار الظَّهر . وقال أهل اللغة : منه اشتقَّ اسم الفقير وكأَنَّهُ مَكْسُورٌ فَقَارَ الظَّهْرَ مِنْ ذَلَّتْهُ وَمَسْكَنَتْهُ (١) .

المساكين لغة :

المساكين جمع مسكين ، مأخوذ من (سكن) : السين والكاف والنون أصلٌ واحد مطَّرد يدلُّ على خلاف الاضطراب والحركة . والسُّكُونُ ضِدُّ الْحَرَكَةِ ، سَكَنَ الشَّيْءُ يَسْكُنُ سُكُونًا إِذَا ذَهَبَتْ حَرَكَتُهُ ، وَكُلُّ مَا هَدَأَ فَقَدْ سَكَنَ ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ الْأَلْفَاظِ : الْمَسْكِينِ الْمَسَاكِينِ الْمَسْكِنَةَ التَّمَسُّكُنِ ، وَكُلُّهَا يَدُورُ مَعْنَاهَا عَلَى الْخُضُوعِ ، وَسَكَنَ الرَّجُلُ أَسْكَنَ

(١) انظر : المقاييس ، كتاب الفاء ، باب الفاء والقاف وما يثلثهما (مادة : فقر) : ٧٩٢ ، لسان العرب (مادة : فقر) : ٦٠ / ٥ .

تَمَسَّكَنَ إِذَا صَارَ مَسْكِينًا ، وَتَمَسَّكَنَ : أَي تَذَلَّلَ وَتَخَضَّعَ ، وَهُوَ " تَمَفَّعَلٌ " مِنْ السُّكُونِ (١) .

السَّائِلِينَ لُغَةً :

السَّائِلِينَ جَمْعُ سَائِلٍ ، مَأْخُوذٌ مِنْ (سَأَلَ) : السَّيْنُ وَالْهَمْزَةُ وَاللَّامُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ ، يُقَالُ : سَأَلَ يَسْأَلُ سِوَالًا وَمَسْأَلَةً ، وَجَمْعُ الْمَسْأَلَةِ مَسَائِلٌ ، وَرَجُلٌ سُؤْلَةٌ : كَثِيرُ السُّؤَالِ ، وَالْفَقِيرُ يُسَمَّى سَائِلًا ، وَجَمْعُ السَّائِلِ الْفَقِيرِ : سُؤَالٌ (٢) .

الفرق بين الفقير والمسكين :

من هو الفقير ومن هو المسكين ؟ هل هما صنفان أو صنف واحد ؟
 إِنَّ الْمَفْسِّرِينَ وَالْفُقَهَاءَ اخْتَلَفُوا (٣) فِي تَحْدِيدِ مَفْهُومِ كُلِّ مِنَ اللَّفْظَيْنِ عَلَى حِدَةٍ ، وَتَحْدِيدِ الْمُرَادِ بِهُمَا إِذَا اجْتَمَعَا فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ ، وَإِلَّا فَالْفَقِيرُ هُوَ الْمَسْكِينُ (٤) ، وَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ صِنْفَانِ لِنَوْعٍ وَاحِدٍ ، أَي : كِلَاهُمَا مِنْ أَهْلِ الْعُوزِ وَالْحَاجَةِ ، وَلَكِنْ لِمَاذَا جَعَلَهُمَا اللَّهُ اثْنَيْنِ فِي آيَةِ مَصَارِفِ الزَّكَاةِ الثَّمَانِيَةِ (٥) ؟

(١) انظر : المقاييس ، كتاب السين ، باب السين والكاف وما يثلثهما (مادة : سكن) : ٤٨٦ ، لسان العرب (مادة : سكن) :

١٣ / ٢١١ - ٢١٧ .

(٢) انظر : المقاييس ، كتاب السين ، باب السين والهمزة وما يثلثهما (مادة : سأل) : ٥٠١ ، لسان العرب (مادة : سأل) :

١١ / ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٣) اختلف الفقهاء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

- القول الأول : إن الفقير أشد حاجة من المسكين ، وهو قول الشافعي وأحمد .
- القول الثاني : إن المسكين هو أشد حاجة من الفقير ، وهو قول أبي حنيفة ومالك .
- القول الثالث : لا فرق بين الفقراء والمساكين ، والله تعالى وصفهم بمهذين الوصفين والمقصود شيء واحد ، وهو قول أبي يوسف ومحمد وسائر أصحاب مالك . انظر : التمهيد لابن عبد البر : ١٨ / ٥٢ ، بدائع الصنائع : ٤٣ / ٢ ، المغني : ٦ / ٣٢٣ ، المجموع : ٦ / ١٨٤ .

(٤) الفقير والمسكين مثل الإيمان والإسلام ، من الألفاظ التي قال عنها العلماء : إذا اجتمعنا افرقتنا وإذا افرقتنا اجتمعنا . قال الشنقيطي :

عند أهل العلم أن المسكين إن ذكر وحده شمل الفقير كعكسه . انظر : المجموع : ٦ / ١٨٤ ، توحيد الألوهية : ٧ / ١٦٧ زاد المهاجر

إلى ربه : ٧ ، أضواء البيان : ٦ / ٢٢٩ .

(٥) سورة التوبة : ٦٠ .

قد كثرت الأقوال في هذا ، ونلخص القول فيما يلي :

إنّ الفقير هو الذي لا مال له إلاّ أنه لم يذلّ ، وذلك إمّا لتعففٍ مفرط وإمّا لبلغة تكون له كالحلوبة وما أشبهها ، والمساكين هو الذي يقترن بفقره تذلل وخضوع وسؤال ، فهذه هي المسكنة ، فعلى هذا كلّ مسكينٍ فقير ، وليس كلّ فقيرٍ مسكيناً . ويقويّ هذا أن الله تعالى قد وصف بني إسرائيل بالمسكنة وقرنها بالذلة مع غناهم . قال تعالى : ﴿... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ...﴾ . [سورة البقرة : ٦١] .

إذن .. هما صنفان ذكرهم الله باسمين في آية الزكاة ^(١) لتوكيد أمرهم في الصدقات فهم الأحقُّ بها لشدة حاجتهم من بين الأصناف الثمانية ، فيصرف لهما بناء على ذلك سهمان لا كسائرهم ، وجاء تقديم الفقراء في الآية لمعنى الاهتمام ؛ لأنهم إن لم يُهتَمَّ بهم هلكوا والمساكين يلحُّ ويذكرُّ بنفسه ^(٢) .

واللغة تؤكّد أنّ الفقير والمساكين اسمان دالّان على معنى واحد ؛ فالفقير المكسور فقار الظّهر من ذلّته ومسكنته ، والمساكين هو الساكن الخاضع الذليل ؛ فكلاهما ذليل ومحتاج وساكِن ولذا لما جاء الأمر بالإحسان إلى المساكين ، كان الإحسان إلى الفقراء داخل ضمناً ، إمّا لأنهم أشدُّ حاجة بالطريق الأولى ؛ أو لأنّ الفقراء والمساكين كلاهما سواء ، فذكرُّ أحدهما يغني عن الآخر ، كما أنه إذا ذكر اسم المسكين لعاميٍّ غير عالمٍ باللغة فسوف يتبادر إلى ذهنه أنه هو الفقير لا محالة ^(٣) .

الفرق بين المسكين والسائل :

والمساكين أهل الحاجة وهم نوعان :

• منهم من يكفُّ عن السؤال ، وهو المراد ههنا .

(١) سورة التوبة : ٦٠ .

(٢) انظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٤٩ ، التفسير الكبير : ١٦ / ٨٦ .

(٣) قال الشافعي في أحد قوليّه : إنّما اسمان دالّان على معنى واحد ، وإلى هذا ذهب ابن القاسم من المالكيّة . وهذا التّظن هو لغوي إن لم يكن له دلالة شرعية . انظر : بداية المجتهد ونهاية المقتصد لمحمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي : ١ / ٢٠٢ ، التفسير الكبير :

• ومنهم من يسأل وينبسط ، وهو المراد بقوله : ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ وإنما فرّق تعالى بينهما من حيث أن المسكين تظهر عليه المسكنة ممّا يظهر من حاله ، والسائل يُعرف فقره وحاجته بمسألته ^(١) .

قال ﷺ : " ليس المسكين الذي يطوف على الناس تردّه اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفطن به فيُتصدّق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس " ^(٢) .

وقيل : السائلين من يسأل وإن كانوا غير محتاجين ^(٣) . وقيل : هم الطالبين المستطعمين ^(٤) . وقيل : هم الذين أُلجأهم الحاجة والضرورة إلى السؤال ^(٥) ، والأرجح أن السائلين من يسأل وهم محتاجون . وعلى هذا فالفقير هو المسكين ، والسائل هو أيضا هو المسكين ولكنه يسأل ويلجّ في الطلب .

سبب ذكر الأقارب في جميع المواضع بلفظ : ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ وله يذكر المسكين بلفظ : (ذِي الْمَسْكِنَةِ) :

وذلك لأن القرابة لا تتجدد فهي شيء ثابت ، وذو كذا لا يقال إلا في الثابت ، فمثلاً من صدر منه رأي صائب مرّة ، يقال : ذو رأي . وإذا دام ذلك له ، أو وجد منه ذلك كثيراً

(١) انظر : التفسير الكبير : ٣٧ / ٥ .

(٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى : ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (١٤٠٩) : ٢ / ٥٣٨ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الزكاة ، باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفطن له فيتصدق عليه (١٠٣٩) : ٢ / ٧١٩ كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ٦٩ ، الدر المنثور : ١ / ٤١٥ ، حاشية الشَّهاب الخفاجي : ٢ / ٤٥١ ، روح المعاني : ٤٦ / ٢ .

(٤) انظر : الطبري : ٢ / ٩٧ ، تفسير النسفي : ١ / ٨٦ ، الكشاف : ١ / ٢٤٤ .

(٥) انظر : أحكام القرآن للحصاص : ١ / ١٦٤ ، تفسير البغوي : ١ / ١٤٣ ، تفسير البيضاوي : ١ / ٤٥٤ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٢٠٩ ، تفسير السمرقندي : ١ / ١٤٣ ، تفسير أبي السعود : ١ / ١٩٤ ، فتح القدير : ١ / ١٧٤ .

يقال له : ذو الرأْي . فقال : ذا القربى إشارة إلى أن هذا حقٌّ متأكَّدٌ ثابت ، وأما المسكنة فطراً وتزول (١) .

فضل إطعام الفقراء والمساكين والسائلين :

أولاً : تزكية المال والإسراع في دخول الجنة :

إن إطعام المسكين يزكي مال الغني ويسرع به إلى دخول الجنة ، عن عبد الرحمن بن عوف (٢) عن رسول الله ﷺ أنه قال : " يا ابن عوف ، إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفاً ، فأقرض الله يطلق قدميك " . قال : فما أقرض الله ؟ قال : تتبرأ مما أنت فيه . قال : يا رسول الله ، من كله أجمع . قال : نعم . فخرج ابن عوف وهو يهمل بذلك فأرسل إليه رسول الله ﷺ فقال : أتاني جبريل ، فقال : مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين ، وليعط السائل ، وليبدأ بمن يعول ، فإنه إذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه " (٣) .

ثانياً : إطعام المسكين سببٌ موجبٌ لرحمة الله ومغفرته ودخول الجنة :

وإطعام الطعام فضيلة ، وهو مع السَّعْب الذي هو الجوع أفضل . وقال التَّخمي (٤) : في قوله تعالى : ﴿ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ [سورة البلد : ١٤] . أي : في يوم عزيز فيه الطعام (٥) .

قال ﷺ : " من موجبات المغفرة (٦) إطعام المسلم السَّعْبَان " (٧) .

(١) انظر : التفسير الكبير : ٢٥ / ١١٠ .

(٢) صحابي جليل ، انظر : ص ٣٢٨ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب معرفة الصحابة (٥٣٨٥) : ٣ / ٣٥٢ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : خالد بن يزيد ضعفه جماعة ، وقال النسائي : ليس بثقة .

(٤) سبق ترجمته في ص ١٨٣ .

(٥) تفسير القرطبي : ٢٠ / ٦٩ .

(٦) قوله : " من موجبات المغفرة " : أي ستر الذنوب وعدم المواخذة بها . انظر : فيض القدير : ٢ / ٥٤٢ .

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب التفسير (٣٩٣٥) : ٢ / ٥٧٠ . عن جابر بن عبد الله ﷺ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وقال المنذري : قال ﷺ : " من موجبات الرحمة سنان المسلم المسكين " . رواه الحاكم وصحَّحه ، والبيهقي متصلًا ومرسلًا من طريقه أيضاً ، إلا أنه قال : " إن من موجبات المغفرة سنان المسلم السَّعْبَان " . ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب إلا أنه قال : " إن من موجبات الجنة سنان المسلم السَّعْبَان " . انظر : انظر : الترغيب والترهيب : ٢ / ٣٥ فيض القدير : ١٧ / ٦ .

البرُّ في معاملة الفقراء والمساكين والسائلين :

أولاً : التصدُّق عليهم ^(١) :

إن أعظم وجوه البرِّ ^(٢) بالفقراء والمساكين والسائلين إيتاؤهم حقهم ، والمتقون يدركون أن أموالهم ليست ملكاً لهم يستأثرون به ، وإنما فيها جزء لغيرهم من المحتاجين ، ليس هبة منهم ولا تكراً ، بل هو " الحق " ^(٣) لهم ، فلا من فيه من المعطي ، ولا ذلّة ولا هوان على الآخذ . قال تعالى : ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ . [سورة الذاريات : ١٩] .

﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ ﴾ أي : نصيب ، وفيه قولان :

- أحدهما : أنه ما يصلون به رحماً أو يقرون به ضعفاً أو يحملون به كلاً أو يعينون به محروماً وليس بالزكاة ، قاله ابن عباس ^(٤) .
- الثاني : أنه الزكاة ، قاله قتادة ^(٥) وغيره .

والأوّل أولى ، فيحمل على صدقة التفل ، وصلة الرّحم ، وقرى الضيف ؛ لأنّ السورة مكّيّة والزكاة لم تفرض إلاّ بالمدينة ^(٦) .

(١) ويراعى عند التصدق الآداب الباطنة في الصدقة ، ذكرتها في مبحث الصدقة ، انظر : ص ٢٠٥ .

(٢) وذلك لذكر هذا الجانب - وهو إيتاء المال على حبه - للمساكين والسائلين في آية البرِّ .

(٣) حديث : " للسائل حق وإن جاء على فرس " . أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة ، باب حق السائل (١٦٦٥) : ٢ / ١٢٦ . عن الحسين بن علي ^(٤) موقوفاً وسكت عنه ، وأخرجه أحمد في مسند الحسين بن علي ^(٥) (١٧٣٠) : ١ / ٢٠١ . وذكره أكثر المفسرين في تفاسيرهم ، لكنني وجدت قولاً للإمام أحمد يقول فيه : أربعة أحاديث تدور في الأسواق لا أصل لها عن رسول الله ^(٦) ، منها هذا الحديث . وقال العراقي : سنده جيد . وتبعه غيره . وقال ابن عبد البر : أنه ليس بالقوي . وعول كثير على ما قال الإمام أحمد ، وفي معناه احتمالان : كل منهما يؤذن بالاهتمام بأمر السائل . انظر : نقد المنقول لابن القيم : ١ / ١١٥ ، كشف الخفاء (٢٠٧٤) : ٢ / ١٩٣ .

(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٦) انظر : تفسير مجاهد بن جبر : ٢ / ٦١٨ ، تفسير الطبري : ٢٦ / ٢٠٣ ، المحرر الوجيز : ٥ / ١٧٥ ، زاد المسير : ٨ / ٣٢ ، التفسير الكبير : ٢٨ / ١٧٧ ، تفسير القرطبي : ١٧ / ٣٨ ، فتح القدير : ٥ / ٨٤ .

وقد اختلف أهل العلم بالتفسير في المراد بالحرور ، وقد عبّر علماء السلف عن ذلك بعبارات على جهة المثالات فجعلها المتأخرون أقوالاً ، فالحرور هو الفقير المتعفف الذي لا يسأل وقيل غير ذلك ^(١) .

وقد تأكّد حقُّ المسكين أكثر من السائل ، فلقد تقدم ذكره في آية البرِّ ، فالمسكين هو محتاج وقد لا يُفطن لحاله لعدم سؤاله ، بعكس السائل فهو يسأل ويلجُّ في السؤال .

قال تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ [سورة الإسراء : ٢٦] .

قال مقاتل ^(٢) : وحقُّ المسكين أن يُتصدق عليه ^(٣) .

وقد اختلف العلماء في الغنى المانع ^(٤) من أخذ الزكاة ^(٥) ، ومدار استحقاق الفقير والمسكين والسائل هو الحاجة ، فيُعطى المسكين الذي أسكنه الفقر والحاجة ما يكفيه ومن يعول ، وما تدفع به ضرورته من إطعامه وسقيه وكسوته .

^(١) انظر : تفسير الطبري : ٢٦ / ٢٠٤ ، المحرر الوجيز : ٥ / ١٧٥ . قال ابن حجر : " وعلى التفسير المذكور تنطبق الترجمة " . أي ما ترجم البخاري لهذا الباب ينطبق على هذا التفسير وهو : " باب الاستغفاف عن المسألة " . انظر : فتح الباري : ٣ / ٣٣٧ .

^(٢) سبق ترجمته في ص ١٤٥ .

^(٣) انظر : تفسير البغوي : ٣ / ٤٨٤ ، تفسير السمرقندي : ٣ / ١٣ ، فتح القدير : ٤ / ٢٢٧ .

^(٤) الغنى ثلاثة أنواع :

- الغنى الموجب للزكاة ، وقد اتفق الفقهاء على معناه : وهو ملك نصاب من الأموال النامية المعروفة بشروط خاصة .
- والغنى الذي يمنع سؤال الغير ، وهو دون الغنى المانع من الزكاة لتشديد الشرع في المسألة إلا لضرورة ، وقد اختلفوا فيه .
- والغنى المانع من أخذ الزكاة .

^(٥) اختلف العلماء في الغنى المانع من أخذ الزكاة على أقوال :

- القول الأول : أنه ملك خمسين درهماً ، أو قيمتها من الذهب ، وهذا ما ذهب إليه سفيان الثوري وابن المبارك وابن راهويه ورواية عن أحمد .

- القول الثاني : إن كان معه نصاب أو ما قيمته نصاب ، فاضلاً عن سكنه وخادمه حرم عليه أخذ الزكاة ؛ وإن كان لا يكفيه ذلك ، وهذا ما ذهب إليه أبو حنيفة .

- القول الثالث : أن الغني هو ما تحصل به الكفاية على الدوام ، فإذا لم يكن محتاجاً حرمت عليه الصدقة ، وإن لم يملك شيئاً وإن كان محتاجاً حلت له الصدقة وإن ملك نصاباً ، والأثمان وغيرها في هذا سواء ، وهذا ما ذهب إليه مالك والشافعي وظاهر مذهب أحمد ، وهذا المذهب هو الذي تعضده نصوص الشرع ، وتؤيده اللغة واستعمالهما .

وسبب اختلافهم هل فلهدا المانع هو معنى شرعي أم معنى لغوي ؟ فمن قال : معنى شرعي ؛ قال : وجود النصاب هو فلهدا ، ومن قال : معنى لغوي ، اعتبر في ذلك أقل ما ينطلق عليه الاسم ، فمن رأى أن أقل ما ينطلق عليه الاسم هو محدود في كل وقت وفي كل شخص جعل حده هذا ، ومن رأى محدود وأن ذلك يختلف باختلاف الحالات والحاجات والأشخاص والأمكنة والأزمنة وغير ذلك قال محدود وأن ذلك راجع إلى الاجتهاد . انظر : التمهيد لابن عبد البر : ٤ / ٩٧ ، حلية العلماء محمد بن أحمد الشافعي القفال : ٣ / ١٢٨ بدائع الصنائع : ٢ / ٤٨ ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد : ١ / ٢٠٢ ، المغني : ٢ / ٢٧٧ .

قال النَّووي ^(١) في تحديد الكفاية التي تعمل الزكاة على تحقيقها لذوي الحاجات : " قال أصحابنا : والمعتبر ... المطعم والملبس والمسكن ، وسائر ما لا بدّ له منه على ما يليق بحاله بغير إسراف ولا اقتار ، لنفس الشخص ولمن هو في نفقته " . اهـ ^(٢) .

فالهدف من الزكاة ليس إعطاء الفقير والمسكين درهماً أو درهماين ، وإنما الهدف تحقيق مستوى لائق بالمعيشة ، وهذا لا يمكن تحديده تحديداً دقيقاً ؛ لأنه يختلف باختلاف العصور والبيئات ، وباختلاف ثروة كل أمة ومدخولها ، ومن البرّ بالفقير والمسكين إعطاؤهما معونة دائمة منتظمة تخرجهما من الحاجة إلى الغنى ، وهو ما تحصل به الكفاية طول العمر ^(٣) .

قال ابن العربي ^(٤) : " والواجب على معطي الصدقة سواء كان إماماً أو مالكاً أن يراعي أحوال الناس ، فمن علم فيه صبراً على الحفاصة وتحلياً بالقناعة أثر عليه من لا يستطيع الصبر ، وربما وقع في التسخُّط " . اهـ ^(٥) . لقوله ﷺ : " إني لأعطي الرجل وغيره أحبّ إليّ منه خشية أن يكبه الله في النار " ^(٦) .

ثانياً : إطعام المساكين :

لابدّ أن يُختار أطيب الطعام لإطعام المساكين ، ولا يُطعمون مما لا يؤكل ، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً . قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ۗ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِيهِ إِلَّا أَنْ تَغْمِضُوا فِيهِ ۗ وَعَلِمُوا أَنَّ

^(١) سبق ترجمته في ص ١٥ .

^(٢) المجموع : ١٧٨ / ٦ ، وانظر : روضة الطالبين وعمدة المفتين : ٣١١ / ٢ .

^(٣) اختلفت المذاهب الفقهية في مقدار ما يعطى الفقير والمسكين من الزكاة على قولين :

- إعطائهم كفاية العمر ، وهذا ما ذهب إليه الشافعي ورواية عن أحمد ، قال النووي : وهذا هو المذهب الصحيح .
- الاقتصاد على إعطاء كفاية السنة ، وهذا ما ذهب إليه المالكية وجمهور الحنابلة وآخرون من الفقهاء . انظر : المجموع : ١٨١ / ٦ ، المغني : ٢٧٩ / ٢ ، حاشية الدسوقي لمحمد عرفة الدسوقي : ٤٩٤ / ١ .

^(٤) سبق ترجمته في ص ١٣٠ .

^(٥) أحكام القرآن لابن العربي : ٣١٨ / ١ .

^(٦) جزء من حديث أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الإيمان ، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل (٢٧) : ١ / ١٨ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الإيمان ، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان دليل قاطع (١٥٠) : ١ / ١٣٢ . كلاهما عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

اللَّهِ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٧﴾ . [سورة البقرة : ٢٦٧] . وعن عائشة (١) - رضي الله عنها - قالت : أتى النبي ﷺ بضمٍّ فلم يأكله ، فقلت : ألا نطعمه المساكين ؟ قال : " لا تطعموهم مما لا تأكلون " (٢) . فينبغي إطعام الفقير من أجود الموجود وأحبّه إلى المتصدق ، وإذا لم يكن من الجيّد فذلك من سوء الأدب ، فإنه إذا أمسك الجيّد لنفسه وأهله فقد آثر على الله غيره . ويروى أن أحد الزهّاد كان يعجبه السكر يأكله ، فإذا جاء السائل ناوله ، فقيل له : ما يصنع بالسكر ؟ الخبز خيرٌ له . فقال : إني سمعت الله يقول : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [سورة الإنسان : ٨] . وهنا آثر الفقراء والمساكين على نفسه مع وجود المحبة .

وإنَّ شرَّ الطعام الذي يدعى إليه الأغنياء ويترك الفقراء . عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول : " شرُّ الطعام (٣) طعام الوليمة ، يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء " (٤) .

فليس من البرِّ مراعاة الأغنياء في الولائم ونحوها ، وتخصيصهم بالدعوة ، وإيثارهم بطيب الطعام ، ورفع مجالسهم وتقديمهم وغير ذلك مما هو الغالب في الولائم ، ولكن من البرِّ دعوة الفقراء إلى طعام الوليمة ، وفي ذلك مراعاة لمشاعرهم وتكريمهم ورفع معنوياتهم ، فلا يشعرون بالتفرقة ولا بالامتهان والانتقاص .

ومن البرِّ بالفقراء والمساكين التصدُّق عليهم أول يوم عيد الفطر قبل خروج الناس إلى صلاة العيد وبعد صلاة الفجر ، وذلك لكي يغنّوهم عن الطواف في الأزقة والأسواق لطلب

(١) صحابية جليّة وأمّ المؤمنين ، انظر : ص ٦٤ .

(٢) سبق تخريجه في ص ٢٠٦ ، قال الهيثمي : رواه أحمد وأبو يعلى ورجاهما رجال الصحيح .

(٣) قال ابن بطّال : وإذا ميّز الداعي بين الأغنياء والفقراء ، فأطعم كلا على حدة لم يكن به بأس . وقد فعله ابن عمر رضي الله عنهما ، دعا ابن عمر في وليمة الأغنياء والفقراء فجاءت قريش ومعها المساكين ، فقال لهم : ها هنا فاجلسوا لا تفسدوا عليهم ثيابهم ، فإننا سنطعمكم مما يأكلون . انظر : فتح الباري : ٩ / ٢٤٥ ، شرح الزرقاني : ٣ / ٢١٠ .

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب النكاح ، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله (٤٨٨٢) : ٥ / ١٩٨٥ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب النكاح ، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة (١٤٣٢) : ٢ / ١٠٥٥ . موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه . وقد تقرّر أنّ الحديث إذا روى موقوفاً ومرفوعاً حكم برفعه على المذهب الصحيح . قال ابن حجر : وأوّل هذا الحديث موقوف ولكن آخره يقتضي رفعه ، لأنّها زيادة ثقة . انظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ٩ / ٢٣٧ ، فتح الباري : ٩ / ٢٤٤ .

المعاش في يوم العيد (١) .

ومن حق الإبل والبقر والغنم حلبها على الماء (٢) ، وإنما المراد حلبها هناك لنفع من يحضر من المساكين ، وهذا من الإحسان لهم (٣) .

ونهى رسول الله ﷺ عن جداد (٤) الليل ، وإنما نهى عن ذلك لأجل المساكين حتى يحضروا في النهار فيتصدق عليهم منه ، لقوله تعالى : ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ . [سورة الأنعام :

١٤١] . (٥)

وإن أصحاب الجنة (٦) لما تحيلوا على إسقاط نصيب المساكين بأن يصرموها مصبحين قبل مجيء المساكين ، عاقبهم سبحانه وحرّمهم منها كلّها ، فكان في ذلك عبرة لكل محتال على إسقاط حق من حقوق الله تعالى أو حقوق عباده .

(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : " فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر ، وقال : أغنوهم في هذا اليوم " . وقال يوسف : صدقة الفطر . أخرجه الدارقطني وأعل بابي معشر ، وأصله في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما : " كان النبي ﷺ يأمرنا بزكاة الفطر أن تؤدي قبل خروج الناس إلى الصلاة " . ولابن أبي شيبة والدارقطني عن ابن عباس رضي الله عنهما : من السنة أن تخرج صدقة الفطر قبل الصلاة . انظر : الدراية في تخريج أحاديث الهداية : ١ / ٢٧٤ .

(٢) قال ﷺ : " ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا أقعد لها يوم القيامة بقاع قرقر تطؤه ذات الظلف بظلفها وتنطحه ذات القرن بقرنها ، ليس فيها يومئذ جماء ولا مكسورة القرن ، قلنا : يا رسول الله ، وما حقها ؟ قال : إطراق فحلها ، وإعارة دلوها وميحتها ، وحلبها على الماء ، وحمل عليها في سبيل الله " . أخرجه مسلم .

(٣) انظر : نيل الأوطار : ٦ / ٤٤ .

(٤) الجداد بالفتح والكسر : صرام النخل ، وهو قطع ثمرها ، يقال : جدّ الثمرة يجدها جدّاً . انظر : المقاييس : كتاب الجيم ، باب ما جاء من كلام العرب في المضاعف والمطابق أوله جيم (مادة : جدّ) : ١٩٥ ، النهاية ، باب الجيم مع الدال (مادة : جدّ) : ١ / ٢٤٤ .

(٥) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ، كتاب الضحايا ، باب التضحية في الليل من أيام : ٩ / ٢٩٠ . عن الحسن رضي الله عنه . قال الهيثمي : " عن عائشة رفعتة : " أنه نهي عن جداد النخل بالليل " . رواه البزار وفيه عن ابن سعيد البصري وهو ضعيف ، وقد وثق " . اهـ . انظر : مجمع الزوائد : ٣ / ٧٧ .

(٦) قصة أصحاب الجنة جاءت في سورة القلم . قال تعالى : ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١﴾ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴿٢﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٣﴾ فَأَصْبَحَت كَالصَّرِيمِ ﴿٤﴾ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴿٥﴾ أَنْ آغِدُوا عَلَيْنَا حَرَثَكُمُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ فَأَنْتَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿٧﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٨﴾ وَغَدُوا عَلَيْنَا حَرَثٍ قَدِيرِينَ ﴿٩﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿١٠﴾ بَل لَّحَنُ مَحْرُومُونَ ﴿١١﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٣﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَمَّضُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا يَنْوِيلُنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿١٥﴾ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا حَيْرًا مِّمَّا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿١٦﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْأَخْرَجَ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾﴾ .

[١٧ - ٣٣] .

ومن البرّ والإحسان بالمساكين ما أمر الله تعالى الذين فرض لهم الميراث إذا حضروا القسمة وحضر معهم المساكين أن يعطوهم من المال المقسوم شكراً لله ﷻ على ما فرض لهم ؛ فهذا من باب التّدب والترغيب تطيباً لقلوبهم ، وأن يدعو لهم ، ويستقلّوا ما أعطوهم ، ويعتذروا من ذلك ولا يمنّوا عليهم ^(١) . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حَصَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ . [سورة النساء : ٨] . ^(٢)

ثالثاً : حبّ المساكين ومحاذرتهم ومواجلتهم وتقريبهم :

إن مجالسة المساكين ترقق القلب وتزيد في التواضع وتدفع الكبر ، ولذلك كان من دعاء النبي ﷺ : " اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين " ^(٣) . وكان ﷺ يجالس المساكين ^(٤) ويؤاكلهم ، ومن هؤلاء أهل الصفة ، قال أبو هريرة ﷺ : " وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها " ^(٥) . وورد في بعض الأحاديث سؤاله ﷺ أن يجيئه مسكيناً ويميته مسكيناً ويحشره في زمرة المساكين ^(٦) .

^(١) انظر : تفسير القرطبي : ٥ / ٤٩ ، ٥٠ ، تفسير أبي السعود : ٢ / ١٤٧ .

^(٢) سبق الحديث عن هذه الآية هل هي منسوخة أم محكمة ، ورُجِح القول بأنها محكمة من باب التّدب فمن تركها فلا شيء عليه . انظر : مبحث البرّ باليتامى : ص ٤٧٥ .

^(٣) جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة ص (٣٢٣٥) : ٥ / ٣٦٨ ، وأخرج أحمد بمثله من حديث ابن عباس ﷺ (٣٤٨٤) : ١ / ٣٦٨ ، وفي حديث بعض أصحاب رسول الله ﷺ : ٤ / ٦٦ ، ومن حديث معاذ بن جبل ﷺ (٢٢١٦٢) : ٥ / ٢٤٣ ، وفي حديث بعض أصحاب رسول الله ﷺ (٢٣٢٥٨) : ٥ / ٣٧٨ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وسألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال : هذا حديث حسن صحيح .

^(٤) والحديث عن مجالسته ﷺ للمساكين ما رواه أبي سعيد الخدري قال : جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين ، وإن بعضهم ليستر ببعض من العري ، وقارئ يقرأ علينا ، إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا ، فلما قام رسول الله ﷺ سكت ، ثم قال : " ما كنتم تصنعون ؟ قلنا : يا رسول الله إنه كان قارئ لنا يقرأ علينا ، فكنا نستمع إلى كتاب الله ، قال : فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي جعل من أممي من أمرت أن أصبر نفسي معهم . قال : والحاصل رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه فينا ، ثم قال بيده - هكذا - فتحلقوا وبرزت وجوههم له ، قال : فما رأيت رسول الله ﷺ عرف منهم أحداً غري ، فقال رسول الله ﷺ : أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة ، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة " . أخرجه أبو داود . قال الحافظ العراقي : إسناده حسن .

^(٥) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا (٦٠٨٧) : ٥ / ٢٣٧٠ .

^(٦) عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " اللهم أحيني مسكيناً ، وأمّتي مسكيناً ، واحشرنني في زمرة المساكين يوم القيامة . فقالت عائشة : لم يا رسول الله ؟ قال : إهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً ، يا عائشة لا تردّي المسكين ولو بشقّ تمر ، يا عائشة =

وكان جعفر بن أبي طالب (١) يحبّ المساكين ، يجلس إليهم يحدثهم ويحدثوه ، وكان رسول الله ﷺ يسميه " أبو المساكين " (٢) .

ومن وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر (٣) قوله : " حبّ المساكين وجالسهم " (٤) .
وكان عبدالله بن عمر (٥) لا يأكل إلاّ مع المساكين حتى أضرب ذلك بجسمه ، فصنعت له امرأته شيئاً من التمر ، فكان إذا أكل سقته (٦) .

وهكذا نرى السلف الصالح يقتدون بنبيهم ﷺ ، ويحبّون المساكين ويجالسونهم ويأكلون معهم ويحرصون على إطعام المسكين وسدّ حاجته في خفاء ، بل ويؤثرونهم على أنفسهم (٧) ، فهذا من أعظم وجوه البرّ والإحسان بالمسكين الذي يخشى سطوة الغنيّ ويخافه ، فيأتي الهدي النبويّ ليقرب قلوب الأغنياء من قلوب الفقراء ، ويزيل الحواجز

= أحبّي المساكين وقريبهم ، فإن الله يقربك يوم القيامة " . أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم (٢٣٥٢) : ٤ / ٥٧٧ . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب . والحديث له طرق كثيرة . قال العَظَلَوِيُّ : " ومع وجود هذه الطرق لا يحسن الحكم عليه بالوضع ... وادعى ابن الجوزي وابن تيمية أنه موضوع ، وليس كما قالا . انتهى . وقال ابن حجر في التحفة : إن الحديث ضعيف ومعارض بما روي أنه ﷺ استعاذ من المسكنة . وفسرت المسكنة المسؤولة بسكون القلب " . اهـ . وقال البيهقي : " ووجه هذه الأحاديث عندي والله أعلم أنه استعاذ من فتنه الفقر والمسكنة اللذين يرجع معناهما إلى القلة ... فلم يسأل حال المسكنة التي يرجع معناها إلى القلة ، وإنما سأل المسكنة التي يرجع معناها إلى الإخبات والتواضع فكأنه ﷺ سأل الله تعالى أن لا يجعله من الجبارين المتكبرين ، وأن لا يحشره في زمرة الأغنياء المترفين ، والمسكنة حرف مأخوذ من السكون ، يقال : تمسكن الرجل : إذا لان وتواضع وخشع ، ومنه قول النبي ﷺ للمصلي : " تياس وتمسكن " . يريد تخشع وتواضع لله " . اهـ . وقال بمثل هذا القول شيخ الإسلام زكريا . وعلى فرض ثبوته فإنه لا يترتب عليه حكم شرعي . انظر : سنن البيهقي الكبرى : ٧ / ١٢ ، فيض القدير : ٢ / ١٥٢ كشف الخفاء : ١ / ٢٠٧ .

(١) هو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب ﷺ ، صحابي جليل . استشهد في معركة مؤتة سنة ٨ هـ . انظر : صفة الصفوة : ١ / ٥١١ ، تهذيب الكمال : ٥ / ٥١ ، سير أعلام النبلاء : ١ / ٢٠٦ ، التهذيب : ٢ / ٨٣ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، باب الجيم ، جعفر بن أبي طالب الطبراني في الجنة (١٤٧٧) : ٢ / ١٠٩ . عن أبي هريرة ﷺ . انظر : الإصابة : ٧ / ٣٧٤ .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٢ .

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه ابن حبان ، ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقب بشيء منها (٣٦١) : ٢ / ٧٦ - ٧٩ . قال المنذري : " رواه ابن حبان في صحيحه - واللفظ له - والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد . قال الحافظ : انفرد به إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه ورواه الحاكم أيضاً ومن طريق البيهقي كلاهما عن يحيى بن سعيد السعدي البصري ويحيى بن سعيد فيه كلام ، والحديث منكر من هذه الطريق ، وحديث إبراهيم بن هشام هو المشهور " . اهـ . انظر : الترغيب والترهيب : ٣ / ١٣٢ .

(٥) صحابي جليل ، انظر : ص ١٣٥ .

(٦) حلية الأولياء : ١ / ٢٩٨ ، ٣ / ١٣٦ .

(٧) اشتهى ابن عمر ﷺ حوتاً ، فاشترت له سمكة ، فشويت ، فوضعت بين يديه ، فجاء سائل يسأل ، فأمر بما كما هي ما ذاق منها شيئاً ، فقالوا : نعطه خيراً من ثمنها . فأبى . انظر : حلية الأولياء : ١ / ٢٩٨ .

النفسية بينهم ، فحبُّ المساكين ومجالستهم يؤنس نفوسهم ويجبر خواطرهم ، وبهذا تُسدُّ حاجة كل فرد من أفراد المجتمع ؛ فلا يكون من أفرادهِ من هو في بؤس وشقاء .

ومن الإحسان إلى الفقراء والمساكين ابتداؤهم بالسَّلام ، وإِإانة القول لهم ، وتلقِّيهم بالبشر والطلاقة ، ولا تلتقاهم بالضَّحْر وخشونة اللفظ والوجه العبوس ، ولا ننهرهم (١) ونزجرهم إن ألحوا في السَّؤال ؛ ولكن نطعمهم ونقضي لهم حاجتهم .

جاءت سائلة تسأل رسول الله ﷺ قائلة : يا رسول الله ، إنَّ المسكين ليقوم على بابي فما أجد له شيئاً أعطيه إِيَّاه . فقال لها ﷺ : " إن لم تجدي له شيئاً تُعْطيه إِيَّاه إلاَّ ظلفاً (٢) مُحْرَقاً فادْفَعِيه إليه في يده " (٣) .

هذا وما أشبهه إنَّما يقصد به المبالغة في رد السائل بأدنى ما تيسر ، ولم يقصد به صدور هذا الفعل من المسؤول ، فإنَّ الظلف مما لا يتصدَّق به ؛ فهو غير منتفع به (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ . [سورة الضحى : ١٠] . (٥) و ﴿ السَّائِلَ ﴾ منصوب بـ ﴿ تَنْهَرْ ﴾ وحقُّه التأخير بعد الفاء ، ولو كان مع تنهر (هاء) لكان الاختيار في السائل الرفع ويجوز النَّصب ، ولا يجوز مع حذف الهاء إلاَّ النَّصب (٦) . واقتران الفاء في

(١) سبق تعريف التَّهْر لغة في ص ٤٠٩ .

(٢) ظِلْفًا : الظِّلْفُ والظِّلْفُ : ظَفْرُ كل ما اجترَّ ، وهو ظِلْفُ البقرة والشاة والظبي وما أشبهها ؛ والجمع أظلاف . قال ابن السكيت : يقال رجل الإنسان وقدمه ، وحافر الفرس ، وخُفُّ البعير والنعامة ، وظِلْفُ البقرة والشاة . انظر : النهاية ، كتاب الظاء مع اللام (مادة : ظلف) : ٣ / ١٥٩ ، لسان العرب (مادة : ظلف) : ٩ / ٢٢٩ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة ، باب حق السائل (١٦٦٧) : ٢ / ١٢٦ ، وأخرج الترمذي بمثله في كتاب الزكاة ، باب ما جاء في حق السائل (٦٦٥) : ٣ / ٥٢ ، وأخرج النسائي بمثله في السنن الكبرى في كتاب الزكاة ، باب تفسير المسكين (٢٣٥٥) : ٢ / ٤٥ ، وأخرج أحمد بمثله في حديث أم مجيد رضي الله عنها (٢٧١٩٢) : ٦ / ٣٨٢ ، وصحَّحه ابن خزيمة وابن حبان . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . والسائلة هي أم مجيد - رضي الله عنها - .

(٤) انظر : فتح الباري : ١٢ / ٨٣ ، فيض القدير : ٤ / ٢٥٧ .

(٥) ذكر الفخر الرازي في سبب نزول الآية أن رسول الله ﷺ كان جالساً ، فجاءه عثمان بعذق من ثمر ، فوضعه بين يديه ، فأراد أن يأكل فوقف سائل بالباب ، فقال : " رحم الله عبداً يرحمنا " . فأمر بدفعه إلى السائل ، فكره عثمان ذلك وأراد أن يأكله النبي ﷺ ، فخرج واشتراه من السائل ، ثم رجع السائل ، ففعل ذلك ثلاث مرات ، وكان يعطيه النبي ﷺ ، إلى أن قال له النبي ﷺ : " أسألت أنت أم بائع " . فعزل : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ . ولم أجد هذه الرواية في أي كتاب من كتب أسباب النزول المعتمدة ، فأوردتها استئناساً

بها .

(٦) انظر : مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٨٢٤ .

﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ أفاد تأكيد الكلام ، وقدرها سيبويه ^(١) بـ " مهما " ، والتقدير : مهما يكن من شيء فلا تنهر السائل ^(٢) .

معنى السائل :

في معنى السائل قولان :

القول الأول : هو سائل البرّ ، أي المسكين ، قاله جمهور المفسرين .

قال المفسرون : يريد السائل على الباب ، يقول : لا تنهره إذا سألك ، فقد كنت فقيراً ، فإمّا أن تطعمه ، وإمّا أن تردّه رداً لينا .

وقد أمر سبحانه في آية أخرى بحسن القول له ، وهو قوله تعالى : ﴿وَأِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أَبِيغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ . [سورة الإسراء : ٢٨] . وهذا وإن كان خطاباً للنبي ﷺ فإنه قد أريد به جميع المكلفين .

القول الثاني : هو السائل في العلم المسترشد ^(٣) ؛ أي : فلا تنهره بالغلظة والجفوة وأجبه برفق ولين ، وقد كان أبو الدرداء ^(٤) ينظر إلى أصحاب الحديث ، ويسيطر رداءه لهم ، ويقول : مرحباً بأحبة رسول الله ﷺ ^(٥) .

والأظهر أن المراد بالسائل المسكين ، فهو في مقابل قوله : ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ . [سورة الضحى : ٨] . أي : واذكر فقرك ^(٦) ، فكما أغناك الله وبدون سؤال ^(٧) .

(١) سبق ترجمته في ص ٥١ .

(٢) البرهان : ٤ / ٢٤٢ .

(٣) قاله أبو الدرداء والحسن وسفيان بن عيينة ويحيى بن آدم في آخرين .

(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ١٤٣ .

(٥) انظر : تفسير القرطبي : ٢٠ / ١٠١ ، تفسير ابن كثير : ٤ / ٥٢٤ .

(٦) انظر : أسرار التكرار في القرآن لمحمود بن حزة الكرمانى : ١ / ٢٢٠ .

(٧) انظر : أحكام القرآن للحصاص : ٥ / ٣٧٢ ، تفسير الواحدي : ٢ / ١٢١١ ، تفسير السمعي : ٦ / ٢٤٦ ، تفسير البغوي :

٤ / ٥٠٠ ، المحرر الوجيز : ٥ / ٤٩٥ ، الكشاف : ٤ / ٧٧٣ ، زاد المسير : ٩ / ١٦٠ ، تفسير النسفي : ٤ / ٣٤٥ ، التسهيل لعلوم

التجريد : ٤ / ٢٠٥ ، الدر المنثور : ٨ / ٥٤٥ ، تفسير السمرقندي : ٣ / ٥٦٨ ، تفسير أبي السعود : ٩ / ١٧١ ، فتح القدير :

٥ / ٤٥٩ ، تفسير السعدي : ٩٢٨ ، أضواء البيان : ٨ / ٥٦٩ ، ٥٧٠ .

قال ابن عاشور ^(١) : " والتعريف في ﴿السَّائِلِ﴾ تعريف الجنس ^(٢) ، فيعمُّ كل سائل ، أي عمَّا يُسأل النبي ﷺ عن مثله " . اهـ ^(٣) .

وقال ابن القيم ^(٤) : " والتَّحْقِيقُ أَنَّ الآيَةَ تَتَنَاوَلُ النُّوعَيْنِ " . اهـ ^(٥) .

وإذا أكثر السائل من الطلب فينبغي للإمام أن يبيِّن له ما في مسألته من المفسدة ، ولا يكون ذلك إلاَّ بعد قضاء حاجته لتقع موعظته له الموقع ، لئلا يتخيَّل أنَّ ذلك سبب لمنعه من حاجته ، ويجوز للسائل تكرار سؤاله ثلاثاً ويجوز منعه في الرَّابِعة ، فردُّ السائل بعد ثلاث ليس بمكروه ^(٦) ، لما جاء في الحديث : " أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ، حتى نفذ ما عنده ، فقال : " ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر " ^(٧) .

ورابعاً : محابذة المساكين والسؤال عنهم :

من البرِّ بالمساكين عيادتهم إذا مرضوا والسؤال عنهم ، وتفقد أحوالهم . ويُروى أنَّ مسكينة ^(٨) مرضت ، فأخبر رسول الله ﷺ بمرضها ، وكان رسول الله ﷺ يعود المساكين ويسأل عنهم ، فقال رسول الله ﷺ : " إذا ماتت فأذنوني " . فأخرج بجنائزها ليلاً وكرهوا أن يوقظوا رسول الله ﷺ ، فلما أصبح رسول الله ﷺ أخبر بالذي كان منها

^(١) سبق ترجمته في ص ٣٠٩ .

^(٢) ويقوِّي هذا القول ذكر مكي بن أبي طالب له ؛ من أنَّ التعريف للجنس . انظر : مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٨٢٤ .

^(٣) التحرير والتنوير : ٣٠ / ٣٥٥ .

^(٤) سبق ترجمته في ص ٦ .

^(٥) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم : ٤٧ .

^(٦) انظر : فتح الباري : ٣ / ٣٣٧ .

^(٧) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة (١٤٠٠) : ٢ / ٥٣٤ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الزكاة باب فضل التعفف والصبر (١٠٥٣) : ٢ / ٧٢٩ . كلاهما عن أبي سعيد الخدري .

^(٨) هذه المرأة المتوفاة رحمها الله هي أم محجن - رضي الله عنها - ، وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما : أنها امرأة سوداء كانت تقم المسجد - بقاف مضمومة - أي تجمع القمامة ، وهي الكناسة . انظر : غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة : ١ / ٢٠٧ .

فقال : " ألم أمركم أن تؤذوني بها " . قالوا : يا رسول الله ، كرهنا أن نوقظك ليلاً فخرج رسول الله ﷺ حتى صفّ بالناس على قبرها ، وكبّر أربع تكبيرات " (١) .
قال النووي (٢) : " وفيه بيان ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع والرفق بأمته ، وتفقد أحوالهم والقيام بحقوقهم ، والاهتمام بمصالحهم في آخرتهم وديانهم " . اهـ (٣) .

السائلين بين الإحسان إليهم والذهي عن المسألة :

ومع حثّ القرآن الكريم بالإحسان والبرّ بالسائلين وإطعامهم ، وعدم ردّهم ولو بالقليل نجد بالمقابل نهي ﷺ عن سؤال الناس وحضّه على التعفف عن المسألة ، ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك . قال ﷺ : " لأنّ يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه " (٤) .

ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها ، وذلك لما يلحق السائل من ذلّ السؤال والخضوع لمعطيها ، ومن ذلّ الردّ إذا لم يعط ، ولما يدخل على المسؤول من الضيق في ماله إن أعطى كل سائل (٥) .

وعلى المتصدّق أن يتحرّى وضعها فيمن صفته التعفّف دون الإلحاح ، فالفقراء والمساكين المستحقون للزكاة ليسوا أولئك المتسوّلين الذين احترفوا سؤال الناس ، وتظاهروا بالفقر والمسكنة ، ومدّوا أيديهم للغادي والرائح ، ولكنّ الذين يستحقون معونة المجتمع بحقّهم المتعفّفون ، وإنّ الله قد أثنى على الفقير الصّابر المتعفّف عن مسألة الناس ، والذي يُعرف في وجهه الجهد من الحاجة .

(١) أخرجه النسائي في (المتحى) في كتاب الجنائز ، باب الإذن بالجنائز (١٩٠٧) : ٤ / ٤٠ ، وأخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجنائز ، باب التكبير على الجنائز (٥٣٣) : ١ / ٢٢٧ . كلاهما عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ؓ . قال ابن عبد البرّ : " لم يختلف على مالك في الموطأ في إرسال هذا الحديث ... وقد روى سفيان بن حسين هذا الحديث عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه عن النبي ﷺ ، وهو حديث مسند متصل صحيح وروى من وجوه كثيرة عن النبي ﷺ كلها ثابتة " . اهـ . انظر : التمهيد لابن عبد البرّ : ٦ / ٢٥٤ .

(٢) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم : ٧ / ٢٥ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده (١٩٦٨) : ٢ / ٧٣٠ . عن أبي هريرة ؓ .

(٥) انظر : التمهيد لابن عبد البرّ : ٤ / ١٠٦ ، فتح الباري : ٣ / ٣٣٦ .

قال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ مَحْسَبُهُمْ أَلْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٣] .

والإلحاف ^(١) هو الإلحاح في المسألة ، وهو أن يلزم السائل المسؤول حتى يعطيه ، من قولهم : لحفتني من فضل لحافه ، أي : أعطاني من فضل ما عنده .

واختلف في المراد بالإلحاف ، وذهب جمهور المفسرين أنهم لا يسألون ألبتة ، لاسؤال إلحاح ولا سؤال غير إلحاح ، ووجهه أن التعفف صفة ثابتة لهم لاتفارقهم ، ومجرد السؤال ينافيها ^(٢) .

ووصفت الآية الفقير بمن أحصر في سبيل الله بالغزو أو الجهاد ، وقيل : منعوا عن التكبب لما هم فيه من الضعف ، وهم أيضاً لا يستطيعون ضرباً في الأرض للتكسب بالتجارة والزراعة ونحو ذلك ، فلا يُتصدَّق على المحتاج الذي يعيش عائلة على المجتمع وهو قوي البنيان ، قادر على الكسب وإغناء نفسه بكسبه وعمله ^(٣) . والآية الكريمة تدل بمنطوقها على الثناء على الفقير الصَّابِر المتعفف عن مسألة الناس ، وتدل بمفهومها ^(٤) على ذم سؤال الناس ^(٥) .

ويؤكد هذا ما جاء في السنة أن رجلاً أتيا النبي ﷺ في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسألاه منها ، فرفع فيهما البصر وخفضه ، فرأهما جلدتين ^(٦) ، فقال : " إن شئتما

^(١) سبق تعريف الإلحاف لغة ، انظر : ص ٢٩٧ .

^(٢) انظر : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : ٣٩ ، تفسير الطبري : ٣ / ٩٩ ، أحكام القرآن للحصاص : ٢ / ١٨١ ، تفسير السمعي : ١ / ٢٧٨ ، تفسير البغوي : ١ / ٢٥٩ ، المحرر الوجيز : ١ / ٣٦٩ ، الكشاف : ١ / ٣٤٦ ، زاد المسير : ١ / ٣٢٩ ، التفسير الكبير : ٧ / ٧١ ، ٧٢ ، تفسير القرطبي : ٣ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، تفسير البيضاوي : ١ / ٥٧٣ ، تفسير النسفي : ١ / ١٣٣ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٣٢٦ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ٩٤ ، الدر المنثور : ٢ / ٩٠ ، تفسير السمرقندي : ١ / ٢٠٦ ، تفسير أبي السعود : ١ / ٢٦٥ ، فتح القدير : ١ / ٢٩٣ ، تفسير السعدي : ١١٦ ، أضواء البيان : ٤ / ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

^(٣) هذا مذهب الشافعية والحنابلة ، أما الحنفية فيجزون الدفع للفقير الكسوب ولكنه لا يطيب له الأخذ . انظر : المجموع : ٦ / ٢١٩ بدائع الصنائع : ٢ / ٤٨ .

^(٤) المنطوق هو : ما دل عليه اللفظ في محل النطق ، والمفهوم خلاف المنطوق ، وهو : ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق . انظر : الإحكام لعلي بن محمد الأمدي : ٣ / ٧٤ ، كتاب التقرير والتحبير : ١ / ١٤٥ .

^(٥) أضواء البيان : ٤ / ٣٠٩ .

^(٦) جلدتين : الجيم واللام والبدال أصل واحد يدل على قوة وصلابة ، والجلد : القوة والشدة . انظر : المقاييس ، كتاب الجيم ، باب الجيم واللام وما يثلثهما : ٢٢١ ، لسان العرب : (مادة : جلد) : ٣ / ١٢٥ .

أعطيتكما ولا حظَّ فيها لغنيٍّ ولا لقويٍّ مكتسبٍ" (١) .

فالسائل الذي يُتصدَّق عليه لابدَّ أن يتوفَّر فيه شرطان : الفقر والضعف ، أمَّا الغنيُّ (٢) أو القويُّ القادر على الكسب فلا تحلُّ له الصدقة ؛ ولا اعتداد بالقوَّة الجسمانية ما لم يكن معها كسبٌ يغني ويكفي (٣) ، وبهذا يكون البرُّ بالفقير والمسكين قد وصل غايته ومنتهاه وجمعت تعاليم الإسلام بين العدل والإحسان ، والعدل والرحمة .

وهكذا نجد هدي الإسلام في كلِّ أمرٍ وفي كلِّ شأنٍ من شؤون الحياة يوازن بين طرفي المسألة الواحدة ، فمثلاً يأمر ببرِّ الوالدين ، وفي المقابل يهيب بالأبوين أن يعطيا أولادهما ما لهم من حقوق ليعينوهم بها على البرِّ بهما ، وهنا يرغَّب في الإحسان بالسائلين ويجعله باباً من أبواب البرِّ والتقوى ، وفي نفس الوقت ينهى عن المسألة ويشنَّع أمرها - والأحاديث الواردة في ذمِّ السؤال مطلقاً كثيرة جداً لا يتسع المقام لذكرها هنا - ، ويحثُّ الفقير على التعفُّف والاستغناء عن الناس والتصبُّر .

إنَّ الأمر بالإحسان إلى الفقراء والمساكين والسائلين من أهمِّ إيجابيات الواقع في البيئة الجاحدة المتكالبة ، التي لا تراعي حقَّ ضعيف ، فالإسلام رفع هذه البيئة بشريعة الله إلى الحقِّ والعدل والبرِّ والتقوى ، وبذلك حرَّك مشاعر الأتقياء الأبرار للإحساس بإخوانهم الضعفاء ، وسدَّ حاجتهم وعوزهم ، وإعطائهم حقَّهم المشروع (٤) .



(١) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة ، باب من يعطى من الصدقة وحد الغني (١٦٣٣) : ٢ / ١١٨ ، وأخرج النسائي بمثله في السنن الكبرى في كتاب الزكاة ، مسألة القوي المكتسب (٢٣٧٩) : ٢ / ٥٤ ، وأخرج أحمد بمثله في حديث رجلين أتيا النبي ﷺ : ٤ / ٢٢٤ كلُّهم عن عبيد الله بن عدي بن الخيار ﷺ . وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تحلُّ الصدقة لغني ولا لذي مرَّة سوى " . رواه الخمسة إلا ابن ماجه والنسائي ، لكنه لهما من حديث أبي هريرة ﷺ ولأحمد الحديثان . قال أحمد : - عن الحديث الذي في المتن - هذا أجودهما إسناداً . ولهذا أثبتته في المتن . انظر : الدراية في تخريج أحاديث الهداية : ١ / ٢٦٧ ، نيل الأوطار : ٤ / ٢٢٤ .

(٢) لا تحلُّ الزكاة لغني إلا لأربعة : العاملين على الزكاة والمؤلفة قلوبهم والغازي في سبيل الله والغارم لإصلاح ذات البين . انظر : العدة شرح العمدة لعبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي : ١٤١ .

(٣) قال النووي : وإذا لم يجد الكسوب من يستعمله حلَّت له الزكاة ، لأنه عاجز . انظر : المجموع : ٦ / ١٧٨ .

(٤) انظر : الظلال : ٦ / ٣٩٢٨ .

المبحث الثالث : البر في معاملة الجار

حُرمة الجار عظيمة في الجاهلية والإسلام ، معقولة مشروعة مروءة وديانة ، وقد حث الإسلام على القيام بحق الجار والإحسان إليه ، ووصى برعي ذمته في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ ، وأكد سبحانه ذكره بعد الوالدين والأقربين فقال تعالى :

﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ . [سورة النساء : ٣٦] . (١) وقال ﷺ : " ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " (٢) .

إنها للتمتلة الكريمة العالية ، يمنحها الإسلام للجار على لسان الروح الأمين ، الذي ما فتئ يؤكد لها للرسول الكريم حتى حسب أنها سترفعه إلى درجة القرابة فتجعله وارثاً مثلهم . وبالإحسان إلى الجار يحصل التآلف بين أفراد المجتمع ، وتبتعد الجماعة في الحي الواحد عن المشاحنات والبغضاء فتسود الطمأنينة والأمان .

إن من وفقه الله وأحبه وأراد به الخير حبه إلى جيرانه وأرضاهم عنه ، ولا يكون ذلك إلا بحسن خلقه وطيب عشرته لهم ، قال ﷺ : " إذا أحب الله عبداً عَسَلَهُ (٣) " . قال : يا رسول الله ، وما عَسَلَهُ ؟ قال : " يوفق له عملاً صالحاً بين يدي أجله حتى يرضى عنه جيرانه " . أو قال : " من حوله " (٤) .

(١) وهو الموضع الوحيد في القرآن الكريم في الأمر بالإحسان إلى الجار ، ولفظ (الإحسان) من الألفاظ المرادفة والمقاربة للبر في القرآن الكريم ، وقد بينت في مقدمة البحث أني سأتناول الألفاظ المرادفة للفظ البر في بحثي هذا .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب الوصاية بالجار وقرول الله تعالى : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٥٦٦٨) : ٥ / ٢٢٣٩ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب البر والصلة والآداب ، باب الوصية بالجار والإحسان إليه (٢٦٢٤) : ٤ / ٢٠٢٥ . كلاهما عن عائشة - رضي الله عنها - .

(٣) عَسَلَهُ - يفتح العين والسين المهملتين - : من العسل ، وهو طيب الشاء ، وقال بعضهم : هذا مثل ، أي وفقه الله لعمل صالح يتحفه به كما يتحف الرجل أخاه إذا أطعمه العسل . انظر : النهاية : ٣ / ٢٣٧ .

(٤) أخرجه أحمد من حديث أبي عتبة الخولاني ﷺ بلفظ : " يفتح الله ﷻ له عملاً صالحاً قبل موته ثم يقبضه عليه " : ٤ / ٢٠٠ . وأخرجه الحاكم - واللفظ له - في المستدرک على الصحيحين (١٢٥٧) : ١ / ٤٩٠ عن عمرو بن الحمق ﷺ . قال الحاكم : صحيح . قال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني وفيه بقیة مدلس ، وقد صرح بالسماع في المسند وبقية رجاله ثقات . ورمز المناوي لحسنه . انظر : مجمع الزوائد : ٧ / ٢١٥ ، فيض القدير : ١ / ٢٥٦ .

وقال ﷺ: " خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره " (١) .

الجار لغة :

والجارُ الذي يُجاوِرُكَ . وجاوَرَ الرجلَ مُجاوِرَةً وجواراً وجواراً - والكسر أفصح - : ساكنُهُ ، وإنه لحَسَنُ الجِيرةِ : لحالٍ من الجوارِ وضُرْبٍ منه . وجاوَرَ بني فلان وفيهم مُجاوِرَةً وجواراً : تَحَرَّمَ بِجوارِهِم ، وهو من ذلك ، والاسم الجوارُ والجوارُ . قال ابن الأعرابي (٢) : الجارُ الذي يُجاوِرُكَ بَيْتَ بَيْتٍ . والجارُ التَّفِيحُ : هو الغريب . والجارُ : الشَّرِيكُ في العَقارِ مُقاسِماً كان أو غير مُقاسم . والجارُ : الخليف . والجارُ : الناصر . والجارُ : الشريك في التجارة . والجارَةُ : امرأة الرجل وهو جارُها ، وقيل غير ذلك (٣) .

المعنى بـ ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنْبِ ﴾ :

واختلف في معنى الجار ذي القربى والجار الجنب (٤) على أقوال وهي :
الأول : أن الجار ذي القربى هو الجار الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين والجار الجنب هو الغريب الذي ليس بينك وبينه قرابة (٥) ، قاله ابن عباس (٦) وغير واحد من السلف (٧) .

(١) سبق تحريجه في ص ٤٤٩ ، وهو حديث حسن غريب .

(٢) سبق ترجمته في ص ١١٥ .

(٣) انظر : لسان العرب (مادة : جور) : ٤ / ١٥٣ ، ١٥٤ . (ولم أقف في المقاييس ولا الصَّحاح للجوهرى ولا النهاية ولا في القاموس المحيط معنى لكلمة : الجار) .

(٤) روى أبو زيد عن الفضل عن عاصم (والجارُ الجُنْب) - بفتح الجيم وإسكان النون - أي : ذي الجنب ، وهو الناحية ، ولم يأت بما غيره ، وقرأ الباقون ﴿ الْجُنْبِ ﴾ بضمين . انظر : السبعة في القراءات : ٢٣٣ ، إتخاف فضلاء البشر : ٢٤١ .

(٥) رجل أجنب و أجنبي : وهو البعيد منك في القرابة . انظر : لسان العرب (مادة : جنب) : ١ / ٢٧٧ .

(٦) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٧) قاله النحاس والجصاص ، انظر : معاني القرآن للنحاس : ٢ / ٨٣ ، أحكام القرآن للجصاص : ٣ / ٣٧٤ .

الثاني : أن الجار ذي القربى هو الجار المسلم ، والجار الجنب هو اليهودي والنصراني ، قاله نون البكالي^(١) .

الثالث : أن الجار ذي القربى هو الجار الملاصق ، والجار الجنب هو الجار البعيد الجوار^(٢) .

ورجح الطبري^(٣) أن الجار ذا القربى هو الذي بينك وبينه قرابة وليس هو الجار المسلم ؛ لأن المتعارف من كلام العرب إذا قيل : فلان ذو قرابة ، إنما يعني به إنه قريب الرَّحِمِ منه دون القرب بالدين ، فكان صرفه إلى القرابة بالرَّحِمِ أولى من صرفه إلى القرب بالدين ، وأن الجار الجنب هو الغريب البعيد مسلماً كان أو مشركاً ، يهودياً كان أو نصرانياً ، فإن الجنب في كلام العرب البعيد^(٤) .

وقرئ (والجار ذا القربى) بالنصب على الاختصاص^(٥) ، أي : وأخصُّ الجار ، وفي ذلك تبيين على عظم حق الجار .

فالإحسان إلى الجار مأمورٌ به مندوبٌ إليه ، مسلماً كان أو كافراً ، سواء كانت الديار متقاربة أو متباعدة ، وهذا هو الصحيح ، فلا يظن ظانُّ أن الجار مختصُّ بالملاصق دون من

(١) هو نون بن فضالة الحميري البكالي ، أبو عمرو ، وقيل أبو عبيد ، وقيل : أبو عامر : تابعي ، إمام أهل دمشق في عصره ، من رجال الحديث ، ورد ذكره في الصحيحين ، وكان راوياً للقصص ، وهو ابن زوجة كعب الأحبار ، ذكره البخاري في فصل من مات بين التسعين إلى المائة . ت نحو سنة ٩٥ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٧ / ٤٥٢ ، مشاهير علماء الأمصار : ١ / ١٢١ ، حلية الأولياء : ٦ / ٤٨ ، البداية والنهاية : ١ / ٢٩٥ .

(٢) انظر : تفسير الصنعاني : ١ / ١٥٩ ، تفسير السمرقندي : ١ / ٣٢٧ ، تفسير الواحدي : ١ / ٢٦٤ ، تفسير السمعاني : ١ / ٤٢٦ ، تفسير البغوي : ١ / ٤٢٥ ، زاد المسير : ٢ / ٧٩ ، تفسير القرطبي : ٥ / ١٨٣ ، تفسير البيضاوي : ٢ / ١٨٧ ، تفسير النسفي : ١ / ٢٢١ ، تفسير ابن كثير : ١ / ٤٩٥ ، التسهيل لعلم الترتيل : ١ / ١٤١ ، تفسير أبي السعود : ٢ / ١٧٦ ، فتح القدير : ١ / ٤٦٤ ، روح المعاني : ٥ / ٢٨ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٤) انظر : تفسير الطبري : ٥ / ٧٩ ، ٨٠ .

(٥) ويظهر أنها قراءة بالغة الشذوذ ، لأنها ليست من القراءات المتواترة ولا الشاذة ؛ فلم أجد لها في إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر . انظر : إتخاف فضلاء البشر : ٢٤١ . وذكرت في كتب التفسير . انظر : الكشف : ١ / ٥٤١ ، التفسير الكبير : ١٠ / ٧٨ ، تفسير أبي السعود : ٢ / ١٧٦ .

والأولى أن يرجع في معنى الجار إلى الشرع ، فإن وجد فيه ما يقتضي بيانه ، وأنه يكون جاراً إلى حدّ كذا من الدور أو من مسافة الأرض كان العمل عليه متعيّناً ، وإن لم يوجد رجوع إلى معناه لغة أو عرفاً ، ولم يأت في الشرع ^(١) ما يفيد أن الجار هو الذي بينه وبين جاره مقدارا كذا ، ولا ورد في لغة العرب أيضاً ، وأما الأعراف في مسمّى الجوار فهي تختلف باختلاف أهلها ، ولا يصحّ حمل القرآن على أعراف متعارفة واصطلاحات متواضعة ^(٢) ، كما أن الحكمة في الوصية بالجار أن يعامل المسلم من يجاوره ويراه في غدوّه أو رواحه إلى داره بالحسنى ، فلا معنى لتحديده بالدور والبيوت ^(٣) .

وجوه البرّ في معاملة الجار :

إن الله ﷻ أمر بالإحسان إلى الجار في قوله تعالى : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ . [سورة النساء : ٣٦] .

ولكنّ الإحسان إلى الجار يشمل ما للجار من حقوق مع البرّ في معاملته . قال ابن العربي ^(٤) : " إن الإحسان يعمّ الفرض والنفل ، ولم يبق شرع ولا حق إلا دخل فيه فعمت الوصية فيه ، وتفصّلت منازل بالأدلة " . اهـ ^(٥) .
فهنا سأذكر ما فرض من حقوق للجار ووجوه الإحسان إلى الجار ، وحقوقه كثيرة يجمعها الإكرام وكف الأذى .

(١) كل الأحاديث في حدّ الجوار ضعيفة - كما سبق وذكرت - . انظر : خلاصة البدر المنير : ٢ / ١٤٥ ، الدراية في تخريج أحاديث الهداية : ٢ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٢) رأى محمد رشيد رضا وابن عاشور والآلوسي أن حدّ الجوار يرجع في ذلك إلى العرف ، وقال ابن عاشور : وليس لمالك في ذلك حدّ والظاهر أنه موكل إلى ما تعارفه الناس . انظر : روح المعاني : ٥ / ٢٩ ، تفسير المنار : ٥ / ٩٢ ، التحرير والتنوير : ٤ / ١٢٤ .

(٣) انظر : فتح القدير : ١ / ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، تفسير المنار : ٥ / ٩٢ .

(٤) سبق ترجمته في ص ١٣٠ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي : ١ / ٥٤٨ .

أولاً : حفنة الأخي من الجار :

من حق الجار على جاره كف الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية فلاأذى أنواع منها : الزنى ، السرقة ، السباب ، الشتائم ، رمي الأوساخ ، وأخطرها : الزنى والسرقة وانتهاك الحرمه ، وهذا مما أكده رسول الله ﷺ لما كان يوجه أصحابه إلى أكرم الخصال ، وينهاهم عن أقبح الفعال ، فغلظ عليهم حرمة الجار ؛ ويين لهم أن الإثم مع الجار أشد وقعاً ، وأفدح جريمة مع سواه . قال رسول الله ﷺ لأصحابه : " ما تقولون في الزنا ؟ " . قالوا : حرامٌ حرّمه الله ورسوله ، فهو حرامٌ إلى يوم القيامة . قال : فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : " لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره " . قال : فقال : " ما تقولون في السرقة ؟ " . قالوا : حرّمها الله ورسوله فهي حرام . قال : " لأن يسرق الرجل من عشرة آيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره " (١) . وكونها امرأة الجار أعظم ، لأن الجار يتوقع من جاره الذب عنه وعن حريمه ، وقد أمر الله تعالى بالإحسان إليه ، فإذا قابل هذا بالزنا بامرأته وإفسادها عليه ، مع تمكنه منها على وجه لا يتمكن منه غيره ، كان غايةً في القبح (٢) .

أمّا أذى اليد وأذى اللسان فيدخل في مضمون قوله ﷺ : " والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن " (٣) . قال : ومن يا رسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه " (٤) . نفى ﷺ الإيمان عمّن لم يأمن جاره بوائقه ، وهي مبالغة تنبئ عن تعظيم حق الجار وأن إضراره من الكبائر (٤) .

إن جار السوء لا ينفعه مع أذى جاره طاعة ، فإن الله لن يقبل منه عملاً صالحاً مهما بلغ بل ماله النار . فقد قيل للنبي ﷺ : " يا رسول الله ، إن فلانة تذكر من كثرة صلاحها

(١) أخرجه أحمد في مسند المقداد بن الأسود ﷺ (٢٣٩٠٥) : ٦ / ٨ . قال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات . انظر : مجمع الزوائد : ١٦٨ / ٨ .

(٢) انظر : سبل السلام : ٤ / ١٦٦ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (٥٦٧٠) : ٥ / ٢٢٤٠ عن أبي شريح ﷺ ، وأخرج مسلم عن أبي هريرة ﷺ بلفظ : " لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه " في كتاب الإيمان ، باب بيان تحريم إيذاء الجار (٤٦) : ١ / ٦٨ . وفي رواية للحاكم - وصحّحها - بزيادة : " قالوا : وما بوائقه ؟ قال : شره " .

(٤) انظر : فتح الباري : ١٠ / ٤٤٢ .

وصيامها ، غير أنّها تؤذي جيرانها بلسانها . قال : " هي في النار " . قال : يا رسول الله فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقها وصلاتها ، وإنها تصدّق بالأثوار من الأقط (١) ولا تؤذي جيرانها بلسانها . قال : " هي في الجنة " (٢) .

وقال ﷺ : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره " (٣) . فلا يتناول الجار على جاره في البنيان فيحجب عنه الشمس والهواء ، ولا يُشرف على غرف منزله ؛ لأن ذلك يؤلّد البغضاء والحصومة ويسيء العلاقة بين الجيران .

فمن حقّ الجار على جاره أن يعطيه الأمان على نفسه وماله وعرضه .. لا يخشى غدرًا ولا خيانةً أو أذى ، بل سلامًا واستقرارًا واطمئنان .

وإنّ أشدّ الجيران قربًا وأكثرهم حقًا الملكان المجاوران ، فعلى المسلم أن لا يريهما إلاّ خيرا ولا يؤذيهما بالمعاصي .

قال ابن أبي جمرة (٤) : " إذا تأكّد حق الجار مع الحائل بين الشخص وبينه ، وأمر بحفظه وإيصال الخير إليه ، وكفّ أسباب الضّرر عنه ، فينبغي له أن يراعي حقّ الحافظين اللذين ليس بينه وبينهما جدار ولا حائل ؛ فلا يؤذيهما بإيقاع المخالفات في مرور الساعات ، فقد جاء أنّهما يسرّان بوقوع الحسنات ، ويحزنان بوقوع السيئات ، فينبغي مراعاة جانبهما

(١) الأثوار - بالثالثة - : جمع ثور وهي القطعة من الأقط ، والأقط لبن جامد مستحجر ، وهي مما سته النار . انظر : غريب الحديث لابن الجوزي : ١ / ١٣١ ، النهاية ، كتاب الناء (مادة : ثور) : ١ / ٢٢٨ .

(٢) أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة (٩٦٧٣) : ٢ / ٤٤٠ . قال الهيثمي : رواه أحمد والبيهقي . انظر : مجمع الروايات : ٨ / ١٦٩ .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٥٦٧٢) : ٥ / ٢٢٤٠ وأخرجه مسلم بمثله في كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف (٤٧) : ١ / ٦٨ . كلاهما عن أبي هريرة (٤) .

(٤) هو محمد بن أحمد بن عبد الملك ، ابن أبي جمرة الأموي بالولاء ، أبو بكر : فقيه مالكي ، من أعيان الأندلس ، ولد بمرسية وتفقه وولي خطة الشورى إرثًا عن أبائه وهو في نحو الحادية والعشرين ، وتقلّد قضاء مرسية وبلنسية وشاطبة وأوريولة في مدد مختلفة ، وامتحن بأخرة من عمره في امتناعه عن قضاء مرسية فأقام بها إلى أن توفي . من كتبه : نتائج الأبحاث ومناهج النظر في معاني الآثار ، وإقليد التقليد والبرنامج المقترض من كتاب الإعلام بالعلماء الأعلام ، والإنباء بأنباء بني خطّاب ، وهم أسلافه . ت سنة ٥٥٩ هـ . انظر : كتاب الحلة السرياء لمحمد بن عبد الله القضاعي : ٢ / ٨ ، سير أعلام النبلاء : ٢١ / ٣٩٨ ، النجوم الزاهرة : ٥ / ٢٦٥ ، وفيه سماءه : أبو العباس أحمد بن عبد الملك بن أبي جمرة . وقال : توفي سنة ٥٣٣ هـ ، شذرات الذهب : ٢ / ٢٤٢ .

وحفظ خواطرهما بالتكثير من عمل الطاعات ، والمواظبة على اجتناب المعصية ، فهما أولى برعاية الحق من كثير من الجيران " . اهـ (١) .

ثانياً : احتمال أذى الجار :

قال الحسن : ليس حسن الجوار كف الأذى ، حسن الجوار الصبر على الأذى (٢) . وهذا ما وصى به رسول الله ﷺ ، جاءه رجل يشكو جاره ، فقال له : " اذهب فاصبر " . فأتاه مرتين أو ثلاثاً ، فقال : " اذهب ، فاطرح متاعك في الطريق " . ففعل ، فجعل الناس يمرُّون ويسألونه ، فيخبرهم خبر جاره ، فجعلوا يلعنونه ، فعل الله به ، وفعل ، فجاء إليه جاره ، فقال : ارجع لا ترى مني شيئاً تكرهه " (٣) .

إن الصبر على أذى الجار سبب من الأسباب الموجبة لمحبة الله ﷻ ، قال أبو ذر ﷺ : قال رسول الله ﷺ : " إن الله ﷻ يحبُّ ثلاثة ويغضُّ ثلاثة " . فذكر من الثلاثة الذين يحبُّهم الله : " رجلٌ له جارٌ سوءٌ يؤذيه ، فيصبر على إيذائه حتى يكفيه الله إياه أما بجماعة أو موت " (٤) .

إن الإسلام في مواقف أخر يجعل للإنسان مجال للاختيار بين موقف العدل باتخاذ الحق أو موقف العفو والإحسان ، لكن مع الجار يختلف الأمر ، فهو مأمورٌ بأن يصبر على أذاه وإن تعدد أذيته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ولا يأخذ حقه منه ، ولا يقابل الجار جاره بالسوء عسى أن يرعوي من نفسه ، ويكف عن الأذى حين لا يرى جاره لا يقابل سيئته بمثلها ، بل يتحمّل بالصبر والحلم والأناة ، وهذا من أبرع الأساليب النفسية التربوية في اقتلاع جذور

(١) انظر : فتح الباري : ١٠ / ٤٤٤ .

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية : ٢ / ٩٩ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب في حق الجوار (٥١٥٣) : ٤ / ٣٣٩ . عن أبي هريرة ﷺ . قال المنذري : رواه أبو داود واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . وله شاهدٌ من حديث أبي جحيفة وصححه ووافقه الذهبي . انظر : الترغيب والترهيب : ٣ / ٢٤٢ .

(٤) أخرج أحمد بن حنبل في مسند أبي ذر ﷺ : ٥ / ١٥٣ ، وأخرجه الطبراني - واللفظ له - في المعجم الكبير ، ما أسند إلى أبي ذر ﷺ (جندب بن جنادة) (١٦٣٧) : ٢ / ١٥٢ ، قال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني واللفظ له ، وإسناد الطبراني وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح . انظر : مجمع الزوائد : ٨ / ١٧١ .

السوء من بعض النفوس ، كل ذلك ليعيش المسلم في جوٍّ آمن نفسي ومادّي ، ويقوم مجتمعٌ قويٌّ متماسكٌ يسوده الطمأنينة والأمان .

قال تعالى : ﴿ اذْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ . [سورة فصلت : ٣٤] .

ثالثاً : إكراهه بإسداء المعروف والخير له :

لقد حرص الإسلام على تماسك أفراد الأمة ؛ فكان من ذلك أن وثق علاقة الجار بجاره فأقامها على أساس ثابت ركين من المؤدّة والبرِّ والتكافل وحسن المعاملة .

عن أبي ذر ^(١) قال : إن خليلي عليه السلام أوصاني : " إذا طبخت مرقةً فأكثر ماءه ، ثم انظر أهل بيت من جيرانك ، فأصبهم منها بمعروف " ^(٢) .

حض عليه السلام على مكارم الأخلاق لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة ، ودفع الحاجة والمفسدة ، فإن الجار قد يتأذى برائحة قدر جاره ، وربما تكون له ذرية تشتهي هذا الطبخ ولا يستطيع أن يؤمن لهم مثله ، فيزداد حينئذٍ ألهم وحسرتهم ، وكل هذا يندفع بتشريكهم في شيءٍ من الطبخ يدفع إليهم .

قال العلماء :

لما قال عليه السلام : " فأكثر ماءها " . نبّه بذلك على تيسير الأمر على البخيل تنبيهاً لطيفاً وجعل الزيادة فيما ليس له ثمن ؛ وهو الماء ، ولذلك لم يقل : إذا طبخت مرقةً فأكثر لحمها إذ لا يسهل ذلك على كل أحد ، ولا يهدي النزر اليسير المحتقر لقوله عليه السلام : " ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف " . أي : بشيءٍ يهدى عرفاً ؛ فإن القليل وإن كان مما يهدى فقد لا يقع ذلك الموقع ، فلو لم يتيسر إلا القليل فليهده ولا يحتقره ، وعلى

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البرِّ والصلة والآداب ، باب الرصية بالجار والإحسان إليه (٢٦٢٥) : ٤ / ٢٠٢٥ .

المُهدى إليه قبوله ^(١) ، لقوله ﷺ : " يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة ^(٢) " ^(٣) .

وقوله " فرسن شاة " :

إشارة إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير وقبوله ؛ لا إلى حقيقة الفرسن ؛ لأنه لم تجر العادة بإهدائه ، أي : لا تمتع جارة من الهدية لجارتها الموجود عندها لاستقلاله ، بل ينبغي أن تجود لها بما تيسر وإن كان قليلاً فهو خير من العدم ، وفي الحديث الحضُّ على التهادي ولو باليسير ؛ لأن الكثير قد لا يتيسر كل الوقت ، وإذا تواصل اليسير صار كثيراً ، وفيه استحباب المؤدّة واسقاط التكلف ^(٤) .

وقال ابن حجر ^(٥) :

" ويحتمل أن يكون من باب التهي عن الشيء أمرٌ بضده ، وهو كناية عن التحابب والتوادد فكأنه قال : تُوادد الجارة جارتها بهدية ولو حقرت ، فيتساوى في ذلك الغني والفقير وخصّ النهي بالنساء لأنهن موارد المؤدّة والبغضاء ، ولأنهن أسرع إنفعالاً في كل منهما " . اهـ ^(٦) .

ومن إكرام الجار ألا يمنع من غرز خشبة له إرفاقاً به ، قال رسول الله ﷺ : " لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره " . ثم يقول أبو هريرة ^(٧) : ما لي أراكم عنها ^(٨) .

^(١) انظر : تفسير القرطبي : ١٨٥ ، ١٨٦ ، /٥ .

^(٢) قوله " فرسن " - بكسر الفاء والمهمله بينهما راء ساكنة وآخره نون - هو عظيم قليل اللحم ، وهو للبعير موضع الحافر للفرس ويطلق على الشاة مجازاً ، ونونه زائدة ، وقيل : أصلية . انظر : غريب الحديث لابن الجوزي : ٢ / ١٨٥ ، المصباح المنير : ٢ / ٤٦٨ .

^(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحبة وفضلها ، باب فضلها والتحريض عليها (٢٤٢٧) : ٢ / ٩٠٧ ، وأخرج مسلم بمثله في كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره (١٠٣٠) : ٢ / ٧١٤ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

^(٤) انظر : فتح الباري : ١٩٨ / ٥ .

^(٥) سبق ترجمته في ص ٧٣ .

^(٦) انظر : فتح الباري : ١٩٨ / ٥ ، ١٠ ، ٤٤٥ .

^(٧) صحابي جليل ، انظر : ص ١٤٣ .

^(٨) أي عن هذه السنة أو هذه المقالة .

معرضين والله لأرمين^(١) بما بين أكتافكم^(٢) . (٣)

وهل يقضى بهذا على الوجوب أو الندب فيه خلاف بين العلماء^(٤) ، والنظر يدلُّ على أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم بعضهم على بعض حرام إلا ما تطيب به النفس خاصّة فهذا هو الثابت عن النبي ﷺ^(٥) .

وأحقّ الجيران بالهدية الأقرب باباً . فعن عائشة^(٦) - رضي الله عنها - قلت : يا رسول الله إن لي جارين ، فألى أيهما أهدي ؟ قال : إلى أقربهما منك باباً^(٧) .

ولقد وعى الصحابة الكرام هذا الهدى النبوي الرفيع في معاملة الجيران ، فكانوا لا يخصون ببرّهم وإكرامهم الجار الأقصى قبل الأدنى ، وفي ذلك يقول أبو هريرة رضي الله عنه : " ولا يبدأ بجاره الأقصى قبل الأدنى ، ولكن يبدأ بالأدنى قبل الأقصى " ^(٨) .

والحكمة فيه أن الأقرب يرى ما يدخل بيت جاره من هدية وغيرها ، لما يكون بينهما عادة من احتكاكٍ وتعاملٍ واتّصالٍ مستمرٍّ ؛ فيتشوّف لها بخلاف الأبعد ، وأن الأقرب أسرع إجابة لجاره عندما ينوبه في حاجة في أوقات الغفلة والغرة ، ولهذا المعنى خصّ النبي ﷺ الجار القريب بالهدية ، أمّا ساحة الجوار فهي أكبر من ذلك بكثير .

(١) قوله : " لأرمينّ بها " : في رواية أبي داود " لألقيتها " أي : لأشيعن هذه المقالة فيكم ، ولأقرّعنكم بما كما يضرب الإنسان بالشيء بين كفيه ليستيقظ من غفلته . انظر : فتح الباري : ٥ / ١١١ .

(٢) قوله : " بين أكتافكم " : قال ابن عبد البرّ : " رويناه في الموطأ بالثناة وبالنون ، والأكتاف - بالنون - : جمع كتف - بفتحها - وهو الجانب . قال الخطّابي : معناه إن لم تقبلوا هذا الحكم وتعملوا به راضين لأجلعتها - أي الخشبة - على رقابكم كسارهين ، قال : وأراد بذلك المبالغة ، وبهذا التأويل جزم إمام الحرمين تبعاً لغيره ، وقال : إن ذلك وقع من أبي هريرة حين كان يلي إمرة المدينة " . اهـ . انظر : النهاية (مادة : كتف) : ٤ / ٢٠٥ ، فتح الباري : ٥ / ١١١ .

(٣) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب المظالم ، باب لا يمنع جاره أن يغرز خشبه في جداره (٢٣٣١) : ٢ / ٨٦٩ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب المساقاة ، باب غرز الخشب في جدار الجار (١٦٠٩) : ٣ / ١٢٣٠ .

(٤) قال ابن العربي : " وقد رأى جميع العلماء أن يكون ذلك ندباً لا فرضاً ، وأن يكون منعه مكروهاً لا محرماً ، لأن كل أحد أحق بماله والخاص يحتاجه صاحبه ، فإن أعطاه نقص ماله ، وإن أعاره تكلف حفظه بالإشهاد وأضر بنفسه ، فإن شاء أن يحتمل له ذلك فله الأجر ، وإن أبي فليس عليه وزر " . اهـ . انظر : أحكام القرآن لابن العربي : ١ / ٥٤٧ .

(٥) انظر : تفسير القرطبي : ٥ / ١٨٦ - ١٨٨ .

(٦) صحاحيبة جلييلة وأمّ المؤمنين ، انظر : ص ٦٤ .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الشفعة ، باب أي الجوار أقرب (٢١٤٠) : ٢ / ٧٨٨ .

(٨) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، باب يهدى إلى أقربهم باباً (١١٠) : ١ / ٥٢ .

فكلما كان الجار أقرب باباً كان أكد حقاً ، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية وغيرها فإذا اشترى فاكهة مثلاً فليهد جاره ، فإن لم يفعل فليدخلها سرّاً ، ولا يدع أولاده يخرجون بها ليغيظ بها أولاد الجيران (١) .

والأمر بإكرام الجار يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ، فقد يكون فرض عين ، وقد يكون فرض كفاية ، وقد يكون مستحباً ، ويجمع الجميع أنه من مكارم الأخلاق (٢) .

رابعاً : الإحسان إلى الجار :

إن المسلم الواعي أحكام دينه أحسن الناس معاملة لجيرانه ، وأكثرهم برّاً بهم ، وحَدباً عليهم وقد ذكر الغزالي (٣) أن الإحسان إلى الجار ليس في كف الأذى ولا احتمال الأذى ؛ بل يتبعه بإسداء المعروف والخير ، والجوار يقتضي حقاً وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام ، فيستحق ما يستحقه كل مسلم وزيادة ، وذكر جملة من حقوق الجار فقال :

" ولا يكفي احتمال الأذى بل لابد من الرفق وإسداء الخير والمعروف ، وجملة حق الجار : أن يبدأه بالسّلام ، ولا يطيل معه الكلام ، ولا يكثر عن حاله السؤال ، ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ، ويقوم معه في العزاء ، ويهتئته في الفرح ، ويظهر الشركة في السرور معه ، ويصفح عن زلاته ، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ، ولا في مصب الماء في ميزابه ، ولا في مطرح التراب في فنائه ، ولا يضيق طرقه إلى الدار ، ولا يُتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ، ويستتر ما ينكشف له من عوراته ، وينعشه من صرعه إذا نابته نائبة ، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ولا يسمع عليه كلاماً

(١) جاء في الحديث : قالوا : يا رسول الله ، ما حق الجار على جاره ؟ قال : " إن استقرضك أقرضته ، وإن استعانك أعتته ، وإن مرض عدته ، وإن احتاج أعطيته ، وإن افتقر عُدت عليه ، وإذا أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، وإن مات اتبعت جنازته ، ولا تستطيل عليه البناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذيه بقتار ريح قدرك إلا أن تعرف له منها ، وإن اشتريت فاكهة فأهد له ، وإن لم تفعل فأدخلها سرّاً ، ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده " . الحديث جاء بالفاظ متقاربة . قال ابن حجر : وألفاظهم متقاربة والسياق أكثره لعمرو بن شعيب ، وأسانيدهم واهية لكن اختلاف مخارجها يشعر بأن للحديث أصلاً . انظر : فتح الباري : ١٠ / ٤٤٦ .

(٢) انظر : فتح الباري : ١٠ / ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٥٣ .

ويغضُّ بصره عن حرمة ، ولا يدم النظر إلى خادمته ، ويتلطف بولده في كلمته ، ويرشده إلى ما يجمله من أمر دينه وديناه ، هذا إلى جملة الحقوق لعامة المسلمين " . اهـ (٤) .

وقد عدَّ رسول الله ﷺ إكرام الجار في خصال الإيمان فقال : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره " (١) .

فحفظ الجار من كمال الإيمان ، ويحصل امتثال الوصية به بايصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطّاقة كالمهدية ، والسّلام ، وطلاقة الوجه ، ثم لقائه وتفقد حاله ، ومعاونته فيما يحتاج إليه ، وإرشاد ولده بالمعروف ، ويفترق الحال في ذلك بالنسبة للجار الصّالح وغير الصّالح ، والذي يشمل الجميع إرادة الخير له ، وموعظته بالحسنى ، والدعاء له بالهداية وترك الإضرار به ، والذي يخصُّ غير الصّالح وعظه بما يناسبه بالرّفق والسّتر عليه ، وينهاه برفق على حسب مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن أفاد فيه وإلاّ فيهجره قاصداً تأديبه على ذلك ، مع إعلامه بالسبب ليكفّ (٢) .

ومن الإحسان إلى الجار بذل ما يطلبه من نحو التّار والملح والماء ، وإعارته ما اعتاد الناس استعارته من أمتعة البيت ، فقد ذمّ القرآن الكريم من يمنع حاجةً طلب جارُه استعارتها ، ففي الآية الكريمة :

﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٣﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٤﴾ ﴾ . [سورة الماعون : ٤ - ٧] . ذلك أن منعها دليل لؤم الطبيعة ودناءة النفس وسبب في تعلق الجار بجاره يوم القيامة . قال ﷺ : " كم من جارٍ متعلقٌ بجاره يوم القيامة يقول : يا ربُّ هذا أغلق بابه دوني ، فمنع معروفه " (٣) .

(٤) الإحياء : ٢ / ٢١٣ .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري - واللفظ له - عن أبي شريح ؓ في كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٥٦٧٣) : ٥ / ٢٢٤٠ ، وأخرج مسلم بنحوه عن أبي هريرة ؓ في كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضييف (٤٧) : ٦٨ / ١ .

(٢) انظر : فتح الباري : ١٠ / ٤٤٢ .

(٣) وأخرج البخاري في الأدب المفرد باب من أغلق الباب على الجار (١١١) : ٥٢ ، عن ابن عمر ؓ . قال المناوي : عن ابن عمر بن الخطاب ، ورواه عنه أبو الشيخ والدلمي والأصفهاني وضعفه المنذري . انظر : فيض التقدير : ٥ / ٤٩ .

ومن الإحسان إلى الجار أيضاً إغاثة الملهوفين ومساعدة المحتاجين منهم ، قال رسول الله ﷺ :
" ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع " (١) .

وأن نزوره في المناسبات كأن نسلم عليه حين يسكن بقرينا ، ونسأل عنه حين نفتقده ، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، وأن نحسن لقاءه ونرحب به ، ونبشّ في وجهه وندعوه لزيارتنا ؛ فذلك أدعى لتأليف قلبه وكسب وُدّه .

والجيران ثلاثة :

الأوّل : الجار المسلم القريب : وهو الجار الذي بينك وبينه قرابة ، له ثلاثة حقوق : حقّ القرابة ، وحقّ الإسلام ، وحقّ الجوار .

الثاني : الجار المسلم : وهو الجار الجنب ، وهو الجار الأجنبي من قوم آخرين ، له حقان : حقّ الإسلام وحقّ الجوار .

الثالث : الجار المشرك : له حقّ واحد : وهو حقّ الجوار (٢) .

فكلّ من الجيران له حقّ الجوار ، فهو حقّ مشترك لكلّ جار : مسلم ومشرك ، قريب وبعيد .

حقّ الجار المشرك :

فالجار المشرك له ما ذكرنا من الحقوق ؛ فهذا حقّ الجوار .

قال العلماء : الأحاديث في إكرام الجار جاءت مطلقة غير مقيدة ، فشملت حتى الجار الكافر (٣) . (٤)

وعلى المسلم أن يعرض على جاره الكافر الإسلام ، ويبيّن له محاسنه ويرغبه فيه برفق (٥)

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير في ما أسند إلى عبد الله بن عباس ؓ (١٢٧٤١) : ١٢ / ١٥٤ . قال الهيثمي : رواه الطبراني وأبو يعلى ورجاله ثقات . انظر : مجمع الزوائد : ٨ / ١٦٧ . وأخرجه الحاكم وصحّحه ووافقه الذهبي .

(٢) ذكر هذا في حديث رواه البزار عن جابر بن عبد الله ؓ مرفوعاً ، وقال ابن رجب عنه : وقد روي هذا الحديث من وجوه أخرى متصلة ومرسلة ، ولا تخلو كلها من مقال . وقال الهيثمي : رواه البزار عن شيخه عبدالله وهو وضّاع . انظر : جامع العلوم والحكم : ١٣٨ ، مجمع الزوائد : ٨ ، ١٦٤ . ولذلك لم أثبت هذا الحديث في المتن ، وذكرته في الحاشية ، ووجدت بعض تقسيم أنواع الجيران من قول ابن عباس في تفسيره ، فلذلك أثبتته في المتن . انظر : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : ٧٠ .

(٣) سيكون هناك بمشيئة الله مبحث خاص عن البرّ في معاملة الكافر غير المحارب ، انظر : ص ٥٣٥ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي : ١٨٨ / ٥ .

كان غلام زفر^(١) يخدم النبي ﷺ ، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده ، فقعده عند رأسه ، فقال له : " أسلم " . فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال له : أطع أبا القاسم ﷺ ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : " الحمد لله الذي أنقذه من النار " (٢) .

وفي الحديث جواز عيادة المشرك إذا مرض ، وزيارته إذا كان الزائر يرجو بذلك حصول مصلحة دينية كإسلام المريض . وقيل^(٣) : يعاد المريض المشرك ليعرض عليه الإسلام إذا رجي إجابته ، أمّا إذا لم يطمع في إسلامه ولا يرجى إنابته فلا ينبغي عيادته . والذي يظهر أنّ ذلك يختلف باختلاف المقاصد فقد يقع بعيادته مصلحة أخرى^(٤) ، فعيادة الذمي جائزة والقربة موقوفة على نوع حرمة تقترن بها من جوارٍ أو قرابة^(٥) . (٦)

وإذا أهدى جيرانه فيبدأ به ، روي عن عبد الله بن عمرو^(٧) أنه ذبح شاة فقال : أهديتم لجاري اليهودي ، أهديتم لجاري اليهودي ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " (٨) .

ولهذا كان أهل الكتاب يعيشون في جوار المسلمين ، آمنين مطمئنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ومعتقداتهم ، ينعمون بحسن الجوار ، وكرم المعاملة ، وحرية العقيدة ؛ يشهد لذلك تاريخ الإسلام المجيد ، امتثالاً لأدب القرآن القائل :

﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [سورة المتحنة : ٨] .

(٥) فتح الباري : ١٠ / ٤٤٢ .

(١) غلاماً من اليهود . ذكر ذلك في رواية أحمد في مسند أنس ﷺ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام (١٢٩٠) : ١ / ٤٥٥ ، عن أنس ﷺ ، وفي رواية : " أنقذه بي من النار " .

(٣) هذا القول قاله المنذري وابن بطال . انظر : نيل الأوطار : ٨ / ٢٢٧ .

(٤) هذا قول الحافظ ابن حجر .

(٥) هذا قول الماوردي نقله ابن حجر والشوكاني عنه ، ومبحث عنه فلم أقف عليه في أي من كتبه .

(٦) انظر : فتح الباري : ٣ / ٢٢١ ، ١٠ / ١١٩ ، عون المعبود : ٨ / ٢٤٩ ، نيل الأوطار : ٨ / ٢٢٧ .

(٧) عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ : صحابي جليل ، ت سنة ٦٥ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٤ / ٢٦١ ، طبقات الفقهاء :

٣٢ / ١ ، سير أعلام النبلاء : ٣ / ٧٩ ، الإصابة : ٤ / ١٩٢ .

(٨) أخرج أبو داود بنحوه في كتاب الحلم ، باب في حق الجوار (٥١٥٢) : ٤ / ٣٣٨ ، وأخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حق الجوار (١٩٤٣) : ٤ / ٣٣٣ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

حقُّ الجار المسلم :

للجار المسلم حقان ، حقُّ الإسلام ^(١) وحقُّ الجوار التي ذكرناه .

حقُّ الجار المسلم القريب :

الجار المسلم القريب له ثلاثة حقوق ، حقُّ الجوار وحقُّ الإسلام ، وهذه عُرفت ، أما حقُّ القربة فما لهم من الإحسان والبرّ ^(٢) ، وهؤلاء حقهم أكبر ، لكثرة الحقوق التي لهم فيكرم الجار القريب ويُحسن إليه بشئى صنوف المعروف والخير .

وأجملُ بها من حياة ينعم المرء فيها بجيرانٍ يألفهم ويألفونه ، يتناصحون ويتزاورون ، ويشدُّ أحدهم على يد جاره ، يسود بينهم روح التعاون والحبِّ ، يتسابقون في التهادي وإطعام الطعام وترك التكلف .. يكرم كلُّ جاره ويبرُّه ، ويكره له ما يكرهه لنفسه ، ويجبُّ له ما يجبُّه لنفسه ، ويحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنه ويدعو له .. يعفو عن زلّاته ولا ينتقم لنفسه ولا يؤذيه بكلمة ولا بنظرة تكدرَّ خاطره .. ولا يخلو الأمر من منغصات ؛ ولكن عليهم التعالي عن سفاسف الأمور ، واحتمال الأذى مع خلوِّ الصّدر من الأحقاد ، ولا يتصدّر لذلك إلا كلُّ مؤمن بالله واليوم الآخر .



(١) قد ذكرت أهم حقوق المسلم على المسلم في مبحث البرّ بالصّاحب ، انظر : ص ٤٥٠ .

(٢) ذكرت في مبحث مستقل البرّ بذوي القربى ، انظر : ص ٤٤٠ .

المبحث الرابع : البر في معاملة ابن السبيل

أمر الله ﷻ بالإحسان إلى ابن السبيل ، وجاء ذكره في القرآن الكريم في معرض العطف عليه والبر به ثماني مرات :

ففي القرآن المكي :

■ قال الله تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبَذِيرًا ۗ ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٦] .

■ وقال تعالى : ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۗ ﴾ . [سورة الروم : ٣٨] .

وففي القرآن المدني :

■ يجعله الله تعالى من مصارف الإنفاق - فرضاً كان أو تطوعاً - قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ ﴾ . [سورة البقرة : ٢١٥] .

■ ويأمر بالإحسان به في الآية التي سميت آية الحقوق العشرة : ﴿ * وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ ﴾ . [سورة النساء : ٣٦] .

■ ويجعل له حظاً في بيت مال المسلمين من خمس الغنائم : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ... ﴾ . [سورة الأنفال : ٤١] .

■ كما يجعل له حظاً من الفداء : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ... ﴾ . [سورة الحشر : ٧] .

■ ويجعل له سهماً من الزكاة : ﴿ * إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَافَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَامِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ ﴾ . [سورة التوبة : ٦٠] .

■ وحظاً آخر - بعد الزكاة - في مال الأفراد ، ويجعل ذلك من عناصر البرّ والتقوى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّالِفِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

حكمة العناية بابن السبيل :

والسرّ في عناية القرآن بهذا النوع أن دين الإسلام قد دعا إلى السياحة ، ورجب في السفر والسير في الأرض إمّا لابتغاء الرزق . قال تعالى : ﴿ فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ . [سورة الملك : ١٥] . أو لطلب العلم ، أو للنظر في آيات الله في الكون وسنته في الخلق ، قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ . [سورة التوبة : ١٢٢] . قال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ . [سورة العنكبوت : ٢٠] . وقال تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنقَبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٣٧] . وكذلك دعا إليه الإسلام للجهاد في سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . [سورة التوبة : ٤١] . ويسافر المسلم لأداء فريضة الحجّ إلى بيت الله الحرام ، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . [سورة آل عمران : ٩٧] .

هذه أنواع من السفر والسياحة والضرب في الأرض ، حثّ إليها الإسلام تحقيقاً لأهدافه في الأرض ، وتثبيتاً لتعاليمه بين الناس ، ولذلك أولى الإسلام عناية خاصة بالمسافرين والسائحين ؛ وخاصة من انقطع به الطريق منهم وانقطع عن أهله وماله ، وأمر بمعونتهم بصفة خاصة ، وإعطائهم من مال الزكاة وهو مال الجماعة بصفة خاصة ، وفي ذلك تشجيع للسياحة والسفر في سبيل الأغراض المشروعة ، وإكراماً لهؤلاء في غربتهم وانقطاعهم واثبات حقيقة المجتمع المسلم المتماسك الذي يشدّ بعضه بعضاً ، ويأخذ بعضه بيد بعض دون اعتبار لاختلاف الديار .

السبيل لغة :

مأخوذ من (سبل) : السين والباء واللام أصل واحد يدلُّ على إرسال شيء من علو إلى سفلى ، وعلى امتداد شيء . والممتد طولاً : السبيل ، وهو الطريق وما وضع منه ، سُمي بذلك لامتداده (١) .

والسبيل : هو أغلب وقوعاً في الخير ، ولا يكاد اسم الطريق يراد إلاً مقترناً بوصف أو إضافة تخلصه لذلك . والسبيل والطريق يذكّران ويؤنثان (٢) ، إلا أن الطريق هو كل ما يطره طارق معتاداً كان أو غير معتاد ، والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك (٣) .

قال ابن سيده (٤) : " ابن السبيل : ابن الطريق ، وتأويله الذي قطع عليه الطريق . والجمع سبيل . وسبيل سابلة : أي مسلوكة " (٥) . والسابلة أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم والجمع السوابل ؛ وأسبلت الطريق : كثرت سابلتها (٦) .

ابن السبيل اصطلاحاً :

" ابن السبيل " عند جمهور العلماء كناية عن المسافر الذي انقطع به ، وهو يريد الرجوع إلى بلده ولا يجد ما يتبلّغ به ، سُمي به لملازمته السبيل ، كما يقال : لطير الماء " ابن الماء " لملازمته إياه (٧) .

قال محمد رشيد رضا (٨) :

" ابن السبيل : هو المنقطع في السفر الذي لا يتصل بأهل ولا قرابة ، حتى كأن السبيل أبوه

(١) المقاييس ، كتاب السين ، باب السين والباء وما يتلوهما (مادة : سبل) : ٥٠٤ .

(٢) في الترميز العريز : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ . [سورة

الأعراف : ١٤٦] . فذكر ؛ وفيه قال : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بصيرة ﴾ . [سورة يوسف : ١٠٨] . فأت .

انظر : لسان العرب (مادة : سبل) ٣١٩ / ١١ .

(٣) الكلبيات (فصل السين) : ٥١٢ ، ٥١٣ . بتصرف .

(٤) سبق ترجمته في ص ٢٤١ .

(٥) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده : ٥٠٦ / ٨ .

(٦) انظر : لسان العرب (مادة : سبل) : ٣١٩ / ١١ ، ٣٢٠ .

(٧) انظر : تفسير الطبري : ٩٧ / ٢ ، أحكام القرآن للحصّاص : ١٦٤ / ١ ، تفسير القرطبي : ٢ / ٢٤١ ، تحرير ألفاظ التنبيه لسجيني

بن شرف الثوري : ١٢١ ، تفسير البيضاوي : ٤٥٤ / ١ ، المطلع على أبواب المنقوع : ١٤٣ ، التعاريف : ٣١ ، روح المعاني :

٤٦ / ٢ .

(٨) سبق ترجمته في ص ١٣٠ .

وأُمّه ورحمه وأهله ، وهذا التعبير بمكان من اللطف لا يرتقي إليه سواه " . اهـ (١) .
وقال ابن كثير (٢) :

" ابن السبيل : هو المسافر المجتاز الذي قد فرغت نفقته ، فيُعطي ما يوصله إلى بلده ، وكذا الذي يريد سفرًا في طاعة (٣) ، فيعطي ما يكفيه في ذهابه وإيابه ، ويدخل في ذلك الضيف " . اهـ (٤) .

لماذا أُفرد فقال : ﴿ وَأَبْنُ السَّبِيلِ ﴾ وله يقول : (أبناء السبيل) على نسق غيره

في آية البرّ ﴿ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ﴾ ؟

أفرد فقال : ﴿ وَأَبْنُ السَّبِيلِ ﴾ إمّا :

• لانفراده عن أحبائه ووطنه وأصحابه ؛ فهو أبداً يتوق إلى الجمع ويشتاق إلى الوطن .
أو لأنه لما لم يكن بين أبناء السبيل والمعطي تعارف غالباً يهون أمر الإعطاء ويرغب فيه أفردهم ليهون أمر إعطائهم ، وليشير إلى أهم وإن كانوا جمعاً ينبغي أن يعتبروا كنفسٍ واحدة ، فلا يضجر من إعطائهم لعدم معرفتهم وبعد منفعتهم (٥) .

وجوه البرّ في معاملة ابن السبيل :

إنّ عناية الإسلام بالمسافرين الغرباء والمنقطعين لهي عناية فذة ، لم يعرف لها نظير في نظام من الأنظمة أو شريعة من الشرائع . فالجتمتع المسلم كيانٌ واحد يرحم غنيه فقيره ، ويسدُّ حاجات مواطنيه الدائمة والطارئة أيضاً ؛ التي قد تعرض للناس لأسبابٍ وظروفٍ شتّى

(١) تفسير المنار : ١١٦ / ٢ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٣) اختلف الفقهاء في صفة ابن السبيل : قال الجمهور (مالك وأبو حنيفة وظاهر مذهب أحمد) : ابن السبيل هو المجتاز دون منشئ السفر . وقال الشافعي : هو المجتاز والمنشئ ، وعن أحمد روايتان ، أظهرهما المجتاز . واشترطوا أن يكون السفر سفر طاعة لا سفر معصية . انظر : بداية المجتهد ونهاية المقتصد : ١ / ٢٠٢ ، المغني : ٦ / ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، المجموع : ٦ / ٢٠٣ .

(٤) وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو جعفر الباقر والحسن وقتادة والضحاك والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان . انظر :

تفسير ابن كثير : ١ / ٢٠٩ .

(٥) انظر : روح المعاني : ٢ / ٤٦ .

كالسّيّاحة والضّرْب في الأرض ، ومن ذلك :

أولاً : إيتاء ابن السبيل من الصدقات (١) :

إنّ إيتاء ابن السبيل من الصدقات وجه من وجوه البرّ والتقوى ، فيعطي ابن السبيل من النّفقة والكسوة ما يبلغه إلى بلده ، ويُقوّى على سفره ، ويدخل فيه ما يُعطاه من حمولة أو معونة أو ضيافة ، فإنّ فضل مع ابن السبيل بعد رجوعه شيء استرجع منهم ، وإن استغنوا عن الجميع ردّوه ؛ لأنهم أخذوه للحاجة وقد زالت الحاجة .

ويُتصدّق على ابن السبيل إذا كان محتاجاً ، وإن كان له راحلة وعليه ثياب ، والمعتبر احتياجه في ذلك السّفَر وإن كان غنياً في وطنه ، ولو أمكنه القرض فإنّ ذلك لا يجب عليه لأنه قد صار مصرفاً بمجرد الحاجة في ذلك المكان ، فيعطي حقّه الذي فرض الله له ، ولا يلزمه أن يشغل ذمته بالسلف ويدخل منّة أحد ، وقد وجد منّة الله تعالى (٢) .

ويجوز إعطاء ابن السبيل من الصّدقة لأداء فريضة الحج (٣) . قال أبو لاس الخزاعي (٤)

ﷺ : " ... حملنا النبي ﷺ على إبل الصّدقة إلى الحج " (٥) .

(١) ويراعى عند التصدّق على ابن السبيل الآداب الباطنة في الصّدقة ، ذكرها في مبحث الصّدقة ، انظر : ص ٢٠٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبري : ١٥ / ٧٢ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ١٢ / ٣٣ ، المجموع : ٦ / ٢٠٤ ، المغني : ٢ / ٢٨٢ تفسير القرطبي : ٨ / ١٨٧ ، السبيل الجرار لمحمد بن علي الشوكاني : ٢ / ٦٠ .

(٣) أجاز إعطاء ابن السبيل من الصّدقة لأداء فريضة الحج الشافعي ، ولم يجزه أحمد إلا بشرطين : أحدهما أن يكون ممن ليس له ما يجح به سواها ، والثاني : أن يأخذ حجة الفرض . وقال القاضي : ظاهر كلام أحمد جواز ذلك في الفرض والتطوع معاً . انظر : المغني : ٦ / ٣٣٤ .

(٤) هو أبو لاس - بالمهمله - الخزاعي ، وقيل ابن لاس ، مختلف في اسمه ، فقيل : عبد الله . وقيل : زياد . وقال الطبراني : اسمه محمد بن الأسود . وقيل غير ذلك . (ولم أفد على تاريخ وفاته) . انظر : الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم : ٩ / ٤٥٦ ، المعجم الكبير : ٢٢ / ٣٣٤ ، الإصابة : ٧ / ٣٤٩ ، التهذيب : ١٢ / ٣٠١ .

(٥) جزء من حديث أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى : (وفي الرقاب وفي سبيل الله) في مقدمة الباب : ٢ / ٥٣٤ ، وأخرج أحمد بمثله من حديث أبي لاس الخزاعي ويقال له ابن لاس ﷺ : ٤ / ٢٢١ ، وأخرجه ابن خزيمة والحاكم ، وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وله شاهد صحيح . ووافقه الذهبي . قال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني بأسانيد رجال أحدهما رجال محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع في أحدهما . انظر : المستدرک على الصحيحين ، كتاب المناسك (١٦٢٤) : ١ / ٦١٢ ، مجمع الزوائد : ١٠ / ١٣١ .

ولقد فقه السلف الصالح جانب البرّ بابن السبيل وإكرامه ، ومن ذلك : ما يُروى أن نفرأ وردوا على عجوزٍ في بعض البوادي يسألونها بيع شاة ، فقالت : ما كنت لأبيع ابن السبيل شيئاً ، ولكن خذوها على ما عند الله . فقيل : رحمها الله فقهِت في بدوها (١) .

وقد ذكر **عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّبِيلِ حَقًّا** ، وأمر بإيئاته ، فقال سبحانه : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَالْأَبْنَاءَ حَقَّهُمْ وَابْنِ السَّبِيلِ حَقَّهُ ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٦] . وقال تعالى : ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَالْأَبْنَاءَ حَقَّهُمْ ﴾ . [سورة الروم : ٣٨] . والمأمور به في حقّ ابن السبيل المواساة المائيّة لا محالة (٢) .

والمراد في هذه الآية التصدّق على ابن السبيل بما بلغت إليه القدرة من صدقة التّفّل ، وذلك بإيئاته حقّ الضيف ، أو ممّا فرضه الله لهما من صدقة الفرض ، فإنه من الأصناف الثمانية التي هي مصرف الزكاة (٣) .

وعن عقبة بن عامر (٤) **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال : قلنا للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : إنك تبعثنا ، فنزل بقوم لا يُقروننا (٥) فما ترى فيه ؟ فقال لنا : " إن نزلتم بقوم فأمر لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا ، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حقّ الضيف الذي ينبغي لهم " (٦) .

(١) صفة الصفوة : ٤ / ٣٩٣ .

(٢) انظر : تفسير الواحدي : ٢ / ٦٣٢ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٦٧ .

(٣) انظر : أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ٢١ ، فتح القدير : ٣ / ٢٢١ .

(٤) هو عقبة بن عامر بن عيس بن مالك الجهني ، أبو أسد ، ويقال : أبو حماد : صحابي جليل ، وكان عالماً ، مقرئاً ، فصيحاً ، فقيهاً ، فريضاً ، شاعراً كبير الشأن . ت سنة ٥٨ هـ . انظر : التاريخ الكبير : ٦ / ٤٣٠ ، مشاهير علماء الأمصار : ١ / ٥٥ ، حلية الأولياء : ٨ / ٢ ، الإصابة : ٤ / ٥٢٠ .

(٥) قرى الضيف ، قرى وقراء : أضافه ، والقرى - بكسر القاف - مقصوراً ما يصنع للضيف من مأكول أو مشروب ، ، والقراء - بالمد وفتح القاف - طعام تضيفه به . انظر : لسان العرب (مادة : قرى) : ١٥ / ١٧٩ ، عون المعبود : ١٠ / ١٥٤ .

(٦) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب المظالم ، باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه (٢٣٢٩) : ٢ / ٨٦٨ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب اللقطة ، باب الضيافة ونحوها (١٧٢٧) : ٣ / ١٣٥٣ .

ثانياً : ضيافة ابن السبيل :

قال ابن حزم (١) : " وكذلك حقّ ابن السبيل ضيافته " . اهـ (٢) .
وهذا يتمشى أيضاً مع القول القائل بأن ابن السبيل هو الضيف الذي يتزل بالمسلمين ، فله حقّ الضيافة في القرى والحضر (٣) ، فهو مسافرٌ مغتربٌ محتاجٌ وله حقّ على المسلمين ، هذا بالإضافة إلى ما للضيافة من أثرٍ عظيمٍ في التحابّ وتآلف القلوب .
ومن إكرام الضيف تلقيه بطلاقة الوجه وملاطفته بالكلام بغاية الرفق ، والترحيب به وإظهار السرور والبشر بقدومه ، ويقوم بنفسه في خدمته ، ويعجل قرأه ، فيقدم الموجود الميسر في الحال ثم يتبعه بغيره إن كان له جدة (٤) ، ولا يتكلف ما يضرُّ به ، ويحضّر الطعام إلى بين يدي الضيف ؛ بخلاف من يهين الطعام في موضع ثم يقيم ضيفه فيورده عليه (٥) .

(١) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، أبو محمد : عالم الأندلس في عصره ، وأحد أئمة الإسلام . مؤسس المذهب الظاهري كان خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه يقال لهم : " الحزمية " . ولد بقرطبة . انصرف إلى العلم والتأليف فكان فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة ، بعيداً عن المصانعة . وانتقد كثير من العلماء والفقهاء فتمالأوا على بغضه ، وأجمعوا على تزييله وحذروا سلاطينهم من قنته ، ونهوا عوامهم من الدنو منه ، فأقصته الملوك وطاردته ، فرحل إلى بادية بلبلة (من بلاد الأندلس) فتوفي فيها . روى عن ابنه المفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو ٤٠٠ مجلد ، تشتمل على قريب من ثمانين ورقة . وكان يقال : لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان . أشهر مصنفاته : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، المحلى ، وجمهرة الأنساب ، والناسخ والمنسوخ ، وحنة الورداع وفضائل الأندلس والإحكام لأصول الأحكام ، وطوق الحمامة وغير ذلك . ت سنة ٤٥٦ هـ . انظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٣٢٥ ، سير أعلام النبلاء : ١٨ / ١٨٤ ، البداية والنهاية : ١٢ / ٩١ ، نفع الطيب : ٢ / ٥٥٢ .

(٢) المحلى : ١٠ / ١٠٥ .

(٣) أجمع المسلمون على الضيافة وأنها من تأكيدات الاسلام . وقال الشافعي ومالك وأبو حنيفة والجمهور : وهي سنة ليست بواجبة . وقال الليث بن سعد وأحمد : هي واجبة . وتأول الجمهور أحاديث حقّ الضيف على الاستحباب ومكارم الأخلاق وتؤكد حقّ الضيف كحديث : " غسل الجمعة واجب على كل محتلم " . أي متأكد الاستحباب وتأولها الخطابي وغيره علي المضطر ، وأحاديث الضيافة مخصّصة بأحاديث حرمة الأموال إلا بطيب الأنفس . واختلف العلماء فيمن يخاطب بها : فذهب الشافعي إلى أن المخاطب بها أهل الحضر والبادية ، وقال الليث بن سعد وأحمد : هي واجبة يوماً وليلة على أهل البادية وأهل القرى دون أهل المدن . وقال مالك : ليس على أهل الحضر ضيافة . قال سحنون : إنما الضيافة على أهل القرى ، وأما الحضر فالفندق يتزل فيه المسافر . انظر : التمهيد لابن عبد البر : ٢١ / ٤٣ ، المجموع للنووي : ٩ / ٥٢ ، المغني : ٩ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٤) جدة : من : وجدّ يجدّ جدّة ؛ أي : استغنى غنى لا فقر بعده . انظر : النهاية ، باب الجيم مع الدال (مادة : وجد) : ٥ / ١٥٤ لسان العرب (مادة : وجد) : ٣ / ٤٤٦ .

(٥) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ١٣ / ٢١٢ ، ٢١٣ ، تفسير القرطبي : ٩ / ٦٤ ، زاد المهاجر إلى ربّه : ٦٧ ، ٦٨ ، عون المعبود : ١٤ / ٤٣ ، تحفة الأحوذى : ٧ / ١٧١ .

والضيافة من مكارم الأخلاق ، ومن آداب الإسلام ومن خلق النبيين والصالحين ، ومن كمال الإيمان ، فمن كان مؤمناً حقَّ الإيمان فإنه يكون كريماً سخياً مع ضيفه ، بل ويؤثره على نفسه وهذا مقام فضلٍ وبرٍّ وإحسان وليس بواجب ، وجائزة الضيف يوم وليلة . قال ﷺ : " ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته ^(١) . قال : وما جائزته يا رسول الله ؟ قال : يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه " ^(٢) .

قال العلماء : معناه الاهتمام به في اليوم والليلة ، وإتحافه بما يمكن من برٍّ وإطاف ، وفي اليوم الآخرين فيطعمه ما تيسر ولا يزيد على عادته ، وأمّا ما كان بعد الثلاثة فهو صدقة ومعروف ؛ إن شاء فعل وإن شاء ترك ^(٣) . قال ابن تيمية ^(٤) :

" ولا يحصل الامتثال إلا بالقيام بكفايته ، فلو أطعمه بعض كفايته وتركه جائعاً لم يكن له مكرماً لانتفاء جزء الإكرام ، وإذا انتفى جزءه انتفى كله " . اهـ ^(٥) . وقد استنكر رسول الله ﷺ على الأنصار تحصيل أموالهم ، أي : البساتين المليئة بالنخل وأنواع الثمار ؛ وذلك ليتسنى للمحتاجين من أبناء السبيل أن يأكلوا منها ، فدلهم ﷺ على

(١) جائزته : لا بد من تقدير مضاف ، أي زمان جائزته : أي برّه ، فهذه الرواية محمولة على اليوم الأول ، وفي رواية لأحمد ومسلم بلفظ : " الضيافة ثلاثة أيام ، وجائزته يوم وليلة " . وهذا يدل على المغايرة ، ويؤيده ما قاله العلماء من اتحاف الضيف في اليوم الأول ثم ما تيسر في اليومين الآخرين ، وما بعد الثلاثة فهو صدقة ، وقال الطيبي : أنها جملة مستأنفة بيان للجملة الأولى ، كأنه قيل : كيف يكرمه ؟ . قال : جائزته فهذه الرواية محمولة على اليوم الأخير ؛ أي : قدر ما يجوز به المسافر ما يكفيه يوم وليلة ، فينبغي أن يحمل على هذا عملاً بالروايتين . والضيافة يوم وليلة ، والجائزة : العطيّة والصلة والمنحة ؛ والمنحة إما تكون عن اختيار لا عن وجوب ، وابن حجر يرى أنه ليس المراد بالجائزة في الحديث العطيّة بالمعنى المصطلح ، وهي ما يعطاه الشاعر والوافد ، وإنما المراد بها في الحديث أنه يعطيه ما يغبنيه عن غيره . انظر : التمهيد لابن عبد البر : ٢١ / ٤٧ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ١٨ / ٢ ، فتح الباري : ١٠ / ٥٣٣ / ١١ ، ٣١٠ / ١١ ، تحفة الأحوذى : ٨٧ / ٦ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٥٦٢٧) : ٥ / ٢٢٤٠ وأخرج مسلم بمثله في كتاب اللقطة ، باب الضيافة ونحوها (٤٨) : ٣ / ١٣٥٢ . كلاهما عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه .

(٣) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ١٢ / ٣٠ ، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج : ٤ / ٣٣٣ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٥) فيض القدير : ٦ / ٢١٠ . نقلاً عن ابن تيمية ، ومجت عنه في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية فلم أقف عليه .

مكارم الأخلاق ، ووجههم إلى كيفية البرّ بابن السبيل ، وهذا ما تعودّه منهم في الجاهلية قبل أن يمنّ الله عليهم بالإسلام .

عن جابر بن عبد الله ^(١) قال : قال ﷺ : " يا معشر الأنصار " . قالوا : لبيك - أي رسول الله - ، فقال : " كنتم في الجاهلية إذ لا تعبدون الله تحملون الكّل ، وتفعلون في أموالكم المعروف ، وتفعلون إلى ابن السبيل ، حتى إذا منّ الله عليكم بالإسلام ، ومنّ عليكم بنبيّه إذا أنتم تحصنون أموالكم ، وفيما يأكل ابن آدم أجر ، وفيما يأكل السبع أو الطير أجر " . فرجع القوم فما منهم أحد إلاّ هدم من حديثه ثلاثين باباً ^(٢) .

وفي صفحات تاريخنا المشرق نرى اهتمام خليفة المسلمين بسد مثل هذه الحاجات ، فقد اتخذ عمر ^(٣) دار الدقيق ، فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه يعين به المنقطع به والضيف ، ووضع عمر في طريق السبل ما بين مكة والمدينة ما يصلح من ينقطع به ، ويحمل من ماء إلى ماء ^(٤) .

وعندما فتح عمر الفتوحات كتب كتباً إلى البلدان يأمرهم فيها بضيافة ابن السبيل من ضمن ما يأمرهم به ، ولما قدم مكة للعمرة سنة سبع عشرة كلمه أهل المياه ببناء بناء ، فأذن لهم وشرط عليهم أن ابن السبيل أحقّ بالظلّ ظاهراً ^(٥) .

وأمر الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ^(٦) أن يكتب له السنّة في مواضع الصدقة ، فكتب له كتاباً مطولاً ، قُسمت فيه الصدقة سهماً سهماً ، ومما جاء في الكتاب عن ابن السبيل : " وسهم ابن السبيل يقسم لكلّ طريقٍ على قدر من يسلكها ويمرّ بها من الناس ، لكلّ رجلٍ راحلٍ من ابن السبيل ، ليس له مأوى ولا أهل يأوي إليهم ، فيطعم حتى يجد منزلاً أو يقضي

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ١٧١ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الأطعمة (٧١٨٣) : ٤ / ١٤٨ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وفيه النهي الراضح عن تحصين الحيطان والنخيل وغيرها من أنواع الثمار عن المحتاجين والجامعين أن يأكلوا منها . قال الذهبي : عاصم إمام مسجد قباء خرج له النسائي ولكن من شيخه .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ٥٩ .

(٤) طبقات ابن سعد : ٣ / ٢٨٣ . بتصرف يسير .

(٥) تاريخ الطبري : ١ / ١٧٥ ، ٢ / ٤٧٢ ، ٤٩٢ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٩١ .

حاجته ، ويجعل في منازل معلومة على أيدي أمناء ، لا يمر بهم ابن سبيل له حاجة إلا آووه وأطعموه ، وعلفوا دابته ، حتى ينفد ما بأيديهم إن شاء الله " (١) .

ثالثاً : إرشاد ابن السبيل الطريق :

إن ابن السبيل مغترب عن بلده ، لا يعرف طريقاً ولا درباً ، لذا رغب رسول الله ﷺ في إرشاد ابن السبيل وهدايته الطريق ، فقال ﷺ : " مَنْ مَنَحَ مَنِيحَةَ (٢) لِبْنٍ أَوْ وَرَقٍ (٣) ، أَوْ هَدَى زُقَاقًا (٤) كَانَ لَهُ مِثْلُ عَتَقِ رَقَبَةٍ " (٥) .

فمن أرشد ابن السبيل كان له مثل عتق الرقبة ؛ والتي هي سببٌ من أسباب النجاة والخير (٦) . قال تعالى : ﴿ فَلَا أَقْتَحِمَ الْعَقَبَةَ ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴾ ﴿ . [سورة البلد : ١١ - ١٣] .

قال المناوي (٧) : " وجعله كعتق رقبة لأنه خلّصه من أسر الحاجة والضلال ، كما خلّص الرقبة من أصل الرق ، وللباري أن يجعل القليل من العمل كالكثير ؛ لأن الحكم له وهو العليُّ الكبير " . اهـ (٨) .

كما أن إرشاد السبيل نوعٌ من أنواع الصدقات التي يتنفل بها المسلم بيتغي بذلك وجه الله .

(١) الأموال للقاسم بن سلام (أبو عبيد) : ٥٨٠ .

(٢) المنيحة - بالنون والمهمله - وزن " عظيمة " هي في الأصل العطيّة ، ومنحة الورق القرض ، ومنحة اللبن أن يعطيه ناقة أو شاة ينتفع بلبنها ويعيدها ، وكذلك إذا أعطاه لينتفع بوبرها وصفوها زماناً ثم يردّها . انظر : النهاية ، باب الميم مع النون ، (مادة : منح) : ٤ / ٣٦٤ ، فتح الباري : ٥ / ٢٤٣ ، تحفة الأحوذى : ٦ / ٧٧ .

(٣) ورق - بكسر الراء وسكوها - أي فضة ، وإنما عني به قرض الدراهم . انظر : تحفة الأحوذى : ٦ / ٧٧ .

(٤) هدى زُقَاقًا : الزُقَاق - بالضم - الطريق ، يريد من دل الضّال أو الأعمى على طريقه . انظر : النهاية ، باب الزاي مع القاف (مادة : زقق) : ٢ / ٣٠٦ ، لسان العرب (مادة : زقق) : ١٠ / ١٤٤ .

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب البرّ والصلة ، باب ما جاء في المنحة (١٩٥٧) : ٤ / ٣٤٠ ، عن البراء بن عازب ؓ ، وأخرجه أحمد (جزء من حديث) في مسند البراء بن عازب ؓ : ٤ / ٢٨٥ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي إسحاق عن طلحة بن مصرف لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٦) قال ابن زيد : ﴿ فَلَا أَقْتَحِمَ الْعَقَبَةَ ﴾ أي : أفلا أسلك الطريق التي فيها النجاة والخير . انظر : تفسير ابن كثير : ٤ / ٥١٤ .

(٧) سبق ترجمته في ص ٤٨ .

(٨) فيض القدير : ٦ / ٢٣٠ .

قال ﷺ: " تبسّمك في وجه أخيك لك صدقة ، وأمرّك بالمعروفِ ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة " (١) .

وابعاً : محمّد منع ابن السبيل فضل الماء :

والمراد بالفضل : ما زاد على الحاجة ، فيجب عليه بذل ما يفضل عن حاجته ، والمراد حاجة نفسه وعياله وزرعه وماشيته (٢) ، وقد توعدّ رسول الله ﷺ مانع ابن السبيل فضل مائه بالعذاب الأليم ، وعُدّ منع ابن السبيل فضل الماء من الكبائر ؛ لورودها في الحديث (٣) .

قال ﷺ: " ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم " . منهم : " رجلٌ كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل " (٤) . وزاد في رواية : " ورجلٌ منع فضل ماء ، فيقول الله له : اليوم أمنعك فضلي ، كما منعت فضل ما لم تعمل يدك " (٥) .

والبرُّ بابن السبيل ونجدته في حالة العسرة ، بمساعدته بالمال والمركب وضيافته وإكرامه وعدم منعه فضل الماء ، وذلك عند انقطاع الطريق دون الأهل والمال والديار ؛ إشعاراً له بأنّ الإنسانية كلّها أهل ، وبأنّ الأرض كلّها وطن ، فالمرءُ به من غير بنيه بحاجة شديدة إلى الإيواء ليلاً ، وإلى الطعام والدفع والظلّ ، ومن ثمّ كان البرُّ والإحسان بابن السبيل معلماً حضارياً يكمل نظام المجتمع المسلم ، فيصبح أسرةً واحدة ، يرحم غنيهم محتاجهم ويشعر بمأساته ويتعاطف معه ، فيا له من دينٍ عظيم ! ..



(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي في كتاب البرّ والصلة ، باب ما جاء في صنائع المعروف (١٩٥٦) : ٤ / ٣٣٩ ، عن أبي ذر رضى الله عنه . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

(٢) انظر : التمهيد لابن عبد البرّ : ١٣ / ١٢٨ ، ١٢٩ ، فتح الباري : ٥ / ٣٢ .

(٣) قال العلائي : مدار هذه القاعدة على القاعدة المشهورة في أصول الفقه ؛ إن المصالح المعتبرة إمّا في محل الضرورات ، أو في محل الحاجات ، أو في محل التمامات ، وإمّا مستغنى عنها . انظر : التمهيد لابن عبد البرّ : ٥ / ٧٥ ، الكبائر : ١٢٦ ، الأشباه والنظائر لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : ١ / ٣٨٦ ، سبل السّلام : ٤ / ١٠٧ .

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب المساقاة والشرب ، باب إمّ من منع ابن السبيل من الماء (٢٢٣٠) :

٢ / ٨٣١ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الإيمان ، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم (١٠٨) : ١ / ١٠٣ . كلاهما عن أبي هريرة رضى الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة والشرب ، باب إمّ من منع ابن السبيل من الماء (٢٢٤٤) : ٢ / ٨٣٤ . عن أبي هريرة رضى الله عنه .

المبحث الخامس : البرُّ بالأرقاء والمكاتبين

إنَّ الإسلام هو دين الحرِّية والمساواة ، وقد أباح نظام الرِّق لفترة من الزمان في بداية ظهوره لظروف اجتماعية واقتصادية كانت تحيط بالعالم ؛ والتي جعلت أيَّ حلٍّ سريعٍ سيفشل لا محالة ، فلم يقرَّ الإسلام نظام الرقيق إلاَّ في صورة تؤدي بالتدرج إلى القضاء عليه من غير حدوث أثرٍ سيءٍ في نظام المجتمع ، فضيَّق الرِّوafd ، ووسَّع المنافذ ، حتى قضى عليه في صورة سلمية هادئة ، وتخلَّص العالم من هذا النظام ، فلا إماء ولا رقيق في ديانا الآن والفضل راجع إلى الإسلام الذي رضيهِ الله ﷻ للبشرية دينا .

ولقد أوصى القرآن الكريم بالأرقاء ؛ لأنَّ الرقيق ضعيف الحيلة أسيرٌ في أيدي الناس ، والعبد كالمفقود لعدم استقلاله ، وكالآلة المصرفة بالقهر وكالبهيمة المسخرة بالجبر ، ولذلك سلب مناصب الشهادات ومعظم الولايات ، ونقصت حدوده عن حدود الأحرار ؛ إشعاراً بخسَّة المقدار ، لكن الإسلام لم يسلب الأرقاء والمكاتبين حقوق الإنسانية سلباً كلياً ؛ بل وصَّى بهم ، وأعظم أجر المصلحين منهم . قال ﷻ : " للعبد المملوك المصلح أجران " (١) .

وفى القرآن المكي :

حَبَّبَ ﷻ إلى الناس عتق العبد فقال تعالى : ﴿ فَلَا أَقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۗ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۗ فَكُ رَقَبَةً ۗ ﴾ . [سورة البلد : ١١ - ١٣] .

وفى القرآن المدني :

﴿ جعل ﷻ من أركان البرِّ إيتاء المال على حبه في عتق الرقاب . قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ۗ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .

(١) سبق تخريجه في ص ٤١٨ ، أخرجه البخاري ومسلم .

﴿ كما جعلهم مصرفاً من مصارف الزكاة الثمانية ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ . [سورة التوبة : ٦٠] .

﴿ وأوجب ﷺ الرفق والإحسان بالأرقاء والمكاتبين ، قال تعالى : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ . [سورة النساء : ٣٦] . فالإحسان إلى ملك اليمين مقرون بالإحسان إلى الأقارب مع عبادة الله وعدم الشرك به .

﴿ وتشوِّف الشارع تشوفاً شديداً للحرية والإخراج من الرق فأكثر أسباب ذلك ، فعمد إلى طائفة كبيرة من الجرائم والأخطاء فجعل من كفارتها تحرير الأرقاء من قتل خطأ وظهار ويمين وغير ذلك (١) .

﴿ وأمر بالكتابة في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ . [سورة النور : ٣٣] .

ورغب رسول الله ﷺ في الإعتاق ترغيباً شديداً (٢) ، ومن ذلك :

■ قوله ﷺ : " أيما رجل أعتق امرأ مسلماً استنقذ الله بكلِّ عضوٍ منه عضواً منه من النار " (٣) .

■ قوله ﷺ : " من أعان مجاهداً في سبيل الله ، أو غارماً في عسرتة ، أو مكاتباً في رقبته

(١) وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَبِئْسَ مَسْلَمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانُوا مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ لَا مُمْسِكِينَ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ ﴾ . [سورة النساء : ٩٢] . وقوله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطَعُمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ . [سورة المائدة : ٨٩] . وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ﴾ . [سورة المائدة : ٣] . انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (كلمة : رقة) : ٣٢٣ .

(٢) انظر : أضواء البيان : ٣ / ٣٠ .

(٣) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب العتق ، باب ما جاء في العتق وفضله (٢٣٨١) : ٢ / ٨٩١ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب العتق ، باب فضل العتق (١٥٠٩) : ٢ / ١١٤٨ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

أَظْلَهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ " (١) .

الرقاب والمكاتبين لغة :

الرقاب لغة :

جمع رقبة ، وهي مأخوذة من (رقب) : الرء والقاف والباء أصل واحد مطرد يدلُّ على انتصاب لمراعاة شيء . ومن ذلك اشتقاق الرقبة لأنها منتصبة . والرقبة : العنق ، وقيل : أعلاها . وقيل : مؤخر أصل العنق ، والجمع رقب ورقبات ورقاب ، ويقال : أعتق الله رقبته ، ولا يقال : أعتق الله عنقه (٢) .

قال ابن الأثير (٣) : " وقد تكررت الأحاديث في ذكر الرقبة وعتقها وتحريرها وفكها ، وهي في الأصل العنق ، فجعلت كناية عن جميع ذات الإنسان وتسمية للشيء ببعضه ، فإذا قال : أعتق رقبة ؛ فكأنه قال : أعتق عبداً أو أمة " . اهـ (٤) .

الأرقاء لغة :

الأرقاء جمع رقيق ، وهو مأخوذ من (رَقَّ ، رقق) ، الرء والقاف أصلان : أحدهما صفة تكون مخالفة للجفاء ، والثاني : اضطراب شيء مائع .

فمن الأوَّل الرِّقَّة ، يقال : رَقَّ يَرِقُّ رِقَّةً فهو رَقِيقٌ ، والرَّقِيقُ : نقيض الغَلِيظِ والشَّخِيحِ . والرِّقَّةُ : ضدُّ الغَلِظِ ؛ والرَّقِيقُ : الضَّعْفُ . ورجل فيه رَقَقٌ ؛ أي : ضَعْفٌ ؛ والرِّقَّةُ : مصدر الرَّقِيقِ عامٌّ في كل شيء ؛ حتى يقال : فلان رَقِيقٌ الدِّينِ .

وقيل : الرَّقِيقُ اسم للجمع . واسترقَّ المملوكُ فَرَقَّ : أدخله في الرِّقِّ . واسترقَّ مملوكه وأرقه وهو نقيض أعتقه . والرَّقِيقُ المملوك ، واحد وجمع ، " فَعِيلٌ " بمعنى " مفعول " وقد يُطلق على الجماعة كالرَّقِيقِ ، ومنه رَقَّ العبد وأرقه واسترقه . والرَّقُّ العبودة ، والرَّقِيقُ العبد ، ولا

(١) أخرجه أحمد في مسند سهل بن حنيف رضي الله عنه : ٣ / ٤٨٧ . وأخرج الحاكم بمثله في المستدرک على الصحيحين في كتاب المكاتب (٢٨٦٠) : ٢ / ٢٣٦ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : بل عمرو رافضي متروك . وقال المناوي : " أخرجه الحاكم من حديث عمرو بن ثابت عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن عبد الله عن سهل بن حنيف ، وحديثه حسن " . اهـ . انظر : فيض القدير : ٦ / ٧٢ . وأخرجه الحاكم من طريق آخر وسكت عنه الذهبي .

(٢) انظر : المقاييس ، كتاب الرء ، باب الرء والقاف وما يثلثهما (مادة : رقب) : ٤١٧ ، لسان العرب (مادة : رقب) : ٤٢٧ ، ٤٢٨ / ١ .

(٣) سبق ترجمته في ص ١٣ .

(٤) النهاية ، كتاب الرء مع القاف (مادة : رقب) : ٢ / ٢٤٩ .

يؤخذ منه على بناء الاسم ، وقد رَقَّ فلان ؛ أي : صار عبداً . وسمي العبيد رَقِيْقاً ؛ لأنهم يَرِقُونَ لمالكهم وَيَذِلُّون وَيَخْضَعُونَ (١) .

المكاتبون لغة :

المكاتبون جمع مكاتب ، وهو مأخوذ من (كتب) (٢) ، وكاتبه مُكَاتِبَةٌ ، وإنما خُصَّ العبدُ بالمفعول ، لأنَّ أصلَ المُكَاتِبَةِ من المولى ، وهو الذي يُكَاتِبُ عبده . فالسيد مُكَاتِبٌ ، والعبدُ مُكَاتِبٌ (٣) .

المراد بقوله تعالى : ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ (٤) :

﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ (٥) أي : في تحرير الرقاب وعتقها ، وهو يشمل شراء الأرقاء وعتقهم وإعانة المكاتبين على أداء نجومهم ، ومساعدة الأسرى على الافتداء . جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، علمني عملاً يدخلني الجنة . فقال : " لكن كنت أقصر الخطبة لقد

(١) انظر : المقاييس ، كتاب الرءاء ، باب الرءاء وما معها في الثنائي والمطابق (مادة : رق) : ٣٩٦ ، لسان العرب (مادة : رقق) : ١٠ / ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ .

(٢) سبق وبيئت المعنى اللغوي لـ (كتب) ، انظر : ص ٩٦ .

(٣) انظر : المقاييس ، كتاب الكاف ، باب الكاف والفاء وما يتلثهما (مادة : كتب) : ٩١٧ ، ٩١٨ ، لسان العرب (مادة : كتب) : ١ / ٧٠٠ .

(٤) سورة البقرة : ١٧٧ . (جزء من الآية) .

(٥) اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ على ثلاثة أقوال :

■ القول الأول : أنهم المكاتبون يعانون في كتابتهم بما يعتقدون به ، ولا يجوز صرف الزكاة إلا في إعانة المكاتبين ؛ ولا يبدأ منها عتق عبد وهو قول الحنفية والشافعية وأكثر العلماء والمفسرين .

■ القول الثاني : أنهم عبيدٌ يشترون بهذا السهم ويعتقون ، وهو قول المالكية والحنابلة . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا بأس أن يعتق من زكاة ماله .

■ القول الثالث : جمع بين الأمرين ، فيدخل في المراد بالرقاب الأرقاء والمكاتبون ، وهو قول الزهري وهو المختار ؛ لأن الآية تحتل الأمرين لصديق الرقاب على شراء العبد وإعتاقه ، وعلى إعانة المكاتب على مال الكتابة .

انظر : الكافي لابن عبد البر : ١ / ١١٤ ، المغني : ٦ / ٣٢٩ ، المجموع : ٦ / ١٨٨ ، حاشية ابن عابدين : ٢ / ٣٤١ . وانظر :

الناسخ والمنسوخ للنحاس : ١ / ٥١٧ ، أحكام القرآن للحصاص : ٤ / ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، تفسير البغوي : ٢ / ٣٠٤ ، الكشاف :

١ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، أحكام القرآن لابن العربي : ١ / ٨٨ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٥٠ ، زاد المسير : ١ / ١٧٩ ، تذكرة الأريب في

تفسير الغريب : ٦٧ ، التفسير الكبير : ٥ / ٣٧ ، ٣٨ ، ١٦ / ٨٩ ، تفسير البيضاوي : ١ / ٤٥٤ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٣٦٦

تفسير الثعالبي : ١ / ١٣٣ ، الدر المنثور : ٤ / ٢٢٤ ، تفسير أبي السعود : ١ / ١٩٤ ، فتح القدير : ٢ / ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، تفسير المنار :

١٠ / ٤٩٨ ، تفسير السعدي : ٣٤١ .

أعرضت المسألة ، أعتق النسمة وفك الرقبة " . فقال : يا رسول الله ، أو ليستا بواحدة ؟ قال : لا ، إن عتق النسمة أن تفرد بعقتها ، وفك الرقبة أن تعين في عقتها " (١) .

و (في) متعلقة بآتي في قوله تعالى : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ (٢) .

ونكتة إيراد ﴿ في ﴾ ولم تذكر فيما قبلها في آية البرّ هو أن ما يعطى لهم مصروف في تخليص رقابهم ، فلا يملكونه كالمصارف الأخر ، أو للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب وإمّا للإشعار برسوخهم في الاستحقاق والحاجة ؛ لأن ﴿ في ﴾ للوعاء ، فنبه باستعمالها على أنهم أحقّاء بأن يجعلوا مظنة لوضع الصدقات فيهم ، كما يوضع الشيء في وعائه مستقراً فيه (٣) .

البرّ بالأرقاء والمكاتبين :

لقد أوصى النبي ﷺ بالعبيد والإماء ، وكان عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت : " الصلّاة وما ملكت أيمانكم " (٤) .

ومراد رسول الله ﷺ الإحسان إلى الرقيق والتخفيف عنهم ، وإنما قرنه بالصلّاة ليُعلم أن القيام بمقدار حاجتهم من الكسوة والطعام واجبٌ على من ملكهم وجوب الصلّاة التي لا سعة في تركها ، وقد ضمّ بعض العلماء البهائم المستملكة في هذا الحكم إلى الممالك فملك اليمين هو كل ما يتصرّف فيه ملكاً وقهراً ، ولذلك خصّ باليمين ، ونُسب الملك إلى اليمين إذ هي في المعتاد جارحة البطش والتغلب والتملك ، فأضيفت هذه المعاني وإن لم تكن بها إليها تجوّزاً (٥) .

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد في مسند البراء بن عازب ؓ : ٤ / ٢٩٩ . قال ابن حجر : أخرجه أحمد وابن مردويه من طريق عبد الرحمن بن عوسجة عنه وصحّحه ابن حبان . انظر : فتح الباري : ٨ / ٧٠٤ .

(٢) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات : ١ / ٧٨ .

(٣) انظر : التفسير الكبير : ١٦ / ٩٠ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ١٥٣ ، الرهان : ٤ / ١٧٥ ، ١٧٦ ، تفسير أبي السعود : ١ / ١٩٤ تفسير القاسمي : ٣ / ٥١ .

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى - واللفظ له - في كتاب الوفاة ، ذكر ما كان يقوله النبي ﷺ في مرضه (٧٠٩٥) : ٤ / ٢٥٨ وأخرج أحمد بنحوه في مسند أنس ؓ (١٢١٩٠) : ٣ / ١١٧ . الحديث أخرجه النسائي وأحمد وابن سعد عن أنس ؓ ، وله شاهد من حديث علي ؓ عند أبي داود وابن ماجه ، ومن حديث أم سلمة عند النسائي بسند جيد ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة أورد منها صاحب الفتح في كتاب الوصايا شرطاً صالحاً . انظر : فتح الباري : ٥ / ٣٦٢ ، نيل الأوطار : ٦ / ١٤٥ .

(٥) انظر : المحرر الوجيز : ٢ / ٥١ ، عون المعبود : ١٤ / ٤٤ ، فيض القدير : ١ / ١٢٨ .

والإحسان إلى الممالك طاعةً عظيمةً ، ومن ذلك :

أولاً : إيمانته على الحرية :

فمن البرِّ معونة المكاتبين منهم على سداد نجومهم ، وعتق العبيد والإماء ليمتعتوا بالحرية والكرامة ، فلا قيود تعيقهم عن عبادة ربهم ، وفي ذلك من رفع الذلِّ والاستعباد عنهم .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ . [سورة النور : ٣٣] .

والمكاتب في الشرع : أن يكتب الرجل عبده أو أمته على مال منجِّم^(١) ، ويكتب العبد عليه أنه يعتق إذا أدى التُّجوم^(٢) .

هل الأمر بالكتابة على الوجوب أو على الندب والاستحباب ؟

اختلف أهل العلم في ذلك على قولين :

■ **القول الأول :** الأمر على الوجوب ؛ فيجب على المولى أن يكتب عبده الذي علم فيه خيراً إذا سأل العبد ذلك على قيمته أو أكثر ، وإن سأل على أقل من قيمته فلا يجب ، وهو قول غير واحد من السلف .

■ **القول الثاني :** الأمر على الندب والاستحباب ، وإلى هذا ذهب الجمهور .
والحقُّ ما قاله الأوَّلون ، فيجب على المولى أن يكتب عبده إذا علم فيه خيراً ، وبه قال عمر ابن الخطاب وابن عباس^(٣) - رضي الله عنهما - ، واختاره ابن جرير الطبري^(٤) .

(١) منجِّم : مأخوذ من نجم : النون والجيم والميم أصل صحيح يدل على طلوع وظهور ، ومنه تنجيم المكاتب ونجوم الكتابة ، وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول ديونها وغيرها ، فتقول : إذا طلع النجم حلّ عليك مالي ، أي : الثرياً وكذلك باقي المنازل ، فلما جاء الإسلام جعل الله تعالى الأهلة مواقيت لما يحتاجون إليه من معرفة أوقات الحج والصوم ومحل السديون وسموها نجوماً اعتباراً بالرسم القديم الذي عرفوه ، ويقال : جعلت مالي على فلان نجوماً منجِّمةً ، يؤدي كل نجم في شهر كذا ، وقد جعل فلان ماله على فلان نجوماً معدودة يؤدي عند انقضاء كل شهر منها نجماً ، وقد نجمها عليه تنجيماً . انظر : المقاييس ، كتاب السنون باب النون والجيم وما يثلثهما (مادة : نجم) : ١٠١٤ ، لسان العرب (مادة : نجم) : ١٢ / ٥٧٠ .

(٢) المصباح المنير : ٢ / ٥٢٥ . وانظر : المطلع على أبواب المنع : ٣١٦ ، أنيس الفقهاء : ١٧٠ .

(٣) صحبايان جليلان ، انظر : ص ٥٩ ، ٢٧ .

(٤) انظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٢٧ ، أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ١٨٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، الكشّاف :

٣ / ٢٤٣ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٢ ، فتح القدير : ٤ / ٢٩ .

قال الطَّبْرِي (١) : " لأن ظاهر قوله : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ ظاهر أمر ، وأمر الله فرض الانتهاء إليه ما لم يكن دليل من كتاب أو سُنَّة على أنه ندب " . اهـ (٢) .

واختلفوا في معنى الخير في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ والأظهر أنه أراد القوَّة على الاكتساب ، والوفاء والصدق وأداء الأمانة ، وليس امتلاك المال .

الخطاب في الآية :

واختلف لمن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَعَاوَتْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ . [سورة النور : ٣٣] . على أقوال :

القول الأول : الخطاب للناس أجمعين في أن يتصدقوا على المكاتبين ، وأن يعينوهم في فكك رقابهم .

القول الثاني : إنما الخطاب لولاة الأمور بأن يعطوا المكاتبين من مال الصدقة حظهم وهو الذي تضمَّنه قوله تعالى : ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ .

القول الثالث : هو خطاب للموالي ، يجب على المولى أن يحطَّ (٣) عن مكاتبه من مال كتابته شيئاً ، وبه قال الشافعي (٤) .

ثانياً : مشاركتهم في النعمة التي أنعم الله بها علينا في المطعم والمشرب ، وعدم تكليفهم عملاً إلا في حدود طاقتهم :

إنَّ مشاركتهم لنا في الطعام والشراب تسعدهم وتجعلهم راضين آمنين . قال ﷺ : " إخوانكم خولكم (٥) جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان يتحقق تحت يده فليطعمه ممَّا

(١) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٢) تفسير الطبري : ١٨ / ١٢٧ .

(٣) الحَطِيطَةُ : فعيلة بمعنى مفعولة ، واستحطَّه من الثمن كذا فحطَّه له ، و انحط السعر نقص . انظر : المصباح المنير : ١ / ١٤١ . وقد اختلف الفقهاء في الحطيطه وفي قدرها .

(٤) انظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٢٩ ، أحكام القرآن للجصاص : ٥ / ١٨٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، الكشاف :

٣ / ٢٤٣ ، المحرر الوجيز : ٤ / ١٨٢ ، فتح القدير : ٤ / ٢٩ . والشافعي إمام المذهب الشافعي ، انظر : ص ١٣٢ .

(٥) والخَوْلُ - بفتح المعجمة والواو - : حَسَمُ الرَّجُلِ وأتباعه واحدهم خاتِلٌ ، وقد يكون واحداً ويقعُ على العبدِ والأمة ، وهو مأخوذ من التَّخْوِيلِ - التَّمْلِيكِ ، وقيل : من الرِّعَايَةِ . انظر : النهاية (مادة : حول) : ٢ / ٨٨ .

يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ؛ فإن كلفتموهم فأعينوهم " (١) .
 وفي تقديم لفظ : " إخوانكم " على " حولكم " إشارة إلى الاهتمام بالأخوة ، وأطلق الأخ
 على الرقيق ، فإن أريد القرابة فهو على سبيل المجاز لنسبة الكلِّ إلى آدم ، أو المراد أخوة
 الإسلام ، ويكون العبد الكافر بطريق التبعية أو يختص الحكم بالمؤمن . وفي هذا الحديث يأمر
 ﷺ صحابته بإطعام ممالئهم من جنس ما يأكلون ، فـ " من " للتبعيض ، ويؤيد ذلك قوله
 ﷺ : " إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين ، أو أكلة
 أو أكلتين ؛ فإنه وليّ علاجه " (٢) .

فالمراد المواساة لا المساواة من كلِّ جهة ، وللسيد أن يستأثر بالتفيس من ذلك وإن كان
 الأفضل المشاركة ، كأبي ذر (٣) ﷺ فعل المساواة وهو الأفضل ، فقد جعل كسوة غلامه
 مثل كسوته . وقد قال ﷺ : " للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ، ولا يكلف من العمل
 ما لا يطيق " (٤) . فالمعروف أن العبد لا يساوي سيده في مطعم ولا ملبس ، وحسبه أن
 يكسوه ويطعمه ما يعرف لثله من المطعم والملبس ، فمرّد في ذلك إلى العرف ، فمن زاد
 عليه كان متطوعاً ، والأمر بإطعامهم من طعامه وإلباسهم من لباسه محمولٌ على الاستحباب
 وليس ذلك عليهم بواجب ، وعلى هذا مذهب العلماء قديماً وحديثاً وليس بينهم فيه اختلافاً
 ولا يكلفه من العمل ما يعجز عنه لصعوبته ، فإن كلفه ما يغلبه فليُعنه ، ويلحق بالرقيق من
 في معانهم من أجيرٍ وخادمٍ وغيره .

(١) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الإيمان ، باب المعاصي من أمر الجاهلية (٣٠) : ١ / ٢٠ ، وأخرج مسلم بنحوه في
 كتاب الأيمان ، باب سنان المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه (١٦٦١) : ٣ / ١٢٨٣ . كلاهما عن أبي ذر ﷺ .
 (٢) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب العتق ، باب إذا أتاه خادمه بطعامه (٢٤١٨) : ٢ / ٩٠٢ ، وأخرج مسلم بنحوه في
 كتاب الأيمان ، باب سنان المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه (١٦٦٣) : ٣ / ١٢٨٤ . كلاهما عن أبي
 هريرة ﷺ .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٢ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الأيمان ، باب سنان المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه (١٦٦٢) : ٣ / ١٢٨٤ . عن
 أبي هريرة ﷺ .

وأجمع العلماء على أن نفقة المالك واجبة على ساداتهم بالمعروف بحسب البلدان والأشخاص ، صغاراً كانوا أو كباراً ، زمني كانوا أو أقياء ، يلزم السيّد النفقة على مملوكه ويجبر على ذلك لأنه له من الإنفاق أو البيع أو العتق (١) .

ثالثاً : أن لا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة حسنة :

على السيّد الرفق بالممالك وحسن صحبتهم وكفّ الأذى عنهم ، ولا يتجاوز الحدّ في عقوبتهم ، ويؤدّبهم بالآداب الشرعيّة من تعليم فرائض الله وغيرها . قال مجاهد (٢) في قوله : ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ مما حوّلك الله فأحسن صحبتته (٣) .

وقال ﷺ : " من لاءمكم من مملوكيكم فأطعموه مما تأكلون ، واكسوه مما تلبسون ومن لم يلائمكم منهم فيبعوه ، ولا تعذبوا خلق الله " (٤) . والملاءمة الموافقة .

فيعامل المملوك معاملةً حسنةً ترضي الله ورسوله ، وتضمن لنا منهم الإخلاص والوفاء والحرص والحبّ ، لأنّ النفوس قد جبلت على حبّ من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها ومن دعت قدرته على ظلم المملوكين والخادمين فليذكّر أنّ الله أقدر منه ؛ وعينه سبحانه لا تنام ولا تغفل عن المخلوقين .

عن أبي مسعود الأنصاري (٥) ﷺ قال : كنت أضرب غلاماً لي فسمعت من خلفي صوتاً : " اعلم أبا مسعود ، الله أقدر عليك منك عليه " . فالتفت ، فإذا هو رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، هو حرٌّ لوجه الله . فقال : أما لو لم تفعل للفتحك النار ، أو لمستك النار " (٦) .

(١) انظر : التمهيد لابن عبد البرّ : ٢٤ / ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ١١ / ١٣٣ ، تفسير القرطبي : ٥ / ١٩٠ فتح الباري : ٥ / ١٧٤ ، ١٧٥ ، عون المعبود : ١٤ / ٤٦ ، نيل الأوطار : ٧ / ١٤٣ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٣) الدر المنثور : ٢ / ٥٣٢ .

(٤) أخرجه أبو داود - واللفظ له - في كتاب الأدب ، باب في حق المملوك (٥١٦١) : ٤ / ٣٤١ ، وأخرج أحمد بنحوه في مسند أبي ذر ﷺ (٢١٥٢١) : ٥ / ١٦٨ . قال العجّلوني : وروى أحمد وأبو داود بإسناد صحيح عن أبي ذر . انظر : كشف الخفاء : ٧١ / ١ .

(٥) أبو مسعود الأنصاري البديري ، واسمه عقبة ابن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة : صحابي جليل ، مشهور بكنيته ، اتفقوا على أنه شهد العقبة واختلفوا في شهوده بدرّاً ، فقال الأكثر : نزلها فنسب إليها ، وحرم البخاري بأنه شهدها ، وقيل : لم يشهد بدرّاً على الصحيح وإنما نزل ماء بيدر فشهر بذلك . واختلف في سنة وفاته ، فقيل : سنة ٣٩ هـ ، وقيل : قبل الأربعين . وقيل سنة ٤٠ هـ ، وقيل غير ذلك . انظر : تاريخ بغداد : ١ / ١٥٩ ، البداية والنهاية : ٧ / ٣٢٢ ، سير أعلام النبلاء : ٢ / ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، الإصابة : ٤ / ٥٢٤ .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الأيمان ، باب صحبة الممالك (١٦٥٩) : ٣ / ١٢٨١ .

كما ندب ﷺ السَّادة إلى مكارم الأخلاق وحضَّهم عليها ، وأرشدهم إلى الإحسان وإلى سلوك طريق التواضع حتى لا يروا لأنفسهم مزية على عبيدهم ؛ إذ الكلُّ عبيد الله والمال مال الله ، لكن سخَّر بعضهم لبعض وملَّك بعضهم بعضاً إتماماً للنعمة وتنفيذاً للحكمة .
قال ﷺ : " لا يقل أحدكم : أطعم ربَّك ، وضئ ربَّك ، اسق ربك ، وليقل : سيدي مولاي ، ولا يقل أحدكم : عبيد أمي ، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي " (١) .

رابعاً : العفو عن المملوك :

إنَّ المعاملة الحسنة من شيم الكرام ، وإنَّ كظم الغيظ وأنت قادر عليه لمن تقوى الله .
جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، كم أعفُو عن الخَادِمِ ؟ فصمَّت عنه رسول الله ﷺ ، ثم قال : يا رسول الله ، كم أعفُو عن الخَادِمِ ؟ فقال : " كلُّ يومٍ سَبْعِينَ مرَّةً " (٢) .
ولعل سكوت رسول الله ﷺ لا ينتظر الوحي ، وقيل : لكرهه السؤال فإنَّ العفو مندوب إليه مطلقاً دائماً لا حاجة فيه إلى تعيين عدد مخصوص . فيعفى عن الخادم كلَّ يومٍ سبعين عفوة وقيل : العدد ليس مراد ؛ والمراد به الكثرة دون التَّحديد (٣) .
وبهذا التَّعامل الراقي نضمن استمرار من يخدمنا في أداء عمله بأمانة وأمان ، لأنَّ القسوة والاعتداء يولِّد الضغينة والحقد والبغضاء ؛ خاصَّة لو كان أكبر من الجرم ، فيجعلهم يلجؤون إلى الانتقام وردِّ العدوان !! .

خامساً : الراحة للمملوك ووقت الفراغ :

ربَّ العزة جَلَّالاً افترض علينا ما نستطيع القيام به من عبادات ، ونهانا عن التشدُّد الذي يؤدي إلى الإرهاق ، ولهذا فإنَّ الرَّاحة من حقِّ النفس والبدن والأهل والولد . ومن " لا راحة له لا عمل له " . وجاء في الأثر : " روِّحوا القلوب ساعة وساعة " (٤) .

(١) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب العتق ، باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله : عبيد أو أمي (٢٤١٤) : ٢ / ٩٠١ وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الألقاظ من الأدب وغيرها ، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد (٢٢٤٩) :

٤ / ١٧٦٤ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

(٢) أخرج أبو داود بنحوه في كتاب الأدب ، باب في حق المملوك (٥١٦٤) : ٤ / ٣٤١ ، وأخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب البرِّ والصلة ، باب ما جاء في العفو عن الخادم (١٩٤٩) : ٤ / ٣٣٦ . عن ابن عمر ؓ ، وأخرج أحمد بنحوه في مسند ابن عمر ؓ (٥٦٣٥) : ٢ / ٩٠ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

(٣) انظر : تحفة الأحوذى : ٦ / ٦٩ .

(٤) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب عن أنس بن مالك ؓ (٣١٨١) : ٢ / ٢٥٣ . قال العجلوني : رواه الديلمي وأبو نعيم والقضاعي عن أنس رفعه ، وفي رواية : " القلب " بالافراد ، ويشهد له ما في مسلم وغيره من قوله ﷺ : " يا حنظلة ساعة =

فلا نحرم المملوك أو الخادم متعة الراحة ووقت الفراغ ، إنَّ الحرمان يؤدي إلى الإرهاق وموت النشاط ، والضييق ، والإحساس بالظلم الاجتماعي من المخدومين .
وهكذا نجد اهتمام الإسلام بالعبيد والإماء ، وهم وإن لم يوجدوا اليوم في عصرنا الحاضر فإنه يلحق بهم كلُّ خادمٍ وأجيرٍ ، وقد حرص الإسلام على إعطائهم حقوقهم والرفق بهم والله ﷻ قد قسَّم الأرزاق وسخَّر البشر بعضهم لبعض لتدور عجلة الحياة وتعمر الأرض وليس هذا التسخير هو الاستعلاء الطبقي أو الفردي ، بل هو نظام إلهي لبقاء الحياة بهذا النظام ، فما يقوم به الخدم للمخدومين إنما هو أداءٌ لدورٍ في الحياة ، فلهذا أمر القرآن الكريم بالبرِّ بهم ، والرفق والعطف عليهم ، والإحسان إليهم .



= وساعة " . وقال أبو الدرداء ﷺ : ابني لأحتم فؤادي ببعض الباطل ، أي : اللهم الجائز لأنشط للحق وذكر القرآن والشعر ، فجاء أبو بكر ﷺ فقال : أقرأه وشعر ؟ فقال : نعم ساعة هذا وساعة ذلك . وقال علي ﷺ : أجموا هذه القلوب ، فانها تمل كما تمل الأبدان أي : تكل . انظر : فيض القدير : ٤ / ٤١ ، كشف الخفاء : ١ / ٥٢٤ .

المبحث السادس : البرُّ بالأعداء غير المُحارِبين

إنَّ الإسلام دين السَّلام ، ونظامه يستهدف أن يظللَّ العالم بأسره بظلِّه ، وأن يطبَّق فيه تعاليمه السَّمحة ، فيعمُّ الخير كلَّ أحدٍ وكلَّ بلدٍ ، وأن يجتمع الناس تحت لوائه آمينين مطمئنين ، مسلمهم وكافرهم ، ومن هذا المنطلق كان من هدي الإسلام أن يعامل حتى أعداءه بالعدل والإنصاف ؛ ويرفع الحرج عن المسلمين في أن يبرُّوهم ويحسنوا إليهم لطالما أنهم لم يقاتلوهم ، ولم يخرجوهم من ديارهم .

الأعداء المُحارِبون لغة :

الأعداء لغة :

الأعداء جمع عَدُوٍّ ، مأخوذ من (عدو) : العين والذال والحرف المعتل أصل واحد صحيح يرجع إليه الفروع كلها ، وهو يدلُّ على تجاوز في الشيء وتقدّم لما ينبغي أن يقتصر عليه . ومن الباب العَدُوُّ : وهو ضدُّ الصَّدِيقِ ، يكون للواحد والاثنين والجمع والأنثى والذكر بلفظٍ واحد .

قال سيبويه (١) : عَدُوٌّ وصفٌ ولكنه ضارِعُ الاسم ، وقد يُثنى ويُجمع ويُؤنث ، والجمع أعداءٌ . والأعداء جمع الجمع . والعَدَى والعُدَى : اسمان للجمع ، والعداوة : اسمٌ عامٌّ من العَدُوِّ ، يقال عَدُوٌّ بَيْنَ العداوة ، وفلانٌ يُعادي بني فلان (٢) .

المُحارِبون لغة :

الحَرْبُ : نَقِيضُ السَّلْمِ ، أنثى ، وأصلُّها الصَّفَةُ كَأَنَّهَا مُقَاتَلَةٌ حَرْبٌ . وحكى ابن الأعرابي (٣) فيها التذكير ؛ والأعرَفُ تَأْنِيْهَا ؛ ودار الحَرْبِ : بلادُ المشركين الذين لا صلح

(١) سبق ترجمته في ص ٥١ .

(٢) انظر : المقاييس ، كتاب العين ، باب العين والذال وما يثلثهما (مادة : عدو) : ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، لسان العرب (مادة : عدو) :

١٥ / ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) سبق ترجمته في ص ١١٥ .

بينهم وبين المسلمين . وقد حاربته مُحاربةٌ وحِراباً ، وتَحَارَبُوا واحْتَرَبُوا وحَارَبُوا بمعنى .
ورجُلٌ حَرَبٌ ومِحْرَبٌ - بكسر الميم - ومِحْرَابٌ : شديدُ الحَرْبِ شُجَاعٌ ؛ وقيل :
صاحب حَرْبٍ . وقومٌ مِحْرَبَةٌ ورجُلٌ مِحْرَبٌ ؛ أي : مُحَارِبٌ لِعَدُوِّهِ ، وفلانٌ حَرَبٌ لي
أي : عَدُوٌّ مُحَارِبٌ (١) .

فالمحاربون هم المشركون غير المسالمين ، أي الذين لا صلح ولا هدنة بينهم وبين المسلمين .

أنواع الأعداء :

والحق أن الأعداء صنفان ، ويترتب على ذلك نوعان من المعاملة :

الصنف الأول : أعداء غير محاربين ؛ لم يقاتلوا المسلمين في دينهم ، ولم يخرجوهم من
ديارهم ، فهؤلاء لم ينه الله أن نبرهم ونقسط إليهم .

الصنف الثاني : أعداء محاربون ؛ قاتلوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم ، وظاهروا على
إخراجهم وهؤلاء نهى الله توليهم ، وفرق بين الإذن بالبرّ والقسط ، وبين النهي عن الموالاة
والمودة .

قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ
وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٢) . إِنَّمَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ
وَأَخْرَجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴾ (٣) . [سورة المتحنة : ٨ ، ٩] .

إذاً فهما قسمان مختلفان وحكمان متغايران ، وإن كان القسمان لم يخرجوا عن عموم قوله
تعالى : ﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ . [سورة المتحنة : ١] . (٢)

واختلف العلماء في قوله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم
مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٣) . [سورة المتحنة : ٨] . هل هو

(١) انظر : لسان العرب (مادة : حرب) : ١ / ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٢) أضواء البيان : ٨ / ٩٠ . بتصرف يسير .

منسوخٌ أو محكَّمٌ ، وناقش بعض المفسِّرين دعوى النسخ ، واختلفوا فيمن نزلت ومن المقصود منها .

والرَّاجح أنَّ الآيةَ محكمة ، قاله الطَّبْرِي (١) والنَّحَّاس (٢) والقُرْطُبِي (٣) ، ونقله عن أكثر أهل التَّأويل (٤) ، فالذين كفروا بما جاءهم من الحقِّ ؛ لكنهم لم يعادوا المسلمين في دينهم لا بقتال ولا بإخراج ، ولا بمعاونة غيرهم عليهم ، ولا ظاهروا على إخراجهم ، فهؤلاء من جانب ليسوا محلاً للموالاتة لكفرهم ، وليس منهم ما يمنع برَّهم والإقساط إليهم .

وقد بحث الطَّبْرِي هذه المسألة من نواحي التَّنقل ، وختم بحثه بقوله : " ولا معنى لقول من قال : ذلك منسوخ ؛ لأنَّ برَّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب ، أو ممن لا قرابة بينه ولا نسب غير محرَّم ولا منهي عنه ؛ إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام ، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح " . اهـ (٥) .

وقد نزلت الآية (٦) في أم أسماء بنت أبي بكر (٧) - رضي الله عنهما - ، جاءت إليها وهي مشركة في عهد قريش ؛ إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدَّتهم مع أبيها ، وجاءت لابنتها بهدايا فأبت أن تقبلها منها ، وأن تستقبلها حتى تستأذن رسول الله ﷺ ، فأذن لها وأمرها بصليتها (٨) . (٩)

(١) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٥٨ . انظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس : ١ / ٧١١ - ٧١٥ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي : ١٨ / ٥٩ .

(٥) تفسير الطبري : ٢٨ / ٦٦ .

(٦) قد تعددت أسباب نزول الآية ، لكن تفسير الآية جاء عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - ؛ وتفسير الآية إذا جاء عن صحابي لم يسع أحداً مخالفته ؛ ولا سيما إذا كان مع قوله توقيف بسبب نزول الآية . انظر : الناسخ والمنسوخ للنحاس : ١ / ٧١٤ .
(٧) أم أسماء هي قتيبة ابنة عبد العزى بن سعد ، وكان أبو بكر ﷺ أطلقها في الجاهلية ، واختلفت الروايات في إسلام قتيبة أم أسماء وأكثر الروايات أنها لم تُسلم . انظر : غوامض الأسماء المبهمة : ١ / ١٢٥ ، تهذيب الأسماء : ٢ / ٥٩٧ . وأسماء صحابية جليلة ، انظر : ص ٤١٥ .

(٨) جاء هذا في حديث أخرجه البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - ، وقد سبق تخريجه في ص ٤١٥ ، ولم يرد في الروايتين ذكر الهدايا ، وإنما جاء ذكرها في رواية الحاكم ، وقد صحَّحها . وقد سبق الحديث عن حكم برِّ الوالدين الكافرين في ص ٤١٤ .

(٩) انظر : أسباب التزول : ٣٥٦ ، لباب النقول : ١ / ٢١١ - ٢١١ .

وإذا رجعنا إلى عموم اللفظ ؛ نجد الآية صريحةً شاملةً لكل من لم يناصر المسلمين العداًء ولم يظهر سوءاً إليهم .

قال المفسِّرون : وهذه الآية رخصةٌ في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين ، وجواز برِّهم وإن كانت الموالاتة منقطعة منهم ^(١) .

فضل البرِّ والقسط للأعداء خيّر المحارِبين :

إنَّ من برِّ بالعدوِّ غير المحارب وأقسط إليه فإنَّه سوف يحظى بحبِّ الله له . قال تعالى في تنمَّة الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ . [سورة الممتحنة : ٨] . أي : يحبُّ المنصفين الذين ينصفون الناس ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم ، فيبرِّون من برِّهم ، ويحسنون إلى من أحسن إليهم ، أي : يعاملوهم به من التقرب ، فإنَّ معاملة أحد بمثل ما عامل به من العدل ^(٢) . قال ﷺ : " إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ ، وَكَلْتَا يَدَيْهِ يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا " ^(٣) .

وجوه البرِّ بالأعداء خيّر المحارِبين :

أولاً : الإكراه والإحسان والإطعام :

من البرِّ بالأعداء غير المحاربين إكرامهم وإطعامهم ، وهذا ما نجده في قصة الظعينة صاحبة المزدتين في عهد رسول الله ﷺ ، فلم يقاتلوا ، أو يأسروها ، أو يستبيحوا ماءها ؛ بل استاقوها بمائها لرسول الله ﷺ ، فمَجَّ في فم المزايدة ثم استقوا ، وأخبرها ﷺ أنه لم ينقص من مائها شيئاً ، ولكنَّ الله هو الذي سقاهم ، وأكرموها وأحسنوا إليها ، وجمعوا لها من بين عجوةٍ ودقيقةٍ وسويقَةٍ حتى جمعوا لها طعاماً ، فجعلوها في ثوبٍ وحملوها على بغيرها

(١) انظر : زاد المسير : ٢٣٧ / ٨ ، التفسير الكبير : ٢٩ / ٢٦٣ ، أضواء البيان : ٩٢ / ٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري : ٢٨ / ٦٦ ، التحرير والتنوير : ١٣٦ / ٢٨ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم

(١٨٢٧) : ٣ / ١٤٥٨ . عن عبد الله بن عمرو ؓ .

ووضعوا الثوب بين يديها ، وأرسلوها في سبيلها فكانت تذكر ذلك وتدعو قومها للإسلام فأطاعوها ودخلوا في الإسلام (١) .

وفي سنة تسع - وهي سنة الوفود - ؛ كان يقدم إلى المدينة المسلمون وغير المسلمين فيتلقون الجميع بالبرّ والإحسان ، ويأمر ﷺ لبعضهم الجوائز ، فهم قد أتوا متحدّين مفاخرين ؛ لكنهم لم يقاتلوا المسلمين ، ولم يظاهروا على إخراجهم من ديارهم ، فترفّق بهم ﷺ وأحسن إليهم تأليفاً لقلوبهم ، وقد كان فأسلموا (٢) .

ومن البرّ بالأعداء غير المحارِبين الوصيّة والهبة لهم والوقف عليهم ، فها هي صفية بنت حيى بن أخطب (٣) - رضي الله عنها - أمّ المؤمنين ؛ كان أبوها من رعوس اليهود المخادّين لله ورسوله ، وكانت هي امرأة صالحة من أمهات المؤمنين المشهود لها بالجنّة ، باعت حجرها بمائة ألف ، وكان لها أخ عرضت عليه أن يسلم فيرث فأبى ، فأوصت له بثلاث المائة ألف .

وقال قتادة (٤) وغيره في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ أُولِيَاءِكُمْ مَعْرُوفًا ﴾ . [سورة الأحزاب : ٦] . هو وصية المسلم لليهودي والنّصراني (٥) .

ومن باب البرّ والإحسان الوصيّة والوقف على كافر ، ولكن ليس بصفته كافراً ، فصفيّة - رضي الله عنها - أوصت لأخيها ؛ فهذا هو سبب استحقاقه وليس كفره .

(١) وردت قصة الطّعين في حديث طويل أخرجه البخاري في كتاب التيمم ، باب التيمم للوجه والكفين (٣٣٧) : ١ / ١٣٠ وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب قضاء الصلاة الفاتية واستحباب تعجيل قضائها (٦٨٢) : ١ / ٤٧٤ . كلاهما عن عمران بن حصين ؓ .

(٢) انظر : الطبقات الكبرى : ١ / ٢٩٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٣) صفية بنت حيى بن أخطب - رضي الله عنها - ، صحابية جلييلة وأم المؤمنين ، ت سنة ٣٦ هـ ، وقيل سنة ٥٠ هـ ، وقيل : سنة ٥٢ هـ . انظر : مولد العلماء ووفياتهم : ١ / ١٤٧ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ٤ / ١٨٧١ ، صفة الصفوة : ٢ / ٥١ سير أعلام النبلاء : ٢ / ٢٣١ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٥) انظر : التمهيد لابن عبد البرّ : ١٤ / ٣٠٠ ، المهذب لإبراهيم بن علي الشيرازي : ١ / ٤٥١ ، بدائع الصنائع : ٧ / ٣٤١ المغني : ٦ / ١٢١ ، منهاج السنّة النبويّة لابن تيمية : ٦ / ٢٧٠ ، أحكام أهل الذمة لابن القيم : ١ / ٦٠١ .

قال ابن تيمية (١) : " فإذا أوصى أو وقف على معيّن ، وكان كافراً أو فاسقاً لم يكن الكفر والفسق هو سبب الاستحقاق ولا شرطاً فيه ؛ بل هو يستحقُّ ما أعطاه وإن كان مسلماً عدلاً ، فكانت المعصية عديمة التأثير ؛ بخلاف ما لو جعلها شرطاً في ذلك على جهة الكفار والفساق ، أو على الطائفة الفلانية بشرط أن يكونوا كافراً أو فاسقاً ، فهذا الذي لا ريب في بطلانه عند العلماء " . اهـ (٢) .

ثانياً : التصدق عليهم والقسط إليهم :

ظاهر قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ . [سورة الإنسان : ٨] . وقوله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَكَرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ . [سورة المتحنة : ٨] . يقتضي جواز صرف الصدقات إلى العدو غير المحارب جملة ، إلا أن النبي ﷺ خصَّ منها الزكاة المفروضة لقوله ﷺ لمعاذ (٣) : " ... فأعلمهم أن الله افترض عليهم في أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم ... " (٤) .

وأنفق العلماء على عموم الآية في البرِّ وإطعام الطعام وإطلاق الصدقات ، فالمفروضة لا يجزي دفعها لكافر ، وإنما يدفع لهم من صدقة التطوُّع إن احتاجوا (٥) .
وجاء في تأكيد معنى القسط إلى الأعداء غير المحاربين قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [سورة المتحنة : ١٠] . ثم قال تعالى : ﴿ وَعَآئُهُنَّ مَأْنَفَقُوا ﴾ أي : آتوا المشركين أزواج المؤمنات المهاجرات ما أنفقوا على أزواجهن بعد هجرتهن ، فبعد أن أسلمت الزوجة وهاجرت ، وعلم أنها مؤمنة يأمر الله المسلمين أن لا يرجعوهن إلى الكفار ، ويؤتوا أزواجهن وهم مشركون ما أنفقوا من صدق

(١) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه : ٣١ / ٣١ .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ١٩٧ .

(٤) سبق تخريجه في ص ١٩٧ ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٥) انظر : أحكام القرآن للحصَّاص : ٢ / ١٧٩ ، ١٨٠ ، المحرر الوجيز : ١ / ٣٦٧ ، تفسير القرطبي : ٣ / ٣٣٨ .

عند الزواج ونحوه مع بقاء الأزواج على الكفر ، وعجزهم عن استرجاع الزوجات وعدم جواز مولاقتهم قطعاً لكفرهم وهذا من المعاملة بالقسط ، والعلم عند الله تعالى (١) .

" وقيل معنى : ﴿ وَتُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ أي : تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلّة ، وليس يريد به من العدل ؛ فإن العدل واجبٌ فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل " (٢) .

قال الشافعي (٣) : " وكانت الصلّة بالمال والبرّ والإقسط ولين الكلام والمراسلة بحكم الله غير ما نُهوا عنه من الولاية لمن نُهوا عن ولايته مع المظاهرة على المسلمين ، وذلك لأنه أباح برّ من لم يظاهر عليهم من المشركين والإقسط إليهم ، ولم يحرم ذلك إلى من لم يظاهر عليهم ؛ بل ذكر الذين ظاهروا عليهم فناهم عن ولايتهم إذ كان الولاية غير البرّ والإقسط وكان النبي ﷺ فادى بعض أسارى بدر ... وقال الله ﷻ : ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ والأسرى يكونون ممن حادّ الله ورسوله " . اهـ (٤) .

ومما يؤيد كل ما تقدم عملياً معاملة النبي ﷺ وخلفائه من بعده لليهود في خيبر ، ومع ذلك لما أخرجهم ﷺ من المدينة ، وحاصرهم بعدها في خيبر وفتحها الله عليه ، وأصبحوا في قبضة يده ، فلم يكونوا بعد ذلك في موقف المقاتلين ولا مظاهرين على إخراج المسلمين من ديارهم عاملهم الرسول ﷺ بالقسط ، فعاملهم على أرض خيبر ونخيلها ، وأبقاهم فيها على جزءٍ من الثمرة كإجراء يعملون لحسابه وحساب المسلمين (٥) ، فلم يتخذهم عبيداً يستخرهم فيها ، وبقيت معاملتهم بالقسط حتى نهاية زمنه ﷺ وخلافة الصديق (٦) ﷺ وصدرًا من خلافة عمر (٧) ﷺ حتى أجلاهم عنها .

(١) انظر : أضواء البيان : ٩٧ / ٨ .

(٢) تفسير القرطبي : ٥٩ / ١٨ .

(٣) إمام المذهب الشافعي ، انظر : ص ١٣٢ .

(٤) أحكام القرآن لمحمد بن إدريس الشافعي : ١٩٣ / ٢ ، ١٩٤ .

(٥) عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت وهي تذكر شأن خيبر : " كان النبي ﷺ يبعث ابن رواحة إلى اليهود ، فيخبرهم عن النخل حين يطيب قبل أن يؤكل منه ، ثم يجيرون زفر يأخذونه بذلك الخرص أم يدفعونه إليهم بذلك ... " . الحديث . قال الميثمي : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجال أحمد رجال الصحيح . انظر : مجمع الزوائد : ٧٦ / ٣ .

(٦) صحابي جليل ، انظر : ص ٨٧ .

(٧) صحابي جليل ، انظر : ص ٥٩ .

ومثل ذلك المؤلفة قلوبهم أعطاهم ﷺ بعد الفتح ، وأعطاهم الصديق حتى منعهم عمر - رضي الله عنهما - (١) .

ثالثاً : صلة العدو خير المحاربه وإرشاده ونصيحته والدعاء له :

عندما نزلت : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٢١٤] . جمع رسول الله ﷺ قرابته وفيهم مشركون ودعاهم للإسلام ، ووعدهم أن يصلهم (٢) ولا يقطعهم وإن كانوا أعداءه ، فقال ﷺ : " إنَّ لكم رحماً سألها ببلالها (٣) " (٤) . ومعنى الحديث : أي أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً ، شُبِّهت قطيعة الرِّحِم بالحرارة ، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة (٥) .

قال ابن حجر (٦) في صلة الرِّحِم الكافرة :

" فإن كانوا كفاراً أو فجَّاراً فمقاطعتهم في الله هي صلَّتهم ، بشرط بذل الجهد في وعظهم ثم إعلامهم إذا أصرُّوا أنَّ ذلك بسبب تخلفهم عن الحقِّ ، ولا يسقط مع ذلك صلَّتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى " . اهـ (٧) .

(١) انظر : السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري : ٤ / ٣٢٩ ، ٥ / ١٦٩ ، المغني : ٦ / ٣٢٧ .

(٢) سبق تعريف الصلة لغة في ص ٣٩٥ . وبيان المعنى الجامع لصلة الرِّحِم في مبحث البرِّ بذوي القربى ، انظر : ص ٤٣٣ .

(٣) أبلها ببلالها - ضبط بالكسر والفتح ، وقيل : بالكسر أوجه - أي أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً . والبلال جمع بَلَل . وقيل : هو كلُّ ما بَلَّ الخلق من ماء أو لبن أو غيره . وهو بمعنى البلل ، وهو التداوة ، وأطلق ذلك على الصلَّة ، كما أطلق اليبس على القطيعة ؛ لأن التداوة من شأنها تجميع ما يحصل فيها وتأليفه ، بخلاف اليبس فمن شأنه التفريق . وقال الخطابي وغيره : بللت الرحم بلا وبلا وبلا ، أي : نديتها بالصلَّة ، وقد أطلقوا على الإعطاء التدى ، وقالوا في البخيل : ما تندی كفه بخير . انظر : النهاية (مادة : بلل) : ١ / ١٥٣ ، فتح الباري : ١٠ / ٤٢٢ .

(٤) أخرج البخاري بنحوه في كتاب الأدب ، باب تيل الرحم ببلالها (٥٦٤٤) : ٥ / ٢٢٣٣ ، عن عمرو بن العاص ﷺ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين) (٢٠٤) : ١ / ١٩٢ . كلاهما عن أبي هريرة ﷺ .

(٥) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ٣ / ٨٠ ، فتح الباري : ١٠ / ٤٢٣ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٧٣ .

(٧) فتح الباري : ١٠ / ٤١٨ .

ومن البرُّ بالعدوِّ غير المحارب تشميته إذا عطس ، ويكون دعاء له بالهداية ، فعن أبي موسى الأشعري (١) قال : " كان اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ يرجون (٢) أن يقول لهم يرحمكم الله ، فيقول : " يهديكم الله ويصلح بالكم " (٣) .

قال ابن حجر : " فحديث أبي موسى دالٌّ على أنهم يدخلون في مطلق الأمر بالتشميت لكن لهم تشميت مخصوص ، وهو الدعاء لهم بالهداية وإصلاح البال ، وهو الشأن ولا مانع من ذلك ، بخلاف تشميت المسلمين فإنهم أهل الدعاء بالرحمة بخلاف الكفار " . اهـ (٤) .

وإذا كان الوالدان مشركين فلا يطاعوا ، ولكن يصاحبوا بالمعروف . قال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ . [سورة لقمان : ١٥] . وهذا دليلٌ قويٌّ على وجوب البرِّ بالوالدين الكافرين ، وفي إيجاب التَّفقة لهما نوع برٌّ فجاز أن يوجب التَّفقة عليهما (٥) .

فهذه حسنُ معاملةٍ وبرٍّ وإحسانٍ لمن جاهد المسلم على أن يشرك بالله ، ولم يقاتل المسلمين فكان حقُّ الأبوة مقدِّماً ؛ ولو مع الكفر والمجاهدة على الشرك .

إنَّ المسلمين اليوم مشتركةٌ مصالحهم بعضهم ببعض ، ومرتبطةٌ بمجموع دول العالم من مشركين وأهل كتاب ، ولا يمكن لأمة اليوم أن تعيش منعزلةً عن المجموعة الدوليَّة لتداخل المصالح وتشابكها ؛ ولاسيَّما في المجال الاقتصادي عصب الحياة اليوم ؛ من إنتاجٍ أو تصنيعٍ أو تسويق ، فعلى هذا تكون الآية مساعدة على جواز التَّعامل مع أولئك المسلمين ومبادلتهم مصلحةً بمصلحة ، وبشرط سلامة الدَّاخِل ، أي : عدم الميل بالقلب ، وعدم وجود تلك المصلحة عند المسلمين أنفسهم ، أي أن العالم الإسلامي يتعاون أولاً مع بعضه ؛ فإذا أعوزه

(١) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار ، أبو موسى الأشعري : صحابي جليل . اختلف في سنة وفاته ، وقيل الصحيح أنه توفي سنة ٤٤ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٢ / ٣٤٤ ، صفة الصفوة : ١ / ٥٥٦ ، سير أعلام النبلاء : ٢ / ٣٨٠ ، الإصابة : ٤ / ٢١١ .

(٢) يتعاطسون ، أي : يطلبون العطسة من أنفسهم ، يرجون ، أي : يتمنون بهذا السبب . انظر : تحفة الأحوذى : ٨ / ١٠ .

(٣) أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب الأدب ، باب ما جاء كيف تشميت العاطس (٢٧٣٩) : ٥ / ٨٢ ، وأخرج أحمد بن حنبل في مسند أبي موسى الأشعري ﷺ : ٤ / ٤٠٠ . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) فتح الباري : ١٠ / ٦٠٤ .

(٥) الفروق لأسعد بن محمد الكرابيسي : ١ / ١٥٩ .

أو بعض دوله حاجة عند غير المسلمين ممن لم يقاتلوهم ولم يظاهروا عدوًّا على قتالهم فلا مانع من التعاون مع تلك الدَّولة في ذلك ، ومعاملتهم بالبرِّ والإقسط ، وفي هذا من رفعٍ للحرج على المسلمين ؛ مع ما يعكس في نفوس غير المسلمين عندما يجدون البرَّ والإحسان والعدل من أهل الإسلام ؛ فقد يكون سبباً في تأليف قلوبهم وضمِّهم لصفوف المسلمين (١) .



(١) انظر : أضواء البيان : ٨ / ٩٧ .

الباب الثالث

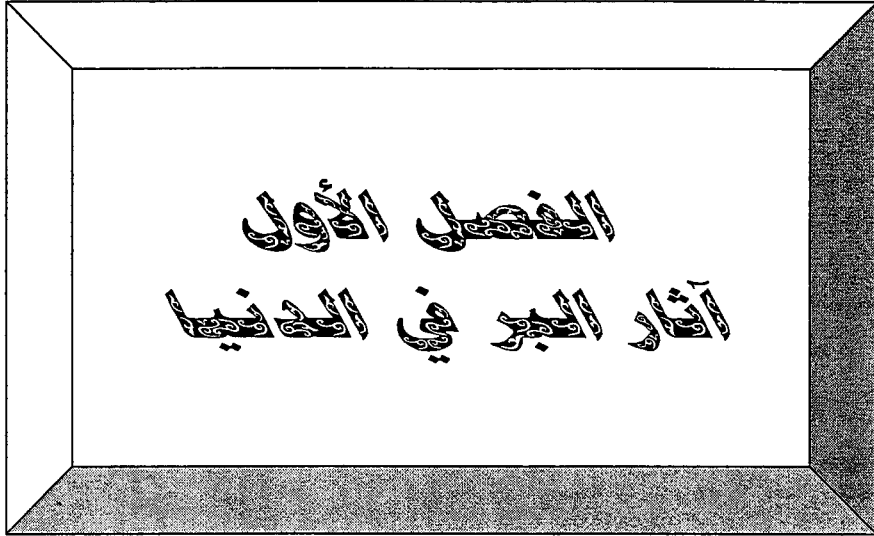
آثار البر في الدنيا والآخرة

وفيه فصلان :

الفصل الأول : آثار البر في الدنيا .

الفصل الثاني : آثار البر في الآخرة .





وفيه ثلاثة مجلدات :

- المجلد الأول : البر سبب محبة الله للعبد وزيادة الإيمان .
- المجلد الثاني : البر سبب الطمأنينة وانسراح الصدر في الحياة الدنيا .
- المجلد الثالث : البر سبب للحياة الطيبة في الحياة الدنيا .

تمهيد

إنَّ سعادة الدارين رهينة بما يقوم المرء من أعمالٍ وخلال (١) ، والأبرار الذي سارعوا في الخيرات واجتهدوا في تحقيق الكمال والبرّ في الإيمان والعبادات والأخلاق ، وفي علاقتهم بمن حولهم القريب والبعيد يكرمهم ربهم في الدنيا قبل الآخرة ، فللبرّ آثار ملموسة ومباركة في حياة المسلم ، وعلى قدر اجتهاده وتقربه إلى الله بالطاعات يجد العوض من الله الكريم المنان .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ . [سورة الكهف : ٣٠] .

الأثر لغة :

مأخوذ من " أثر " ، الهمزة والثاء والراء له ثلاثة أصول : تقديم الشيء ، وذكر الشيء ورسم الشيء الباقي ، والأثر هنا من الأصل الأخير فهو بقية الشيء ، والجمع آثار وأثور وخرجت في إثره وفي أثره ؛ أي : بعده .
والأثر أصله : من أثر مشيه في الأرض ؛ فإنّ من مات لا يبقى له أثر ، ولا يرى لأقدامه في الأرض أثر (١) .

تعريفه الأثر :

أثر الشيء حصول ما يدلُّ على وجوده (٢) .

إنَّ أعمال البرّ سببٌ في زيادة الإيمان واستجابة الدعاء وسعة الرزق ، وبالبرّ تطمئن النفوس الحائرة وتهدأ القلوب الفزعرة وتستقرّ الجماعات ، فالأبرار منشرحة صدورهم طيبة نفوسهم ؛ كما أن أعمال البرّ تزيد في العمر وتبارك في المال والنسل ، وبها ينال العبد

(١) قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ . [سورة المذثر : ٣٨] . ولا تعارض مع قوله ﷺ : " لن يدخل أحداً عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ! . قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمّدني الله بفضلٍ ورحمة " . وسيتم بمشيئة الله الحديث عن ذلك في مبحث البرّ سبب للنعم المقيم في الجنة وسبب للنجاة من النار ، انظر : ص ٦٢١ ، ٦٢٢ .

(٢) انظر : المقاييس ، كتاب الهمزة ، باب الهمزة مع الثاء وما يثلثهما (مادة : أثر) : ٥٧ ، ٥٨ ، النهاية ، باب الهمزة مع الثاء (مادة : أثر) : ١ / ٢٣ ، لسان العرب (مادة : أثر) : ٤ / ٥ .

(٣) المفردات (مادة : أثر) : ١٩ .

أغلى أمانيه وهو حبُّ الله ثمَّ حبُّ الناس ، وتؤدّي إلى الألفة وتقريب القلوب وشيوع روح المحبة بين البارِّ ومن حوله .. هذا في الدنيا ، وهذه الأمور كلّها تحصل للأبرار ^(١) فهي أثر من آثار البرِّ في الدنيا .

أمّا في الآخرة فإنَّ البرَّ سببٌ للنعيم المقيم في الجنة ، وسببٌ للنجاة من النار ، كما أنَّ أعمال البرِّ تثقل ميزان العبد يوم القيامة ، وينعم الأبرار بالأمان من الخوف والحزن ؛ لأنهم قريبون من رحمة الله وفي معيته ، وفوق هذا كلّه سيحظون بأعظم النعيم يوم القيامة .. ألا وهو الحسنى وزيادة .



^(١) بهذا يتفق تعريف الأثر مع ماورد في الكتاب والسُّنة من آثار البرِّ .

المبحث الأول

البرُّ سبب محبة الله للعبد وزيادة الإيمان

إنَّ الفوز بمحبة الله مطلبٌ عزيزٌ يتمناه كل مؤمن ، وإنَّ التَّقِي يهون عليه أن يخسر كلَّ شيء لكن يفوز بحبِّ الله ، وإنَّ الأبرار قد فطنوا للطريق الموصلة لحبِّ الله فأكثرُوا من الطاعات والنوافل ، وشدُّوا الرحال للآخرة ، فازداد إيمانهم ويقينهم ونالوا حبَّ ربه ورضاه .

المحبة لغة :

هي الاسم من الحُبِّ وكلاهما مأخوذ من مادة (ح ب ب) التي تدلُّ على اللزوم والثبات ^(١) ، واشتقاق الحُبِّ والمحبة من أحبه إذا لزمه ، والحُبُّ : نَقِيسُ البُعْضِ . والحُبُّ : الودادُ والمحبةُ ، وكذلك الحِبُّ بالكسر . وأحبه فهو مُحِبٌّ ، وهو مَحْبُوبٌ على غير قياس وقد قيل مُحَبٌّ على القياس .

وحكى سيويه ^(٢) : حَبَبْتُهُ وَأَحَبَبْتُهُ بمعنى . وحَبَبْتُ فلاناً في الأصل بمعنى أصبت حبة قلبه نحو شَعَفْتُهُ وَكَبَدْتُهُ وفَادَتُهُ (أي : أصبت شَعَفَتُهُ وَكَبَدْتُهُ وفَوَّادَهُ) ، وقال أبو زيد ^(٣) : أَحَبَّهُ اللهُ فهو مَحْبُوبٌ ^(٤) .

(١) وهذه المادة إضافة إلى هذا الأصل - أي اللزوم والثبات - معنيان أصليان هما : الحبة من الشيء ذي الحبِّ ، والثاني وصف القصر . انظر في معاني المادة وأمثلتها : المقاييس ، كتاب الحاء ، باب ما جاء من كلام العرب في المضاعف والمطابق أوله حاء (مادة : حب) : ٢٤٨ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٥١ .

(٣) هو سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصاري : أحد أئمة الأدب واللغة . من أهل البصرة ووفاته بها ، كان يرى رأي القدرية ، وهو من ثقات اللغويين ، قال ابن الأنباري : كان سيويه إذا قال " سمعت الثقة " عن أبي زيد . روى القراءات عن أبي عمرو بن العلاء ، من تصانيفه : كتاب النوادر ، والهمز ، والمطر ، واللبأ واللبن ، والمياه ، وخلق الإنسان ، ولغات القرآن ، والحشاشة والبشاشة وغير ذلك . ت سنة ٢١٥ هـ وعمره أربعة وتسعون عاماً . انظر : وفيات الأعيان : ٢ / ٣٧٨ ، سير أعلام النبلاء : ٩ / ٤٩٤ ، البداية والنهاية : ١٠ / ٢٦٩ ، البلغة : ١ / ١٠٣ .

(٤) انظر : المقاييس ، كتاب الحاء ، باب ما جاء من كلام العرب في المضاعف والمطابق أوله حاء (مادة : حب) : ٢٤٨ ، لسان العرب (مادة : حب) : ٢٨٩ / ١ .

ومحبة الله تعالى (١) لأنبيائه وأوليائه هي أعظم فضل الله العظيم عليهم ، وأشرف ما يرجونه وقد نصَّ الله تعالى على ذلك في غير آية من كتابه الكريم ، كقوله تعالى : ﴿سُبْحٰنَ مَحْبُوْبَتِهِ﴾ . [سورة المائدة : ٥٤] . وقوله تعالى : ﴿وَاللّٰهُ يُحِبُّ الصّٰبِرِيْنَ﴾ . [سورة آل عمران : ١٤٦] . وكذلك كون الله يحبُّ التوّابين ويحبُّ المتطهّرين ، ويحبُّ المقسطين ويحبُّ المتّقين ، وأكبر من ذلك أن الله تعالى اتخذ إبراهيم الخليل خليلاً بالنصِّ القرآني (٢) ، واتخذ محمداً ﷺ خليلاً بالنصِّ النبوي (٣) ، والخلة أرفع مراتب المحبة (٤) .

وقال تعالى : ﴿وَأَحْسِنُوْا إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ﴾ . [سورة البقرة : ١٩٥] . أي : أنّه تعالى يحبُّ المتقرّبين إليه بالإيمان ونوافل الأعمال التي يرضاها والتقوى والإحسان ، ومحبة الله للعبد أعلى درجات الثواب .

قال رسول الله ﷺ : " إنَّ الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه " (٥) . قال ابن حجر (٦) :

" إن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل " . اهـ (٧) .

(١) صرح المعطلة النفاة من الجهمية بأن الله لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ ، قالوا : إنَّ الرّبَّ لا يُحِبُّ في الحقيقة ولا يُحَبُّ ، وتأولوا محبته تعالى لعباده بإرادته نواهم ، ومحبته لهم بإرادة طاعتهم له والتقرب إليه . ومنهم طائفة كثيرة قالوا : هو محبوب يستحق أن يحب ولكن محبته لغيره بمعنى مشيئته ، وأما السلف والأئمة وأهل الحديث وأئمة التصوف وكثير من أهل الكلام والنظر فأقروا بأنه محبوب لذاته ؛ بل لا يستحق أن يحب لذاته إلا هو . انظر : منهاج السنة النبوية : ٣ / ١٦٥ ، الصواعق المرسلّة : ٤ / ١٤٣٥ .

(٢) قال تعالى : ﴿وَاتَّخَذَ اللّٰهُ إِبْرٰهِيْمَ خَلِيْلًا﴾ . [سورة النساء : ١٢٥] .

(٣) عن جندب رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : " إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليلاً ، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً ، كما اتخذ إبراهيم خليلاً ... " . الحديث . أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٥٣٢) : ١ / ٣٧٧ .

(٤) انظر : إنباء الحق على الخلفاء محمد بن نصر المرتضى اليماني (ابن الوزير) : ١٢٩ ، التحفة العراقية : ٦٧ ، ٦٨ .

(٥) سبق ترجمته في ص ١٩٥ ، أخرجه البخاري .

(٦) سبق ترجمته في ص ٧٣ .

(٧) فتح الباري : ١١ / ٣٤٣ .

أنواع معرفة الله لعبده :

إن معرفة الله لعبده نوعان :

■ معرفة عامة : وهي علمه تعالى بعباده ، وإطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ . [سورة ق : ١٦] . وقال سبحانه : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ . [سورة النجم : ٣٢] .

■ ومعرفة خاصة : وهي تقتضي محبته لعبده ، وتقريبه إليه ، وإجابة دعائه ، وإنجائه من الشدائد ، وهي المشار إليها بقوله ﷺ فيما يحكي عن ربه : " وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ... " الحديث . (١)
قال ابن القيم (٢) :

" إن محبة الرب لعبده سبقت محبة العبد له سبحانه ، فإنه لولا محبة الله له لما جعل محبته في قلبه ، فإنه ألهمه حبه وآثره به ، فلما أحبه العبد جازاه على تلك المحبة محبة أعظم منها ، فإنه من تقرب إليه شيراً تقرب إليه ذراعاً ، ومن تقرب إليه ذراعاً تقرب إليه باعاً ، ومن أتاه مشياً أتاه هرولة ، وهذا دليل على أن محبة الله لعبده الذي يحبّه فوق محبة العبد له " . اهـ (٣) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ . [سورة آل عمران : ٣١] .

قال ابن حجر :

" والتَّحْقِيقُ أَنَّ الْإِسْتِقَامَةَ ثَمْرَةَ الْحُبِّ " (٤) .

فمن آثار البرِّ في الدنيا أنه سبب محبة الله للعبد ، وهذه مرتبة عالية عظيمة ، وإن محبة الله لتشتري بالدنيا كلها ، وهي مرتبة فوق محبة العبد لله ، فالفائزون صنفان : صنف يحبُّ الله وصنف يحبُّ الله ويحبه الله ، ولهذا قال بعض العلماء : الشَّانُ كُلُّ الشَّانِ فِي أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّكَ لَا أَنَّكَ تَحِبُّ اللَّهَ .

(١) جامع العلوم والحكم : ١ / ١٨٩ . بتصرف يسير جداً .

(٢) سبق ترجمته في ص ٦ .

(٣) طريق المهجرتين وباب السعادتين : ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٤) فتح الباري : ١٣ / ٣٥٧ .

كلُّ يدَّعي أنه يحبُّ الله ، لكنَّ الشَّأن أن نحالِّقك وبارئك ومولاك هل يحبُّك أم لا ؟ نحن العباد الفقراء إلى الله ؛ الذين لا نساوي شيئاً في ملك الله ، يحبُّنا ملك الملوك ، وربُّ السموات والأرض ... إنَّه لشرفٌ عظيمٌ ، وشعورٌ يملأ القلب سروراً وحبوراً . وإذا أحبَّ الله عبداً أمر ملائكته أن يحبُّوه ، فيحبُّه جبريل عليه السلام وجميع ملائكة السماء ، ثمَّ يوضع له القبول في الأرض ، فيحبُّه أهل الأرض ^(١) ويقبلونه ، ويقبلون ما جاء منه ، وهذه من عاجل بشرى المؤمن ^(٢) .

الإيمان ^(٣) يزيد وينقص :

إنَّ المؤمنين يتفاضلون في إيمانهم ، كما هم يتفاضلون في أعمالهم ، دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنة ، والإيمان عند جميع أهل السُّنة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ^(٤) ، والأدلة على

(١) لما أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة (٣٠٣٧) : ٣ / ١١٧٥ ، وأخرجه مسلم - مطولاً - في كتاب البر والصلة والآداب ، باب إذا أحبَّ الله عبداً حبَّبه إلى عباده (٢٦٣٧) : ٤ / ٢٠٣٠ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل ، فقال : إني أحب فلانا فأحبه . قال : فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء ، فيقول : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء . قال : ثم يوضع له القبول في الأرض " .

(٢) انظر : شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين : ١ / ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٣) سبق تعريف " الإيمان " لغة وشرعاً في ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) اختلف العلماء في زيادة الإيمان ونقصانه - وهذه مسألة قديمة - على أقوال : ظاهر الكتاب والسُّنة وهو المحكي عن الشافعي - رحمه الله - وكثير من العلماء أنَّ الإيمان يزيد وينقص ، وعند أبي حنيفة - رحمه الله - وأصحابه وكثير من العلماء وهو اختيار إمام الحرمين : أنه لا يزيد ولا ينقص ، ومنهم من يقول : إن زيادته مجاز عن زيادة ثمرته وظهور آثاره وإشراق نوره وضيائه في القلب ، ونقصانه على عكس ذلك وكانَّ الزيادة هنا مجاز . ورؤي عن مالك أنَّ الإيمان يزيد وتوقف في نقصانه . وذهب جماعة منهم الإمام الرَّازي وإمام الحرمين في القول إلى أنَّ الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه وعدمهما لفظي ، وهو فرع تفسير الإيمان ؛ فمن فسَّره بالتَّصديق ؛ قال : إنه لا يزيد ولا ينقص ، ومن فسَّره بالأعمال مع التَّصديق ؛ قال : إنه يزيد وينقص . قال التَّووي : أنكر أكثر المتكلمين زيادته ونقصانه ، وقالوا متى قبل الزيادة كان شكاً وكفراً . قال المحققون من أصحابنا المتكلمين : نفس التَّصديق لا يزيد ولا ينقص ، والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته ، وهي الأعمال ونقصانها . قالوا : وفي هذا توفيق بين ظواهر النصوص التي جاءت بالزيادة وأقاويل السلف ، وبين أصل وضعه في اللغة وما عليه المتكلمون . وهذا الذي قاله هؤلاء وإن كان ظاهراً حسناً ؛ فالأظهر أنَّ التَّصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلَّة ، وإيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم . انتهى . وقال البخاري : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أنَّ الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص . انظر : الغنية في أصول الدِّين لعبد الرحمن النيسابوري المتولي : ١ / ١٧٣ - ١٧٥ ، المحرر الوجيز : ١ / ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، الفصل في الملل لابن حزم الظاهري : ٣ / ١٠٨ - ١١٠ ، التفسير الكبير : ٩ / ٨٢ ، تفسير القرطبي : ٤ / ٢٨١ ، ٢٨٢ ، شرح النووي على صحيح مسلم : ١ / ١٤٨ ، توحيد الألوهية : ٧ / ٥٦٢ - ٥٦٧ ، ٣٣١ / ٧ ، شرح المقاصد في علم الكلام : ٢ / ٢٦١ - ٢٦٤ ، شرح العقيدة الطحاوية : ١ / ٣٨٦ ، روح المعاني : ٤ / ١٢٧ .

زيادة الإيمان ونقصانه من التَّقل والعقل ، أما التَّقل ففي الكتاب والسُّنة والآثار السُّلفية أدلَّة كثيرة جداً منها :

أولاً : من الكتاب :

- قول الله ﷻ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [سورة الفتح : ٤] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَلَّيْتْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ . [سورة الأنفال : ٢] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١٢٤] .

ثانياً : من السُّنة :

- قال ﷺ : " الإيمان بضع وسبعون ، أو بضع وستون شعبة فأفضلها : قول لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان " (١) .
- حديث الشفاعة ، وأنه يخرج من النار من قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان (٢) .

ثالثاً : أقوال الصحابة :

وكلام الصَّحابة ﷺ في هذا المعنى كثير أيضاً منه :

- قول أبي الدرداء (٣) ﷺ : من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه ، وما نقص منه ، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينتقص .
- وكان عمر (٤) ﷺ يقول لأصحابه : هلموا نردد إيماناً ؛ فيذكرون الله تعالى ﷻ .

(١) سبق تخريجه في ص ٢١ ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) حديث الشفاعة أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٧٠٧٢) : ٦ / ٢٧٢٧ ، وأخرجه مسلم مختصراً في كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣) : ١ / ١٨٢ . كلاهما عن أنس بن مالك ﷺ .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ١٤٣ .

(٤) صحابي جليل ، انظر : ص ٥٩ .

- وكان ابن مسعود ^(١) يقول في دعائه : اللهم زدنا إيماناً و يقيناً وفقهاً .
- وكان معاذ بن جبل ^(٢) يقول لرجل : اجلس بنا نؤمن ساعة .
- وصحَّ عن عمَّار بن ياسر ^(٣) أنه قال : " ثلاثٌ من جمعهن فقد جمع الإيمان :
الإنصاف من نفسك ، وبذل السَّلام للعالم ، والإنفاق من الإقتار " ^(٤) . (٥)

وابتجأ : " من العقول : فلأنه لو لم يتفاوت لكان إيمان آحاد الأمة ؛ بل المنهمك في الفسق مساوياً لتصديق الأنبياء والملائكة ، واللزام باطل قطعاً " ^(٦) .

فثبت بهذه الأدلة أن أعمال البرِّ والطاعات سببٌ في زيادة الإيمان .

قال علي ^(٧) : " الإيمان يبدو نقطة بيضاء في القلب ، كلما ازداد الإيمان ازدادت بياضاً حتى يبيض القلب كله ، والنفاق يبدو نقطة سوداء في القلب ، كلما ازداد النفاق ازدادت سواداً حتى يسود القلب كله ، والذي نفسي بيده لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود " ^(٨) .

قال ابن تيمية ^(٩) : " إنَّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فكلما فعل العبد الطاعة محبة لله وخوفاً منه ، وترك المعصية حباً له وخوفاً منه ؛ قوى حبه له وخوفه منه ، فيزيل ما في القلب من محبة غيره ومخافة غيره ، وهكذا أمراض الأبدان ؛ فإن الصحة تحفظ بالمثل والمرض يدفع بالضدِّ ، فصحة القلب بالإيمان تحفظ بالمثل ، وهو ما يورث القلب إيماناً من العلم النافع والعلم الصالح فتلك أغذية له " ^(١٠) .

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٥ .

(٢) صحابي جليل ، انظر : ص ١٩٧ .

(٣) هو عمار بن ياسر بن عامر المذحجي العنسي ، أبو اليقظان : صحابي جليل . ت سنة ٣٧ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٢٤٦ / ٣ ، الثقات : ٣٠١ / ٧ ، التهذيب : ٣٥٧ / ٧ ، الإصابة : ٥٧٥ / ٤ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب إفتاء السلام من الإسلام (مع اسم الباب) : ١٩ / ١ .

(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية : ١ / ٣٨٤ - ٣٨٧ .

(٦) شرح المقاصد في علم الكلام : ٢ / ٢٦٢ .

(٧) صحابي جليل ، انظر : ص ١٠٨ .

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الإيمان والرؤيا ، باب ما قالوا في صفة الإيمان (٣٠٣٢١) : ٦ / ١٥٩ .

(٩) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(١٠) أمراض القلوب : ٢٧ .

معنى الزيادة :

عرف المُنَاوِي (١) الزيادة فقال : هي " استحداث أمرٍ لم يكن في موجود الشيء " (٢) .

وقال الرَّائِب (٣) : " أن ينضمَّ إلى ما عليه الشيء في نفسه شيء آخر .

• وقد تكون زيادةً مذمومةً : كالزيادة على الكفاية : كزائد الأصابع ، أو قوائم الدابة .

• وقد تكون محمودةً : نحو : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ . [سورة يونس الطحطاوي : ٢٦] . وهي النَّظَرُ إلى وجه الله " . اهـ (٤) .

وأوضح معنى زيادة الإيمان (٥) ابن عاشور (٦) فقال : " ومعنى زيادة الإيمان : قوَّة اليقين في نفس الموقن على حسب شدَّة الاستغناء عن استحضر الأدلَّة في نفسه ، وعن إعادة النظر فيها ، ودفع الشكِّ العارض للنفس ، فإنه كلما كانت الأدلَّة أكثر وأقوى وأجلى كان اليقين أقوى ، فتلك القوَّة هي المعبر عنها بالزيادة ، وتفاوتها تدرُّج في الزيادة " . اهـ (٧) .

(١) سبق ترجمته في ص ٤٨ .

(٢) التعاريف : ٣٩١ نقلاً عن الحرالي .

(٣) سبق ترجمته في ص ٣ .

(٤) المفردات (مادة : زاد) : ٢١٥ . بتصريف .

(٥) حديث : " الإيمان يزيد وينقص " . قال العجلوني : " رواه أحمد عن معاذ بن جبل . قال القاري نقلاً عن الفيروزبادي أنه قال في كتابه " الصراط المستقيم " : الحديث المشهور : " أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص " . وكذا حديث : " الإيمان لا يزيد ولا ينقص " . كل صحيح . انتهى . وأقول لكن معنى الأول صحيح وجرى عليه المحدثون ؛ حتى قال البخاري : كتبت عن ألف شيخ وثمانين ليس فيهم إلا صاحب حديث كلهم يقولون : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص . انتهى . وهو مذهب الأشعري . وأما حديث : " الإيمان لا يزيد ولا ينقص " . فقد رواه محمد بن كدام عن سفيان بن عيينة وعن الزهري عن ابن عمر لكنه موضوع ؛ فقد نقل الزركشي عن البخاري أنه سئل عنه ، فكتب على ظهر كتاب ابن كدام : من حدَّث بهذا استوجب الضرب الشديد والحبس المديد . انتهى . لكن جرى عليه كثيرون كالحنفية ، وجعلوا في حديث : " الإيمان يزيد وينقص " الزيادة اشراقاً والنقصان ضده " . اهـ . وقال صاحب المنار المنيف : " وكلُّ حديث فيه أنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص فكذب مختلق . وقابل من وضعها طائفة أخرى فوضعوا أحاديث على رسول الله ﷺ أنه قال : " الإيمان يزيد وينقص " . وهذا كلام صحيح وهو إجماع السلف . حكاه الشافعي وغيره ، ولكن هذا اللفظ كذب على رسول الله ﷺ ، وهذا مثل إجماع الصحابة أهل السنة وأئمة الفقه على أنَّ القرآن كلام مخلوق ، وليست هذه الألفاظ حديثاً عن رسول الله ﷺ ومن روى ذلك عنه فقد غلط " . اهـ . هذا ولم أقف على الحديث - كما قال العجلوني - في مسند الإمام أحمد - رحمه الله - .

انظر : المنار المنيف لمحمد بن أبي بكر الخنبلي الدمشقي : ١ / ١١٩ ، كشف الحفاء : ١ / ٢٢ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٣٠٩ .

(٧) التحرير والتنوير : ٩ / ١٧ .

فزيادة الإيمان بثبات اليقين بالله تعالى ، وازدياد الاطمئنان ، وإظهار الحمية للإسلام وإخلاص النية عنده ، وازدياد اليقين بالإلف وكثرة التأمل ، وتناصر الحجج مما لا ريب فيه (١) .

مجالات زيادة الإيمان :

زيادة الإيمان تشمل :

أولاً : الزيادة في أصل اليقين والإيمان واطمئنان القلب المؤثر في الوجدان :

كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٣] . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٢] . وقال الله ﷻ : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [سورة الفتح : ٤] . وهذا الإيمان المزيد حال للقلب وصفة له وعمل مثل طمأننته وسكونه ويقينه ، واليقين قد يكون بالعمل والطمأنينة كما يكون بالعلم .

ثانياً : زيادة الإيمان بزيادة متعلقاته :

وهي المسائل التي يؤمن بها المؤمن والتي يعبر عنها بـ " شعب الإيمان " ، وهذه لا يمكن أن تتلقى إلا بالتدرج ، فكلما تلقى المؤمن منها مسألة ازداد إيماناً ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١٢٤] . وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بأن الله أنزلها ، بل زادتهم إيماناً بحسب متعلقها ، فإن كانت أمراً بالصلاة أو غيرها ازدادوا رغبةً ، وإن كانت نهيًا عن شيء اجتنبوه وكرهوه ، ولهذا قال : ﴿ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ . والاستبشار غير مجرد التصديق . وقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

(١) انظر : تفسير البيضاوي : ١١٦ / ٢ ، تفسير أبي السعود : ١١٤ / ٢ .

عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴿ [سورة الأنفال : ٢] . فهذه زيادةٌ إذا تليت عليهم الآيات ، أي وقت تليت ، وليس هو تصديقهم بها عند التُّزول ، وهذا أمر يجده المؤمن إذا تليت عليه الآيات زاد إيمانه بفهم القرآن وتدبره ومعرفة معانيه ، ويحصل في قلبه من الرِّغبة في الخير والرَّهبة من الشَّرِّ ما لم يكن ؛ فزاد علمه بالله ومحَبَّته لطاعته ، وهذا زيادة الإيمان .

ثالثاً : **وزيادة الإيمان في أثره** : من العلم والتقرب إلى الله (١) .

البرُّ سبب زيادة الإيمان :

ولزيادة الإيمان أسباب أربعة :

الأول : معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ؛ فإنه كلما ازداد الإنسان معرفة بالله وأسمائه وصفاته ازداد إيمانه .

الثاني : النظر في آيات الله الكونية والشرعية ، وفي آيات القرآن الكريم ، وهذان السببان من برِّ الإيمان بالله ﷻ (٢) .

الثالث : كثرة الطاعات وإحسانها ، والمسارة في الخيرات ، والقيام بأعمال البرِّ ، لأنَّ الأعمال داخلةٌ في الإيمان ، وإذا كانت داخلةً فيه لزم من ذلك أن يزيد الإيمان بكثرتها .

الرابع : ترك المعصية تقرباً إلى الله ﷻ ، لأنَّ الإيمان ينقص بالمعصية ، وتركها سببٌ في زيادة الإيمان من باب العمل بالضدِّ (٣) .

قال النووي (٤) :

" إنَّ التَّصديق يكمل بالطاعات كلِّها ، فما ازداد المؤمن من أعمال البرِّ كان إيمانه أكمل وبهذه الجملة يزيد الإيمان ، وبنقصانها ينقص ، فمضى نقصت أعمال البرِّ نقص كمال الإيمان ومتى زادت زاد الإيمان كمالاً " . اهـ (٥) .

(١) الإيمان لابن تيمية : ١٦٤ - ١٦٦ ، تفسير المنار : ١١ / ٨٣ ، ٤ / ٢٤٢ ، ٢٤٣ . يتصرف يسير .

(٢) وهذا ما بيَّنته في الباب الأول في فصل البرِّ في الإيمان ، مبحث الإيمان بالله ﷻ ، انظر : ص ٤٠ - ٤٢ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين : ٢ / ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٤) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم : ١ / ١٤٦ .

إنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَّافِلِ وَأَعْمَالِ الْبِرِّ ، وَأَدَاءِ الطَّاعَاتِ عَلَى أُمَّتِهِ وَجْهٌ وَأَكْمَلُهُ لِيَزِيدَ مَنْ يَقِينُ الْعَبْدَ وَتَعَلَّقَهُ بِمَوْلَاهُ ، فَمَنْ آثَرَ الْبِرَّ فِي الدُّنْيَا مَحَبَّةَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ وَزِيَادَةَ الْإِيمَانِ ، وَبِالْإِيمَانِ يَعِيشُ الْعَبْدُ مَطْمَئِنًّا سَعِيدًا هَانِفًا ؛ وَإِنْ حُرِّمَ مِنْ رِفَاهِيَةِ الْحَيَاةِ وَمِلذَاتِ الدُّنْيَا ، وَقَلَّ مَا فِي الْيَدِ فَيَقِينُهُ وَإِيمَانَهُ يَضْفِيَانِ عَلَى نَفْسِهِ مَشَاعِرَ الْأَنْسِ وَالرِّضَا ؛ فَلَا يَفْرَحُ بِقَادِمٍ ، وَلَا يَحْزَنُ عَلَى فَائِتٍ ، وَإِنْ اسْتَوْحَشَ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ فَأَنَسَهُ وَمَنَاجَاتِهِ لِرَبِّهِ وَخَالَقَهُ لِيَغْمِرَانَ قَلْبَهُ بِفَيْضٍ مِنَ النُّورِ ، وَعَبَقُ ^(١) مِنَ السُّرُورِ وَشَفَافِيَةِ الرُّوحِ ؛ وَالَّتِي لَا يَكَادُ يَسْلُوهَا مِنْ تَذَوُّقِ طَعْمِهَا .. رَزَقَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ حَلَاوَةَ طَاعَتِهِ وَلَذَّةَ مَنَاجَاتِهِ .



(١) عَبَقَ : عَبَقَ بِهِ عَبَقًا وَعَبَاقِيَةً مِثْلَ ثَمَانِيَةِ : لَزِمَهُ ، وَعَبَقَتِ الرَّائِحَةُ فِي الشَّيْءِ عَبَقًا وَعَبَاقِيَةً : بَقِيَتْ ؛ وَعَبَقَ الشَّيْءُ بَقْلِي : كَذَلِكَ عَلَى الْمَثَلِ . وَرِيحٌ عَبِقٌ : لَاصِقٌ . انظر : المقاييس ، كتاب العين ، باب العين مع الباء (مادة : عبق) : ٧٣١ ، لسان العرب (مادة : عبق) :

المبحث الثاني

البرُّ سبب الطمأنينة وانشرح الصدر في الحياة الدنيا

إنَّ قلوب الأبرار لتطمئنُّ بإحساسها بالقرب من الله ، والأنس بذكره ، تطمئنُّ إلى حكمة الله وتديبره للأمر وتركن إليه ، فأعمال البرِّ تشرح الصدر وتسكب في النفس الرضى وتركيبها ، فتطمئن إلى رحمة الله في مواجهة مصاعب الحياة . وإنَّ هناك لحظات ضعف يمرُّ بها كلُّ إنسان ، ولن يصمد إلاَّ من لاذ بحمى مولاه مهما أوتي من القوة والصلابة والثبات فالأتقياء هم المطمئنون بالله .

أولاً : البرُّ سبب الطمأنينة في الحياة الدنيا :

الطمأنينة لغة :

الطاء والميم والنون أصل بزيادة همزة . يقال : اطمأنَّ يطمئنُّ اطمئناناً وطمأنينة ؛ أي سكن وطمأنت منه : سكنت . والطمأنينةُ : السُّكُونُ (١) .

الطمأنينة اصطلاحاً :

هي : " السكون بعد الانزعاج " (٢) .

أو : " الهدوء والسكون على سواء الخلقه واعتدال الخلق " (٣) .

وقال صاحب المنازل (٤) : " الطمأنينة : سكون يقويه أمنٌ صحيحٌ شبيه بالعيان " (٥) .

(١) انظر : المقاييس ، كتاب الطاء ، باب الطاء والميم وما يثلثهما (مادة : طمن) : ٦٢٤ ، لسان العرب (مادة : طمن) :

٢٦٨ / ١٣ .

(٢) المفردات (مادة : طمن) : ٣١٠ .

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف : ٤٨٥ ، نقلا عن الحرالي .

(٤) هو عبد الله الأنصاري الهروي ، صاحب كتاب (منازل السائرين) ، ت سنة ٤٨١ هـ .

(٥) منازل السائرين : ٨٥ .

الفرق بين الطمأنينة والسكينة :

إنَّ بين الطمأنينة والسكينة فرقين :

أحدهما : أنَّ السَّكِينَةَ صولة تورث خمود الهيبة أحياناً ، والطمأنينة سكون أمنٍ في استراحة أنس .

والثاني : أنَّ السَّكِينَةَ تكون نعتاً ، وتكون حيناً بعد حين ، والطمأنينة نعت لا يزايل صاحبه . ومن ثمَّ تكون الطمأنينة موجب السَّكِينَةَ وأثراً من آثارها ، وكأنَّها نهاية السَّكِينَةَ (١) .

النفس المطمئنة :

قال الرَّاغِب (٢) : " النفس المطمئنة : هي أن لا تصير أمانة بالسوء " (٣) .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ^(٤) أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ . [سورة الرعد : ٢٨] . تنبيهاً على أن بمعرفة تعالى والإكثار من عبادته يُكتسب اطمئنان النفس (٥) .

والاِطمئنان هو : الاستقرار والثبات ، وطمأنينة القلوب هي : الاستكانة والسرور بذكر الله والرضى بالثواب عليه ، وجودة اليقين .

والنَّفس المطمئنة فيها أقوال منها :

قال مجاهد (٦) : المطمئنة التي أيقنت أن الله تعالى ربهما ، وصبرت جأشاً لأمره وطاعته .

وقيل : الرَّاضية بقضاء الله تعالى .

وقيل : المطمئنة بذكر الله ، بيانه قوله : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

وقد أجمل ابن كثير (٧) في تعريف النَّفس المطمئنة فقال : " هي السَّاكنة الثَّابتة الدَّائرة مع

(١) منازل السائرين : ٨٥ . وانظر : مدارج السالكين : ٢ / ٥١٤ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٣ .

(٣) المفردات (مادة : طمن) : ٣١٠ .

(٤) وذكر الله نوع من أنواع البرِّ .

(٥) المفردات (مادة : طمن) : ٣١٠ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٧) سبق ترجمته في ص ٥ .

الحقُّ " . اهـ (١) . فلا تكون الطمأنينة إلا للأبرار الأتقياء الذين يدورون مع الحقِّ حيث دار ، ويلتمسون رضی الله في كلِّ قولٍ وكلِّ فعلٍ ، وكلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ ، وينشدون عند أداء كلِّ عملٍ صالحٍ الوجه الأكمل فيه .

وفى كيفية هذا الاستقرار وجوه :

الوجه الأول : أن تكون متيقنة بالحقِّ فلا يخالجه شكٌّ ، وهو المراد من قوله : ﴿ وَلَٰكِن لَّيَطْمَئِنُّ قَلْبِي ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٠] . فهي درجة زائدة على الإيمان وهي أن لا يبقى على النفس في يقينها مطلب يحركها الى تحصيله .

الوجه الثاني : النفس الآمنة التي لا يستفزها خوفٌ ولا حزنٌ ، ويشهد لهذا التفسير قراءة (٢) أبي بن كعب (٣) ﷺ : (يا أيُّها النفس الآمنة المطمئنة) . [سورة الفجر : ٢٧] .

الوجه الثالث : أنها الحب له والأنس به .

وفي قوله تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ قال الزَّجَّاج (٤) : ﴿ أَلَا ﴾ حرف تنبيه وابتداء والمعنى : تطمئنُّ القلوب التي هي قلوب المؤمنين ؛ لأنَّ الكافر غير مطمئن القلب (٥) .

فالقلوب تطمئنُّ بذكره دون غيره ، وتسكن أنساً به ، واعتماداً عليه ، ورجاءً منه ، وقدَّر بعضهم مضافاً ؛ أي : بذكر رحمته ومغفرته ، أو بذكر دلائله الدالة على وحدانيته ، والنَّظَر في مخلوقات الله سبحانه وبدائع صنعه ؛ وإن كان يفيد طمأنينة في الجملة ، لكن ليست كهذه الطمأنينة ، وكذلك النَّظَر في المعجزات من الأمور التي لا يطيقها البشر فليس إفادتها

(١) تفسير ابن كثير : ٤ / ٥١١ .

(٢) هذه قراءة بالغة الشذوذ ؛ لأنها لم ترد ضمن القراءات الأربعة عشر (المتواترة ولا الشاذة) . انظر : إتحاف فضلاء البشر ، سورة الفجر : ٥٨٣ .

(٣) صحابي جليل : انظر : ص ٢٥ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٥٥ .

(٥) انظر : تفسير البغوي : ٤ / ٤٨٦ ، المحرر الوجيز : ٥ / ٤٨١ ، زاد المسير : ٤ / ٣٢٧ ، ٩ / ١٢٣ ، التفسير الكبير : ٣١ / ١٦٠ ، تفسير القرطبي : ٢٠ / ٥٧ ، تفسير الثعالبي : ٢ / ٢٧١ ، تفسير أبو السعود : ٩ / ١٥٨ .

للمطمأنينة كإفادة ذكر الله ، فهذا وجه ما يفيد هذا التركيب من القصر ، والعدول إلى صيغة المضارع لإفادة دوام الاطمئنان واستمراره (١) .

قال ابن عاشور (٢) : " والاطمئنان يكون بطيب النفس ويقينها بالاعتقاد الصحيح ؛ فهم أيقنوا في الدنيا بأن ما جاءت به الرُّسل حقٌّ ، فذلك اطمئنان في الدنيا ، ومن أثره اطمئنانهم يوم القيامة حين يرون بشارات الرضى والسعادة ، ويرون ضدَّ ذلك نحو أهل الشقاء . وقد فُسرَّ الاطمئنان : بيقين وجود الله ووحدايته ، وفُسرَّ باليقين بوعد الله ، وبالإخلاص في العمل ، ولا جرم أن ذلك كله من مقومات الاطمئنان ، وفُسرَّ بتبشيرهم بالجنة ، أي : قبل ندائهم ، ثم نُودُوا بأن يدخلوا الجنة " اهـ (٣) .

ولكن ما وجه الجمع بين الشناء عليهم بالوجل الذي هو الخوف عند ذكره ﷻ في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ... ﴾ . [سورة الحج : ٣٥] . مع الشناء عليهم بالطمأنينة بذكره ، والخوف والطمأنينة متنافيان ؟ .

إنَّ وجل القلوب عند ذكر الله ؛ أي : خوفها من الله عند سماع ذكره لا ينافي ما ذكره ﷻ من أن المؤمنين تطمئن قلوبهم بذكر الله ، كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ . [سورة الرعد : ٢٨] . ووجه الجمع من وجوه :

الأول : هو أن الطمأنينة بذكر الله تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد ، وصدق ما جاء به الرسول ﷺ ، فطمأنتهم بذلك قوياً ؛ لأنها لم تنطرقها الشكوك ولا الشبه ، والوجل عند ذكر الله تعالى يكون بسبب خوف الزيغ عن الهدى ، وعدم تقبل الأعمال ، كما قال تعالى عن الراسخين في العلم : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ . [سورة آل عمران : ٨] . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ . [سورة المؤمنون : ٦٠] .

(١) انظر : تفسير أبي السعود : ٢٠ / ٥ ، فتح القدير : ٣ / ٨١ ، محاسن التأويل : ٩ / ٣٦٠ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٣٠٩ .

(٣) التحرير والتنوير : ٣٠ / ٣٠٣ .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ . [سورة الزمر : ٢٣] . فصفة السُّعداء أن يحصل لهم عند ذكر الله نوعٌ من الوجل والخوف ، كما قال تعالى عن المحبتين : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ . [سورة الحج : ٣٥] . ثم إذا قويت هذه الحالة حصلت الطمأنينة في ذكر الله تعالى ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ . [سورة الرعد : ٢٨] .

الثاني : الوجل يكون عند ذكر الوعيد والعقاب ، والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدّة حسابه ، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وكرمه (١) .

درجات الطمأنينة :

الطمأنينة على ثلاث درجات منها :

الدرجة الأولى : طمأنينة القلب بذكر الله ، وهي طمأنينة الخائف إلى الرجاء ، والضَّحَر إلى الحكم ، والمبتلى إلى المثوبة .

لأن الخائف إذا طال عليه الخوف واشتدَّ به ، وأراد الله عزَّ وجلَّ أن يريجه ، ويحمل عنه أنزل عليه السكينة فاستراح قلبه إلى الرجاء واطمأنَّ به ، وسكن لهيب خوفه .

وأما طمأنينة الضَّحَر إلى الحكم ، فالمراد بها : أن من أدركه الضَّحَر من قوَّة التكليف وأعباء الأمر وأثقاله ، ولا سيما من أقيم مقام التبليغ عن الله ، ومجاهدة أعداء الله ، وقطاع الطريق إليه ، فإنَّ ما يحمله ويتحمَّله فوق ما يحمله الناس ويتحمَّلونه ، فلا بدَّ أن يدركه الضَّحَر ويضعف صبره ، فإذا أراد الله أن يريجه ويحمل عنه : أنزل عليه سكينةً ، فاطمأنَّ إلى أمر الله وقدره .

وأما طمأنينة المبتلى إلى المثوبة ، فلا ريب أن المبتلى إذا تذكَّر الأجر والثواب سكن قلبه واطمأنَّ بمشاهدة العوض ، وإنما يشتدُّ به البلاء إذا غاب عنه ملاحظة الثواب .

(١) انظر : تفسير البغوي : ٣ / ١٨ ، التفسير الكبير : ١٩ / ٣٩ ، ٤٠ ، أضواء البيان : ٥ / ٢٥٩ .

الدرجة الثانية : طمأنينة الروح في الشوق إلى ما وُعدت به بحيث لا تلتفت إلى ما وراءها وهذا شأن كلٍّ مشتاق إلى محبوب وُعد بحصوله ، إنما تحدث الطمأنينة بسكون نفسه إلى وعد اللقاء والعلم بحصول الموعود به (١) .

ثانياً : البرُّ سبب انسراح الصدر في الحياة الدنيا :

الشرح لغة :

شرح : الشين والراء والحاء أصل يدلّ على الفتح والبيان ، من ذلك شرحت الكلام وغيره شرحاً ، إذا بيّنته ، واشتقاقه من تشريح اللحم . و الشَّرْحُ : الكَشْفُ ؛ يقال : شَرَحَ فلان أمره أي أوضحه ، وشَرَحَ مسألة مشكلة : بَيَّنَّهَا ، وشَرَحَ الشيء يَشْرُحُهُ شَرْحاً وشَرَّحَهُ : فتحه وبيّنه وكشّفه . تقول : شَرَّحْتُ العَامِضَ إِذَا فَسَّرْتَهُ . و شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لقبول الخير ؛ يَشْرُحُهُ شَرْحاً فَأَنْشَرَخَ : وَسَّعَهُ لقبول الحق فأنَّسَعَ . قال ابن الأعرابي (٢) : الشَّرْحُ الحفظ ، والشَّرْحُ الفتح ، والشَّرْحُ البيان ، والشَّرْحُ الفَهْمُ (٣) .

أهل الهدى والإيمان لهم شرح الصدر :

قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [سورة الزمر : ٢٢] .
إنَّ شرح الصدر هو الانسراح والارتياح ، وهذه حالة نتيجة استقرار الإيمان والمعرفة والنور والحكمة ، وفي الكلام محذوف يدلُّ الظاهر عليه ، تقديره : أفمن شرح الله صدره كالقاسي القلب المعرض عن أمر الله ، وشرح الصدر استعارة لتحصيله للنظر الجيّد والإيمان بالله والنور هداية الله تعالى وهي أشبه شيء بالضوء ، قال السُّدِّي (٤) : وَسَّعَ اللَّهُ صدره

(١) انظر : منازل السائرين : ٨٥ ، ٨٦ ، مدارج السالكين : ٢ / ٥١٦ - ٥١٨ .

(٢) سبق ترجمته في ص ١١٥ .

(٣) انظر : المقاييس ، كتاب الشين ، باب الشين والراء وما يثلثهما (مادة : شرح) : ٥٥٩ ، لسان العرب (مادة : شرح) :

٢ / ٤٩٧ ، ٤٩٨ .

(٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي : تابعي ، من الطبقة الثالثة من التابعين ؛ وهم طبقة الزهري وقتادة وأبي الزبير ، حجازي الأصل سكن الكوفة ، قال فيه ابن تغري بردي : " صاحب التفسير والمغازي والسِّير ، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس " .

ت سنة ١٢٧ هـ . انظر : الطبقات الكبرى : ٦ / ٣٢٣ ، الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي

القزويني : ١ / ٣٩٧ ، سير أعلام النبلاء : ٥ / ٢٦٤ ، النجوم الزاهرة : ١ / ٣٠٨ .

للإسلام للفرح به والطمأنينة إليه .

ولم يشرح الله صدر أحد من العالمين كما شرح صدره ﷺ ؛ حتى وسع علوم الأولين والآخرين (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ تَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٥] . فأهل الهدى والإيمان في الثور ولهم شرح الصدر واتساعه وانفساحه ، وأهل الضلال في الظلمة ولهم ضيق الصدر والخرج ، وإن التوسّع في عمل الخير والإكثار من الأعمال الصالحة ليكسب النفس طمأنينة وانسراحاً ، وعلامة هذا انسراح الصدر لمنازل الإيمان وانفساحه ، وطمأنينة القلب لأمر الله ، والإنابة إلى ذكر الله ومحبته ، والفرح ببلقائه ، والتجافي عن دار الغرور (٢) ، كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : تلا رسول الله ﷺ : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ . فقال رسول الله ﷺ : " إِنَّ الثَّورَ إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ انْفَسَحَ " . فقيل : يا رسول الله ، هل لذلك من علم يُعرف ؟ قال : " نعم . التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله " (٣) .

فذكر ﷺ خصلاً ثلاثة ، ولا شك أن من كانت فيه هذه الخصال فهو الكامل الإيمان ، فإن الإنابة إنما هي من أعمال البرّ ؛ لأن دار الخلود إنما وضعت جزاءً لأعمال البرّ ، فالجنة جزاء الأعمال ، ومداومة العبد على القيام بأعمال البرّ هو دليل إنابته إلى دار الخلود ، وإذا خمد حرصه عن الدنيا ولها عن طلبها ، وأقبل على ما يغنيه منها فاكتمى به وقنع فقد تجافى عن دار الغرور ، وإذا أحكم أموره بالتقوى فكان ناظراً في كل أمر واقفاً متأدباً متثبتاً حذراً يتورّع عما يريه إلى ما لا يريه ، فقد استعدّ للموت ، فهذه علامته في الظاهر ، وذلك لتذكره للموت دائماً ، ويقينه بأن الدنيا دار الغرور ، وذلك بالثور الذي ولج القلب (٤) .

(١) انظر : المحرر الوجيز : ٤ / ٥٢٧ ، تفسير أبي السعود : ٧ / ٢٥٠ ، فتح القدير : ٤ / ٤٥٨ ، أضواء البيان : ٨ / ٥٧٣ .

(٢) انظر : إغاثة اللفهان : ١ / ٢٣ ، مفتاح دار السعادة : ١ / ١٤٩ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الرقاق (٧٨٦٣) : ٤ / ٣٤٦ . وذكره عامّة المفسّرين عند تفسير هذه الآية

الكریمة من سورة الأنعام . قال الذهبي : عدي بن الفضل ساقط .

(٤) تفسير القرطبي : ١٥ / ٢٤٧ ، ٢٤٨ . بتصرف يسير .

قال ابن القيم (١) :

" إنَّ الله تعالى يجزي المحسن بإحسانه جزاءين ؛ جزاء في الدنيا وجزاء في الآخرة ، فالإحسان له جزاء معجَّل ولا بدَّ ، والإساءة لها جزاء معجَّل ولا بدَّ ، ولو لم يكن إلا ما يجازي به المحسن من انشراح صدره في انفساح قلبه ، وسروره ، ولذاته بمعاملة ربه ﷻ وطاعته وذكره ، ونعيم روحه بمحبَّته وذكره ، وفرحه برَّبِّه ﷻ أعظم ممَّا يفرح القريب من السُّلطان الكريم عليه بسُلطانه " . اهـ (٢) .

وقال ابن تيمية (٣) : " البرُّ والتقوى ييسط النفس ويشرح الصِّدر ؛ بحيث يجد الانسان في نفسه اتساعاً وانسباطاً عما كان عليه قبل ذلك ، فإنه لما اتسع بالبرِّ والتقوى والإحسان بسطه الله وشرح صدره " . اهـ (٤) .

ازدياد شرح الصِّدر بكثرة أعمال الخير :

وكلما كان العبد برِّه أعرف ، ولطاعته أَدوم ، ولأعمال البرِّ أكثر ، كلما زاد انشراح صدره وصفاء قلبه في الدنيا ، وزاد مُلكه في الآخرة .

قال أبو حامد الغزالي (٥) :

" وتكون سعة ملكه في الجنَّة بحسب سعة معرفته ، وبمقدار ما تجلَّى له من الله تعالى وصفاته وأفعاله ، وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كُلِّها تصفية القلب وتزكيتة وجلأؤه ، ومراد تزكيتة حصول أنوار المعارف فيه ، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ . [سورة الأنعام : ١٢٥] . وبقوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ﴾ . [سورة الزمر : ٢٢] . نعم هذا له مراتب فيها تتفاوت العلماء والحكماء وكلُّ واحدٍ له مقدار معلوم ، وغايته درجة الأنبياء الذين تتلأأ أنوار الحقائق في قلوبهم

(١) سبق ترجمته في ص ٦ .

(٢) الوابل الصَّيْب : ٦٩ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٤) الزهد والورع والعبادة : ٦٢ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٥٣ .

وينكشف لهم أسرار الملك والملكوت في صفائح أرواحهم على أتمّ ظهور وأجلى بيان " . اهـ (١) .

" وكان ﷺ إذا جاءه مالٌ من فيءٍ ، أو غنيمةٍ ، أو خراجٍ لم يبيته ولم يقيه ؛ أي : إن جاءه آخر النهار لم يمسه إلى الليل ، أو جاءه أوله لم يمسه إلى القائلة ؛ بل يعجل قسمته وكان هديه يدعو إلى تعجيل الإحسان والصدقة والمعروف ، ولذلك كان أشرح الخلق صدراً ، وأطيبهم نفساً ، وأنعمهم قلباً ، فإن للصدقة والبذل تأثيراً عجيباً في شرح الصدر " (٢) .

ومن قام بأعمال الخير ولم يجد انشراحاً في صدره وطمأنينة في قلبه فليتهم نفسه ، وليحاسب نفسه خشية أن يكون عمله لم يتغ فيه وجه الله ؛ لأن الله قد وعد عبده المؤمن بشرح صدره للإسلام ووعدته حقاً .

قال ابن تيمية (٣) : " إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحاً فأتهمه ؛ فإن الرب تعالى شكور ، يعني أنه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة انشراح وقرّة عين ، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول " . اهـ (٤) .

وهكذا نجد لعمل البرّ طمأنينة في القلب وانشراحاً في الصدر وفرحاً ، خاصة إن كان عمل الخير فيه إدخال سرور على قلب محزون ، عندها يكون الجزاء من جنس العمل ، بقدر ما أدخلت الفرح والانشراح على قلب مكروب يملأ الله قلبك فرحاً وحبوراً وانشراحاً فالطاعات لها أثرٌ عجيبٌ على النفس البشرية ، وسبحانه من إله .. يأمرنا بطاعته ، ويحثنا على فعل الخير ليقوم نفوسنا ويشرح صدورنا ، والأبرار لهم النصيب الأكبر من ذلك لأنهم يسارعون في الخيرات ، ويكثرون من الطاعات .



(١) معارج القدس لأبي حامد الغزالي : ٩٧ .

(٢) فيض القدير : ١١٨ / ٥ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٤) نقل هذا القول ابن القيم عن ابن تيمية ، انظر : مدارج السالكين : ٦٨ / ٢ .

المبحث الثالث

البرُّ سببٌ للحياة الطيبة في الحياة الدنيا

إنَّ المؤمنَ يحرص على القيام بالأعمال الصالحة ويتوسَّع في أعمال الخير ، يتغني في ذلك كله مرضاة ربه ، وليفوز بالمنازل العالية في الجنة بجوار الحبيب المصطفى ﷺ ، ومن كرم الله على عباده الأبرار أن أعطاهم ثواب الدنيا قبل ثواب الآخرة ، قال تعالى بعد أن ذكر حال المؤمن الصابر : ﴿ فَفَاتَتْهُمْ اللَّهُ ثَوَابِ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابِ الآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٨] . ووعد الله المؤمن المقبل على طاعته ، المتقرب إليه بالنوافل بعد الفرائض بالحياة الطيبة .

قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل : ٩٧] .

أين تكون الحياة الطيبة ؟ :

اختلف العلماء أين تكون هذه الحياة الطيبة في هذه الآية الكريمة على ثلاثة أقوال :

المقول الأول : الحياة الطيبة هي حياة تكون في البرزخ ، فقد جاء في الحديث : " إنما القبر روضةٌ من رياض الجنة ، أو حفرةٌ من حفر النار " (١) . (٢)

المقول الثاني : الحياة الطيبة في الجنة ، وهو قول غير واحد من السلف (٣) .

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ٢٦ (٢٤٦٠) : ٤ / ٦٣٩ . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٢) انظر : زاد المسير : ٤ / ٤٨٩ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ٩١ ، روح المعاني : ١٤ / ٢٢٦ .

(٣) وهو قول مجاهد وقتادة والحسن البصري ، انظر : تفسير السمعي : ٣ / ٢٠٠ ، تفسير السمرقندي : ٢ / ٢٩٠ ، تفسير البغوي :

٣ / ٨٤ ، زاد المسير : ٤ / ٤٨٩ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ٩١ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٧٤ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ١٦١

تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٨٦ ، فتح القدير : ٣ / ١٩٣ ، روح المعاني : ١٤ / ٢٢٦ ، أضواء البيان : ٢ / ٤٤٠ .

قال الحسن (١) : لا تطيب الحياة لأحدٍ إلا في الجنة . وقال : وليس في الدنيا حياة طيبة . فالحياة الطيبة في الجنة ؛ إذ هناك حياة بلا موت ، وغنى بلا فقر ، وصحة بلا سقم ، وملك بلا هلاك ، وسعادة بلا شقاوة ، والدنيا لا تخلو من المصائب والأكدار والأمراض والآلام والأحزان ونحو ذلك . وقد قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ أَلْدَارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . [سورة العنكبوت : ٦٤] . والمراد بالحيوان : الحياة . أي الحياة الكاملة . وقال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ ﴾ . [سورة الانشقاق : ٦] . فبين ﷺ أن هذا الكدح باقٍ إلى أن يصل المرء إلى ربه ، وثبت أن الحياة الطيبة ليست إلا تلك الحياة .

وتفسير الحياة الطيبة بما يكون في الجنة سالمٌ عن هذا القيل والقال ، ويراد بها ما سلمت من توهم الموت والهم ، وحلول الغم والسقم ، فيكون قوله تعالى : ﴿ فَلَنَحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً ﴾ إشارةً إلى درء المفساد (٢) .

القول الثالث : الحياة الطيبة في الدنيا ، وهو مروى عن ابن عباس (٣) وهو قول أكثر المفسرين (٤) .

والظاهر من قوله تعالى : ﴿ فَلَنَحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً ﴾ أن ذلك في الدنيا ، وهو قول الجمهور ويدل عليه قوله : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ ﴾ يعني في الآخرة (٥) .

وهذا المعنى الذي قال به الجمهور تؤيده السنة الثابتة عنه :

قال ﷺ : " إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة ؛ يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة ، وأما

(١) هو الحسن البصري : سبق ترجمته في ص ٥٢ .

(٢) انظر : روح المعاني : ١٤ / ٢٢٨ .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٤) قاله الطبري ، وابن عطية ، والفخر الرازي ، والبيضاوي ، وابن كثير ، والسيوطي ، وأبو السعود ، والشوكاني ، والألوسي والشنقيطي ، انظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٧٢ ، المحرر الوجيز : ٣ / ٤١٩ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ٩٠ ، تفسير البيضاوي :

٣ / ٤١٩ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٨٦ ، الدر المنثور : ٥ / ١٦٤ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٣٩ ، فتح القدير : ٣ / ١٩٣ ، روح

المعاني : ١٤ / ٢٢٧ ، أضواء البيان : ٢ / ٤٤١ .

(٥) انظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ٩٠ ، فتح القدير : ٣ / ١٩٣ ، أضواء البيان : ٢ / ٤٤١ .

الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا ؛ حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها " (١) .

وهذا الحديث ظاهرٌ في ترجيح القول بأن الحياة الطيبة في الدنيا لأن قوله ﷺ : " يعطى بها في الدنيا " يدل على ذلك ، وقد ذكر ابن كثير (٢) الحديث المذكور لينبه على أنها ترجح أن الحياة الطيبة تكون في الدنيا ، والعلم عند الله تعالى (٣) .

ولا ضير من أن تكون حياة المؤمنين الأبرار طيبة في الدنيا وفي البرزخ وفي الجنة ، فطيب حياتهم في الدنيا يلحقه تبعاً طيب الحياة في البرزخ وفي الجنة ، فهم في قبورهم مطمئنين وعند قيام الأشهاد آمنين ، ولهم في الجنة ماتشتهي أنفسهم ، قال تعالى : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ . [سورة الزخرف : ٧١] .

قال ابن القيم (٤) :

" ولا تظن أن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ . [سورة الانقطار : ١٣ ، ١٤] . يختص بيوم المعاد فقط ؛ بل هؤلاء في نعيمٍ في دورهم الثلاثة ، وهؤلاء في جحيمٍ في دورهم الثلاثة ، وأيُّ لذةٍ ونعيمٍ في الدنيا أطيب من برِّ القلب ، وسلامة الصدر ومعرفة الربِّ تعالى ومحَبَّته والعمل على موافقته ، وهل عيشٌ في الحقيقة إلا عيش القلب السليم؟! وقد أثنى الله تعالى على خليفه ﷺ بسلامة القلب ، فقال : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ . [سورة الصافات : ٨٣ ، ٨٤] . وقال حاكياً عنه أنه قال : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ ﴿ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ . [سورة الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] . " (٥) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا

(٢٨٠٨) : ٤ / ٢١٦٢ . عن أنس بن مالك ﷺ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٣) انظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ٩١ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٨٦ ، فتح القدير : ٣ / ١٩٣ ، أضواء البيان : ٢ / ٤٤٠ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٦ .

(٥) الجواب الكافي : ٨٤ .

والحياة الطيبة في الدنيا تشمل وجوه الرّاحة من أي جهة كانت ^(١) . وابتدئ الوعد بإسناد الإحياء إلى ضمير الجلالة تشریفاً له ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ ﴾ كأنه قيل : فله حياة طيبة منّا . والطيب : ما يطيب ويحسن . وضد الطيب : الخبيث والسيء ^(٢) .

المراد بالحياة الطيبة :

للمفسرين في المراد بالحياة الطيبة أقوال منها :

- القناعة .
- الرزق الحلال .
- السعادة .
- العمل بالطاعة مع انشراح الصدر .
- رزق يوم بيوم .
- حلاوة الطاعة .
- العافية والكفاية ^(٣) .

قال ابن كثير ^(٤) : " والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله " . اهـ ^(٥) .
وقد رجّح الطبري ^(٦) قول من قال : معناه : فلنحيينه حياة الطيبة بالقناعة ، وذلك أن من فنّعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تبعه ، ولم يعظم فيها نصبه ، ولم يتكدر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها ، وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها .

(١) قاله ابن كثير ، انظر : تفسير ابن كثير : ٥٨٦ / ٢ .
(٢) انظر : المقاييس ، كتاب الطاء ، باب الطاء والياء وما يثلثهما (مادة طيب) : ٦٢٩ ، لسان العرب نقلاً عن الصحاح (مادة : طيب) : ٥٦٣ / ١ ، التحرير والتنوير : ٢٢٠ ، ٢١٩ / ١٣ .
(٣) انظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٧٠ ، ١٧١ ، تفسير السمعي : ٣ / ٢٠٠ ، تفسير البغوي : ٣ / ٨٣ ، ٨٤ ، زاد المسير : ٤ / ٤٨٩ ، التفسير الكبير : ٢٠ / ٩٠ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ١٧٤ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ١٦١ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٥٨٦ ، الدر المنثور : ٥ / ١٦٤ ، فتح القدير : ٣ / ١٩٣ ، روح المعاني : ١٤ / ٢٢٧ ، أضواء البيان : ٢ / ٤٤١ .
(٤) سبق ترجمته في ص ٥ .
(٥) تفسير ابن كثير : ٥٨٦ / ٢ .
(٦) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

ورجَّح ذلك بدلالة السِّيَاق القرآني (١) ؛ حيث توعدَّ سبحانه قوماً قبلها على معصيتهم إيَّاه إن عصوه أذاقهم السُّوء في الدنيا والعذاب في الآخرة ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . [سورة النحل : ٩٤] . فهذا لهم في الدنيا ﴿ وَكُمِّ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . [حتام الآية السابقة] فهذا لهم في الآخرة .

ثم أتبع ذلك بما وعده لمن أوفى بعهد الله وأطاعه ، فقال تعالى : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . [سورة النحل : ٩٦] . فالعوض والثواب من الله في الدنيا باقٍ غير فان ، وفي الآخرة الثواب الجزيل على الوفاء بعهد الله (٢) . فلذلك كانت جزاء الأبرار الحياة الطيبة في الدنيا ، ولهم أحسن الثواب في الآخرة .

وأضاف الطبري احتمال أن تكون الحياة الطيبة أيضاً الرزق الحلال بالمعنى الذي قاله ، من أنه تعالى يقنعه في الدنيا بالذي يرزقه من الحلال وإن قلَّ ، فلا تدعوه نفسه إلى الكثير منه من غير حلِّه ؛ لا أنه يرزقه الكثير من الحلال ، وذلك أن كثيراً من العاملين لله تعالى بما يرضاه من الأعمال لم يرزقوا الرزق الكثير من الحلال في الدنيا ، وظهر ضيق العيش عليهم أغلب من السَّعة (٣) .

وقد كان من دعائه ﷺ :

- " اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي ، وَبَارِكْ لِي فِيهِ ، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ " (٤) .
- " اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قَوْتًا " (٥) .

(١) سبق تعريفها في ص ١٢٠ .

(٢) الآية التي جاءت تمتة لما جاء قبلها ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . [سورة النحل : ٩٥] . تفسير الطبري : ١٤ / ١٧٢ . بتصرف .

(٣) انظر : تفسير الطبري : ١٤ / ١٧٢ .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر (١٨٧٨) : ١ / ٦٩٠ . عن ابن عباس ؓ . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٥) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب الرقاق ، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليتهم من الدنيا (٦٠٩٥) : ٥ / ٢٣٧٢ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الزكاة ، باب فضل التعفف والصبر (١٠٥٥) : ٢ / ٧٣٠ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

وترجيح الطبري إلى حدٍّ ما حسنٌ مختار ؛ لأنه لا يطيب عيش أحدٍ في الدنيا إلاّ عيش القانع وأما الحريص فإنه يكون أبداً في الكدِّ والعناء (١) .

فالمؤمنون الأبرار يعيشون في الدنيا عيشاً طيباً ، أمّا إن كانوا موسرين فظاهر ، وأما إن كانوا معسرين فيطيب عيشهم بالقناعة والرضى بالقسمة ، وتوقع الأجر العظيم ، كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله ، بخلاف الفاجر فإنّه إن كان معسراً فظاهر ، وإن كان موسراً فلا يدعه الحرص وخوف الفوات أن يتهنأ بعيشه (٢) .

وأضاف ابن عاشور (٣) إلى القناعة والرضى بالقسمة رجاءهم بطيب المال ، والصّحة والعافية وعزّة الإسلام ، فقال عن الحياة الطيبة :

" وهذا وعدٌ بخيرات الدنيا ، وأعظمها الرضى بما قسم لهم ، وحسن أملهم بالعاقبة والصحة والعافية ، وعزّة الإسلام في نفوسهم " . اهـ (٤) .

ويقوي ذلك ما ذكره ابن عطية (٥) فقال :

" إن طيب الحياة اللازم للصالحين إنما هو بنشاط نفوسهم وتبليها وقوّة رجائهم ، والرجاء للنفس أمرٌ طيبٌ حسنٌ ، فبهذا تطيب حياتهم ، وأنهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم فإن انضاف إلى هذا مالٌ حلالٌ ، وصحّة أو قناعة فذلك كمال ، وإلاّ فالطيب فيما ذكرناه راتب " . اهـ (٦) .

والحقُّ أن الحياة الطيبة في الدنيا والتي أعدها الله لعباده المتقين الأبرار لتشمل جوانب كثيرة فهي طيبة في شتى مجالاتها ، تطيب بها روح المؤمن ونفسه ، وأهله ، وماله ، وكلُّ صغيرة وكبيرة في حياته ، وقد تكون الحياة طيبة بالمال ، وقد لا يكون معها ؛ ففي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية : فيها الاتّصال بالله والثقة به

(١) ذكره الرّازي نقلاً عن الواحدي . انظر : التفسير الكبير : ٢٠ / ٩٠ .

(٢) أيّد رأي الطبري كلٌّ من : الرمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، وأبو السّعود ، فقد رأوا الحياة الطيبة في القناعة والرضى بالقسمة . انظر : الكشف : ٢ / ٥٩١ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٤١٩ ، تفسير النسفي : ٢ / ٢٧٠ ، تفسير أبي السعود : ٥ / ١٣٩ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٣٠٩ .

(٤) التحرير والتنوير : ١٣ / ٢٢٠ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٢٠٠ .

(٦) المحرر الوجيز : ٣ / ٤١٩ ، بتصريف يسير . وانظر : تفسير الثعالبي : ٢ / ٣٢٢ .

والاطمئنان إلى رعايته وستره ، وفيها انشراح الصدور بصدق اليقين وحلاوة الإيمان والرغبة فيما وعد الله والرضا بالقضاء ، وشفافية الروح وعتقها مما سوى الله ، والاستكانة لخالق السموات والأرض ، وفيها الصّحة والهدوء والرّضى والبركة ، وسكن البيوت ومودّات القلوب ، وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة ، وليس المال إلاّ عنصراً واحداً يكفي منه القليل ، حين يتّصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله (١) مادام أن المعطي هو الله .. من بيده ملكوت كل شيء .. ومن خزائنه ملأى لا تنفذ أبداً .. من يقول للشيء كن فيكون ، ويكفي في تعظيم هذه الحياة الطيبة أن الله أتى بها نكرةً منوّنة (٢) ، ثم وصفها بنكرة أيضاً ، ممّا يدلُّ على تشريف هذه الحياة وطيبها .

قال ابن القيم (٣) :

" من حصل له الهدى - والهدى فيه من برد اليقين وطمأنينة القلب - وذاق طعم الإيمان فوجد حلاوته وفرحة القلب به وسروره والتنعّم به ، ومصير القلب حياً بالإيمان مستنيراً به قوياً به ، قد نال به غذاؤه ورواه وشفاءه وحياته ونوره وقوته ولذته ونعيمه ما هو من أجلّ أنواع التّعيم وأطيب الطيبات وأعظم اللذات . قال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۚ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ . [سورة النحل : ٩٧] . فهذا خير أصدق الصادقين ، ومخبره عند أهله عين اليقين ؛ بل هو حقُّ اليقين ، ولا بدّ لكلّ من عمل صالحاً أن يحياه الله حياة طيبة بحسب إيمانه وعمله ، ولكن يغلط الجفاة الأجلاف في مسمّى الحياة حيث يظنّونها التّعّم في أنواع الماكل والمشارب والملابس والمناكح ، أو لذة الرياسة والمال وقهر الأعداء والتفنّن بأنواع الشهوات ، ولا ريب أنّ هذه لذة مشتركة بين البهائم ، بل قد يكون حظُّ كثيرٍ من البهائم منها أكثر من حظُّ الانسان ، فمن لم تكن عنده لذة إلاّ اللذة التي تشاركه فيها السباع والدواب والأنعام فذلك ممن ينادي عليه من مكان بعيد ، ولكن أين هذه اللذة من اللذة بأمر إذا خالط بشاشته

(١) انظر : محاسن التأويل : ١٠ / ١٥٦ ، الظلال : ٤ / ٢١٩٣ .

(٢) للتكثير أسباب منها : التعظيم ، وهذه الأمور إنما تعلم من القرائن والسِّيَاق . انظر : التّبيان في أقسام القرآن : ٢١ ، ١٣٥

البرهان : ٤ / ٩١ ، ٩٣ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٦ .

القلوب سلى عن الأبناء والنساء والأوطان والأموال والإخوان والمساكن؟! .. ورضى بتركها كلها والخروج منها رأساً ، وعرض نفسه لأنواع المكاره والمشاق ، وهو منشرح الصدر ، حتى أن أحدهم ليتلقى الرمح بصدرة ، ويقول : فزت ورب الكعبة ! . ويستطيل الآخر حياته حتى يلقي قوته من يده ، ويقول : إنها لحياة طويلة إن صبرت حتى آكلها ، ثم يتقدم إلى الموت فرحاً مسروراً . ويقول الآخر مع فقره : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن عليه لجالدونا عليه بالسيف . ويقول الآخر : إنه ليمرُّ بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً . وقال بعض العارفين : إنه لتمرُّ بي أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب " . اهـ (١) .

ووعده الله لعباده المتقين الأبرار بالحياة الطيبة جاء في غير موضع من كتاب الله ، والقرآن يفسر ويؤيد بعضه بعضاً ، فقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ . [سورة الأعراف : ٩٦] . وقوله تعالى عن نبينا ﷺ وقومه : ﴿ وَإِنِ اسْتَغْفِرُوا رَبُّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَّعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ . [سورة هود : ٣] . وقوله لنبينا ﷺ : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِيقَابُ لِلتَّفَوُّي ﴾ . [سورة طه : ١٣٢] . وقوله سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِّن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ . [سورة الطلاق : ٢ ، ٣] . وقوله تعالى : ﴿ وَأَلِّوْا أَسْتَقْنُمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴾ (٢) . [سورة الجن : ١٦] .

فالإيمان وتقوى الله والاستغفار والاستقامة على طاعة الله هو دأب الأبرار، فهم يحرصون على العمل الصالح وعلى رضی ربهم ؛ فيفتح الله عليهم البركات ، بركات من السماء والأرض ، بكل أنواعها وألوانها ، وبكل صورها وأشكالها ، مفتوحة بلا حساب . من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، بركات السماء بالمطر ، وبركات الأرض بالنبات والثمار وكثرة المواشي والأنعام ، وحصول الأمن والسلامة ، والآية توحى بالفيض الغامر الذي يكرم الله

(١) مفتاح دار السعادة : ١ / ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) العَدَقُ : الغين والبدال والقاف أصل صحيح يدل على غزر وكثرة ونعمة ، والغدق : المطر الكثير العام . انظر : المقاييس ، كتاب الغين باب الغين والدال وما يتلثهما (مادة : غدق) : ٨٤٢ ، لسان العرب (مادة : غدق) : ١٠ / ٢٨٢ .

به عباده المؤمنين ، والذي يكون على ما يعهده البشر من الأرزاق والأقوات ، وما لم يعهدونه ويتخيلونه ، فالبركات التي يعد الله بها المؤمنين المتقين ، في توكيدٍ و يقينٍ ألوانها شتى لا يفصلها النص ولا يحددها .

إن البركات الحاصلة مع البرّ والتقوى ، بركاتٌ في الأشياء ، وبركاتٌ في النفوس ، وبركاتٌ في المشاعر ، وبركاتٌ في طيبات الحياة ، بركاتٌ تعمر الأرض وترفع المؤمن لمستوى الإنسانيّة الحقّ ، وليست مجرد خيرات يصحبها انحلال وتردّي في الرذيلة (١) .

إنّ الاستغفار والتوبة جزاؤهما المتاع الحسن في الدنيا ، ولذلك دعانا المولى إليهما ، فهما بدء الطريق للعمل الصالح . والمتاعُ : كل ما يُتَّعُّعُ به من عُروضِ الدنيا قليلها وكثيرها . وذهب بعض أهل التحقيق أن الأصل في التمتع التلذذ ، ومعنى : ﴿ يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا ﴾ أي : يُبَيِّقُكُمْ بَقَاءً فِي عَافِيَةٍ إِلَى وَقْتِ وَفَاتِكُمْ (٢) . فلا ينغص عيش المؤمن كلّ ما ينغص حياة الكفّار ، وذلك أن لتغصيص الحياة في الدنيا وسلب النعم من أهلها أسباباً ترجع جميعها إلى الإصرار على الكفر والذنوب (٣) ، وقد قال تعالى : ﴿ فَأِمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعْ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (٤) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا (٤) . [سورة طه : ١٢٣ ، ١٢٤] .

كما أن تقوى الله ﷻ سببٌ في إيجاد مخرج لجميع الأزمات والمعضلات ، وفتح باب رزقٍ لم يكن في الحسبان ، وهو أحد مقومات الحياة الطيبة التي وعدّها الله للأبرار .

وهذه الآيات كلها تردُّ على مقولة أعداء الإسلام من المنتمين إليه ومن غيرهم ، الزاعمين أن الإسلام - وكذا كل دين سماوي - سببٌ للضعف والفقير ! فالإسلام دين القوة ، ودين الجمال ، وللمؤمنين الحياة الطيبة ، وهم يصمّون المقبلين على دين الله بالتخلّف والرجعية ويصفون الملتزم بدينه بمن كان رثّ الملابس ، مهلهل الثياب ، لا يعرف رقيّاً ولا ذوقاً ، والله

(١) انظر : التفسير الكبير : ١٤ / ١٥١ ، الظلال : ٣ / ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ .

(٢) وهنا يلتقي معنى المتاع الحسن بما رجّحه المفسرون من أنه في الحياة الدنيا مع المعنى اللغوي . انظر : المقاييس ، كتاب الميم ، باب الميم والناء وما يتلثهما (مادة : متع) : ٩٧٣ ، لسان العرب (مادة : متع) : (٣٣٠ - ٣٣٣) .

(٣) انظر : تفسير المنار : ٧ / ١٢ .

(٤) المعيشة الضنك : الضيقة . وكلُّ عيشٍ من غير حلِّ ضنكٍ وإن كان واسعاً . انظر : المقاييس ، كتاب الضاد ، باب الضاد والنون وما يتلثهما (مادة : ضنك) : ٦٠٤ ، لسان العرب (مادة : ضنك) : ١٠ / ٤٦٢ .

سبحانه يرُدُّ عليهم ويقول : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ .
[سورة الأعراف : ٣٢] . أمّا إن كان بعض المنتسبين للدين لا يكثرثون بإصلاح هنادمهم ومظهرهم ، فهذا هو عيبهم ، ولا يكون ذلك عيباً في الدين (١) .

ونقف هنا مع ثلاثة تساؤلات :

التساؤل الأول :

ينظر بعض الناس فيرى أمماً يقولون : إنهم مسلمون ؛ مضيّقاً عليهم في الرزق ، لا يجدون إلاّ الجذب والفقير ! ويرى أمماً لا يؤمنون ولا يتقون لهم كل أسباب القوة والغلبة والرزق .. فيتساءل : فأين إذن هي الحياة الطيبة والبركات من السموات والأرض ؟ وأين هو المتاع الحسن ؟

إن أولئك المفتوح عليهم في الرزق هم وفق سنّة الله في الكون . قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً فإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٤] . وقال تعالى : ﴿ كَلَّا نُمَدُّ هَتُوْلَاءِ وَهَتُوْلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءِ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ٢٠] . فسنن الله المودعة في الكون من أحسن التعامل معها وأجاد ، فتح عليه الله وإن لم يكن مسلماً ، وهو من باب الابتلاء بالنعمة وهو أخطر من الابتلاء بالشدة ، وكم من أمة غنيّة قويّة لكنها تجترُّ أصناف الموم والشقاء وتعاني من انعدام الأمن والأمان ، يسودها القلق والفوضى والتحلل الخلقي والتفكك الأسريّ فهي متاع بلا رضى ، وحضارة مشرقة ينتظرها الانهيار والسقوط ، وعاقبة هذا الابتلاء وخيمة ، وهو الأخذ بغتة ؛ فيعاجلهم سبحانه بالعذاب ، وهو عذاب استئصال كما استأصل أهل القرى الذين كفروا (٢) .

(١) انظر : تفسير المنار : ٢٥ / ٩ .

(٢) انظر : الطلال : ٣ / ١٣٣٩ .

قال ابن تيمية (١) : " قيل : إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة . ويقال : الدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والإسلام . وقد قال النبي ﷺ : " ما من ذنب أجدر أن تعجل في الدنيا ، مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرَّحِم " (٢) . فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفوراً له مرحوماً في الآخرة وذلك أن العدل نظام كلِّ شيء ، فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت ، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق - أي الكافر - ، ومتى لم تقم بالعدل لم تقم ، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزي به في الآخرة " . اهـ (٣) .

أمَّا أولئك الذين يقولون : إنهم مسلمون .. لا مؤمنون ولا متّقون ! فهم لا يحقّقون عبوديتهم لله ؛ فهم عبيدٌ لغير الله ، يُسلمون لهم أمورهم ، فيشرّعون لهم ما يخلو لهم من قوانين ودساتير ، ومن عادات وتقاليد ، يتصرّفون في حياتهم بأمرهم وشرعهم ، وهؤلاء لن يتحقّق وعد الله لهم بالحياة الطيبة في الدنيا ؛ لأنهم ما قاموا بحقّها ؛ وهو إقامة شرع الله في أنفسهم أولاً ، ثمّ في واقعهم (٤) .

التساؤل الثاني :

نشاهد كثيراً من الطيّبين الصالحين ، المستغفرين التائبين ، المستقيمين على طاعة الله مضيّقاً عليهم في الرّزق أيضاً ، فأين الحياة الطيبة التي وعدوا بها ؟ وهو تساءل يدور على ألسنة الكثيرين !

إنّ المتّقين الأبرار قد يضيّق عليهم في الرّزق ، ولكن كما سبق وأوضحت أنّ الحياة الطيبة لا تقتصر على وفرة المال ، فكم من غنيٍّ مغمومٍ مهموم ، ولكن الحياة الطيبة رحبة الجوانب وصاحبها ولو كان مطاردًا أو سجيناً فإنه يمتع متاعاً حسناً ، وليس هذا مبالغة أو خيالاً .. فطمأنينة القلب وسكونه ، والرضى بقضاء الله ، والثقة في الله وتعلّق القلب به ، والطّمع في نصره وإحسانه وفضله ، ليطيّب عيش المؤمن التقيّ ، ويغنيه عن متاع الدنيا الرّائف .

(١) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٤٤٦ ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) الاستقامة : ٢ / ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٤) انظر : الظلال : ٣ / ١٣٣٩ .

التساؤل الثالث :

ألم يقل النبي ﷺ : " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " (١) . وقال أيضاً : " أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ، ثمَّ العلماء ، ثمَّ الأمثل فالأمثل " (٢) . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ (٣) وَلِيُوتِيَهُمْ آبَوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكُونَ ﴿٤﴾ [سورة الزخرف : ٣٣ - ٣٥] . فهذه النصوص دالة على أن المؤمن مبتلى في

الدنيا ، مضيق عليه ، والكافر منعمٌ مُرفهٌ ، فكيف الجمع بينهما ؟

الدنيا سجن المؤمن لأمر منها :

أولاً : الدنيا سجن المؤمن بالنسبة لما أعدَّ له في الآخرة من التَّعِيمِ المقيم ، وجنة الكافر بالنسبة لما أمامه من عذاب الجحيم .

ذكروا أن الحافظ ابن حجر (٣) لما كان قاضي القضاة مرَّ يوماً بالسوق في موكبٍ عظيمٍ وهيئةٍ جميلةٍ ، فهجم عليه رجلٌ من أهل الكتاب يبيع الزيت الحار ، وأثوابه ملطَّخةٌ بالزيت وهو في غاية الرثانة والشناعة ، فقبض على لجام بغلته ، وقال : يا شيخ الإسلام تزعم أن نبيكم قال : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، فأبي سجن أنت فيه ، وأيُّ جنة أنا فيها . فقال : أنا بالنسبة لما أعدَّ الله لي في الآخرة من التَّعِيمِ كأني الآن في السجن ، وأنت بالنسبة لما أعدَّ لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنتك في جنة (٤) .

ثانياً : المؤمن في الدنيا كأنه مسجون (٥) ، أي : بعيدٌ عن شهوات الدنيا ، وبعيدٌ أيضاً عما يغضب الله تعالى وبطيب نفس ، فأورثه ذلك حياةً طيبةً وعيشاً هنيئاً ، وذلك لإحساسه بأنَّه تحت كنف ربه ورضوانه .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق " أول الكتاب " (٢٩٥٦) : ٤ / ٢٢٧٢ . عن أبي هريرة ؓ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب معرفة الصحابة ، حنة أبي ذر ؓ (٥٤٦٣) : ٣ / ٣٨٦ . عن سعد بن أبي وقاص ؓ . قال الذهبي : ابن زيد لم يخرجوا له ، قال النسائي وغيره : متروك . وقد بؤب البخاري في صحيحه في كتاب المرضى : باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثمَّ الأوَّل فالأوَّل .

(٣) سبق ترجمته في ص ٧٣ .

(٤) انظر : شرح سنن ابن ماجه : ٣٠٣ ، فيض القدير : ٣ / ٥٤٦ . بتصرف يسير .

(٥) الدنيا سجن المؤمن ، والسجن في اللغة : الحبس . أي أن إيمانه يجسه عن الحرَّمات . فوافق المعنى اللغوي ما قاله العلماء . انظر : المقاييس ، كتاب الحاء ، باب الحاء والباء وما يثلثهما (مادة : حبس) : ٥٠٦ ، لسان العرب (مادة : حبس) : ١٣ / ٢٠٣ .

قال الزمخشري (١) :

" وقيل : إن المؤمن صرف نفسه عن الملاذ ، وأخذها بالشدائد فكأنه في السجن " . اهـ (٢) .

وقال النووي (٣) :

" كلُّ مؤمنٍ مسجونٌ ممنوعٌ في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة مكلفٌ بفعل الطاعات الشاقة ، فإذا مات استراح من هذا ، وانقلب إلى ما أعدَّ الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من التُّقصان ، وأمَّا الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قَلتِه وتكديره بالمنعصت ، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد " . اهـ (٤) .

والمؤمن مبتلى لكن الله لا يعذب المسلمين عذاب هلاك كما أهلك من قبلهم من الأمم قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ . [سورة الأنفال : ٣٣] .

قال ابن عباس (٥) رضي الله عنه في تفسير هذه الآية الكريمة : " كان فيهم أمانان : النبي ﷺ والاستغفار ، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار " (٦) .

كما أن حبَّ الله ليملاً قلب المؤمن البارَّ حبوراً وسروراً لا يعدله شيء ، فقد أمن من زوال محبوبه ، وتغيُّر مطلوبه ، بخلاف من اشتغل بحبِّ غير الله ، فإنه يكون أبداً في ألم الخوف من فوات المحبوب وزواله ، فكان عيشه منعصاً وقلبه مضطرباً ، ولذلك قال الله تعالى في صفة المتقين الأبرار : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً ﴾ (٧) .

(١) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٢) الفائق في غريب الحديث : ١٧٥ / ٢ .

(٣) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم : ٩٣ / ١٨ .

(٥) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٦) تفسير ابن كثير : ٣٠٦ / ٢ .

(٧) التفسير الكبير : ١٧ / ١٤٦ . بتصريف يسير .

معيش المؤمن أطيب من معيش الكافر :

قال الفخر الرازي (١) :

" إنَّ عيش المؤمن في الدنيا أطيب من عيش الكافر لوجوه منها :

الأول : أنه لما عرف أن رزقه إنما حصل بتدبير الله تعالى ، وأنه سبحانه محسنٌ كريمٌ لا يفعل إلاَّ الصَّواب ؛ كان راضياً بكلِّ ما قضاه وقدره ، وعرف أنَّ مصلحته في ذلك ، وأمَّا الجاهل فلا يعرف هذه الأصول ، فكان أبدأً في الحزن والشقاء .

الثاني : إنَّ المؤمن يستحضر أبدأً في عقله أنواع المصائب والحن ، ويقدر وقوعها ، ويجد نفسه راضيةً بذلك ، فعند الوقوع لا يستعظمها ، بخلاف الجاهل فإنه غافلٌ عن ترك المعارف فعند وقوع المصائب يعظم تأثيرها في قلبه .

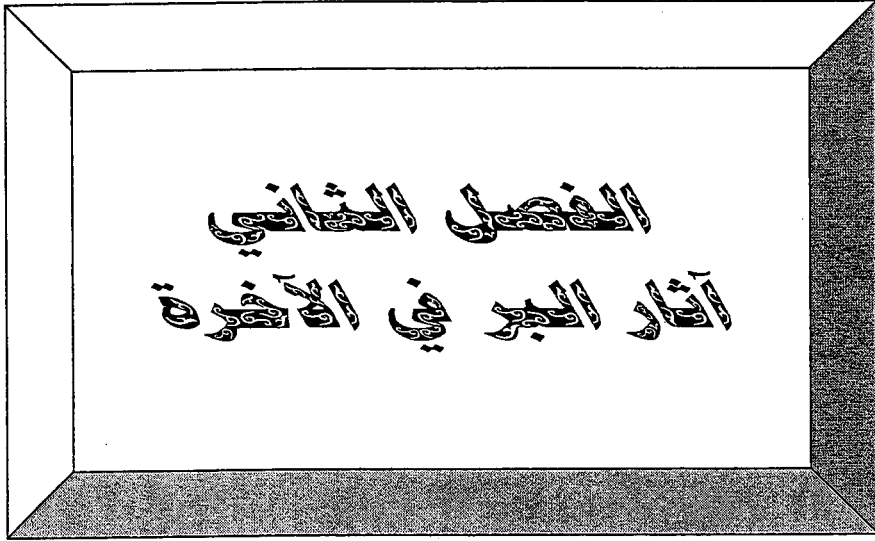
الثالث : أن المؤمن منشراح الصدر بنور معرفة الله تعالى ، والقلب إذا كان مملوءاً بالمعرفة لم يتسع للأحزان الواقعة بسبب أحوال الدنيا ، وأمَّا الجاهل فقلبه خالٍ عن المعرفة ، متفرغٌ للأحزان من المصائب الدنيوية " . اهـ (٢) .

إنَّ المستقيم على طاعة الله ، الذي لم يبدل ولم يغيّر ، كما امتدح الله صحابة رسول الله ﷺ بقوله تعالى : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٣] . هو الموعود بالحياة الطيبة في شتى مجالاتها وإنه لمربحٌ مجزٍ لعباد الله الأبرار ، فالكلُّ في هذه الدنيا يتمنى أن يطيب عيشه ، والله ﷻ يكافئ الأبرار بذلك تكرماً منه وفضلاً ، فله الحمد والمنة ..



(١) سبق ترجمته في ص ٨ .

(٢) التفسير الكبير : ٢٠ / ٩١ .



وفيه أربعة مجامع :

- المبحث الأول : الأمان من الفوف والقرن .
المبحث الثاني : الحسن قريب من رحمة الله - عز وجل - وفي
معيته .
المبحث الثالث : البر سبب للتفيم التميم في الجنة ، وسبب
للنجاه من النار .
المبحث الرابع : جزاء البريم القيامة الحسنى وزيادة .

المبحث الأول

الأمان من الخوف والحزن

إنَّ ما يكدر صفو الحياة في الدنيا - وإن طابت - شعور الخوف والحزن .. الخوف من الهرم والخوف من المرض ، والخوف من عدم القدرة على تأمين لقمة العيش .. والحزن على المصائب وعلى فوات الخير ، والحزن لمنغصات الحياة .

والمثَّقون الأبرار قد خافوا في الدنيا من العزيز الغالب ، وخافوا العذاب ، وخافوا أهوال يوم القيامة ، ولا يجتمع خوفان في قلب العبد ، فمن خاف في الدنيا أمن في الآخرة .

أمَّا الحزن فلن يعرف إلى قلوب الأبرار في الجنة سبيلا .. كيف لا وهم يتقلَّبون في شتى أنواع النعيم ، ويتمتَّعون بالقصور والخور ، والأهوار المطردة والظل الوارف والرائحة الطيبة والمناظر البهية والفاكهة الحسنة .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ . [سورة الأنعام : ٨٢] .

الحزن لغة (١) :

الحاء والزاي والنون أصل واحد ، وهو خشونة الشيء وشدة فيه ، والحزْنُ والحزَنُ : نقيضُ الفرح ، وهو خلافُ السرور . والجمعُ أحزانٌ ، لا يكسر على غير ذلك ، وقد حَزِنَ بالكسر ، حَزَنًا وتحازَنَ وتحزَنَ . ورجل حَزَنَانٌ ومِحْزَانٌ : شديد الحزْنِ . وحَزَنَهُ الأمرُ يحزِنُهُ حَزْنًا وأحزَنَهُ ، فهو مَحْزُونٌ ومُحْزَنٌ وحَزِينٌ وحَزِنٌ ؛ الأخيرة على التَّسْبِ ، من قوم حَزَانٍ وحَزَنَاءَ . قال ابن سيده (٢) : والحزْنُ ما غلظَ من الأرض (٣) .

(١) سبق تعريف الخوف لغة في ص ٥٥ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٢٤١ .

(٣) انظر: المقاييس ، كتاب الحاء ، باب الحاء والزاي وما يثلثهما (مادة : حزن) : ٢٦١ ، لسان العرب (مادة : حزن) : ١٣ / ١١١ .

والخوف هو الذعر والفرع ؛ ولا يكون إلا في المستقبل ، والحزن لا يكون إلا على
ماض (١) .

قال الآلوسي (٢) :

" والخوف الفرع في المستقبل ، والحزن ضدُّ السُّرور ، مأخوذٌ من الحزن ؛ وهو ما غلظ من
الأرض ، فكأنه ما غلظ من الهم ، ولا يكون إلا في الأمر الماضي على المشهور . وقيل :
إنه والخوف كلاهما في المستقبل ، لكنَّ الخوف استشعارهم لفقد مطلوب ، والحزن استشعار
غم لفوت محبوب " . اهـ (٣) .

البشارة لأبرار بالأمان من الخوف والحزن :

ذكر الله في كتابه العزيز أعمالاً من أعمال البرِّ بشر فيها أهلها بالأمان من الخوف والحزن
منها :

١- الاتباع لهدى الله :

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . [سورة البقرة : ٣٨] .

٢- إسلام الوجه لله والإحسان :

قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴾ . [سورة البقرة : ١١٢] .

٣- الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّاتِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . [سورة
البقرة : ٦٢] .

(١) انظر : تفسير القرطبي : ١ / ٣٢٩ ، فتح القدير : ١ / ٦٩ ، أضواء البيان : ٧ / ١٤٠ .

(٢) سبق ترجمته في ص ١٨ .

(٣) روح المعاني : ١ / ٢٣٩ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٧] .

٤- الإنفاق في سبيل الله :

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِنَّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٤] .

٥- التقوى والإصلاح :

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٨] .

و قال تعالى : ﴿ فَمَنْ آتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٣٥] .

٦- الاستقامة على طاعة الله :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة الأحقاف : ١٣] .

ومن هذه الآيات نلاحظ إكرام الله ﷻ للمطيعين بم حصول الأمان من الخوف والحزن فالأبرار لا خوفٌ عليهم حين يخاف الكفار العقاب ، ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتقويت الثواب ، ونفي الخوف كناية عن نفي العقاب ، ونفي الحزن كناية عن نفي فوات الثواب ، وهي أبلغ من الصريح وأكد ؛ لأنها كدعوى الشيء بيينة والمعنى : لا خوف عليهم فضلاً عن أن يحلَّ بهم مكروه ، ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه ، وجمع قوله : ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ جميع ما أعدَّ الله تعالى لأولياءه ؛ لأن زوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات ، وزوال الحزن يقتضي الوصول إلى كل اللذات والمُرادات ، وفيه إشارة إلى أنه يدخلهم الجنة التي هي دار السرور والأمن والسعادة والفلاح الأبدي ؛ والتي لا خوف فيها ولا حزن (١) .

(١) انظر : التفسير الكبير : ٢٦ / ٣ ، تفسير البيضاوي : ٣٠٣ / ١ ، روح المعاني : ٢٣٩ / ١ .

واختلف العلماء في المراد بنفي الخوف والحزن عن المؤمنين من أهل الطائفة على أقوال :

القول الأول :

نفي الخوف والحزن مطلقاً عن المؤمنين من أهل الطاعات في الدنيا والآخرة .
وليس الأمر كذلك لأنهما حصلا في الدنيا للمؤمنين أكثر من حصولهما لغير المؤمنين . قال ﷺ : " أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الأمل فالأمل " (١) . وأيضاً فالمؤمن لا يمكنه القطع أنه أتى بالعبادات كما ينبغي ؛ فهو يخاف دوماً من التقصير ، كما يخاف سوء العاقبة (٢) .

القول الثاني :

إن أهوال القيامة كما تصل إلى الكفار تصل إلى المؤمنين .
وذلك لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [سورة الحج : ٢] .
أي : من شدة الخوف .

وقد كنى سبحانه بـ ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ كناية عن الإستيلاء والإحاطة ، إشارة إلى أن الخوف لا ينتفي بالكلية ، فالخوف المنفي هو الخوف عليهم ، ولا يلزم من نفي إستيلاء الخوف إنتفاؤه في كل حال (٣) . فلا دليل في الآية على نفي أهوال القيامة وخوفها عن المطيعين . لما وصفه الله تعالى ورسوله ﷺ من شدائد القيامة إلا أنه يخففه عن المطيعين ، وإذا صاروا إلى رحمته فكأنهم لم يخافوا .
وأيضاً فإذا انكشفت تلك الأهوال ، وصاروا إلى الجنة ورضوان الله ذهب الخوف عنهم كأن لم يمكن ؛ لما يجده من الالتذاذ بالتعميم (٤) .

(١) سبق تخريجه في ص ٥٧٩ ، أخرجه الحاكم ، وقال الذهبي : ابن زيد لم يخرجوا له ، قال النسائي وغيره : متروك . وقد بسّرت

البخاري في صحيحه في كتاب المرضى : باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول .

(٢) انظر : التفسير الكبير : ٢٦ / ٣ .

(٣) انظر : البحر المحيط : ١ / ٢٧٤ .

(٤) انظر : التفسير الكبير : ٢٦ / ٣ ، تفسير القرطبي : ١ / ٣٢٩ ، روح المعاني : ١ / ٢٣٩ .

وهذا ضعيف ؛ لأن قوله : ﴿ لَا تَحْزَنُوا الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾ . [سورة الأنبياء : ١٠٣] . أحص من قوله : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ والخاصُّ مقدّمٌ على العامِّ (١) .
 " ومعنى الآية : أن أمرهم يؤول إلى الأمن والسرور ، كقول الطيب للمريض : لا بأس عليك ، أي : أمرك يؤول إلى العافية والسلامة ، وإن كان في هذا الوقت في بأسٍ من علته " (٢) .

المقول الثالث :

خوف المكروه والعقاب منفي عن الأبرار مطلقاً ، أمّا خوف الجلال والهيبة ففي غاية الكمال ولا يزول ألبتة عن العبد ، فأهل الطاعات لا يعترهم ما يوجب الخوف والحزن ، لا أنه لا يعترهم نفس الخوف والحزن أصلاً ، بل يستمرّون على السرور والنشاط ، كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظماً لجلال الله سبحانه وهيته واستقصاراً للحدّ والسعي في إقامة حقوق العبودية من خصائص الخواصّ والمقرّبين ! .. ألا ترى أن الملائكة مع علوّ درجاتهم وكمال عصمتهم لا يزول الخوف عنهم ، فقال تعالى : ﴿ وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٩ ، ٥٠] . (٣)

قال ابن تيمية (٤) :

" إن انتفاء الخوف علة تقتضي انتفاء ما يخافه ، ولهذا قال : ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ولم يقل : لا يخافون . فهم لا خوف عليهم ، وإن كانوا يخافون الله ، ونفى عنهم أن يحزنوا ؛ لأن الحزن إنما يكون على ماضٍ ، فهم لا يحزنون بحالٍ لا في القبر ، ولا في عرصات القيامة ، بخلاف الخوف فإنه قد يحصل لهم قبل دخول الجنة ، ولا خوف عليهم

(١) العامُّ قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ . [سورة الحج : ٢] . والخاصُّ قوله تعالى : ﴿ لَا

تَحْزَنُوا الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾ . [سورة الأنبياء : ١٠٣] .

(٢) التفسير الكبير : ٣ / ٢٦ ، ١٤ / ٥٨ .

(٣) انظر : التفسير الكبير : ٢٨ / ١٢ ، تفسير أبي السعود : ١ / ٩٣ ، روح المعاني : ١ / ٢٣٩ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٢١ .

في الباطن ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ . [سورة يونس : ٦٢ ، ٦٣] . اهـ (١) .

وذكر بعض العلماء أن العدول عن " لا خوف لهم " أو " عندهم " إلى ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ للإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يخاف أحدٌ عليهم لما هم فيه من طيب الحال والمال (٢) .

القول الرابع :

إن المؤمنين من أهل الطاعات لا يلحقهم خوف ولا حزن في الآخرة ، فهم الآمنون من الأهوال يوم القيامة .

قال ابن كثير (٣) : " ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أي : فيما يستقبلونه من أمر الآخرة ، ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا " . اهـ (٤) .

وقال الفخر الرازي (٥) : " والصحيح على أن المراد نفيهما في الآخرة لا في الدنيا ، ولذلك حكى الله عنهم أنهم قالوا حين دخلوا الجنة : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ . [سورة فاطر : ٣٤] . أي : أذهب عنا ما كنا فيه من الخوف والإشفاق في الدنيا من أن تفوتنا كرامة الله تعالى التي نلناها الآن .

إن المكلف الذي أطاع الله تعالى لا يلحقه خوفٌ في القبر ، ولا عند البعث ، ولا عند حضور الموقف ، ولا عند تطاير الكتب ، ولا عند نصب الموازين ، ولا عند الصراط ، كما قال الله تعالى عن أهل الجنة : ﴿ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّوْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ . [سورة الأنبياء : ١٠٣] . اهـ (٦) .

(١) توحيد الألوهية : ٧ / ٢٦١ .

(٢) انظر : روح المعاني : ١ / ٢٣٩ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٤) تفسير ابن كثير : ١ / ٨٣ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٨ .

(٦) التفسير الكبير : ٣ / ٢٦ ، ١٤ / ٥٨ .

وقال ابن زيد ^(١) : لا خوفٌ عليهم أمامهم ، فليس شيء أعظم في صدر الذي يموت ممّا بعد الموت ^(٢) .

والصحيح : أنّ أهل الجنة يخافون ، ولكن لا خوف عليهم بالكلية فيما يستقبلونه ممّا أمامهم من المخاوف والأهوال في الآخرة ، وهذا من أعظم النعم ، ولا يخافون في الدنيا الخوف الدنيويّ الذي هو في فوت آمالها وزوال منازلها ، ولا يحزنون على فائتٍ أبداً ؛ لأنهم لم يسلفوا إلاّ صالح الأعمال ^(٣) .

قال ابن القيم ^(٤) :

" نفى الله سبحانه ذلك - أي الخوف والحزن - عن متبّع هداه الذي أنزله على السنة رسله ، وأتى في نفي الخوف بالاسم الدال على نفي الثبوت واللزوم ، فإنّ أهل الجنة لا بدّ لهم من الخوف في الدنيا ، وفي البرزخ ، ويوم القيامة ، حيث يقول آدم عليه السلام وغيره من الأنبياء : نفسي .. نفسي ^(٥) . فأخبر سبحانه أنهم وإن خافوا فلا خوف عليهم ، أي : لا يلحقهم الخوف الذي خافوا منه ، وأتى في نفي الحزن بالفعل المضارع الدال على نفي التجدد والحدوث ، أي : لا يلحقهم حزن ولا يحدث لهم إذا لم يذكروا ما سلف منهم بل هم في سرورٍ دائمٍ لا يعرض لهم حزن على ما فات ، وأمّا الخوف فلمّا كان تعلّقه بالمستقبل دون الماضي نفي لحوقه لهم جملة ، أي : الذي خافوا منه لا ينالهم ولا يلثمّ بهم . والله أعلم " . اهـ ^(٦) .

^(١) سبق ترجمته في ص ٤٧٥ .

^(٢) التفسير الكبير : ٣ / ٢٦ .

^(٣) انظر : المحرر الوجيز : ٣ / ١٢٨ ، تفسير التنعالي : ٢ / ١٨٤ ، تفسير أبي السعود : ٤ / ١٥٨ .

^(٤) سبق ترجمته في ص ٦ .

^(٥) وذلك وارد في حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ... ﴾ . الآية (٣١٦٢) : ٣ / ١٢١٥ ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤) :

١ / ١٨٤ . كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

^(٦) مفتاح دار السعادة : ١ / ٣٤ .

لماذا قدّم انتفاء الخوف على انتفاء الحزن ، ولماذا قدّم الضمير في : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ؟

قدّم انتفاء الخوف لأنّ انتفاء الخوف فيما هو آتٍ أكد من انتفاء الحزن على ما فات ، ولهذا صدر بالإنكسار التي هي أقوى في النفي ، أو لأنّ زوال الخوف مقدّم على طلب ما ينبغي وهو الاطمئنان والأمان . وقدّم الضمير إشارة إلى اختصاصهم بانتفاء الحزن ، وأن غيرهم يحزن والمراد : بيان دوام انتفاء الخوف والحزن (١) .

وإن المؤمنين يحمدون الله يوم القيامة على إذهاب الحزن عنهم . قال ابن عباس (٢) ﷺ : هم قوم كانوا في الدنيا يخافون الله ، ويجتهدون له في العبادة سرّاً وعلانية ، وفي قلوبهم حزن من ذنوب قد سلفت منهم ، فهم خائفون أن لا يُقبَل منهم هذا الاجتهاد من الذنوب التي سلفت ، فعندها : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ . [سورة فاطر : ٣٤] . ﴿ وَقَالُوا ﴾ : أي يقولون ، وصيغة الماضي للدلالة على التحقق (٣) .

وفي المراد بهذا الحزن الذي أخذه الله عن المتقين الأبرار أقوال كثيرة منها :

■ أنه الحزن لطول المقام في المحشر .

■ أنه حزن النار .

■ حزنهم في الدنيا على ذنوب سلفت منهم .

■ حزن الموت .

والرّاجح : أن الآية عامّة في هذه الأقوال وغيرها ، والأولى أن يراد جنس الحزن المنتظم لجميع أحزان الدّين والدنيا والآخرة ، و(أل) للجنس واستغراقه ، وكل ما ذكر من باب التّمثيل ، وإن الله تعالى أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ وخوف دخول النار من الحزن ، والجزع

(١) انظر : التفسير الكبير : ٣ / ٢٦ ، البحر المحيط : ١ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، تفسير أبي السعود : ١ / ٩٣ ، روح المعاني : ١ / ٢٣٩ .

(٢) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ .

(٣) انظر : الدرّ المنثور : ٧ / ٢٨ ، تفسير أبي السعود : ٧ / ١٥٣ .

من الموت من الحزن ، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن ، ولم يَنْصُصِ اللهُ إذْ أُخْبِرَ عنهم أنَّهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعاً دون نوع ؛ بل أُخْبِرَ عنهم أنَّهم عمُّوا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك ، وإن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك ، فحَمَدُهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن ، فلا حزن يعرض لهم بسبب نقصٍ في جمالهم ، ولا في طعامهم وشرابهم ، ولا في لذائذهم ، ولا في أجسادهم ، ولا في دوام لبثهم ، فهم في نعيم ما يرون عليه مزيداً ، وهو في تزايد أبد الآباد (١) .

قال الرَّجَّاجُ (٢) : أذهب اللهُ عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاشٍ أو معادٍ . وهذا أرجح الأقوال ، فإن الدنيا وإن بلغ نعيمها كل مبلغ لا تخلو من شوائبٍ ونوائبٍ تكثر لأجلها الأحزان ، وخصوصاً أهل الإيمان ؛ فإنهم لا يزالون مشفقين من عذاب الله ، خائفين من عقابه ، مضطربين القلوب في كل حين .. هل تُقبل أعمالهم أو تُردُّ ، حذرين من سوء العاقبة وسوء الخاتمة ، ولا تزول همومهم وأحزانهم حتى يدخلوا الجنة (٣) .

قال الرَّجَّاجُ (٤) : " والمراد حزن المتقين ، وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة ، كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ ﴿١١﴾ فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ . [سورة الطور : ٢٦ ، ٢٧] . اهـ (٥) .

فالأبرار يكرمهم ربُّهم يوم القيامة فوق ما وعدهم بالمنازل العالية ، والأجور المضاعفة بالأمان الذي ينشده كلُّ إنسان ؛ لأنَّ التَّعِيمَ لا يَكْمُلُ إِلَّا بِالْيَقِينِ بديمومته وبقائه واستشعارِ عوضِ الله في الآخرة ، فلا خوف من زواله وانقضائه ، ولا حزن على فائت ؛ بل أمان واطمئنان ، وقد أعطاهم ﷺ هذه الجوائز بمجرد دخولهم الجنة ، فلا خوف ولا حزن ولا كدر في الجنة .

(١) انظر : تفسير الطبري : ٢٢ / ١٣٩ ، المحرر الوجيز : ٢ / ٣٩٧ ، زاد المسير : ٦ / ٣٩١ ، ٤٩٢ ، التفسير الكبير : ٢٦ / ٢٥

تفسير ابن كثير : ٣ / ٥٥٨ ، تفسير أبي السعود : ٧ / ١٥٣ ، روح المعاني : ٢٢ / ١٩٩ ، تفسير السعدي : ٦٩٠ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٥٥ .

(٣) فتح القدير : ٤ / ٣٥٠ ، ٣٥١ . بتصرف يسير .

(٤) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٥) الكشَّاف : ٣ / ٦٢٣ .

قال النبي ﷺ: " ينادي مناد: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا فذلک قولہ ﷺ: ﴿ وَتُودُوا أَنْ تَلَكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . [سورة الأعراف : ٤٣] . " (١) .



(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في دوام نعيم أهل الجنة (٢٨٣٧) : ٤ / ٢١٨٢ . من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ؓ .

المبحث الثاني

المحسن قريبٌ من رحمة الله - عز وجل - وفي معيته

إن الأبرار يتقربون إلى الله بالتوافل ، ويجدُّون ويجتهدون في الطاعات ، وجلَّ بغيتهم أن يكرمهم ربُّهم في الآخرة ؛ فكان جزاء ما قدَّموه من برٍّ وإحسانٍ قربٌ من رحمة الرحمن الرحيم وفوزٌ بمعيته .

أولاً : المحسن ^(١) قريبٌ من رحمة الله ﷻ :

الإحسان هو فعل ما أمرنا الله به ، سواء كان إحساناً إلى الناس أو إلى نفسه ، وأعظم الإحسان الإيمان والتوحيد والإنابة إلى الله والإقبال عليه والتوكل عليه ، وأن يعبد الله كأنه يراه إجلالاً ومهابةً وحياءً ومحبةً وخشيةً ؛ فهذا هو مقام الإحسان ، ورحمة الله قريبٌ من المحسنين ، وإنَّ الله إنما يرحم أهل توحيد المؤمنين به ، وإنما كتب رحمته للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياته يؤمنون ، والذين يتبعون رسوله ؛ فهؤلاء هم أهل الرحمة كما أنهم هم المتقون الأبرار ^(٢) .

قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِغَايَتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٣) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ... ﴿ [سورة الأعراف : ١٥٦] .

من صفات الله الرحمة ^(٣) :

مذهب السلف في هذا ونحوه أنهم يقولون : صفات الله تعالى لا يطلع لها على ماهية ، وإنما تُمرُّ كما جاءت ^(٤) .

(١) سبق تعريف الإحسان لغة وشرعاً في ص ٣٩٩ .

(٢) بدائع الفوائد : ٣ / ٥٢٨ . بتصرف يسير .

(٣) سبق تعريف " رحم " لغة في ص ٤٣٢ ، وهي تدلُّ على الرقة والعطف والرافة .

(٤) انظر : العقيدة الأصفهانية لابن تيمية : ٢٦ ، توحيد الألوهية : ٦ / ٦٩ ، أقاريل الثقات لمرعي بن يوسف الكرمي المقدسي :

قال ابن تيمية (١) :

" مذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، ولا يجوز نفي صفات الله التي وصف بها نفسه ، ولا تمثيلها بصفات المخلوقين " . اهـ (٢) .

فرحمة الله ﷻ ليست كرحمة أحد ، ونحن نرى آثار رحمة الله في إنبات النبات وإنزال المطر ودفع النقم والبليات ونحو ذلك .. كل هذا برحمة الله ، والمؤمن يعلم أحكام الصفات وآثارها ، وهو الذي أريد منه (٣) .

ومن أسماء الله الحسنى : الرحمن الرحيم ، وهما مشتقتان من الرحمة على طريق المبالغة ونظيرهما في اللغة : نديم وندمان ، وهما بمعنى ، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم ، والرحمن يختص بالله ﷻ ولا يجوز إطلاقه على غيره (٤) ، ولكن ما الفرق بين الاسمين ؟

في الفرق بين هذين الاسمين قولان :

المقول الأول :

قال الخطابي (٥) : ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ : هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق (٦) في الدنيا

وللمؤمنين في الآخرة ، و ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ : هو ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين في الآخرة .

دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ . [سورة الأحزاب : ٤٣] . خص المؤمنين

باسمه ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ وتقديم المعمول يدل على الحصر ، فيكون معنى الآية : وكان بالمؤمنين لا

بغيرهم رحيمًا . وهذا يشكل عليه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ .

[سورة غافر : ٧] . ولكن الرحمة التي هنا غير الرحمة التي هناك ، هذه رحمة خاصة متصلة برحمة

(١) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٢) منهاج السنة النبوية : ١١١ / ٢ .

(٣) انظر : توحيد الألوهية : ٢٥٧ / ٥ ، ٣٥٨ / ٦ ، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين : ٢٥٦ / ١ .

(٤) انظر : النهاية ، كتاب الرأ : ٢ / ٢١٠ ، لسان العرب (مادة : رحم) : ١ / ٢٣١ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٢١٧ .

(٦) ذكر سبحانه الاستواء باسمه (الرحمن) ليعم جميع خلقه برحمته ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ تَمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴾ . [سورة طه : ٥] . انظر : تفسير ابن كثير : ١ / ٢١ ، ٢٢ .

الآخرة لا ينالها الكفار بدلالة السياق القرآني (١) ؛ هذا هو الجمع بينهما ، وإلا فكلٌّ مرحوم ، لكن هناك فرق بين الرحمة العامة والرحمة الخاصة (٢) .

القول الثاني :

هو أن ﴿الرَّحْمَنِ﴾ دالٌّ على صفة ذاتية ، و ﴿الرَّحِيمِ﴾ دالٌّ على صفة فعلية . قال ابن القيم (٣) :

" إنَّ ﴿الرَّحْمَنِ﴾ دالٌّ على الصفة القائمة به سبحانه ، و ﴿الرَّحِيمِ﴾ دالٌّ على تعلُّقها بالمرحوم ، فكان الأوَّل للوصف ، والثاني للفعل .

فالأول دالٌّ أن الرحمة صفته ، والثاني دالٌّ على أنه يرحم خلقه برحمته .

وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله : ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ . [سورة الأحزاب : ٤٣] . ﴿إِنَّهُ

بِهِمْ رءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ . [سورة التوبة : ١١٧] . ولم يجيء قط " رحمن بهم " فعلم أن (رحمن) هو

الموصوف بالرحمة ، و(رحيم) هو الرَّاحِم برحمته " . اهـ (٤) .

" فنثبت لله تعالى الرحمة حقيقة ، كما أثبتنا لنفسه ، مترهة مبرأة عن خواص صفات المخلوقين كما نقوله في سائر صفاته : من إرادته ، وسمعه ، وبصره ، وعلمه ، وحياته وعلمه ، وسائر صفات كماله " (٥) .

والمحسن قريبٌ من رحمة ربِّه في الدنيا وعلى الأخص في الآخرة ، قال تعالى : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ . [سورة الأعراف : ٥٦] .

(١) تَمَّتْ الآية السابقة قوله تعالى : ﴿...رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ . [سورة غافر : ٧] . والمغفرة ووقاية عذاب الجحيم لا يكون إلا في الآخرة ولا تكون إلا للمؤمنين ؛ فالكفار مخلدون في النار ، فدلَّ على أنها رحمة خاصة للمؤمنين في الآخرة . ودلالة السياق القرآني سبق تعريفها في ص ١٢٠ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير : ٢١ / ١ ، فتح الباري : ٣٥٩ / ١٣ ، وانظر : يقظة أولي الاعتبار لصدِّيق القنوجي : ٢٣٩ ، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين : ١ / ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٦ .

(٤) بدائع الفوائد : ٢٨ / ١ .

(٥) بدائع الفوائد : ٣ / ٥٣٤ .

وجه تذكير الخبر في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ :

اختلف أئمة اللغة والإعراب في وجه تذكير خبر : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ حيث قال سبحانه :

﴿ قَرِيبٌ ﴾ ولم يقل : قريبة ، على وجوه منها :

● أن الرحمة تأنيثها ليس بحقيقي ، وما كان كذلك يجوز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة .

● أو ذكر ﴿ قَرِيبٌ ﴾ على تأويل الرحمة بالرحم ، أو الترحم .

● أو لآثه صفة موصوف محذوف ، أي : شيء قريب .

● وقال الزجاج (١) : " إنما قال ﴿ قَرِيبٌ ﴾ لأن الرحمة والغفران والعفو والإنعام بمعنى

واحد فقوله : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ بمعنى : إنعام الله قريب

وثواب الله قريب فأجرى حكم أحد اللفظين على الآخر " .

● وقال النضر بن شميل (٢) : " الرحمة مصدر ؛ ومن حق المصادر التذكير كقوله :

﴿ فَمَنْ جَاءَهُدْ مَوْعِظَةٌ ﴾ . [سورة البقرة : ٢٧٥] .

● أو على تقدير النسب ، أي ذات قرب . قال الفراء (٣) : القريب في اللغة يكون

بمعنى القرب وبمعنى المسافة ، تقول العرب : هذه امرأة قريبة منك ؛ إذا كانت بمعنى

القربة ، وقريب منك ؛ إذا كانت بمعنى المسافة (٤) .

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ

أَقْرَبَ وَيَرَجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ . الآية . [سورة الإسراء : ٥٧] . وقوله : ﴿ إِنَّ

(١) سبق ترجمته في ص ٥٥ .

(٢) هو النضر بن شميل بن خراشة بن يزيد المازني التميمي ، أبو الحسن : أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة . ولد بمرو (من بلاد خراسان) وانتقل إلى البصرة مع أبيه سنة ١٢٨ هـ ، وأصله منها ، فأقام زمناً . وعاد إلى مرو فولي قضاءها . واتصل بالمأمون العباسي فأكرمه وقربه ، من كتبه : الصفات ، والسلاح ، والمعاني ، وغريب الحديث ، والأنواء . ت. بمرو سنة ٢٠٣ هـ . انظر : وفيات الأعيان : ٣٩٧ / ٥ ، العبر في خبر من غير ١ : ١ / ٣٤٢ ، البلغة : ٢٣٢ / ١ ، طبقات الحفاظ : ١ / ١٣٧ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٩٩ .

(٤) انظر : الكشاف : ١٠٦ / ٢ ، تفسير البغوي : ١٦٦ / ٢ ، ١٦٧ ، زاد المسير : ٢١٦ / ٣ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٥ / ٢

تفسير أبي السعود : ٢٣٣ / ٣ ، فتح القدير : ٢ / ٢١٢ ، ٢١٣ .

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴿١﴾ . [سورة البقرة : ٢١٨] . ورحمته : اسمٌ جامعٌ لكلِّ خير ، وعذابه اسمٌ جامعٌ لكلِّ شرٍّ ، ودار الرِّحمة الخالصة هي الجنة ، ودار العذاب الخالص هي النار ، وأمَّا الدنيا فدار استدارجٍ واختبارٍ وابتلاءٍ (١) .

ويؤيد هذا قوله ﷺ : " جعل الله الرِّحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وأنزل في الأرض جزءً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق ؛ حتى ترفع الدابة حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه " (٢) .

قال النووي (٣) :

" هذا الحديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين . قال العلماء : لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار ، الإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه ، وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به ، فكيف الظنُّ بمائة رحمة في الدار الآخرة وهي دار القرار ، ودار الجزاء؟! والله أعلم " . اهـ (٤) .

وقال الحسن وقتادة (٥) : وسعت - أي رحمة الله - في الدنيا البرِّ والفاجر ، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة (٦) .

فتجلى رحمة الله للمحسنين الأبرار في الآخرة أكثر منها في الدنيا ؛ لأنهم سيتعرضون إلى نفحات رحمة الله التي ادخرها لعباده من المائة جزء ، وهي تسعة وتسعون جزء .

(١) التحفة العراقية : ١ / ٦٦ . بتصريف يسير .

(٢) أخرج البخاري بنحوه في كتاب الرقاق ، باب الرجاء مع الخوف (٦١٠٤) : ٥ / ٢٣٧٤ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأما سبقت غضبه (٢٧٥٢) : ٤ / ٢١٠٨ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

(٣) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٧ / ٦٨ ، ٦٩ .

(٥) الحسن البصري وقتادة سبق ترجمتهما في ص ٥٢ ، ٥٥ .

(٦) انظر : عون المعبود : ٣ / ٩٦ . عند شرح الحديث الذي رواه أبو هريرة ؓ : " أن أعرابياً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس ، فصلّى ركعتين ، ثم قال : اللهم ارحمني ومحمداً ولا أحداً . فقال النبي ﷺ لقد تحجرت واسعاً ... " . الحديث . أخرجه أبو داود .

وإنَّ المحسن قريبٌ من رحمة الله في الآخرة في موافقة محبته منها :

أولاً : استئلال المحسن بظل العرش في العشر :

في موقف الحشر يصيب الخلائق كربٌ شديدٌ ، يقفون حفاةً عراةً غرلاً تحت وهج الشمس المحرقة ، يكابدون ألواناً من البلاء ، يعرقون ويعانون .

قال ﷺ : " تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل (١) فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبه ، ومنهم من يكون إلى ركبته ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إجماماً ، وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه " (٢) .

قال القاضي (٣) :

" ويحتمل أن المراد عرق نفسه وغيره ، ويحتمل عرق نفسه خاصةً ، وسبب كثرة العرق تراكم الأهوال ، وذنو الشمس من بعضهم بعضاً " . اهـ (٤) .

بينما يكون فريق من الخيرة الأبرار مطمئنين فرحين ، لا يعانون الكربات ولا يعرقون ولا يتضايقون ، فالمحسنون يتفيؤون في ظلال رحمة مولاهم .

قال ﷺ : " سبعة (٥) يظلمهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه : الإمام العادل ، وشابٌ نشأ بعبادة الله ، ورجلٌ قلبه معلقٌ في المساجد ، ورجلان تحاببا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجلٌ دعته امرأة ذات منصبٍ وجمالٍ ، فقال : إني أخاف الله ، ورجلٌ تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله ، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه " (٦) .

(١) قال سليم بن عامر - راوي الحديث عن المقداد - ﷺ : فوالله ما أدري ما يعنى بالليل ، أمسافة الأرض أم الليل الذي نُكْتَحَل به العين ؟ . انظر : صحيح مسلم : ٤ / ٢١٩٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها (٢٨٦٤) : ٤ / ٢١٩٦ . عن المقداد بن الأسود ﷺ .

(٣) أي القاضي عياض ، سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٧ / ١٩٥ .

(٥) ذكر الحافظ ابن حجر بأن هناك نصوص كثيرة تدل على أن الله يظلم غير السبعة المذكورين في الحديث ، رواها مسلم وأحمد وغيره فدل على أن العدد المذكور لا مفهوم له ، وأورد الجميع في الأمالي ، وأفرده في جزء سماه : " معرفة الخصال المرصلة إلى الظلال " .

انظر : فتح الباري : ٢ / ١٤٤ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٢٠٥ ، أخرجه البخاري ومسلم .

قال ابن عبد البر^(١) :

" وكلٌ من كان في ظلِّ الله يوم القيامة لم ينله هول الموقف ، والظلُّ في هذا الحديث يراد به الرَّحمة والله أعلم ، ومن رحمة الله الجنَّة " (٢) .

وقال عليه السلام : " إنَّ الله يقول يوم القيامة : أين المتحابُّون بجلالي ؟ اليوم أظلمهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلِّي " (٣) .

" إنَّ في يوم القيامة ظلالاً بحسب الأعمال ، تقي أصحابها حرَّ الشَّمس والنَّار وأنفاس الخلائق ولكنَّ ظلَّ العرش أعظمها وأشرفها ، يخصُّ الله به من شاء من عباده الصَّالحين ومن جملتهم المتحابُّون في الله ، ويحتمل أنَّه ليس هناك إلاَّ ظلَّ العرش يستظلُّ به المؤمنون أجمع ولكنَّ لما كانت تلك الظلال لا تنال إلاَّ بالأعمال ، وكانت الأعمال تختلف حصل لكلِّ عاملٍ ظلٌّ يخصُّه من ظلَّ العرش بحسب عمله ، وسائر المؤمنين شركاء في ظلِّه وهذا كلُّه على أنَّ الاستظلال حقيقي " (٤) .

ففي يوم القيامة لا ظلَّ إلاَّ الظلُّ الذي يخلقه عليه السلام ليستظلُّ به من شاء من عباده (٥) .

كما أنَّ من أحسن إلى الناس في الدنيا ، وساعد في فك كربات المكروبين ، ويسرَّ على المعسرين ، وستر إخوانه المسلمين ، فرحمة الله ستاله ، ويفرج الله عنه كربة من كربات اليوم العظيم ، ويسرَّ عليه ويستره في الدنيا والآخرة . قال عليه السلام : " من نفَّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة ، ومن يسرَّ على معسر يسرَّ الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة .. " . الحديث (٦) .

(١) سبق ترجمته في ص ٣٠٢ .

(٢) التمهيد لابن عبد البر : ٢ / ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البرِّ والصلة والآداب ، باب في فضل الحبِّ في الله (٢٥٦٦) : ٤ / ١٩٨٨ . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) شرح الزرقاني : ٤ / ٤٣٦ .

(٥) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين : ٢ / ١٣٦ .

(٦) جزء من حديث أخرجه البخاري بنحوه عن ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٣١٠) :

٢ / ٨٦٢ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على

تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٦٩٩) : ٤ / ٢٠٧٤ .

ثانياً : مجازاة الحسنة بأحسن منها :

إن الله يجازي عباده بما عملوه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، والمتقون الأبرار يجازيهم الله على إحسانهم فيضاعف أجورهم ، ويعطيهم خيراً مما قدّموه ، فلن يدخل أحدٌ الجنة بعمله ولكن برحمة الله .

قال تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ . [سورة القصص : ٨٤] .

قال الطبري (١) :

" له من هذه الحسنه عند الله خيرٌ يوم القيامة ، وذلك الخير أن يثيبه الله منها الجنة " . اهـ (٢) .

وقال ابن كثير (٣) :

" يوم القيامة ﴿ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ أي : ثواب الله خير من حسنة العبد ، فكيف يضاعفه أضعافاً كثيرةً وهذا مقام الفضل ! " . اهـ (٤) .

ثالثاً : الحساب اليسير :

بعدما يأخذ العباد صحائف أعمالهم يوم القيامة ويقرؤونها ، يوقفهم ﷻ قبل الانصراف من المحشر ليحاسبهم على أعمالهم وأقوالهم واعتقاداتهم ، خيراً كانت أو شراً وهنا يتفاوت الناس في الحساب ، فالمحسن المطيع الذي أوتي كتابه بيمينه ؛ سيحاسب حساباً يسيراً ، وينقلب إلى أهله مسروراً ، يعرض عليه عمله ، ويقرره الله بسيئاته ، ويسترها عليه فلا يطلع عليها أحدٌ ثم يعفو عنه ، ويأمر به إلى الجنة . قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ مُحْسَبٌ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ . [سورة الانشقاق :

٦-٨] . وقد ورد أن رجلاً سأل ابن عمر (٥) ﷺ كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في

(١) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٢) تفسير الطبري : ٢٠ / ٢٢ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٣ / ٤٠٣ .

(٥) صحابي جليل ، انظر : ص ١٣٥ .

التَّجْوَى قال : " يدنو أحدكم من ربه ، حتى يضع كنفه عليه فيقول : عملت كذا وكذا . فيقول : نعم . ويقول : عملت كذا وكذا . فيقول : نعم . فيقرُّه ، ثم يقول : إني سترت عليك في الدنيا ، فأنا أغفرها لك اليوم " (١) .

قوله ﷺ : " يدنو أحدكم من ربه " يعني : يقرب من رحمته (٢) ، وهو سائغٌ في اللغة يقال : فلان قريب من فلان ، ويراد الرتبة . ومثله : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٦] . وقوله : " فيضع كنفه " المراد بالكنف : السُّتر (٣) . فيحفظه الله ويستتره به من الناس أهل الموقف ، صيانة له عن الخزي والتفضيح ، وهو مستعار من كنف الطائر ، وهو جناحه يصون به نفسه ويستتر به بيضه ، ثم يقرُّه بذنوبه ، والمعنى أنه تحيط به عنايته التامة (٤) .

والمشهور عند أصحاب الإمام أحمد (٥) أنهم لا يتأولون الصفات التي من جنس الحركة كالحيء ، والإتيان ، والتزول ، والهبوط ، والدنو ، والتدلي ، كما لا يتأولون غيرها متابعة للسلف الصالح .

قال حماد بن زيد (٦) : يدنو من خلقه كيف يشاء (٧) ، فالدنو حقيقي .

ومذهب أهل الحديث ، وهم السلف من القرون الثلاثة ، ومن سلك سبيلهم من الخلف أن هذه الأحاديث تُمرَّ كما جاءت ، ويؤمن بها وتصدق وتضان عن تأويلٍ يفضي إلى تعطيل

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب - واللفظ له - ، باب ستر المؤمن على نفسه (٥٧٢٢) : ٥ / ٢٢٥٤ وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الأدب ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢٧٦٨) : ٤ / ٢١٢٠ .

(٢) نقله ابن حجر عن ابن التين . انظر : فتح الباري : ١٣ / ٤٧٧ .

(٣) وقد جاء مفسراً بذلك في رواية عبد الله بن المبارك عن محمد بن سواء عن قتادة ؛ فقال في آخر الحديث : قال عبد الله بن المبارك : كنفه : ستره . أخرجه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد . انظر : فتح الباري : ١٣ / ٤٧٧ .

(٤) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم : ١٧ / ٨٧ ، فتح الباري : ١٠ / ٤٨٨ ، ١٣ / ٤٧٧ ، السدياج : ٦ / ١٠٩ ، فيض القدير : ٢ / ٣٠١ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٧٢ .

(٦) سبق ترجمته في ص ٤٧٥ .

(٧) انظر : أقاويل النقات : ٢٠٠ .

وتكليفٍ يفضي إلى تمثيل (١) .

رابعاً : المنابر من النور :

العادلون هم من أهل الإحسان ، ولهم منازل رفيعة عند ربهم في يوم القيامة ، يجلسون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين . قال ﷺ : " إِنَّ الْمَقْسُطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا " (٢) .

قال القاضي (٣) : " يحتمل أن يكونوا على منابر حقيقة على ظاهر الحديث ، ويحتمل أن يكون كنايةً عن المنازل الرفيعة المحمودة . ورجَّح النووي (٤) القول الأول ، ويكون متضمناً للمنازل الرفيعة ، فهم على منابر حقيقة ومنازلهم رفيعة ، ولذلك قال : " على يمين الرحمن " . اهـ (٥) .

خامساً : الفكاك من النار :

من سعة رحمة الله بعباده المؤمنين المتقين في الآخرة فداء كل مسلم بكافرٍ من النار ، ونجاتهم منها . قال رسول الله ﷺ : " إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ ﷻ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا ، فَيَقُولُ : هَذَا فَكَأَكَ مِنَ النَّارِ " (٦) .

ومعنى فكأكك من النار : أنك كنت معرضاً لدخول النار ، وهذا فكأكك ؛ لأن الله تعالى قدر لها عدداً يملؤها ، فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين (٧) .

(١) توحيد الألوهية : ٦ / ٣٥٥ .

(٢) سبق تخريجه في ص ٥٣٨ ، أخرجه مسلم .

(٣) أي القاضي عياض : سبق ترجمته في ص ٨٠ .

(٤) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٢ / ٢١١ ، وانظر : شرح السيوطي : ٨ / ٢٢١ .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب التوبة ، باب قبول توبة القتال وإن كفر قتلته (٢٧٦٧) : ٤ / ٢١١٩ . عن أبي موسى الأشعري ﷺ .

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٧ / ٨٥ .

ساحساً : التخيير في أي الحور العين شاء :

من صفات المحسنين الأبرار كظم غيظهم إذا لحقهم أذى من قريب أو بعيد أو صديق ، وهو خُلِقَ رَبَّانِي رَاقٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ الصَّابِرُونَ ذُووِ الْحِطِّ الْعَظِيمِ . قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [سورة آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤] .

وفي يوم القيامة يدعو الله من كظم غيظه على رؤوس الأشهاد ، ويأتيه التكريم .. قال ﷺ : " من كظم غيظاً ، وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيّره في أي الحور شاء " (١) .

فقد ضبط نفسه وانفعالاته في الدنيا ، وتجرّع غضباً كامناً فيه وهو قادرٌ أن يمضيه ابتغاء الأجر من الله ، وهذا فعلٌ لا يقدر عليه إلا الموصول بالله ، المعتصم بجبل الله ، وهو في ذلك اليوم ينادى عليه ويكافئ على إحسانه لنفسه أولاً ثم إلى الناس ؛ فهو لم يصب جام غضبه على أحد ؛ بل قهر النفس الأمارة بالسوء ، وفوض الأمر لمولاه الذي سيعوّضه خيراً ، وكان الخير له تكريم الله له ، وثناؤه عليه وتباهيه به ، وتخييره من أي الحور العين شاء ؛ وهو كناية عن إدخاله الجنة المنيعه ، وإيصاله الدرجة الرفيعة ، وهذا الشاء الجميل والجزاء الجزيل ترتب على مجرد كظم الغيظ ، فكيف إذا انضم العفو إليه أو زاد بالإحسان عليه ؟! (٢) .

وهذا الأجر والثواب يختصُّ بالرجال الذين كظموا غيظهم ، وللنساء أن يتساءلوا : فما أجر المرأة التي كظمت غيظها عند الله يوم القيامة ؟! ..

ربما ذكر رسول الله ﷺ هذا العوض من الله بالتخيير من الحور العين للرجال ؛ لأنهم لا يتحكّمون في مشاعرهم وعواطفهم كالنساء اللاتي جبلن على التضحية والصبر ، والله ﷻ قد بشر الصّابرين عموماً أجرهم بغير حساب . والله أعلم .

(١) أخرجه الترمذي - واللفظ له - في كتاب البرّ والصلة ، باب في كظم الغيظ (٢٠٢١) : ٤ / ٣٧٢ ، وأخرج أبو داود بنحوه في كتاب الأدب ، باب من كظم غيظاً (٤٧٧٧) : ٤ / ٢٤٨ . كلاهما عن معاذ بن أنس الجهني . قال الترمذي : قال هذا حديث حسن غريب .

(٢) انظر : عون المعبود : ١٣ / ٩٥ ، تحفة الأحوذى : ٦ / ١٤٠ .

سابعاً : التَّجَاوُزُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ :

إِنَّ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يَسْرُونَ عَلَى الْمَعْسَرِينَ ، وَيَنْظُرُونَهُمْ إِلَى مَيْسِرَةٍ قَدْ وَعَدَهُمُ اللَّهُ تَجَلُّلاً أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، فَالْجُزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ . قَالَ ﷺ : " كَانَ رَجُلٌ يَدَايِنُ النَّاسَ ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ : إِذَا أَتَيْتَ مَعْسِراً فَتَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا ، قَالَ : فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ " (١) .

وتجاوز الله عن المحسنين وغفرانه لذنوبهم ، وعدم مؤاخذتهم بها لحسن ظنهم ورجائهم أنه سبحانه يعفو عنهم مع إفلاسهم من الطاعات ، لكنهم محسنون بفعلهم ؛ وهو إنظار المعسر والتجاوز عنه ولو للقليل ، فعلى المؤمن المسامحة في الاقتضاء ، وعدم احتقار فعل الخير وإن قلَّ فلعله يكون سبباً للرحمة (٢) .

ثامناً : خُلُوصُ الْمُحْسِنِينَ وَنَجَاتُهُمْ مِنَ النَّارِ بِمَنْدَمَرِهِمْ عَلَى الصِّرَاطِ :

الصِّرَاطُ جِسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَى جَهَنَّمَ يَمُرُّ عَلَيْهِ جَمِيعُ النَّاسِ ، وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِالْوُرُودِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ ثُمَّ تُنَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٦﴾ . [سورة مريم - عليها السلام - : ٧١ ، ٧٢] . هل هو دخول النار أو المرور على الصِّرَاطِ أو غير ذلك (٣) ؟ .

قال شارح الطحاوية (٤) :

" وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِالْوُرُودِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ مَا هُوَ ؟ وَالْأَظْهَرُ وَالْأَقْوَى أَنَّهُ الْمُرُورُ عَلَى الصِّرَاطِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ تُنَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ . وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : " لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب ﴿ أَمْرٌ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ﴾ (٣٢٩٣) : ٣ / ١٢٨٣ ، وأخرج

مسلم بمثله في كتاب المساقاة ، باب فضل إنظار المعسر (١٥٦٢) : ٣ / ١١٩٦ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

(٢) فيض القدير : ٤ / ٥٤٥ . بتصرف يسير .

(٣) في المراد بالورود خمسة أقوال ، انظر : زاد المسير : ٥ / ٢٥٥ ، ٢٥٦ . قال الزجاج : هذه آية كثر اختلاف المفسرين فيها .

انظر : لسان العرب (مادة : ورد) : ٣ / ٤٥٧ .

(٤) هو ابن أبي العز الحنفي ، سبق ترجمته في ص ٨٥ .

أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها " . قالت : بلى يا رسول الله ، فانتهرها . فقالت حفصة (١) - رضي الله عنها - : ﴿ وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ . فقال النبي ﷺ : " قد قال الله ﷻ : ﴿ تُمْ تَنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ﴾ " (٢) . أشار ﷺ الى أن ورود النار لا يستلزم دخولها ، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله ؛ بل تستلزم انعقاد سببه ، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه يقال : نجاه الله منهم . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا ﴾ . [سورة هود : ٥٨] . ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا ﴾ . [سورة هود : ٦٦] . ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا ﴾ . [سورة هود : ٩٤] . ولم يكن العذاب أصابهم ولكن أصاب غيرهم ، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك ، وكذلك حال الوارد في النار يمرُّون فوقها على الصراط ، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيًا ، فقد بين ﷺ في حديث جابر (٣) المذكور أن الورود هو الورود على الصراط " . اهـ (٤) .

أنواع الورود (٥) :

والذي يظهر - والله أعلم - أن الورود نوعان :

النوع الأول :

ورود الكفار على النار : وهذا ورود دخول . قال تعالى حكاية عن فرعون : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ . [سورة هود : ٩٨] . أي : بئس المدخل المدخول .

(١) أم المؤمنين وصحابة جلييلة ، انظر : ص ٢٣٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ ، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان ﷺ (٢٤٩٦) : ٤ / ١٩٤٢ . عن جابر ﷺ .

(٣) صحابي جليل ، انظر : ص ١٧١ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية : ٤٧١ .

(٥) الورود في اللغة : من (ورد) : ورد بلد كذا وماء كذا إذا أشرف عليه ، دخله أو لم يدخله ، قال : فالورود بالإجماع ليس بدخول . وبهذا اتفق ما قاله العلماء مع اللغة . انظر : لسان العرب (مادة : ورد) : ٣ / ٤٥٧ .

الفصل الثاني: ورود المؤمنين الموحدين ، وهذا ورود ؛ أي : مرور على الصراط ومرورهم يكون على أحوال متفاوتة بحسب أعمالهم في الحياة الدنيا ؛ من إحسانٍ أو إساءةٍ أو تخليط ، والمؤمنون على تفاوت درجاتهم ومراتبهم في البطاء والإسراع ، ثم يجتازون إلى الجنان ^(١) . هذا مع اتفاق جميع المفسرين على أن المتقين لا تنالهم نار جهنم ^(٢) . قال ابن تيمية ^(٣) :

" يمرُّ الناس على الصراط على قدر أعمالهم : فمنهم من يمرُّ كالمح البصر ومنهم من يمرُّ كالبرق ، ومنهم من يمرُّ كالريح ، ومنهم من يمرُّ كالفرس الجواد ، ومنهم من يمرُّ كركاب الإبل ، ومنهم من يعدو عدواً ، ومنهم من يمشي مشياً ، ومنهم من يزحف زحفاً ، ومنهم من يخطف خطفاً ويلقى في جهنم ؛ فإن الجسر عليه كالإيب تخطف الناس بأعمالهم ^(٤) " . اهـ ^(٥) .

قال قتادة ^(٦) : إنَّ الناس وردوا جهنم وهي سوداء مظلمة ، فأما المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم فأنجوا منها ^(٧) .

وأول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد ﷺ ، ومن الأمم أمته ، لقوله : " فأكون أنا وأمِّي أول من يجيئها ، ولا يتكلم يومئذ إلاَّ الرُّسل ، ودعوى الرُّسل يومئذ : اللهم سلِّم سلِّم ... " ^(٨) .

فالمؤمنون الأبرار يجتازون الصراط وبسرعة فائقة ، فإن أعمالهم الصالحة سهَّلت لهم مرورهم فمرُّوا بسلام وأمان ، وأضاء لهم نورهم فمشوا على بصيرة .

^(١) انظر : زاد المسير : ٢٥٦ / ٥ ، فتح الباري : ٣ / ١٢٤ ، اليوم الآخر ، القيامة الكبرى لعمر سليمان الأشقر : ٢٧٨ .

^(٢) نقل هذا الإجماع الطاهر ابن عاشور . انظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٧١ .

^(٣) سبق ترجمته في ص ٢١ .

^(٤) لما أخرجه البخاري في كتاب صفة الصلاة ، باب فضل السجود (٧٧٣) : ١ / ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب

الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٥) : ١ / ١٨٦ ، ١٨٧ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

^(٥) العقيدة الواسطية : ٣٣ ، ٣٤ ، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية : ٤٧٠ .

^(٦) سبق ترجمته في ص ٥ .

^(٧) تفسير الطبري : ١١٥ / ١٦ .

^(٨) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب صفة الصلاة ، باب فضل السجود (٧٧٣) : ١ / ٢٧٧

وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٢) : ١ / ١٦٣ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . [سورة النحر : ٨] .

قيل : أراد بالنور القرآن .

وعن ابن مسعود ^(١) قال : يؤتون نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم ، وأدناهم نوراً من نوره على إهمام رجله فيطفا مرةً ويوقد أخرى .

وقال الحسن ^(٢) : ليستضيئوا به على الصراط .

قال المفسرون : يعطي الله المؤمنين نوراً يوم القيامة على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ^(٣) . وهذا من رحمة الله بالحسنين في هذا اليوم العصيب .

قال سيد قطب ^(٤) :

" وإِنَّهٗ لِإِعْرَاءٍ مُّطْمَعٍ ، وَتَكْرِيْمٍ عَظِيْمٍ ، أَنْ يَضُمَّ اللهُ الْمُؤْمِنِيْنَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيَجْعَلُهُمْ مَعَهُ صَفَاءً يَتَلَقَّى الْكِرَامَةَ فِي يَوْمِ الْخِزْيِ .. ثُمَّ يَجْعَلُ لَهُمْ نُورًا ﴿ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ .. نُورًا يُعْرَفُونَ بِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْهَائِلِ الْمَائِجِ الْعَصِيْبِ ، وَنُورًا يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ إِلَىٰ نَهَايَةِ الْمَطَافِ ! " . اهـ ^(٥) .

ثانياً : المحسن في معية الله :

لفظ " مع " في لغة العرب :

لفظ " مع " في لغة العرب يدل على المصاحبة والموافقة والاقتران ، ولا تشعر بامتزاج ، ولا اختلاط ، ولا مجاورة ، ولا مجانبية ^(٦) .

(١) صحابي جليل ، انظر : ص ٢٥ .

(٢) هو الحسن البصري ، سبق ترجمته في ص ٥٢ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي : ١٧ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٩ .

(٥) الظلال : ٦ / ٣٦١٨ .

(٦) انظر : منهاج السنة النبوية : ٨ / ٣٧٥ ، مدارج السالكين : ٢ / ٢٦٥ .

أقسام معية الله لخلقه :

معية الله تعالى لخلقه تنقسم إلى قسمين : عامة ، وخاصة .

أولاً : المعية العامة : فهي تشمل كلَّ أحدٍ من مؤمنٍ وكافرٍ ، وبرٍّ وفاجرٍ ، وتستلزم

الإحاطة بالخلق علماً^(١) وقدرةً وسمعاً وبصراً وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته . كما

في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۗ ﴾ . [سورة الحديد : ٤] . وكقوله

تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ

رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۗ ﴾ . [سورة

المجادلة : ٧] . وكما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ

إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ... ﴾ . الآية . [سورة يونس : ٦١] .

ثانياً : المعية الخاصة ، تنقسم إلى قسمين :

■ مقيدة بوصف ؛ فمثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ۗ ﴾ . [سورة

النحل : ١٢٨] . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۗ ﴾ . [سورة العنكبوت : ٦٩] .

■ مقيدة بشخص معين ؛ فمثل قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَاتَّبِعُوا

الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ ﴾ . [سورة الأنفال : ١٢] . وقوله لموسى وهارون - عليهما السلام - : ﴿ قَالَ لَا

(١) ذكر ابن عبد البر وابن القيم إجماع علماء الصحابة والتابعين الذي حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى

مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۗ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٩﴾ . [سورة

المجادلة : ٧] . وما شابهها من الآيات : هو سبحانه على العرش وعلمه في كل مكان ، وهذا ما دل عليه سياق الآيات الشريفة ، فقد

افتتحها بالعلم ، وختمها بالعلم فعلم أنه أراد : عالم بهم لا يخفى عليه منهم خافية ، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ ، فهناك أحرر بعموم

العلم لكل نجوى ، وهكذا فسرها السلف ، الإمام أحمد ومن قبله من العلماء : كابن عباس والضحاك وسفيان الثوري ، وما خالفهم في

ذلك من يُحجج بقوله ، وليس المراد بذلك أنه بذاته في كل مكان ، أو أن وجوده عين وجود المخلوقات ، ونحو ذلك من مقالات الجهمية

الذين يقولون بالحللول العام . قال ابن تيمية : " وكلُّ هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش ، وأنه معنا على حقيقته لا يحتاج إلى

تحريف ، ولكن يضان عن الظنون الكاذبة " . اهـ . انظر : التمهيد لابن عبد البر : ٧ / ١٣٩ ، العقيدة الواسطية : ٢٨ ، ٢٩ ، منهاج

السنة النبوية : ٨ / ٣٧٨ ، اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم : ١٥٤ ، أقاويل الثقات : ٩٨ ، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين :

تَخَافًا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٦٦﴾ . [سورة طه : ٤٦] . وقول النبي ﷺ للصدِّيق (١)

ﷺ (٢) وهما في الغار : ﴿لَا تَحْزَنَ إِنِّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ . [سورة التوبة : ٤٠] . وقول موسى عليه السلام :

﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ ﴿٦٧﴾ . [سورة الشعراء : ٦٢] .

ومعيته الخاصَّة - بنوعيتها - لأحبابه وأوليائه ؛ فتلك غير المعية العامة ، فهو معهم سبحانه بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق والتسديد والرحمة والفضل والرغبة ، وغير ذلك مما يقصُر تعبير المخلوق عنه ، وهي معية بالقرب والولاية والمحبة (٣) .
قال قتادة (٤) : من يتق الله يكن معه ، ومن يكن الله معه ، فمعه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي لا ينام ، والهادي الذي لا يضل (٥) .

معية الله لعبده المحسن في الدنيا والآخرة :

أولاً : معية الله للمحسن في الدنيا (٦) :

ومن آثار البرِّ معية الله للأبرار المحسنين في الدنيا وفي الآخرة ، فتكون بالتَّصرة والتأييد والعون والهداية والكفاية والتسديد لهم في الدنيا ، فإذا ما تقربَّ العبد إلى ربه بالتَّوافل بعد الفرائض أحبه ربه وكان معه في كلِّ أحواله .

قال رسول الله ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا

(١) قال طائفة من أهل العلم كأبي القاسم السهيلي وغيره : هذه المعية الخاصة لم تثبت لغير أبي بكر ﷺ . انظر : منهاج السنة النبوية : ٣٨٢ / ٨ .

(٢) صحابي جليل ، انظر : ص ٨٧ .

(٣) انظر : منهاج السنة النبوية : ٣٧٣ / ٨ ، المتقى من منهاج الاعتدال لمحمد بن أحمد الذهبي : ٥٥٢ ، تفسير ابن كثير : ٥٩٣ / ٢ . معارج القبول لحافظ بن أحمد الحكمي : ١ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين : ١ / ٤٠١ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٥) جامع العلوم والحكم : ١٨٨ .

(٦) ذكرت عن معية الله للمحسن في الدنيا من باب أن الشيء بالشيء يذكر ، وليس على سبيل الاستطراد بل الإجمال .

ورجله التي يمشي بها ، وإن سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذته ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته " (١) .

ولا يتأتى للعبد الإخلاص والصبر والتوكل ونزوله في منازل العبودية إلا بهذه المعية ، فمتى كان العبد بالله هانت عليه المشاق ، وانقلبت المخاوف في حقه أماناً ، فبالله يهون كلُّ صعب ، ويسهل كلُّ عسير ، ويقرب كلُّ بعيد ، وبالله تزول الأحزان والهموم والغموم فلا همٌّ مع الله ، ولا غمٌّ مع الله ، ولا حزن مع الله ، ولما حصلت هذه الموافقة مع العبد لربه تعالى في محابته ؛ حصلت موافقة الربِّ لعبده في حوائجه ومطالبه ، فقال : " ولئن سئلتني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذته " . وهذه المعية الحاصلة للعبد المحسن الذي تقرب إلى الله بالتوافل حتى صار محبوباً له ، فبه يسمع ، وبه يبصر ، وكذلك به يصير ، فلا يتحرك ولا يسكن ولا يدرك إلا والله معه ، ومن كان كذلك أمكنه الصبر له ، وتحمل الأثقال لأجله (٢) .

معية الله الخاصة للذاكر (٣) :

قال ﷺ : " قال الله تعالى : أنا مع عبدي حينما ذكرني وتحركت بي شفتاه " (٤) .

وقال ﷺ : " يقول الله تعالى : أنا عند ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم ، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " (٥) .

(١) سبق ترجمته في ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، أخرجه البخاري .

(٢) انظر : الجواب الكافي : ١٣٢ ، عده الصابرين : ٣٥ .

(٣) والذكر نوع من أنواع البرِّ والخير .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، مقدمة باب قول الله تعالى : ﴿ لَا تَحْرِكْ يَدَيْهِ لِسَانِكَ ﴾ : ٦ / ٢٧٣٦ . عن أبي هريرة ؓ .

(٥) أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَيُحَدِّثُكُمْ أَنَّهُ تُفْسَهُ ﴾ (٦٩٧٠) :

٦ / ٢٦٩٤ ، وأخرج مسلم بنحوه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٦٧٥) :

٤ / ٢٠٦١ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

فللذاكر من المعية الخاصة نصيبٌ وافرٌ ، والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شيء ، وهي أخصُّ من المعية الحاصلة للمحسن والمتقي ، وهي معية لا تدركها العبارة ، ولا تنالها الصفة وإنما تُعلم بالذوق . والمعية هنا معية الرحمة ، وهذه معية خاصة تفيد عظمة ذكره تعالى وأنه مع ذاكره برحمته ولطفه وإعائته والرضا بحاله (١) .

ويتكدر صفو هذه المعية بإضاعة الوقت ، وصاحب الوقت له مع الله معية خاصة بحسب حفظه وقته مع الله ، فإن كان مع الله كان الله معه يعينه ويسدده . قال ابن قيم الجوزية (٢) :

" إن المراقبة تعطي نوراً كاشفاً لحقائق المعرفة والعبودية ، وإضاعة الوقت تغطي ذلك النور وتكدر الصُّحبة مع الله ، فإن صاحب الوقت مع صُحبة الله ، وله مع الله معية خاصة بحسب حفظه وقته مع الله ، فإن كان مع الله كان الله معه ، فإذا أضاع وقته كدّر عين هذه المعية الخاصة ، وتعرض لقطع هذه الصُّحبة ، فلا شيء أضرَّ على العارف بالله من إضاعة وقته مع الله ، ويخشى عليه إن لم يتداركه بالرجوع : أن تستمرَّ الإضاعة إلى يوم القيامة فتكون حسرته وندامته أعظم من حسرة غيره وندامته ، وحجابه عن الله أشدَّ من حجاب من سواه ، ويكون حاله شبيهاً بحال قوم يؤمر بهم إلى الجنة ؛ حتى إذا عاينوها وشاهدوا ما فيها صُرفت وجوههم عنها إلى النار ، فإذا توبة الخواص تكون من تضييع أوقاتهم مع الله التي تدعو إلى هذه الأمور " . اهـ (٣) .

ثانياً : معية الله للمحسن في الآخرة :

في الآخرة يكون للمحسنين الفضل والرفعة والمراتب العالية والثواب الجزيل والمغفرة . والله مع المحسنين ، ومن كان الله معه فهو الأعلى ، وهو الغالب ، وهو القاهر المنصور دوماً . قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [سورة الصافات : ١٧٣] . فالمؤمنون لهم النَّصرة والغلبة ، فإن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة ، ويبرز هذا المعنى عند التأمل في أسلوب التأكيد في هذه الآية . وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة العنكبوت :

(١) انظر : الوابل الصيب : ٩٣ ، فتح الباري : ١٣ / ٥٠٠ ، سبل السلام : ٤ / ٢١٣ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٦ .

(٣) مدارج السالكين : ١ / ٢٦٨ .

[٦٩]. والذي يفيد معنى الدوام والاستقرار (١). فهو سبحانه معهم بالنصرة والمعونة والحفظ والهداية في دنياهم ، وبالثواب والمغفرة في عقباهم ، ومع الجميع بالإحاطة والقدرة ، فبين المعيتين بون شاسع ، وهذه المعية والقربة التي تكون للمحسن زيادة على حسناته تكريماً له وهي عائدة إلى الرتبة والمترلة والحظوة والدرجة الرفيعة لا إلى المكان (٢).

هذا شأن المحسنين يوم القيامة ، التكريم والرفعة والنور ، أمّا المنافقون فسيذهب الله بنورهم ففي قوله تعالى في صفة المنافقين في نفاقهم : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٧].

ذكر ابن القيم (٣) سرّاً بديعاً في ذلك فقال :

" وقال ﷺ : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ ولم يقل : ذهب نورهم ، وفيه سرٌّ بديعٌ ، وهو انقطاع سرِّ تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من الله تعالى ، فإنَّ الله تعالى مع المؤمنين ، وإنَّ الله مع الصابرين ، وإنَّ الله مع الذين اتَّقوا والذين هم محسنون ، فذهاب الله بذلك النور انقطاع لمعيته التي خصَّ بها أوليائه فقطعها بينه وبين المنافقين ، فلم يبق عندهم بعد ذهاب نورهم ولا معهم ، فليس لهم نصيب من قوله : ﴿ لَا تَحْزَنَ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا ﴾ [سورة التوبة : ٤٠]. ولا من : ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [سورة الشعراء : ٦٢]. " اهـ (٤).

إنَّ المحسنين فازوا بلذَّة النَّظَرِ إلى وجه الله ، وفازوا بمعية المحبَّة فإنَّ المرء مع من أحبَّ .

قال ابن القيم :

" فأبى نعيم ، وأبى لذة ، وأبى قرّة عينٍ ، وأبى فوزٍ يداني نعيم تلك المعية ولذتها وقرّة العين بها ! وهل فوق نعيم قرّة العين بمعية المحبوب الذي لا شيء أجلُّ منه ولا أكمل ولا أجمل قرّة عين ألبتة " اهـ (٥).

(١) انظر : تفسير الجلالين : ٥٩٧ ، فتح القدير : ٤ / ٢١٢ .

(٢) انظر : تفسير البغوي : ٣ / ٤٧٥ ، التفسير الكبير : ٨٣ / ٢٥ ، تفسير القرطبي : ١٠ / ٣١٢ ، تفسير البيضاوي : ٤ / ٣٢٥ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٦ .

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية : ٢١ .

(٥) مدارج السالكين : ٢ / ٨٠ .

وإنَّ النفسَ التقيَّةَ لتتوق إلى هذا النعيم ، واللهُ أعدَّ للأبرار هذا النعيم وهذا التكريم ، فلهم الظلُّ الوارف ، والحساب اليسير ، والمنابر من نور ، والفضل من الله والمغفرة والرضوان والقرب من رحمة الرؤوف الرحيم ، ومعية العزِّ والغلبة .. فلن يضع الله أعمالهم ، جعلنا الله وإياكم من الأبرار ، ووفقنا لعمل الأبرار .



المبحث الثالث

البرُّ سببٌ للنَّعيم المقيم في الجنَّة ، وسببٌ للنَّجاة من النَّار

مهما تنعم المتنعّمون في الدنيا فنعيمهم إلى زوال ، فالدنيا لا تدوم لأحد ، ولا تدوم على حال ، فإن استقامت لأحد كان لنعيمهم نقص وفي فرحهم غصص ، أما الجنَّة فنعيمها مقيمٌ دائمٌ لا يزول ، وقد ذكر الخلود في الجنان في بضع وثلاثين موضعاً من كتاب الله العزيز منها قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [سورة النساء : ١٢٢] .

وذكر النّعيم المقيم في القرآن الكريم في موضع واحد^(١) ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرًا عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ هُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢١﴾ . [سورة التوبة : ٢٠ - ٢٢] .

فالأبرار نعيمهم أبديّ ، وهم الفائزون ، وفوزهم لخلاصهم من النار ونجاتهم منها . قال تعالى : ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ . [سورة آل عمران : ١٨٥] .

أولاً : البرُّ سببٌ للنَّعيم المقيم في الجنَّة :

النَّعيم لغة :

النون والعين والميم فروعه كثيرة ، وهي على كثرتها راجعة إلى أصل واحد يدلُّ على ترفُّهٍ وطيب عيشٍ وصلاحٍ ، ومنه النّعمة : وهي ما يُنعم الله تعالى على عبده به من مالٍ وعيشٍ والنّعمة : المنّة ، وكذا النّعماء ، والنّعمة : التّنعُّم وطيب العيش . قال تعالى : ﴿ وَنَعْمَةٌ كَانُوا

(١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مادة : خالدون ، خالدون ، مقيم) : ٢٣٦ - ٢٣٨ ، ٥٨٠ .

فِيهَا فَانكِهَيْنَ ﴿٧٧﴾ . [سورة الدخان : ٢٧] . وَالنَّعِيمُ وَالنُّعْمَى وَالنَّعْمَاءُ وَالنَّعْمَةُ ، كَلِمَةُ الْخَفِضِ وَالذُّعَى وَالْمَالُ ، وَهُوَ ضِدُّ الْبَأْسَاءِ وَالْبُؤْسَى ، وَنَعْمُ الشَّيْءِ نُعُومَةٌ ، أَي : صَارَ نَاعِمًا لِيُنَا (١) .

قَالَ الرَّاعِبُ (٢) : " وَالنَّعِيمُ : النُّعْمَةُ الْكَثِيرَةُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ﴿٧٧﴾ . [سورة الواقعة : ١٢] . وَتَنَعَّمَ : تَنَاوَلَ مَا فِيهِ النُّعْمَةُ وَطِيبَ الْعَيْشَ ، يُقَالُ : نَعَّمَهُ تَنْعِيمًا فَتَنَعَّمَ ؛ أَي : جَعَلَهُ فِي نِعْمَةٍ ، أَي : لِيَنْ عَيْشٍ وَخَصَبٍ " . اهـ (٣) .

وَيَعْبَرُ بِالْإِقَامَةِ عَنِ الدَّوَامِ نَحْوَ ﴿ نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ ﴿٧٧﴾ . [سورة الدخان : ٥١] . أَي : فِي مَكَانٍ تَدُومُ إِقَامَتُهُمْ فِيهِ (٤) .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي حَجِيمٍ ﴿٧٤﴾ . [سورة الانفطار : ١٣ ، ١٤] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ لِيَدْخُلُوا مِنْ حَتَمِهَا الْأَنْهَارُ أَكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ . [سورة الرعد : ٣٥] .

دوام النعيم للأبرار :

وَالْمُتَّقُونَ الْأَبْرَارُ هُمُ الَّذِينَ وَقَّوْا أَنْفُسَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالصَّلَاحِ وَفَعَلَ الْخَيْرَ فَهَمُ فِي مَأْمَنٍ مِنَ الْعَذَابِ ؛ بَلْ لَهُمْ فَوْقَ الْأَمْنِ الْجَنَّةُ الَّتِي وَعَدَهَا الَّتِي فِيهَا الظِّلُّ الدَّائِمُ وَالشَّمْرُ الدَّائِمُ (٥) .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَرْزُقْنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ ﴿٧٤﴾ . [سورة ص : ٥٤] .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ . [سورة النحل : ٩٦] .

" إِنَّ نَعِيمَ الْجَنَّةِ بَاقٍ دَائِمٌ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَالْمُرَادُ دَوَامُ نَوْعِهِ لَا دَوَامُ كُلِّ فَرْدٍ ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ جَزْءٍ مِنْهُ يَنْفَدُ ؛ أَي : يَنْقُضِي وَيَنْصَرِمُ " (٦) .

قَالَ ﷺ : " مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ " (٧) .

(١) انظر : المقاييس ، كتاب النون ، باب النون والعين وما يثلثهما (مادة : نعم) : ١٠٣٥ ، لسان العرب (مادة : نعم) :

٥٧٩ / ١٢

(٢) سبق ترجمته في ص ٣ .

(٣) المفردات (مادة : نعم) : ٥٠١ .

(٤) المفردات (مادة : قام) : ٤١٨ ، ٤١٩ . بتصرف يسير .

(٥) الظلال : ٤ / ٢٠٦٣ .

(٦) منهاج السنة النبوية : ١٥٤ / ٢ .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في دوام نعيم أهل الجنة (٢٨٣٦) : ٤ / ٢١٨١ . عن أبي هريرة ؓ .

قال النووي (١) :

" مذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون يتنعمون بذلك وبغيره من ملاذ وأنواع نعيمها تنعماً دائماً (٢) لا آخر له ولا انقطاع أبداً ، وأن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا ؛ إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا يشارك نعيم الدنيا إلا في التسمية وأصل الهيئة ، وإلا في أنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبصقون ، وقد دلت دلائل القرآن والسنة في الأحاديث (٣) أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبداً " . اهـ (٤) .

إن البرُّ يهدي إلى الجنة ، والأبرار قد توسعوا في أعمال الخير ، وطلبوا مرضاة ربهم في كل قول وكل فعل ، فوفوا بالثدور ، وأطعموا الطعام ابتغاء وجه الله ، وصبروا ؛ فكان جزاؤهم الجنة والحريز ، وثياب سندسٍ خضر ، وأساور من فضة ، وشتى صنوف النعيم المقيم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٦٦﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦٧﴾ يُوفُونَ بِالْإِذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٦٨﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْفَ مِائَةِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٦٩﴾ إِنَّمَا نَطَعِمُكُمْ لِيُوجِبَ اللَّهُ لَكُمْ أَجْرًا وَلَا تَشْكُرُوا ﴿٧٠﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿٧١﴾ فَوَقَّعْنَاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعْنَاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿٧٢﴾ وَجَزَّئْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿٧٣﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴿٧٤﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ أَطْفُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴿٧٥﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِغَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿٧٦﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿٧٧﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿٧٨﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿٧٩﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿٨٠﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ

(١) سبق ترجمته في ص ١٥ .

(٢) زعم جهنم أن الجنة والنار تفتيان بعد خلقهما ، فيخرج أهل الطاعة من الجنة بعد دخولهم ويخرج أهل النار بعد دخولهم ، وإن أهل الجنة إذ دخلوها لبثوا فيها دهرًا طويلاً ، فتبديد الجنة وأهلها ويبدي نعيمها ، وتملك النار ويبدي عذابها ، وأخذ ذلك من قوله ﷻ : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ فشكك الناس ، وليس على الجاهل تأويل القرآن من غير تأويله ، وقد أكذبه الله ﷻ بكتابه والمأثور عن النبي

ﷺ . انظر : التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع لمحمد بن أحمد الملطي الشافعي : ١ / ١٤٠ ، المنتقى من منهاج الاعتدال : ٣٧ الموافق لعرض الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي : ٣ / ٦٦٠ ، شرح العقيدة الطحاوية : ١ / ٥٩٢ .

(٣) التي أخرجها مسلم وغيره .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم : ١٧ / ١٧٣ ، ١٧٤ ، وانظر : منهاج السنة النبوية : ٢ / ١٥٤ .

ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُوعًا أُسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَدُهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمَّ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٣﴾ . [سورة الإنسان : ٢٢ - ٥] .

هذه صورةٌ وضيئةٌ شفافةٌ لقلوبٍ مخلصَةٍ جادَّةٍ عازمةٍ على الوفاءِ لله بتكاليفِ الإيمانِ ، مع رحمةٍ نديَّةٍ بعبادِهِ الضَّعْفَاءِ ، وإيثَارٍ على النَّفْسِ ، وتحرُّجٍ وخشيةٍ لله ورغبةٍ في رضاه وإشفاقٍ من عذابه يبعثه التَّقْوَى والجدُّ في تصوُّرِ الواجبِ الثَّقِيلِ .

إنَّ الأبرارَ يفعلون ما اعتزموا من الطَّاعَاتِ ، وما التزموا من الواجباتِ ، فهم يأخذون الأمرَ جدًّا خالصًا لا يحاولون التفلُّتَ من تبعاته ، ومع هذا هم يخافون شرَّ ذلك اليومِ ، وهذه سمةُ الأتقياءِ ، الشَّاعرينَ بثقلِ الواجبِ ، الخائفينَ من التَّقْصِيرِ مهما قدَّموا من أعمالِ الخيرِ المفعمةِ قلوبهم بحبِّ الله ، فهم لا يرجون جزاءً من الخلقِ ولا شكورًا ، بل يتَّجهون إلى الله يطلبون رضاه ، تمتلئ قلوبهم بالرحمةِ والإشفاقِ ، فكان لهؤلاء الأبرارِ التَّعِيمِ المقيمِ بشقَى لذائذه وامتعه ، جزاءً لهم على ما قدَّموه من أعمالِ الخيرِ والبرِّ (١) .

وقد خصَّ الله في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ هُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٦﴾ . [سورة التوبة : ٢٥ - ٢٢] .

أعمالاً من البرِّ يكون لصاحبها التَّعِيمِ المقيمِ ، وهي الإيمانُ والعملُ الصالحُ ، وأعظمه وأنفعه وأشقُّه الهجرةُ والجهادُ ، والإيمانُ الكاملُ هو الباعثُ على هجرِ الوطنِ والأهلِ والأحبابِ والديارِ فراراً بدينِ الله ، وإنفاقِ المالِ - والنفْسِ تشحُّ بإعطاءِ ما تملكُ - ليس سهلاً على الإنسانِ ، لكن من تمكَّن حبُّ مولاهُ في قلبه ، فإنَّه يعطي أعزَّ ما عنده والنَّفْسَ راضيةً مسرورةً ترجو الثَّوابَ والأجرَ ، فيضحِّي بنفسه وماله في سبيلِ الله ، ولذلك بشرهم ﷺ بالتَّعِيمِ الدائمِ الذي لا يحول ولا يزول ، وبالخلودِ الأبديِّ في الجنانِ ، وهذا لا يعني أنَّ التَّعِيمِ المقيمِ جزاءً لأعمالِ البرِّ تلك المذكورة في الآيةِ السَّابِقةِ ، ولكن خُصِّتْ من دون غيرها

بالذِّكر لَأَنَّهَا أَعْظَمُهَا وَأَشَقُّهَا تَرْغِيْبًا مِنْهُ سَبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ ، وَإِلَّا فَيَنْ لَجَمِيْعِ أَهْلِ الْجَنَّةِ النَّعِيْمِ الْمَقِيْمِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا انْقِطَاعَ فِيهِ أَبَدًا ^(١) .

وكلما زاد حبُّ العبد لربِّه زاد نعيمه في الجنَّة ، قال الغزالي ^(٢) :

" إِنْ نَعِيْمِ الْجَنَّةِ بِقَدْرِ حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى ، وَحُبِّ اللَّهِ تَعَالَى بِقَدْرِ مَعْرِفَتِهِ ، فَأَصْلُ السَّعَادَاتِ هِيَ الْمَعْرِفَةُ الَّتِي عَبَّرَ الشَّرْعُ عَنْهَا بِالْإِيْمَانِ " . اهـ ^(٣) .

وقال يحيى بن معاذ الرَّازي ^(٤) : الإيْمَانُ ثَلَاثَةٌ : الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالْحُبَّةُ ، وَفِي جَوْفِ الْخَوْفِ تَرْكُ الذُّنُوبِ ؛ وَفِي النَّجَاةِ مِنَ النَّارِ ، وَفِي جَوْفِ الرَّجَاءِ الطَّاعَةُ ؛ وَفِيهِ وَجُوبُ الْجَنَّةِ ، وَفِي جَوْفِ الْحُبَّةِ اِحْتِمَالُ الْمَكْرُوْهَاتِ ؛ وَبِهِ تَجِدُ رِضَا اللَّهِ ﷻ ^(٥) .

ثَانِيًا : الْبِرُّ سَبَبٌ لِلنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ :

النَّجَاةُ لُغَةً :

النَّجَاءُ : الْخَلَاصُ مِنَ الشَّيْءِ ، نَجَا يَنْجُو نَجْوًا وَنَجَاءً وَنَجَاةً ، وَنَجَى وَاسْتَنْجَى كَنَجَا وَنَجَّاهُ اللَّهُ وَأَنْجَاهُ . وَاسْتَنْجَى مِنْهُ حَاجَتُهُ : تَخَلَّصَهَا ^(٦) .

والبرُّ سببٌ للخلاص من النار والنَّجاة منها ، والمتَّقون مكرِّمون منعمون عند ربِّهم ، وأوَّلُ نعمة هي نجاتهم من عذاب الجحيم . قال تعالى في اللَّآيَاتِ السَّابِقَةِ مِنْ سُورَةِ الْإِنْسَانِ عَنْ جِزَاءِ الْأَبْرَارِ : ﴿ فَوْقَهُمْ أَلَّهُ شَرَّدَ لِكَ الْيَوْمِ ﴾ . [سورة الإنسان : ١١] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ

فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿٧﴾ فَكَهَيَّبَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ . [سورة الطور : ١٧ - ١٩] .

(١) انظر : تفسير المنار : ١٠ / ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٥٣ .

(٣) الإحياء : ٤ / ٣١٤ .

(٤) سبق ترجمته في ص ٦٣ .

(٥) نقله عنه البيهقي في شعب الإيْمَانِ : ٢ / ١٤ .

(٦) انظر : لسان العرب (مادة : نجا) : ١٥ / ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

قال ابن كثير (١) : " ﴿ وَوَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ أي : وقد نجّاهم من عذاب النار وتلك نعمةٌ مستقلةٌ بذاتها على حدتها ؛ مع ما أضيف إليها من دخول الجنة ؛ التي فيها من السرور ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر " . اهـ (٢) .
وقال الطاهر ابن عاشور (٣) :

" إن وقايتهم عذاب الجحيم عدلٌ ؛ لأنهم لم يقتربوا ما يوجب العقاب ، وأوّل ما أعطوه من النعيم ، فذلك فضلٌ من الله وإكرامٌ منه لهم " . اهـ (٤) .

وقد أظهر ﷺ " الربُّ " في قوله : ﴿ رَبُّهُمْ ﴾ وموقعه الإضمار ، وأضافه إلى ضميرهم في قوله : ﴿ وَوَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ للتشريف والتعليل ، لأن من يقبهم العذاب هو ربُّ العالمين وأرحم الراحمين (٥) .

وقال تعالى في نفس السورة في معرض اعتراف المتقين الأبرار بالمنة بعد دخولهم الجنة وتمتعهم بنعيمها المقيم : ﴿ فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْهِمْ عَلَيْنَا وَوَقَنَّا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ . [سورة الطور : ٢٧] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ في جنّاتٍ وعُيُوتٍ ﴿ ٢٧ ﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿ ٢٨ ﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿ ٢٩ ﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿ ٣٠ ﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَنَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿ ٣١ ﴾ فَضَلًّا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ ٣٢ ﴾ . [سورة الدخان : ٥١ - ٥٧] .

الوقاية لغة :

والوقاية من (وقى) : الواو والقاف والياء كلمة تدلُّ على دفع شيءٍ عن شيءٍ غيره ، من وقاهُ وقياً ووقايةً وواقيةً : صانه ، ووقيتُ الشيءَ أقيه : إذا صنّته وسرّته عن الأذى (٦) .

(١) سبق ترجمته في ص ٥ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٤ / ٢٤٢ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٣٠٩ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٧ / ٦٠ .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود : ٨ / ١٤٨ .

(٦) انظر : المقاييس ، كتاب الواو ، باب الواو والقاف وما يثلثهما (مادة : وقى) : ١١٠٠ ، لسان العرب (مادة : وقى) :

قال الرَّاعِبُ (١) : " الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره " (٢) .

نِجَاةُ الْأَبْرَارِ مِنَ النَّارِ :

فالمؤمنون قد وقوا أنفسهم من النار بفعل الطاعات ، واجتناب المحرمات كما أمرهم ﷻ :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ . [سورة التحريم : ٦] .

والله ﷻ يقي المتقين الأبرار عذاب الجحيم ؛ لما يعلم سبحانه من تقواهم وحشيتهم وإشفاقهم . قال تعالى في وصف المسارعين بالخيرات : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآءَاتُوا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ . [سورة المؤمنون : ٦٠] .

عن عائشة (٣) - رضي الله عنها - أنها قالت : يا رسول الله ﷺ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآءَاتُوا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ ﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر ، وهو يخاف الله ﷻ ؟ قال : " لا يا بنت أبي بكر ، أو لا يا بنت الصديق ، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق ، وهو يخاف الله ﷻ " (٤) .

والمتقون يعرفون هذا ، ويعرفون أن العمل لا يدخل صاحبه الجنة إلا بمئة من الله وفضل فالبر مجرد سبب ، وما يبلغ العمل أكثر من أن يشهد لصاحبه أنه قد استفرغ جهده ، وأتقى الله ما استطاع ، ورغب فيما عند الله ، وهذا الذي يؤهله لهذا الفضل ولهذا النجاة من النار .

قال ﷻ : " لن يدخل أحدًا عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ! . قال : لا ، ولا

(١) سبق ترجمته في ص ٣ .

(٢) المفردات (مادة : وقى) : ٥٤٥ .

(٣) صحابية حليمة وأم المؤمنين ، انظر : ص ٦٤ .

(٤) أخرج الترمذي بنحوه في كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة المؤمنون (٣١٧٥) : ٥ / ٣٢٧ ، وأخرجه أحمد - واللفظ له - في مسند عائشة - رضي الله عنها - (٢٥٣٠٢) : ٦ / ١٥٩ . وأخرج الحاكم بنحوه في المستدرک على الصحيحين في كتاب التفسير (٣٤٨٦) : ٢ / ٤٢٧ . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . قال الحافظ ابن حجر : أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه وصححه الحاكم . انظر : فتح الباري : ٨ / ٤٤٥ .

أنا ، إلاّ أن يتغمّدني الله بفضلٍ ورحمةٍ " (١) .

قال ابن عطية (٢) عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كُؤُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

[سورة الطور : ١٩] . : " ربّ الجنّة ونعيمها بحسب الأعمال ، وأما نفس دخولها فهو برحمة الله

وتغمّده ، والأكل والشرب والتهنّي ليس من الدخول في شيء ، وأعمال العباد الصّالحة لا

توجب على الله التّنعيم إيجاباً ؛ لكنّه قد جعلها أمانة على من سبق تنعيمه ، وعلّق الثواب

والعقاب بالتكسّب الذي في الأعمال " . اهـ (٣) .

والأبرار يعلّقون الآمال على رحمة الله ولا يغترّون بأعمالهم ، يخافون من الله ويحسنون الظنّ

به ، يعملون الصّالحات ويسألون الله القبول .

إنّ فرحة الأبرار لعظيمة حين يبشّرون بالجنّة ويتحقّقون أنّ الله قد نجّاهم من النار ، فذلك ما

كانوا يتمنّونه في الدنيا .. يتقربون إلى الله بالطاعات وقلوبهم تلهج بالدعاء أن يختم الله لهم

خاتمة الخير ، وأن يسكنهم الفردوس الأعلى من الجنّة بصحبة النبيّ المصطفىّ العدنان ﷺ

برحمة منه سبحانه ، وأن ينجّيهم من النّار وسمومها وحرّها ، وهل جزاء الإحسان إلاّ

الإحسان ؟ ..



(١) جزء من حديث أخرجه البخاري - واللفظ له - في كتاب المرضى ، باب تمّني المريض الموت (٥٣٤٩) : ٥ / ٢١٤٧ ، وأخرج

مسلم - بنحوه - في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب لن يدخل أحد الجنّة بعمله بل برحمة الله تعالى (٢٨١٦) :

٤ / ٢١٦٩ . كلاهما عن أبي هريرة ؓ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٢٠٠ .

(٣) المحرر الوجيز : ٥ / ١٨٨ .

المبحث الرابع

جزاء البر يوم القيامة الحسنى وزيادة

من أحسن^(١) إلى الناس ، وأحسن عمله في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح ، وشعر بمراقبة الله له ، فأحسن القيام بما أوجبه الله عليه من الفرائض ، وكف نفسه عما نهاه من المحرمات أحسن الله مآبه وثوابه ، ونال ما وعده الله عباده المتقين الأبرار .

قال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا أَحْسَنُ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ . [سورة يونس : ٢٦] .

قال أبو السعود^(٢) : " ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ أي : أعمالهم على الوجه اللائق ، وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي " . اهـ^(٣) .

فجزاء الأبرار الحسنى وزيادة ، فما هي الحسنى وما هي الزيادة ؟ ..
أولاً : من الناحية اللغوية^(٤) :

" الحسنى كلمة مستغنى عن موصوفها ونعتها ؛ لأن العرب توقعها على الخلة المحبوبة المرغوب فيها المفروح بها ، ولذلك ترك موصوفها " ^(٥) .

قال ابن عاشور^(٦) : " الحسنى في الأصل صفة أنثى الأحسن ، ثم عوملت معاملة الجنس فأدخلت عليها لام تعريف الجنس فبعدت عن الوصفية ولم تتبع موصوفها .

(١) سبق تعريف الإحسان لغة وشرعاً في ص ٣٩٩ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٥٧ .

(٣) تفسير أبي السعود : ٤ / ١٣٨ .

(٤) سبق تعريف " الزيادة " لغة في ص ٥٥٥ .

(٥) زاد المسير : ٤ / ٢٣ ، فتح القدير : ٢ / ٤٣٨ . نقلاً عن ابن الأنباري .

(٦) سبق ترجمته في ص ٣٠٩ .

وتعريفها يفيد الاستغراق ، مثل البُشرى ، والمعنى : للذين أحسنوا جنس الأحوال الحسنى عندهم ، أي لهم ذلك في الآخرة " . اهـ (١) .

ثانياً : من النّاحية الشّرعيّة :

قال عامّة المفسّرين : إنّ المراد بالحسنى : الجنّة ، وكذا قال الجمهور .
وفي الزّيادة أقوالٌ منها :

■ أنّها النظر إلى الله ﷻ .

■ أنّ الزّيادة مضاعفة الحسنة إلى عشر أمثالها .

■ أنّ الزّيادة مغفرةٌ ورضوانٌ .

■ أنّ الزّيادة : أنّ ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به في القيامة (٢) .

والأوّل أصحّ ؛ لوروده في الحديث وكثرة القائلين (٣) به وبه قال أكثر المفسّرين (٤) ، وقد

ثبتت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدّار الآخرة في الأحاديث الصّحاح ، من طرقٍ متواترةٍ عند أئمّة الحديث ، لا يمكن دفعها ولا منعها ، ومن هذه الأحاديث :

■ ما رواه أبو هريرة (٥) ﷺ قال : قالوا : يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة ؟ قال :

" هل تضارّون (٦) في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة ؟ قالوا : لا . قال : فهل

(١) التحرير والتنوير : ١١ / ٦٤ . بتصرف يسير .

(٢) انظر : تفسير الطبري : ١١ / ١٠٧ ، ١٠٨ ، المحرر الوجيز : ٣ / ١١٥ ، زاد المسير : ٤ / ٢٤ ، ٢٥ ، التسهيل لعلوم التنزيل :

٢ / ٩٢ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٤١٥ ، تفسير أبي السعود : ٤ / ١٣٨ ، فتح القدير : ٢ / ٤٣٨ .

(٣) روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم من الصّحابة ثلاث وعشرون نفساً منهم : أبي بكر الصديق ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن عباس ، وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الرحمن بن سابط ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعامر بن سعد ، وعطاء والضحاك ، والحسن ، وقادة والسدي ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم من السلف والخلف . انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي : ٣ / ٤٩٥ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٤١٥ .

(٤) قاله ابن عطية ، والقرطبي ، وابن جزّي ، وابن كثير ، والسّمري قندي وغيرهم . انظر : المحرر الوجيز : ٣ / ١١٥ ، تفسير القرطبي :

٨ / ٣٣٠ ، التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ٩٢ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٤١٥ ، تفسير السّمري قندي : ٢ / ١١٢ .

(٥) صحابي جليل ، انظر : ص ١٤٣ .

(٦) لا تضارّون : أي لا يضرّ بعضكم بعضاً ، أي لا يضرّكم . انظر : المقاييس ، كتاب الضاد ، باب الضاد والياء وما يثلثهما (مادة :

ضير) : ٦٠٦ ، لسان العرب (مادة : ضير) : ٤ / ٤٩٥ .

تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا. قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما.... " . الحديث (١) .

■ وقوله ﷺ: " إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون (٢) في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ . [سورة ق: ٣٩] . " (٣) .

■ وقوله ﷺ: " إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟! قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ . " . وزاد في رواية : " أصحهما هذه الآية : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ " (٤) .

■ ومما يدل على النظر إلى وجه الله ﷻ أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه : " وأسألك لذرة النظر إلى وجهك ، وأسألك الشوق إلى لقاءك ، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ... " . الحديث (٥) .

وهذا متفق عليه أيضاً بين أئمة الإسلام وهداة الأنام (٦) .

قال ابن تيمية (٧) :

" والأحاديث التي تروى في النظر إلى الله أحاديث صحاح . قال أبو عبد الله (٨) : أحاديث الرؤية تؤمن بها ونعلم أنها حق ، ونؤمن بأن الله يرى يوم القيامة ، لا نشك فيه ولا

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري بنحوه في كتاب صفة الصلاة ، باب فضل السجود (٧٧٣) : ١ / ٢٧٧ ، وأخرجه مسلم - واللفظ له - في كتاب الزهد والرفائق " أول الكتاب " (٢٩٦٨) : ٤ / ٢٢٧٩ .

(٢) سبق تعريفه في ص ١٩٤ .

(٣) سبق تخريجه في ص ١٩٤ ، أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة وهم سحانہ وتعالى (١٨١) : ١ / ١٦٣ . عن صهيب ﷺ .

(٥) سبق تخريجه في ص ٦٥ ، أخرجه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(٦) انظر : اجتماع الجيوش الإسلامية : ٨٣ .

(٧) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٨) أبو عبد الله : هو الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - ، إمام المذهب الحنبلي ، انظر : ص ٧٢ .

نرتاب . وسمعت أبا عبد الله يقول : من زعم أن الله لا يُرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ، وردَّ على الله أمره ، يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل " . اهـ (١) .

وسئل مالك بن أنس (٢) ﷺ فقيل له : يا أبا عبد الله ، قول الله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ . [سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣] . يقول قوم (٣) : إلى ثوابه !؟ فقال : كذبوا ، وأين هم من قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجْبُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ . [سورة المطففين : ١٥] . [١٩] .

وقد قال بهذا القول ابن عباس ﷺ وعكرمة والحسن (٤) . واحتج الشافعي (٥) وغيره من الأئمة بالآية السابقة على الرؤية لأهل الجنة .

قال الشافعي : ما حجب الفجَّار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه ﷻ (٦) .

وبذلك يترجَّح أن الحسنى هي الجنة ، والزيادة هي رؤية الله ﷻ في الآخرة .

قال ابن عاشور (٧) :

" الجنة أحسن مثوبة يصير إليها الذين أحسنوا ، وبذلك صيرها القرآن علماً بالغلبة على الجنة ونعيمها من حصول الملاذ العظيمة " . اهـ (٨) .

(١) توحيد الألوهية : ٦ / ٤٩٩ ، وانظر : أصول السنة لأحمد بن حنبل : ١٩ .

(٢) صحابي جليل ، انظر : ص ٦٠ .

(٣) هم المعتزلة والجهمية ومن تبعهم من الخوارج والإمامية ، الذين أنكروا رؤية الله في الآخرة ، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة وقد خالفوا في ذلك ما اجتمعت عليه الأمة من السنن من السلف والخلف . انظر : بيان تلبس الجهمية لابن تيمية : ١ / ٣٦٠ ، شرح العقيدة الطحاوية : ١ / ٢٠٤ .

(٤) ابن عباس صحابي جليل ، انظر : ص ٢٧ ، وعكرمة والحسن البصري سبق ترجمتهما في ص : ٨٥ ، ٥٢ .

(٥) إمام المذهب الشافعي . انظر : ص ١٣٢ .

(٦) انظر : تفسير القرطبي : ١٩ / ٢٦١ ، بيان تلبس الجهمية : ٢ / ٤١٦ ، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : ٢٠١ ، تفسير ابن كثير : ٤ / ٤٥١ ، شرح العقيدة الطحاوية : ١ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، فتح الباري : ١٣ / ٤٢٦ .

(٧) سبق ترجمته في ص ٣٠٩ .

(٨) التحرير والتنوير : ١١ / ٦٤ .

وبين شارح الطحاوية^(١) أهمية مسألة رؤية المؤمنين ربهم في الجنات فقال : " وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها ، وهي الغاية التي شمر إليها المشرمون وتنافس المتنافسون ، وحرّمها الذين هم عن ربهم محجوبون ، وعن بابه مردودون " . اهـ^(٢) .

الزيادة مطلقة :

وكون " الزيادة " جاءت نكرة ، ومن مفهوم دلالة السياق يتبين أن تنكيرها للتعظيم فالزيادة التي يتفضل بها الله سبحانه على عباده المحسنين الأبرار زيادة مطلقة بلا حدود منها : لذة النظر إلى وجه الله ، ولهذا نجد الطبري^(٣) يقول :

" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى ، أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنة ، وأن يبيّض وجوههم ، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ، ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه وأن يعطيهم غرقاً من لآلئ ، وأن يزيدهم غفراناً ورضواناً ، كل ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جنّاته .

وعمّ ربنا - جل ثناؤه - بقوله : ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ الزيادات على الحسنى ، فلم يخص منها شيئاً دون شيء ، وغير مستكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم ؛ بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله " . اهـ^(٤) .

وقال ابن كثير^(٥) :

" وقوله : ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك أيضاً ، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والخور والرضا عنهم

(١) هو ابن أبي العزّ ، سبق ترجمته في ص ٨٥ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية : ٢٠٤ .

(٣) سبق ترجمته في ص ٤٩ .

(٤) تفسير الطبري : ١١ / ١٠٨ .

(٥) سبق ترجمته في ص ٥ .

وما أخفاه لهم من قرّة أعين ، وأفضل من ذلك وأعلاه النَّظَرُ إلى وجهه الكريم ، فإنَّه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه ، لا يستحقُّونها بعملهم بل بفضله ورحمته " . اهـ (١) .
فأعظم نعيم الجنَّة : التَّمَتُّعُ بالنَّظَرِ إلى وجه الله الكريم ، وسماع كلامه ، وقرّة العين بالقرب منه وبرضوانه ، فلا نسبة للذة ما فيها من مأكليٍّ أو مشربيٍّ أو ملبسٍ إلى هذه اللذة أبداً (٢) .

والآيات في هذا المعنى كثيرة منها :

- قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ . [سورة الزمر : ١٠] .
- وقوله تعالى : ﴿ وَنَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ . [سورة النجم : ٣١] .
- وقوله : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ . [سورة النمل : ٨٩] .
- وقوله تعالى : ﴿ هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (٣) . [سورة ق : ٣٥] .
- وفي قول موسى ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۗ قَالَ لَنْ نَرِنِّي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي ﴾ . الآية . [سورة الأعراف : ١٤٣] . أبينُ الدلالة على إمكان رؤية الله ﷻ يوم القيامة ، وقد سأله موسى ﷺ فقال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ يريد أن يتعجَّل من الرؤية ما أجَّله الله تعالى له ولأمثاله من أوليائه (٤) .

الجزاء من جنس العمل :

إنَّ ﴿ أَحْسَنِي وَزِيَادَةً ﴾ جزاءٌ مناسبٌ لأهل الإحسان ؛ لأنَّ الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربَّه في الدنيا على وجه المشاهدة والمراقبة كأنَّه يرى الله بقلبه ، وينظر إليه في حال عبادته ، فكان

(١) تفسير ابن كثير : ٢ / ٤١٥ .

(٢) مدارج السالكين : ٢ / ٨٠ . بتصرف يسير .

(٣) المزيد : هو النظر إلى وجه الله ﷻ . انظر : تفسير الطبري : ٢٦ / ١٧٥ .

(٤) انظر : تأويل مختلف الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّيَنُورِي : ٢٠٧ ، ٢١٦ ، حجج القرآن لأحمد بن محمد بن المظفر

الرَّازِي : ٦٩ ، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : ١٩٧ ، ١٩٨ ، أضواء البيان : ٢ / ٣٧٠ .

جزاء ذلك النَّظَرِ إلى وجه الله عياناً في الآخرة^(١) ، فالجزاء من جنس العمل . قال تعالى :
﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ . [سورة الرحمن : ٦٠] . ويستوي في ذلك الرجال والنساء .
قال ابن تيمية^(٢) :

" إنَّ كلَّ من كان من أصحاب الجنة فإنه موعود بالزيادة على الحسنى التي هي النظر إلى الله سبحانه ، ولا يستثنى من ذلك أحد^(٣) إلاَّ بدليل ، وهذه الرؤية العامة لم توقت بوقت ؛ بل قد تكون عقب الدُّخول قبل استقرارهم في المنازل . والله أعلم " ^(٤) .
قال البعض : ولم يرد به التوقيت ؛ إذ لا غدوة حينئذٍ ولا عشية ، وإنما اختص الإكرام بكثرة النَّظَرِ ؛ لأنَّه لا شيء يقاوم تجلِّيه ، ولولا تقويته لهم لصاروا دكاً كالجبال ، لكنَّه قواهم ليستوفوا لذة النَّظَرِ فينسيهم ذلك كلَّ نعيم كانوا فيه ^(٥) .

نعيم لا يعدله نعيم :

إنَّ لذة النَّظَرِ إلى وجه الله لذة لا تعدلها لذة .. ونعيم لا يعدله نعيم ، إنَّ الإنسان عندما ينظر إلى شيء من صنع الله في الأرض .. من أرضٍ رحيبة ، أو حدائقٍ غناء ، أو مروجٍ خضراء أو صحراءٍ منبسطة ، أو بحرٍ مائج ، أو ليلةٍ قمراء ، أو فجرٍ وليد .. إلى آخر معالم الجمال في هذا الكون الفسيح لينشرح صدره ، وتفرج أسارير قلبه ، ويحس بالانتعاش والحيوية والنضارة ، وتنطلق روحه ، وينطلق لسانه بتسبيح الخالق البديع الذي أحسن كلَّ شيء خلقه ، ويزول معه كلُّ كآبة أو ضيق ، فكيف حين ينظر إلى جمال الكمال ؟ في دار لا يُشوش عليه فيها بهمومٍ أو غمومٍ أو مشاغل ! .. إنَّه أعظم نعيم في الجنة يعطيه الله عباده المتقين الأبرار .. إنَّه لذة النَّظَرِ إلى وجه ربِّهم الكريم .

(١) جامع العلوم والحكم : ٣٥ . بتصرف يسير .

(٢) سبق ترجمته في ص ٢١ .

(٣) ومراد ابن تيمية من قوله : كلُّ أحد : أي الرجال والنساء .

(٤) توحيد الألوهية : ٦ / ٤٣٦ .

(٥) انظر : فيض القدير : ٢ / ٤٢١ .

وهناك أناس يُحرمون هذه الفرحة وهذا النعيم ، لقد حجبتهم معاصيهم وخطاياهم في الدنيا عن تذوق لذة القرب من الله ، وحلاوة طاعته ، وفي الآخرة أيضاً حجبتهم عن أعظم نعيم فوجوههم يومئذٍ كالحة تعيسة ، خائفة من مصيرها ، تتوقع أن تحلَّ عليها كارثة قاصمة للظَّهر بين دقيقة وأخرى ، كما قال تعالى : ﴿ وَوَجُوهُهُمُ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ ﴿٢٤﴾ تَنْظُرُونَ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ . [سورة القيامة : ٢٤ ، ٢٥] . وشتان بينها وبين : ﴿ وَوَجُوهُهُمُ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ . [سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣] . (١)

وكلما زادت معرفة العبد لربه زادت محبته له حجلاً ، وزاد تمتعه بأعظم نعيم في الجنة . قال ابن القيم (٢) :

" إن لذة النَّظر إلى وجه الله يوم القيامة تابعة للتلذذ بمعرفته ومحبته في الدنيا ، وكما أنه لا نسبة لنعيم ما في الجنة إلى نعيم النَّظر إلى وجهه الأعلى سبحانه ؛ فلا نسبة لنعيم الدنيا إلى نعيم محبته ومعرفته والشوق إليه والأنس به ، بل لذة النَّظر إليه سبحانه تابعة لمعرفتهم به ومحبتهم له ، فإن اللذة تتبع الشعور والمحبة ، فكلما كان المحبُّ أعرف بالمحجوب وأشدَّ محبة له كان التذاذه بقربه ورؤيته ووصوله إليه أعظم " . اهـ (٣) .

والأبرار هم الفائزون بالتجلي الذاتي الأبدى الذي لا حجاب بعده ، ولا مستقرراً للكمال دونه ، وهو الكمال الحقيقي ، فقد روضوا أنفسهم على طاعة الله وابتغاء رضاه ، وتسابقوا إلى غفرانه وجنته ، فكان جزاؤهم لذة النَّظر إليه ، وقيد النَّظر باللذة لأنَّ النَّظر إلى الله إمَّا : نظر هيبية وإجلال في عرصات القيامة ، أو نظر لطفٍ وجمالٍ في الجنة ، نسأله سبحانه لذة النَّظر إلى وجهه الكريم .. (٤)



(١) انظر : الظلال : ٦ / ٣٧٧٠ - ٣٧٧٢ .

(٢) سبق ترجمته في ص ٦ .

(٣) إغاثة اللهفان : ٣٣ ، وانظر : الإحياء : ٤ / ٢٥ .

(٤) انظر : فيض القدير : ٢ / ١٤٦ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني وأعاني بمَنِّه وفضله على إتمام هذا البحث المتواضع ، وأسأله سبحانه أن يكون حجةً لي لا عليّ ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، والصلاة والسلام على خير خلقه وخليله وصفيّه نبينا وحبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد :
ففي نهاية المطاف ، وبعد أن عشت في رحاب مجالات البرِّ وآثاره ، أتقلُّ بين واحةٍ وأخرى أنفياً ظلّالها ، وأرتشف من معين هداها يطيب لي أن أذكر أهمَّ ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات .

أولاً : النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث :

- ١- الإيمان والبرُّ والتقوى ألفاظ متقاربة ؛ فالمؤمنون هم المتقون الأبرار .
- ٢- البرُّ : اسم جامع للطاعات وأعمال الخير المقربة إلى الله ، والتي يسعى المسلم عند القيام بها إلى الكمال ، وهو تصوّر وشعور وأعمال وسلوك ، وليس مجرد مظاهر وصور وأشكال بل إحسان يحدوه حبُّ الله وحبُّ الخير الناس ، والبرُّ أنواع ثلاثة جامعة لكل خير : برٌّ في الإيمان ، وبرٌّ في العمل ، وبرٌّ في الخلق .
- ٣- مجالات البرِّ عديدة ومتنوّعة ، وليست كما يظن البعض أنها مختصّة بالوالدين .
- ٤- إنَّ الصفة البارزة فيمن أراد تحقيق البرِّ في جميع مجالاته هو التوازن ، خاصة في مجال البرِّ في الصلّات الاجتماعية ، كيف يكون باراً بوالديه وزوجه وأقاربه ورحمه وصاحبه وجاره حتى عدوه من غير أن يطغى جانب على جانب ، فيعطي كلَّ ذي حقِّ حقه .
- ٥- لا يكون المرء من الأبرار حتى يكون ذا همّة عالية ، وعزيمة قوية بالأخذ بالنفس للصعود للكمال .

٦- إنَّ تحقيق البرِّ ونهوض المرء بنفسه ليكون من المتقين الأبرار لا يكون بين عشية وضحاها ولا يكون بتحقيق شكليات وصور ، فأعمال البرِّ إن كانت غير متوافقة مع سلوكه من حسن خلق وقلب سليم فإنها لن تحقق البرِّ ، فالأمر يحتاج لجهد كبير مع النفس ، واحتساب الأجر والثواب من الله ﷻ .

٧- من خلال البحث تعرفت على بعض المسائل الإيمانية والتي يجدر بالمؤمن التحلي بها ومن ذلك : عبودية الضراء ، برُّ الفقير ، برُّ المريض .. فالمسلم أحياناً قد يحسن القيام بالشعائر التعبدية ؛ لكنه قد يغفل عن التأدب بآداب العبودية مع خالقه ، فالمؤمن يضع جبهته على الأرض سجوداً وخضوعاً ، يستشعر فقره وذله لله ﷻ ، ويمتلاً وجدانه ومشاعره بعظمته وجلاله ورغبة ورهبة ، ويرضى ويسلم لأمره .

٨- إنَّ الصِّدق من أعظم الفضائل وخير أعمال البرِّ ، فقد جمعت آية البرِّ برِّ الإيمان ، وبرِّ العبادة وبرِّ الخلق ، ثم ختمت الآية بقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ .

٩- بعد أن تعرّفت على جوانب البرِّ توصلت أن البرِّ حقٌّ واجبٌ على المسلم وليس تفضُّلاً منه وتكرُّماً ، فقد علق ﷺ الكثير من أعمال البرِّ بالإيمان بالله واليوم الآخر ، ومن ذلك البرُّ في معاملة الجار وإكرام الضيف وغير ذلك .

١٠- إنَّ من جاهد نفسه لتحقيق جميع جوانب البرِّ التي ذكرت في البحث فإنه بلا شك - بعد توفيق الله - سيكون إنساناً ربانياً يعيش عمراً مباركاً ؛ لأنه حقَّق السعادة ليس لنفسه وأهله فحسب ؛ بل لجميع من حوله . كما قال بعضهم : المؤمن كالغيث أينما حلَّ أمطر يعطي من يحبُّ ومن لا يحبُّ .

هذا وقد ظهر لي من خلال هذه الدراسة بعض التوصيات والمقترحات ؛ والتي من أبرزها :

١- ضرورة تناول كل جانب أو مجال من مجالات البرِّ بالبحث في دراسات موضوعية متخصصة .

٢- أهيب بكلِّ مسلم أن يتحرَّى الإحسان والبرِّ في كلِّ مجال مليئاً نداء ربه : ﴿ وَأَحْسِنِ

كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ . [سورة القصص : ٧٧] .

٣- تربية النشئ الجديد على الإحسان ، وغرس مفهوم البرِّ العميق في نفوسهم منذ صغرهم فيكبرون وينشؤون على حبِّ الخير والطاعات ، وحسن الخلق والإحسان إلى الناس ويسعون للكمال دائماً ولا ينتظرون المقابل ، وبهذا تصلح الأمة بصلاح أفرادها .

٤- إنَّ للبرِّ والإحسان آثاراً في الدنيا قبل الآخرة ، فالمتقون الأبرار يطيب عيشهم ، وتنشرح صدورهم ، وتطمئن قلوبهم ، ويزداد إيمانهم ، وفوق هذا كله ينالون حبَّ ربهم وخالقهم فمن أراد خير الدارين فليبادر وليحسن وليبرِّ ليكون من الفائزين .

وبينما أنا أسطرُّ آخر كلماتي ، يختلج مشاعري أحاسيس كثيرة .. هي فرحةٌ بتمام هذا البحث ، ووجلُّ من ثقل أمانة العلم ، وطموحٌ لتحقيق جوانب البرِّ ، ورجاءٌ من الله أن يجعل خاتمنا كلها إلى خير ، وينير بالهدى طريقي ، ويجعل دار النعيم مآلي ، ويجمعني فيها بوالديَّ وأحبابي .. إنه بالإجابة جدير ، وعلى كلِّ شيءٍ قدير ، وصليَّ اللهم على محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً .



الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة .
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الفرييب والمخطوطات العلمية والبيلا .
- فهرس المسائل الفقهية .
- فهرس أوجه القراءات .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

<u>الصفحة</u>	<u>الآية واسم السورة ورقم الآية :</u>
	[سورة البقرة]
١٤٨	﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ . [٢] .
٤٨ ، ٤٧	﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ . [٤] .
١٠٥ ، ٩٧	
٦١٢	﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ حَوْلَهُ ﴿١٧﴾ ﴾ . [١٧] .
٨٩	﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴿٣٠﴾ ﴾ . [٣٠] .
٥٨٤	﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ . [٣٨] .
٢٧٥ ، ٢٧١	﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴿٤٠﴾ ﴾ . [٤٠] .
٣٧١ ، ٤٤	﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴿٤٤﴾ ﴾ . [٤٤] .
٤٨١	﴿ ... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴿٦١﴾ ﴾ . [٦١] .
٥٨٤	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴿٦٢﴾ ﴾ . [٦٢] .
١١٠	﴿ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ خَرَفُوا لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴿٧٥﴾ ﴾ . [٧٥] .
٤٣٠ ، ٣٩٨ ، ١٨	﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿٨٣﴾ ﴾ . [٨٣] .
٤٧٧ ، ٤٦٤ ، ٢٧٦	
٥٠ ، ٤٩	﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا ... ﴿٩٥ ، ٩٤﴾ ﴾ . [٩٥ ، ٩٤] .
٩٢	﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ ﴿٩٨﴾ ﴾ . [٩٨] .
٧٦	﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ . [١٠٢] .
١١٠	﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴿١٠٦﴾ ﴾ . [١٠٦] .

- ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ ﴾ . [١١٢] . ٥٨٤
- ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن دُونِهِ أَلَّا نُبَدِّلَ فِعْلَهُ وَمَا لَهُ لَنَا حِسَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمَّا كُنَّا نَمشِي سَوِيًّا مِّمَّنْ لَا نُلْمِئُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِرِ ﴾ . [١٠٥] . ٢٨٩
- ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ٢٩٢
- ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ . [١٥٦ ، ١٥٧] . ٢٩٢
- ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ . [١٧٧] . (آية البر)
- ١١٨ ، ١١٣ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٧٣ ، ٧٠ ، ٤٥ ، ٣٩ ، ٣٥ ، ٣٣ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٠ ، ١٧ ، ١٤٠ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٤٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٣١٢ ، ٣١٩ ، ٤٣٠ ، ٤٤٠ ، ٤٥٩ ، ٤٦٣ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٥١٤ ، ٥٢٤ .
- ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ . [١٧٨] . ٩٦
- ﴿ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ . [١٨٢] . ٣٤٣
- ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ . [١٨٣] . ٢١٧ ، ١٥٣
- ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ . [١٨٤] . ٤٧٩ ، ٢٣٩
- ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ . [١٨٥] . ٢٣٩ ، ٢٢٥
- ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾ . [١٨٧] . ١٥٧
- ﴿ وَلَيْسَ الْبِرَّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ . [١٨٩] . ٣٨١ ، ١٥٣ ، ٢٠ ، ١٧
- ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾ . [١٩٧] . ٢٦٧ ، ٢٥١ ، ٢٤٨
- ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ . [٢١٢] . ١٥٠
- ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ ﴾ . [٢١٣] . ١٠٥

- ﴿ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَالَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ . [٢١٥] . ٤٦٣ ، ٤٤١ ، ٤٢٣
- ٥١٣ ، ٤٧٨ ، ٤٧٥
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا ﴾ . [٢١٨] . ٥٩٧
- ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ . [٢٢٠ ، ٢١٩] . ٥٢ ، ٤٧
- ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الَّتِي نَمَىٰ قُلُوبُهُمْ خَيْرٌ ﴾ . [٢٢٠] . ٤٧٠ ، ٤٦٢
- ﴿ لِأَيِّمَنِكُمْ أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا ﴾ . [٢٢٤] . ١٩ ، ١٨
- ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ . [٢٢٩] . ١٥٧
- ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ . [٢٣٨] . ١٧٠
- ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ . [٢٥٣] . ١٣٧
- ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ . [٢٥٥] . ٢١٣
- ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ . [٢٦٠] . ٥٦١
- ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ ﴾ . [٢٦٢] . ٥٨٥ ، ٢١٠
- ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى ﴾ . [٢٦٣] . ٢١٠
- ﴿ يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ ﴾ . [٢٦٤] . ٢٠٥ ، ٢١٠
- ﴿ يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ . [٢٦٧] . ٤٨٧ ، ٤٨٦ ، ٢٠٦
- ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ . [٢٦٨] . ٨١
- ﴿ تَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ ﴾ . [٢٧٣] . ٤٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٠٧
- ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا ﴾ . [٢٧٤] . ٥٨٥ ، ٢٠٨
- ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ ﴾ . [٢٧٥] . ٥٩٦
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا ﴾ . [٢٧٧] . ٥٨٥
- ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ . [٢٨٠] . ١٩٨
- ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ . [٢٨٢] . ١٤٩
- ﴿ كُلُّ ءَامَنٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ . [٢٨٥] . ٩٧ ، ٨٨

[سورة آل عمران]

- ١٠٦ ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ . [٣] .
- ١٠٧ ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ . [٧] .
- ٥٦٢ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ . [٨] .
- ١٥٠ ﴿ قُلْ أَوْنتِعْمَكُم بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمَّ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ . [١٥] .
- ٨٨ ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾ . [١٨] .
- ١٣٣ ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . [١٩] .
- ٣٦٥ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ ﴾ . [٢١] .
- ٥٥ ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ . [٣٠] .
- ٥٥١ ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ . [٣١] .
- ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَلَا أُحِلَّ لَكُمْ
- بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ . [٤٨ - ٥٠] .
- ١٠٩ ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ . [٧٦] .
- ٢٨٣ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . [٧٧] .
- ١٠٤ ﴿ قُلْ ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . [٨٤] .
- ١٣٣ ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ . [٨٥] .
- ٢٠٣ ، ١٧ ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . [٩٢] .
- ١٣٥ ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ . [٩٥] .
- ٥١٤ ﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَيُّ الْقَيْئَاتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . [٩٧] .
- ١٤٨ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ . [١٠٢] .

- ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ ﴾ . [١٠٤] . ٣٦١
- ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ . [١١٠] . ٣٦١ ، ١٦٣
- ﴿ وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ . [١٢٠] . ١٤٩
- ﴿ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ ﴾ . [١٣٤ ، ١٣٣] . ٦٠٣
- ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . [١٣٥] . ٤٤
- ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ . [١٣٧] . ٥١٤
- ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . [١٣٨] . ١٥٠
- ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ . [١٣٩] . ١١٤
- ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ . [١٤٢] . ٢٩١
- ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ . [١٤٤] . ١٢٨ ، ١١٦
- ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ ﴾ . [١٤٦] . ٥٥٠ ، ٣٠٩ ، ٢٨٨
- ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ . [١٤٧] . ٣٠٩
- ﴿ فَفَاتَنَّهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ . [١٤٨] . ٥٦٨
- ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ . [١٥٤] . ٣٤٠
- ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ . [١٥٩] . ٤٥٦
- ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ . [١٦٣ ، ١٦٢] . ١٦٤
- ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ . [١٧٣] . ٥٥٦
- ﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ . [١٨٥] . ٦١٤
- ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ ﴾ . [١٩٠] . ٤١
- ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبَرُوا وَصَابِرُوا ﴾ . [٢٠٠] . ٣١١ ، ٢٨٨

[سورة النساء]

- ﴿.....وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ . [١] . ٤٣٧
- ﴿وَأَتُوا آلَيْتِمَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ . [٢] . ٤٧٣ ، ٤٦٣
- ﴿وَأَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا فِي آلَيْتِمَىٰ فَاَنْكِحُوا﴾ . [٣] . ٤٧٤
- ﴿وَأَبْتَلُوا آلَيْتِمَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ﴾ . [٦] . ٤٧٣ ، ٤٧٢
- ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ . [٥] . ٤٧٣
- ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ . [٨] . ٤٦٣ ، ٤٤١ ، ٤٣١
- ٤٨٩ ، ٤٧٨ ، ٤٦٧
- ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً﴾ . [٩] . ٤٦٢
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَيْتِمَىٰ ظُلْمًا﴾ . [١٠] . ٤٧٢ ، ٤٧٠ ، ٤٦٣
- ﴿..... مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ . [١١] . ٢٨١
- ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانِ زَوْجٍ﴾ . [٢١ ، ٢٠] . ٢٧٨
- ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ . [٣٦] . ٤٤٧ ، ٤٣٠ ، ٣٩٨
- ٤٩٧ ، ٤٧٨ ، ٤٦٤
- ٥٢٥ ، ٥١٣ ، ٥٠١
- ﴿.....إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ . [٣٥] . ٣٤٣
- ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ﴾ . [٦٩] . ٣١٤
- ﴿وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ . [٩٢] . ٢٦٢
- ﴿وَمَنْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ . [١٠٠] . ٢٥٨
- ﴿.....إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ . [١٠٣] . ١٧٢

- ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ﴾ . [١١٤] . ٣٣٣ ، ٣٣١
- ٣٤٩ ، ٣٤٨
- ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ ﴾ . [١٢٢] . ٦١٤
- ﴿ وَنَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ . [١٢٧] . ٤٧٥ ، ٤٦٣
- ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ [١٢٨] . ٣٤٣
- ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ . [١٣١] . ١٥١
- ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ ﴾ . [١٣٦] . ٩٧
- ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ ... ﴾ . [١٤٠] . ٢٢٠
- ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ ﴾ . [١٤٢] . ٣٢٥
- ﴿ وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ
أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ . [١٥٠ ، ١٥١] . ١٢٤
- ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ... ﴾ . [١٥٢] . ١٢٤
- ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا ﴾ . [١٦٤] . ١٢٣

[سورة المائدة]

- ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ . [١] . ٢٧٠
- ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ . [٢] . ٢٠ ، ١٧
- ٣٥١ ، ٣٤٩
- ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ . [٢٧] . ١٤٩
- ﴿ سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ . [٤٢] . ٢٢٠
- ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ . [٤٤] . ١١٠ ، ١٠٩ ، ٩٩
- ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ . [٤٥] . ١٩٨

- ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ . [٤٦] . ١٠٩ ، ١٠٠
- ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ . [٤٨] . ١١٠ ، ١٠٩
- ﴿ تُحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ ﴾ . [٥٤] . ٥٥٠ ، ١٤٩
- ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ . [٥٥] . ٢١٠
- ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ ﴾ . [٦٣] . ٢٢٠
- ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ . [٦٥] . ١٤٨
- ﴿ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ . [٦٧] . ١٢٦
- ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ . [٧٥] . ٣١٦
- ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ . [٧٩ ، ٧٨] . ٣٦٥
- ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ ﴾ . [٨٩] . ٤٧٨ ، ٢٧١
- ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ . [٩٥] . ٤٧٩
- ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . [١٠٠] . ١٤٩
- ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ . [١٠٥] . ٣٧٠
- ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ . [١١٩] . ٣١٥

[سورة الأنعام]

- ﴿ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ . [٤٢] . ٣٠٤
- ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ ﴾ . [٤٤] . ٥٧٧
- ﴿ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ . [٤٨] . ٥٨٥ ، ١١٩ ، ١٩
- ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ . [٤٩] . ١١٩

- ٧٨ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴿٦١﴾ .
- ٤١١ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ اتَّخِذْ أُصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ . [٧٤] .
- ٥٨٣ ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ ءُولَئِكَ لَهُمُ ﴾ . [٨٢] .
- ١٢٣ ، ١٢٢ ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ء... وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ءَكُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ءَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ﴾ . [٨٣-٨٦] .
- ١٣٣ ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ . [٨٤] .
- ١٢٩ ، ١٢٧ ﴿ ءُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنَهُمْ ءَقْتَدِهٖ ﴾ . [٩٠] .
- ١١٥ ، ١١٣ ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ . [٩٣] .
- ٨٦ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴿ [٩٤] .
- ٣٤٠ ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ . [١٢٥] .
- ٥٦٦ ، ٥٦٥ ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . [١٤١] .
- ٤٨٨ ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُلْفُرٍ ﴾ . [١٤٦] .
- ١٣٥ ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنُؤَلِّمُكُم مَّا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ءَلَا تُشْرِكُوا ﴾ . [١٥١] .
- ٣٩٨ ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ءِلَّا بِالَّتِي هِيَ ءَحْسَنُ ﴾ . [١٥٢] .
- ٤٦٢ ، ٢٧٣
- ٤٧٢ ، ٤٧٠ ﴿ قُلْ إِن صَلَائِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ . [١٦٣ ، ١٦٢] .
- ١٦٤

[سورة الأعراف]

- ١٤٦ ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ . [٢٦] .
- ٥٧٧ ﴿ قُلْ مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ . [٣٢] .

- ﴿..... فَمَنْ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ . [٣٥] . ٥٨٥
- ﴿لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ . [٤١] . ٦١
- ﴿..... وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ . [٤٣] . ٥٩٢
- ﴿..... إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ . [٥٦] . ٦٠١ ، ٥٩٦ ، ٥٩٥
- ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ
فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ نَحَلُّوْا بِهِءَ... فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا...﴾ . [٧٥ - ٧٧] . ٢٨٤
- ﴿..... وَادَّكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ.....﴾ . [٨٦] . ٣٦٤
- ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمُ.....﴾ . [٩٦] . ٥٧٥ ، ١٥٣ ، ١٤٩
- ﴿..... فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ . [٩٩] . ٥٩
- ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أِنِّي.....﴾ . [١٤٣] . ٦٢٧
- ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً.....﴾ . [١٤٥] . ١٠٩
- ﴿..... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ.....﴾ . [١٥٦] . ٥٩٣
- ﴿..... يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ.....﴾ . [١٥٧] . ٣٥٩ ، ١٠٩
- ﴿..... يَعَذَابُ بَعِيسٍ.....﴾ . [١٦٥] . ٣٧٤ ، ٣٠٧
- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ...﴾ . [١٧٢ ، ١٧٣] . ٢٧٥
- ﴿حُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ . [١٩٩] . ٢٦٤
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ.....﴾ . [٢٠١] . ٢١٨ ، ١٤٩ ، ٨٢

[سورة الأنفال]

- ﴿..... وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ.....﴾ . [١] . ٣٤٨ ، ٣٤٣ ، ٣٤٠
- ﴿..... وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتَهُ رَادَّتْهُمُ إِيمَانًا.....﴾ . [٢] . ٥٥٧ ، ٥٥٣

- ٦٠٨ ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْي مَعَكُمْ فَاتَّبِعُوا ﴾ . [١٢] .
- ٣٠٨ ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ﴾ . [١٦] .
- ٣٦٤ ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ ﴾ . [٢٦] .
- ١٤٩ ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ . [٢٩] .
- ٥٨٠ ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ . [٣٣] .
- ٥١٣ ، ٤٦٤ ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ... ﴾ . [٤١] .
- ٣٠٨ ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ . [٤٥] .
- ٣٠٨ ، ٢٨٩ ، ٢٥٢ ، [٤٦] . ﴿ وَلَا تَنَزَعُوا فِتْفَشْلُوا وَتَذَهَبَ رِحْمُكُمْ ... إِنْ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .
- ٣٠٨ ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ . [٦٥] .
- ٣٠٨ ﴿ أَلْقِنْ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ . [٦٦] .
- ٢٨٠ ﴿ وَإِنْ أَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ ﴾ . [٧٢] .

[سورة التوبة]

- ١٠٨ ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ . [٦] .
- ١٤٩ ﴿ إِنْ اللَّهُ تُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ . [٧] .
- ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ . [٢٠ - ٢٢] .
- ٦١٧ ، ٦١٤ ﴿ وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ . [٢٤] .
- ٤٤ ، ٤٣ ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ . [٢٥] .
- ٢٠٦ ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ يَوْمَ تَحْمَى عَلَيْهَا ﴾ . [٣٥ ، ٣٤] .
- ٢٠٩ ﴿ وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابٍ ﴾ . [٣٦] .
- ٢٤٩ ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنْ اللَّهُ مَعَنَا ﴾ . [٤٠] .
- ٦١٢ ، ٦٠٩

- ٥١٤ ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ ﴾ . [٤١] .
- ١٩٧ ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا ﴾ . [٥٨] .
- ٤٧٨ ، ٢٠٩ ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ . [٦٠] .
- ٥٢٥ ، ٥١٣
- ٣٧٤ ، ٣٦١ ﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ . [٦٧] .
- ٣٦١ ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ . [٧١] .
- ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ .
- ٣٢٧ ، ٢٨٤ ﴿ فَلَمَّا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا ... ﴾ . [٧٧ - ٧٥] .
- ٣٣٠ ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّبُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ . [٩٠] .
- ٢٦٧ ، ٢١١ ، ١٩٦ ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ . [١٠٣] .
- ٢٨٤ ، ٢٧٦ ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ . [١١١] .
- ٤١٤ ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ . [١١٣] .
- ٣١٥ ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ . [١١٩] .
- ٥١٤ ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ . [١٢٢] .
- ٥٥٦ ، ٥٥٣ ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ ﴾ . [١٢٤] .

[سورة يونس]

- ٣١٦ ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . [٢] .
- ٧٧ ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ ﴾ . [٣] .
- ٢٩٠ ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ . [٥] .
- ٦٥ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ ﴾ . [٧] .
- ٦٢٤ ، ٦٢٢ ، ٥٥٥ ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ . [٢٦] .

- ١٠٩ ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ . [٥٧] .
- ٦٠٨ ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ ﴾ . [٦١] .
- ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ .
- ٥٨٨ ، ١٥٠ . [٦٢ - ٦٣] .
- ١٥٠ ﴿ لَهُمُ الْبَشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ . [٦٤] .

[سورة هود]

- ٥٧٥ ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَّعًا ﴾ . [٣] .
- ٢٥٢ ﴿ قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ . [٣٢] .
- ١٢٦ ﴿ إِنِّي أَعْظَمُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ . [٤٦] .
- ٣٨٠ ﴿ وَيَقَوْمٍ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلَ ﴾ . [٥٢] .
- ٦٠٥ ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا ﴾ . [٥٨] .
- ٦٠٥ ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا ﴾ . [٦٦] .
- ٣٨٠ ، ٣٧١ ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْتُمْ عَنْهُ ﴾ . [٨٨] .
- ٦٠٥ ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا ﴾ . [٩٤] .
- ٦٠٥ ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ ﴾ . [٩٨] .
- ٣٦٩ ، ٨٦ ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ . [١١٤] .
- ١٣١ ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِن أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنشِئُ بِهِءَ ﴾ . [١٢٠] .

[سورة يوسف]

- ٢٩٢ ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ . [١٨] .

- ١٦١ ﴿.... أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ . [٤٠] .
- ٣١٦ ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ . [٤٦] .
- ٢٩٢ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ . [٨٦] .
- ٥٩ ﴿.... إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ . [٨٧] .
- ٢٨٩ ، ٤٤٢ ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ . [٩٠] .
- ٦٣ ﴿.... تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ . [١٠١] .

[سورة المرحد]

- ٧٩ ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ . [١١] .
- ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾
- ٢٧٤ ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾﴾ . [٢٠ ، ١٩] .
- ٥٦٣ ، ٥٦٢ ، ٥٦٠ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ . [٢٨] .
- ٦١٥ ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ . [٣٠] .
- ١٢٨ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا﴾ . [٣٨] .
- ٨٤ ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ . [٣٩] .

[سورة إبراهيم]

- ٤٢٥ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ . [٤١] .

[سورة الحجر]

- ١١١ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ . [٩] .
- ٨٢ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ . [٤٢] .

٤٨

﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [٩٩].

[سورة النحل]

- ١٥٣ ﴿ أَنْ أُنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [٢].
- ٥٨٧ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ... ﴾ [٤٩].
- ٥٨٧ ، ٧٢ ﴿ تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٥٠].
- ١٠٩ ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ... ﴾ [٨٩].
- ٤٣٠ ، ١٩ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ... ﴾ [٩٠].
- ٣٢٦ ، ٢٧١ ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ... ﴾ [٩١].
- ٥٧٢ ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ... ﴾ [٩٤].
- ٢٨٩ ، ٦١٥ ، ٥٧٢ ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ... ﴾ [٩٦].
- ٥٧٤ ، ٥٦٨ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ... ﴾ [٩٧].
- ٣٦ ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا... ﴾ [٩٩].
- ١١٠ ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا... ﴾ [١٠١].
- ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ... ﴾
- ٣١٥ متنع قليلٌ وهم عذابٌ أليمٌ ﴿ [١١٦، ١١٧].
- ١٣٧ ، ١٣٥ ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا... ﴾ [١٢٣].
- ٢٥٢ ﴿ ... وَجَدِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴾ [١٢٥].
- ٢٨٩ ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ... ﴾ [١٢٧].
- ٦٠٨ ، ١٤٩ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [١٢٨].

[سورة الإسراء]

- ١١ ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... ﴾ . [٩] .
- ٤٠٥ ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ... ﴾ . [١٩] .
- ٥٧٧ ﴿ كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا وَهُنُوًا مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ... ﴾ . [٢٠] .
- ٤٠٤ ، ٣٩٨ ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... ﴾ . [٢٣] .
- ٤٣٩ ، ٤٠٨ ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ ... ﴾ . [٢٤] .
- ٤٠٨ ، ٤٠٤ ﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ... ﴾ . [٢٦] .
- ٥١٣ ، ٤٨٥ ، ٤٧٧ ﴿ وَإِنِ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ... ﴾ . [٢٧] .
- ٤٣٩ ﴿ وَإِمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ أَبْغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ ... ﴾ . [٢٨] .
- ٤٩٢ ، ٤٣٩ ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۗ
- ٤٦٢ ، ٢٨٤ ، ٢٧٠ ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ . [٣٤] .
- ٣٣٢ ﴿ ... وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ ... ﴾ . [٤٧] .
- ١٠٣ ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ . [٥٥] .
- ٥٩٦ ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ... ﴾ . [٥٧] .
- ١٨٦ ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ... ﴾ . [٧٩] .
- ٣١٧ ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي ... ﴾ . [٨٠] .
- ١٠٧ ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ... ﴾ . [١٠٥] .

[سورة الكهف]

- ١٠٧ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ . [١] .
- ٥٤٧ ، ٢٣١ ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ . [٣٠] .
- ٨٥ ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ... ﴾ . [٧٩] .
- ٤٦٤ ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ... ﴾ . [٨٢] .

[سورة مريم - عليهما السلام -]

- ٤٠١ ، ١٦ ﴿ وَبِرَّأ بَوْلِدَيْهِ ... ﴾ . [١٤] .
- ٢١٦ ﴿ ... إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ... ﴾ . [٢٦] .
- ٤٠١ ، ١٦ ﴿ وَبِرَّأ بَوْلِدَتِي ... ﴾ . [٣٢] .
- ٣١٦ ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْرَاهِيمَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ . [٤١] .
- ٣١٦ ﴿ ... وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ . [٥٠] .
- ٣٢٧ ، ٣١٦ ، ٢٧٣ ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ... ﴾ . [٥٤] .
- ٣١٦ ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ . [٥٦] .
- ٦٠٤ ، ١٥١ ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ... ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ... ﴾ . [٧٢ ، ٧١] .
- ١٥١ ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ . [٨٥] .

[سورة طه]

- ٦٠٩ ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ مَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ . [٤٦] .
- ٦٥ ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ﴾ . [٨٣] .
- ٦٦ ﴿ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ . [٨٤] .
- ٢٧٤ ، ١٢٢ ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسَىٰ ... ﴾ . [١١٥] .

- ١٢٦ ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝ [١٢١].
- ٥٧٦ ﴿ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ... ۝ [١٢٣].
- ٥٧٦ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ... ۝ [١٢٤].
- ٥٧٥ ، ١٥٠ ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ... ۝ [١٣٢].

[سورة الأنبياء]

- ٣٨٥ ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٣٨﴾ ۝ [٢٣].
- ١١٩ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ ... ۝ [٢٥].
- ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٩﴾
- ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٤٠﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
- ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ... ۝ [٢٦ - ٢٨].
- ٧٢ ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيٰمَةِ ... ۝ [٤٧].
- ١٧٠ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ... ۝ [٤٨].
- ٤٠٩ ﴿ أَفَبِلَكُمْرٍ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۝ [٦٧].
- ٢٩٨ ، ٢٨٧ ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ... ۝ [٨٣].
- ١١٩ ﴿ إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ... ۝ [٩٢].
- ٥٨٨ ، ٥٨٧ ﴿ لَا تَحْزَنْهُمْ الْقُرْعُ الْاَكْبَرُ ... ۝ [١٠٣].
- ١٠٣ ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ ... ۝ [١٠٥].

[سورة الحج]

- ٥٨٦ ﴿ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ... ۝ [٢].
- ٣٦٣ ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْاَوْثَانِ ... ۝ [٢٠].

- ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ... ﴾ . [٢٧] . ٢٥٨
- ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ... ﴾ . [٢٩] . ٢٥٤
- ﴿ ... فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ . [٣٢] . ٢٤٧ ، ١٥٤ ، ١٥٣
- ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ... ﴾ . [٣٥] . ٥٦٣
- ﴿ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْتِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ... ﴾ . [٣٦] . ٢٤٦
- ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى ... ﴾ . [٣٧] . ٢٤٨ ، ١٥٤ ، ٢٧
- ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا ... ﴾ . [٤١] . ٣٦٣
- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ... ﴾ . [٥٢] . ١١٧ ، ١١٦
- ﴿ ... وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... ﴾ . [٧٨] . ٣٨٥

[سورة المؤمنون]

- ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ... ﴾ . [٥٢] . ١١٩
- ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ... ﴾ . [٦٠] . ٦٢٠ ، ٥٦٢
- ﴿ أَدْفَعْ بِالْيَمِينِ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّعَةِ ... ﴾ . [٩٦] . ٤٤٣

[سورة النور]

- ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا ... ﴾ . [٢٢] . ٤٧٨ ، ٤٣١
- ﴿ ... وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَرْجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ... ﴾ . [٢٨] . ٣٩١
- ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ... ﴾ . [٣٣] . ٥٣٠ ، ٥٢٩ ، ٥٢٥
- ﴿ ... أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ... ﴾ . [٦١] . ٤٥١

[سورة الفرقان]

- ١٢٨ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ... ﴾ . [٢٠] .
- ١٢٨ ، ١٠٧ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ... ﴾ [٣٢] .
- ٣ ﴿ وَلَا يَأْتُوكَ بِمِثْلِ إِلَّا جَعْنَكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [٣٣] .
- ٢٢٠ ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [٧٢] .

[سورة الشعراء]

- ٥٥ ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾ [٥٦] .
- ٦١٢ ، ٦٠٩ ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [٦٢] .
- ٥٧٠ ، ٣٤٧ ، ٣٨ ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ ﴾ [٨٩ ، ٨٨] .
- ٤٥١ ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [١٠١ ، ١٠٠] .
- ١٢٤ ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [١٠٥] .
- ١٢٤ ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [١٠٦] .
- ١٢٤ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ ﴾ [١١٧] .
- ٧٣ ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٢٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [١٩٤ ، ١٩٣] .
- ٥٤٢ ، ٤٤٢ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [٢١٤] .
- ٤١٢ ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢١٥] .
- ١٨٤ ﴿ الَّذِي يَرِنُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلِبُكَ فِي السُّجُودِ ﴾ [٢١٩ ، ٢١٨] .

[سورة النمل]

- ٦٢٧ ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ... ﴾ [٨٩] .

[سورة القصص]

- ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ ...
 ١٠٥ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ... ﴾ . [٥٢ - ٥٤] .
 ٤٦ ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ... ﴾ . [٨٣] .
 ٦٠٠ ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا ... ﴾ . [٨٤] .
 ٧٢ ﴿ ... كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ... ﴾ . [٨٨] .

[سورة العنكبوت]

- ٦٥ ، ٤٧ ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ... ﴾ . [٥] .
 ٤١٦ ، ٣٩٩ ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ ... ﴾ . [٨] .
 ٥١٤ ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ... ﴾ . [٢٠] .
 ٢٦٧ ، ١٥٣ ﴿ ... إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ... ﴾ . [٤٥] .
 ٥٦٩ ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . [٦٤] .
 ٦١١ ، ٦٠٨ ﴿ ... وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . [٦٩] .

[سورة الروم]

- ٤٧٧ ، ٤٣٠ ﴿ فَآتَاكَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ... ﴾ . [٣٨] .
 ٥١٨ ، ٥١٣

[سورة لقمان]

- ٣٩٩ ، ٣٩٨ ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ... ﴾ . [١٤] .
 ٥٤٣ ، ٤١٦ ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي ... ﴾ . [١٥] .

[سورة السجدة]

- ﴿ قُلْ يَتَوَفَّنُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ... ﴾ . [١١] .
 ٨٦ ، ٧٦
 ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ . [٢٤] .
 ٢٨٩

[سورة الأحزاب]

- ﴿ ... إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَعْرُوفًا ... ﴾ . [٦] .
 ٥٣٩
 ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَبِئْسَ نُوحٌ ... ﴾ . [٧] .
 ١٢٢
 ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ﴾ . [٢١] .
 ١٣٠
 ﴿ ... رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... ﴾ . [٢٣] .
 ٥٨١ ، ٣٢٦ ، ٢٧٧
 ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ... ﴾ . [٣٥] .
 ٣١٥
 ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ ... ﴾ . [٤٣] .
 ٥٩٥ ، ٥٩٤
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا
 ﴿ ٧٠ ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ... ﴾ . [٧١ - ٧٠] .
 ١٤٩

[سورة فاطر]

- ﴿ ... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ... ﴾ . [٢٨] .
 ١٤٧
 ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ... ﴾ . [٣٤] .
 ٥٩٠ ، ٥٨٨
 ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا
 كَذَٰلِكَ يُجْزَىٰ كُلُّ كَفُورٍ ﴿ ٣٦ ﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا ... ﴾ . [٣٧ ، ٣٦] .
 ٦١

[يس]

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ط
وَأَنْ أَعْبُدُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ . [٦٠ ، ٦١] .

٢٧٥

[سورة الصافات]

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿٣٧﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٣٨﴾

٧٧

فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣٩﴾ . [٣ - ١] .

٦١

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ . [٢٤] .

٥٧٠

﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٥٧﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ . [٨٣ ، ٨٤] .

٣٢٧

﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ . [١٠٢] .

﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٠٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ

٧٢

﴿١٠٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ . [١٦٤ - ١٦٦] .

٦١١

﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ . [١٧٣] .

[سورة ص]

٤٠

﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ط... ﴾ . [٢٩] .

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩

﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمَ الْعَبْدُ ط إِنَّهُ دَأْوَابٌ ﴾ . [٤٤] .

١٥١

﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤١﴾ ﴾ . [٤٩] .

٦١٥

﴿ إِنْ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ . [٥٤] .

[سورة الزمر]

٥٩

﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ط قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ ... ﴾ . [٨] .

- ٥٦ ، ٤٧ ﴿..... تَحَذِّرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِمْ﴾ . [٩] .
- ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ.....﴾
- ٦٢٧ ، ٢٨٩ ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . [١٠] .
- ١٥١ ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ . [٢٠] .
- ٥٦٦ ، ٥٦٤ ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ﴾ . [٢٢] .
- ٥٦٢ ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ . [٢٣] .
- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ...﴾
- ٣١٤ ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِمْ﴾ . [٣٣ ، ٣٢] .
- ٧٨ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ . [٤٢] .
- ٣٢٢ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ . [٦٠] .
- ١٥٠ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ . [٧٣] .
- ٨٩ ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ . [٧٥] .

[سورة غافر]

- ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ . [٧] .
- ٥٩٤ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ . [٨٤] .
- ٣٠٧

[سورة فصلت]

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ حُنَّ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ . [٣١ - ٣٠] .
- ٨٧ ، ٨٦ ﴿..... أَدْفَعْ بِاللَّيِّ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾

- ٥٠٥ كَانَهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ .
- ١٠٩ ﴿..... وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤٢﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ . [٤٢] .
- ١٠٩ ﴿..... قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ . [٤٤] .

[سورة الشورى]

- ١٣٣ ، ١٢٢ ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ : [١٣] .
- ١٠٦ ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ . [١٧] .
- ٢١٢ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ . [٢٥] .
- ٣٠٠ ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ . [٣٥] .
- ١٠٩ ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ . [٥١] .

[سورة الزخرفة]

- ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ ﴿٣٣﴾ . [٣٤ - ٣٣] .
- ٥٧٩ ﴿ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ . [٣٥] .
- ٥٧٩ ، ٦٢ ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ . [٥٨] .
- ٢٥٢ ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ . [٦٧] .
- ١٥١ ﴿ وَنَادَوْا يَنْمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ . [٧٧] .
- ٧٥

[سورة الحاخان]

- ٦١٥ ، ٦١٤ ﴿ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهِنَ ﴿٢٧﴾ . [٢٧] .
- ٦١٦ ، ١٥١ ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ . [٥١] .
- ٦١٩ ، ٦١٥ ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥١﴾ . [٥١ - ٥٧] .

[سورة الجاثية]

- ١٤٩ ﴿...وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ . [١٩] .
- ٣٢٢ ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ...﴾ . [٢٣] .
- ٤٦ ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا...﴾ . [٢٤] .

[سورة الأحقاف]

- ٥٨٥ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا...﴾ . [١٣] .
- ٤٠٢ ، ٣٩٩ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا...﴾ . [١٥] .
- ٤٠٢ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ...﴾ . [١٦] .
- ٢٨٩ ، ١٢١ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...﴾ . [٣٥] .

[سورة محمد ﷺ]

- ٣٣٠ ﴿... فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ . [٢١] .
- ٢١٨ ، ٤٠ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ...﴾ . [٢٤] .

[سورة الفتح]

- ١٢٦ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾ . [٢] .
- ٥٥٦ ، ٥٥٣ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا...﴾ . [٤] .
- ٢٨٥ ﴿فَمَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُتْ عَلَىٰ نَفْسِهِ... وَمَنْ أَوْفَىٰ...﴾ . [١٠] .
- ١٥٢ ، ١٤٧ ، ١٤٤ ﴿... وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ...﴾ . [٢٦] .
- ٤٥٢ ﴿... رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ...﴾ . [٢٩] .

[سورة الحجرات]

- ٣٤٢ ﴿... فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ . [٩] .
- ٣٤٢ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ...﴾ . [١٠] .
- ٣٨٩ ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ . [١٢] .
- ١٥٠ ﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ ...﴾ . [١٣] .
- ٣١٩ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا...﴾ . [١٥] .

[سورة ق]

- ﴿إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾
- ٨٣ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿٣٨﴾ . [١٧ ، ١٨] .
- ٦٢٧ ﴿هُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ . [٣٥] .
- ٦٢٤ ، ١٩٤ ﴿... وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ . [٣٩] .

[سورة الخاريات]

- ٧٧ ﴿فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾ . [٤] .
- ٤٧٧ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ... وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ
وَاللَّحْرُومِ ﴿١٥﴾﴾ . [١٥ - ١٩] .
- ٤٨٤ ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ ﴿١٦﴾﴾ . [١٩] .
- ١٦٣ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ . [٥٦] .

[سورة الطور]

- ١٠٨ ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ . [٣] .

﴿ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ... أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾ . [١٤-١٦] .

٦١

﴿ إِنَّ الِّمُتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكَهَيْنَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ . [١٧-١٩] .

٦١٨

٦٢١

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ . [١٩] .
﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٠﴾ فَمَسَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢١﴾ ﴾ . [٢٦، ٢٧] .
﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ . [٢٨] .

٦١٩ ، ٥٩١

١٦

[سورة النجم]

٦٢٧

٥٥١

٢٧٤

﴿ ... وَبِحُزْيِ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ . [٣١] .
﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ ﴾ . [٣٢] .
﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ . [٣٧] .

[سورة القمر]

٣١٦ ، ١٥١

﴿ إِنَّ الِّتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ . [٥٤، ٥٥] .

[سورة الرحمن]

٧٢

٦٢٨

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ . [٢٦] .
﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ . [٦٠] .

[سورة الواقعة]

٦١٦

﴿ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ . [١٢] .

[سورة الحديد]

٦٠٨

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ . [٤] .

٢٠٨

﴿ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا ... ﴾ . [١٨] .

٣١٩ ، ٣١٤

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ءَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ... ﴾ . [١٩] .

٣٠٠

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ... ﴾ . [٢٢] .

٣٠٠ ، ٤٤

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ ... ﴾ . [٢٣] .

١٤٩

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ ... ﴾ . [٢٨] .

[سورة المجادلة]

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ... فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ... ﴾ . [٣ - ٤] .

٤٧٨

﴿ ﴾ . [٣ - ٤] .

٦٠٨

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... ﴾ . [٧] .

٣٣٤

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُهْوَأُونَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا يُهْوَأُونَ ... ﴾ . [٨] .

٣٣٤ ، ١٧

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ ... ﴾ . [٩] .

٣٣٦ ، ٣٣٥

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ... ﴾ . [١٠] .

٨٢

﴿ اسْتَحْوِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ... ﴾ . [١٩] .

[سورة الحشر]

- ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ . [٧]. ٥١٣ ، ٤٧٨ ، ٤٦٤
- ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ . [٨]. ٣١٩
- ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . [٩]. ٢١١

[سورة الممتحنة]

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ . [١]. ٥٣٦
- ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ ﴾ . [٨]. ٥١١ ، ٤١٥ ، ١٨
- ﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ ﴾ . [٩]. ٥٤٠ ، ٥٣٦
- ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ . [١٠]. ٥٤٠

[سورة الصف]

- ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ ﴾ . [١]. ٣٧٦
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ . [٣، ٢]. ٣٧٥ ، ٣٧١ ، ٢٧٢
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ ﴾ . [٤]. ٣٧٦

[سورة الجمعة]

- ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ ﴾ . [٥]. ١١٠

[سورة التغابن]

٣٦٩

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ... ﴾ . [١٥] .

٢١١ ، ١٤٥ ، ١٤٤

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ ... ﴾ . [١٦] .

[سورة الطلاق]

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ

٥٧٥ ، ١٤٨

حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾ . [٣، ٢] .

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ

١٤٨

سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٤﴾ . [٥، ٤] .

[سورة التحريم]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا.....

٦٢٠ ، ٧٢

لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ . [٦] .

٦٠٧

﴿ يَوْمَ لَا تَخْزِي اللَّهَ النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ط ﴾ . [٨] .

[سورة الملك]

٥١٤

﴿ فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ . [١٥] .

[سورة القلم]

٢٦٤

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ . [٤] .

١٧٢

﴿ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ ﴿٤٣﴾ . [٤٣] .

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُخُوتِ ﴾ . [٤٨] .

١٢٢

[سورة الحاقة]

﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ . [٥١] .

٤٨

[سورة المعارج]

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴾

٤٧٧

لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ . [٢٥ ، ٢٤] .

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾

١٨٥

وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ . [٢٢ - ١٩] .

٤٧٧

﴿ أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ . [٣٥] .

[سورة نوح]

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ﴾ . [٢٨] .

٤٢٥

[سورة الجن]

﴿ وَأَلَوْ اسْتَقَفْتُمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ . [١٦] .

٥٧٥

﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ ﴾ . [٢٧ ، ٢٦] .

١٢٦

[سورة المدثر]

﴿ يَتْلُوهَا الِّمُدَّثِرُ ﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ

٢٦٦

﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ ﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ . [٧ - ١] .

﴿ ... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ... ﴾ . [٣١] . ٧٤

[سورة القيامة]

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ . [٢٣، ٢٢] . ٦٢٥ ، ٦٢٩

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ . [٢٥، ٢٤] . ٦٢٩

[سورة الإنسان]

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ ﴾ . [٥] . ٤٦٤ ، ٤٧١

﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ . [٨] . ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٤٦٤

٤٧٦ ، ٤٨٧ ، ٥٤٠

٥٤١

﴿ إِنَّمَا نُنْعَمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ ﴾ . [٩] . ٤٧٦ ، ٢٠٤

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ . [١٠] . ٢١٠

﴿ فَوَقْنَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ ﴿١١﴾ ﴾ . [١١] . ٦١٨

﴿ وَجَزَلْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ . [١٢] . ٣١١

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ ﴾

.... إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٥-٢٢﴾ . [٥-٢٢] . ٦١٦ ، ٦١٧

[سورة المرسلات]

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَأَلْعَصِفْنَ عَصْفًا ﴿٢﴾ ﴾

وَالنَّشِيرَاتِ فِرْقَانًا ﴿٣﴾ فَأَلْفِرَقْنَ فِرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ . [٥-١] . ٧٧

[سورة المازحات]

- ٧٧ ، ٧٦ ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ . [٥٠] .
 ﴿ وَالنَّرِيعَةِ غَرَقًا ﴾ ﴿ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ﴾ ﴿
 ٧٧ ﴿ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ﴾ ﴿ فَالسَّيِّقَاتِ سَبْقًا ﴾ . [٤ - ١] .

[سورة الحبس]

- ١٦ ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ . [١٦ ، ١٥] .

[سورة التكويد]

- ٧٥ ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ ﴾ . [٢١ - ١٥] .
 ١١٦ ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ . [١٩] .

[سورة الانفطار]

- ٨٢ ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ ﴿ كِرَامًا كَتِيبِينَ ﴾ . [١١ - ١٠] .
 ٩١ ، ٨٥ ﴿ يَعْامُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ . [١٢] .
 ٦٢ ، ٢٠ ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ . [١٣] .
 ٦١٥ ، ٥٧٠ ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي حَجِيمٍ ﴾ . [١٤] .
 ٦١٥ ، ٥٧٠ ، ٢٠

[سورة المطففين]

- ١٥٦ ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ . [١٤] .
 ٦٢٥ ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَحَجُّوبُونَ ﴾ . [١٥] .

[سورة الانشقاق]

- ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ [٦]. ٦٠٠، ٥٦٩
- ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ [٧] فَسَوْفَ مُحَاسَبٌ حِسَابًا
- يَسِيرًا ﴾ [٧-٨]. ٦٠٠

[سورة الأعلى]

- ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾ [١٨] صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿
- [١٨، ١٩]. ١٠٤

[سورة الغاشية]

- ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [١٧]
- وَأِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿ [١٨] وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ
- ﴿ [١٧-٢٠]. ٤٢، ٤١

[سورة الفجر]

- ﴿ كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ [٧] وَلَا تَحْتَضُونَ عَلَىٰ
- طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿ [٨] [١٧-١٨]. ٤٦١

[سورة البلد]

- ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [٤]. ٢٩٩

﴿ فَلَا أَقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ وَمَا

أَدْرَنَّاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿ ١١ ﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿ ١٢ ﴾ . [١١ - ١٣] .

٤٦١ ، ٥٢٤ ، ٥٢٢

﴿ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿ ١٤ ﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿ ١٥ ﴾ .

٤٦١

[سورة الضحى]

٤٩٢

﴿ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى ﴾ ﴿ ٨ ﴾ .

٤٦١ ، ٤٦٥ ، ٤٦٩

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ ﴿ ٩ ﴾ .

٤٦٩ ، ٤٩١

﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ ﴿ ١٠ ﴾ .

[سورة القدر]

٢٢٥ ، ٢٢٧

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿ ١ ﴾ .

٢٢٨

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿ ٢ ﴾ .

٢٢٧

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ ... ﴾ ﴿ ٣ ﴾ .

٢٢٨

﴿ سَلَمَةٌ هِيَ ... ﴾ ﴿ ٥ ﴾ .

[سورة البينة]

٩٦

﴿ رَسُولٌ مِّنْ أَللّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿ ٢ ﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿ ٣ ﴾ .

[سورة العصر]

﴿ وَالْعَصْرِ ﴿ ١ ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿ ٢ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

٣٥٦

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿ ٣ ﴾ .

[سورة الماعون]

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ

٤٦٨ ، ٢٤٦

﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ . [٣-١] .

﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾

٥٠٩

الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ . [٧-٤] .

[سورة الناس]

٨٢

﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ . [٤] .

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة

طرف الحديث + اسم الراوي

[١]

- ١٤١ " اتقوا النار ولو بشقّ تمرّة " عدي بن حاتم رضي الله عنه
- ٢٦٦ " أتدرون ما المفلس ؟ " أبو هريرة رضي الله عنه
- ١٥١ " اتق الله حيثما كنت " أبو ذر رضي الله عنه
- ٤٨٧ ، ٢٠٦ " أتى النبي صلى الله عليه وآله بضبّ فلم يأكله " عائشة - رضي الله عنها -
- ٤٠٢ " أتى النبي صلى الله عليه وآله رجل ، فقال : يا رسول الله إني أذنبت " ابن عمر رضي الله عنهما
- ٣٩١ " أتيت النبي صلى الله عليه وآله في دين كان على أبي " جابر رضي الله عنه
- ٣١٤ " أثبت أحد ، فإثما عليك نبي وصديق " أنس رضي الله عنه
- ٥٣١ ، ٥٣٠ " إخوانكم حولكم جعلهم الله تحت أيديكم " أبو ذر رضي الله عنه
- ٥٣١ " إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٤٩٧ " إذا أحب الله عبداً عَسَلَهُ " أبو عتبة الخولاني + عمرو بن الحمق رضي الله عنهما
- ٦٢٤ " إذا دخل أهل الجنة الجنة " صهيب رضي الله عنه
- ٩٢ " إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه " أبو هريرة رضي الله عنه
- ١٦٧ " إذا دعى أحدكم إلى طعامٍ فليجب " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٩٠ " إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢١٦ " إذا كان أوّل ليلةٍ من شهر رمضان " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٦٠٢ " إذا كان يوم القيامة دفع الله صلى الله عليه وآله " أبو موسى الأشعري رضي الله عنه
- ٣٣٤ " إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى " عبد الله رضي الله عنه
- ٤٢٥ " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٨٦ " إذا همّ عبدي بسيئة " أبو هريرة رضي الله عنه
- ١٣٦ " أربع لم يكن يدعهن النبي صلى الله عليه وآله " حفصة - رضي الله عنها -

- ٦٢٤ ، ٦٥ " وأسألك لذة النظر إلى وجهك " عمار بن ياسر رضي الله عنه
- ٧٦ " اسم الملكين اللذين يأتيان في القبر " ابن عباس رضي الله عنه
- ٥٨٦ ، ٥٧٩ " أشد الناس بلاء الأنبياء " سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه
- ١٣ " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد " جابر رضي الله عنه + أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٣٢ " اعلم أبا مسعود ، لله أقدر " أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه
- ٧٨ " اعملوا فكل ميسر لما خلق له " علي رضي الله عنه
- ٣٠٧ " أعوذ بالله وقدرته من شر " عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه
- ١٩١ " أفضل الصلاة طول القنوت " جابر رضي الله عنه
- ٢٣٦ " أفضل الصيام بعد رمضان " أبو هريرة رضي الله عنه
- ١٩٢ ، ١٩١ " أقرب ما يكون العبد من ربه " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٦٦ " أكمل المؤمنين إيماناً " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٣٤٢ " ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام " أبو الدرداء رضي الله عنه
- ٩١ " ألا تستحيون ! إن ملائكة الله " ثوبان رضي الله عنه
- ٣٩٠ " الاستئذان ثلاث " أبو موسى الأشعري رضي الله عنه
- ١٥٤ " الإسلام علانية والإيمان في القلب " أنس بن مالك رضي الله عنه
- ٥٥٣ ، ٢١ " الإيمان بضع وسبعون شعبة " أبو هريرة رضي الله عنه
- ١٥٤ " التقوى ههنا ... إن الله لا ينظر إلى أجسادكم " أبو هريرة رضي الله عنه
- ١٥٢ " اللهم آت نفوسنا تقواها " زيد بن أرقم رضي الله عنه
- ٥٧٢ " اللهم ارزق آل محمد قوتا " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٣١١ " اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي " أبو موسى الأشعري رضي الله عنه
- ١٥٢ " اللهم إني أسألك الهدى " عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
- ٤٨٩ " اللهم إني أسألك فعل الخيرات " ابن عباس رضي الله عنه
- ٧٤ " اللهم رب جبريل " عائشة - رضي الله عنها -
- ١١١ " اللهم رب السموات ورب الأرضين " أبو هريرة رضي الله عنه
- ١٦٧ " اللهم صل على آل أبي أوفى " عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه

- ٥٧٢ " اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي " ابن عباس رضي الله عنه
- ٣٢٥ " اليد العليا " عبد الله بن عمر رضي الله عنه
- ٩٦ " أما لأقْضِينَ بَيْنَكُمَا " أبو هريرة رضي الله عنه وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنه
- ٤٥٠ ، ٤٥١ " أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع " البراء رضي الله عنه
- ٣٩٣ " إن العين تدمع والقلب " أنس بن مالك رضي الله عنه
- ٧٣ " أن تؤمن بالله وملائكته " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٣٠٣ " إن شئت صبرت ولك " ابن عباس رضي الله عنه
- ٤٩١ " إن لم تَجِدِي لَهُ شَيْئاً تُعْطِيهِ إِيَّاهُ إِلَّا ظُلْماً " أم بجيد - رضي الله عنها -
- ١٣٨ " أنا سيد ولد آدم " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٤٦٦ " أنا وكافل اليتيم في الجنة " سهل رضي الله عنه
- ١٠١ " أناجيلهم في صدورهم " عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
- ٣٥٤ " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " أنس رضي الله عنه
- ٨٧ " أن رجلاً سبَّ أبا بكر رضي الله عنه " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٧٨ " إن أحدكم يُجمَعُ في بطنٍ " عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
- ١٤١ " إنَّ الحلالَ بينَ " النعمان بن بشير رضي الله عنه
- ٣٠٣ ، ٣٠٢ " إنَّ الرجلَ ليكونَ له " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٥٠ " إنَّ الزمانَ قد استدارَ كهَيْئته " أبو بكر رضي الله عنه
- ٣٤٨ " إنَّ الشيطانَ قد أيسَّ أن يعبدَه " جابر رضي الله عنه
- ٢١٢ " إنَّ الصدقةَ تقعُ في يدِ الله " عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
- ٣١٨ ، ٣١٩ " إنَّ الصّدقَ يهْدِي إلى " عبد الله رضي الله عنه
- ٨٤ " إنَّ العبدَ ليتكلمَ بالكلمةِ " أبو هريرة رضي الله عنه
- ١٥٦ " إنَّ العبدَ إذا أخطأَ خطيئةً " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٥٤ " إنَّ اللهَ عز وجل ليباهي الملائكةَ " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٩٤ " إنَّ اللهَ عز وجل وملائكته يُصلُّونَ على المتسحرِّينَ " أبو سعيد الخدري رضي الله عنه
- ٥٠٤ " إنَّ اللهَ عز وجل يحبُّ ثلاثةً " أبو ذر رضي الله عنه

- ١٣٨ " إنَّ الله اصطفى كنانة " واثلة بن الأصقع رضي الله عنه
- ٤٣٤ ، ٣٩٦ " إنَّ الله خلق الخلق ؛ حتى إذا فرغ منهم قامت الرَّحِم " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٣٠٣ " إنَّ الله قال : إذا ابتليت " أنس بن مالك رضي الله عنه
- ١٩٥ ، ١٩٤ " إنَّ الله قال : من عادى لي ولياً ... وما تقرَّب إليَّ " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٥٠ ، ٣٦٨
- ٦٠٩ ، ٥٥١
- ٥٧٠ ، ٥٦٩ " إنَّ الله لا يظلم مؤمناً حسنة " أنس بن مالك رضي الله عنه
- ٢١١ " إنَّ الله لم يفرض الزكاة إلاَّ ليطيَّب ما بقي من أموالكم " ابن عباس رضي الله عنه
- ٤٣٨ " إنَّ الله ليعمرَّ بالقوم الديار " ابن عباس رضي الله عنه
- ٩٣ " إنَّ الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين " أبو أمامة رضي الله عنه
- ٩٤ " إنَّ الله وملائكته يُصلُّون على الذين " عائشة - رضي الله عنها -
- ٩٣ " إنَّ الله وملائكته يُصلُّون على الصِّف " النعمان بن بشير رضي الله عنه
- ٥٩٩ " إنَّ الله يقول يوم القيامة : أين المتحابُّون " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٩٠ " إنَّ الله ينهاكم عن التعرِّي " ابن عباس رضي الله عنه
- ٦٠٢ ، ٥٣٨ " إنَّ المقسطين عند الله على منابر " عبد الله بن عمرو رضي الله عنه
- ٢٣٢ " أنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان يعتكف " عائشة - رضي الله عنها -
- ٣١٥ " إنَّ أهل الجنة ليتراوون " أبو سعيد الخدري رضي الله عنه
- ٥٠٥ " إنَّ خليلي صلى الله عليه وآله أوصاني " أبو ذر رضي الله عنه
- ٤٦٧ " أن رجلاً شكاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قسوة قلبه " أبو هريرة رضي الله عنه
- ١٧٦ ، ١٧٥ " أن رجلاً صلى في المسجد ركعتين " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٤٤٣ " أن رجلاً قال : يا رسول الله إنَّ لي قرابةً " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٤٩٦ " أن رجلاً أتيا النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع " عبید الله بن عدي + أبو هريرة رضي الله عنه
- ٨٦ " إنَّ صاحب الشَّمال ليرفع القلم " أبو أمامة رضي الله عنه
- ٣٠٦ " إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء " أنس بن مالك رضي الله عنه
- ٢٤٨ ، ٢٤٧ " أنَّ عمر رضي الله عنه أهدي بحتية له " ابن عمر رضي الله عنه

- ٥٤٢ " إنَّ لكم رحماً سألها بيلها " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٨٠ " إنَّ للشَّيْطَانِ لَمَمَةً بَابِنِ آدَمَ " عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
- ٤٩٤ ، ٤٩٣ " أنَّ مسكينة مرضت " أبو أمامة بن سهل بن حنيف رضي الله عنه
- ٤٢٦ " إنَّ من أبر البرِّ " ابن عمر رضي الله عنه
- ٤٢١ " إنَّ من أكبر الكبائر " ابن عمر رضي الله عنه
- ٣٦٧ " أنَّ ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله قالوا للنبي صلى الله عليه وآله : يا رسول الله ذهب "
- ٣٦٥ " إنَّكم تتُمون سبعين أمة " عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه
- ٦٢٤ ، ١٩٤ " إنَّكم سترون ربكم " جرير بن عبد الله رضي الله عنه
- ٣٤٩ " إنَّما الأعمال بالنيات " عمر رضي الله عنه
- ٢٩١ " إنَّما الصَّبر عند " أنس بن مالك رضي الله عنه
- ٥٦٨ " إنَّما القبر روضة " أبو سعيد الخدري رضي الله عنه
- ٣٥٩ ، ٢٦٨ " إنَّما بعثت لأتمم " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٣٩٠ " إنَّما جعل الاستئذان " سهل بن سعد رضي الله عنه
- ٦٥ " إنَّه حديث العهد برَّبِّه " أنس رضي الله عنه
- ٤٨٦ " إنني لأعطي الرجل وغيره أحبَّ " سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه
- ٣٣١ " أولاً تدري ؟ فلعلة تكلم " أنس بن مالك رضي الله عنه
- ٢٧٢ " آية المنافق ثلاث " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٣١٤ " أيكون المؤمن جباناً " صفوان بن سليم رضي الله عنه
- ٤٥٣ " إيَّاكم والظن ، فإن الظن " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٢٥ " أيما رجل أعتق امرأة مسلماً " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٨١ ، ٢٧٩ " أيما رجل تزوج امرأة " أبو ميمون الكردي رضي الله عنه .

[ب]

- ١٥ " البرِّ حسن الخلق " النواس بن سمعان رضي الله عنه
- ٤٠٤ " برِّوا آباءكم " ابن عمر رضي الله عنه

- ١٧١ " بكرّوا بالصلاة في " أبو قلابة رضي الله عنه
- ٢٤٦ " بكل شعرة حسنة " زيد بن الأرقم رضي الله عنه
- ٣٤٦ " بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس " أنس رضي الله عنه
- ٣٢٩ " البيعان بالخيار " حكيم بن حزام رضي الله عنه

[ت]

- ٢٦١ " تابعوا بين الحج والعمرة " عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
- ٥٢٣ " تبسّمك في وجه أخيك " أبو ذر رضي الله عنه
- ٢٢٩ " تحرّوا ليلة القدر " عائشة رضي الله عنها
- ٥٩٨ " تُدنى الشمس يوم القيامة " المقداد رضي الله عنه
- ٢٢٣ " تسحرّنا مع النبي صلى الله عليه وسلم " زيد بن ثابت رضي الله عنه
- ٢٢٢ " تسحرّوا فإن في " أنس رضي الله عنه
- ٤٣٥ " تصدقنّ ولو من حليكنّ " زينب - رضي الله عنها -
- ٢٣٧ " تعرض الأعمال " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٣٢٣ " تعس عبد الدينار " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٦٥ " تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
- ١٧٦ " تلك صلاة المنافق " أنس بن مالك رضي الله عنه

[ث]

- ٢٢٥ " ثلاثة لا تردّ دعوتهم " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٩٠ " ثلاثة لا تقرّبهم الملائكة " ابن عباس رضي الله عنه
- ٢٩٦ " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٢٣ " ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة " أبو هريرة رضي الله عنه

١٠٦ " ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين " أبو موسى الأشعري رضي الله عنه

[ج]

- ٢٢ " جاء رجل إلى أبي ذر رضي الله عنه فسأله عن الايمان " أبو ذر رضي الله عنه
- ٤٢٧ " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم : فقال : يا رسول الله ، إن أمي ماتت " ابن عباس رضي الله عنه
- ٤١٦ " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد " ابن عمر رضي الله عنه
- ٤٠٢ " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أردت أن أغزو " جاهمة رضي الله عنه
- ١٣٤ ، ١٣٣ " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني رأيت " ابن عباس رضي الله عنه
- ١٤٦ " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : إني أريد سفراً " أنس رضي الله عنه
- ٥٣٣ " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، كم أعفو " ابن عمر رضي الله عنه
- ٥٢٧ " جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، علمني عملاً يدخلني الجنة " البراء بن عازب رضي الله عنه
- ٤٢٤ " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبي اجتاح مالي " عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه
- ٥٠٤ " جاء رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٤٢٧ " جاء رجل للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبي مات وترك مالاً " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٩٧ " جعل الله الرّحمة مائة جزء " أبو هريرة رضي الله عنه

[ح]

- ٤٩٠ " حبّ المساكين وجالسهم " أبو ذر رضي الله عنه
- ٢٤٤ " الحجّ المبرور " جابر رضي الله عنه
- ٢٥٤ " حجّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة " أنس رضي الله عنه
- ٣٠٣ " حُفت الجنة بالمكاره " أبو هريرة رضي الله عنه + أنس بن مالك رضي الله عنه
- ٤٥٠ " حقّ المسلم على المسلم " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥١٧ " حملنا النبي صلى الله عليه وسلم على إبل الصدقة " أبو لاس الخزاعي رضي الله عنه

٢٦٦ " الحياء والإيمان " ابن عمر رضي الله عنهما

[خ]

٣٢٤ " خمس صلوات " طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

٤٩٨ ، ٤٤٩ " خير الأصحاب " عبد الله بن عمرو رضي الله عنه

٢٢٧ " خير صفوف الرجال أولها " أبو هريرة رضي الله عنه

٤٥٦ " خيركم خيركم لأهله " عائشة - رضي الله عنها -

[د]

٣٨٧ " دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على امرأة من أمّس "

٣٢٨ " دع ما يريك " الحسن بن علي رضي الله عنه

٥٧٩ " الدنيا سجن المؤمن " أبو هريرة رضي الله عنه

[ر]

٢٢٠ " ربّ صائم " أبو هريرة رضي الله عنه

٣٥٥ " رحم الله رجلاً قام من الليل " أبو هريرة رضي الله عنه

٤٠٣ " رضا الربّ في رضا الوالد " ابن عمر رضي الله عنهما

٤٠٣ " رغم أنف " أبو هريرة رضي الله عنه

[ز]

٤٣٧ " زوجك وولدك أحقّ " زينب - رضي الله عنها -

[س]

- " سئل رسول الله ﷺ : أيُّ العمل أفضل ؟ " عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ١٧٠ ، ٤٠٢
- " سئل رسول الله ﷺ : من خير الناس " درة بنت أبي لهب رضي الله عنه ٣٦٢
- " سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ فقال : بل ائتمروا بالمعروف " أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنه ٣٦٩
- " سألت النبي ﷺ : أيّ الناس أعظم حقاً " عائشة - رضي الله عنها - ٤٢٣
- " اللهم إنك عفو كريم " عائشة - رضي الله عنها - ٢٣١
- " سئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة " أبو هريرة رضي الله عنه ١٤٢
- " سئل الرسول ﷺ أي الصدقة أعظم أجراً " أبو هريرة رضي الله عنه ٢٠٣
- " سئل النبي ﷺ أي الأعمال " أبو هريرة رضي الله عنه ٢٤٢
- " سئل رسول الله ﷺ : " أيّ الحجّ أفضل " أبو بكر الصديق + ابن عمر رضي الله عنهما ٢٤٥
- " سأل رجلُ النبي ﷺ عن الصدقات " حكيم بن حزام رضي الله عنه ٤٤٣
- " سبعة يظلمهم الله في ظله " أبو هريرة رضي الله عنه ٢٠٥ ، ٥٩٨

[ش]

- " شرُّ الطعام طعام الوليمة " أبو هريرة رضي الله عنه ٤٨٧

[ص]

- " الصبر نصف الإيمان " عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ٢٩٠
- " الصدقة على المسكين " سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه ٢٠٨
- " الصلاة وما ملكت أيمانكم " أنس رضي الله عنه ٥٢٨
- " الصلوات الخمس " أبو هريرة رضي الله عنه ٢١٦
- " الصلح جائزٌ بين المسلمين " أبو هريرة رضي الله عنه + عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه ٣٤١
- " صُم شهر الصبر " مجيبة الباهلية - رضي الله عنها - ٢٣٦

- ٢٢٦ " صمنا مع رسول الله ﷺ " أبو ذر ﷺ
 ٢١٩ " الصيام جنة فلا يرفث " أبو هريرة ﷺ
 ٢٣٥ " الصيام والقرآن يشفعان للعبد " ابن عمر ﷺ
 ٢٣٥ " صيام يوم عرفة أحتسب على الله " عمر ﷺ

[ط]

- ٦٦ " طال شوق الأبرار إلى لقائي " أبو الدرداء ﷺ

[ق]

- ٢٩٩ " عجباً لأمر المؤمن " صهيب بن سنان ﷺ
 ٣٦٧ " على كل مسلم صدقة " أبو موسى الأشعري ﷺ
 ٢٤٢ " العمرة إلى العمرة كفارة " أبو هريرة ﷺ

[ف]

- ٢٧٩ " فاتقوا الله في النساء " جابر بن عبد الله ﷺ
 ٥٤٠ ، ٢٠٩ ، ١٩٧ " فأعلمهم أن الله افترض عليهم " ابن عباس ﷺ
 ٦٠٦ " فأكون أنا وأممي أول من يجيزها " أبو هريرة ﷺ
 ٤٣٣ " فإن لهم ذمة ورحماً " أبو ذر ﷺ
 ٣٦٩ " فتنة الرجل في أهله وماله " حذيفة ﷺ
 ٧٤ " فرفع لي البيت المعمور " أنس بن مالك ﷺ
 ٢٢٢ " فصل ما بين صيامنا " عمرو بن العاص ﷺ
 ١٩٢ " فصلوا أيها الناس في بيوتكم " زيد بن ثابت ﷺ
 ٤٣٨ ، ٤٣٧ " فقال لخديجة وأخبرها الخبر " عائشة - رضي الله عنها -

[ق]

- ٨٦ " قال الله ﷺ : إذا همّ عبدي " أبو هريرة ﷺ
- ٢٨٢ " قال رجل : يا رسول الله ، أرأيت إن قتلت " أبو قتادة ﷺ
- ٢٩٢ " قال الله تعالى : إذا ابتليت " أبو هريرة ﷺ
- ٦١٠ " قال الله تعالى : أنا مع عبدي " أبو هريرة ﷺ
- ٤١٥ " قدمت عليّ أمي " أسماء - رضي الله عنها -
- ١٨٣ " قسمت الصلاة بيني " أبو هريرة ﷺ
- ٥١٨ " قلنا للنبي ﷺ : إنك تبعنا " عقبه بن عامر ﷺ
- ٣٥٥ " قومي فأوترني " عائشة - رضي الله عنها -
- ٥٠٣ ، ٥٠٢ " قيل للنبي ﷺ : يا رسول الله ، إن فلانة تذكر " أبو هريرة ﷺ
- " قال الله تعالى : إذا ابتليت عبدي المؤمن " ﷺ

[ك]

- ٤١٩ " كان جُرَيْج رجلاً عابداً " أبو هريرة ﷺ
- ٤١٨ " كان تحتي امرأة أحبها " ابن عمر ﷺ
- ٢٢٦ " كان رسول الله ﷺ يرّغب " أبو هريرة ﷺ
- ٢٣٩ " كان رسول الله ﷺ يصوم " عائشة - رضي الله عنها -
- ٢٢٣ " كان رسول الله ﷺ أجود " ابن عباس ﷺ
- ٣٩٠ " كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب " عبد الله بن بشر ﷺ
- ٢٣١ " كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر " عائشة - رضي الله عنها -
- ٤٤٩ " كان رسول الله ﷺ معه رجل من أصحابه " عن سهل بن موسى ﷺ
- ٢٣١ " كان رسول الله ﷺ يجتهد " عائشة - رضي الله عنها -
- ١٧١ " كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر " جابر ﷺ
- ٥١١ " كان غلام زفر يخدم النبي ﷺ " أنس ﷺ

- ٦٠٤ " كان رجل يداين الناس " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٤٣ " كان اليهود يتعاطسون " أبو موسى الأشعري رضي الله عنه
- ٣٨٢ " كانت قريش يدعون الحمس " جابر رضي الله عنه
- ٣٨٤ " كانت الأنصار إذا حجوا فرجعوا " البراء بن عازب رضي الله عنه
- ٣٨٤ " كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت " البراء بن عازب رضي الله عنه
- ٤٦٦ " كافل اليتيم له " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٣٣٣ " كلام ابن آدم كله عليه " أم حبيبة - رضي الله عنها -
- ٣٣٨ " كل معروف صدقة " أبو ذر رضي الله عنه
- ٣٥٧ ، ٣٤٧ " كل سلامي من الناس " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٠٩ " كم من جارٍ متعلقٍ بجاره " ابن عمر رضي الله عنهما
- ١٧١ " كنا نصلي المغرب " رافع بن خديج رضي الله عنه
- ٢٧٦ " كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة " عوف بن مالك رضي الله عنه
- ١٤٠ " كنا إذا احمر البأس " علي رضي الله عنه
- ٦٠ " كيف تجدك ؟ " أنس رضي الله عنه
- ٥٨ " كيف تقول في الصلاة ؟ " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٦٨ " كيف أصبحت يا حارثة ؟ " أنس رضي الله عنه

[ل]

- ٤٠ " لا أحصى ثناء عليك " عائشة - رضي الله عنها -
- ٣٥ " لا تؤمنوا حتى تحابوا " أبو هريرة رضي الله عنه
- ١٧٦ " لا تجزئ صلاة الرجل " أبو هريرة + أبو مسعود رضي الله عنهما
- ٩٠ " لا تدخل الملائكة بيتاً " أبو طلحة رضي الله عنه
- ٢٠٧ " لا تصحب إلا مؤمناً " أبو سعيد الخدري رضي الله عنه
- ٢٣٨ " لا صوم فوق صوم داود عليه السلام " عبدالله بن عمرو رضي الله عنه
- ١٤١ " لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين " عطية السعدي رضي الله عنه

- ٣٣٥ " لا يتناجى اثنان دون واحد " عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
- ٤٢٧ " لا يجزي ولدٌ والداً " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٤٤٤ " لا يدخل الجنة قاطع رَحِمٍ " جبير بن مطعم رضي الله عنه
- ٦٠٥ ، ٦٠٤ " لا يدخل النار إن شاء الله " جابر بن عبد الله رضي الله عنه
- ٢٢٢ " لا يزال الدين ظاهراً " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٢٢ " لا يزال الناس بخير " سهل بن سعد رضي الله عنه
- ٣٥ " لا يزني الزاني حين يزني " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٣٣ " لا يقل أحدكم : أظعم ربك " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٠٧ ، ٥٠٦ " لا يمنع أحدكم جاره " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٣٢٨ " لا ينبغي لصديق " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٤٩٤ " لأن يحتطب أحدكم " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٥٦ " لبيك حجاً حقاً " أنس رضي الله عنه
- ٣٠٧ " لكل داءٍ دواء " جابر رضي الله عنه
- ٥٢٤ ، ٤١٨ " للعبد المملوك المصلح أجران " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٣١ " للمملوك طعامه وكسوته " أبو هريرة رضي الله عنه
- ١٨٩ " لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل " عائشة - رضي الله عنها -
- ٦٢١ " لن يدخل أحدًا عمله الجنة " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٧٨ " لو قد جاء مال البحرين " جابر رضي الله عنه
- ٦٠٣ " ليتمنين أقوامٌ " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٣١٨ " ليس الكذاب " أم كلثوم بنت عقبة - رضي الله عنها -
- ٥٠٩ " ليس المؤمن الذي يشبع " ابن عباس رضي الله عنهما
- ٤٨٢ " ليس المسكين " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٤٤٣ " ليس الواصل بالمكافئ " ابن عمر رضي الله عنهما
- ٢٣٨ ، ١٤ " ليس من البرِّ الصيام في السفر " جابر بن عبد الله رضي الله عنه

[٥]

- ٣٥١ " المؤمن الذي يخالط الناس " ابن عمر رضي الله عنهما
- ٤٥٤ " المؤمن مرآة المؤمن " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٧٣ " ما بال أقوام يشترطون " عائشة - رضي الله عنها -
- ٢٠٩ " ما تصدق أحد بصدقة " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٠٢ " ما تقولون في الزنا ؟ " المقداد بن الأسود رضي الله عنه
- ٣٠٦ " ما رأيت رجلاً أشدّ عليه " عائشة - رضي الله عنها -
- ٤٩٧ " ما زال يوصيني جبريل " عائشة - رضي الله عنها -
- ٢٤٥ " ما عمل آدمي من عمل " عائشة - رضي الله عنها -
- ٣٠١ " مالك يا أم السائب " جابر بن عبد الله رضي الله عنه
- ٥٧٨ ، ٤٤٦ " ما من ذنب أجدر " أبو بكر رضي الله عنه
- ٩٤ " ما من مسلم يصلي عليّ " عامر بن أبي ربيعة رضي الله عنه
- ٣١٠ " ما من مسلم يصيبه أذى " عبد الله رضي الله عنه
- ٢٠٩ " ما من يوم يصبح فيه العباد " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٨٠ " ما منعي أن أشهد بدرًا " حذيفة رضي الله عنه
- ٨٠ " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ " عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
- ١٤ " ما هذا ؟ البرُّ تُرْدَنُ بهذا " عائشة - رضي الله عنها -
- ٣٠٠ " ما يصيب المسلم " أبو سعيد الخدري + أبو هريرة رضي الله عنهما
- ٣٠٢ " ما يصيب المؤمن من شوكة " عائشة - رضي الله عنها -
- ٤٩٣ " ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم " أبو سعيد رضي الله عنه
- ٣٧٣ " مثل العالم الذي يعلم الناس " جندب بن سفيان رضي الله عنه
- ٤٥٤ " مداراة الناس صدقة " جابر رضي الله عنه
- ٣٢٣ " مررت ليلة أسري بي " جابر رضي الله عنه
- ٣٥٣ " المسلم أخو المسلم " ابن عمر رضي الله عنهما
- ٤٠٤ ، ٤٠٣ " من أحب أن يمدّ له " أنس رضي الله عنه

- ٦٤ ، ٤٧ " من أحب لقاء الله " عبادة بن الصامت رضي الله عنه
- ٢٧٣ " من أحدث في أمرنا " عائشة - رضي الله عنها -
- ٩٣ " من أشار إلى أخيه بحديدة " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٢٥ " من أعان مجاهداً " سهل بن حنيف رضي الله عنه
- ٩٠ " من أكل البصل والثوم " جابر بن عبد الله رضي الله عنه
- ١٣٣ " من أين سجدت ؟ " ابن عباس رضي الله عنه
- ٩٣ " من سب أصحابي " ابن عباس رضي الله عنه
- ٤٣٨ " من سره أن يمد الله في عمره " عاصم رضي الله عنه
- ٢٣٥ ، ٢١٦ " من صام يوماً في سبيل الله " أبو سعيد رضي الله عنه
- ٢١٧ " من صام رمضان إيماناً " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٣٦ " من صام رمضان ثم أتبعه " أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه
- ٩٤ " من عاد مريضاً " علي رضي الله عنه
- ٣٥ " من غشنا فليس منا " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢١٩ " من لم يدع قول الزور " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٢٤ " من فطر صائماً فله أجره " زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه
- ٢٢٨ " من قام ليلة القدر إيماناً " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٢٩ " من كان متحريراً " ابن عمر رضي الله عنه
- ٥٠٣ " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٢٠ " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٦٧ " من لم تنهه صلواته عن الفحشاء " ابن عباس رضي الله عنه
- ٢٦٧ " من لم يدع قول الزور والعمل به " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٤٢ " من حجّ ولم يرفث ولم يفسق " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٧٣ " من نذر أن يطيع الله " عائشة - رضي الله عنها -
- ٣٠٥ " من يرد الله به خيراً يُصب منه " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٣٢٩ " من سأل الله الشهادة بصدق " سهل بن حنيف رضي الله عنه

- ٣٣١ " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٣٥١ " من دلّ على خير " أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه
- ٣٥١ " من دعا إلى هدى " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٤٥٥ " من دعا لأخيه بظهر الغيب " أبو الدرداء رضي الله عنه
- ٣٥٦ " من جهّز غازياً في سبيل الله " زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه
- ٣٦١ " من رأى منكم منكراً " أبو سعيد الخدري رضي الله عنه
- ٣٩٠ " من يتحقّق في بيت قوم " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٤٦٦ " من ضمّ يتيماً " مالك بن الحارث رضي الله عنه
- ٤٨٣ " من موجبات المغفرة " جابر بن عبد الله رضي الله عنه
- ٥٢٢ " من منح منيحة لبني البراء بن عازب رضي الله عنه
- ٥٣٢ " من لاءمكم من مملوكيكم " أبو ذر رضي الله عنه
- ٦٠٣ " من كظم غيظاً " معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه
- ٥٩٩ " من نفّس عن مؤمن " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٦١٥ " من يدخل الجنة ينعم " أبو هريرة رضي الله عنه

[ن]

- ٢١٨ " النّظرة سهم من سهام " ابن مسعود رضي الله عنه
- ٣٨٦ " نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الوصال " عائشة - رضي الله عنها -
- ٤٨٨ " نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن جداد الليل " الحسن رضي الله عنه
- ٣٨٧ " بينا النبي صلى الله عليه وآله يخطب إذا هو برجل " ابن عباس رضي الله عنه

[هـ]

- ٤٣٣ " هذا خالي " جابر بن عبد الله رضي الله عنه
- ٢٩٣ " هذه رحمة جعلها الله " أسامة بن زيد رضي الله عنه

٦٢٣ ، ٦٢٤

" هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة " أبو هريرة رضي الله عنه

[و]

- ١٨٨ " واعلموا أن خير أعمالكم " ثوبان رضي الله عنه
- ١٢٤ " والأنبياء أولاد علات " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٣٦٢ " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف " حذيفة رضي الله عنه
- ٢٩٠ " والصبر ضياء " أبو مالك الأشعري رضي الله عنه
- ٣٥٣ " والله في عون العبد " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٠٢ " والله لا يؤمن " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٩٣ " والملائكة يصلون على أحدكم " أبو هريرة رضي الله عنه
- ١٩٣ " وإن أحب الأعمال إلى الله " عائشة - رضي الله عنها -
- ٢٨٣ ، ٢٧٨ " وإن حسن العهد من الإيمان " عائشة - رضي الله عنها -
- ٦٧ " واهأ لريح الجنة ! " أنس رضي الله عنه
- ٤٨٩ " وأهل الصفة " أبو هريرة رضي الله عنه
- ١٧٢ " الوقت الأول من الصلاة " ابن عمر رضي الله عنه
- ١٨٠ " وجعل قرّة عيني في الصلاة " أنس رضي الله عنه
- ٣٤٩ " ولست تنفق نفقة تبتغي " سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه
- ١٢٨ " ولكني أصوم وأفطر " أنس بن مالك رضي الله عنه
- ٤٣٥ " ولو وصلت بعض أحوالك " كريب مولى ابن عباس رضي الله عنه
- ٣٤٩ " ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله " سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه
- ٢٣٢ " وما رأيت رسول الله ﷺ قام ليلة حتى " عائشة - رضي الله عنها -
- ٢٣٣ " ومن اعتكف يوماً " ابن عباس رضي الله عنه
- ٤٥٣ " ومن ترك المرء وهو محق " أنس رضي الله عنه
- ٤٣٧ " ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٠٩ " ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره " أبو شريح العدوي رضي الله عنه

٢٩٠ " ومن يتصبر يصبره الله " أبو سعيد الخدري رضي الله عنه

[ي]

- ٣٧٢ ، ٣٧٣ " يؤتى بالرجل يوم القيامة " أسامة بن زيد رضي الله عنه
- ٧٩ " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٤٨٣ " يا ابن عوف ، إنك من الأغنياء " عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
- ١٩٤ " يا بلال حدثني بأرجى عمل " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٢٣٧ " يا أبا ذر ، إذا صمت من الشهر " أبو ذر رضي الله عنه
- ٤٢٧ ، ٤٢٦ " يا رسول الله ، إن فريضة الله على عباده في الحج " امرأة من خثعم
- ٥٠٦ " يا رسول الله ، إن لي جارين " عائشة - رضي الله عنها -
- ٢٤٢ " يا رسول الله ، نرى الجهاد " عائشة - رضي الله عنها -
- ٤٢٥ " يا رسول الله ، هل بقي من برّ أبوي " مالك بن ربيعة رضي الله عنه
- ٢٣٧ " يا رسول الله ، لم أرك تصوم " أسامة بن زيد رضي الله عنه
- ٤٢٢ " يا رسول الله ، من أحقّ الناس بحسن صحابتي ؟ " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٦٢٠ " يا رسول الله ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ... ﴾ " عائشة - رضي الله عنها -
- ٥٢١ " يا معشر الأنصار " جابر بن عبد الله رضي الله عنه
- ٥٠٦ " يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٦٠١ ، ٦٠٠ " يدنو أحدكم من ربه " ابن عمر رضي الله عنه
- ٣٦٨ " يصبح على كل سلامي " أبو ذر رضي الله عنه
- ٢٨٤ ، ٢٨٣ " يقول الله عز وجل : ثلاثة أنا خصمهم " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٦١٠ " يقول الله تعالى : أنا عند ظنّ عبدي " أبو هريرة رضي الله عنه
- ٥٩٢ " ينادي مناد " أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وأبو هريرة رضي الله عنه
- ٣٥١ " يوشك أن يكون " أبو سعيد الخدري رضي الله عنه

فهرس الأعلام

<u>الصفحة</u>	<u>اسم العلم</u>
	[أ]
١٨	الآلوسي ، محمود شكري بن عبد الله (مفسر)
١٣	ابن الأثير ، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني
٣٨٧	أبو إسرائيل الأنصاري <small>رضي الله عنه</small> (صحابي جليل)
٣٧٤	أبو الأسود الدؤلي = ظالم بن عمرو (لغوي)
١١٥	ابن الأعرابي = محمد بن زياد (لغوي)
١٦٧	أبي أوفى = علقمة بن خالد (والد الصحابي : عبد الله بن أبي أوفى <small>رضي الله عنه</small>)
٢٨٢	أبو قتادة = الحارث بن ربيعي <small>رضي الله عنه</small> (صحابي جليل)
١٦٧	بن أبي أوفى = عبد الله <small>رضي الله عنه</small> (صحابي جليل)
٢٥	أبي بن كعب <small>رضي الله عنه</small> (صحابي جليل)
٧٢	أحمد بن حنبل (إمام المذهب الحنبلي)
٢٤٣	الأزهري = محمد بن أحمد بن الأزهر (لغوي)
٢٣٧	أسامة بن زيد <small>رضي الله عنه</small> (صحابي جليل)
٤١٥	أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - (صحابية جلييلة)
٥٣٧	أم أسماء = قتيلة (الراجح أنها لم تسلم)
٣٠١	أم السائب الأنصارية - رضي الله عنها - (صحابية جلييلة)
٣١٨	أم كلثوم بنت عقبة - رضي الله عنها - (صحابية جلييلة)
٦٠	أنس بن مالك بن النضر <small>رضي الله عنه</small> (صحابي جليل)
٦٧	أنس بن النضر بن ضمضم <small>رضي الله عنه</small> (صحابي جليل)
٢٧١	الأوزاعي = عبد الرحمن بن عمرو (فقيه)

[ب]

- ٣٨٤ البراء بن عازب رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ١٠٧ البغوي = الحسين بن مسعود (مفسر)
 ٨ البقاعي = إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (مفسر)
 ٥ أبو بكر الجصاص = أحمد بن علي الرازي (فقيه حنفي)
 ٨٧ أبو بكر الصديق رضي الله عنه = عبد الله بن أبي قحافة (صحابي جليل)
 ١٩٤ بلال بن رباح رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٥٠٣ بن أبي جمرة = محمد بن أحمد بن عبد الملك (فقيه مالكي)

[ت]

- ١١٧ التفتازاني = مسعود بن عمر
 ٣٤٥ تماضر بنت الأصبع - رضي الله عنها - (صحابية جلييلة)
 ٢١ ابن تيمية = أحمد بن عبد الحلیم

[ث]

- ٤٦ الثعالبي = عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (مفسر)
 ٣٢٢ الثوري = سفيان الثوري

[ج]

- ١٧١ جابر بن عبد الله رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ١١٧ الجاحظ = عمرو بن بحر بن محبوب (لغوي)
 ٥١ الجرجاني = علي بن محمد بن علي
 ١٥٢ جرير بن عطية (شاعر)

- ٩٧ الجعدي = قيس بن عبد الله (شاعر)
 ٤٩٠ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ١٧٣ الجنيد بن محمد بن الجنيد
 ٤٣ ابن الجوزي = عبدالرحمن بن علي

[ح]

- ٦٨ حارث أو حارثة بن مالك رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٧٣ ابن حجر = أحمد بن علي (محدث)
 ١٧٥ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٥١٩ ابن حزم = علي بن أحمد بن سعيد (إمام المذهب الظاهري)
 ٥٢ الحسن البصري = الحسن بن أبي الحسن (تابعي)
 ٢٨٠ حسيل = والد حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٢٥ حفص بن سليمان بن المغيرة (من القراء السبعة)
 ٢٣٦ حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنها - (أم المؤمنين)
 ٢٥ حمزة بن حبيب الزيات (من القراء السبعة)
 ٤٧٥ حماد بن زيد
 ٢٧٢ أبو حنيفة = النعمان بن ثابت (إمام المذهب الحنفي)

[خ]

- ٢٧٨ خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - (أم المؤمنين)
 ٢١٧ الخطابي = حمد بن محمد
 ٩٩ الخليل بن أحمد الفراهيدي (لغوي أديب)

[د]

- ١٤٣ أبو الدرداء = عويمر بن مالك رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٥١ ابن دريد = محمد بن الحسن (لغوي)

[ذ]

- ٢٢ أبو ذر = جندب بن جنادة بن سفيان رضي الله عنه (صحابي جليل)

[ر]

- ٨ الرّازي ، محمد بن عمر بن الحسين (مفسر)
 ٣ الرّاعب الأصفهاني ، الحسين بن محمد بن المفضل (لغوي)
 ١٧١ رافع بن خديج رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٣٨٩ ربيعة بن أمية (أسلم ثم تنصّر)

[ز]

- ١٣٧ الزّركشي = محمد بن بهادر بن عبد الله
 ٥٥ الزّجاج = إبراهيم بن محمد بن السري (لغوي)
 ٤٩ الزّمخشري = محمود بن عمر (مفسر معتزلي ولغوي)
 ٥٤٩ أبو زيد الأنصاري = سعيد بن أوس (لغوي)
 ٢٢٣ زيد بن ثابت رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٣٨٧ زينب بنت جابر الأحمدية - رضي الله عنها - (صحابية جليّة)
 ٤٣٥ زينب بنت معاوية = امرأة عبد الله بن مسعود - رضي الله عنها -
 (صحابية جليّة)

[س]

- ٤١٥ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (صحابي جليل)
- ٢٧٧ سعد بن معاذ رضي الله عنه (صحابي جليل)
- ٥٧ أبو السعود = محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (مفسر)
- ٤١١ سعيد بن المسيب (تابعي)
- ٥٦ سعيد بن جبير (تابعي)
- ٣٢٢ سفيان سعيد الثوري (تابعي)
- ٧١ ابن السكيت = يعقوب بن إسحاق (لغوي)
- ٣٠٤ سلمان الفارسي رضي الله عنه (صحابي جليل)
- ١٣٥ السَّمْعَانِي = منصور بن محمد (مفسر ، جدّ السمعاني صاحب " الأنساب ")
- ٣٤٤ سودة بنت زمعة - رضي الله عنها - (أم المؤمنين)
- ٥١ سيويه = عمرو بن عثمان بن قنبر (لغوي)
- ٩ سيد قطب (مفكر إسلامي معاصر ومفسر وأديب)
- ٢٤١ ابن سيده = علي بن إسماعيل (لغوي)

[ش]

- ١٣٢ الشافعي = محمد بن إدريس (إمام المذهب الشافعي)
- ١٠٢ شمعون = وزير عيسى عليه السلام

[ص]

- ٥٣٩ صفية بنت حيي بن أخطب - رضي الله عنها - (أم المؤمنين)
- ١٣ صاحب محيط المحيط = بطرس البستاني

[ط]

- ٨٤ طاووس بن كيسان (تابعي)
 ٤٩ الطبري = محمد بن جرير (مفسر)
 ١٤٢ طلق بن حبيب العتري (تابعي)
 ١٥ الطيبي = الحسين بن محمد بن عبد الله

[ع]

- ٦٤ عائشة - رضي الله عنها - (أم المؤمنين)
 ١٨٧ ابن عابدين = محمد أمين (فقيه حنفي)
 ٣٠٩ ابن عاشور = الطاهر بن عاشور (مفسر)
 ٢٧ أبو العالية الرياحي = رفيع بن مهران (تابعي)
 ٢٦ ابن عامر = عبد الله بن عامر بن يزيد (أحد القراء السبعة)
 ٣٠٢ ابن عبد البرّ = يوسف بن عبد الله (محدث و فقيه مالكي)
 ٣٢٨ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٢٧ عبد الله بن عباس رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ١٣٥ عبد الله بن عمر الخطاب رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٥١١ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٢٥ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٦٤ أبو عبيد = القاسم بن سلام
 ٢١٥ أبو عبيدة = معمر بن المثنى (لغوي)
 ٦٣ أبو عثمان الصابوني = إسماعيل بن عبد الرحمن
 ١٣٠ ابن العربي = محمد بن عبد الله المعافري (فقيه مالكي)
 ٤٢٦ الحافظ العراقي = عبد الرحيم بن الحسين
 ٨٥ ابن أبي العزّ = علي بن علي بن محمد (شارح الطحاوية)

- ٢٠٠ ابن عطية = عبد الحق بن غالب (مفسر)
 ٥١٨ عقبة بن عامر رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٨٥ عكرمة بن عبد الله (مولى ابن عباس رضي الله عنه)
 ١٠٨ علي بن أبي طالب رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٢٩٥ أبو علي الفارسي = الحسن بن أحمد (لغوي)
 ٥٥٤ عمار بن ياسر رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٥٩ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٩١ عمر بن عبد العزيز (الخليفة الزاهد)
 ٢٧٦ عوف بن مالك رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٢٧ العوفي = عطية بن سعد بن جنادة (تابعي)
 ٨٠ عياض بن موسى (محدث)

[ح]

- ٥٣ الغزالي = محمد بن محمد ، أبو حامد

[هـ]

- ٩٩ الفراء = يحيى بن زياد (لغوي)
 ١٧٤ الفضيل بن عياض
 ١٧٣ الفيومي = أحمد بن محمد

[ق]

- ٥٨ القاسمي ، محمد جمال الدين (مفسر)
 ٥ قتادة (تابعي)
 ٢٤٦ ابن قدامة = عبد الله بن محمد (فقيه حنبلي)

- ٨٠ القرطبي = محمد بن أحمد (مفسر)
 ٣٨٣ قطبة بن عامر رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ١١٧ قطرب = محمد بن المستنير (لغوي)
 ٣٦٦ القفال = عبد الله بن أحمد المروزي (فقيه شافعي)
 ٦ ابن قيم الجوزية = محمد بن أبي بكر بن أيوب

[ك]

- ٤١٧ الكاساني = أبو بكر بن مسعود (فقيه حنفي)
 ٥ ابن كثير = إسماعيل بن عمر بن كثير (مفسر)
 ٣٢٩ كعب بن مالك رضي الله عنه (صحابي جليل)
 ٣٤ الكفوي = أيوب بن موسى (صاحب الكليات)
 ١٧٠ ابن كيسان = عبد الرحمن بن هرمز (تابعي)

[ل]

- ٥١٧ أبو لاس الخزاعي رضي الله عنه (صحابي جليل)

[م]

- ٢٧١ مالك بن أنس (إمام المذهب المالكي)
 ١١٦ الماوردي = علي بن محمد بن حبيب
 ٣٧٦ المبرد = محمد بن يزيد (لغوي)
 ٨٠ مجاهد بن جبر (تابعي)
 ٤٢٢ المحاسبي = الحارث بن أسد
 ١٣٠ محمد رشيد بن علي رضا (مفسر)
 ٢٣ محمود شلتوت (فقيه مفسر)

- ٢٥ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (صحابي جليل)
- ٥٣٢ أبو مسعود البدرى = عقبه بن عمرو رضي الله عنه (صحابي جليل)
- ١٣٥ أبو المظفر السمعاني = منصور بن محمد
- ١٩٧ معاذ بن جبل رضي الله عنه (صحابي جليل)
- ١٤٤ ابن المعتز = عبد الله بن المعتز بالله (شاعر)
- ١٥٥ معروف بن فيروز الكرخي
- ١٤٥ مقاتل بن سليمان (من أعلام المفسرين)
- ٤٨ المناوي = محمد عبد الرؤوف
- ٤٧ ابن منظور الأفرقي = محمد بن مكرم (لغوي)
- ٢٢٤ ابن المنير السكندري = أحمد بن محمد
- ٥٤٣ أبو موسى الأشعري = عبد الله بن قيس رضي الله عنه (صحابي جليل)
- ٤٣٥ ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها - (أم المؤمنين)

[ن]

- ٢٦ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (من القراء السبعة)
- ٥٨ النحاس = أحمد بن محمد بن إسماعيل ، أبو جعفر
- ١٨٣ النخعي = إبراهيم بن يزيد
- ٥٩٦ النضر بن شميل (لغوي)
- ٤٩٩ نوف البكالي (تابعي)
- ١٥ النّووي ، هو يحيى بن شرف بن مري

[هـ]

- ١٤٣ أبو هريرة = عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه (صحابي جليل)

[و]

١٤٣

الواقدي = محمد بن عمر

[ي]

٦٣

يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي (من الزهاد)

فهرس الغرب والمصطلحات العلمية والبلاد

<u>الصفحة</u>	<u>المصطلح</u>
	[أ]
٥٠٣	الأثوار
٦٨	أسهرتُ
٧٠	أطت
٦٨	أظمأتُ
٢٣٣	الاعتكاف
٣٧٢	أقتاب
٥٠٧	أكنافكم
١٦٧	الآل
١٢٩	الالتفات
٢٩٧	إلخافا
١٠٢	أنطاكية
	[ب]
١٤٧	الباعث
٥٤٢	ببلاها
٢٤٧	بختية
١٧١	بكرؤا

[ت]

٢٢٦	التراويح
٤١٤	التربية
٣٠١	تزفزين
٦٢٣	تضارون
١٩٤	تضامون
١٨٧	التطوع
٨١	تعاور
٣٧٢	تندلق

[ج]

٥٢٠	جائزته
٤٨٨	جداد
٢٥٠	الجدال
٥١٩	جدة
٤٩٦	جَلْدِين
٤٩٨	جَنْب
٢١٩	جَنَّة

[ح]

٥٣٠	الحطيطة
٣٢٣	الحلس
٣٤٥	الحمالة
٣٨٢	الحُمس

[خ]

٥٣٠

خَوَّلَكُمْ

[د]

٤٦٨

دَعَّ

١٩٤

دَفَّ نَعْلَيْكَ

١٢٠

دلالة السِّيَاق القرآني

[ذ]

٤٣٢

ذو الرَّجِمِ

[ر]

٢٥٤

رَحُلٌ

٣٧٣

الرحى

٢١٩

الرفث

٤٥٤

رِفْدُهُ بِمَالِهِ

٣٧٨

الرمضاء

٢٢٣

الريح المرسله

[ز]

٥٢٢

زقاقا

[س]

١٥٣	السَّبب
٥٧٩	سجن
٣٤٧	سُلامى
٢٤٤	سنان
١٨٧	السُّنة

[ش]

٨٨	شعار
٣٥١	شُعب الجبال

[ص]

٣٥٤	صائل
-----	------

[ض]

٥٧٦	ضنكا
-----	------

[ط]

٤٤٩	طرفاء
-----	-------

[ظ]

٤٩١	ظلفا
-----	------

[ع]

٣٥٥	العاقلة
٥٥٨	عبق
٢٧١	العدة
٦٨	عزفت
٤٩٧	عَسَلَه
١٢٤	عَلَّتْ

[غ]

٥٧٥	غدقا
١٧١	الغلس
٤٤٩	غِيضَة

[ف]

٣٦٢	الفترة
٥٠٦	فِرْسَن
١٨٦	الفرض
٢٤٨	الفسوق

[ق]

٥١٨	قِرَى
-----	-------

[ك]

٤٤٣	الكاشح
٣٠٤	كندة
٣٠١	الكير

[ل]

٢٢٧	ليلة القدر
-----	------------

[م]

٢٣١	المتزر
٣٤٥	المخارجة (التخارج)
١٨٧	المستحب
٢٤٧	مُشعراً
٦٦	المعاينة
٧٩	معقبات
٢٤٧	مُقلداً
٤٤٣	المكافئ
٢٤٧	المكس
٤٤٣	الملّ
٥٢٩ ، ١٠٦	منجم
١٨٧	المندوب
٤٩٥	المنطوق
٤٩٥	المفهوم
٥٢٢	المنيحة

[ن]

١٧١	النبل
٣٧٤	النسيان
٣٠٠	نصب

[هـ]

١٧١	الهجرة
-----	--------

[و]

١٨٦	الواجب
٥٢٢	ورق
٣٠٠	وصب
٣٧٨	الوصم
٤٣٥	وليدة

[ي]

٥٤٣	يتعاطسون
٣٧٨	يحتسب
٣١٨	يُنمي

فهرس المسائل الفقهية

الصفحة	المسألة الفقهية
١٩٣	١- حكم صلاة نصف شعبان وصلاة الرغائب .
٢٢٦	٢- هل الأفضل للمرء صلاته قيام رمضان منفرداً في بيته أم في جماعة في المسجد ؟
٢٣٣	٣- حكم اعتكاف المرأة في المسجد .
٤١٨	٤- فيمن أمره أبوه بطلاق امرأته هل يطلقها أم لا ؟
٤٢٤	٥- هل للوالد أن يأخذ ما شاء من مال ولده ؟
٤٢٧	٦- هل يصل إلى الميت ثواب غير الصدقة والدعاء من أعمال البر ؟
٤٤١	٧- من تجب عليه النفقة من ذوي القربى ؟
٤٨٠	٨- ما المراد بالفقير والمسكين ، وأيهما أشد حاجة ؟
٤٨٥	٩- حدُّ الغنى المانع من أخذ الزكاة .
٤٨٦	١٠- مقدار ما يعطى الفقير والمسكين من الزكاة .

٥١٦	١١ - صفة ابن السليل .
٥١٩	١٢ - حكم الضيافة لأهل الحضر وأهل القرى .
٥٢٧	١٣ - المراد بقوله تعالى : ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ .
٥٢٩	١٤ - هل الأمر بالكتابة على الوجوب أو على الندب والاستحباب ؟

فهرس أوجه القراءات في الآيات

الصفحة	الآية واسم السورة ورقم الآية
٢٥	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ . [سورة البقرة : ١٧٧] .
٢٤٠	﴿ ... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ . [سورة آل عمران : ٩٧] .
٤٩٨	﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ . [سورة النساء : ٣٦] .
١٠٢	﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى ﴾ . [سورة المائدة : ٤٦] .
١٢٩	﴿ فَيُهْدِنَهُمْ آقَدِيَّةً ﴾ . [سورة الأنعام : ٩٠] .
٤٠٥	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾
٤٠٦	﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَأَحْفِضْ ﴾
٤٠٨	﴿ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ ﴾ . [سورة الإسراء : ٢٣ ، ٢٤] .
١٠٣	﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ . [سورة الإسراء : ٥٥] .
١١٣	﴿ أَلَنبِيُّ ﴾ . [سورة الأحزاب : ١] .
٥٧	﴿ أَمَّنْ هُوَ قَدِنتُ عَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا ﴾ . [سورة الزمر : ٩] .

٤٠١	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ . [سورة الأحقاف : ١٥] .
٤٦٩	﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ . [سورة الضحى : ٩] .
٤٦٨	﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾ . [سورة الماعون : ٢] .

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم ومعلومه :

- القرآن الكريم .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الجيل بيروت ، (ط . د) ، ج ١ .

أ (التفسير :

- أحكام القرآن ، أحمد بن علي الرازي البصّاص ، أبو بكر (ت ٣٧٠ هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، (ط . د) ، ج ٥ ، اسم المحقق : محمد الصادق قمحاوي .
- أحكام القرآن ، محمد بن إدريس الشافعي ، أبو عبد الله ، (ت ٢٠٤ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، (ط . د) ، ج ٢ ، اسم المحقق : عبد الغني عبد الخالق .
- أحكام القرآن ، محمد بن عبد الله ابن العربي ، أبو بكر (ت ٣٧٠ هـ) دار الفكر للطباعة والنشر ، لبنان ، (ط . د) ، ج ٤ ، اسم المحقق : محمد عبد القادر عطا .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) ، محمد بن محمد العمادي ، أبو السعود (ت ٩٥١ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (ط . د) ، ج ٩ .

- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، (ط . د) ، ج ٩ ، اسم المحقق : مكتب البحوث والدراسات .
- **أنوار التزليل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)** ، عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي أبو سعيد ، أو أبو الخير (ت ٦٨٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت (ط . د) ، ج ٥ .
- **بحر العلوم (تفسير السمرقندي)** علي بن يحيى علاء الدين السمرقندي القرماني أبو الليث (ت نحو ٨٨٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٣ ، اسم المحقق : د . محمود مطرجي .
- **البحر المحيط** ، محمد بن يوسف (أبو حيان) الأندلسي الغرناطي (ت ٧٥٤ هـ) (المكتبة التجارية ، مصطفى أحمد الباز ، مكة المكرمة ، (ط . د) ، ج ١٠ اسم المحقق : عرفات العشا حسونة .
- **بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية** ، دار ابن الجوزي ، الدمام ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ، ط ١ ، ج ٦ ، اسم المحقق : يسرى السيد محمد .
- **التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)** ، محمد بن الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ط ١ ، ج ٣٠ .
- **تذكرة الأريب في تفسير الغريب** ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، (ط . د) ، ج ١ .
- **التسهيل لعلوم التنزيل** ، محمد بن أحمد بن محمد الغناطي الكلبي ، ابن جزّي (ت ٧٤١ هـ) ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط ٤ ، ج ٤ .
- **تفسير الجلالين** ، محمد بن أحمد المحلي + عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ج ١ .

- **تفسير القرآن** ، عبد الرزاق بن همام **الصنعاني** (ت ٢١١ هـ —) ، مكتبة الرشد الرياض ، ١٤١٠ هـ ، ط ١ ، ج ٢ ، اسم المحقق : د . مصطفى مسلم محمد .
- **تفسير القرآن** ، منصور بن محمد بن عبد الجبار **السمعاني** (ت ٤٨٩ هـ —) دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، ط ١ ، ج ٦ ، اسم المحقق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن إبراهيم .
- **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)** ، محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤ هـ —) دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ج ١٣ .
- **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)** إسماعيل بن عمر بن كثير **الدمشقي** أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ —) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ — ، (ط . د) ج ٤ .
- **تفسير القرآن الكريم** ، الأجزاء العشرة الأولى ، الشيخ محمود **شلتوت** (ت ١٣٨٣ هـ —) ، ط ٤ ، ١٩٩٦ م .
- **تفسير المراغي** ، أحمد مصطفى **المراغي** ، شركة ومطبعة مصطفى الباوي **الخلي** وأولاده ، مصر ، ط ٤ ، ج ٣٠ ، مج ١٠ .
- **تفسير النسفي** ، عبد الله بن أحمد بن محمود **النسفي** ، أبو البركات (ت ٧١٠ هـ —) ، (ط . د) ، ج ٤ .
- **تفسير سفيان الثوري** ، سفيان بن سعيد بن مسروق **الثوري** ، أبو عبد الله (ت ١٦١ هـ —) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ط ١ ، ج ١ .
- **تفسير مجاهد** ، مجاهد بن جبر **المخزومي** **التابعي** ، أبو **الحجاج** (ت ١٠٤ هـ —) المنشورات العلمية ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٢ ، اسم المحقق : عبد الرحمن الطاهر محمد **السورتي** .
- **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس** ، عبد الله بن العباس بن عبد المطلب **رضي الله عنه** (ت ٦٨ هـ —) ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، (ط . د) ، ج ١ .

- تيسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢١ هـ — ٢٠٠٠ م ، (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : ابن عثيمين .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، أبو جعفر (ت ٣١٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ (ط . د) ، ج ٣٠ .
- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي ، أبو عبد الله (ت ٦٧١ هـ) ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ — ط ٢ ، ج ٢٠ ، اسم المحقق : أحمد عبد العليم البردوني .
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، أبو زيد (ت ٨٧٥ هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ، (ط . د) ، ج ٤ .
- حاشية الشهاب المسماة (عناية القاضي وكفاية الراضي) ، أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ) على تفسير البيضاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧ هـ — ١٩٩٧ م ، ط ١ ، ج ٩ ، اسم المحقق : عبد الرزاق المهدي .
- حاشية محيي الدين شيخ زائدة ، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي (ت ٦٨٥ هـ) ، مكتبة عباس الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٩ هـ — ١٩٩٩ م ، ط ١ ، ج ٨ ، اسم المحقق : محمد عبد القادر شاهين .
- الدر المنثور ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣ م ، (ط . د) ، ج ٨ .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود شكري الألوسي البغدادي ، أبو الفضل (ت ١٢٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (ط . د) ، ج ٣٠ .

- **زاد المسير في علم التفسير** ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ، ط ٣ ، ج ٩ .
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٥ .
- **في ظلال القرآن** ، سيد قطب إبراهيم (ت ١٣٨٧ هـ) ، دار الشروق القاهرة بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ط ٩ ، ج ٦ .
- **كتبة ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير** ، أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحرائي ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، ط ٢ ج ١٧ ، اسم المحقق : عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي .
- **الكشاف عن حقائق التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (ط . د) ، ج ٤ ، اسم المحقق : عبد الرزاق المهدي .
- **لباب التأويل في معالم التزويل (تفسير البغوي)** ، الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٤ ، اسم المحقق : خالد عبد الرحمن العك .
- **محاسن التأويل** ، (تفسير القاسمي) ، محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، ط ٢ ج ١٧ ، اسم المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- **المحدر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي أبو محمد (ت ٥٤٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ، ط ١ ، ج ٤ ، اسم المحقق : عبد السلام عبد الشافي محمد .
- **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)** ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي الرازي الشافعي (ت ٦٠٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ هـ ، ط ١ ، ج ٣٢ .

- نظم الدرر في تناسب الشور ، إبراهيم بن عمر البقاعي ، أبو الحسن (ت ٨٨٥ هـ) دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، ط ١ ج ٨ .
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير الواحدي) ، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن (ت ٤٦٨ هـ) ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق ، بيروت ، ط ١ ج ٢ ، اسم المحقق : د . صفوان عدنان داووي .

ب (علوم القرآن :

- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، دار الفكر ، لبنان ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ، ط ١ ، ج ٢ اسم المحقق : سعيد المندوب .
- البرهان في علوم القرآن ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، أبو عبد الله (ت ٧٩٤ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩١ هـ ، (ط . د) ، ج ٤ ، اسم المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم .
- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار الفكر لبنان ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ، ط ١ ، ج ٢ .

ج (النسخ والمنسوخ :

- المصنف في أكف أهل الرسوخ من علم النسخ والمنسوخ ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : د . صالح الضامن .

- **النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ** ، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النَّعَّاسُ ، أبو جعفر (ت ٣٣٨ هـ) ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٨ هـ ، ط ١ ، ج ٥ ، اسم المحقق : محمد عبد السلام محمد .
 - **النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ** ، قنادة بن دعامة بن قتادة السدوسي ، أبو الخطاب (ت ١١٧ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : د . حاتم صالح الضامن .
- (د) أسباب النزول :

- **أسباب النزول** ، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، أبو الحسن (٤٦٨ هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٠ هـ — ١٩٩٠ م ، ط ٣ ، ج ١ ، اسم المحقق : د . السيد الجميلي .
- **لباب النزول في أسباب النزول** ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، (ط . د) ، ج ١ .

(هـ) القراءات :

- **إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع** ، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٦٦٥ هـ) ، شركة مكتبة مصطفى الباي الحلبي ، مصر (ط . د) ، اسم المحقق : إبراهيم عطوة عوض .
- **إتقان فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر** ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي (ت ١١١٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان ١٤١٩ هـ — ١٩٩٨ م ، ط ١ ، اسم المحقق : أنس مهرة .
- **التيسير في القراءات السبع** ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني ، أبو عمرو (ت ٤٤٤ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م ط ٢ ، ج ١ ، اسم المحقق : أوتو تريزل .

- **حجة القراءات** ، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة القاضي المالكي ، أبو زرعة (ت حوالي ٤٠٣ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ — ، (ط . د) ج ١ ، اسم المحقق : سعيد الأفغاني .
- **العجة في القراءات السبع** ، الحسين بن أحمد ابن خالويه ، أبو عبد الله (ت ٣٧٠ هـ) ، دار الشروق ، بيروت ، ١٤٠١ هـ ، ط ٤ ، ج ١ ، اسم المحقق : عبد العال سالم مكرم .
- **السبعة في القراءات** ، أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي ، أبو بكر (ت ٣٢٤ هـ) ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، ج ١ ، اسم المحقق : شوقي ضيف .
- **شرح الهداية** ، أحمد بن عمّار المهدويّ ، أبو العباس (ت نحو ٤٤٠ هـ) مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م ، ط ١ ، ج ٢ ، اسم المحقق : د . حازم سعيد حيدر .

و) إخراج القرآن ومعانيه :

- **أسرار التكرار في القرآن** ، محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى (ت نحو ٥٠٥ هـ) دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ ، ط ٢ ، ج ١ ، اسم المحقق : عبد القادر أحمد عطا .
- **إخراج القرآن** ، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النخاس ، أبو جعفر (ت ٣٣٨ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٥ ، اسم المحقق : د . زهير غازي زاهد .
- **إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإخراج والقراءات** ، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري ، أبو البقاء (ت ٦١٦ هـ) ، المكتبة العلمية - لاهور ، باكستان ، (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : إبراهيم عطوة عوض .

- البيان في مخارج القرآن ، عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري ، أبو البركات (ت ٥٧٧ هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، (ط . د) ، ج ٢ ، اسم المحقق : د . طه عبد الحميد طه ، مراجعة : مصطفى السقا .
- التبيان في أقسام القرآن ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية) أبو عبد الله (ت ٧٥١ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، (ط . د) ، ج ١ .
- فهم القرآن ومعانيه ، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي ، أبو عبد الله (ت ٢٤٣ هـ) ، دار الكندي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ - ، ط ٢ ج ١ ، اسم المحقق : حسين القوتلي .
- مشكل إخراج القرآن ، مكّي بن أبي طالب القيسي ، أبو محمد (ت ٤٣٧ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ج ٢ ، اسم المحقق : حاتم صالح الضامن .
- معاني القرآن الكريم ، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النخّاس ، أبو جعفر (ت ٣٣٨ هـ) ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٩ هـ - ، ط ١ ، ج ١ اسم المحقق : محمد علي الصابوني .
- معاني القرآن وإخراجه ، إبراهيم بن السري الزّجاج ، أبو إسحاق (ت ٣١١ هـ) عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، ط ١ ، ج ٥ اسم المحقق : د . عبد الجليل عبده شلي .
- حجج القرآن ، أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرّازي (ت بعد ٦٣٠ هـ) دار الرائد العربي ، لبنان ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ط ٢ ، ج ١ ، اسم المحقق : أحمد عمر الحمصاني الأزهرّي .

ز (التفسير الموضوعي :

- البداية في التفسير الموضوعي (دراسة منهجية موضوعية) ، د . عبد الحيّ الفرماوي الإيداع بدار الكتب المصرية (٢٦٢٥) سنة ١٩٧٧ م ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٤ م ، ط ٣ ، ج ١ .
- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، د . أحمد السيد الكومي ، د . محمد أحمد يوسف القاسم ، ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م ، ط ١ ، ج ١ .
- دراسات في التفسير الموضوعي ، د . زاهر بن عواض الألمعي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢٢ هـ — ٢٠٠١ م ، ط ٢ ، ج ١ .
- مباحث في التفسير الموضوعي ، د . مصطفى مُسلم ، دار القلم ، دمشق ١٤٢١ هـ — ٢٠٠٠ م ، ط ٣ ، ج ١ .
- المدخل إلى التفسير الموضوعي ، د . عبد الستار فتح الله سعيد ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، ١٤١١ هـ — ١٩٩١ م ، ط ٢ ، ج ١ .

ثانياً : السنة النبوية وعلومها :

- الأحاديث المختارة ، محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي (ت ٦٤٣ هـ) ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ١٤١٠ هـ — ، ط ١ ج ١٠ ، اسم المحقق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش .
- الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م ، ط ٣ ، ج ١ ، اسم المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ، إبراهيم بن محمد الحسيني (ت ١١٢٠ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠١ هـ — ، (ط . د) ج ٢ ، اسم المحقق : سيف الدين الكاتب .

- **تأويل مختلف الحديث** ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد (ت ٢٧٦ هـ) ، دار الجليل ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٢ م ، (ط . د) ج ١ ، اسم المحقق : محمد زهري النجار .
- **تعفة الأموي** بشرح جامع الترمذي ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبار كفوري ، أبو العلا (ت ١٣٥٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت (ط . د) ، ج ١٠ .
- **تعفة المحتاج إلى أدلة المنهاج** ، عمر بن علي بن أحمد الواديشي الأندلسي (ت ٨٠٤ هـ) ، دار حراء ، مكة المكرمة ، ١٤٠٦ هـ — ، ط ١ ، ج ٢ اسم المحقق : عبد الله بن سعاف اللحياني .
- **التحقيق في أحاديث الخلاف** ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ — ، ط ١ ، ج ٢ اسم المحقق : مسعد عبد الحميد محمد السعدي .
- **التخريف من المنار والتعريف بحال دار البوار** ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الخنبلي أبو الفرج (ت ٧٩٥ هـ) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ١٣٩٩ هـ — ط ١ ، ج ١ .
- **تدريب الراوي** ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، (ط . د) ، ج ٢ ، اسم المحقق : عبد الوهاب عبد اللطيف .
- **التدريب والترهيب من الحديث الشريف** ، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد (ت ٦٥٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧ هـ — ، ط ١ ج ٤ ، اسم المحقق : إبراهيم شمس الدين .
- **تعظيم قدر الصلاة** ، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي ، أبو عبد الله (ت ٢٩٤ هـ) ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ١٤٠٦ هـ — ، ط ١ ، ج ٢ اسم المحقق : د . عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي .

- **تلخيص العبير في أحاديث الرافعي الكبير** ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، المدينة المنورة ، ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م ، (ط . د) ج ٤ ، اسم المحقق : السيد عبدالله هاشم اليماني المدني .
- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** ، يوسف بن عبد الله بن محمد البر النمري ، أبو عمر (ت ٤٦٣ هـ) ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب ، ١٣٨٧ هـ ، (ط . د) ، ج ٢٤ ، اسم المحقق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري .
- **الجامع الصحيح المختصر** ، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، أبو عبدالله (ت ٢٥٦ هـ) ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م ط ٣ ، ج ٦ ، اسم المحقق : د. مصطفى ديب البغا .
- **الجامع الصغير** ، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، دار طائر العلم ، جدة ، (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي .
- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم** ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، أبو الفرج (ت ٧٥٠ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٨ هـ ، ط ١ ، ج ١ .
- **حاشية السندي على النسائي** ، نور الدين بن عبدالهادي السندي ، أبو الحسن (ت ١١٣٨ هـ) ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م ، ط ٢ ، ج ٨ ، اسم المحقق : عبدالفتاح أبو غدة .
- **خلاصة البحر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي** ، عمر بن علي بن الملتن الأنصاري (ت ٨٠٤ هـ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٠ هـ ، ط ١ ج ٢ ، اسم المحقق : حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي .

- **الدراية في تخريج أحاديث الهداية** ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، أبو الفضل ، (ت ٨٥٢هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٢ ، اسم المحقق : السيد عبد الله هاشم اليماني المدني .
- **الدباج على صحيح مسلم بن الحجاج** ، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، أبو الفضل (ت ٩١١هـ) ، دار ابن عفان ، الخبر - السعودية ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، (ط . د) ، ج ٥ ، اسم المحقق : أبو إسحاق الحويني الأثري .
- **الزهد** ، أحمد بن عمرو بن أبي لمحاصه الشيباني ، أبو بكر (ت ٢٨٧هـ) دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ ، ط ٢ ، ج ١ ، اسم المحقق : عبد العلي عبد الحميد حامد .
- **الزهد** ، هناد بن السري الكوفي (ت ٢٤٣هـ) ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت ، ١٤٠٦هـ ، ط ١ ، ج ٢ ، اسم المحقق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي .
- **الزهد** ويليهِ الرقائق ، عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي ، أبو عبد الله (ت ١٨١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : حبيب الرحمن الأعظمي .
- **الزهد الكبير** ، أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي ، أبو بكر (ت ٤٥٨هـ) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ط ٣ ، ج ١ ، اسم المحقق : الشيخ عامر أحمد حيدر .
- **سبل السلا** شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير (ت ١١٨٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧٩هـ ، ط ٤ ، ج ٤ ، اسم المحقق : محمد عبد العزيز الخولي .
- **سنن ابن ماجه** ، محمد بن يزيد القزويني ، أبو عبد الله (ت ٢٧٥هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٢ ، اسم المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي .

- **سنن أبي داود** ، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ) ، دار الفكر ، (ط . د) ، ج ٤ ، اسم المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد .
- **سنن البيهقي الكبير** ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، أبو بكر (ت ٤٥٨هـ) ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م (ط . د) ، ج ١٠ ، اسم المحقق : محمد عبد القادر عطا .
- **سنن الترمذي** ، محمد بن عيسى الترمذي السلمي ، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٥ ، اسم المحقق : أحمد محمد شاكر وآخرون .
- **سنن الدارمي** ، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ، أبو محمد (ت ٢٥٥هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ط ١ ، ج ٢ ، اسم المحقق : فواز أحمد زمري + خالد السبع العلمي .
- **السنن الكبرى** ، أحمد بن شعيب النسائي ، أبو عبد الرحمن (ت ٣٠٣هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ — ١٩٩١م ، ط ١ ، ج ٦ ، اسم المحقق : د . عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن .
- **السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار** ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ط ١ ، ج ٤ اسم المحقق : محمود إبراهيم زايد .
- **شرح الزرقاني** على موطأ الإمام مالك ، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت ١١٢٢هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ ، ط ١ ، ج ٤ .
- **شرح سنن ابن ماجه** ، السيوطي + عبدالغني + فخر الحسن الدهلوي (ت ٩١١هـ) ، قديمي كتب خانة ، كراتشي ، (ط . د) ، ج ١ .

- **شعبه الإيمان** ، أحمد بن الحسين البيهقي ، أبو بكر (ت ٤٥٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠هـ ، ط ١ ، ج ٨ ، اسم المحقق : محمد السعيد بسيوني زغلول .
- **صحيح ابن حبان** بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، أبو حاتم (ت ٣٥٤ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤هـ — ١٩٩٣م ط ٢ ، ج ١٨ ، اسم المحقق : شعيب الأرناؤوط .
- **صحيح مسلم** ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، أبو الحسين (ت ٢٦١ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٥ ، اسم المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- **صحيح مسلم بشرح النووي** ، يحيى بن شرف بن مري النَّووي ، أبو زكريا (ت ٦٧٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ — ، ط ٢ ج ١٨ .
- **مخون المعبود** شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم آبادي ، أبو الطيب دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ط ٢ ، ج ١٠ .
- **فتح الباري** شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ — ، (ط . د) ج ١٣ ، اسم المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب .
- **الفردوس بمأثور الخطاب** ، أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمداني (ت ٥٠٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ط ١ ، ج ٥ اسم المحقق : السعيد بن بسيوني زغلول .
- **فيض القدير** شرح الجامع الصغير ، عبد الرؤوف المناوي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٥٦هـ ، ط ١ ، ج ٦ .

- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** ، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٥هـ ، ط ٤ ، ج ٢ ، اسم المحقق : أحمد القلاش .
- **المجتبى من السنن** ، أحمد بن شعيب النسائي ، أبو عبد الرحمن (ت ٣٠٣هـ) ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ط ٢ ، ج ٨ ، اسم المحقق : عبدالفتاح أبو غدة .
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) ، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ — ، (ط . د) ج ١٠ .
- **المستدرک على الصحيحين** ، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، أبو عبدالله (ت ٤٠٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ — - ١٩٩٠م ، ط ١ ج ٤ ، اسم المحقق : مصطفى عبد القادر عطا .
- **مسند أبي يعلى** ، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي (ت ٣٠٧هـ) ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ط ١ ج ١٣ ، اسم المحقق : حسين سليم أسد .
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، أحمد بن حنبل الشيباني ، أبو عبدالله (ت ٢٤١هـ) مؤسسة قرطبة ، مصر ، (ط . د) ، ج ٦ .
- **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه** ، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني (ت ٨٤٠هـ) ، دار العربية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ — ، ط ٢ ، ج ٤ ، اسم المحقق : محمد المنتقى الكشناوي .
- **مصنف بن أبي شيبة** ، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، أبو بكر (ت ٢٣٥هـ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٠٩هـ ، ط ١ ، ج ٧ ، اسم المحقق : كمال يوسف الحوت .

- **المعجم الأوسط** ، سليمان بن أحمد الطبراني ، أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ —) ، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥هـ ، (ط . د) ، ج ١٠ ، اسم المحقق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني .
- **المعجم الصغير** (الروض الداني) ، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ —) ، المكتب الإسلامي ، دار عمار ، بيروت ، عمان ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥هـ ، ط ١ ، ج ٢ ، اسم المحقق : محمد شكور محمود الحاج أمير .
- **المعجم الكبير** ، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ —) ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ١٤٠٤هـ — ١٩٨٣م ط ٢ ، ج ٢٠ ، اسم المحقق : حمدي بن عبد المجيد السلفي .
- **مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة** ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ١٣٩٩هـ — ، ط ٣ ج ١ .
- **المنتخب من مسند عبد بن حميد** ، عبد بن حميد بن نصر الكسي ، أبو محمد (ت ٢٤٩هـ) ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ط ١ ، ج ١ اسم المحقق : صبحي البدرى السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي .
- **هوطأ الإمام مالك** ، مالك بن أنس الأصبحي ، أبو عبدالله (ت ١٧٩هـ —) دار إحياء التراث العربي ، مصر ، (ط . د) ، ج ٢ ، اسم المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- **نصب الرأية لأحاديث الهداية** ، عبدالله بن يوسف الحنفي الزيلعي ، أبو محمد (ت ٧٦٢هـ) ، دار الحديث ، مصر ، ١٣٥٧هـ ، (ط . د) ، ج ٤ ، اسم المحقق : محمد يوسف البنوري .

- **نقد المنقول والحك المميز بين المردود والمقبول** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية) ، أبو عبد الله (ت ٧٥١ هـ) ، دار القادري ، بيروت ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : حسن السماعي سويدان .
- **نواذر الأصول في أحاديث الرسول** ، محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي ، أبو عبدالله ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢ م ، ط ١ ، ج ٤ ، اسم المحقق : د . عبد الرحمن عميرة .
- **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار** ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، (ط . د) ج ٩ .
- **الورع** ، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، أبو عبدالله (ت ٢٤١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : د . زينب إبراهيم القاروط .

ثالثاً : مصادر ومراجع الإيمان :

- **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية) أبو عبد الله (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، ط ١ ، ج ١ .
- **أصول السنة** ، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، أبو عبد الله (ت ٢٤١ هـ) دار المنار ، الخرج - السعودية ، ١٤١١ هـ ، ط ١ ، ج ١ .
- **أعلام النبوة** ، علي بن محمد الماوردي الشافعي ، أبو الحسن (ت ٤٥٠ هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : محمد المعتصم بالله البغدادي .
- **الإسلام بما في دين النصاري من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد ﷺ** ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري

القرطبي ، أبو عبد الله (ت ٦٧١ هـ) ، دار التراث العربي ، القاهرة ، ١٣٩٨ هـ
(ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : أحمد حجازي السقا .

■ **أقاويل الثقات** ، مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي (ت ١٠٣٣ هـ)
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : شعيب
الأرناؤوط .

■ **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات** ، محمد بن نصر المرتضى اليماني (ابن
الوزير) (ت ٨٤٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ط ٢
ج ١ .

■ **إيضاح الدليل** ، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة (ت ٧٢٧ هـ) ، دار
السلام للطباعة ، ١٤١٠ هـ ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : وهي سليمان غاوجي
الألباني .

■ **الإيمان** ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، دار
إحياء العلوم ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م ، ط ٤ ، ج ١ ، اسم المحقق :
حسين يوسف الغزال .

■ **الإيمان** ، أركانه ، حقيقته ، نواقضه ، د . محمد زعيم ياسين ، (ط . د)
ج ١ .

■ **بيان تلبيس الجهمية** ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس
(ت ٧٢٨ هـ) ، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ، ١٣٩٢ هـ ، ط ١ ، ج ٢
اسم المحقق : د . محمد بن عبد الرحمن بن قاسم .

■ **تلبيس إبليس** ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ)
دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ط ٢ ، ج ١ ، اسم
المحقق : د . السيد الجميلي .

■ **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع** ، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن
الملطي الشافعي أبو الحسن (ت ٣٧٧ هـ) ، المكتبة الأزهرية ، مصر ، ١٤١٨

- هـ - ١٩٩٨ م ، (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : د . محمد زاهد بن الحسن الكوثري .
- **توحيد الألوهية** ، أحمد عبد الحلیم بن تیمیة الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) مكتبة ابن تیمیة ، ط ٢ ، ج ٨ ، اسم المحقق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي .
- **توضیح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الامام ابن القيم** ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى (ت ١٣٢٩ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩١ هـ ط ٤ ، ج ١ .
- **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح** ، أحمد عبد الحلیم بن تیمیة الحراني أبو العباس الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مطبعة المدني ، مصر (ط . د) ، ج ٦ ، اسم المحقق : علي سيد صبحي المدني .
- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة** هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ، أبو القاسم ، (ت ٤١٨ هـ) ، دار طيبة الرياض ١٤٠٢ هـ ، ج ٤ ، اسم المحقق : د . أحمد سعد حمدان .
- **شرح العقيدة الطحاوية** ، علي بن علي بن محمد بن أبي العز ، الحنفي ، الدمشقي (ت ٧٩٢ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ ، ط ٣ ، ج ٢ اسم المحقق : زهير الشاويش .
- **شرح العقيدة الواسطية لابن تیمیة** ، محمد الصّالح العثيمين ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، ١٤١٧ هـ ، ط ٤ ، ج ٢ ، اسم المحقق : سعد بن فوّاز الصّميل .
- **شرح المقاصد في علم الكلام** ، سعد الدّین مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت ٧٩١ هـ) ، دار المعارف النعمانية ، باكستان ، ١٤٠١ هـ ط ١ ، ج ٢ .

- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن قِيم الجوزية) أبو عبد الله (ت ٧٥١ هـ) ، دار الفكر ، بيروت (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي .
- **الصَّوَامِقُ المرسلَة** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن قِيم الجوزية) أبو عبد الله (ت ٧٥١ هـ) ، دار العاصمة ، الرياض ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، ط ٣ ج ٤ ، اسم المحقق : علي بن محمد الدخيل الله .
- **العُبُودِيَّة** ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، (ط . د) ، ج ١ .
- **العقيدة** ، أحمد بن محمد بن **حنبل** الشيباني ، أبو عبد الله (ت ٢٤١ هـ) ، دار قتيبة ، دمشق ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : عبد العزيز عز الدين السيروان .
- **العقيدة الأصفهانِيَّة** ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٥ هـ ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : إبراهيم سعيداي .
- **العقيدة الواسطية** ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) دار ابن القِيم ، الدمام ، الرئاسة العامة ، الدمام ، ط ٢ ، ج ١ اسم المحقق : محمد بن عبد العزيز بن مانع .
- **الغنية في أصول الدين** ، عبد الرحمن النيسابوري المتولّي ، أبو سعيد (ت ٤٧٨ هـ) ، مؤسسة الكتب ، لبنان ، ١٤٠٦ هـ ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : عماد الدين أحمد حيدر .
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد (ت ٤٥٦ هـ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (ط . د) ، ج ٥ .
- **قصص الأنبياء** ، عبد الوهاب النجار ، دار الجليل ، بيروت ، ط ٢ ، ج ١ .

- **لمعة الاحتفاد الهادي إلى سبيل الرشاد** ، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، أبو محمد (ت ٦٢٠ هـ) ، الدار السلفية ، الكويت ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : بدر بن عبد الله البدر .
- **معارف القبول** ، حافظ بن أحمد الحكمي (ت ١٣٧٧ هـ) ، دار ابن القيم الدمام ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١٠ هـ — ١٩٩٠ م ، ط ١ ، ج ٣ اسم المحقق : عمر بن محمود أبو عمر .
- **معارف القدس** ، محمد بن محمد الغزالي ، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٥ م ، ط ٢ ، ج ١ .
- **المنتقى من منهاج الاحتفال** ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قيمان الذهبي ، أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ) ، ج ١ ، اسم المحقق : محب الدين الخطيب .
- **منهاج السنة النبوية** ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مؤسسة قرطبة ، ١٤٠٦ هـ ، ط ١ ، ج ٨ ، اسم المحقق : د . محمد رشاد سالم .
- **المواقف** ، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (٧٥٦ هـ) ، ، دار الجيل بيروت ، ط ١ ، ج ٣ ، اسم المحقق : عبد الرحمن عميرة .
- **النبوة والأنبياء** ، محمد علي الصابوني ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م ، ط ٤ ، ج ١ .
- **النبوات** ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ ، (ط . د) ، ج ١ .
- **هداية الحيارى في أجوبة اليمود والنصارى** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية) ، أبو عبد الله (ت ٧٥١ هـ) ، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة (ط . د) ، ج ١ .

- **يقظة أولي الاعتبار** ، صديق بن حسن بن علي القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ —)
مكتبة عاطف ، دار التراث العربي ، القاهرة ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٨٧ ، ط ١ ، ج ١
١ اسم المحقق : أحمد حجازي السقا .

رابعاً : مصادر الفقه الإسلامي :

أ) أصول الفقه :

- **الإحكام في أصول الأحكام** ، علي بن محمد الأمدي ، أبو الحسن
(ت ٦٣١ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ، ط ١ ، ج ٤ ، اسم
المحقق : د. سيد الجميلي .
- **الأشباه والنظائر** ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ —) ، دار
الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ط ١ ، ج ١ .
- **أصول الفقه** ، محمد زكريا البرديسي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة
١٩٨٣ م ، (ط . د) ، ج ١ .
- **التقرير والتحرير في علم الأصول الجامع بين اصطلاح الحنفية والشافعية** ، محمد
بن محمد بن محمد بن حسن بن علي بن سليمان بن عمر بن محمد (ت ٨٧٩ هـ)
دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦ م ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : مكتب البحوث
والدراسات .
- **روضة الناظر وجنة المناظر** ، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، أبو محمد
(ت ٦٢٠ هـ) ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٣٩٩ هـ ، ط ٢
ج ١ ، اسم المحقق : د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد .
- **علم أصول الفقه** ، عبد الوهاب خلاّف ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت ، ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م ، ط ١٤ ، ج ١ .

- قواطع الأدلة في الأصول ، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، أبو المظفر (ت ٤٨٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م ، ط ١ ، ج ١ اسم المحقق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي .
- اللمع في أصول الفقه ، إبراهيم بن علي الشيرازي ، أبو إسحاق (ت ٤٧٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م ، ط ١ ج ١ .
- مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة ، محمد الأمين بن المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ) ، دار القلم ، بيروت ، (ط . د) ، ج ١ .
- الموافقات في أصول الفقه ، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت ٧٩٠ هـ) دار المعرفة ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٤ ، اسم المحقق : عبد الله دراز .

(ب) الفقه :

المذهب الحنفي :

- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، أبو بكر بن مسعود بن أحمد علاء الدين الكاساني (ت ٥٨٧ هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ م ، ط ٢ ج ٧ .
- حاشية رد المحتار على الدر المختار (شرح تنوير الأبصار) ، حاشية ابن حابدين محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي (ت ١٢٥٢ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ ، ط ٢ ، ج ٦ .
- فقه السنة ، السيد سابق ، الفتح للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٤١١ هـ — ١٩٩٠ م ، ط ٢ ، ج ٣ .

- الميسوط ، محمد بن أبي سهل السرخسي ، أبو بكر (ت ٤٩٠ هـ) ، دار المعرفة بيروت ، ١٤٠٦هـ ، (ط . د) ، ج ٣٠ .

المذهب المالكي :

- بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي أبو الوليد (ت ٥٩٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ج ١ .
- حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب (التجريد لنفع العبيد) ، سليمان بن عمر بن محمد البجيرمي ، المكتبة الإسلامية ، ديار بكر - تركيا ، ج ٤ .
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، محمد عرفه الدسوقي ، دار الفكر ، بيروت ج ٤ ، اسم المحقق : محمد عيش .
- حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ، علي الصعيدي العدوي المالكي دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢هـ ، (ط . د) ، ج ٢ ، اسم المحقق : يوسف الشيخ محمد البقاعي .
- حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج ، عبد الحميد الشرواني ، دار الفكر ، بيروت ، (ط . د) ، ج ١٠ .
- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي (ت ١١٢٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥هـ (ط . د) ، ج ٢ .
- الكافي في فقه أهل المدينة ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي ، أبو عمر (ت ٤٦٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ط ١ ج ١ .
- كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني ، أبو الحسن المالكي ، دار الفكر بيروت .

- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ، محمد بن عبد الرحمن المغربي ، أبو عبد الله (ت ٩٥٤ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ ، ط ٢ ، ج ٦ .

المذهب الشافعي :

- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع محمد بن محمد الخطيب الشربيني ، دار الفكر بيروت ، ١٤١٥ هـ ، (ط . د) ، ج ٢ ، اسم المحقق : مكتب البحوث والدراسات .
- الأثر ، محمد بن إدريس الشافعي ، أبو عبد الله (ت ٢٠٤ هـ) ، دار المعرفة بيروت ، (ط . د) ، ج ٦ .
- حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء ، محمد بن أحمد الشاشي القفال (ت ٥٠٧ هـ) ، (ط . د) ، اسم المحقق : د . ياسين أحمد إبراهيم درادكة .
- روضة الطالبين وعمدة المفتين ، يحيى بن شرف بن مري النووي ، أبو زكريا (ت ٦٧٦ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٢ ، ج ١٢ .
- غاية البيان شرح زبد ابن رسلان ، محمد بن أحمد الرملي الأنصاري (ت ١٠٠٤ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، (ط . د) ، ج ١ .
- الفروق ، أسعد بن محمد بن الحسين النيسابوري الكرايسي (ت ٥٧٠ هـ) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، ١٤٠٢ هـ ، ط ١ ، ج ٣ ، اسم المحقق : د . محمد طوموم .
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، محمد الخطيب الشربيني ، دار الفكر بيروت ، (ط . د) ، ج ٤ .
- المهذب في فقه الإمام الشافعي ، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، أبو إسحاق (ت ٤٧٦ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٢ .

المذهب الحنبلي :

- زاد المستقنع ، موسى بن أحمد بن سالم المقدسي الحنبلي ، أبو النُّجَاجَا (ت ٦٩٠ هـ) مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : علي محمد عبد العزيز الهندي .
- الكافي في فقه الإمام الميبل أحمد بن حنبل ، عبد الله بن قدامة المقدسي أبو محمد المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م ، ط ٥ ، ج ٤ اسم المحقق : زهير الشاويش .
- كتبه ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، (ط . د) ، ج ١٧ اسم المحقق : عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي .
- كشافة القناع من متن الإقناع ، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (ت ١٠٥١ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ ، (ط . د) ، ج ٦ اسم المحقق : هلال مصيلحي مصطفى هلال .
- المبدع في شرح المقنع ، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي ، أبو إسحاق (ت ٨٨٤ هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، (ط . د) ج ١٠ .

المذهب الظاهري :

- المهمل ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، أبو محمد (ت ٤٥٦ هـ) دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، (ط . د) ، ج ١١ ، اسم المحقق : لجنة إحياء التراث العربي .

الفقه المقارن :

- **المجموع شرح المهذب** ، يحيى بن شرف بن مري التّووي ، أبو زكريا (ت ٦٧٦ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، ط ١ ، ج ٩ اسم المحقق : محمود مطرحي .
- **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني** ، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد (ت ٦٢٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، ط ١ ، ج ١٠ .

كتب السياسة الشرعية :

- **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** ، علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : محمد فهمي السرجاني .
- **أحكام أهل الذمة** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزية) ، أبو عبد الله (ت ٧٥١ هـ) ، رمادي للنشر - دار ابن حزم ، الدمام - بيروت ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ ، ط ١ ، ج ٣ ، اسم المحقق : يوسف أحمد البكري شاكر توفيق العاروري .
- **إحلام الموقعين عن رب العالمين** ، محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي (ابن القيم) أبو عبد الله (ت ٧٥١ هـ) ، دار الجليل ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، (ط . د) ج ٤ ، اسم المحقق : طه عبد الرؤوف سعد .
- **الأموال** ، القاسم بن سلام ، أبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ) ، اسم المحقق : محمد حامد الفقي .
- **بدائع السلك في طبائع الملك** ، أبو عبد الله بن الأزرق ، وزارة الإعلام العراق ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : د . علي سامي النشار .

- الحسبة في الإسلام ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، مكتبة دار القلم السلفية ، الكويت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : سيد بن محمد بن أبي سعدة .
- السياسة الشرعية في اصلاح الرأعي والرعية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، دار المعرفة ، (ط . د) ، ج ١ .
- نظام الحكومة النبوية المسمى (التراتيب الإدارية) ، عبد الحسي الكتاني الإدريسي الحسني الفاسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٢ .

خامساً : مصادر اللغة العربية :

- تلحج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي الواسطي الحنفي (ت ١٢٠٥ هـ) ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م ، (ط . د) ، ج ٢٠ ، اسم المحقق : مصطفى حجازي .
- الحدود الأنبيقة والتعريفات الدقيقة ، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري ، أبو يحيى (ت ٩٢٦ هـ) ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١١ هـ ، ط ١ ، ج ١ اسم المحقق : د . مازن المبارك .
- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن (ت ١٧٥ هـ) دار ومكتبة الهلال ، (ط . د) ، ج ٨ ، اسم المحقق : د . مهدي المخزومي ود . إبراهيم السامرائي .
- القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤٠٦ هـ ، ط ٥ ، ج ١ ، اسم المحقق : محمد نعيم العرقسوسي .
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفيقي المصري (ت ٧١١ هـ) دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ج ١٥ .

- **المعجم والمعيط الأمتظم** ، علي بن إسماعيل المرسي النحوي اللغوي الأندلسي (ابن سيده) (ت ٤٥٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ — ٢٠٠٠ م ، ط ١ ، ج ١١ .
- **معيط المعيط** ، بطرس البستاني (ت ١٣٠٠ هـ) ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٧ م ، (ط . د) ، ج ١ .
- **المختصر** ، علي بن إسماعيل المرسي النحوي اللغوي الأندلسي (ابن سيده) (ت ٤٥٨ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ١٤١٧ هـ — ١٩٩٦ م ، ط ١ ، ج ٥ ، قدّم له : د . خليل إبراهيم جفال ، اسم المحقق : مكتبة التحقيق بدار إحياء التراث العربي .
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي** ، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٢ .
- **معجم المقاييس في اللغة** ، أحمد بن فارس بن زكريا ، أبو الحسين (ت ٣٩٥ هـ) دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ — ١٩٩٤ م ، ط ١ ، ج ١ اسم المحقق : شهاب الدين أبو عمرو .
- **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، قام بإخراج هذه الطبعة : د . إبراهيم أنيس د . عبد الحلیم منتصر ، عطية الصوالحي ، محمد خلف الله أحمد ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، استانبول - تركيا ، ط ٢ ، ج ٢ .
- **النهاية في تخریج الأثر** ، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ، أبو السعادات (ابن الأثير) (ت ٦٠٦ هـ) ، دار الفكر المعاصر بيروت ، ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م ، (ط . د) ، ج ٥ ، اسم المحقق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطباخي .

سادساً : مصادر المصطلحات العلمية واللغوية :

- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي (ت ٩٧٨هـ) ، دار الوفاء ، جدة ، ١٤٠٦هـ — ، ط ١ ، ج ١ اسم المحقق : د . أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي .
- تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه) ، يحيى بن شرف بن مري النووي ، أبو زكريا (ت ٦٧٦هـ) ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٨هـ ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : عبد الغني الدقر .
- التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، دار الكتاب العربي بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : إبراهيم الأبياري .
- التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ) ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ١٤١٠هـ ، ط ١ ، اسم المحقق : د . محمد رضوان الداية .
- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهر الهروي ، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ١٣٩٩هـ ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : د . محمد جبر الألفي .
- التلخيصات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، أبو البقاء (ت ١٠٩٤هـ) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ — ١٩٩٣م ، ط ٢ ، ج ١ ، اسم المحقق : د . عدنان درويش ، ومحمد المصري .
- المطالع على أبواب الفقه ، محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي ، أبو عبد الله (ت ٧٠٩هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠١هـ — ١٩٨١م (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : محمد بشير الأدلي .

- المفردات في غريب القرآن ، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم (ت ٥٠٢ هـ) ، دار المعرفة ، لبنان ، (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : محمد سيّد كيلاني .

نزيب الحديث :

- نزيب الحديث ، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ط ١ ، ج ٢ ، اسم المحقق : د . عبد المعطي أمين قلعجي .
- نزيب الحديث ، القاسم بن سلام الهروي ، أبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٦هـ ، ط ١ ، ج ٤ ، اسم المحقق : د . محمد عبد المعيد خان .
- نزيب الحديث ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد (ت ٢٧٦ هـ) مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٩٧هـ ، ط ١ ، ج ٣ ، اسم المحقق : د . عبد الله الجبوري .
- نزيب الحديث ، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطّابي البستي ، أبو سليمان (ت ٣٨٨ هـ) ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ ، (ط . د) ج ٣ ، اسم المحقق : عبد الكريم إبراهيم العزباوي .
- الفائق في نزيب الحديث ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) ، دار المعرفة ، لبنان ، ط ٢ ، ج ٤ ، اسم المحقق : علي محمد الجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم .

سابعاً : مصادر تراجم الأعلام :

- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨ م ، ج ٣ ، اسم المحقق : عبد الجبار زكار .
- الأحاد والمثاني ، أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني ، أبو بكر (ت ٢٨٧ هـ) ، دار الراية ، الرياض ، ١٤١١ - ١٩٩١ م ، ط ١ ، ج ٦ اسم المحقق : د . باسم فيصل أحمد الجوابرة .
- الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني ، أبو يعلى (ت ٤٤٦ هـ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٠٩ هـ ط ١ ، ج ٣ ، اسم المحقق : د . محمد سعيد عمر إدريس .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري ، أبو عمر (ت ٤٦٣ هـ) ، دار الجليل ، بيروت ، ١٤١٢ هـ ، ط ١ ج ٤ ، اسم المحقق : علي محمد البجاوي .
- أسماء من يعرفه بكنته ، محمد بن الحسين الأزدي الموصللي ، أبو الفتح (ت ٣٧٤ هـ) ، الدار السلفية ، الهند ، ١٤١٠ - ١٩٨٩ م ، ط ١ ، ج ١ أبو عبدالرحمن اقبال .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، دار الجليل ، بيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ط ١ ، ج ٨ اسم المحقق : علي محمد البجاوي .
- الأعلام ، خير الدين بن محمود بن علي الزركلي ، أبو الغيث (ت ١٣٩٦ هـ) دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ط ٧ ، ج ٨ .

- الإجمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى ، علي بن هبة الله بن أبي نصر بن هاجولا (ت ٤٧٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١هـ ، ط ١ ، ج ٥ .
- الإجمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال ، محمد بن علي بن الحسن الحسيني ، أبو المحاسن (ت ٧٦٥هـ) ، جامعة الدراسات الإسلامية كراتشي ، ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م ، (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : د . عبدالمعطي أمين قلعجي .
- إيضاح المكثون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٢ .
- البداء والتاريخ ، مطهر بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧هـ) ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، (ط . د) ، ج ٦ .
- البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ) ، مكتبة المعارف ، بيروت ، (ط . د) ، ج ١٤ .
- البحر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٢ .
- البرق الشامي ، عماد الدين محمد بن صفي الدين الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ) مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان - الأردن ، ١٩٨٧م ، ط ١ ، ج ٢ ، اسم المحقق : د . فالح حسين .
- بغية الطلب في تاريخ حلب ، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ابن العديم) (ت ٦٦٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ط ١ ، ج ١٠ اسم المحقق : د . سهيل زكار .

- **البُلغة في تراجم أئمة النحو واللغة** ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، ١٤٠٧ هـ ، ط ١ ج ١ ، اسم المحقق : محمد المصري .
- **تاريخ الطبري** ، محمد بن جرير الطبري ، أبو جعفر (ت ٣١٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ ، ط ١ ، ج ٥ .
- **التاريخ الكبير** ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي ، أبو عبد الله (ت ٢٥٦ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٨ ، اسم المحقق : السيد هاشم الندوي .
- **تاريخ النور السافر** عن أخبار القرن العاشر ، عبد القادر بن شيخ العيدروسي (ت ١٠٣٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، ط ١ ، ج ١ .
- **تاريخ بغداد** ، أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، أبو بكر (ت ٤٦٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ط . د) ، ج ١٤ .
- **تاريخ هولد العلماء ووفياتهم** ، محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربعي (ت ٣٩٧ هـ) ، دار العاصمة ، الرياض ، ١٤١٠ هـ ، ط ١ ، ج ١ اسم المحقق : د . عبد الله أحمد سليمان الحمد
- **التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة** ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السنخاوي ، أبو الخير (ت ٩٠٢ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣ م ط ١ ، ج ٢ .
- **تذكرة الحفاظ** ، شمس الدين محمد بن أحمد الظهيري ، أبو عبد الله (٧٤٨ هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٤ ، مج ٢ وجزء ذيل تذكرة الحفاظ .
- **تذكرة الحفاظ** (أطراف أحاديث كتاب الجروحين لابن حبان) ، محمد بن طاهر بن القيسراني (ت ٥٠٧ هـ) ، دار الصمعي ، الرياض ، ١٤١٥ هـ ، ط ١ ج ٤ ، اسم المحقق : حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي .

- **تقريب التهذيب** ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، دار الرشيد ، سوريا ، ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م ، ط ١ ، ج ١ اسم المحقق : محمد عوامة .
- **تهذيب التهذيب** ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ، أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م ، ط ١ ، ج ١٤ .
- **تهذيب الكمال** ، يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزني ، أبو الحجاج (ت ٧٤٢ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م ، ط ١ ج ٣٥ ، اسم المحقق : د . بشار عواد معروف .
- **الثقات** ، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، أبو حاتم (ت ٣٥٤ هـ) دار الفكر ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، ط ١ ، ج ٩ ، اسم المحقق : السيد شرف الدين أحمد .
- **الجرع والتعديل** ، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي ، أبو محمد (ت ٣٢٧ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٥٢ م ، ط ١ ج ٩ .
- **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** ، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي ، أبو محمد (ت ٧٧٥ هـ) ، مير محمد كتب خانة ، كراتشي (ط . د) ، ج ١ .
- **الحلة السيرة** ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، أبو عبد الله (ت ٦٥٨ هـ) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ م ، ط ٢ ، ج ٢ ، اسم المحقق : د . حسين مؤنس القضاعي .
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، أبو نعيم (ت ٤٣٠ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٤ ، ج ١٠ .

- **الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي أبو الفضل (ت ٨٥٢ هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد - الهند ، ١٩٧٢ م ، ط ٢ ، ج ٦ ، اسم المحقق : محمد عبد المعيد خان .
- **الدِّيْباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي (ت ٧٩٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت (ط . د) ، ج ١ .
- **ذيل تذكرة الحفاظ** ، محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي أبو المحاسن (ت ٧٦٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ط . د) ، ج ١ اسم المحقق : حسام الدين القدسي .
- **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة** ، محمد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥ هـ) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ط ٥ ، ج ١ ، اسم المحقق : محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني .
- **ربيع النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين** ، ابن مندة (ت ٥١١ هـ) (ط . د) ، ج ١ .
- **سياستنامه أو سير الملوك** ، نظام الملك حسين الطوسي (ت ٤٨٥ هـ) ، دار الثقافة ، قطر ، ١٤٠٧ هـ ، ط ٢ ، ج ١ ، اسم المحقق : يوسف حسين بكار .
- **سير أعلام النبلاء** ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣ هـ ، ط ٩ ، ج ٢٣ ، اسم المحقق : شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي .
- **السيرة النبوية** ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد (ت ٢١٣ هـ) ، دار الجليل ، بيروت ، ١٤١١ هـ ، ط ١ ، ج ٦ ، اسم المحقق : طه عبد الرؤوف سعد .

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (ابن العماد الحنبلي) (ت ١٠٨٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ط . د) ج ٤ .
- **صفة الصفوة** ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، ط ٢ ، ج ٤ ، اسم المحقق : محمود فخورى ، د . محمد رواس قلعه جي .
- **الطبقات** ، خليفة بن خياط الليثي العصفري ، أبو عمر (ت ٢٤٠ هـ) ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ط ٢ ، ج ١ ، اسم المحقق : د . أكرم ضياء العمري .
- **طبقات الحفاظ** ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ، أبو الفضل (ت ٩١١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ط ١ ، ج ١ .
- **طبقات الحنابلة** ، محمد بن أبي يعلى ، أبو الحسين (ت ٥٢١ هـ) ، دار المعرفة بيروت ، (ط . د) ، ج ٢ ، اسم المحقق : محمد حامد الفقي .
- **طبقات الشافعية** ، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهابية (ت ٨٥١ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ ، ط ١ ، ج ٤ ، اسم المحقق : د . الحافظ عبد العليم خان .
- **طبقات الشافعية الكبرى** ، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، أبو نصر (ت ٧٧١ هـ) ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الجزيرة ١٩٩٢ م ، ط ٢ ، ج ١٠ ، اسم المحقق : د . عبدالفتاح محمد الحلو + د . محمود محمد الطناحي .
- **طبقات الصوفية** ويليها ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي ، أبو عبد الرحمن (ت ٤١٢ هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٩٩٨ م ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : مصطفى عبدالقادر عطا .

- طبقات الفقهاء ، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، أبو إسحاق (ت ٤٧٦ هـ) ، دار القلم ، بيروت ، (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : خليل الميس .
- الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، أبو عبدالله (ت ٢٣٠ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٨ .
- طبقات أسماء المحدثين ممن قدم أصبهان من الصحابة والتابعين ، عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري ، أبو محمد (ت ٣٦٩ هـ) ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤١٢ - ١٩٩٢ م ، ط ٢ ، ج ٤ ، اسم المحقق : عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي .
- طبقات المفسرين ١ ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : علي محمد عمر .
- طبقات المفسرين ٢ ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : علي محمد عمر .
- العبر نبي خبر من نبر ١ ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ١٩٤٨ م ، ط ٢ ، ج ٦ اسم المحقق : د . صلاح الدين المنجد .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي (ابن أصيبعة) (ت ٦٦٨ هـ) ، دار مكتبة الحياة بيروت ، (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : د . نزار رضا .
- نحوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة ، خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، أبو القاسم (ت ٥٧٨ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٧ هـ ، ط ١ ج ١٣ ، اسم المحقق : د . عز الدين علي السيد ، محمد كمال الدين عز الدين .

- **فضائل الصحابة** ، أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، ط ١ ، ج ٢ ، اسم المحقق : د . وصي الله محمد عباس .
- **الفهرست** ، محمد بن إسحاق النديم ، أبو الفرج (ت ٣٨٥ هـ) ، دار المعرفة بيروت ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، ج ١ .
- **الكاامل في التاريخ** ، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ابن الأثير المؤرخ) (ت ٦٣٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، ط ٢ ج ١٠ ، اسم المحقق : أبي الفداء عبد الله القاضي .
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت ١٠٦٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ، (ط . د) ، ج ٢ .
- **مشاهير علماء الأمصار** ، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، أبو حاتم (ت ٣٥٤ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، - ١٩٥٩ م ، ج ١ ، اسم المحقق : م . فلايشهمر .
- **معجم البلدان** ، ياقوت بن عبد الله الحموي ، أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) دار الفكر ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٥ .
- **معجم الصحابة** ، عبد الباقي بن قانع ، أبو الحسين (ت ٣٥١ هـ) ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، ١٤١٨ هـ ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : صلاح بن سالم المصراقي .
- **معرفة الثقات** ، أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي (ت ٢٦١ هـ) ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ط ١ ج ١ ، اسم المحقق : عبد العليم عبد العظيم البستوي .

- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** ، محمد بن أحمد الذهبي ، أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ — ، ط ١ ، ج ٢ اسم المحقق : بشار عواد معروف شعيب الأرنؤوط ، صالح مهدي عباس .
- **المقتنى في سرد الكنى** ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) مطابع الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ١٤٠٨هـ ، (ط . د) ، ج ٢ ، اسم المحقق : محمد صالح عبد العزيز المراد .
- **المقصد الأرشدي في ذكر أصحاب الإمام أحمد** ، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح (ت ٨٨٤ هـ) ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٩٩٠م ، ط ١ ، ج ٣ ، اسم المحقق : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين .
- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (حتى ٢٧٥ هـ)** ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ط ١ ، ج ١٢ ، اسم المحقق : محمد ومصطفى عبد القادر عطا .
- **مولد العلماء ووفياتهم** ، محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربعي (ت ٣٩٧ هـ) ، دار العاصمة ، الرياض ، ١٤١٠هـ ، ط ١ ، ج ٢ ، اسم المحقق : د . عبد الله أحمد سليمان الحمد .
- **ميزان الإحتقال في نقد الرجال** ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : الشيخ علي محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود .
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، أبو الحسن (ت ٨٧٤ هـ) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مصر ، (ط . د) ، ج ١٦ .

- **نفع الطيب** من غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ م ، (ط . د) ، ج ٧ ، اسم المحقق : د . إحسان عباس .
- **هدية العارفين** أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٥١ م ، (ط . د) ، ج ٢ .
- **وفيات الأعيان** وأنباء أبناء الزمان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، أبو العباس (ت ٦٨١ هـ) ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨ م (ط . د) ، ج ٨ ، اسم المحقق : د . إحسان عباس .

ثامناً : مراجع ومصادر متنوعة :

- **إحياء علوم الدين** ، محمد بن محمد الغزالي ، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، (ط . د) ، ج ٤ .
- **الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة** ، أسعد السحمراني ، دار النفائس بيروت ، ط ٢ ، ج ١ .
- **الأحاديث الشرعية والمنح المرعية** ، محمد بن مفلح المقدسي ، أبو عبد الله (ت ٧٦٣ هـ) ، مؤسسة دار الرسالة ، بيروت ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ط ٣ ، ج ٤ ، اسم المحقق : شعيب الأرنؤوط ، عمر القيام .
- **الأركان الأربعة** : الصلاة ، الزكاة ، الصوم ، الحج في ضوء الكتاب والسنة مقارنة مع البيانات الأخرى ، علي الحسيني الندوي ، دار القلم ، دمشق ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، ط ١ ، ج ١ .
- **الاستقامة** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) جامعة الإمام محمد بن سعود ، المدينة المنورة ، ١٤٠٣ هـ ، ط ١ ، ج ٢ ، اسم المحقق : د . محمد رشاد سالم .

- **إثناثة المصنفان في مصائد الشيطان** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، أبو عبد الله (ابن قيم الجوزية) (ت ٧٥١ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م ، ط ٢ ، ج ٢ ، اسم المحقق : محمد حامد الفقي .
- **أمراض القلوب وشفائها** ، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩٩ هـ ، ط ٢ ، ج ١ .
- **بر الوالدين وصلة الرحم** ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) مكتبة القرآن ، القاهرة ، (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : مبروك إسماعيل مبروك .
- **البر والصلوة** ، الحسين بن الحسن المروزي (ت ٢٤٦ هـ) ، دار الوطن للنشر الرياض ، ١٤١٩ هـ ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : د . محمد سعيد محمد بخاري .
- **التحفة العراقية** ، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩٩ هـ ، ط ٢ ، ج ١ .
- **التذكرة في الوعظ** ، عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي (ت ٥٧١ هـ) دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : أحمد عبد الوهاب فتيح .
- **تلبيس إبليس** ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : د . السيد الجميلي .
- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابن قيم الجوزية) (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت (ط . د) ، ج ١ .
- **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، أبو عبد الله (ابن قيم الجوزية) (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت (ط . د) ، ج ١ .

- **خلق المسلم** ، محمد الغزالي ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٤ هـ — ١٩٩٤ م
ط ١١ ، ج ١ .
- **ختم الهوى** ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ)
(ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : مصطفى عبد الواحد .
- **الرُّوح** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، أبو عبد الله (ابن قِيَم الجوزيَّة)
(ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م
(ط ٠ د) ، ج ١ .
- **روضة المهيبين** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، أبو عبد الله
(ابن قِيَم الجوزيَّة) (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ هـ
- ١٩٩٢ م ، (ط . د) ، ج ١ .
- **زاد المهاجر إلى ربّه** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، أبو عبد الله (ابن قِيَم
الجوزيَّة) (ت ٧٥١ هـ) ، مكتبة المدني ، جدة ، (ط ٠ د) ، ج ١ ، اسم
المحقق : د . محمد جميل غازي .
- **الزهد والورع والعبادة** ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس
(ت ٧٢٨ هـ) ، مكتبة المنار ، الأردن ، ١٤٠٧ هـ — ، ط ١ ، ج ١ ، اسم
المحقق : حماد سلامة ، محمد عويضة .
- **الشفا بحقوق المصطفى** ، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، أبو الفضل
(ت ٥٤٤ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ — ١٩٩٩ م ، (ط . د)
ج ١ ، اسم المحقق : كمال بسيوني زغلول المصري .
- **الشُّكْر** ، عبد الله بن محمد القرشي ، أبو بكر (ابن أبي الدنيا) (ت ٢٨١ هـ)
المكتب الإسلامي ، الكويت ، ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م ، ط ٣ ، ج ١ ، اسم
المحقق : بدر البدر .

- **صيد الخاطر** ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ —)
دار اليقين للنشر والتوزيع ، مصر ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ط ٣ ، ج ١ ، اسم
المحقق : د . عبد الرحمن البرّ .
- **طريق الصبرتين وباب السعادتين** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، أبو عبد
الله (ابن قيمّ الجوزيّة) (ت ٧٥١ هـ) ، دار ابن القيمّ ، الدمام ، ١٤١٤ هـ —
- ١٩٩٤ م ، ط ٢ ، ج ١ ، اسم المحقق : عمر بن محمود أبو عمر .
- **عالم الملائكة الأبرار** ، د . عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح ، الكويت
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ط ٤ ، ج ١ .
- **مدّة الصّابرين** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، أبو عبد الله
(ابن قيمّ الجوزيّة) (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ط ٠ د)
ج ١ ، اسم المحقق : زكريا علي يوسف .
- **الفوائد** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، أبو عبد الله (ابن قيمّ الجوزيّة)
(ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م
ط ٢ ، ج ١ .
- **الكتاب المقدس** .
- **كلمات في الأخلاق الإسلامية** ، كمال محمد عيسى ، دار المجتمع للنشر والتوزيع
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ، ط ٢ ، ج ١ .
- **مختصر منهاج القاصدين** ، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ، دار المعرفة
بيروت ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ط ٣ ، ج ١ ، خرّج أحاديثه وعلّق عليه :
عبد الله الليثي الأنصاري .
- **مدارج السالكين** ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، أبو عبد الله (ابن قيمّ
الجوزيّة) (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ —
- ١٩٧٣ م ، ط ٢ ، ج ٣ ، اسم المحقق : محمد حامد الفقي .

- معارج القدس ، محمد بن محمد الغزالي ، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٥ م ، ط ٢ ، ج ١ .
- مناهيم ينبغي أن تُصحح ، محمد قطب إبراهيم ، دار الشروق ، بيروت ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، (ط . د) ، ج ١ .
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، أبو عبد الله (ابن قِيم الجوزية) (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت ، (ط . د) ، ج ٢ .
- معارج الأخلاق ، عبد الله بن محمد القرشي ، أبو بكر (ابن أبي الدنيا) (ت ٢٨١ هـ) ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م (ط . د) ، ج ١ ، اسم المحقق : مجدي السيد إبراهيم .
- معارج الأخلاق ، أحمد بن تيمية الحرّاني ، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ) ، جمع وإعداد : عبد الله بدران + محمد عمر الحاج ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، (ط . د) ، ج ١ .
- مكاشفة القلوب المقرّب إلى علاّم الغيوب ، محمد بن محمد الغزالي ، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م ، ط ٦ ، ج ١ اسم المحقق : عبد المجيد طعمة حلي .
- منازل السائرين ، عبد الله الأنصاري الهروي (ت ٤٨١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، (ط . د) ، ج ١ .
- الوابل الصيّب ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، أبو عبد الله (ابن قِيم الجوزية) (ت ٧٥١ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ط ١ ، ج ١ ، اسم المحقق : محمد عبد الرحمن عوض .
- اليوم الآخر (٢) القيامة الكبرى ، د . عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس الأردن ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، ط ٥ ، ج ١ .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	ملخص الرسالة
	ملخص الرسالة بالانجليزي
	المقدمة
	الفصل التمهيدي ، وفيه مبحثان :
١	المبحث الأول : التعريف بالتفسير الموضوعي
١	• أنواع التفسير
٢	• معنى التفسير الموضوعي
٣	• تعريف التفسير لغة واصطلاحاً
٤	• تعريف مصطلح التفسير الموضوعي
٤	• نشأة التفسير الموضوعي
٦	• أهمية التفسير الموضوعي
٨	• أنواع التفسير الموضوعي
٩	• منهج البحث في التفسير الموضوعي
١٢	المبحث الثاني : التعريف بالبرّ .
١٢	• البرّ لغة واصطلاحاً
١٦	• وجوه استعمال البرّ في القرآن الكريم
١٨	• الألفاظ المرادفة والمقاربة للبرّ في القرآن الكريم
٢٠	• مسمّى البرّ وعلاقته بالإيمان والتقوى
٢٢	• آية البرّ
٣٢	• المعنى العميق الذي يستوعبه لفظ ﴿الْبِرِّ﴾
٢٥	• أوجه القراءة في آية البرّ

- ٢٦ • آية البرِّ واسطة العقد في سورة البقرة
- ٢٨ • سبب نزول آية البرِّ
- ٢٩ • لمن الخطاب في هذه الآية

٣١ الباب الأول : مجالات البر في الإيمان والعبادة والأخلاق

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : البر في الإيمان

- ٣٢ تمهيد
- ٣٣ • تعريف الإيمان لغة وشرعاً
- ٣٥ • معنى الإيمان
- ٣٦ • أهميَّة الإيمان
- ٣٧ • لماذا خصَّ الله سبحانه وتعالى البرِّ في العقيدة بالبرِّ في الأمور الخمسة في آية البرِّ ؟

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : الإيمان بالله ﷻ .

- ٣٩ • برُّ من آمن بالله
- ٤٠ • أنواع معرفة الله .
- ٤٠ • كيف تعرف ربك ؟

المبحث الثاني : الإيمان باليوم الآخر .

- ٤٥ • الإيمان باليوم الآخر
- ٤٦ • سبب تسميته باليوم الآخر
- ٤٧ • برُّ من آمن بالآخرة :
- ٤٧ • أولاً : اليقين بالآخرة :
- ٥١ • ثانياً : التفكير في الآخرة :

٥٢ حقيقة التفكير

٥٣ العلاقة بين التفكير والتذكر

- ٥٤ تفكر يثمر استعداداً واعياً
- ٥٥ ❖ ثالثاً : الحذر والخوف من الآخرة :
- ٥٦ أقوال المفسرين في قوله تعالى :
- ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا ﴾ . [سورة الزمر : ٩] .
- ٥٩ بين الرجاء والخوف
- ٦٠ خوف الأبرار
- ٦١ كيف يخاف الأبرار ربهم ؟
- ٦٢ ❖ رابعاً : الشوق إلى لقاء الله والجنة :
- ٦٣ علامة الشوق
- ٦٤ معنى حب لقاء الله وكراهية لقاء الله
- ٦٦ الشوق إلى الجنان
- ٧٠ المبحث الثالث : الإيمان بالملائكة - عليهم السلام - .
- ٧١ • معنى الإيمان بالملائكة
- ٧٣ • وجه تقديم ذكر الملائكة على ذكر الكتاب والنبين في آية البر
- ٧٤ • حقيقة الملائكة
- ٧٤ • عدد الملائكة
- ٧٤ • الإيمان بالملائكة تفصيلي وإجمالي
- ٧٦ • وظائف الملائكة :
- ٧٦ ١- وظائفهم في الكون
- ٧٨ ٢- الملائكة والإنسان
- ٧٨ ❖ دورهم في تكوين الإنسان
- ٧٩ ❖ حراستهم لابن آدم
- ٨٠ هل الملائكة الذين يتعاقبون فينا هم الحفظة ؟
- ٨١ ❖ تحريك بواعث الخير في نفوس العباد
- ٨٢ ❖ حفظ أعمال بني آدم

- ٨٤ اختلاف العلماء في عمل العبد الجائر الذي لا ثواب
ولا عقاب عليه هل تكتبه الحفظة عليه أو لا
- ٨٥ مجلس الملكين
- ٨٥ كتابة الملائكة لأعمال القلوب
- ٨٦ الملائكة ترزع روح الإنسان
- ٨٧ إجمال ابن القيم القول في وظائف الملائكة
- ٨٩ • برُّ من آمن بالملائكة الكرام :
- ٨٩ ١- يتجنب كل ما من شأنه أن يسيء إليهم ويؤذيهم
- ٩٠ ٢- الحياء من الملائكة
- ٩٢ ٣- تقوية الجانب الملائكي في الإنسان
- ٩٢ ٤- محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة
- ٩٢ ٥- يتجنب المسلم كل ما يوجب لعنة الملائكة الكرام
- ٩٣ ٦- الحرص على القيام بالأعمال التي تصلي الملائكة على صاحبها
- ٩٤ • أثر صلاة الملائكة على المؤمن
- ٩٦ المبحث الرابع : الإيمان بالكتب المنزل من عند الله تعالى .
- ٩٧ • الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان والبرِّ والتقوى
- ٩٨ • المراد بـ ﴿أَلَكْتَبِ﴾ في آية البرِّ
- ٩٨ • عدد الكتب المنزل
- ٩٩ • معنى الإيمان بالكتب
- ٩٩ • التوراة
- ١٠٠ • الإنجيل
- ١٠٣ • الزبور
- ١٠٤ • صحف إبراهيم وموسى
- ١٠٤ • القرآن الكريم
- ١٠٥ • أجر من آمن بالكتب المنزل السابقة وآمن بالقرآن

- ١٠٦ • برُّ من آمن بالكتب المنزلة من عند الله تعالى
- ١١٣ المبحث الخامس : الإيمان بالأنبياء عليهم - الصلاة والسلام - .
- ١١٦ • الفرق بين الأنبياء والرسل
- ١١٨ • الإيمان بالأنبياء ركن من أركان البرِّ
- ١١٩ • معنى الإيمان بالرسل
- ١١٩ • موضوع رسالة الأنبياء والرسل
- ١٢١ • أولو العزم من الرسل
- ١٢٢ • برُّ من آمن بالنبِيِّين :
- ١٢٢ ١- الإيمان بمن سمى الله تعالى من رسله وأنبيائه
- ١٢٣ ٢- الإيمان برسول الله جميعاً دون تفريق بينهم
- ١٢٤ ٣- جميعهم صادقون ، بارون راشدون أتقياء ، أمناء هداة مهتدون
- ١٢٥ ٤- معصومون من الكبائر كلها والصغائر
- ١٢٨ ٥- إن الله لم يخصهم بطبائع أخرى غير الطبائع البشرية
- ١٢٩ ٦- الاهتداء بمداهم :
- ١٣١ • شرع من قبلنا إذا لم يصرح شرعنا بنسخه أو تقريره هل هو شرع لنا ؟
- ١٣٢ • اختلاف المفسرين في المراد بالاهتداء ؛ هل يكون في أصول الدين أو فروعها ؟
- ١٣٥ ٧- الإيمان بخصوصية ملة إبراهيم عليه السلام بالاتباع
- ١٣٧ ٨- إن الله فضّل بعض الأنبياء على بعض
- ١٤٠ المبحث السادس : التقوى .
- ١٤٢ • من صفات المتقين
- ١٤٧ • بواعث التقوى
- ١٤٧ • درجات التقوى
- ١٤٨ • من ثمرات التقوى
- ١٥١ • مكانة التقوى
- ١٥٢ • من معاني كلمة التقوى في القرآن

- ١٥٣ • من أسباب التقوى
- ١٥٤ • حقيقة التقوى
- ١٥٥ • التقوى والعلم
- ١٥٦ • من فوائد التقوى
- ١٥٨ • الأبرار هم المتقون

١٥٩ الفصل الثاني : البرّ في العبادات

١٦٠ تمهيد

- ١٦١ • شروط العبادة
- ١٦٢ • حقيقة العبادة
- ١٦٢ • أركان العبادة
- ١٦٢ • الانحراف الحاصل في تصور مفهوم العبادة في الأجيال المعاصرة

وفيه أربعة مباحث :

١٦٦ المبحث الأول : الصلاة فرضاً ونفلاً .

- هل المراد بقوله تعالى : ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ﴾ في آية البرّ

١٦٨ الصلاة المفروضة أو النافلة ؟

- البرّ في الصلاة :

١٦٩ أولاً : البرّ في الصلاة بإقامتها - فرضاً كانت أو نفلاً -

١٦٩ معنى ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ﴾ :

١٧٠ ١- المحافظة على مواعيتها

١٧١ الأحاديث الدالة على أفضلية أداء الصلاة في أول وقتها

١٧٢ الصلوات الخمس عين أعدادها وأوقاتها العليم الحكيم

١٧٢ ٢- الخشوع

١٧٤ الخشوع المذموم

١٧٥ ٣- الطمأنينة

- ١٧٦ • وتم حياة الصلاة بأمر ستة :
- ١٧٦ ١- حضور القلب
- ١٧٨ ٢- التفهم
- ١٧٨ ٣- التعظيم
- ١٧٨ ٤- الهية والخوف
- ١٧٩ ٥- الرجاء
- ١٧٩ ٦- الحياء
- ١٨٠ • أسرار الصلاة
- ١٨٦ ثانياً : البر في الصلاة بالإكثار من النوافل :
- ١٨٧ • أنواع النوافل
- ١٩١ • أيها أفضل إطالة القيام أم تكثير الركوع والسجود أم هما سواء ؟
- ١٩٢ • والتطوع في البيت أفضل
- ١٩٣ • القول في البدع المذمومة
- ١٩٣ • ثمرة النوافل والإكثار من الصلاة وآثارها
- ١٩٦ المبحث الثاني : الصدقة فرضاً ونفلاً
- ١٩٦ • الصدقة فرضاً
- ١٩٨ • الصدقة نفلاً
- ١٩٩ • البر في إيتاء المال
- ١٩٩ • المسائل التي أشكلت على أهل العلم :
- ١٩٩ ➤ المسألة الأولى :
- ٢٠٠ الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَى الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ حَسَنًا وَلَا يَمْنُنَ بِالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ آلِهِمْ فَطَنًا ۗ ﴾ إلى ماذا يرجع ؟
- ٢٠٠ ➤ المسألة الثانية :
- ٢٠٠ وهل المراد بقوله تعالى : ﴿ وَءَاتَى الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ حَسَنًا وَلَا يَمْنُنَ بِالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ آلِهِمْ فَطَنًا ۗ ﴾ الزكاة الواجبة أم نوافل الزكاة ؟
- ٢٠١ ➤ المسألة الثالثة :
- ٢٠١ وهل قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَى الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ حَسَنًا وَلَا يَمْنُنَ بِالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ آلِهِمْ فَطَنًا ۗ ﴾ يدل على أن في المال حق غير الزكاة ؟

وإلاّ فما هو الإيتاء الواجب الذي هو ركن من أركان البرّ والصّلة ؟ ..

- ٢٠٣ • أعظم الصدقة أجراً
- ٢٠٤ • تفسير البرّ في قوله تعالى : ﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ ﴾
- ٢٠٥ • الآداب الباطنة في الصدقة - فرضاً أو نفلاً -
- ٢٠٧ • الصفات التي يستحب مراعاتها فيمن يُتصدَّق عليه
- ٢٠٨ • برُّ من آتى المال :
- ٢٠٨ • السّمات والإشراقات التي توصل المغزى الأساسي من فرضية الزكاة
- ٢١١ • حال الأبرار مع إيتاء المال
- ٢١٥ • المبحث الثالث : الصوم فرضاً ونفلاً .
- ٢١٦ • فضل الصيام
- ٢١٧ • البرُّ في الصيام فرضاً كان أو نفلاً :
- ٢١٧ ١- الإيمان والاحتساب
- ٢١٧ ٢- رمضان شهر التقوى
- ٢١٨ ٣- صوم القلب
- ٢١٨ ٤- صوم العين
- ٢١٩ ٥- صوم اللسان
- ٢٢٠ ٦- صوم الأذن
- ٢٢٠ ٧- كفُّ بقية الجوارح عن الآثام
- ٢٢١ ٨- عدم الاستكثار من الطعام الحلال وقت الإفطار
- ٢٢١ ٩- أن يكون قلبه معلقاً بعد الإفطار معلقاً بين الخوف والرجاء
- ٢٢٢ ١٠- تأخير السحور وتعجيل الفطر
- ٢٢٣ ١١- كثرة القراءة والذكر والدعاء والصلاة والصدقة
- ٢٢٦ ١٢- صلاة التراويح
- ٢٢٧ ١٣- قيام ليلة القدر
- ٢٢٩ • متى تكون ليلة القدر؟

- ٢٣٠ ◆ أمارات ليلة القدر
- ٢٣٢ ١٤ - الاعتكاف
- ٢٣٣ • الاعتكاف شرعاً
- ٢٣٣ ◆ حكم الاعتكاف
- ٢٣٥ • البرُّ في الصوم نفلاً
- ٢٣٥ • استحباب صيام الأيام الفاضلة :
- ٢٣٥ ◆ في السنَّة
- ٢٣٧ ◆ في الشهر
- ٢٣٧ ◆ في الأسبوع
- ٢٣٨ • أفضل الصيام صيام داود
- ٢٣٨ • الأيام المنهي عن صيامها
- ٢٣٨ • أمور ليست من البرِّ في الصيام
- ٢٤٠ المبحث الرابع : الحج فرضاً ونفلاً .
- ٢٤٢ • فضل الحجِّ
- ٢٤٢ • الحجُّ المبرور فرضاً كان أو نفلاً
- ٢٤٣ • برُّ الحجِّ :
- ٢٤٣ أولاً : الإحسان إلى الخلق
- ٢٤٤ ثانياً : البرُّ فعل الطاعات كلها
- ٢٤٥ ثالثاً : العجُّ والثجُّ
- ٢٤٦ رابعاً : استحسان الهدى واستسمانها واستعظامها
- ٢٤٨ خامساً : اجتناب أفعال الإثم كلها من الرفث والفسوق والجدال
- ◆ لماذا أظهر في قوله تعالى :
- ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾
- كلمة ﴿ الْحَجِّ ﴾ الثانية وقد يصحّ الاضمار ، ولم جاءت الآية بصيغة النفي ؟ ٢٥١
- ◆ الحكمة في ذكره سبحانه هذه الألفاظ الثلاثة لا أزيد ولا أنقص ٢٥١

- ٢٥٢ * هل جميع أنواع الجدال مذمومة ؟ وما هو الجدال المذموم والجدل المدوح ؟
- ٢٥٣ سادساً : طيب نفقة الحجّ
- ٢٥٤ سابعاً : لا يقصد العبد بحجّه رياء ولا سمعة ولا مباحاة ولا فخر ولا خيلاء
- ثامناً : أن يكون رثّ الهيئة أشعث أغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل
- ٢٥٤ إلى أسباب التفاخر والتكاثر
- ٢٥٥ • أسرار الحجّ
- ٢٦١ • البرّ في الحجّ نفلاً
- ٣٦٣ الفصل الثالث : البرّ في مكارم الأخلاق
- ٣٦٤ تمهيد
- وفيه ستة مباحث :
- ٢٦٩ المبحث الأول : الوفاء بالعهد والوعود
- ٢٧٠ • أنواع الوفاء :
- ٢٧٠ ١- الوفاء بالعهد
- ٢٧٠ ٢- الوفاء بالعقد
- ٢٧١ ٣- الوفاء بالوعد
- ٢٧٣ • كلمات في الوفاء
- ٢٧٤ • الوفاء بالعهد
- ٢٧٥ • أنواع المواثيق والعهود :
- ٢٧٥ أولاً : العهد الأعظم الذي بين العبد ورب العالمين
- ٢٧٦ ثانياً : العهد بين العبد وبين رسول الله ﷺ
- ٢٧٨ ثالثاً : الميثاق الغليظ
- ٢٧٩ رابعاً : الوفاء مع الكفار
- ٢٨١ خامساً : الوفاء بالدين
- ٢٨٢ • الوفاء بالعهد من أبرّ البرّ

- ٢٨٢ • الوفاء بالعهد صفة مدح للأبرار
- ٢٨٦ المبحث الثاني : الصبر .
- ٢٨٧ • حقيقة الصبر
- ٢٨٨ • فضيلة الصبر
- ٢٩١ • أثر الصبر في حياة المسلم
- ٢٩١ • من آداب الصبر
- ٢٩٤ • أنواع الصبر المذكورة في آية البر
- ٢٩٤ • المراد بـ ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾
- ٢٩٥ • الصبر صفة مدح للأبرار
- ٢٩٦ • أولاً : الصابرون في البأساء
- ٢٩٦ • * برّ الفقير :
- ٢٩٨ • ثانياً : الصابرون في الضراء
- ٢٩٩ • * برّ المريض :
- ٢٩٩ • * يستشعر المريض الصابر ما يلي :
- ٢٩٩ (أ) تحقيقه لعبودية الضراء
- ٣٠٠ (ب) المرض مقدر من عند الله
- ٣٠٠ (ج) المرض تكفير للذنوب والسيئات
- ٣٠٢ (د) كتابة الحسنات للمريض ورفع درجاته
- ٣٠٣ (هـ) الصبر على المرض سبب في دخول الجنة
- ٣٠٤ (و) المرض يرد المريض الصابر إلى ربه ويذكره بمعاصيه
- ٣٠٥ (ز) المرض يذكر بنعم الله الماضية والحاضرة
- ٣٠٥ (ح) المريض الصابر يتذكر حال إخوانه المرضى ويتصبر بهم
- ٣٠٦ (ط) تذكر أن الابتلاء بالمرض وغيره علامة على محبة الله للعبد
- ٣٠٦ (ي) إن الشافي هو الله ، ولا تنافي ذلك مع الأخذ بأسباب الشفاء
- ٣٠٧ • ثالثاً : الصابرون حين البأس

- ٣٠٩ ✦ صبر المجاهدين حين البأس من أنواع البرِّ
- ٣١٢ المبحث الثالث : الصدق .
- ٣١٣ • تعريف الصدق
- ٣١٣ • فضل الصدق
- ٣١٧ • درجات الصدق
- ٣١٨ • مجالات الصدق في آية البرِّ
- ٣٢٢ الصّدق الأول : الصّدق في الإيمان (التوحيد) :
- ٣٢٣ الصّدق الثاني : الصّدق في الأعمال :
- ٣٢٤ أ (الصّدق في إقامة الصلاة
- ٣٢٥ ب (الصّدق في إيتاء الزكاة
- ٣٢٦ الصّدق الثالث : الصّدق في الأخلاق :
- ٣٢٦ أ (الصّدق في العهد
- ٣٢٨ ب (الصدق في الصبر
- ٣٢٨ • ثمرات الصّدق :
- ٣٢٨ ١- راحة الضمير وطمأنينة النفس
- ٣٢٩ ٢- البركة في البيع وزيادة الخير
- ٣٢٩ ٣- الفوز بمنازل الشهداء
- ٣٢٩ ٤- الفرج بعد الضيق
- ٣٣٠ • الصّادقون هم الأبرار
- ٣٣١ المبحث الرابع : التناجي بالبرِّ والتقوى ، والتعاون على البرِّ والتقوى
- ٣٣١ أولاً : التناجي بالبرِّ والتقوى
- ٣٣٢ • تعريف النجوى
- ٣٣٣ • أنواع التناجي :
- ٣٣٣ أولاً : التناجي المحمود
- ٣٣٤ ثانياً : التناجي المذموم

- ٣٣٤ • حكم التناجي
- ٣٣٦ • التناجي بالبر والتقوى :
- ٣٣٧ أولاً : الأمر بالصدقة
- ٣٣٧ ثانياً : الأمر بالمعروف
- ٣٣٩ ثالثاً : الإصلاح بين الناس
- ٣٤٠ • تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾
- ٣٤١ • أنواع الحقوق :
- ٣٤١ النوع الأول : حق الله
- ٣٤١ النوع الثاني : حقوق الآدميين
- ٣٤١ • شروط الصلح بين المسلمين
- ٣٤١ • أقسام الصلح
- ٣٤١ القسم الأول : صلح جائز
- ٣٤١ القسم الثاني : الصلح الجائز بين المسلمين
- ٣٤٢ • أنواع الإصلاح بين الناس :
- ٣٤٢ أولاً : الصلح بين الإمام والبغاة
- ٣٤٣ ثانياً : بين الزوجين إذا خيف الشقاق بينهما
- ٣٤٣ ثالثاً : بين المتخاصمين في الأموال (أو الصلح في المعاملة)
- ٣٤٤ • أمثلة من السيرة على الصلح العادل
- ٣٤٦ • الإصلاح بين الناس من أعمال البر
- ٣٤٨ • المعروف لفظ يعم الصدقة والإصلاح وغيرهما
- ٣٤٨ فلم خصاً بالذكر ، ولم جاءت الآية بأسلوب الحصر ؟
- متى يكون النجوى بالأمر بالصدقة أو المعروف أو الإصلاح
- ٣٤٨ بين الناس برّاً ؟
- ٣٤٩ ثانياً : التعاون على البر والتقوى :
- ٣٥٠ • الأمر بالتعاون على البر والتقوى

- ولكن هل من الأفضل مخالطة الناس والصبر على أذاهم لتحقيق التعاون على البرّ والتقوى أو العزلة ؟ كيف وقد قال ﷺ : " يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمٌ يتبع بها شُعب الجبال ومواقع القطر يفرُّ بدينه من الفتن " ؟
- أنواع التّعاون
- الأول : تعاونٌ على البرّ والتقوى
- والثاني : تعاونٌ على الإثم والعدوان
- من وجوه التّعاون على البرّ والتقوى
- المعاونة على البرّ برّ
- المبحث الخامس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصطلاحاً
- مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- هل معنى قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ أنه كنا في الماضي خير أمة نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ، ثم سقط عنا هذا الفرض ؟
- لماذا قدّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله ؟
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بابٌ عظيمٌ من أبواب البرّ :
- أولاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أنواع الصدقات
- ثانياً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أنواع الكفّارات
- متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟
- صفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- الالتزام بعمل البرّ قبل دعوة الناس إليه
- أولاً : قال تعالى :
- ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾
- معنى البرّ الذي كان المخاطبين يأمرؤن به الناس وينسون أنفسهم :

- ٣٧٥ ثانياً : قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾
- كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣٧٥﴾
- ٣٧٦ ❖ سبب نزول الآيات
- ٣٧٧ • وعظ الفاسق
- ❖ هل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من كان متلبساً بمعصية ؟
- ٣٨١ المبحث السادس : إتيان البيوت من أبوابها
- ٣٨١ • المراد من إتيان البيوت من أبوابها
- ٣٨٥ • برّ من اتقى
- ٣٨٨ • إتيان البيوت من أبوابها ومكارم الأخلاق
- ٣٩٣ الباب الثاني : مجالات البرّ في الصّلات الاجتماعية
- وفيه فتلان :
- ٣٩٤ الفصل الأول : البرّ في الصّلات الاجتماعية النسبية
- ٣٩٥ تمهيد
- ٣٩٥ الصّلات الاجتماعية النسبية لغة
- ٣٩٦ مقاصد الإسلام من العناية بشأن الصّلات الاجتماعية النسبية
- وفيه ثلاثة مباحث :
- ٣٩٨ المبحث الأول : البرّ بالوالدين
- ٤٠٠ • حقيقة الإحسان
- ٤٠٠ • جاء الإيضاء بلفظ : ﴿ حُسْنًا ﴾ و ﴿ إِحْسَانًا ﴾ فهل من فرق بينهما ؟
- ٤٠٢ • فضل برّ الوالدين :
- ٤٠٢ أولاً : أنّه من أفضل الأعمال
- ٤٠٢ ثانياً : أنّه سببٌ من أسباب مغفرة الذنوب وتكفيرها
- ٤٠٢ ثالثاً : أنّه سببٌ من أسباب دخول الجنّة
- ٤٠٣ رابعاً : أنّه سببٌ في رضا الربّ

- ٤٠٣ حامساً : أنه سببٌ في زيادة العمر وبركة الرزق ودفع ميتة السوء
- ٤٠٤ سادساً : أنه سببٌ في برِّ أبنائك لك
- ٤٠٤ • وأجمع آيةً في برِّ الوالدين
- ٤١٤ • حكم برِّ الوالدين الكافرين
- ٤١٦ • أسس البرِّ :
- ٤١٦ • أولاً : أسس برِّ الوالدين في حياتهما
- ٤٢٥ • ثانياً : أسس برِّ الوالدين بعد وفاة أحدهما أو كليهما
- ٤٢٧ هل يستطيع الولد أن يجازي والداه ؟
- ٤٣٠ **المبحث الثاني** : البرِّ بذوي القربى .
- ٤٣٠ • البرِّ بذوي القربى في :
- ٤٣٠ • القرآن المكي
- ٤٣٠ • القرآن المدني
- ٤٣١ • المراد بـ ﴿ ذَوِي الْقُرْبَى ﴾
- ٤٣٢ • الرَّحِمِ هم الأقارب
- ٤٣٣ • المعنى الجامع لصلة الرَّحِمِ
- ٤٣٤ • تقديم البرِّ بذوي القربى
- ٤٣٦ • حكم صلة الرَّحِمِ ودرجاتها
- ٤٣٦ • مراتب ذوي القربى في الصلة
- ٤٣٧ • فضل البرِّ بذوي القربى
- ٤٣٦ ١- صلة الرَّحِمِ شعار الإيمان بالله واليوم الآخر :
- ٤٣٨ ٢- صلة الرَّحِمِ تزيد في العمر وتوسع الرزق وتدفع ميتة السوء
- ٤٣٨ ٣- البرِّ بذوي القربى سبب مغفرة الذنوب وتكفير الخطايا
- ٤٣٨ ٤- صلة الرَّحِمِ تعمّر الديار وتثمر الأموال
- ٤٣٨ • وجوه البرِّ بذوي القربى
- ٤٤٠ • حقوق ذوي القربى

- ٤٤٤ • اختلاف العلماء في بأي شيء تحصل القطيعة للرحم
- ٤٤٥ • حكم هجر ذوي القربى
- ٤٤٧ المبحث الثالث : البرّ بالصّاحب
- ٤٤٨ • المراد بالصّاحب بالجنب
- ٤٥٠ • البرّ بالصّاحب بالجنب
- ٤٥٠ : حقوق الصّاحب :
- ٤٥٠ • حقّ الإسلام
- ٤٥١ • حقّ الصّحبة :
- ٤٥١ الحقّ الأوّل : في المال
- ٤٥٢ الحقّ الثاني : في الإعانة بالنفس على قضاء الحاجات
- ٤٥٢ الحقّ الثالث : أمر اللسان بالسكوت
- ٤٥٣ الحقّ الرابع : حقّ اللسان بالنطق
- ٤٥٤ الحقّ الخامس : الوفاء والإخلاص
- ٤٥٥ الحقّ السادس : العفو عن الزلات والهفوات
- ٤٥٥ الحقّ السابع : الدعاء له
- ٤٥٥ الحقّ الثامن : التخفيف وترك التكلّف والتكليف
- ٤٥٨ الفصل الثاني : البرّ في الصلوات الاجتماعية خير النسبيّة
- ٤٥٩ تمهيد
- وفيه ستة مباحث :
- ٤٦١ المبحث الأول : البرّ باليتامى
- اهتمام القرآن الكريم بشأن اليتيم في :
- ٤٦١ • العهد المكي :
- ٤٦١ أولاً : الرعاية النفسية :
- ٤٦١ عدم مساءته في نفسه

- ٤٦٢ ثانياً : رعاية مال اليتيم على وجه الإجمال
- ٤٦٢ ❖ العهد المدني :
- ٤٦٣ أولاً : الجانب المالي :
- ٤٦٣ ١- دفع المضار عنه في ماله
- ٤٦٣ ٢- جلب المصالح
- ٤٦٤ ثانياً : الرعاية والاهتمام بشأن اليتيم والإحسان إليه
- ٤٦٦ • فضل البر باليتامى :
- ٤٦٦ ١- وجوب الجنة
- ٤٦٦ ٢- صُحبة الرسول ﷺ في الجنة
- ٤٦٧ ٣- دواء لقسوة القلب
- ٤٦٧ • البر باليتامى :
- ٤٦٧ أولاً : حسن معاملة اليتامى
- ٤٧٢ ثانياً : المحافظة على أموال اليتامى
- ٤٧٢ ١- المحافظة على أموالهم
- ٤٧٣ ٢- تحديد العلاقة بين الوصي واليتيم
- ٤٧٥ ثالثاً : الإنفاق على اليتامى
- ٤٧٧ المبحث الثاني : البر في معاملة الفقراء والمساكين والسائلين
- الإحسان إلى الفقراء والمساكين والسائلين في :
- ٤٧٧ ❖ القرآن المكي
- ٤٧٧ ❖ القرآن المدني
- ٤٨٠ • الفرق بين الفقير والمساكين
- ٤٨١ • الفرق بين المسكين والسائل
- ٤٨٢ • سبب ذكر الأقارب في جميع المواضع بلفظ : ﴿ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾
- ولم يذكر المسكين بلفظ : (ذي المسكنة)
- ٤٨٣ • فضل إطعام الفقراء والمساكين والسائلين

- ٤٨٣ أولاً : تزكية المال والإسراع في دخول الجنة :
- ٤٨٣ ثانياً : إطعام المسكين سبب موجب لرحمة الله ومغفرته ودخول الجنة
- ٤٨٤ ● البرّ في معاملة الفقراء والمساكين والسائلين :
- ٤٨٤ أولاً : التصدّق عليهم
- ٤٨٦ ثانياً : إطعام المساكين
- ٤٨٩ ثالثاً : حبّ المساكين ومحادثتهم ومؤاكلتهم وتقريبهم
- ٤٩٢ ❖ معنى السائل
- ٤٩٣ رابعاً : عيادة المساكين والسؤال عنهم
- ٤٩٤ ● السائلين بين الإحسان إليهم والنهي عن المسألة
- ٤٩٧ المبحث الثالث : البرّ في معاملة الجار
- ٤٩٨ ● المراد بـ ﴿ وَأَجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارَ الْجُنُبَ ﴾
- ٥٠٠ ● حدّ الجوار
- ٥٠١ ● وجوه البرّ في معاملة الجار
- ٥٠٢ أولاً : كفّ الأذى عن الجار
- ٥٠٤ ثانياً : احتمال أذى الجار
- ٥٠٥ ثالثاً : إكرامه بإسداء المعروف والخير له
- ٥٠٨ رابعاً : الإحسان إلى الجار
- ٥١٠ ● الجيران ثلاثة
- ٥١٠ ● حقُّ الجار المشرك
- ٥١٢ ● حقُّ الجار المسلم
- ٥١٢ ● حقُّ الجار المسلم القريب
- ٥١٣ المبحث الرابع : البرّ في معاملة ابن السبيل
- ٥١٣ ● العطف على ابن السبيل والبرّ به في :
- ٥١٣ ❖ القرآن المكي
- ٥١٣ ❖ القرآن المدني

- ٥١٤ • حكمة العناية بابن السبيل
- ٥١٥ • ابن السبيل اصطلاحاً
- ٥١٦ • لماذا أفرد فقال : ﴿ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ ولم يقل : (أبناء السبيل)
على نسق غيره في آية البرّ ﴿ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ﴾ ؟
- ٥١٦ • وجوه البرّ في معاملة ابن السبيل :
- ٥١٧ • أولاً : إيتاء ابن السبيل من الصدقات
- ٥١٩ • ثانياً : ضيافة ابن السبيل
- ٥٢٢ • ثالثاً : إرشاد ابن السبيل الطريق
- ٥٢٣ • رابعاً : عدم منع ابن السبيل فضل الماء
- ٥٢٤ • المبحث الخامس : البرّ بالأرقاء والمكاتبين
- ٥٢٤ • أوصى القرآن الكريم بالأرقاء وذلك في :
- ٥٢٤ • القرآن المكي
- ٥٢٤ • القرآن المدني
- ٥٢٧ • المراد بقوله تعالى : ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾
- ٥٢٨ • البرّ بالأرقاء والمكاتبين :
- ٥٢٩ • أولاً : إعانتهم على الحرية
- ٥٢٩ • هل الأمر بالكتابة على الوجوب أو على الندب والاستحباب ؟
- ٥٣٠ • ثانياً : مشاركتهم في النعمة التي أنعم الله بها علينا في المطعم والمشرب
وعدم تكليفهم عملاً إلاّ في حدود طاقتهم
- ٥٣٢ • ثالثاً : أن لا يؤذيههم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة حسنة
- ٥٣٣ • رابعاً : العفو عن المملوك
- ٥٣٣ • خامساً : الراحة للمملوك ووقت الفراغ
- ٥٣٥ • المبحث السادس : البرّ بالأعداء غير المحاربين
- ٥٣٦ • أنواع الأعداء
- ٥٣٨ • فضل البرّ والقسط للأعداء غير المحاربين

- وجوه البرّ بالأعداء غير المحاربين : ٥٣٨
- أولاً : الإكرام والإحسان والإطعام ٥٣٨
- ثانياً : التصدق عليهم والقسط إليهم ٥٤٠
- ثالثاً : صلة العدو غير المحارب وإرشاده ونصيحته والدعاء له ٥٤٢

٥٤٥

الباب الثالث: آثار البرّ في الدنيا والآخرة

وفيه فصلان :

٥٤٦

الفصل الأول : آثار البرّ في الدنيا

٥٤٧

تمهيد

وفيه ثلاثة مباحث :

٥٤٩

المبحث الأول : البرّ سبب محبة الله للعبد وزيادة الإيمان .

٥٥١

• أنواع معرفة الله لعبده

٥٥٢

• الإيمان يزيد وينقص

٥٥٥

• معنى الزيادة

٥٥٦

• مجالات زيادة الإيمان :

٥٥٦

أولاً : الزيادة في أصل اليقين

٥٥٦

ثانياً : زيادة الإيمان بزيادة متعلقاته

٥٥٧

ثالثاً : وزيادة الإيمان في أثره

٥٥٧

• البرّ سبب زيادة الإيمان

٥٥٩

المبحث الثاني : البرّ سبب الطمأنينة وانسراح الصدر

٥٥٩

أولاً : البرّ سبب الطمأنينة في الحياة الدنيا :

٥٦٠

• الفرق بين الطمأنينة والسكينة

٥٦١

• كيفية استقرار الطمأنينة

٥٦٢

• ما وجه الجمع بين الثناء عليهم بالوجل الذي هو الخوف عند ذكره

جل وعلا في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ .

مع الثناء عليهم بالطمأنينة بذكره ، والخوف والطمأنينة متنافيان ؟

٥٦٣

• درجات الطمأنينة

٥٦٤

ثانياً : البرُّ سبب انشراح الصدر في الحياة الدنيا :

٥٦٦

• ازدياد شرح الصدر بكثرة أعمال الخير

٥٦٨

المبحث الثالث : البرُّ سبب للحياة الطيبة في الحياة الدنيا

٥٦٨

• أين تكون الحياة الطيبة ؟

٥٧١

• المراد بالحياة الطيبة

٥٧٧

• وقفة مع ثلاثة تساؤلات :

٥٧٧

التساؤل الأول :

ينظر بعض الناس فيرى أمماً يقولون : إنهم مسلمون مضيئاً عليهم في الرزق ، لا يجدون إلاَّ الجذب والفقر ! ويرى أمماً لا يؤمنون ولا يتقون لهم كل أسباب القوة والغلبة والرزق .. فيتساءل : فأين إذن هي الحياة الطيبة والبركات من السموات والأرض ؟ وأين هو المتاع الحسن ؟

٥٧٨

التساؤل الثاني :

نشاهد كثيراً من الطيبين الصالحين ، المستغفرين التائبين ، المستقيمين على طاعة الله مضيئاً عليهم في الرزق أيضاً ، فأين الحياة الطيبة التي وعدوا بها ؟

٥٧٩

التساؤل الثالث :

هناك نصوص دالة على أن المؤمن مبتلى في الدنيا ، مضيئاً عليه ، والكافر منعمٌ مُرفهٌ ، فكيف الجمع بينهما ؟

٥٨١

• عيش المؤمن أطيب من عيش الكافر

٥٨٢

الفصل الثاني : آثاره في الآخرة .

وفيه أربعة مباحث :

٥٨٣

المبحث الأول : الأمان من الخوف والحزن

٥٨٤

• البشارة للأبرار بالأمان من الخوف والحزن

- ٥٨٦ • اختلاف العلماء في المراد بنفي الخوف والحزن عن المؤمنين من أهل الطاعات
- ٥٩٠ • لماذا قدّم انتفاء الخوف على انتفاء الحزن ، ولماذا قدّم
الضمير في : ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ؟
- ٥٩٠ • المراد بالحزن الذي أذهب به الله عن المتقين الأبرار
- ٥٩٣ المبحث الثاني : المحسن قريب من رحمة الله ﷻ وفي معيته
- ٥٩٣ أولاً : المحسن قريب من رحمة الله ﷻ :
- ٥٩٣ • من صفات الله الرحمة
- ٥٩٤ • الفرق بين ﴿الرَّحْمَنِ﴾ و ﴿الرَّحِيمِ﴾
- ٥٩٦ • وجه تذكير الخبر في قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾
- ٥٩٨ • المحسن قريب من رحمة الله في الآخرة في مواقف عدّة منها :
- ٥٩٨ أولاً : استظلال المحسن بظل العرش في الحشر
- ٦٠٠ ثانياً : مجازاة الحسنة بأحسن منها
- ٦٠٠ ثالثاً : الحساب اليسير
- ٦٠٢ رابعاً : المنابر من النور
- ٦٠٢ خامساً : الفكاك من النَّار
- ٦٠٣ سادساً : التخيير في أي الحور العين شاء
- ٦٠٤ سابعاً : التّجاوز عن المحسنين
- ٦٠٤ ثامناً : خلوص المحسنين ونجاتهم من النَّار عند مرورهم على الصراط
- ٦٠٥ • أنواع الورود :
- ٦٠٥ النوع الأول : ورود الكفار على النار
- ٦٠٦ النوع الثاني : ورود المؤمنين الموحّدين
- ٦٠٧ ثانياً : المحسن في معية الله :
- ٦٠٧ • لفظ " مع " في لغة العرب
- ٦٠٨ • أقسام معية الله لخلقه :
- ٦٠٨ أولاً : المعية العامّة

- ٦٠٨ ثانياً : المعية الخاصة
- ٦٠٩ • معية الله لعبده المحسن في الدنيا والآخرة :
- ٦٠٩ أولاً : معية الله للمحسن في الدنيا
- ٦١٠ • معية الله الخاصة للذاكر
- ٦١١ ثانياً : معية الله للمحسن في الآخرة
- ٦١٤ المبحث الثالث : البر سبب للنعيم المقيم في الجنة ، وسبب للنجاة من النار .
- ٦١٤ أولاً : البر سبب للنعيم المقيم في الجنة :
- ٦١٥ • دوام النعيم للأبرار
- ٦١٨ ثانياً : البر سبب للنجاة من النار :
- ٦٢٠ • نجاة الأبرار من النار
- ٦٢٢ المبحث الرابع : جزاء البر يوم القيامة الحسن وزيادة .
- ٦٢٢ • جزاء الأبرار الحسن وزيادة ، فما هي الحسن وما هي الزيادة ؟ ..
- ٦٢٢ أولاً : من الناحية اللغوية
- ٦٢٣ ثانياً : من الناحية الشرعية
- ٦٢٦ • الزيادة مطلقة
- ٦٢٧ • الجزاء من جنس العمل
- ٦٢٨ • نعيم لا يعدله نعيم

٦٣٠

الخاتمة

الفهارس العامة :

- ٦٣٤ • فهرس الآيات القرآنية الكريمة
- ٦٧١ • فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
- ٦٨٩ • فهرس الأعلام
- ٦٩٩ • فهرس الغريب والمصطلحات العلمية والبلاد

- ٧٠٦ • فهرس المسائل الفقهيّة
- ٧٠٨ • فهرس أوجه القراءات
- ٧١٠ • فهرس المصادر والمراجع
- ٧٥٦ • فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ